

كتاب

غرر الفوائد ودرر القلائد املاء
سيدنا ومولانا العالم المرتضى ابي القاسم علي
ابن الحسين ابن موسى العلوي نور الله ضريحه
ان الله حشره واسكنه فسيح جنته المستلذ
بمحمد وآله اجمعين

الحمد لله الذي اكرمنا بمحمد

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

اكرمه غزالي رضي الله عنه اللهم تم الكلام لزوال الهم

اللهم اني لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ولا استطيع ان اخذ الا ما اعطيتني ولا اتقي الا ما وقيتني فوفقني لما تحب وترضى من القول والعمل في عافية

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

حسبي الله وكفى بالله وبمحمد

لا زال يعلو قدره دائما على الورى صاحب هذا الكتاب

ما غرد القمري على أيكه وأضحك الأرض بكاء السحاب

اللهم يا رحمن يا رحيم

حسبي الله ونعم الوكيل

فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم

حسبي الله ونعم الوكيل

حسبنا الله ونعم الوكيل

المعمر عبد الرحيم العباسي عفي الله عنه
[illegible] بمدينة ادرنه

يا فاضلا يشكو الزمان وجوره لكان صبرت لبوسه اجزان
انجز فضائلك لطلب [illegible] وبما كان علم الورى ضدان

٥٢

٥٥
ذكر النظام في المجلس الثالث عشر

ذكر علي العباس المعروف بابن العسكر ووفاته مذكور في هذا الكتاب في مجلس [illegible]

٣٧
حكايات الزنادقة في المجلس التاسع

٥٥
وفاة الجاحظ في آخر المجلس الثالث عشر

٧٠
ذكر المعمرين في المجلس السادس عشر

٨٤
وفاة ابي العيناء في المجلس العشرين

ذكر عن ابي هريرة وعمرو بن العاص انهما قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الفقر من كذا وعشرين شيئا ترك التسمية عند ابتداء الامر ودعاء السوء
على الولد ودعاء الوالدين باسمهما ومنع الفقير من الخبز وحقر
فتات الخبز وحرق قشر الثوم والبصل وترك الاواني
بلا مخمره والاكل جنبا والنوم عريانا والخروج من المسجد قبل
فراغ الدعاء ودخول السوق بكره والخروج منه الاخير
واطفاء السراج بالنفخ وغسل اليدين بالطين بعد الفراغ من
الاكل والبول قائما ومسح الوجه بالذيل بعد الفراغ من الوضوء
ولبس السراويل قائما ولف العمامة قاعدا والتقدم على
المشايخ وخياطة الثوب على نفسه والله اعلم

غرر الفوائد ودرر القلائد

املاء سيدنا الاجل المرتضى علم الهدى ذي المجدين ابي القسم
علي بن الحسين بن موسى رضي الله عنه وارضاه
من كتب العبد الراجي رحمة الله تعالى محمد بن محمد الكشي القرشي

قرأ علي بعض كتاب غرر الفوائد ودرر القلائد وسمع بعضا
بقراءة غيره الشيخ الاجل الاوحد الامام الولد مهذب الدين
فخر الائمة تاج الرؤساء ابو المفاخر محمد ابن احمد بن علي حمدان
اطال الله بقاه وادام نعماه واجزت له رواية جميع الكتاب عني
عن قاضي القضاة السعد عماد الدين ابي محمد الحسن بن محمد الاسترابادي
عن ابي المعالي احمد بن علي بن قدامة رحمه الله وانا ابلغ سيدنا الاجل المرتضى
علم الهدى ذي المجدين ابي القسم علي بن الطاهر الاوحد ذي المناقب ابي احمد
الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن ابراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليهم السلام
وعن [illegible] الامام [illegible] احمد [illegible] البغدادي [illegible] المروزي عن السيد
علم الهدى قدس الله روحه وصح الكتاب له وكتب فضل الله
علي الحسني ابو الرضا غفر الله له ولابويه ولجميع المسلمين بفضله ومنه
في شهر الله الاصم رجب سنة خمس وستين وخمسمئة حامدا لله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

مجلس شرح تأويل آية

قال الشريف المرتضى قدس الله روحه ان سأل سائل عن قول الله تعالى وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا في هذه الآية وجوه من التأويل كل منها يبطل الشبهة الداخلة على المبطلين فيها حتى عدلوا بتأويلها عن وجهه وصرفوه عن بابه: أولها أن الإهلاك قد يكون حسنا وقد يكون قبيحا فإذا كان مستحقا أو على سبيل الامتحان كان حسنا وإنما يكون قبيحا إذا كان ظلما فتعلق الإرادة به لا يقتضي تعلقها به على الوجه القبيح ولا ظاهر للآية يقتضي ذلك وإذا علمنا بالأدلة العقلية تنزه القديم تعالى عن القبائح علمنا أن الإرادة لم تتعلق إلا بالإهلاك الحسن: وقوله تعالى أمرنا مترفيها المأمور به محذوف وليس يجب أن يكون المأمور به هو الفسق وإن وقع بعده الفسق ويجري هذا مجرى قول القائل أمرته فعصى ودعوته فأبى والمراد أنني أمرته بالطاعة ودعوته إلى الإجابة والقبول: ويمكن أن يقال على هذا الوجه ليس موضع الشبهة ما تكلمتم عليه وإنما موضعها أن يقال أي معنى لتقدم الإرادة فإن كانت متعلقة بإهلاك مستحق بغير الفسق المذكور في الآية فلا معنى لقوله تعالى إذا أردنا أمرنا لأن أمره بما يأمر به لا يحسن إرادته للعقاب المستحق بما تقدم من الأفعال وإن كانت الإرادة متعلقة بالإهلاك المستحق بمخالفة الأمر المذكور في الآية فهذا الذي تأبونه لأنه يقتضي أنه تعالى مريد لإهلاك من لم يستحق العقاب: والجواب عن ذلك أنه تعالى لم يعلق الإرادة إلا بالإهلاك المستحق بما تقدم من الذنوب والذي حسن قوله تعالى وإذا أردنا أمرنا هو أن في تكرار الأمر بالطاعة والإيمان إعذارا إلى العصاة وإنذارا لهم وإيجابا وإثباتا للحجة عليهم حتى يكونوا متى خالفوا وأقاموا على العصيان والطغيان بعد تكرار الوعيد والوعظ والإنذار ممن يحق عليه القول ويجب الحجة ويشهد بصحة هذا التأويل قوله تعالى قبل هذه الآية وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا: والوجه الثاني في تأويل الآية أن يكون قوله تعالى أمرنا مترفيها من صفة القرية وصلتها ولا يكون جوابا لقوله تعالى وإذا أردنا ويكون تقدير الكلام وإذا أردنا أن نهلك قرية من صفتها أنا أمرنا مترفيها ففسقوا فيها ويكون إذا على هذا الجواب لم يأت لها جواب ظاهر في الآية للاستغناء عنه بما في الكلام من الدلالة عليه ونظير هذا قوله تعالى في صفة الجنة حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين ولم يأت لإذا جواب في طول الكلام للاستغناء عنه ويشهد أيضا بصحة هذا الجواب قول الهذلي

حتى إذا أسلكوهم في قتائدة ... شلا كما تطرد الجمالة الشردا

فحذف جواب إذا ولم يأت به لأن هذا البيت آخر القصيدة: والوجه الثالث أن يكون ذكر الإرادة في الآية مجازا أو اتساعا وتنبيها على المعلوم من حال القوم وعاقبة أمرهم وأنهم متى أمروا فسقوا وخالفوا وذكر الإرادة يجري مجرى قولهم إذا أراد التاجر أن يفتقر أتته النوائب من كل جهة وجاءه الخسران من كل طريق وقولهم إذا أراد العليل أن يموت خلط في مأكله وتسرع إلى كل ما تتوق إليه نفسه ومعلوم أن التاجر لم يرد في الحقيقة شيئا ولا العليل أيضا لكن لما كان المعلوم من حال هذا الخسران ومن حال هذا الهلاك حسن هذا الكلام واستعمل ذكر الإرادة لهذا الوجه وكلام العرب وحي وإشارات واستعارات ومجازات ولهذه الحال كان كلامهم في المرتبة العليا من الفصاحة فإن الكلام متى خلا من الاستعارة وجرى كله على الحقيقة كان بعيدا من الفصاحة بريا من البلاغة وكلام الله تعالى أفصح الكلام

والوجه الرابع أن تحمل الآية على التقديم والتأخير فيكون تلخيصها إذا أمرنا مترفي

فرتبوا الطاعة فيعصوا او استحقوا العقاب اردنا اهلاكهم والتقديم والتأخير في الشعر و
كلام العرب كثير. ومما يمكن ان يكون شاهدا لصحة هذا التأويل من القرآن قوله تعالى يا ايها
الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم والطهارة انما تجب قبل القيام الى الصلوة
وقوله تعالى واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة فلتقم طائفة منهم معك وقيام الطائفة معه
يجب ان يكون قبل اقامة الصلوة لان اقامتها هو الاتيان بجميعها على الكمال. فاما قراءة
من قرأ الآية بالتشديد فقال امّرنا وقراءة من قرأها بالمد والتخفيف فقال آمرنا فلن تخرج
معنى قراءتيهما عن الوجوه التي ذكرناها الا الوجه الاول فان معناه لا يليق الا بان يكون
ما تضمنته الآية هو الامر الذي يستدعى به الفعل.

تأويل خبر

روي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال من تعلم القرآن ثم نسيه لقي الله تعالى وهو
اجذم. قال ابو عبيد القسم بن سلام مفسرا لهذا الحديث في كتابه غريب الحديث الاجذم المقطوع
اليد واستشهد بقول المتلمس   وما كنت الا مثل قاطع كفه بكف له اخرى فاصبح اجذما
وقد خطّأ عبد الله بن مسلم بن قتيبة في تأويله هذا الخبر وقال الاجذم وان كان المقطوع اليد فان
هذا المعنى لا يليق بهذا الموضع قال لان العقوبات من الله تعالى لا تكون الا وفقا للذنوب وبحسبها
واليد لا مدخل لها في نسيان القرآن فكيف تعاقب فيها واستشهد بقوله تعالى الذين يأكلون
الربوا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس وزعم ان تأويل الآية ان الربوا
اذا اكلوه ثقل في بطونهم وربا في اجوافهم فقيامهم مثل قيام من يتخبطه الشيطان فيعثر او يخبل
واستشهد ايضا بما روي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال رأيت ليلة اسري بي قوما
تقرض شفاههم وكلما قرضت وفت فقال يا جبرئيل هؤلاء خطباء امتك تقرض
شفاههم لانهم يقولون ما لا يفعلون. قال ولا اجذم في الخبر انما هو المجذوم وانما جاز
ان يسمى المجذوم اجذم لان الجذام يقطع اعضاءه ويشنجها والجذم القطع. قال

الشريف المرتضى رضي الله عنه قد اخطأ الرجلان جميعا وذهبا عن الصواب ذهابا بعيدا وان
كان غلط ابن قتيبة افحش واقبح لانه علل غلطه فاخرجه الى اغاليط كثيرة ونحن نبين معنى
الخبر ثم نتكلم على ما اورداه. اما معنى الخبر فهو ظاهر لمن كان له ادنى معرفة بمذاهب العرب
في كلامها وانما اراد عليه السلم بقوله يحشر اجذم المبالغة في وصفه بالنقصان عن الكمال
وفقد ما كان عليه بالقرآن من الزينة والجمال والتشبيه له بالاجذم من حسن التشبيه وعجيبه
لان اليد من الاعضاء الشريفة التي لا يتم كثير من التصرف ولا يوصل الى كثير من المنافع الا
بها ففاقدها يفقد ما كان عليه من الكمال وتفوته المنافع والمرافق التي كان يجعل يده
ذريعة اليها وتناولها وهذه حال ناسي القرآن ومضيعه بعد حفظه لانه يفقد ما كان لابسا له من
الجمال ومستحقا له من الثواب وهذه عادة للعرب في كلامهم معروفة يقولون فيمن فقد ناصره
ومعينه فلان بعد فلان اجدع وقد بقي بعده اجذم قال الفرزدق يرثي مالك بن مسمع

تضعضع طود وائل بعد مالك   واصبح منها معطس العز اجدعا

وانما اراد المعنى الذي ذكرناه وللعرب ملاحن في كلامها واشارات الى الاغراض وتلويحات
بالمعاني متى لم يفهمها ويسرع الى الفطنة بها من يتعاطى تفسير كلامهم وتأويل خطابهم كان
ظالما لنفسه متعديا طوره. ونعود الى الكلام على ما ذكره الرجلان اما ابو عبيد
فان خطأه من حيث لم يفطن للغرض في الخبر وضل عن وجهه ولانه قال الاجذم هو الاقطع لا
محالة كما قال الا انه لا يليق بهذا الموضع واذا حمل عليه لم يفد شيئا وان كانت شبهته التي اوقعته
في هذا التأويل ظنه ان ذلك يكون على سبيل العقوبة له على نسيان القرآن فليس كما ظن لان
الجذم لو كان ليس بعقوبة لان الله تعالى قد يجذم اولياءه والصالحين من عباده ويقطع
اعضاءهم بالامراض وقد يبتدئ خلق من يولد ناقص الاعضاء فليس بمنكر في الجذم ان يكون

عقوبة ❊ ثم لو كان يستحق ناسي القرآن عقوبة على نسيانه لكان حفظ القرآن بأسره فرضاً
واجباً وحتماً لازماً لأن العقوبة لا تستحق بترك ما ليس بواجب وليس حفظ جميع القرآن كذلك
فأما ابن قتيبة فإنه غلط من حيث لم يفطن للوجه في الخبر الذي ذكرناه ومن حيث ظن أن العقوبة و
لا تكون إلا في محل الذنب وهذا القول يوجب عليه ألا تجلد ظهر الزاني وتختص العقوبة بفرجه
وكذلك القاذف كان يجب أن نعاقب في لسانه والخبر الذي استشهد به حجة عليه لأنا نعلم أن دون سائر أعضائه
اللسان أقوى حظاً في باب الكلام من الشفة فلم تختص بالعقوبة وحلت بالشفاه دونه ثم غلطه في
تأويل الآية التي أوردها أقبح من كل ما تقدم لأنه توهم أن ما تضمنته الآية من تخبط آكل الربوا
وتعثره عند القيام إنما هو في الدنيا من حيث يثقل ما أكله في معدته فيمنعه من النهوض
ونحن نعلم ضرورة خلاف ذلك ونجد كثيراً ممن أكل الربوا أخف نهوضاً وأسرع قياماً وتصرفاً
من غيرهم ممن لم يأكل الربوا قط والمعنى في الآية ما ذكره المفسرون من أن ما وصفهم الله تعالى به
يكون عند قيامهم من قبورهم فيلحقهم العثار والتخبط والتخبل على سبيل العقوبة لهم وليكون ذلك أيضاً أمارة يعاينهم
لمن يعاينهم من الملائكة والخزنة على الفرق بين الولي والعدو ومستحقي الجنة ومستحقي النار وليس
بمعروف والظاهر أن الأجذم هو المجذوم ورد ابن قتيبة معناه واشتقاقه إلى الجذم الذي هو القطع
يوجب عليه أن يكون كل داء يقطع الجسد ويفرق أوصاله كالجدري والآكلة وغيرهما يسمى جذاماً والآكلة
ويسمى من كان عليه أجذم وهذا باطل وأما قول الشاعر

جرى في فتيتي على البلاد حتى إذا اضطرمت أجذما

فليس من هذا الباب بل هو من
الإجذام الذي هو الإسراع فكأنه قال لما اضطرمت أسرع عني وتباعد مني والإجذام بالذال الدال
المعجمة وغير المعجمة جميعاً الإسراع وأما قول عنترة في وصف الذباب
هزجاً يحك ذراعه بذراعه فعل المكب على الزناد الأجذم

فهو من هذا الباب لأن الأجذم من صفة المكب لا من صفة الزناد فكأنه قال فعل المكب الأجذم
على الزناد وهذا من أحسن التشبيه وأوقعه مسألة قال الشريف المرتضى
قدس الله روحه كان بعض الشيوخ المتقدمين يقول ليس يمتنع أن يمكن الله تعالى من الظلم من يعلم من
حاله أنه يرد القيامة غير مستحق لشيء من الأعواض أو لما يوازي القدر المستحق عليه منها فإذا أراد
الانتصاف منه تفضل عليه بما ينقله إلى المستحق للعوض ويقول ليس هذا ببعيد ولا مستحيل لأن العوض
ليس يختص بصفة تمنع من التفضل بمثله ولا يجري في ذلك مجرى الثواب والمستقر من مذاهب الشيوخ
وهو الصحيح أن الانتصاف لا يجوز أن يكون موقوفاً على ما يتفضل به لأن الانتصاف واجب على الله تعالى
من حيث خلى بين عباده وبين الظلم فلا يجوز أن يتعلق الأداء بأمر واجب والتفضل لفاعله أن لا يفعله فيؤول
الحال إلى تعذر الانتصاف وقالوا من يعلم الله تعالى أنه يرد القيامة ولا أعواض له يمنعه من الظلم ولا يمكنه
منه لهذه العلة وتجويزنا أن يمكن من الظلم من يكون في الحال غير مستحق للعوض أو غير مستحق للقدر
الذي يوازي الظلم من العوض بعد أن يكون المعلوم من حاله أنه يرد القيامة وقد استحق من الأعواض ما
يوازي ما عليه منها ❊ قال المرتضى وهذا القول يعني تجويز تمكين الظالم من الظلم وهو في الحال
غير مستحق للعوض يبطل بالعلة التي أبطلنا بها قول من أجاز الانتصاف بالتفضل لأنا نعلم أن تبقية
المكلف وغير المكلف لا تجب وللقديم تعالى أن لا يفعلها فلو لم يفعلها واخترم هذا الظالم بعد حال علقمة
ظلمه لكان الانتصاف منه غير ممكن وقد تعلق الانتصاف على هذا القول بما ليس بواجب كما قدمنا حكايته
قوله بما ليس بواجب وليس لهم أن يقولوا إذا كان يحسن لأن الله تعالى يعلم أنه يبقيه فيستحق أعواضاً
لأن عليهم مثل ذلك إذا قيل لهم فجوزوا أيضاً أن يرد القيامة وهو لا يستحق العوض ويعلم الله تعالى أنه
يتفضل عليه بما ينتفع به للانتصاف فإذا قالوا لو علم الله تعالى بأنه يتفضل لا يخرج التفضل من

من ان يكون غير واجب قبل الهم وعلم الله تعالى بانه يبقى من لا عوض له يستحق العوض لا يخرج التبقية من ان يكون غير واجبة فاستوى الامران والصحيح ان يقال انه تعالى لا يمكن من الظلم من لا عوض له في الحال ليستقيم الكلام ويطرد

مجلس تاويل اية

قال الله تعالى ويسالونك عن الروح قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا وقد ظن قوم من غفلة الملحدين ان الجواب عما سئل عنه في هذه الاية لم يحصل وان الامتناع منه انما هو لفقد العلم به وان قوله تعالى وما اوتيتم من العلم الا قليلا تبكيت وتقريع لهم بفقد موقعهما وانما تمما على سبيل المحاجزة والمدافعة عن الجواب وفي هذه الاية وجوه من التاويل تبطل ما ظنوه وتزيل الشبهة عما جهلوه اولها انه تعالى انما عدل عن جوابهم لعلمه بان ذلك ادعى لهم الى الصلاح في الدين وان الجواب لو صدر منه اليهم لازدادوا فسادا او عنادا اذ كانوا ابدا في سؤالهم متعنتين لا مستفيدين وليس هذا بمنكر لانا قد نعلم في كثير من الاحوال ان تحرز سائلنا عن الشيء ان يكون العدول عن جوابه اولى واصلح في تدبيره وقد قيل ان اليهود قالت لكفار قريش سلوا محمدا عن الروح فان اجابكم فليس بنبي وان لم يجبكم فهو نبي فانا نجد في كتبنا ذلك فامره الله تعالى بالعدول عن ذلك ليكون علما له ودلالة على صدقه وتكذيبا لليهود الرادين عليه وهذا جواب ابي علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي ‌: وثانيها ان القوم انما سالوه عن الروح هل هي محدثة مخلوقة او ليست كذلك فاجابهم بانها من امر ربي ومنه جوابهم عما سالوه عنه بعينه لانه لا فرق بين ان يقول في الجواب انها محدثة مخلوقة وبين قوله انها من امر ربي لانه انما اراد انها من فعله وخلقه وسواء على هذا الجواب ان تكون الروح التي سالوا عنها هي التي بها قوام الجسد ام عيسى عليه السلام ام جبرئيل صلى الله عليه وقد سمى الله تعالى جبرئيل روحا وعيسى ايضا مسمى بذلك في القرآن ‌: وثالثها انهم سالوا عن الروح الذي هو القرآن وقد سمى الله تعالى القرآن روحا في مواضع من الكتاب واذا كان السؤال عن القرآن فقد وقع الجواب موقعه لانه قال لهم الروح الذي هو القرآن من امر ربي ومما انزله على نبيه صلى الله عليه ليجعله دلالة له وعلما على صدقه وليس من فعل المخلوقين ولا يدخل في امكانهم وهذا جواب الحسن البصري ويقويه قوله تعالى بعد هذه الاية ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلا فكانه قال تعالى ان القرآن من امري وفعلي ومما انزلته علما على نبوة رسولي ولو شئت لرفعته وازلته وتصرفت فيه كما يتصرف الفاعل فيما يفعله

فصل

قال الشريف المرتضى رضي الله عنه قال ابو مسلم محمد بن بحر الاصبهاني في قوله تعالى والارض مددناها والقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل شيء موزون قال انما خص الموزون دون المكيل بالذكر لوجهين احدهما ان غاية المكيل تنتهي الى الوزن لان سائر المكيلات اذا صارت طعاما دخلت في باب الوزن وخرجت عن باب الكيل فكان الوزن اعم من الكيل ‌: والوجه الاخر ان في الوزن معنى الكيل لان الوزن هو طلب مساواة الشيء بالشيء ومقايسته اليه وتعديله به وهذا المعنى ثابت في الكيل فخص الوزن بالذكر لاشتماله على معنى الكيل هذا قول ابي مسلم ووجه الاية وما يشهد له ظاهر لفظها غير ما سلكه ابو مسلم وانما اراد تعالى بالموزون المقدر الواقع بحسب الحاجة فلا يكون ناقصا عنها ولا زائدا عليها زيادة مضرة او داخلة في باب العبث ونظير ذلك من كلامهم قولهم كلام فلان موزون وافعاله مقدرة موزونة وانما يراد ما اشرنا اليه وعلى هذا المعنى تاول المفسرون ذكر الموازين في القرآن على [illegible] وانها التعديل والمساواة بين الثواب والعقاب قال الشاعر هو ذو الرمة

لها بشر مثل الحرير ومنطق   رخيم الحواشي لا هراء ولا نزر

والهراء الكثير والنزر القليل فكانه قال ان حديثها لا يفضل عن الحاجة ولا يقصر عنها وهذا يجري مجرى ان يقول هو موزون وقال مالك بن اسماء بن خارجة الفزاري

وحديث ألذه هو مما ينعت الناعتون يوزن وزنا
منطق صائب وتلحن أحيانا وخير الحديث ما كان لحنا

وهذا الوجه الذي ذكرناه أشبه بمراد الله تعالى في الآية وأليق بفصاحة القرآن وبلاغته الموفيتين على فصاحة سائر الفصحاء وبلاغتهم فأما قول الشاعر الذي استشهدنا بشعره وتلحن أحيانا فلم يرد اللحن في الإعراب الذي هو ضد الصواب وإنما أراد الكناية عن الشيء والتعريض بذكره والعدول عن الإفصاح عنه على معنى قوله تعالى ولتعرفنهم في لحن القول وقول الشاعر

ولقد وحيت لكم لكيما تفطنوا ولحنت لحنا ليس بالمرتاب

وقد قيل إن اللحن الذي عنى في البيت هو الفطنة وسرعة الفهم على معنى ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال لعل أحدكم أن يكون ألحن بحجته أي أفطن لها وأغوص عليها ومما يشهد لما ذكرناه ما أخبرنا به أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني قال حدثنا أحمد بن عبد الله العسكري قال حدثنا العنزي قال حدثنا علي بن إسمعيل اليزيدي قال أخبرنا إسحق بن إبرهيم قال تكلمت هند بنت أسماء بن خارجة فلحنت وهي عند الحجاج فقال لها أتلحنين وأنت شريفة في بيت قيس قالت أما سمعت قول أخي مالك لامرأته الأنصارية قال وما هو قالت قال

منطق صائب وتلحن أحيانا وخير الحديث ما كان لحنا

فقال لها الحجاج إنما عنى أخوك اللحن في القول إذا كنى المحدث عما يريد ولم يعن اللحن في العربية فأصلحي لسانك وقد ظن عمرو بن بحر الجاحظ مثل هذا بعينه وقال إن اللحن مستحسن في النساء الغرائر وليس بمستحب منهن كل الصواب والتشبه بفحول الرجال واستشهد بأبيات مالك بعينها وظن أنه أراد باللحن ما يخالف الصواب وتبعه على هذا الغلط عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري فذكر في كتابه المعروف بعيون الأخبار أبيات الفزاري واعتذر بها من لحن إن أصيب في كتابه

الصواب

أصحاب الجاحظ

b

قال الشريف المرتضى رضي الله عنه وأخبرنا المرزباني قال أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني يحيى بن علي المنجم قال حدثني أبي قال قلت للجاحظ مثلك في عقلك وعلمك ينشد قول الفزاري ويفسره على أنه أراد اللحن في الإعراب وإنما وصفها بالظرف والفطنة وأنها تورّي بما قصدت له وتتنكب التصريح فقال له قد فطنت لذلك بعد فقلت فغيره من كتابك فقال فكيف لي بما سارت به الركبان قال الصولي فهو في كتابه على خطائه ومن حسن اللحن الذي هو التعريض والكناية ما أخبرنا به أبو الحسن علي بن محمد الكاتب قال حدثنا محمد بن الحسن بن دريد الأزدي أن رجلا من بني العنبر حصل أسيرا في بكر بن وائل فسألهم رسولا إلى قومه فقالوا لا ترسل إلا بحضرتنا لأنهم كانوا عزموا على غزو قومه فخافوا أن ينذرهم فجيء بعبد أسود فقال له أتعقل قال نعم إني لعاقل قال ما أراك عاقلا وأشار بيده إلى الليل فقال ما هذا فقال الليل قال أراك عاقلا ثم ملأ كفيه من الرمل فقال كم هذا فقال لا أدري وإنه لكثير فقال أيما أكثر النجوم أم النيران فقال كل كثير فقال أبلغ قومي التحية وقل لهم ليكرموا فلانا يعني أسيرا كان في أيديهم من بكر فإن قومه لي مكرمون وقل لهم إن العرفج قد أدبى وشكت النساء وأمرهم أن يعروا ناقتي الحمراء فقد أطالوا ركوبها وأن يركبوا جملي الأصهب بآية ما أكلت معكم حيسا واسألوا عن خبري أخي الحارث فلما أدى العبد الرسالة إليهم قالوا لقد جن الأعور والله ما نعرف له ناقة حمراء ولا جملا أصهب ثم سرحوا العبد ودعوا الحارث فقصوا عليه القصة فقال قد أنذركم أما قوله أدبى العرفج يريد أن الرجال قد استلأموا ولبسوا السلاح وقوله شكت النساء أي اتخذن الشكاء للسفر وقوله الناقة الحمراء أي ارتحلوا عن الدهناء واركبوا الصمان وهو الجمل الأصهب وقوله أكلت معكم حيسا يريد أخلاطا من الناس قد غزوكم لأن الحيس يجمع التمر والسمن والأقط فامتثلوا ما قال وعرفوا لحن كلامه

تأويل خبر

روى أبو عبيد القسم بن سلام في كتابه غريب الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلم أنه قال من أحبنا أهل البيت فليستعد للفقر جلبابا أو تجفافا قال أبو عبيد

بالأدب

التعريض

هذا

فقد تاول بعض الناس هذا الخبر على انه اراد به الفقر في الدنيا وليس ذلك كذلك لانا نرى فيمن نحبهم مثل ما نرى في سائر الناس من الغنى والفقر ولا تمييز بينهما قال والصحيح انه اراد الفقر في يوم القيمة واخرج الكلام مخرج الموعظة والنصيحة والحث على الطاعات فكانه اراد من احبنا فليعد للفقر يوم القيمة ما يجبره من الثواب والقرب الى الله تعالى والزلفة عنده. قال ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة وجه الحديث خلاف ما قاله ابو عبيد ولم يرد الا الفقر في الدنيا ومعنى الخبر ان من احبنا فليصبر على التقلل من الدنيا والتقنع فيها وليأخذ نفسه بالكف عن احوال الدنيا واعراضها وشبه الصبر على الفقر بالتجفاف او الجلباب لانه يستر الفقر كما يستر الجلباب او التجفاف البدن. قال ويشهد بصحة هذا التاويل ما روي عنه عليه السلم انه راى قوما على بابه فقال يا قنبر من هؤلاء فقال له قنبر هؤلاء شيعتك فقال ما لي لا ارى فيهم سيماء الشيعة قال وما سيماء الشيعة قال خمص البطون من الطوى يبس الشفاه من الظماء عمش العيون من البكا هذا كله قول ابن قتيبة. والوجهان جميعا في الخبر حسنان وان كان الوجه الذي ذكره ابن قتيبة احسن واوضح. ويمكن ان يكون في الخبر وجه ثالث تشهد بصحته اللغة وهو ان احد وجوه معنى لفظة الفقر ان يحز انف البعير حتى يخلص الى العظم او قريب منه ثم يلوى عليه حبل يذلل به الصعب يقال فقره يفقره فقرا اذا فعل ذلك به وبعير مفقور وبه فقرة وكل شيء حززته واثرت فيه فقد فقرته تفقيرا ومنه سميت الفاقرة وقيل سيف مفقر فيحتمل القول على انه عليه السلم اراد من احبنا فليزم نفسه وليخطمها وليقدها الى الطاعات وليصرفها عما تميل طباعها اليه من الشهوات وليذللها على الصبر عما كره منها ومشقة ما اريد منها كما يفعل ذلك بالبعير الصعب. وهذا وجه في الخبر ثالث لم يذكر وليس يجب ان يستبعد حمل الكلام على بعض ما يحتمله اذا كان له شاهد من اللغة وكلام العرب لان الواجب على من يتعاطى تفسير غريب الكلام والشعر ان يذكر كل ما يحتمله الكلام من وجوه المعاني فيجوز ان يكون اراد المخاطب كل واحد منها منفردا وليس عليه العلم بمراده بعينه فان مراده مغيب عنه واكثر ما يلزمه ما ذكرناه من ذكر وجوه احتمال الكلام

فصل

قال الشريف المرتضى رضي الله عنه ممن كان من مشهوري الشعراء ومتقدميهم على مذاهب اهل العدل ذو الرمة واسمه غيلان بن عقبة وكنيته ابو الحرث وذو الرمة لقب لقب به لبيت قاله وهو في صفة الوتد

اشعث باقي رمة التقليد

والرمة القطعة البالية من الحبل يقال حبل ارمام اذا كان ضعيفا باليا. وقيل انه انما لقب بذي الرمة لانه كان وهو غلام ينفزع فجاءت امه بمن كتب له كتابا وعلقته عليه برمة من حبل فسمي ذا الرمة. ويشهد بمذهبه في العدل ما اخبرنا به ابو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني قال حدثنا ابن دريد قال حدثنا الاشنانداني عن التوزي عن ابي عبيدة قال اختصم رؤبة وذو الرمة عند بلال بن ابي بردة فقال رؤبة والله ما فحص طائر افحوصا ولا تقرمص سبع قرموصا الا بقضاء من الله وقدر فقال له ذو الرمة والله ما قدر الله على الذئب ان ياكل حلوبة عيايل ضرائك فقال رؤبة افبقدرته اكلها هذا كذب على الذئب ثان فقال ذو الرمة الكذب على الذئب خير من الكذب على رب الذئب. وهذا اصرح في قوله بالعدل واحتجاجه عليه وبصيرته فيه. فاما العيايل فهو جمع عيل وهو ذو العيال والضرائك جمع ضريك وهو الفقير. قال الشريف المرتضى رضي الله عنه واخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثنا احمد بن محمد المكي عن ابي العيناء عن الاصمعي عن اسحق بن سويد قال انشد ذو الرمة

وعينان قال الله كونا فكانتا ... فعولان بالالباب ما تفعل الخمر

فقلت له فعولين خبر الكون فقال لو سبحت ربحت انما قلت وعينان فعولان وصفتهما بذلك وانما تحرز ذو الرمة بهذا الكلام من القول بخلاف العدل. وقد روي هذا الخبر على خلاف هذا الوجه. اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثني احمد بن خالد النحاس قال حدثني محمد بن القسم ابي العيناء قال حدثنا الاصمعي قال لما انشد ذو الرمة قوله

وعينان قال الله كونا فكانتا ... فعولين بالالباب ما تفعل الخمر

وهو يريد كونا فكانتا فعولين خبر كانتا قال له عمرو بن عبيد ويحك قل عظيما فقل فعولان بالالباب فقال له ذو الرمة ما ابالي اقلت هذا ام سبحت فلما علم ما ذهب اليه عمرو قال يا سبحان الله لو عنيت ما ظننت كنت جاهلا. قال الشريف المرتضى رضي الله عنه وممن روي انه كان على مذاهب اهل العدل

من شعراء الطبقة الاولى اعشى قيس بن ثعلبة واستشهد بقوله

استأثر الله بالوفاء وبالعدل وولّى الملامة الرجلا

وممن قيل انه كان على مذاهب الجبر من المشهورين ايضا لبيد بن ربيعة العامري واستدل بقوله

إنّ تقوى ربنا خير نفل وباذن الله ريثي وعجل

من هداه سبل الخير اهتدى ناعم البال ومن شاء اضلّ

وان كان لا طريق الى نسب الجبر الى مذهب لبيد الا من ان البيتين فليس فيهما دلالة على ذلك اما قوله وباذن الله ريثي وعجل فيحتمل ان يريد بعلمه كما قال عليه قوله تعالى وما هم بضارين به من احد الا باذن الله اي بعلمه وان قيل في هذه الآية انه اراد بتخليته وتمكينه وان كان لا شاهد لذلك في اللغة امكن مثله في قول لبيد فاما قوله من هداه اهتدى ومن شاء اضلّ فيحتمل ان يكون مصروفا الى بعض الوجوه التي يتأول عليها الضلال والهدى المذكوران في القرآن مما يليق بالعدل ولا يقتضي الاجبار اللهم الا ان يكون مذهب لبيد في الاجبار معروفا بغير هذه الابيات فلا يتأول له هذا التأويل بل يحمل مراده على موافقة المعروف من مذهبه

مسألة

قال الشريف المرتضى رضي الله عنه اعلم ان اصحابنا لما استدلوا على نفي الرؤية بالابصار عن الله تعالى بقوله لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير وبيّنوا انه تعالى تمدّح بنفي الادراك الذي هو رؤية البصر عن نفسه على وجه يرجع الى ذاته فيجب ان يكون في ثبوت الرؤية له في وقت من الاوقات نقص وذم قال لهم مخالفوهم كيف يتمدح بانه لا يرى وقد شاركه في نفي الرؤية ما ليس بممدوح كالمعدومات والارادات والاعتقادات فقالوا لهم تمدّح تعالى بنفي الرؤية فقط وانما تمدح بنفي الرؤية عنه واثباتها له فتمدحه بمجموع الامرين وليس يشاركه في هاتين الصفتين مشارك لان الموجودات المحدثات على ضروب منها ما يرى ولا يرى كالارادات والاعتقادات ومنها ما يرى ولا يرى كالالوان ومنها ما يرى ويرى كالانسان وضروب الاحياء فليس فيها ما يرى ولا يرى فثبتت المدحة لله تعالى بمتضمن الآية فقال لهم المخالفون فكيف يجوز ان يكون

صفة لا تقتضي المدحة بانفرادها ثم تصير تقتضيها مع غيرها ولمن جاز هذا ليجوزن ان يتمدح متمدح بانه شيء عالم او موجود قادر فاذا كان لا مدحة في وصف الذات بانها شيء وموجود وان انضمت الى صفة مدح من حيث كانت بانفرادها لا تقتضي مدحا فكذلك لا مدحة في نفي الرؤية عمن ثبت له من حيث كانت بانفرادها لا تقتضي مدحا فاجاب اصحابنا عن هذا الكلام بان قالوا ليس يمتنع في الصفة ان تكون لا تقتضي مدحا اذا انفردت وتقتضيه اذا انضمت الى غيرها وشبّهوا ذلك بقوله تعالى لا تأخذه سنة ولا نوم وان نفي السنة والنوم ههنا انما يكون مدحا اذا انتفى عمن هو بصفة الاحياء وان كان بانفراده لا يقتضي مدحا لمشاركة ذوات كثيرة غير ممدوحة فيه وفصلوا بين الوصف بالشيء والوجود وبين ما ذكروه من حيث لا تأثير لها بتينك الصفتين في المدح واعلم ان صفات المدح المنضمة للاثبات ما تكاد تفتقر الى شرط في كونها مدحا وصفات النفي اذا كانت مدحا فلا بد فيها من شرط وانما افترق الامران من حيث كان النفي اعم من الاثبات فيدخل تحته الممدوح وغير الممدوح والاثبات اشد اختصاصا الا ترى ان ما ليس بعالم من الذوات وليس بموجود اكثر مما ثبت له العلم والوجود منها لان الاول لا يكون الا غير متناه والثاني لا يكون متناهيا فلما شملت صفات النفي الممدوح وغير الممدوح احتاجت الى شرط تخصصها وانت اذا اعتبرت سائر صفات النفي التي يتمدح بها وجدتها مفتقرة الى الشروط الا ترى ان من ليس بجاهل انما يكون ممدوحا بهذا النفي اذا كان حيا ذاكرا ومن ليس بعاجز انما يكون ممدوحا اذا كان ايضا موجودا حيا ومن ليس بظالم انما يكون ممدوحا اذا كان قادرا على الظلم وله دواع اليه ولا بد في الشرط الذي يحتاج اليه في صفات النفي حتى تكون مدحا من ان يكون اثباتا او جاريا مجرى الاثبات ولا يكون نفيا لانه ان كان نفيا لم يختص وساوى فيه الممدوح ما ليس بممدوح مثال ذلك انا اذا مدحنا غيرنا بانه لا يظلم وشرطنا في هذه المدحة انه لم يدعه داع الى الظلم لم تحصل المدحة لانه قد شاركه في نفي الظلم ونفي الدواعي اليه ما ليس بممدوح فلا بد من شرط يجري مجرى الاثبات وهو ان نقول هو ممن تدعوه الدواعي الى الافعال ويتصرف فيها بحسب حاجته ودواعيه فاذا صحت هذه الجملة فالوجه

ونجعل هو الصواب

ان نقول ان المدحة في الآية انما تتعلق بنفي الادراك عن القديم تعالى لكن بشرط ان يكون مدركا ولا نجعل لكل واحدة من الصفتين تقتضي المدح مجتمعا مع ان كل واحدة لا تقتضيه على سبيل الانفراد وليس بمنكر ان يقتضي الشيء غيره بشرط متى وجد حصل المقتضى واذا لم يحصل لم يحصل مقتضاه ونفي السنة والنوم والظلم عن الله تعالى انما كان مدحا بشروط معروفة على نحو ما ذكرناه وهذا التلخيص في هذا الموضع اولى واحسم للشبهة مما تقدم ذكره

مجلس آخر ثالث — تأويل آية

ان سأل سائل فقال ما تقولون في قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلم فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين وقال في موضع آخر وان الق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب والثعبان هو الحية العظيمة الخلقة والجان الصغير من الحيات فكيف اختلف الوصفان في القصة واحدة وكيف يجوز ان تكون العصا في حالة واحدة بصفة ما عظم خلقه من الحيات وبصفة ما صغر منها وباي شيء تزيلون التناقض عن هذا الكلام: الجواب اول ما نقوله ان الذي ظنه السائل من كون الآيتين خبرا عن قصة واحدة باطل بل الحالتان مختلفتان فالحال التي اخبر ان العصا فيها بصفة الجان كانت في ابتداء النبوة وقبل مصير موسى عليه السلم الى فرعون والحال التي صارت العصا فيها ثعبانا كانت عند لقائه فرعون (عن العصا صح) وابلاغه الرسالة والتلاوة تدل على ذلك واذا اختلفت القصتان فلا مسألة على ان قوما من المفسرين قد تعاطوا الجواب عن هذا السؤال اما لظنهم ان القصة واحدة او لاعتقادهم ان العصا الواحدة لا يجوز ان تنقلب في حالتين تارة الى صفة الجان وتارة الى صفة الثعبان او على سبيل الاستظهار في الحجة وان الحال لو كانت واحدة على ما ظن لم يكن بين الآيتين تناقض وهذا الوجه احسن ما تكلفوا الجواب لاجله لان الاولى لا يكون الا عن غلط او غفلة وذكروا وجهين يزول بكل واحد منهما الشبهة في تأويلها: احدهما انه تعالى انما شبهها بالثعبان في احدى الآيتين لعظم خلقها وكبر جسمها وهول منظرها وشبهها في الآية الاخرى بالجان لسرعة حركتها ونشاطها وخفتها فاجتمع لها مع انها في جسم الثعبان وكبر خلقه نشاط الجان وسرعة حركته وهذا ابهر في باب الاعجاز وابلغ في خرق العادة ولا تناقض معه بين الآيتين وليس

جميع

يجب اذا شبهها بالثعبان ان يكون لها صفات الثعبان ولا اذا شبهها بالجان ان يكون لها جميع صفاته وقد قال الله تعالى ويطاف عليهم بآنية من فضة واكواب كانت قوارير قوارير من فضة ولم يرد تعالى ان الفضة قوارير على الحقيقة وانما وصفها بذلك لانه اجتمع لها صفاء القوارير وشفوفها ورقتها مع انها من فضة: وقد تشبه العرب الشيء بغيره في بعض وجوهه فيشبهون المرأة بالظبية والبقرة ونحن نعلم ان في الظباء والبقر من الصفات ما لا يستحسن ان يكون في النساء وانما وقع التشبيه في صفة دون صفة ومن وجه دون وجه: و

الجواب الثاني انه تعالى لم يرد بذكر الجان في الآية الاخرى الحية وانما اراد احد الجن فكانه تعالى خبر بان العصا صارت ثعبانا في الخلقة وعظم الجسم وكانت مع ذلك كاحد الجن في هول المنظر وافزاعها لمن شاهدها ولهذا قال تعالى فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب ويمكن ان يكون في الآية تأويل آخر استخرجناه ان لم يزد على الوجهين الاولين لم ينقص عنهما والوجه في تكلفنا له ما بيناه من الاستظهار في الحجة وان التناقض الذي توهم زائل على كل وجه وهو ان العصا لما انقلبت حية صارت اولا بصفة الجان وعلى صورته ثم صارت بصفة الثعبان على تدريج ولم تصر كذلك ضربة واحدة فتتفق الآيتان على هذا التأويل ولا يختلف حكمهما وتكون الآية الاولى التي تتضمن ذكر الثعبان اخبارا عن غاية حال العصا وتكون الآية الثانية تتضمن ذكر الحال التي ولى موسى فيها هاربا وهي حال انقلاب العصا الى خلقة الجان وان كانت بعد تلك الحال انتهت الى صورة الثعبان: فان قيل على هذا الوجه كيف يصح ما ذكرتموه مع قوله تعالى فاذا هي ثعبان مبين وهذا يقتضي انها صارت ثعبانا بعد الالقاء بلا فصل: قلنا ليس تفيد الآية ما ظن وانما فائدة قوله تعالى فاذا هي الاخبار عن قرب الحال التي صارت فيها بتلك الصفة وانه لم يطل الزمان في مصيرها كذلك ويجري هذا المجرى قوله تعالى اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين مع تباعد ما بين كونه نطفة وكونه خصيما مبينا: وقولهم ركب فلان من منزله فاذا هو في ضيعته وسقط من اعلى الحائط فاذا هو في الارض ونحن نعلم ان بين خروجه من منزله وبلوغه ضيعته زمانا وانه لم يصل اليها الا على تدريج وكذلك الهابط من الحائط وانما فائدة الكلام الاخبار عن تقارب الزمان وانه لم

بطن ولم يمتد بهم — **آية أخرى** — قال الشريف المرتضى رضي الله عنه قال الله تعالى
وَاِذ اَخذ ربّك من بني آدم من ظهورهم ذرّيّاتهم واشهدهم على انفسهم الست بربّكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا
يوم القيمة انّا كنّا عن هذا غافلين او تقولوا انّما اشرك اباؤنا من قبل وكنّا ذرّيّة من بعدهم افتهلكنا بما
فعل المبطلون ❊ وقد ظنّ بعض من لا بصيرة له ولا فطنة عنده انّ تاويل هذه الآية انّ الله تعالى استخرج
من ظهر آدم عليه السلم جميع ذرّيّته وهم في خلق الذرّ فقرّرهم بمعرفته واشهدهم على انفسهم وهذا
التاويل مع انّ العقل يبطله ويحيله ممّا يشهد ظاهر القرآن بخلافه لانّ الله تعالى قال واذ اخذ ربّك من بني
آدم ولم يقل من آدم وقال من ظهورهم ولم يقل من ظهره وقال ذرّيّاتهم ولم يقل ذرّيّته ثمّ اخبر تعالى بانّه فعل
ذلك لئلّا يقولوا انّهم كانوا عن ذلك غافلين او يعتذروا بشرك آبائهم وانّهم نشأوا على دينهم وسنّتهم ❊
وهذا يقتضي انّ الآية لم تتناول ولد آدم عليه السلم لصلبه وانّها انّما تناولت من كان له آباء مشركون
وهذا يدلّ على اختصاصها ببعض ذرّيّة بني آدم فهذه شهادة الظاهر ببطلان تاويلهم ❊ فامّا شهادة
العقول فمن حيث لا تخلو هذه الذرّيّة التي استخرجت من ظهر آدم عليه السلم وخوطبت وقرّرت من ان
تكون كاملة العقول مستوفية لشروط التكليف او لا تكون كذلك فان كانت بالصفة الاولى وجب ان يذكر
هؤلاء بعد خلقهم وانشائهم واكمال عقولهم ما كانوا عليه في تلك الحال وما قرّروا به واستشهدوا عليه لانّ
العاقل لا ينسى ما جرى هذا المجرى وان بعد العهد وطال الزمان ولهذا لا يجوز ان يتصرّف احدنا في بلد من
البلدان وهو عاقل فينسى مع بعد العهد جميع تصرّفه المتقدّم وسائر احواله وليس ايضا لتخلّل الموت بين الحالين
تاثير لانّه لو كان تخلّل الموت يزيل الذكر لكان تخلّل النوم والسكر والجنون والاغماء بين احوال العقلاء يزيل
ذكرهم لما مضى من احوالهم لانّ سائر ما عددناه ممّا ينفي العلوم يجري مجرى الموت في هذا الباب وليس لهم ان يقولوا
اذا جاز في العاقل الكامل ان ينسى ما كان عليه في حال الطفولية جاز ما ذكرناه وذلك انّا انّما اوجبنا
ذكر العقلاء لما ادّعوه اذا كملت عقولهم من حيث جرى عليهم وهم كاملوا العقول ولو كانوا بصفة الاطفال
في تلك الحال لم نوجب عليهم ما اوجبناه على ان تجويز النسيان عليهم ينقض الغرض في الآية وذلك انّ الله تعالى

اخبر بانّه انّما قرّرهم واشهدهم لئلّا يدّعوا يوم القيمة الغفلة عن ذلك وسقوط الحجّة عنهم فيه فاذا
جاز نسيانهم له عاد الامر الى سقوط الحجّة عنهم وزواله وان كانوا على الصفة الثانية من فقد العلم وشرائط
التكليف قبح خطابهم وتقريرهم واشهادهم وصار ذلك عبثا قبيحا يتعالى الله عنه ❊ فان قيل فقد ابطلتم
تاويل مخالفيكم فما تاويلها الصحيح عندكم ❊ قلنا في الآية وجهان احدهما ان يكون تعالى انّما عنى بها جماعة من
ذرّيّة بني آدم خلقهم وبلّغهم واكمل عقولهم وقرّرهم على السن رسله عليهم السلم بمعرفته وما يجب من طاعته
فاقرّوا بذلك واشهدهم على انفسهم به لئلّا يقولوا يوم القيامة انّا كنّا عن هذا غافلين او يعتذروا بشرك
آبائهم وانّما اتى من اشتبه عليه تاويل الآية من حيث ظنّ انّ اسم الذرّيّة لا يقع الّا على من لم يكن كاملا
عاقلا وليس الامر كما ظنّ لانّا نسمّي جميع البشر بانّهم ذرّيّة آدم وان دخل فيهم العقلاء الكاملون وقد
قال الله تعالى ربّنا وادخلهم جنّات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرّيّاتهم ولفظ
الصالح لا يطلق الّا على من كان كاملا عاقلا فان استبعد تاويلنا وحملنا الآية على البالغين المكلّفين
فهذا جوابهم ❊ والجواب الثاني انّه تعالى لمّا خلقهم وركّبهم تركيبا يدلّ على معرفته
ويشهد بقدرته ووجوب عبادته واراهم العبر والآيات والدلائل في غيرهم وفي انفسهم كان بمنزلة المشهد
لهم على انفسهم وكانوا في مشاهدة ذلك ومعرفته وظهوره فيهم على الوجه الذي اراده الله تعالى وتعذّر
امتناعهم منه وانفكاكهم من دلالته بمنزلة المقرّ المعترف وان لم يكن هناك اشهاد ولا اعتراف على الحقيقة
ويجري ذلك مجرى قوله تعالى ثمّ استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا
اتينا طائعين وان لم يكن منه تعالى قول على الحقيقة ولا منهما جواب ❊ ومثله قوله تعالى شاهدين على انفسهم
بالكفر ونحن نعلم انّ الكفّار لم يعترفوا بالكفر بالسنتهم وانّما ذلك لمّا ظهر منهم ظهورا لا يتمكّنون من دفعه
كانوا بمنزلة المعترفين به ومثل هذا قولهم جوارحي تشهد بنعمتك وحالي معترفة باحسانك وما روي عن
بعض الخطباء من قوله سل الارض من شقّ انهارك وغرس اشجارك وجنى ثمارك فان لم تجبك حوارا
اجابتك اعتبارا وهذا باب كبير وله نظائر كثيرة في النظم والنثر يغني عن ذكر جميعها القدر

الذي ذكرناه منها

تأويل خبر

قال أبو عبيد القسم بن سلام فيما يروى عن النبي صلى الله عليه وآله ليس منا من لم يتغن بالقرآن قال أراد يستغني به واحتج بقولهم تغنيت تغنيا وتغانيت تغانيا وأنشد بيت الأعشى

وكنت امرأً زمناً بالعراق عفيف المناخ طويل التغن

وقول الآخر

كلانا غني عن أخيه حياته ونحن إذا متنا أشد تغانيا

واحتج أيضا بقول ابن مسعود من قرأ سورة آل عمران فهو غني أي مستغن وبالحديث الآخر نعم كنز الصعلوك سورة آل عمران يقوم بها في آخر الليل والصعلوك الفقير واحتج بحديث آخر يروى عن النبي صلى الله عليه وآله وهو أنه قال لا ينبغي لحامل القرآن أن يظن أن أحدا أعطي أفضل مما أعطي لأنه لو ملك الدنيا بأسرها لكان القرآن أفضل مما ملكه واحتج أيضا بخبر يرويه عن عبد الله بن نهيك أنه دخل على سعد بيته فإذا مثال رث ومتاع رث فقال قال رسول الله صلى الله عليه وآله ليس منا من لم يتغن بالقرآن. قال أبو عبيد فذكر المتاع الرث والمثال الرث يدل على أن التغني بالقرآن الاستغناء به عن الكثير من المال والمثال الفراش قال الشاعر

بكل طوال الساعدين كأنما يرى بسرى الليل المثال الممهدا

يعني الفراش قال أبو عبيد ولو كان معناه الترجيع لعظمت المحنة علينا بذلك إذ كان من لم يرجع بالقرآن فليس منه عليه السلم وذكر عن غير أبي عبيد جواب آخر وهو أنه عليه السلم أراد من لم يحسن صوته بالقرآن ويرجع فيه واحتج صاحب هذا الجواب بخبر عبد الرحمن بن السائب قال أتيت سعدا وقد كف بصره فسلمت عليه فقال من أنت فأخبرته فقال مرحبا بابن أخي بلغني أنك حسن الصوت بالقرآن سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول إن هذا القرآن نزل بحزن فإذا قرأتموه فابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا فمن لم يتغن بالقرآن فليس منا فقوله عليه السلم فابكوا أو فتباكوا دليل على أن التغني التحسين والترجيع. وروي عن النبي صلى الله عليه أنه قال لا يأذن الله لشيء من أهل الأرض إلا لأصوات المؤذنين والصوت الحسن بالقرآن معنى قوله يأذن يستمع يقال أذنت للشيء آذن أذنا إذا استمعت له قال الشاعر

صم إذا سمعوا خيرا ذكرت به وإن ذكرت بسوء عندهم أذنوا

وقال عدي بن زيد العبادي

أيها القلب تعلل بددن إن همي في سماع وأذن

والأذن هو السماع وإنما حسن تكرير المعنى لاختلاف اللفظ وللعرب في هذا مذهب معروف ومثله

وهند أتى من دونها النأي والبعد

فأما الددن فهو اللهو واللعب وفيه ثلاث لغات يقال دد على مثال دم وددا على مثال قفا وددن على مثال حزن ومنه قول النبي عليه السلم ما أنا من دد ولا الدد مني. فإن قيل كيف يحمل قوله لا يأذن الله لشيء كأذنه بكذا وكذا على معنى الاستماع وهو تعالى سامع لكل مسموع فأي معنى للاختصاص قلنا ليس المراد بالسماع هاهنا مجرد الإدراك وإنما المراد به القبول فكأنه عليه السلم قال إن الله تعالى لا يتقبل أو يثيب على شيء من أهل الأرض كتقبله وثوابه على كذا وكذا ومن هذا قولهم هذا كلام لا أسمعه وخاطبت فلانا بكلام فلم يسمعه وإنما يريدون نفي القبول لا الإدراك والبيت الذي أنشدناه يشهد بذلك لأنه قال وإن ذكرت بسوء عندهم أذنوا ونحن نعلم أنهم يسمعون الذكر بالخير والشر معا من حيث الإدراك فوجه الاختصاص ما ذكرناه. وقد ذكر أبو بكر محمد بن القسم الأنباري وجها ثالثا في الخبر قال أراد عليه السلم من لم يتلذذ بالقرآن ويستحله ويستعذب تلاوته كاستحلاء أصحاب الطرب للغناء والتذاذهم به وسمى ذلك تغنيا من حيث يفعل عنده ما يفعل عند التغني بالغناء وذكر أن ذلك نظير قولهم العمائم تيجان العرب والحبى حيطان العرب والشمس حمامات العرب وأنشد بيت النابغة

بكاء حمامة تدعو هديلا مفجعة على فنن تغني

فشبه صوتها لما أطرب إطراب الغناء بالغناء وجعلوا العمائم لما قامت مقام التيجان تيجانا وكذلك القول في الحبى والشمس وجواب أبي عبيد أحسن الأجوبة وأسلمها وجواب أبي بكر أبعدها لأن التلذذ لا يكون إلا في المشتهيات وكذلك الاستحلاء والاستعذاب وتلاوة القرآن وتفهم معانيه من الأفعال الشاقة فكيف يكون ملتذا مشتهى فإن عاد إلى أن يقول قد يستحلي التلاوة من الصوت الحسن قلنا هذا رجوع إلى الجواب الثاني الذي دفعت عنه وانفردت عنه بمذهبك مما يخالفه ويمكن أن يكون في الخبر

وجه رابع خطر لنا وهو ان يكون قوله عليه السلم يتغنى من غنى الرجل بالمكان اذا طال مقامه به
ومنه قيل المغنى والمغاني قال الله تعالى كان لم يغنوا فيها اى لم يقيموا بها وقال الاسود بن يعفر
ولقد غنوا فيها بانعم عيشة في ظل ملك ثابت الاوتاد   وقول الاعشى الذي انشده ابو عبيدة وهو
وكنت امرا زمنا بالعراق عفيف المناخ طويل التغن   بطول المقام اشبه منه بالاستغناء
لان المقام يوصف بالطول ولا يوصف الاستغناء بذلك فكان الاعشى اراد انني كنت ملازما لوطني
مقيما بين اهلي لا اسافر للانتجاع والطلب ويجري هذا المجرى قول حسان بن ثابت الانصاري
اولاد جفنة حول قبر ابيهم قبر ابن مارية الكريم المفضل   اراد بقوله حول
قبر ابيهم انهم ملوك لا ينتجعون ولا يفارقون محالهم واوطانهم فيكون معنى الخبر على هذا الوجه من لم
يقم على القران فلا يتجاوزه الى غيره ولا يتعداه الى سواه ويتخذه مغنى ومنزل مقام فليس منا
فان قيل ليس قد يتعدى القران الى السنة والاجماع وسائر ادلة الشرع فكيف يحظر علينا
تعديه قلنا ليس في ذلك تعد للقران لان القران دال على وجوب اتباع السنة وغيرها من ادلة
الشرع فمن اعتمد بعضها في شيء من الاحكام لا يكون متجاوزا للقران ولا متعديا له فاما قوله عليه السلم
ليس منا فقد قيل انه لا يكون على اخلاقنا واستشهد ببيت النابغة
اذا حاولت في اسد فجورا فاني لست منك ولست مني   وقيل انه اراد ليس على
ديننا وهذا الوجه لا يليق الا بجوابنا الذي اخترناه وهو يبعد بجواب ابي عبيد لانه محال ان
نخرج عن دين النبي صلى الله عليه واله وملته من لم يحسن صوته بالقران ويرجع فيه او من لم يتلذذ
بتلاوته ويستحليها   **مسألة**   واعلم ان اصحابنا قد اعتمدوا في ابطال
ما ظنه اصحاب الرؤية في قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة على وجوه معروفة لانهم
بينوا ان النظر ليس يفيد الرؤية ولا الرؤية من احد محتملاته ودلوا على ان النظر ينقسم
الى اقسام كثيرة منها تقليب الحدقة الصحيحة نحو المرئي طلبا لرؤيته ومنها النظر الذي

الذي هو الانتظار ومنها النظر الذي هو التعطف والرحمة ومنها النظر الذي هو الفكر والتامل
وقالوا اذا لم يكن في اقسام النظر الرؤية لم يكن للقوم بظاهرها متعلق واحتجنا جميعا الى طلب تاويل
للاية من غير جهة الرؤية وتاولها بعضهم على الانتظار للثواب وان كان المنتظر في الحقيقة محذوفا
والمنتظر منه مذكورا على عادة للعرب معروفة وسلم بعضهم ان النظر يكون الرؤية بالبصر وحمل
الاية على رؤية اهل الجنة لنعم الله تعالى عليهم على سبيل حذف المرئي في الحقيقة وهذا الكلام
مشروح في مواضعه وقد بينا ما يرد عليه وما يجاب به عن الشبه المعترضة فيه في مواضع كثيرة
وههنا وجه غريب في الاية حكي عن بعض المتاخرين لا يفتقر معتمده الى العدول عن الظاهر او الى
تقدير محذوف ولا يحتاج الى منازعتهم في ان النظر يحتمل الرؤية او لا يحتملها بل يصح الاعتماد عليه سواء
كان النظر المذكور في الاية هو الانتظار بالقلب او الرؤية بالعين وهو ان يحمل قوله تعالى الى ربها
على انه اراد به نعمة ربها لان الالاء النعم وفي واحدها اربع لغات يقال الى مثل قفا والى مثل
رمي والى مثل معا والى مثل حسي قال اعشى بكر بن وائل
ابيض لا يرهب الهزال ولا يقطع رحما ولا يخون الى   اراد به لا يخون نعمة فاراد
بالى ربها نعمة ربها واسقط التنوين للاضافة   فان قيل اي فرق بين هذا الوجه وبين تاويل
من حمل الاية على انه اراد بها الى ثواب ربها ناظرة يعني رائية لنعمه وثوابه قلنا ذلك الوجه
يفتقر الى محذوف لانه اذا جعل الى حرفا ولم يعلقها بالرب تعالى فلا بد من تقدير محذوف وفي
الجواب الذي ذكرناه لا يفتقر الى تقدير محذوف لان الى فيه اسم يتعلق به الرؤية فلا يحتاج
الى تقدير محذوف غيره   **مجلس آخر رابع**   **تاويل اية**   ان قال قائل
ما تاويل قوله تعالى وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون
وظاهر هذا الكلام يدل على ان الايمان انما كان لهم فعله باذنه وامره وليس هذا مذهبكم فان
حمل الاذن ههنا على الارادة اقتضى ان من لم يقع منه الايمان لم يرده الله تعالى منه وهذا ايضا

بخلاف قولكم ثم جعل الرجس الذي هو العذاب على الذين لا يعقلون ومن كان فاقدا لعقله لا يكون
مكلفا فكيف يستحق العقاب وهذا بالضد من الخبر المروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال
أكثر أهل الجنة البله — الجواب — يقال له في قوله إلا بإذن الله وجوه. منها أن
يكون الإذن الأمر ويكون معنى الكلام أن الإيمان لا يقع من أحد إلا بعد أن يأذن الله فيه ويأمر به ولا
يكون معناه ما ظنه السائل من أنه لا يكون للفاعل فعله إلا بإذنه ويجري هذا مجرى قوله تعالى وما
كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله ومعلوم أن معنى قوله ليس لها في هذه الآية هو ما ذكرناه وإن كان
الأشبه في الآية التي فيها ذكر الموت أن يكون المراد بالإذن العلم. ومنها أن يكون الإذن هو التوفيق
والتيسير والتسهيل ولا شبهة في أن الله تعالى يوفق لفعل الإيمان ويلطف فيه ويسهل السبيل
إليه. ومنها أن يكون الإذن العلم من قولهم أذنت لكذا وكذا إذا سمعته وعلمته وآذنت فلانا بكذا
وكذا إذا أعلمته فتكون فائدة الآية الإخبار عن علمه تعالى بسائر الكائنات وأنه ممن لا يخفى عليه الخفيات
وقد أنكر بعض من لا بصيرة له أن يكون الإذن بكسر الألف وتسكين الذال عبارة عن العلم وزعم أن
الذي هو العلم الأذن بالتحريك واستشهد بقول الشاعر   إن همي في سماع وأذن
وليس الأمر على ما توهمه هذا المتوهم لأن الأذن هو المصدر والإذن هو اسم الفعل ويجري مجرى
الحذر في أنه مصدر والحذر بالتسكين الاسم على أنه لو لم يكن مسموعا إلا الأذن بالتحريك لجاز
التسكين مثل مثل ومثل وأذن وأذن ونظائر ذلك كثيرة. ومنها أن يكون الإذن العلم   وشِبه وشَبه
ومعناه إعلام الله تعالى المكلفين بفضل الإيمان وما يدعو إلى فعله فيكون معنى الآية وما كان
لنفس أن تؤمن إلا بإعلام الله تعالى لها ما يبعثها على الإيمان ويدعوها إلى فعله. فأما ظن السائل
دخول الإرادة في محتمل اللفظ فباطل لأن الإذن لا يحتمل الإرادة في اللغة ولو احتملها أيضا
لم يجب ما توهمه لأنه إذا قال إن الإيمان لم يقع إلا وأنا مريد له فلم ينف أن يكون مريدا لما لم يقع
وليس في صريح الكلام ولا في دليله شيء من ذلك. فأما قوله تعالى ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون

فلم يعن به الناقصي العقول وإنما أراد تعالى الذين لم يعقلوا ولم يعلموا ما وجب عليهم علمه من معرفة خالقهم تعالى
والاعتراف بنبوة رسله عليهم السلام والانقياد إلى طاعتهم ووصفهم بأنهم لا يعقلون تشبيها كما قال الله
تعالى صم بكم عمي وكما يصف أحدنا من لم يفطن لبعض الأمور أو لم يعلم ما هو مأمور بعلمه بالجنون وفقد
العقل فأما الحديث الذي أورده السائل شاهدا له فقد قيل فيه إنه صلى الله عليه وآله لم يرد بالبله
ذوي الغفلة والنقص والجنون وإنما أراد البله عن الشر والقبيح وسماهم بلها عن ذلك من حيث لا
يستعملونه ولا يعتادونه لا من حيث فقد العلم به ووجه تشبيه من هذه حاله بالأبله ظاهر
فإن الأبله عن الشيء هو الذي لا يعرض له ولا يقصد إليه وإذا كان المنزه عن الشر معرضا عنه
هاجرا لفعله جاز أن يوصف بالبله للفائدة التي ذكرناها. ويشهد بصحة هذا التأويل قول
الشاعر   ولقد لهوت بطفلة ميالة   بلهاء تطلعني على أسرارها   نـ مياكة
أراد أنها بلهاء عن الشر والريبة وإن كانت فطنة لغيرها   وقال أبو النجم العجلي
من كل عجزاء سقوط البرقع   بلهاء لم تحفظ ولم تضيع   أراد بالبلهاء ما
ذكرناه فأما قوله سقوط البرقع فأراد أنها تبرز وجهها ولا تستره ثقة بحسنها وإدلالا
بجمالها. وقوله لم تحفظ أراد أن استقامة طرائقها يغني عن حفظها وأنها لعفافها ونزاهتها غير
محتاجة إلى مسدد وموقف. وقوله ولم تضيع أراد أنها لم تهمل في أغذيتها وتنعيمها دون قيمها
فتشغى. ومثل سقوط البرقع قول الشاعر   فلما تواقفنا وسلمن أقبلت   وجوه زهاها الحسن أن تتقنعا
ومثله أيضا   بها شرق من زعفران وعنبر   أطارت من الحسن الرداء المحبرا
أي رمت به عنها ثقة بالجمال والكمال. ومثله وهو مليح
هونا بمنجول البراقع حقبة   فما بال دهر لزنا بالوصاوص   أراد بمنجول البراقع
اللواتي يتسع عيون براقعهن ثقة بحسنهن ومنه الطعنة النجلاء والعين النجلاء ثم قال فما بال
دهر اضطرنا وأحوجنا إلى القباح اللواتي يضيقن عيون براقعهن لقبحهن والوصاوص ضيق التنقب

الشرق الصبغ شرقت الشمس ... للغروب ومنه أحمر شرق شديد الحمرة وشرق الثوب بالصبغ ... والشرق ... من الطيب ...

الصغار في البرقع ومما يشهد للمعنى الأول الذي هو الوصف بالبله لا بمعنى الغفلة قول ابن الدمينة

باهلي وما لي من إذا عرضوا له ببعض الأذى لم يدر كيف يجيب

ولم يعتذر عذر البريء ولم تزل به سكتة حتى يقال مريب

ومثله أيضا

أحب اللواتي في صباهن غرة وفيهن عن أزواجهن طماح

مسرات حب مظهرات عداوة تراهن كالمرضى وهن صحاح

ومثله

يكتبن البنجوج في كبة المشتى وبله أحلامهن وسام

أما قوله يكتبن فالحتي مأخوذ من لفظ الكبا وهو العود أراد يتبخرن به والبنجوج هو العود أيضا وفيه ست لغات بنجوج وألنجوج ويلنجوج والنجوج ويلنجج والنجج فأما كبة المشتى فهو ضيقته وشدته ومنه قوله تعالى لقد خلقنا الإنسان في كبد ويروى في كبدة المشتى والمعنى متقارب لأن الكبة مثل الصدمة والحملة مأخوذ من كبة الخيل فأما الوسام فهن الحسان من الوسامة وهي الحسن ويمكن أن يكون في البله جواب آخر وهو أن نحمله على معنى البله الذي هو الغفلة والنقصان في الحقيقة ويكون معنى الخبر أن أكثر أهل الجنة الذين كانوا بلها في الدنيا فعندنا أن الله تعالى ينعم الأطفال في الجنة والمجانين والبهائم وإنما لم يجعلهم بلها في الجنة وإن كان ما يصل إليهم من النعيم على سبيل العوض والتفضل لا يفتقر إلى كمال العقل لأن الخبر ورد بأن الأطفال والبهائم إذا أدخلوا الجنة لم يدخلوها إلا وهم على أفضل الحالات وأكملها فلهذا صرفنا عنهم البله في الجنة ورددناه إلى أحوال الدنيا وإلا فالعقل لا يمنع من ذلك كما بيناه في باب الثواب والعقاب

تأويل آية أخرى

قال الله تعالى مخبرا عن يوم القيمة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود وما نؤخره إلا لأجل معدود يوم يأتي لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد وقال في موضع آخر هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون وفي موضع آخر وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون وظاهر هذه الآيات ظاهر اختلاف لأن

بعضها ينبئ عن أن النطق لا يقع منهم في ذلك اليوم ولا يؤذن لهم فيه وبعضها ينبئ عن خلافه و

قال قوم من المفسرين في تأويل هذه الآيات أن يوم القيمة يوم طويل ممتد فقد يجوز أن يمنعوا النطق في بعضه ويؤذن لهم في موضع آخر وهذا الجواب يضعف لأن الإشارة إلى يوم القيمة بطوله فكيف يجوز أن تجعل الحالات فيه مختلفة وعلى هذا التأويل يجب أن يكون قوله تعالى هذا يوم لا ينطقون في بعضه والظاهر بخلاف ذلك والجواب السديد عن هذا أن يقال إنما أراد الله تعالى نفي النطق المسموع المقبول الذي ينتفعون به ويكون لهم في مثله عذر أو حجة ولم ينف النطق الذي ليست هذه حاله ويجري هذا مجرى قولهم خرس فلان عن حجته وحضرنا فلانا يناظر فلانا فلم يقل شيئا وإن كان الذي وصف بالخرس عن الحجة والذي نفي عنه القول قد تكلم بكلام كثير غير أنه من حيث لم يكن فيه حجة ولا به منفعة جاز إطلاق القول الذي حكيناه عليه ومثل هذا قول الشاعر

أعمى إذا ما جارتي خرجت حتى يواري جارتي الخدر

ويصم عما كان بينهما سمعي وما بي غيره وقر

وقول الآخر

لقد طال كتمانيك حتى كأنني برد جواب السائلي عنك أعجم

فأما قوله تعالى ولا يؤذن لهم فيعتذرون فقد قيل إنهم غير مأذونين بالاعتذار فكيف يعتذرون ويحمل الإذن على الأمر وإنما لم يؤمروا به من حيث كانت تلك الحال لا تكليف فيها والعباد ملجؤون عند مشاهدة الأهوال إلى الاعتراف والإقرار وأحسن من هذا التأويل أن نحمل يؤذن لهم على معنى أنه لا يسمع لهم ولا يقبل عذرهم والعلة في امتناع قبول عذرهم هي التي ذكرناها

تأويل خبر

روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر وقد ذكر قوم في تأويل هذا الخبر أن المراد به لا تسبوا الدهر فإنه لا فعل له وإن الله مصرفه ومدبره فحذف من الكلام ذكر المصرف والمدبر وقال هو الدهر وفي هذا الخبر وجه هو أحسن من الذي حكيناه وهو أن الملحدين ومن نفى الصانع من العرب كانوا ينسبون ما ينزل بهم من أفعال الله تعالى كالمرض

وعلى هذا التأويل يجوز أن يكون الاختلاف في أحوال النطق والإذن ... صح

بعض

صح

والعافية والجدب والخصب والبقاء والفناء الى الدهر جهلاً منهم بالصانع جلت عظمته ويذمون
الدهر ويسبونه في كثير من الاحوال من حيث اعتقدوا انه الفاعل بهم هذه الافعال فنهاهم النبي صلى الله
عليه وآله عن ذلك وقال لهم لا تسبوا من فعل بكم هذه الافعال ممن تعتقدون انه هو الدهر فان الله تعالى
هو الفاعل لهذه الافعال وانما قال ان الله هو الدهر من حيث نسبوا الى الدهر افعال الله تعالى وقد حكى
الله تعالى عنهم قولهم ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وقال لبيد

في قروم سادة من قومه نظر الدهر اليهم فابتهل
اي دعا عليهم وقال عمرو بن قميئة

كأني وقد جاوزت تسعين حجة خلعت بها عني عذار لجامي
على الراحتين مرة وعلى العصا انوء ثلاثاً بعدهن قيامي
رمتني بنات الدهر من حيث لا ارى فكيف بمن يرمى وليس برامي
فلو انها نبل اذاً لاتقيتها ولكنني ارمى بغير سهام
اذا ما رآني الناس قالوا الم تكن حديثاً جديد البز غير كهام
وافني وما افني من الدهر ليلة ولم يغن ما افنيت سلك نظام
واهلكني تأميل يوم وليلة وتأميل عام بعد ذاك وعام

وقال الاصمعي ذم اعرابي رجلاً فقال هو اكثر ذنوباً من الدهر وانشد الفراء

حنتني حانيات الدهر حتى كأني حابل ادنو لصيد (نخ: خاتل)
قصير الخطو يحسب من رآني ولست مقيداً اني بقيد
وقال كثير
وكنت كذي رجلين رجل صحيحة ورجل رمى فيها الزمان فشلت
وقال آخر (نخ: اخرى)
فاستأثر الدهر الغداة بهم والدهر يرميني وما ارمي
يا دهر قد اكثرت فجعتنا بسراتنا ووقرت في العظم

اما قوله ووقرت في العظم فانما اراد به احدثت فيه وقراً او وقرة والوقر هو الحفرة العظيمة

(هامش: الوقيرة صح — والوقر ايضاً الجفين)

تكون في الصفا يستنقع فيها ماء المطر والوقب ايضاً كذلك والوقبة ايضاً هي الحفرة الا انها
دون الاولى ليس في الكبر وكل هؤلاء الذين رويناه اشعارهم نسبوا افعال الله تعالى التي لا يشاركهم
فيها غيره الى الدهر فحسن وجه التأويل الذي ذكرناه فيه

مسألة

اعلم ان المنافع التي عرّض الله تعالى الاحياء لها ثلث منفعة تفضل ومنفعة عوض ومنفعة
ثواب فاما المنفعة على سبيل التفضل فهي الواقعة ابتداء من غير سبب استحقاق ولفاعلها
ان يفعلها وله ان لا يفعلها واما منفعة العوض فهي المنفعة المستحقة من غير مقارنة شيء من التعظيم
والتبجيل لها فاما منفعة الثواب فهي المستحقة على وجه التعظيم والتبجيل فمنفعة العوض تبين
من التفضل بالاستحقاق والثواب يبين من العوض بالتعظيم والتبجيل المصاحبين له فكان التفضل
اصلاً لسائر المنافع من حيث يجب تقدمه وتأخر ما عداه لانه لا سبيل للمنتفع ان ينتفع بشيء دون
ان يكون حياً له شهوة والابتداء بخلق الحياة والشهوة تفضل فقد صح انه لا سبيل الى النفع بمنفعة (نخ: ذا شهوة)
العوض والثواب الا بعد تقدم التفضل فاما المنفعة بالثواب فهي الاصل للمنفعة بالعوض لان
الالام او ما جرى مجرى الالام مما يستحق به العوض متى لم يكن فيها اعتبار يفضي الى الثواب ويستحق
به لم يحسن فعلها وجرى عندنا مجرى العبث ولهذا نقول ان الله تعالى لو لم يكلف احداً من المكلفين
ما كان يحسن منه ان يبتدئ بالالام وان عوض عليها والاحياء على ضروب فمنهم من عرض للمنافع
الثلث ومنهم من عرض لاثنتين ومنهم من عرض لواحدة فالمكلف المعرض للثواب لا بد ان يكون
منفوعاً بالتفضل من الوجه الذي قلنا لانه اذا خلق حياً وفعل له القدرة والشهوة والعقل و
ضروب التمكين فقد نفع بالتفضل وليس يجب فيمن هذه حاله ان يكون منفوعاً بالعوض لانه لا
يمتنع ان يخلو المكلف منا من الم يبتديه الله به فلا يكون معرضاً للعوض فمتى عرض له هذا كملت
فيه المنافع فصار المكلف مقطوعاً على تعريضه لاثنين من المنافع ومجوزاً تكامل الثلث له فاما
من ليس بمكلف فمقطوع فيه على احدى المنافع وهي التفضل من حيث خلق حياً ومكن من كثير

من المنافع ومشكوك في تعريضه للعوض من الوجه الذي بيّنّا وكما قطعنا على اجرائي المنافع فيه فنحن
قاطعون ايضا على نفي التعريض للثواب عنه لفقد ما يوصل اليه وهو التكليف ولا يمتنع في كل حي مجرد
ان يكون معرضا لاحدى هذه المنافع او لجميعها وانما اوجبنا ذلك من جهة حكمة القديم تعالى لا من
جهة انه يستحيل في نفسه وانما قلنا انه ليس يستحيل في نفسه لان كونه حيا وعاقلا ذا شهوة وقدرة
ليس منفعة بنفسه وانما يكون منفعة ونعمة اذا فعل تعريضا للنفع فاما اذا فعل تعريضا للضرر او لا
لوجه من الوجوه فانه لا يكون نعمة ولا منفعة وانما اوجبناه من جهة حكمة القديم تعالى لانه اذا جعل الحي
بهذه الصفات فلا يخلو من ان يكون اراد بها نفعه او ضرره او لم يردهما فان كان الاول فهو الذي
اوجبناه وان كان الثاني او الثالث فالقديم تعالى منزه عنهما لان الثاني يجري مجرى الظلم والثالث
من العبث بعينه وقد يشارك القديم في النفع بالتفضل والعوض الفاعلون المحدثون ولا يصح ان
يشاركوه في النفع بالثواب لان الصفة التي يستحق المكلف لكونه عليها الثواب وهي كون الفعل
شاقا عليه لا يكون الا من قبله تعالى وليس لاحد ان يظن فيمن يهدي الى الدين ويرشد الى الايمان وما
يستحق به الثواب انه معرّض للثواب وذلك ان المكلف قد يكون معرضا للثواب ويصح ان يستحقه
من دون كل هداية او ارشاد يقع منا ولولا الصفة التي جعله الله عليها لم يصح ان يستحقه من دون كل
هداية وارشاد يقع منا ولولا الصفة التي جعله الله عليها لم يصح ان يستحقه فبان الفضل بين
الامرين على ان احدنا وان نفع غيره بالتفضل وبالتعريض للعوض فجميع المنافع منسوبة الى الله تعالى
ومضافة اليه من قبل انه لولا نعمه ومنافعه لم تكن هذه منافع ولا نعما الا ترى انه لو لم يخلق الحياة و
الشهوة لم يكن ما يوصل اليه مما ذكرناه منفعة ولا نعمة ولو لم يخلق المشتهى الملتذ لم يكن لنا سبيل
الى النفع والانعام فبان بهذه الجملة ما قصدناه

مجلس اخر خامس

ان سأل سائل فقال ما تأويل قوله تعالى مخبرا عن مهلك قوم فرعون وتوريثه نعمهم كذلك
واورثناها قوما آخرين فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين وكيف يجوز ان يضيف

البكاء اليهما وهو لا يجوز في الحقيقة عليهما الجواب يقال له في هذه الاية وجوه اربعة
من التأويل أولها ان الله تعالى اراد اهل السماء والارض فحذف كما حذف في قوله واسأل القرية
وفي قوله حتى تضع الحرب اوزارها واراد اهل القرية واصحاب الحرب ويجري مجرى ذلك قولهم
السخاء حاتم يريدون السخاء سخاء حاتم وقال الحطيئة

وشر المنايا ميت وسط اهله كهلك الغنى قد اسلم الحي حاضره

اراد شر المنايا منية ميت وقال آخر

قليل عيبه والعيب جم ولكن الغنى رب غفور

وقال ذو الرمة

لهم مجلس صهب السبال اذلة سواسية احرارها وعبيدها

اراد اهل مجلس فاما قوله صهب السبال فانما اراد به الاعداء والعرب تصف الاعداء بذلك وان لم
يكونوا صهب الاسبلة وقوله سواسية يريد انهم مستوون [illegible] ولا يقال هذا الا في الذم
وثانيها انه تعالى اراد المبالغة في وصف القوم بصغر القدر وسقوط المنزلة لان العرب
اذا اخبرت عن عظم المصاب بالهالك قالت كسفت الشمس لفقده واظلم القمر وبكاه الليل والنهار
والسماء والارض يريدون بذلك المبالغة في عظم الامر وشمول الضرر قال جرير يرثي عمر بن عبد العزيز

الشمس طالعة ليست بكاسفة تبكي عليك نجوم الليل والقمرا

وقال يزيد بن مفرغ الحميري

الريح تبكي شجوها والبرق يلمع في الغمامه

وهذا صنيعهم في وصف كل امر
جل خطبه وعظم موقعه فيصفون النهار بالظلام وان الكواكب طلعت نهارا لفقد نور الشمس و
ضوئها قال النابغة

تبدو كواكبه والشمس طالعة لا النور نور ولا الاظلام اظلام

وقال طرفة

ان تنوله فقد تمنعه وتريه النجم يجري بالظهر

ومن هذا قولهم لأرينك الكواكب بالنهار معناه انني اورد عليك ما يظلم له في عينك النهار فتظنه
ليلا ذا كواكب فاما بيت جرير فقد قيل في انتصاب النجوم والقمر وجوه ثلاثة احدها انه اراد
ان الشمس طالعة وليست مع طلوعها كاسفة نجوم الليل والقمر لان عظم الرزء قد سلبها ضوءها

فلم ينافِ طلوعها ظهور الكواكب ∴ والوجه الثاني ان يكون انتصاب ذلك كما ينتصب في قولهم لا اكلمك الابد دهر الداهر وطول المسند وما جرى مجرى ذلك فكانه اخبر بان الشمس تبكيه ما طلعت النجوم وظهر القمر والوجه الثالث ان يكون القمر ونجوم الليل باكين الشمس على هذا المتوفى المفقود فبكته اى غلبتهن بالبكاء كما تقول باكاني عبد الله فبكيته وكاثرني فكثرته اى غلبته وفضلت عليه ورابعها ان يكون معنى الاية الاخبار عن انه لا احد اخذ بثارهم ولا انتصر لهم لان العرب كانت لا تبكي على قتيل حتى تاخذ بثاره وتقتل من كان بواء به من عشيرة القاتل فكنى تعالى بهذا اللفظ عن فقد الانتصار والاخذ بالثار على مذهب القوم الذين خوطبوا بالقرآن وخامسها ان يكون ذلك كناية عن انه لم يكن لهم في الارض عمل صالح يرفع منها الى السماء ويطابق هذا التاويل ما روي عن ابن عباس رحمه الله في قوله فما بكت عليهم السماء والارض قيل له او تبكيان على احد فقال نعم مصلاه في الارض ومصعد عمله في السماء ∴ وروى انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال ما من مؤمن الا وله باب يصعد منه عمله وباب ينزل منه رزقه فاذا مات بكيا عليه ومعنى البكاء ها هنا الاخبار عن الاختلال بعده كما يقال بكى منزل فلان بعده قال ابن مقبل

لعمر ابيك لقد شاقني مكان حزنت له اذ حزن

وقال مزاحم العقيلي

بكت دارهم من اجلهم فتهللت دموعي فاي الجازعين الوم

امستعبرا يبكي من الهون والبلى ام آخر يبكي شجوه ويهيم

فاذا لم يكن لهؤلاء القوم الذين اخبر الله تعالى عن بوارهم مقام صالح في الارض ولا عمل كريم يرفع الى السماء جاز ان يقال فما بكت عليهم السماء والارض ويمكن في الاية وجه سادس وهو ان يكون البكاء فيها كناية عن المطر والسقيا لان العرب تشبه المطر بالبكاء ويكون معنى الاية ان السماء لم تسق قبورهم ولم تجد عليهم بالقطر على مذهب العرب المعروف في ذلك لانهم كانوا يستسقون السحائب لقبور من فقدوه من اعزائهم ويستنبتون لمواقع حفرهم الزهر والرياض قال النابغة

(في الهامش: والدهر — او حزن نسخة — وآخر نسخة — عقيل قبيلة وعقيل اسم الرجل)

فلا زال قبر بين بصرى وجاسم عليه من الوسمي طل ووابل

فينبت حوذانا وعوفا منورا سأتبعه من خير ما قال قائل

وكانوا يجرون هذا الدعاء مجرى الاسترحام ومسالة الله تعالى لهم الرضوان والفعل الذي اضيف الى السماء وان كان لا يجوز اضافته الى الارض فقد يصح عطف الارض على السماء بان يقدر لها فعل يصح نسبته اليها والعرب تفعل مثل هذا قال الشاعر

يا ليت زوجك في الوغى متقلدا سيفا ورمحا

فعطف الرمح على السيف وان كان التقلد لا يجوز فيه لكنه اراد وحاملا رمحا ومثل هذا يقدر في الاية فيقال انه تعالى اراد ان السماء لم تسق قبورهم وان الارض لم تعشب عليها وكل هذا كناية عن حرمانهم رحمة الله تعالى ورضوانه

تأويل خبر

روى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال احب الاعمال الى الله عز وجل ادومها وان قل فعليكم من الاعمال بما تطيقون فان الله لا يمل حتى تملوا وفي صفته عليه السلام الله تعالى بالملل وجوه اربعة اولها انه اراد نفي الملل عنه وانه لا يمل ابدا فعلقه بما لا يقع على سبيل التبعيد كما قال تعالى ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وقال الشاعر

فانك سوف تحلم او تناهى اذا ما شبت او شاب الغراب

اراد انك لا تحلم ابدا فان قيل ومن اين قلتم ان ما علقه به لا يقع حتى حكمتم بانه اراد نفي الملل على سبيل التابيد قلنا معلوم ان الملل لا يشمل البشر في جميع اوقاتهم واوطارهم فانهم لا يعرون من حرص ورغبة وامل وطمع فلهذا جاز ان يعلق ما علم تعالى انه لا يكون بمللهم ∴ والوجه الثاني ان يكون المعنى انه لا يغضب عليكم ويطرحكم حتى تتركوا العمل له وتعرضوا عن سؤاله والرغبة في حاجاتكم اليه فسمى الفعلين مللا وان لم يكونا على الحقيقة كذلك على مذهب العرب في تسميتها الشيء باسم غيره اذا وافق معناه من بعض الوجوه قال عدي بن زيد العبادي

(في الهامش: ان الحب — حكم الرجل صار حكيما نحكم)

ثم أضحوا لعب الدهر بهم وكذاك الدهر يودي بالرجال   وقال عبيد بن الأبرص الأسدي

سائل بنا حجر بن أم قطام إذ ظلت به السمر الذوابل تلعب

فنسب اللعب إلى الدهر وإلى القنا تشبيها وقال ذو الرمة

وأبيض موشي القميص نصبته على خصر مقلات سفيه جديلها

فسمى اضطراب زمامها لشدة تحركه سفها لأن السفه في الأصل هو الطيش وسرعة الاضطراب والحركة وإنما وصف ناقته بالذكاء والنشاط   فأما قوله وأبيض موشي القميص فإنما عنى سيفه وقميصه جفنه والمقلات الناقة التي لا يعيش لها ولد   والوجه الثالث أن يكون المعنى أنه تعالى لا يقطع عنكم فضله وإحسانه حتى تملوا من سؤاله فيفعل ذلك على الحقيقة للازدواج ومشاكلة اللفظين في الصورة وإن اختلفا في المعنى ومثل هذا قوله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم   وجزاء سيئة سيئة مثلها ومثله قول الشاعر وهو عمرو بن كلثوم التغلبي

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وإنما أراد المجازاة على الجهل لأن العاقل لا يفخر بالجهل ولا يتمدح به   والوجه الرابع أن يكون الراوي وهم وغلط من الفتح إلى الضم وأن يكون قوله لا يمل بالضم لا بالفتح وعلى هذا يكون له معنيان أحدهما أنه لا يعاقبكم بالنار حتى تملوا من عبادته وتعرضوا عن طاعته لأن الملة هي مشتوى الخبز يقال مل الرجل الخبزة وغيرها يملها إذا اشتواها في الملة وقيل إن الجمر لا يقال له ملة حتى يخالطه رماد والمعنى الثاني أن يكون المراد أنه لا يسرع إلى عقابكم بل يحلم عنكم ويرفق بكم حتى تملوا أعماله وتستعجلوا عذابه بركوب المحارم وتتابعكم في المآثم   روي أنه قيل للفرزدق هل حسدت أحدا على شيء من الشعر فقال لا لم أحسد على شيء منه إلا ليلى الأخيلية في قولها

ومخرق عنه القميص تخاله بين البيوت من الحياء سقيما

حتى إذا برز اللواء رأيته تحت اللواء على الخميس زعيما

صوابه من الضم الى الفتح

لا تقربن الدهر آل مطرف لا ظالما أبدا ولا مظلوما   قال

على أني قد قلت

وركب كأن الريح تطلب عندهم لها ترة من جذبها بالعصائب

سروا يخبطون الليل وهي تلفهم إلى شعب الأكوار من كل جانب

إذا أبصروا نارا يقولون ليتها وقد خصرت أيديهم نار غالب

وليست أبيات الفرزدق بدون أبيات ليلى بل هي أجزل ألفاظا وأشد أسرا إلا أن أبيات ليلى أطبع وأنصع وقد كان الفرزدق مشهورا بالحسد على الشعر والاستكثار لقليله والإفراط في استحسان مستحسنه   وقد روي أن الكميت بن زيد الأسدي عرض على الفرزدق أبياتا من قصيدته التي أولها

أنصرم الحبل حبل البيض أم تصل وكيف والشيب في فوديك مشتعل

والأبيات

لما عبأن لقوس المجد أسهمها حتت الجدود على الأحساب تنتضل

أحرزت من عشر ما تسعا وواحدة فلا العمى لك من رام ولا الشلل

الشمس أدتك إلا أنها امرأة والبدر أداك إلا أنه رجل

حسده الفرزدق فقال له أنت خطيب وإنما سلم له الخطابة ليخرجه عن أسلوب الشعر ولما بهره حسن الأبيات وأفرط بها إعجابه ولم يتمكن من دفع فضلها جملة عدل في وصفها إلى معنى الخطابة وحسد الفرزدق على الشعر وإعجابه بجيده من أدل دليل على حسن نقده له وقوة بصيرته فيه وأنه كان يطرب للجيد منه فضل طرب ويعجب منه فضل عجب ويزيد أيضا على إنصافه فيه وأنه مستقل للكثير الصادر من جهته فإن كثيرا من الناس قد يبلغ بهم الهوى في الإعجاب والاستحسان لما يظهر منهم من شعر أو فضل إلى أن يعموا عن محاسن غيرهم فيستقلوا منهم الكثير ويستصغروا الكبير والأبيات للفرزدق التي ذكرناها خبر مشهور مذكور   أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا أبو حاتم قال أخبرنا أبو عبيدة عن يونس قال دخل الفرزدق على سليمان بن عبد الملك ومعه نصيب الشاعر فقال له سليمان أنشدني فأنشده الأبيات

يطلق

التي تقدم ذكرها فاشتد وجد سليمان وغاظه فعله وكان ظن انه ينشده مدحا له فلما راى نصيب ذلك قال الا انشدك فانشده ::

اقول لركب قافلين لقيتهم قفا ذات اوشال ومولاك قارب

قفوا خبروني عن سليمان انني لمعروفه من اهل ودان طالب

فعاجوا فاثنوا بالذي انت اهله ولو سكتوا اثنت عليك الحقائب

فقال له سليمان انت اشعر اهل جلدتك وفي بعض الاخبار ان الفرزدق قال ذلك في نصيب لما ساله عنه سليمان وروي ايضا انه لما انشد نصيب ابياته قال له سليمان احسنت ووصله ولم يصل الفرزدق فخرج الفرزدق وهو يقول

وخير الشعر اكرمه رجالا وشر الشعر ما قال العبيد

ولا شبهة في ان ابيات الفرزدق مقدمة في الجزالة والرصانة على ابيات نصيب وان كان نصيب قد غرب وابدع في قوله ولو سكتوا اثنت عليك الحقائب الا ان ابيات نصيب وقعت موقعها ووردت في حال تليق بها وابيات الفرزدق جاءت في غير وقتها وعلى غير وجهها فلهذا قدمت ابيات نصيب على الفرزدق مع تقدمه في الشعر وبلوغه فيه الى الذروة العليا والغاية القصوى شريف الاباء كريم البيت له في اباءه مآثر لا تدفع ومفاخر لا تجحد والفرزدق لقب لقب به وليس باسمه وانما لقب بذلك لجهامة وجهه وغلظه لان الفرزدق هي القطعة الضخمة من العجين وقيل انها الخبزة الغليظة التي يتخذ منها النساء الفتوت واسمه همام بن غالب وكنيته ابو فراس وقيل انه كان يكنى في شبابه بابي مكية وهي اغرب كنيته وكان يتشيع مائلا الى بني هاشم ونزع في آخر عمره عما كان عليه من القذف والفسق وراجع طريقة الدين على انه في خلال فسقه لم يكن منسلخا من الدين جملة ولا مهملا لامره اصلا ومما يشهد بذلك ما اخبرنا به علي بن محمد الكاتب عن ابي بكر محمد بن يحيى الصولي عن ابي حفص الفلاس عن عبد الله بن سوار عن معوية بن عبد الكريم عن ابيه قال دخلت على الفرزدق فجعلت احادثه فسمعت صوت حديد يتقعقع فتاملت الامر فاذا هو مقيد الرجل فسالته عن السبب في ذلك فقال اني آليت

[illegible]

على نفسي الا انزع القيد من رجلي حتى احفظ القرآن :: واخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثنا ابو ذر القراطيسي قال حدثنا ابن ابي الدنيا قال حدثني الرياشي عن الاصمعي عن سلام بن مسكين قال قيل للفرزدق علام تقذف المحصنات فقال والله لله احب الي من عيني هاتين افتراه يعذبني بعدها وروي انه تعلق باستار الكعبة وعاهد الله تعالى على ترك الهجاء والقذف اللذين كانا ارتكبهما وقال

الم ترني عاهدت ربي وانني لبين رتاج قائم ومقام

على حلفة لا اشتم الدهر مسلما ولا خارجا من في زور كلام

اطعتك يا ابليس سبعين حجة فلما انقضى عمري وتم تمامي

فررت الى ربي وايقنت انني ملاق لايام الحتوف حمامي

[illegible]

وروى الصولي عن الحسين بن فياض عن ادريس بن عمران قال جاءني الفرزدق فتذاكرنا رحمة الله وسعتها فكان اوثقنا بالله فقال له رجل الك هذا الرجاء والمذهب وانت تقذف المحصنات وتفعل ما تفعل فقال اترونني لو اذنبت الى ابوي اكانا يقذفانني في تنور وتطيب انفسهما بذلك قلنا لا بل كانا يرحمانك قال فانا والله برحمة ربي اوثق مني برحمتهما :: واخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثنا محمد بن ابراهيم قال حدثنا عبد الله بن ابي سعد الوراق قال حدثني محمد بن محمد بن سليمان الطفاوي قال حدثني ابي عن جدي قال شهدت الحسن في جنازة النوار امراة الفرزدق وكان الفرزدق حاضرا فقال له الحسن وهو عند القبر يا ابا فراس ما اعددت لهذا المضجع قال شهادة ان لا اله الا الله منذ ثمانين سنة فقال له الحسن هذا العمود فاين الطنب وفي رواية اخرى انه قال له نعم ما اعددت ثم قال الفرزدق في الحال

اخاف وراء القبر ان لم يعافني اشد من القبر التهابا واضيقا

اذا جاءني يوم القيامة قائد عنيف وسواق يسوق الفرزدقا

لقد خاب من اولاد آدم من مشى الى النار مشدود القلادة ازرقا

يقاد الى نار الجحيم مسربلا سرابيل قطران لباسا محرقا

قال فرايت الحسن يرطل بعضه في بعض ثم قال حسبك ويقال ان رجلا راى الفرزدق بعد موته في منامه فقال له ما فعل بك ربك قال غفر لي بتلك الابيات

فاما ما يدل على تشيعه وميله الى بني هاشم فما اخبرنا به ابو عبيد الله المرزباني قال حدثني عمر بن داود العماني قال حدثنا محمد بن زكريا الغلابي قال حدثنا مهدي بن سابق قال حدثنا ابو لبيد قال جاء الفرزدق فقال له يا عم اني قد قلت قصيدة اريد ان اعرضها عليك فقال له قل فانشده

طربت وما شوقا الى البيض اطرب	فقال له الفرزدق الام طربت ثكلتك امك فقال
ولا لعبا مني اذو الشيب يلعب	
ولم يلهني دار ولا رسم منزل ولم يتطربني بنان مخضب	فقال له الام طربت فقال
ولا انا ممن يزجر الطير همه اصاح غراب ام تعرض ثعلب	قال المرتضى رضي الله عنه يجب الوقوف على
ولا السانحات البارحات عشية امر سليم القرن ام مر اعضب	فقال الحمر طربت لا ام لك فقال الكميت
ولكن الى اهل الفضائل والنهى وخير بني حواء والخير يطلب	فقال له الفرزدق ويلك ومن هم فقال
الى النفر البيض الذين بحبهم الى الله فيما نابني اتقرب	فقال الفرزدق ويلك من هم فقال الكميت
بني هاشم رهط النبي فانني بهم ولهم ارضى مرارا واغضب	فقال له الفرزدق والله

لو جزت بهم الى سواهم لذهب قولك باطلا

ومما يشهد لذلك ما اخبرنا به ابو عبيد الله المرزباني قال حدثنا الحسين بن محمد قال حدثني جدي يحيى بن الحسن العلوي قال حدثنا الحسين بن محمد بن طالب قال حدثني غير واحد من اهل الادب ان علي بن الحسين عليهما السلم حج فاستجهر الناس جماله وتشوفوا له وجعلوا يقولون من هذا فقال الفرزدق

هذا الذي تعرف البطحاء وطاته والبيت يعرفه والحل والحرم

هذا ابن خير عباد الله كلهم هذا التقي النقي الطاهر العلم

اذا راته قريش قال قائلها الى مكارم هذا ينتهي الكرم

يكاد يمسكه عرفان راحته ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم

يغضي حياء ويغضى من مهابته فما يكلم الا حين يبتسم

اي القبائل ليست في رقابهم لاولية هذا او له نعم

من يشكر الله يشكر اولية ذا فالدين من بيت هذا ناله الامم

وفي رواية الغلابي ان هشام بن عبد الملك حج في خلافة عبد الملك او الوليد وهو حدث السن فاراد ان يستلم الحجر فلم يتمكن من ذلك لتزاحم الناس عليه فجلس ينتظر خلوة فاقبل علي بن الحسين عليهما السلم وعليه ازار ورداء وهو من احسن الناس وجها واطيبهم رائحة بين عينيه سجادة كانها ركبة عنز فجعل يطوف بالبيت فاذا بلغ الحجر تنحى الناس له حتى يستلمه هيبة له واجلالا فغاظ ذلك هشاما فقال رجل من اهل الشام لهشام من هذا الذي قد هابه الناس هذه الهيبة فقال هشام لا اعرفه لئلا يرغب فيه اهل الشام فقال الفرزدق وكان لذلك حاضرا لكني اعرفه وذكر الابيات وهي اكثر مما ذكرناه تركناها لانها معروفة قال فغضب هشام وامر بحبس الفرزدق بعسفان بين مكة والمدينة وبلغ ذلك علي بن الحسين عليهما السلم فبعث الى الفرزدق باثني عشر الف درهم وقال اعذرنا يا ابا فراس فلو كان عندنا في هذا الوقت اكثر منها لوصلناك به فردها الفرزدق وقال يا ابن رسول الله ما قلت الذي قلت الا غضبا لله ولرسوله وما كنت لارزا عليه شيئا فردها عليه واقسم عليه في قبولها وقال له قد راى الله مكانك وعلم نيتك وشكر لك ونحن اهل بيت اذا انفذنا شيئا لم نرجع فيه فقبلها وجعل الفرزدق يهجو هشاما وهو في الحبس فمما هجاه به قوله

ايحبسني بين المدينة والتي اليها قلوب الناس يهوي منيبها

يقلب راسا لم يكن راس سيد وعينا له حولاء باد عيوبها

مجلس آخر سادس

ان سال سائل فقال ما عندكم في تاويل قوله تعالى ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم وظاهر هذه

الآية يقتضي انه تعالى ما شاء ان يكونوا امة واحدة وان يجتمعوا على الايمان والهدى وهذا بخلاف ما
يذهبون اليه ثم قال ولذلك خلقهم فلا يخلو امره من ان يكون عنى انه للاختلاف خلقهم او للرحمة فلا يجوز ان يعني
الرحمة لان الكناية عن الرحمة لا تكون بلفظة ذلك ولو ارادها لقال ولتلك خلقهم فلما قال ولذلك خلقهم كان
رجوعه الى الاختلاف اولى وليس يبطل حمل الآية على الاختلاف من حيث لم يكن مذكورا فيها لان الرحمة
ايضا غير مذكورة فيها واذا جعلتم قوله الا من رحم دالا على الرحمة فكذلك قوله مختلفين دال على الاختلاف
على ان الرحمة هي رقة القلب والشفقة وذلك لا يجوز على الله تعالى ومتى تعدى بها ما ذكرناه لم
يعن بها الا العفو واسقاط الضرر وما جرى مجراه عن مستحقه وهذا ايضا لا يجب ان يكونوا مخلوقين له على
مذهبكم لانه لو خلقهم للعفو لما حسن منه عقاب المذنبين ومؤاخذة المستحقين ؛ الجواب
يقال له اما قوله تعالى ولو شاء ربك فانما عنى به المشيئة التي ينضم اليها الالجاء ولم يعن المشيئة على سبيل
الاختيار وانما اراد تعالى ان يخبرنا عن قدرته وانه ممن لا يغالب ولا يعصى مقهورا من حيث كان قادرا
على الجاء العباد واكراههم على ما اراده منهم فاما لفظة ذلك في الآية فحملها على الرحمة اولى من حملها
على الاختلاف والدليل العقل وشهادة اللفظ فاما دليل العقل فمن حيث علمنا انه تعالى كره الاختلاف و
الذهاب عن الدين ونهى عنه وتوعد عليه فكيف يجوز ان يكون شائيا له ومجريا بخلق العباد اليه واما
شهادة اللفظ فلان الرحمة اقرب الى هذه الكناية من الاختلاف وحمل اللفظة على اقرب المذكورين
اليها اولى في لسان العرب فاما ما طعن به السائل وتعلق به من تذكير الكناية وان الكناية عن
الرحمة لا تكون الا مؤنثة فباطل لان تانيث الرحمة غير حقيقي واذا كني عنها بلفظ التذكير كانت
الكناية على المعنى لان معناها انما هو الفضل والانعام كما قالوا سرني كلمتك يريدون سرني كلامك وقال
الله تعالى هذا رحمة من ربي ولم يقل هذه وانما اراد هذا فضل من ربي وقالت الخنساء

فذلك يا هند الرزية فاعلمي ... ونيران حرب حين شب وقودها

اراد ذلك الرزء وقال امرؤ القيس

برهرهة رؤدة رخصة ... كخرعوبة البانة المنفطر

فقال المنفطر

مطلب في تذكير الضمير العائد الى المؤنث

ولم يقل المنفطرة لانه ذهب الى الغصن وقال آخر

هنيئا لسعد ما اقتضى بعد وقعتي ... بناقة سعد والعشية بارد

فذكر الوصف لانه ذهب الى العشي وقال الآخر

فامت تبكيه على قبره ... من لي من بعدك يا عامر
تركتني في الدار ذا غربة ... قد ذل من ليس له ناصر

فقال ذا غربة ولم يقل ذات غربة لانه اراد شخصا ذا غربة وقال زياد الاعجم

ان الشجاعة والمروءة ضمنا ... قبرا بمرو على الطريق الواضح

ويروى ان السماحة والشجاعة وهكذا كان في الاملاء فقال ضمنا ولم يقل ضمنتا قال الفراء لانه ذهب الى ان
السماحة والشجاعة مصدران والعرب تقول قصارة الثوب يعجبني لان تانيث المصادر يرجع الى
الفعل وهو مذكر قال الفرزدق

تجوب بنا الفلاة الى سعيد ... اذا ما الشاة في الارطاة قالا

فذكر الوصف لانه اراد التيس فاما الارطاة فهي واحدة الارطى وهي شجر ينبت في الرمل يستظل بظلاله
الظباء من الحر وتاوي اليه قال الشماخ

اذا الارطى توسد ابرديه ... خدود جوازئ بالرمل عين

وقوله فالامر القبول له لا من القول على ان قوله تعالى الا من رحم ربك كما يدل على الرحمة يدل ايضا
على ان رحم فاذا جعلنا الكناية بلفظة ذلك عن ان رحم كان التذكير في موضعه لان الفعل مذكر
ويجوز ايضا ان يكون قوله تعالى ولذلك خلقهم كناية عن اجتماعهم على الايمان وكونهم فيه امة
واحدة ولا محالة انه لهذا خلقهم ويطابق هذه الآية قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا
ليعبدون وقد قال قوم في قوله تعالى ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة معناه انه لو
شاء ان يدخلهم اجمعين الجنة فيكونوا في وصول جميعهم الى النعيم امة واحدة واجرى هذه
الآية مجرى قوله تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها وانه اراد هدايتها الى طريق الجنة فعلى
هذا التاويل ايضا يمكن ان يرجع لفظة ذلك الى ادخالهم اجمعين الى الجنة لانه تعالى انما خلقهم
للمصير اليها والوصول الى نعيمها فاما قوله ولا يزالون مختلفين فمعناه الاختلاف في الدين

يعني العمل والصنع

لا اختصاص لهذا التاويل بالمصادر بل المراد ان المصدر باعتبار انه فعل مذكر

والذهاب عن الحق فيه بالهوى والشبهات ❁ وذكر ابو مسلم بن بحر في قوله مختلفين وجها غريبا وهو ان
يكون معناه ان خلف هؤلاء الكافرين يخلف سلفهم في الكفر لانه سواء قولك خلف بعضهم بعضا وقولك
اختلفوا كما سواء قولك قتل بعضهم بعضا واقتتلوا ومنه قولهم لا افعل كذا ما اختلف العصران والجديدان
اي جاء كل واحد منهما بعد الاخر فاما الرحمة فليست رقة القلب كما ظنه السائل لكنها فعل النعم
والاحسان يدل على ذلك ان من احسن الى غيره وانعم عليه يوصف بانه رحيم به وان لم نعلم منه
رقة قلبه عليه بل وصفهم بالرحمة من لا يجدون منه رقة القلب اقوى من وصفهم الرقيق القلب
بذلك لان مشفقة النعمة والفضل والاحسان عامن لا رقة عنده اكثر منها على الرقيق القلب
وقد علمنا ان من رق قلبه لو امتنع من الافضال والاحسان لم يوصف بالرحمة واذا انعم وصف بذلك
فوجب ان يكون معناها ما ذكرناه على انه لا يمتنع ان يكون معنى الرحمة في الاصل ما ذكرتم ثم انتقل
بالتعارف الى ما ذكرناه كنظائره وقد وصف الله تعالى القران بانه هدى ورحمة من حيث كان
نعمة ولا يتاتى في القران ما ظنوه وانما وصفت رقة القلب بانها رحمة لانها تجاوره الرحمة
التي هي النعمة في الاكثر وتوجد عنده فجل مجل وصف الشهوة بانها محبة لما كانت توجد عندها
المحبة في الاكثر وليست الرحمة مختصة بالعفو بل تستعمل في ضروب النعم وصنوف الاحسان
الا ترى انا نصف المنعم على غيره المحسن اليه بالرحمة وان لم يسقط عنه ضررا ولا تجاوز له
عن زلة وانما سمي العفو عن الضرر وما جرى مجراه رحمة من حيث كان نعمة لان النعمة باسقاط
الضرر تجري مجرى النعمة بايصال النفع فقد بان بهذه الجملة معنى الاية وبطلان ما ضمنه السائل
سؤاله ❁ فان قيل اذا كانت الرحمة هي النعمة وعندكم ان نعم الله تعالى شاملة للخلق
اجمعين فاي معنى لاستثناء من رحم من جملة المختلفين ان كانت الرحمة هي النعمة وكيف يصح
اختصاصها بقوم دون قوم وهي عندكم شاملة عامة قلنا لا شبهة في ان نعم الله تعالى
شاملة للخلق اجمعين غير ان في نعمه ايضا ما يختص بها بعض العباد اما للاستحقاق او لسبب

انه ح

قلب

يقتضي الاختصاص بالرحمة فاذا حملنا قوله تعالى الا من رحم ربك على النعمة بالثواب فالاختصاص
ظاهر لان النعمة به لا يكون الا مستحقة فمن استحق الثواب باعماله وصل الى هذه النعمة ومن لم يستحقه
لم يصل اليها وان حملت الرحمة في الاية على النعمة بالتوفيق للايمان واللطف الذي وقع بعده فعل الايمان
كانت هذه النعمة ايضا مختصة لانه انما لم ينعم على سائر المكلفين بها من حيث لم يكن في معلومه ان
لهم توفيقا وان في الافعال ما يختارون عنده الايمان فاختصاص هذه النعمة ببعض العباد لا يمنع من
شمول نعم اخر لهم كما ان شمول تلك النعم لا يمنع من اختصاص هذه

[illegible] النعم

تاويل خبر

روى ابو مسعود البدري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال ان مما ادرك الناس من كلام
النبوة الاولى اذا لم تستحي فاصنع ما شئت ❁ وفي هذا الخبر وجوه من التاويل احدها ان يكون
معناه اذا عملت العمل لله عز وجل وانت لا تستحي من الناظر من البشر ولا تخشى فيه ان تنسب فيه الى
الرياء صنعت ما شئت لان فكرك فيهم ومراقبتك لهم يقطعانك عن استيفاء شروط عملك ويمنعانك
من القيام بحدوده وحقوقه واذا اطرحت الفكر توفرت على استيفاء عملك ❁ والوجه الثاني
ان من لم يستحي من المعايب والمخازي والفضائح صنع ما شاء والظاهر ظاهر امر والمعنى معنى تغليظ
وانكار مثل قوله تعالى اعملوا ما شئتم وقوله عز وجل فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر وهذا
نهاية التغليظ والزجر والاخبار عن كبر الذنب في اطراح الحياء ويجري مجرى قولهم بعد ان فعل
فلان كذا وكذا فليفعل ما شاء وبعد ان اقدم على كذا فليقدم على ما شاء والمعنى المبالغة في عظم ما
ارتكبه وقبح ما اقترفه ❁ والوجه الثالث ان يكون معنى الخبر اذا لم تفعل ما تستحي منه فافعل
ما شئت لانه لا قبيح من ضروب القبائح الا ويجب ان يستحي صاحبه ومن شان فاعله اذا قرع به ان يستحي
منه فمتى جانب الانسان ما يستحي منه من افعاله فقد جانب سائر القبائح وما عدا القبيح من الافعال
فهو حسن ويجري هذا المجرى خبر يروى فيما اظن عن نبينا عليه السلام ان رجلا جاءه فاسترشده
الى خصلة يحوز فيها جماع الخير فقال له عليه السلام اشترط عليك الا تكذبني ولن اسالك ما

كان معنى الخبر اذا لم تفعل فعلا تستحي منه فاصنع ما شئت

وراء ذلك فهان على الرجل ترك الكذب خاصة والمعاهدة على اجتنابه دون سائر القبائح وشرط على نفسه
ذلك فلما انصرف جعل كلما هم بقبيح يفكر ويقول أرأيت لو سألني عنه النبي صلى الله عليه وآله وسلم
ما كنت قائلا له لانني ان صدقته افتضحت وان كذبته نقضت العهد بيني وبينه فكان ذلك سببا لاجتنابه
سائر القبائح وهكذا معنى الخبر الذي تأولناه لان في اجتناب ما يستحيا منه اجتنابا لسائر القبائح

تأويل خبر روى محمد بن الحنفية عن أبيه أمير المؤمنين عليه السلام قال
كان قد كثر على مارية القبطية أم ابراهيم في ابن عم لها قبطي كان يزورها ويختلف اليها فقال
لي النبي عليه السلام خذ هذا السيف وانطلق فان وجدته عندها فاقتله قلت يا رسول الله اكون
في أمرك اذا أرسلتني كالسكة المحماة أمضي لما أمرتني أم الشاهد يرى ما لا يرى الغائب فقال لي
النبي صلى الله عليه وآله بل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب فأقبلت متوشحا بالسيف فوجدته عندها
فاخترطت السيف فلما أقبلت نحوه عرف أني أريده فأتى نخلة فرقي اليها ثم رمى بنفسه على قفاه
وشغر برجليه فاذا انه أجب أمسح ما له مما للرجال قليل ولا كثير قال فغمدت السيف ورجعت
الى النبي صلى الله عليه وآله فأخبرته فقال الحمد لله الذي يصرف عنا أهل البيت • قال قدس الله روحه
في هذا الخبر أحكام وغريب ونحن نبدأ بأحكامه ثم نتلوه بغريبه فأول ما فيه أن لقائل أن يقول كيف
يجوز أن يأمر الرسول بقتل رجل على التهمة بغير بينة ولا ما يجري مجراها الجواب عن ذلك
أن القبطي جائز أن يكون من أهل العهد الذين أخذ عليهم أن يجري فيهم أحكام المسلمين وأن يكون الرسول
عليه السلام تقدم اليه بالانتهاء عن الدخول الى مارية فخالف وأقام على ذلك وهذا نقض للعهد
وناقض العهد من أهل الكفر مؤذن بالمحاربة والمؤذن بها مستحق للقتل فأما قوله عليه السلام بل
الشاهد يرى ما لا يرى الغائب فإنما عنى به رؤية العلم لا رؤية البصر لانه لا معنى في هذا الموضع
لرؤية البصر فكأنه عليه السلام قال بل الشاهد يعلم ويصح له من وجه الرأي والتدبير ما لا يصح
للغائب ولو لم يقل ذلك لوجب قتل الرجل على كل حال وإنما جاز منه عليه السلام أن يخير بين

قتله والكف عنه ويفوض الأمر في ذلك الى أمير المؤمنين عليه السلام من حيث لم يكن قتله من الحدود
والحقوق التي لا يجوز العفو عنها ولا يسع إلا إقامتها لأن ناقض العهد ممن الى الامام القائم بأمور المسلمين
اذا قدر عليه قبل التوبة أن يقتله أو يمن عليه ⁂ ومما فيه أيضا من الأحكام اقتضاؤه أن مجرد
أمر الرسول صلى الله عليه وآله لا يقتضي الوجوب لانه لو اقتضى ذلك لما حسنت مراجعته ولا
استفهامه في حسنها ووقوعها موقعها دلالة على أنها لا تقتضي ذلك ⁂ ومما فيه أيضا من الأحكام
دلالته على أنه لا بأس بالنظر الى عورة الرجل عند الأمر ينزل فلا يوجد من النظر اليها بد لما الحد
يقام عليه أو لعقوبة تسقط لأن العلم بأنه أمسح أجب لم يكن الا عن تأمل ونظر وإنما جاز
التأمل والنظر ليتبين هل هو ممن يكون مأثوما به أو لا والواجب على الامام فيمن يشهد عليه بالزنا
وادعى أنه مجبوب أن يأمر بالنظر اليه ويتبين أمره وبمثله أمر النبي صلى الله عليه وآله في قتل
مقاتلة بني قريظة لانه أمر أن ينظروا الى مؤتزر كل من أشكل عليهم أمره فمن وجدوه قد أنبت
قتلوه ولولا جواز النظر الى العورة عند الضرورة لما قامت شهادة الزنا لأن من رأى رجلا مع امرأة
واقعا عليها متى لم يتأمل أمرهما حق التأمل لم تصح شهادته ولهذا قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم
لسعد بن عبادة وقد سأله عمن وجد مع امرأته رجلا أيقتله فقال صلى الله عليه لا حتى يأتي
بأربعة شهداء فلو لم يكن للشهداء أن يحضروا ويقصدوا النظر الى عورتيهما لا قامت الشهادة
كان حضورهم كغيبتهم ولم تقم شهادة الزنا لأن من شرطها مشاهدة العضو في العضو كالميل
في المكحلة ⁂ فإن قيل كيف جاز لأمير المؤمنين عليه السلام الكف عن القتل ومن أي
جهة آثره لما وجده أجب وأي تأثير لكونه أجب فيما استحق به القتل وهو نقض العهد
قلنا انه عليه السلام لما فوض اليه الأمر في القتل والكف كان له أن يقتله على كل حال
وان وجده أجب لان كونه بهذه الصفة لا تخرجه من نقض العهد وإنما آثر الكف الذي كان اليه

مفوّضًا الى رأيه لانه التهمة والشك الواقعين في امر ما زنيه ولانه اشفق من ان يقتله فيحقق
الظنّ ويلحق بذلك العار فرأى عليه السلم ان الكفّ اولى لما ذكرناه. فاما غريب الحديث فقوله شغر
برجليه يريد رفعهما واصله في وصف الكلب اذا رفع رجله للبول فاما نكاح الشغار بالكسر وقد قيل
الشغار بالفتح فهو ان يزوّج الرجل من هو وليّ لها من بنت او اخت غيره على ان يزوّجه بنته او
اخته بغير مهر وكان احد العرب في الجاهلية يقول للآخر شاغرني اي زوّجني حتى ازوّجك واظنّه
ماخوذ من الشغر الذي هو رفع الرجل لان النكاح فيه معنى الشغر فسمّي هذا العقد شغارا او مشاغرة
لافضائه في كل واحد من الزوجين الى معنى الشغر وصار اسما لهذا النكاح كما قيل في الزنا سفاح
لان الزانيين يسفحان الماء اي يسكبانه والماء هو النطفة ويمكن ان يكون ايضا الماء الذي يغتسلان
به فكني بذلك عن الزنا ثم صار اسما له وعلما عليه ومن الشغر الذي هو رفع الرجل قول زياد
لابنة معوية وكانت عند ابنه فافتخرت يوما عليه وتطاولت فشكاها الى ابيه زياد فدخل عليها
بالدرّة يضربها ويقول اشغرا وفخرا فاما قول الفرزدق

شغّارة تقذ الفصيل برجلها فطّارة لقوادم الابكار

فان من غريب شعره وفسّره فقال معنى شغّارة انها ترفع رجلها للبول وقوله تقذ الفصيل برجلها
اي تركله وتدفعه عن الدنوّ الى الرضاع ليتوفر اللبن على الحلب واراد بتقذ اي تبالغ في ايلامه وضربه
ومنه الموقوذة واما قوله فطّارة لقوادم الابكار فالفطر هو الحلب بثلث اصابع والقوادم هي
الاخلاف وانما خصّ الابكار بذلك لان صغر اخلافها يمنع من حلبها ضبّا والضبّ هو الحلب بالاصابع
الاربع فكانه لا يمكن فيها لقصر اخلافها الا الفطر ومعنى البيت تعييره نساء جرير بانهن راعيات
وذلك مما تعيّر به العرب النساء الا ترى الى قوله قبل هذا البيت

كم عمّة لك يا جرير وخالة فدعاء قد حلبت عليّ عشاري

كنا نحاذر ان تضيع لقاحنا ولها اذا سمعت دعاء يسار ثم تلا ذلك بقوله

شغّارة تقذ الفصيل برجلها فطّارة لقوادم الابكار

قال قدّس الله روحه وعندي ان قوله شغّارة كناية عن رفع رجلها للزنا وهو اشبه
بان يكون مراده في هذا الموضع الا ترى انه قد وصفها بالوله من حفظ اللقاح عند سماعها
دعاء يسار ويسار اسم راع وكانه وصفها بالوله الى الزنا والارتياح اليه وترك حفظ ما
استحفظته من اللقاح فالاشبه ان يكون قوله شغّارة مع كونه عقيب البيت الذي ذكرناه محمولا
على ما اشرنا اليه. فاما قولهم ذهبوا اشغر بغر فليس من هذا في شيء وانما يراد به انهم ذهبوا
متفرقين متشتتين ومثله ذهبوا عبادید وعبابيد وشعاليل وشعارير وايادي سبا كل
ذلك بمعنى واحد. فاما قوله فاذا انه اجبّ فيعني به المقطوع الذكر لان الجبّ هو القطع و
منه بعير اجبّ اذا كان مقطوع السنام. وقد ظنّ بعض من تاوّل هذا الخبر ان الامسح
هاهنا هو القليل لحم الالية كالارسح والارصع والازلّ وهذا غلط لان الوصف بذلك لا
معنى له في الخبر وانما اراد تاكيد الوصف له بانه اجبّ والمبالغة فيه لان قوله امسح يفيد انه
مصطلم الذكر وبين بذلك معنى اجبّ زيادة ظاهرة. اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني
قال حدثنا القسم بن الحسين العتّاق قال حدثني سليمان بن داود الطوسي قال حدثني سوّار بن
عبد الله القاضي عن الاصمعي قال دخلت على الرشيد في الليل فتذاكرنا احوال القمر فقلت
العرب تقول للقمر اذا كان ابن ليلة ما انت ابن ليلة قال رضاع سخيلة حلّ اهلها برميلة.
قيل له ما انت ابن ليلتين قال حديث امتين بكذب ومين. قيل له ما انت ابن ثلث قال
قليل اللبث. وقيل ايضا حديث فتيات غير جدّ مؤتلفات. قيل له فما انت ابن اربع قال عتمة
امّ ربع لا جائع ولا مرضع وقيل عتمة امّ الربع غير جائع ولا مرضع. قيل ما انت ابن خمس

قال عشاء خلفات قعس ويقال حديث وانس ويقال سمر وهمس ✤ وقيل ما انت ابن ست قال
سمر وبث وقيل حديث وبث ✤ قال ما انت ابن سبع قال دلجة ضبع وقيل هدى لانس ذي الجمع وقيل
حديث جمع وقيل يظفر في التسع وقيل يلتقط في الجزع ✤ قيل ما انت ابن ثمان قال قمر اضحيان ✤
قيل ما انت ابن تسع قال منقطع الشسع وقيل يلتقط في الجزع وقيل الودع وقيل عشية اهل جمع ✤
قيل ما انت ابن عشر قال ثلث الشهر وقيل محنق الفجر وقيل مؤدبك الى الفجر وقيل ابادر الفجر ✤
قيل ما انت ابن احدى عشرة قال اطلع عشاء وأرى بكرة قيل واغيب بسحرة ✤ قيل ما انت ابن
اثنتي عشرة قال مونق للبشر بالبدو والحضر ✤ قيل ما انت ابن ثلث عشرة قال قمر باهر يعشي له
الناظر ✤ قيل ما انت ابن اربع عشرة قال مقتبل الشباب اضيء مدجنات السحاب وقيل مضيء
للسحاب ✤ قيل ما انت ابن خمس عشرة قال تم الشباب وانتصف الحساب ✤ قيل ما انت
ابن ست عشرة قال نقص الخلق بالغرب والشرق ✤ قيل له ما انت ابن سبع عشرة قال امكنت
المقتفر القفرة ✤ قيل له ما انت ابن ثماني عشرة قال قليل البقاء سريع الفناء ✤ قيل له ما انت
ابن تسع عشرة قال بطيء الطلوع بين الخشوع ✤ قيل ما انت ابن عشرين قال اطلع بسحرة واضيء
بالبهرة وقيل ثم اهجر بالبهرة ✤ قيل ما انت ابن احدى وعشرين قال كالقبس يرى بالغلس ✤ قيل
له ما انت ابن اثنتين وعشرين قال لا اطلع الا ريثما أرى ✤ قيل له ما انت ابن ثلث وعشرين
قال اطلع في قتمة ولا اجلو الظلمة ✤ قيل له ما انت ابن اربع وعشرين قال لا قمر ولا هلال ✤ قيل
له ما انت ابن خمس وعشرين قال دنا الاجل وانقطع الامل ✤ قيل ما انت ابن ست وعشرين
قال دنا ما دنا فلا يرى مني الا سنا ✤ قيل ما انت ابن سبع وعشرين قال اطلع بكرا ولا أرى
ظهرا ✤ قيل له ما انت ابن ثمان وعشرين قال اسبق شعاع الشمس ✤ قيل ما انت ابن تسع وعشرين قال
ضئيل صغير فلا يراني الا البصير ✤ قيل له ما انت ابن ثلثين قال هلال مستسر ✤ قال الاصمعي

ثم مستسر

ثم سألت الرشيد فقال لي انه لا يحفظ هذا الحديث من الرجال الا عاقل فقال احفظه علي قلت كان
فلعاده حتى بلغ قيل ما انت ابن ثمان قال قمر اضحيان ✤ اما قوله رضاع سخيلة اراد تصغير
سخلة والمعنى ان القمر يبقى بقدر ما ينزل قوم فتضع شاتهم سخلة ثم ترضعها ويخلون فيقاوه
في الافق بمقدار ذلك الزمان ✤ وقوله يحل اهلها برميلة اظن ان المعنى فيه الاخبار عن قلة اللبث
وسرعة الانتقال لان الرمل ليس بمنزل مقام للقوم لانهم كانوا يختارون في منازلهم جلد الارض و
هضبها والاماكن التي لا تستولي السيول عليها فخص الرميلة لهذا المعنى ✤ وقوله حديث امتين
بكذب ومين يريد ان بقاءه قليل بمقدار ما تلتقي الامة والامة فتكذب لها حديثا ثم تفترقان ✤ و
قوله حديث فتيات غير جد مؤتلفات اراد انه يبقى بقاء فتيات اجتمعن على غير ميعاد فتحادثن ساعة
ثم انصرفن غير مؤتلفات ✤ وقوله عتمة ام ربع يقال عتمت الابل اذا تاخرت عن العشاء ومن هذا
سميت صلاة العتمة لانها آخر الوقت في العشاء ✤ وقوله ام ربع يعني الناقة وهو تاخير حلبها
يريد ان بقاءه بمقدار ما تحلب ناقة لها ولد ولدته في اول الربيع وهو اول النتاج والولد
في هذا الوقت يسمى ربعا اذا كان ذكرا فان كان انثى قيل ربعة وان كان في آخر النتاج قيل هبع
للذكر والانثى هبعة ✤ وقوله عشاء خلفات قعس فالخلفات اللواتي قد استبان حملهن واحدتها خلفة
ومثل واحدة المخاض ولا واحد للمخاض من لفظها وانما قال عشاء خلفات لانها لا تعشى الى ان يغيب
القمر في هذه الليلة والقعساء الداخلة الظهر الخارجة البطن ✤ وقوله سمر وبث يريد انه لا
يبقى الا بمقدار ما يسمر الانسان ثم يبيت ✤ وقوله قمر اضحيان اي بارز ضاح ويقال قمر اضحيان
بالتنوين فيهما جميعا وقمر اضحيان بالاضافة ومنه قيل لليلة اضحيانة اذا كانت نقية البياض ✤
وقوله منقطع الشسع اراد انه يبقى بقدر ما يبقى شسع من قد يمشي به حتى ينقطع ✤ وقوله
يلتقط في الجزع اي انه مضيء اي لو انقطعت مخنقة فتاة فيها شذور مفصلة بجزع ما
ضاع منها شيء لضيائه ونقائه ✤ وقوله اضيء بالبهرة يعني به وسط الليل لان بهرة الشيء وسطه

وقوله امكنت المقتفر القفرة فالمقتفر الذي يتبع الآثار ومقتفرانه مواضعه التي يقصدها ❊

مجلس آخر سابع

ان سال سائل عن قوله تعالى

ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى واضل سبيلا فقال كيف يجوز ان يكونوا في الآخرة عميا

وقد تظاهر الخبر عن الرسول عليه السلام بان الخلق يحشرون كما بدئوا سالمين من الآفات والعاهات في

قال الله تعالى كما بدانا اول خلق نعيده وقال عز وجل فبصرك اليوم حديد الجواب يقال

له في هذه الآية اربعة اجوبة احدها ان يكون العمى الاول انما هو عن تامل الآيات والنظر في

الدلالات والعبر التي اراها الله تعالى المكلفين في انفسهم وفيما يشاهدون ويكون العمى الثاني هو

عن الايمان بالآخرة والاقرار بما يجازى به المكلفون فيها من ثواب او عقاب وقد قال قوم ان الآية

متعلقة بما قبلها من قوله تعالى ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله الى قوله تعالى

ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن

خلقنا تفضيلا ثم قال تعالى بعد ذلك ومن كان في هذه اعمى يعني عن هذه النعم وعن هذه العبر فهو

في الآخرة اعمى اي هو عما غيب عنه من امر الآخرة اعمى ويكون قوله في هذه كناية عن النعم لا عن

الدنيا ويقال ان ابن عباس رحمه الله ساله سائل عن هذه الآية فقال له اتل ما قبلها وتمم على

التاويل الذي ذكرناه ❊ والجواب الثاني من كان في هذه يعني الدنيا اعمى عن الايمان

بالله والمعرفة بما اوجب عليه المعرفة به فهو في الآخرة اعمى عن الجنة والثواب بمعنى انه لا يهتدي

الى طريقهما ولا يوصل اليهما او عن الحجة اذا سوئل ووقف ومعلوم ان من ضل عن معرفة الله تعالى

والايمان به يكون في القيامة منقطع الحجة مفقود المعاذير ❊ والجواب الثالث ان يكون

العمى الاول عن المعرفة والايمان والثاني بمعنى المبالغة في الاخبار عن عظم ما يناله هؤلاء الكفار من

الخوف والهم والحزن الذي نفاه الله تعالى عن المؤمنين العارفين بقوله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون

ومن عادة العرب ان يسمي من اشتد همه وقوي حزنه بانه اعمى سخين العين ويصفون المسرور بانه

وقال تعالى كما بداكم تعودون

عظم ما

قرير العين قال الله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون ❊ و

الجواب الرابع ان العمى الاول عن الايمان والثاني هو الآفة في العين على سبيل العقوبة

كما قال الله تعالى ونحشره يوم القيمة اعمى قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك اتتك

آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ❊ ومن يجيب بهذا الجواب يتاول قوله تعالى كما بدانا اول خلق

نعيده على ان المعنى فيه الاخبار عن الاقتدار وعدم المشقة في الاعادة كما انها معدومة في الابتداء

ويجعل ذلك نظيرا لقوله تعالى وهو الذي يبدؤ الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه ويتاول قوله

تعالى فبصرك اليوم حديد على ان معناه الاخبار عن قوة المعرفة وان الجاهل بالله تعالى في الدنيا

يكون عارفا به في الآخرة والعرب تقول فلان بصير بهذا الامر وثبت البصر بكذا من غير ان يريدون

ابصار العين بل العلم والمعرفة ويشهد بهذا التاويل قوله تعالى لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا

عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد اي كنت غافلا عما انت الآن عارف به فلما كشفنا عنك الغطاء

بان اعلمناك ونعلنا في قلبك المعرفة عرفت وعلمت ❊ فاما الخبر الذي تدعى روايته فهو

خبر واحد ولا حجة في مثله واذا عرف لفظه ربما امكن تاويله على ما يطابق هذا الجواب

ومن ذهب الى الاجوبة الاولى يجعل العمى الاول والثاني معا غير الآفة في العين فان عورض بقوله

تعالى ونحشره يوم القيمة اعمى تاوله على العمى عن الثواب او عن الحجة وقال في قوله تعالى لم حشرتني

اعمى وقد كنت بصيرا ان معناه كنت بصيرا في اعتقادي وظني من حيث كنت ارجو الهداية الى

الثواب وطريق الجنة والمحصل من هذه الجملة انه لا يجوز ان يراد بالعمى الثاني والاول جميعا الآفة

في العين لانه يؤدي الى ان كل من كان مؤوف البصر في الدنيا من مؤمن وكافر وطائع وعاص يكون

كذلك في الآخرة وهذا باطل ومثله يبطل ان يراد بلفظة اعمى الثانية المبالغة بمعنى افعل

من فلان ❊ ويبطله ايضا ان العمى الذي هو الخلقة لا يتعجب منه بلفظة افعل وانما يقال ما

اشد عماه ولا يجوز ان يراد بالعمى الاول عمى العين والثاني العمى عن الثواب والجنة او الحجة لانا

يكون

نعلم أن من عميت عينه في الدنيا من يستحق الثواب ويوصل إليه ولا يجوز أن يراد بالأول والثاني
العمى عن المعرفة والإيمان لأنه لا يتأتى فيه المبالغة والتعجب ولا على غير ذلك لأنا نعلم أن الجهال بالله تعالى
المعرضين في الدنيا عن معرفته لا يجوز أن يكونوا في الآخرة كذلك فضلا عن أن يكونوا على أبلغ من هذه الحال
لأن المعارف في الآخرة ضرورية يشترك فيها جميع الناس فلم يبق بعد الذي أبطلناه إلا ما ذكرناه في الأجوبة
وعلى الأجوبة الثلاثة الأول إذا أريد بأعمى الثانية المبالغة والتعجب كان في موضعه لأن عمى القلب
مما يصح أن يتعجب منه بلفظة أفعل وإن لم يجز ذلك في عمى الجارحة ولمن أجاب بالجواب الرابع أن لا يجعل
قوله تعالى فهو في الآخرة أعمى لفظ تعجب بل يجعله إخبارا عن عماه من غير تعجب وإن عطف عليه
بقوله تعالى وأضل سبيلا ويكون تقدير الكلام ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وهو أضل
سبيلا. فإن قيل ولم أنكرتم التعجب من الخلق بلفظة أفعل قلنا قد قال النحويون في
ذلك إن الألوان والعيوب لا يتعجب منها بلفظ التعجب وإنما يعدل فيها إلى أشد وأظهر وما جرى
مجراهما لأن الألوان والعيوب قد صارت كالأسماء وصارت خلقة كاليد والرجل ونحو ذلك فلا
يقال ما أسوده وما أعوره كما لا يقال ما أيداه وأرجله ويقال ما أشد سواده كما يقال ما أشد
يده ورجله واعتلوا بعلة أخرى فقالوا إن الفعل من الألوان والعيوب على أفعلّ وافعالّ مثل احمرّ
واعورّ واحولّ واحوالّ والتعجب لا يدخل فيما زاد على ثلاثة أحرف من الأفعال ألا ترى أنه لا يدخل
على انطلق واستخرج ودحرج لزيادته على ثلاثة أحرف. فإن قيل فقد قالوا عورت عينه و لهم
حولت قالوا هذا منقول من افعلّ وهو في الحكم زائد على ثلاثة أحرف يدل على ذلك صحة الواو فيه
كما صحت في اسودّ وابيضّ ولولا أنه منقول لأعلّت الواو وقلبت عارت وحالت كما قيل خاف و
هاب وحكي عن الفراء في ذلك جوابان أحدهما أن أفعل في التعجب يبدو زيادة على وصف قبله
إذا قال القائل أفضل وأجمل فهو زائد في الوصف من جميل وفاضل فلم يقولوا ما أبيض زيدا لأن
يسقط التزيد ولا يكون قبل أبيض وصف يزاد أبيض عليه يخالف لفظه كما خالف أفضل وأجمل

فيه صح

فاضلا وجميلا فلما قالوا في أبيض وأحمر علم التزيد أدخلوا عليه ما يبين الزيادة به فقالوا ما أشد
أظهر حمرة زيد وما أشد سواد عمرو ولأن أظهر يزيد على ظاهر وأشد يزيد على شديد والجواب
الآخر أن التعجب مبني على زيادة تصلح أن يتقدمها نقص وتقصير عن بلوغ التناهي فقالوا تصلح
ما أعلم زيدا ليدلوا على زيادة علمه لأنهم في قولهم عالم وعليم لم يبلغوا في التناهي مبلغ أعلم ولم
يقولوا ما أبيض زيدا لأن البياض لا يأتي منه زيادة بعد نقص فعدلوا إلى التعجب بأشد وأبين وما
جرى مجراهما وهذا الجواب ليس بسديد لأن الألوان قد يتأتى فيها الزيادة بعد نقص وقد يدخل فيه التفا ضل فيها المفاضلة
ألا ترى أن ما حلته قليل أجزاء البياض يكون أنقص حالا في البياض مما حلته الكثير من الأجزاء. و
الجواب الأول الذي حكيناه عن الفراء أصوب وإن كان ما قدمناه عن البصريين هو المعتمد
وقد أنشد بعضهم معترضا على ما ذكرناه قول الشاعر

يا ليتني مثلك في البياض ... أبيض من أخت بني إباض (اسم رجل)

وأنشد أيضا قول الشاعر

أما الملوك فأنت اليوم ألأمهم ... لؤما وأبيضهم سربال طباخ

فأما البيت الأول فإن أبا العباس المبرد حمله على الشذوذ وقال إن الشاذ النادر لا يطعن به
في المعول عليه والمتفق على صحته ويجوز أن يقال أيضا في البيت الثاني مثل ذلك. وقد قيل
في البيت الثاني إن أبيض فيه ليس هو الذي للمفاضلة وإنما هو أفعل الذي مؤنثه فعلاء كقولك
أبيض وبيضاء ويجري ذلك مجرى قولهم هو حسن القوم وجها وشر بقيتهم خلقا فكأن الشاعر قال
ومبيضهم فلما أضافه انتصب ما بعده لتمام الاسم وهذا أحسن من حمله على الشذوذ ويمكن فيه وجه
آخر وهو أن أبيض في البيت وإن كان في الظاهر عبارة عن اللون فهو في المعنى كناية عن اللؤم والبخل
فحمل لفظ التعجب على المعنى دون اللفظ ولو أنه أراد بأبيضهم بياض الثوب ونقاءه بغير على
الحقيقة لما جاز أن يتعجب بلفظة أفعل فالذي حسن تعجبه بهذه اللفظة ما ذكرناه فأما قول المتنبي

إبعد بعدت بياضًا لا بياض له ... لأنت أسود في عيني من الظلم

فقد قيل فيه أن قوله لأنت أسود في عيني كلام تام ثم قال من الظلم أي من جملة الظلم كما يقال حرٌّ
من الأحرار ولئيم من اللئام أي من جملتهم وقال الشاعر

وأبيض من ماء الحديد كأنه ... شهاب بدا والليل داج عساكره

كأنه قال وأبيض
كائن من ماء الحديد وقوله من ماء الحديد وصف لأبيض وليس متصلا به كاتصال من بأفعل في قولك هو أفضل
من زيد ولفظة من في بيت المتنبي من قوله من الظلم موضع لأنها وصف لأسود وإذا أريد المفاضلة و
التعجب كانت منصوبة الموضع بأسود كما يقول زيد خير منك فمنك في موضع نصب بخير كأنه قال قد
جاوزك بخيره أي فضلك في الخير وهذا التأويل المذكور في بيت المتنبي يمكن أن يقال في قول الشاعر
أبيض من أخت بني إباض ويحمل على أنه أراد من جملتها ومن قومها ولم يرد التعجب وما قوله على
هذا الوجه أولى من حمله على الشذوذ فأما قول المتنبي ابعد بعدت بياضا لا بياض له فالمعنى الظاهر
فيه للناس أنه أراد لا اصطباغ له ولا نور ولا إشراق من حيث كان حلوله مخبرا بانقضاء الأجل
وهذا لعمري معنى ظاهر إلا أنه يمكن فيه معنى آخر وهو أن يريد أنك بياض لا لون بعدك وإنما سوغ ذلك
له أن البياض هو الآتي بعد السواد فلما نفى أن يكون للشيب بياض كان نفيا لأن يكون بعده لون
وقد اختلف القراء في فتح الميم وكسرها من قوله ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى
فقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر بفتح الميمين معا وقرأ عاصم في رواية أبي بكر وحمزة والكسائي
بكسر الميم فيهما معا وفي رواية حفص لا يكسرهما وكسر أبو عمرو الأولى وفتح الآخرة ولكل وجه
أما من ترك إمالة الجميع فإن قوله حسن لأن كثيرا من العرب لا يميلون هذه الفتحة ومن أمال
الجميع فوجه قوله أن ينحو بالألف نحو الياء ليعلم أنها تنقلب إلى الياء وأما قراءة أبي عمرو وإمالته
الأولى وفتح الثانية فوجه قوله أنه جعل الثانية أفعل من كذا مثل أفضل من فلان وإذا جعلها كذلك

لم تقع الألف في آخر الكلمة لأن آخرها إنما هو من كذا وإنما تحسن الإمالة في الأواخر وقد حذف
من أفعل الذي هو للتفضيل الجار والمجرور جميعا وهما مرادان في المعنى مع الحذف وذلك نحو قوله تعالى
فإنه يعلم السر وأخفى المعنى وأخفى من السر فكذلك قوله تعالى فهو في الآخرة أعمى أي أعمى منه في
الدنيا وأعمى من غيره ويقوي هذه الطريقة ما عطف عليه من قوله تعالى وأضل سبيلا فكما أن من
لا يكون إلا على أفعل من كذا فكذلك المعطوف عليه **تأويل خبر** روى
أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال تقيء الأرض أفلاذ كبدها مثل الأسطوان من الذهب
والفضة فيجيء القاتل فيقول في مثل هذا قتلت ويجيء القاطع للرحم فيقول في مثل هذا قطعت رحمي
ويجيء السارق فيقول في مثل هذا قطعت يدي ثم يتركونه لا يأخذون منه شيئا معنى تقيء أي تخرج
ما فيها من الذهب والفضة وذلك من علامات قرب الساعة وقوله تقيء تشبيه واستعارة من حيث
كان إخراجا وإظهارا وكذلك تسميته ما في الأرض من الكنوز تشبيها بالكبد التي في بطن البعير وغيره
وللعرب في هذا مذهب معروف قال مرة بن محكان السعدي يصف قدرا نصبها للأضياف

لها أزيز يزيل اللحم أزمله ... عن العظام إذا ما استحمشت غضبا
ترمي الصلاة بنبل غير طائشة ... وفقا إذا آنست من تحتها لهبا

فوصفها بالغضب تشبيها واستعارة فأما الأزيز فهو الغليان والعرب تقول للجوف أزيز مثل أزيز
المرجل والأزمل الصوت واستحمشت أي غضبت يقال أحمشته أي أغضبته وقال النابغة
الجعدي في معنى الاستعارة

سألتني عن أناس هلكوا ... شرب الدهر عليهم وأكل

فوصف الدهر بالشرب والأكل تشبيها واستعارة وقال قوم معنى البيت شرب أهل الدهر بعدهم
وأكلوا. واختلف أهل اللغة في الأفلاذ فقال يعقوب بن السكيت الفلذ لا يكون إلا للبعير وهو
قطعة من كبده ولا يقال فلذ الشاة ولا فلذ البقرة ويقال أعطني فلذة من الكبد قال أعشى باهلة

كذا

تكفيه حزة فلذ إن ألمّ بها   من الشواء ويروي شربه الغمر

والغمر القدح الصغير. وقال يعقوب ولا يقال أعطني حزة من سنام ولا لحم وإنما الحزة في الكبد خاصة فإذا أراد ذلك من السنام واللحم قالوا أعطني حزبة من لحم وفلقة من سنام. قال الطوسي عن أبي عبيد عن الأصمعي قال يقال أعطني حزبة من لحم وحزة من لحم إذا كانت مقطوعة طولاً فإذا كانت مجتمعة قلت أعطني بضعة من لحم وهبرة من لحم ووذرة. ومثل هذا الحرف قوله تعالى وأخرجت الأرض أثقالها معناه أخرجت ما فيها من الكنوز وقال قوم عنى به الموتى وإنما أخرجت موتاها فسمى الله تعالى الموتى ثقلاً تشبيهاً بالحمل الذي يكون في البطن لأن الحمل يسمى ثقلاً قال الله تعالى فلما أثقلت دعوا الله ربهما والعرب تقول إن للسيد الشجاع ثقلاً على الأرض فإذا مات سقط عنها بموته ثقل قالت الخنساء ترثي أخاها صخراً

أبعد ابن عمرو من آل الشريد   حلت به الأرض أثقالها

معناه أنه لما مات حل عنها بموته ثقل لسؤدده وشرفه وقال قوم معنى حلت زينت موتاها به وهو مأخوذ من الحلية وقال الشمردل اليربوعي يرثي أخاه

وحلت به أثقالها الأرض وانتهى   لمثواه منها وهو عف شمائله

وروى هشام بن المنذر قال قال زهير بن أبي سلمى المزني بيتاً ثم أكدى فمر به النابغة الذبياني فقال له يا أبا أمامة أجز قال ماذا قال

تزال الأرض إما مت خفاً   وتحيا ما حييت بها ثقيلا
نزلت بمستقر العز منها

فماذا قال فأكدى والله النابغة وأقبل كعب بن زهير وهو غلام فقال له أبوه أجز يا بني قال وماذا فأنشده البيت الأول من الثاني نزلت بمستقر العز منها فقال كعب

فتمنع جانبيها أن يزولا

فقال زهير أنت والله ابني. وإنما خص الكبد من بين ما يشتمل عليه البطن لأنه من أطايب الجزور والعرب تقول أطايب الجزور السنام والملحاء والكبد. قال فقرأت الله رحمه إني لأستحسن قول الخنساء وقد قيل لها ما مدحت أخاك حتى هجوت أباك فقالت

جارى أباه فأقبلا وهما   يتعاوران ملاءة الحضر

حتى إذا نزت القلوب وقد   لزت هناك العذر بالعذر
وعلا هتاف الناس أيهما   قال المجيب هناك لا أدري
برزت صفيحة وجه والده   ومضى على غلوائه يجري
أولى فأولى أن يساويه   لولا جلال السن والكبر
وهما كأنهما وقد برزا   صقران قد حطا إلى وكر

ويقال إنه قيل لأبي عبيدة ليست هذه الأبيات في مجموع شعر الخنساء فقال أبو عبيدة العامة أسقط من أن يجاد عليها بمثل ذلك ولعمري إنها قد بلغت في مدح أخيها من غير أن زرت على أبيها النهاية لأنها جعلته يتقدم أبيه لدعوى قدرة منه على المساواة وعن غير تقصير منه وأنه أفرج له عن السبق معرفة بحقه وتسليماً لكبره وسنه. وكأن الخنساء نظرت في هذا المعنى إلى قول زهير

فتسح بها الأماعز وهي تهوي   هوي الدلو أسلمها الرشاء
فليس لحاقه كلحاق إلف   ولا كنجائها منه نجاء
يقدمه إذا اجتهدت عليها   تمام السن منه والذكاء

ويشبه أن يكون الكميت أخذ من الخنساء قوله في مخلد بن يزيد بن المهلب

ما إن أرى كأبيك أدرك شأوه   أحد ومثلك طالباً لم يلحق
هيجان بان له فضيلة سنه   وتلوت بعد مصلياً لم تسبق
إن تلق عادة فضيلة سبقه   فبمثل شأو أبيك لم تتعلق
ولئن لحقت به على ما قد مضى   من بعد غايته فأحج وأخلق

ويشبه هذا المعنى قول المؤمل بن أميل الكوفي المحاربي يمدح المهدي في حياة المنصور

لئن فت الملوك وقد توافوا   إليك من السهولة والوعور
لقد فات الملوك أبوك حتى   بقوا من بين كاب أو حسير
وجئت وراءه تجري حثيثاً   وما بك حين تجري من فتور

فقال الناس ما هذين الا بمنزلة الخليق من الجدير ... فان سبق الكبير فاهل سبق له فضل الكبير على الصغير
وان بلغ الصغير مدى كبير فقد خلق الصغير من الكبير ... ومن هذا المعنى قول الشاعر
جيادٌ جرين في حلبة فتفاضلت على قدر الاسنان والعرق واحد
ومما له بهذا المعنى بعض التشبه وان لم يذكر فيه السن وتفضيل الكبير قول زهير
هو الجواد فان يلحق بشاوهما على تكاليفه فمثله لحقا
او يسبقاه على ما كان من مهل فمثل ما قدما من صالح سبقا
ويروى انه عرضت على جعفر بن يحيى البرمكي جارية شاعرة فاراد ان يبلوها فقال لها قولي في معنى بيتي زهير اللذين ذكرناهما فقالت
بلغت او كدت يحيى او لحقت به فمثلما خالدا في شاو مستبق
لكن مضى ومثلا يحيى وانت له تال تعلقت دون التركض بالعنق
ومن حسن ما قيل في المساواة والمقاربة وهو داخل في هذا المعنى مناسب له قول عباد بن شبل
اذا اخترت من قوم خيار خيارهم فكل بني عبد المدان خيار
جروا بعنان واحد فضل بينهم بان قيل فاتت العذار عذار ... وقول الكميت
مصلى ابوه له سابق بان قيل فات العذار العذارا ... ومثله قول العتابي
وهو مليح جدا ... كانما فرسا جرد في اعنتها سبقا بآذانها مرا او بالعذر
واول من سبق الى هذا المعنى زهير في قوله يصف مطاردة البازي للقطاة ومقاربته لها
دون السماء وفوق الارض قدرهما عند الذنابى فلا فوت ولا درك
وقد لحظ ابو نواس هذا المعنى في قوله يمدح الفضل بن الربيع ويذكر مقاربته لابيه في الفضل والسودد
ثم جرى الفضل فانثنى قدما دون مداه من غير مرهق
فقيل اذ شاهداهما يردا الغاية والنصل سابق الفوق

ويشاكل ذلك قول البحتري في ابن ابي سعيد الثغري
جدٌّ كجد ابي سعيد انه ترك السماك كانه لم يشرف
قاسمته اخلاقه وهي الردى للمعتدي وهي الندى للمعتفي
فاذا جرى من غاية وجريت من اخرى التقى شاواكما في المنصف ... ويشبهه ايضا قوله
واذا رايت شمائل ابني صاعد ادت اليك شمائل ابني مخلد
كالفرقدين اذا تامل ناظر لم يعل موضع فرقد عن فرقد
فاما قول الخنساء يتعاوران ملاءة الحضر وهي تعني بالملاءة الغبار فان عدي بن الرقاع العاملي كانه نظر اليها في قوله يصف حمارا واتانا
يتعاوران من الغبار ملاءة بيضاء محكمة هما نسجاها
تطوى اذا وطئا مكانا جاسيا واذا السنابك اسهلت نشراها
وهذا المعنى وان كان هو معنى الخنساء بعينه فقد زاد في استيفائه عليها زيادة ظاهرة صار من اجلها بالمعنى احق منها وقد ابتدا بهذا المعنى رجل من بني عقيل فقال من قصيدة
يثيران من نسج الغبار عليهما قميصين اسمالا ويرتديان

مجلس آخر

تاويل آية ان سال سائل عن قوله تبارك وتعالى وجاءوا على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون فقال كيف وصفه الدم بانه كذب والكذب من صفات الاقوال لا من صفات الاجسام واي معنى لوصفه الصبر بانه جميل ومعلوم ان صبر يعقوب عليه السلم على فقد ابنه لا يكون الا جميلا ولم ارتفع الصبر وما المقتضي لرفعه الجواب يقال له اما كذب فمعناه مكذوب فيه وعليه مثل قولهم هذا ماء سكب وشراب صب ويريدون مسكوبا ومصبوبا ومثله ماء غور

ودجل صوته وامرأة نوّحة قال الشاعر   نظل جيادهم نوحا عليهم مقلّدةً أعنتها صفوفا   اراد نائحة

عليهم ومثلهما لفلان معقول أي يدرون ماله عقل وماله على هذا الأمر مجلود أي يدرون جلدا قال الشاعر

حتى إذا لم يتركوا لعظامه لحمًا ولا لفؤاده معقولا   وأنشد أبو العباس ثعلب

فَدُ والذي يمسك السماء بقدرته يبلغ العزاء وأدرك المجلود   وقال الفراء وغيره

يجوز في النحو بدم كذبًا بالنصب على المصدر لأن جاؤوا فيه معنى كذبوا كما قال تعالى والعاديات

ضبحا فنصب ضبحا على المصدر لأن العاديات بمعنى الضابحات وإنما كان دما مكذوبا فيه لأن إخوة

يوسف عليه السلام ذبحوا سخلة ولطخوا قميص يوسف عليه السلام بدمها وجاؤوا أباهم بالقميص

وادعوا أكل الذئب له فقال لهم يعقوب عليه السلام يا بني لقد كان هذا الذئب رفيقا حين أكل

ابني ولم يخرق قميصه قالوا بل قتله اللصوص قال كيف قتلوه وتركوا قميصه وهم إلى قميصه أحوج

منهم إلى قتله . وقد قيل إنه كان في قميص يوسف ثلث آيات حين قُدّ قميصه من دبر وحين ألقي

على وجه أبيه فارتد بصيرا وحين جاؤوا عليه بدم كذب فتنبه أبوه على أن الذئب لو أكله لخرق

قميصه . وأما وصف الصبر بأنه جميل فلأن الصبر قد يكون جميلا وغير جميل وإنما يكون جميلا

إذا قصد به وجه الله تعالى وفعل للوجه الذي وجب فلما كان في هذا الموضع واقعا على الوجه

المحمود صح وصفه بذلك وقد قيل إنه أراد صبرا لا شكوى فيه ولا جزع ولو لم يصفه بذلك لظن

مصاحبة الشكوى أو الجزع له فأما ارتفاع قوله تعالى فصبر جميل فقد قيل إن المعنى فشأني

صبر جميل والذي أعتقده صبر جميل وقال قطرب معناه فصبري صبر جميل وأنشدوا

شكا إليّ جملي طول السرى   يا جملي ليس إليّ المشتكى

الدرهمان كلفاني ما ترى   صبر جميل فكلانا مبتلى

معناه فليكن منك صبر جميل وقد روي أن في قراءة أبي فصبرا جميلا بالنصب وذلك يكون على

الإغراء والمعنى فاصبري يا نفس صبرا جميلا قال ذو الرمة

ألا إنما مية فصبرا بلية   وقد يبتلى الحر الكريم فيصبر   وقال الآخر

إلى الله أن تبغي الحي بشاشة   فصبرا على ما شاءه الله لي صبرا

تأويل خبر

في الحديث أن قيس بن عاصم قال أتيت رسول الله

فقال هذا سيد أهل الوبر فقلت يا رسول الله ما المال الذي ليست علي فيه تبعة من طالب و

لا ضيف فقال عليه السلام نعم المال أربعون والكثر ستون وويل لأصحاب المئين إلا من أعطى

الكريمة ومنح الغزيرة ونحر السمينة فأكل وأطعم القانع والمعتر وفي رواية أخرى إلا من أعطى

من رسلها وأطرق فحلها وأفقر ظهرها ومنح غزيرتها وأطعم القانع والمعتر فقلت يا رسول

الله ما أكرم هذه الأخلاق وأحسنها إنه لا يحل بالوادي الذي فيه إبلي من كثرتها فقال فكيف

تصنع في العطية قلت إني لأمنح المائة قال فكيف تصنع في الطروقة فقلت يغدو الناس بإبلهم

فلا يوزع رجل عن جمل يختطمه فيمسكه ما بدا له حتى يكون هو الذي يرده وفي الرواية الأخرى

قال فكيف تصنع في الإطراق قلت يغدو الناس فمن شاء أن يأخذ برأس بعير ذهب به قال فكيف

تصنع في الإفقار قلت إني لأفقر الناب المدبرة والضرع الصغيرة قال فكيف تصنع في المنيحة

قلت إني لأمنح في السنة المائة قال فمالك أحب إليك أم مال مواليك قلت لا بل مالي قال فإن

ما لك ما أكلت فأفنيت وأعطيت فأمضيت وفي الرواية الأخرى أو لبست فأبليت وسائره لمواليك

قلت لا جرم والله لئن رجعت لأقلن عددها فلما حضره الموت جمع بنيه فقال يا بني خذوا عني

فإنكم لن تأخذوا عن أحد هو أنصح لكم مني لا تنوحوا علي فإن رسول الله صلى الله عليه وآله لم ينح عليه

وقد سمعته ينهى عن النياحة وكفنوني في ثيابي التي كنت أصلي فيها وسودوا أكابركم فإنكم

إذا سودتم أكابركم لم يزل لأبيكم فيكم خليفة وإذا سودتم أصاغركم هان أكابركم على الناس و

نسخة العظيمة تعطى الطروقة

فامضيت

احش

زهدوا فيكم واصلحوا من عيشكم فان فيه غنى عن طلب الى الناس واياكم والمسالة فانها آخر كسب المرء واذا دفنموني فالحقوا فبري عن بكر بن وائل فقد كانت بيننا خماشات في الجاهلية فلا آمن سفيها منهم ان ياتي امرا يدخل عليكم عيبا في ابيكم ❁ اما قوله صلى الله عليه وآله الكثر شيئون فمعناه الكثير تقول العرب نسال الله الكثر ونعوذ به من القل اي نساله الكثير ونعوذ به من القليل قال الشاعر

فان الكثر اعياني قديما ولم اقتر لدن اني غلام

وقال الآخر

وقد يقصر القل الفتى دون همه وقد كان لولا القل طلاع انجد

والكرمة يعني بها كرائم ماله وامنح الغزيرة اي اعطها من يحلبها ويردها ومن ذلك الحديث العارية مؤداة والمنحة مردودة والدين مقضي والزعيم غارم ❁ فالمنحة الناقة او الشاة يدفعها الرجل الى من يحلبها وينتفع بلبنها ثم يردها عليه والزعيم الكفيل ويقال له ايضا القبيل والصبير والحميل ومنه قوله تعالى وانا به زعيم وقال الشاعر

فلست بآمرٍ فيها بسلم ولكني على نفسي زعيم

وقال الآخر

فلت كفي لك رهن بالرضا فازعمي يا هند قالت قد وجب

معناه اكفلي وبردي فاقبلي من القبيل الذي هو الكفيل ايضا وقال الفراء القانع هو الذي يانك فيشا لك فان اعطيته قبل والمعتر الذي يجلس عند الذبيحة ويمسك عن السوال كانه يعرض بالمسالة ولا يصرح بها يقال قنع الرجل قناعة اذا رضي وقنع قنوعا اذا سال ❁ فاما قوله لا جرم فقال قوم معنى جرم كسب وقالوا في معنى قوله تعالى لا جرم ان لهم النار ان لا رد على الكفار ثم ابتدا فقال جرم ان لهم النار بمعنى كسب قولهم ان لهم النار وقال الشاعر

نصبنا راسه في راس جذع بما جرمت يداه وما اعتدينا

اي بما كسبت وقال آخرون معنى جرم حق وتاولوا الآية بمعنى حق قولهم ان لهم النار وانشد

ولقد طعنت ابا عيينة طعنة جرمت فزارة بعدها ان يغضبوا

اراد حققت فزارة وروى الفراء فزارة بالنصب على معنى كسبت الطعنة فزارة الغضب وقال الفراء لا جرم في الاصل مثل لا بد ولا محالة ثم استعملته العرب في معنى حقا وجاءت فيه بجواب الايمان فقالوا لا جرم لا قومن كما قالوا والله لا قومن وفيها لغات يقال لا جرم ولا جرم بضم الجيم وتسكين الراء ولا جر بحذف الميم ولا ذا جرم قال الشاعر

ان كلابا والدي لا ذا جرم لاهدرن اليوم هدرا في النعم

هدر المعنى ذي الشقاشيق اللهم والناب الناقة الهرمة وجمعها نيب ومثلها الشارف قال الشاعر

لا افتاء الدهر ابكيهم باربعة ما اجترت النيب او حنت الى بلد

ويقال للبعير اذا كبر ايضا عود وللانثى عودة قال الشاعر

عود على عود من القدم الاول يموت بالترك ويحيا بالعمل

وهذا من ابيات المعاني ومعناه بعير عود على طريق متقادم وسمي الطريق بانه عود لتقادمه تشبيها بالبعير وقوله يموت بالترك ويحيا بالعمل اراد انه اذا سلك وطرق ظهرت اعلامه ووضحت طرقه فاهتدى سالكه لسلوكه ولم يضل عن قصده فكان هذا كالحياة له واذا لم يسلك طمست آثاره وامحت معالمه فلم يهتد فيه راكب لقصد وكان ذلك كالموت له ❁ فاما الخماشات فهي الجنايات والجراحات قال ذو الرمة يذكر الحمار والاتن

رباع لها مذ اورق العود عنده خماشات ذحل ما يراد امتثالها

يريد بقوله ما يراد امتثالها اي ما يراد اقتصاصها يقال امثلني من هذا الرجل واقصني منه واقدني منه بمعنى واحد ❁ فاما قوله لا يورع رجل اي لا يحبس ولا يمنع يقال ورعت الرجل تورعا اذا منعته وكففته والورع هو المتحرج المانع نفسه مما تنزع اليه يقال ورع ورعا ورعة قال لبيد

أكل يوم هامتي مقزعة لا يمنع الفتيان من حسن الرعة

وبقال ما ورع أن فعل كذا وكذا اي ما كذب فاما الورع بالفتح فهو الجبان . واما الطروقة فهي
التي قد حان لها ان تطرق ومثل الحقة وقوله في الرواية الأخرى الا من اعطى من رسلها فالرسل
اللبن والإفقار هو أن يركبها الناس ويحملهم على ظهورها مأخوذ من فقار الظهر والاطراق الفحول
هو ان يبذلها لمن ينزي بها على اناث ابله وذكر الاطراق في هذه الرواية احب الي من الطروقة
لانه قد تقدم من قوله انه يعطي الناب والبكر والضرع والمائة فلا معنى لاعادة ذكر الطروقة
وقوله في الجواب تعدوا الناس فلا يبوزع رجل عن جمل يختطمه فيمسكه فان له ثم بردة لا تحمل
غير الاطراق ولا تليق بمعنى الطروقة . قال وكان قيس بن عاصم شريفا في قومه حليما ويكنى
ابا علي وكان الأحنف بن قيس يقول تعلمت الحلم من قيس بن عاصم اتي بقاتل ابنه فقال ذعرتم
الفتى واقبل عليه فقال يا بني لقد نقصت عددك واوهنت ركنك وفتت في عضدك واشمت
عدوك واسات بقومك خلوا سبيله وما حل حبوته ولا تغير لونه . وقال ابن الاعرابي قيل
لقيس بما ذا سدت قال بثلاث بذل الندى وكف الاذى ونصر المولى . وذكر المدائني قال كان
قيس بن عاصم يقول لبنيه اياكم والبغي فانه ما بغا قوم قط الا قلوا او ذلوا وكان الرجل من
بنيه يظلمه بعض قومه فينهى اخوته ان ينصروه وقيس بن عاصم هو الذي حفز الحوفزان بن شريك
الشيباني بطعنة في يوم جدود فسمي الحوفزان قال سوار بن حيان المنقري

ونحن حفزنا الحوفزان بطعنة ... سقته نجيعا من دم الجوف اشكلا
وحمران قسرا انزلته رماحنا ... فعالج غلا في ذراعيه مثقلا

وفي يوم جدود يقول قيس بن عاصم

جزى الله يربوعا باسوأ فعلها ... اذا ذكرت في النائبات امورها
ويوم جدود قد فضحتم ذماركم ... وسالمتم والخيل تدمى نحورها

ستحطم سعد والرباب انوفكم ... كما حز في انف القضيب جريرها

القضيب الناقة المقتضبة الصعبة

وفي قيس يقول عبدة بن الطبيب يرثيه

عليك سلام الله قيس بن عاصم ... ورحمته ما شاء ان يترحما
سلام امرئ جللته منك نعمة ... اذا زار عن شحط بلادك سلما
فما كان قيس هلكه هلك واحد ... ولكنه بنيان قوم تهدما

قال قدس الله روحه ذاكرني بعض الاصدقاء بقول ابي دهبل الجمحي وهو يعني ناقته

وابرزتها من بطن مكة بعدما ... اصات المنادي بالصلاة فاعتما

وسالني اجازة هذا البيت بابيات تنضم اليه واجعل الكناية فيه كانها كناية عن امراة لا عن ناقة فقلت في الحال

وطيب مسراها المقام وصوان ... باشرافها بين الحطيم وزمزما
فيا رب ان لقيت وجها تحية ... فحي وجوها بالمدينة سهما ٢
تجافين عن مس الدهان وطالما ... عصمن عن الحناء كفا ومعصما
وكم من جليد لا يخامره الهوى ... شنن عليه الوجد حتى تتيما
اهان لهن النفس وهي كريمة ... والقى اليهن الحديث المكتما
تسفهت لما ان مررت بدارها ... وعوجلت قبل الحلم ان اتحلما
فعجت تقري دارسا متنكرا ... تحيل معروفا عن النطق اعجما
ويوم وقفنا للوداع وكلنا ... يعد مطيع الشوق من كان احزما
نصرت بقلب لا يعنف في الهوى ... وعين متى استمطرتها قطرت دما

وكان ابو دهبل من شعراء قريش ممن رجع الى الطبع النجوبة واسمه وهب بن زمعة بن اسيد بن
احيحة بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح واسمه تيم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب

سهم تغير وجهه حسن وسهم غلب البصاحبة

سهم

وكان اسم جمح تيما واسم اخيه زيدا وهما ابنا عمرو بن هصيص فاستبقا الى غاية فقضي تيم عن
الغاية فقيل جمح تيم فسمي جمح ووقف عليها زيد فقيل سهم زيد فسمي سهما فاما كنيته فهو مشتقة من
من الدهبلة وهي المشي الثقيل يقال دهبل الرجل دهبلة اذا مشى مشيا ثقيلا ∴ اخبرنا
ابو عبد الله المرزباني قال حدثني محمد بن ابرهيم قال حدثنا احمد بن يحيى النحوي قال حدثنا عبد الله بن شبيب
قال قيل لابي عمرو بن العلاء ما يعجبك من شعر ابي دهبل الجمحي فقال قوله

٢ يا عمر حم فراقكم عمرا وعزمت منا النأي والهجرا
يا عمر شيخك وهو ذو شرف يرعى الذمار ويكره الهجرا
والله ما احببت حبكم لا ثيبا خلقت ولا بكرا
ان كان هذا السحر منك فلا ترعي على وجردي سحرا
اخزى بني اود كلفت بها حملت بلا ترة لنا وترا
وترى لها دلا اذا نطقت تركت بنات فؤاده صعرا
كتساقط الرطب الجني من الافنان لا نثرا ولا نزرا
ومغالة فيكم عركت لها جنبي اذ بدمها كلفي لعذرا
وممن يسركم عدلت به عما يحاول معذرا وعسرا
قالت يقيم لنا نجربه بين ما نخبر عندها شهرا
ما لي اقيم لحاجة عرضت الا ابلي فيكم عذرا
واذا هممت برحلة جزعت واذا اقمت لم تعد نفرا
اني لارضى ما رضيت به واري الحسن حسنكم شكرا

[illegible]

وروى ابو عمرو الشيباني لابي دهبل

٣٧

يا ليت من يمنع المعروف يمنعه حتى يذوق رجال غب ما صنعوا
وليت رزق رجال مثل نائلهم قوت كقوت ووسع كالذي وسعوا
ويروى ضيقا كضيق ووسعا كالذي اتسعوا
وليت للناس خطا في وجوههم تبين اخلاقهم فيه اذا اجتمعوا
وليت ذا الفحش لاقى فاحشا ابدا ووافق الحلم اهل الحلم فاتدعوا
ولابي دهبل في قتل الحسين بن علي بن ابي طالب صلوات الله عليهما
تبيت النشاوى من امية نوما وبالطف قتلى ما ينام حميمها
وما ضيع الاسلام الا عصابة تامر نوكاها ودام نعيمها
وصارت قناة الدين في كف ظالم اذا مال منها جانب لا يقيمها

ح وقال كبير
واخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثني محمد بن ابرهيم قال حدثنا احمد بن يحيى قال روى ابو عمرو
الشيباني لابي دهبل وقد يقال انها للمجنون ∴
الا ترك ليلى ليس بيني وبينها سوى ليلة اني اذا لصبور
هبوني امرءا منكم اضل بعيره له ذمة ان الذمام كبير
وللصاحب المتروك اعظم حرمة على صاحب من ان يضل بعير

صح ولبث
عفا الله عن ليلى الغداة فانها اذا احكمت حكما علي تجور
وروى ابو عمرو الشيباني لابي دهبل وقد رواه ابو تمام في الحماسة له ∴

نخ النشوة
اقول والركب قد مالت عمائمهم وقد سقى القوم كاس النعسة السهر

نخ طول الدهر
يا ليت اني باثوابي وراحلتي عبد لاهلك هذا الشهر مؤتجر
ان كان ذا قدرا يعطيك نافلة منا ويحرمنا ما انصف القدر

وأخبرنا المرزباني قال أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال مثل قول ابي دهبل

ولو تركونا لا هدى الله امرهم فلم يجمعوا الا امر الشر يشسع
لاوشك صرف الدهر تفريق بيننا ولا يستقيم الدهر والدهر اعوج

قول العجاج لرؤبة ابنه يشكوه لما استطال عمره وتمنى موته

لما رأى ان عشت اطرافي ... استعجل الدهر وفيه كافي
يخترم الالف عن الالاف ... قال ومثله

فقدت ابن عم لا يزال كانه وان لم اثره منطوٍ لي على وتر
يعين على الدهر والدهر مكتفٍ وان استعنه لا يعين على الدهر

قال قدس الله روحه ومثل البيت قول ابي احمد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر

الى كم يكون العتب في كل ساعة وكم لا تملين القطيعة والهجرا
رويدك ان الدهر فيه كفاية لتفريق ذات البين فانتظري الدهرا

مجلس آخر تاسع

ان سأل سائل فقال ما وجه التكرار في سورة الكافرين وما الذي حسن اعادة النفي لكونه عابدا ما يعبدون وكونهم عابدين ما يعبد وذكر ذلك مرة واحدة يغني وما وجه التكرار ايضا في سورة الرحمن لقوله فبأي آلاء ربكما تكذبان الجواب يقال له قد ذكر ابن قتيبة في معنى التكرار في سورة الكافرين وجها وهو ان قال القرآن لم ينزل دفعة واحدة وانما كان ينزل شيئا بعد شيء والامر في ذلك ظاهر فكان المشركين اتوا النبي صلى الله عليه وآله فقالوا له استلم بعض اصنامنا حتى نؤمن بك ونصدق بنبوتك فامره الله تعالى بان يقول لهم لا اعبد ما تعبدون ولا انتم عابدون ما اعبد ثم غبروا مدة من الزمان وجاؤه فقالوا له اعبد بعض آلهتنا واستلم بعض اصنامنا يوما او شهرا او حولا لنفعل مثل ذلك بالهك فامره تعالى بان

يقول لهم ولا انا عابد ما عبدتم ولا انتم عابدون ما اعبد اي ان كنتم لا تعبدون الهي الا بهذا الشرط فانكم لا تعبدونه ابدا وقد طعن بعض الناس على هذا التأويل بان قال انه يقتضي شرطا وحذفا لا يدل عليه ظاهر الكلام وهو ما شرطه في قوله ولا انتم عابدون ما اعبد قال واذا كان ما نفاه عن نفسه من عبادته ما يعبدون مطلقا غير مشروط فكذلك ما عطفه عليه وهذا الطعن غير صحيح لانه لا يمتنع اثبات شرط بدليل وان لم يكن في ظاهر الكلام ولا يمتنع عطف المشروط على المطلق بحسب قيام الدلالة وعن هذا السؤال ثلثة اجوبة كل واحد منها اوضح مما ذكره ابن قتيبة اولها ما حكي عن ابي العباس ثعلب انه قال انما حسن التكرار لان تحت كل لفظة معنى ليس هو تحت الاخرى وتلخيص الكلام قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون الساعة وفي هذه الحال ولا انتم عابدون ما اعبد في هذه الحال ايضا فاختص الفعلان حينئذ بالحال وقال فيما بعد ولا انا عابد ما عبدتم في المستقبل ولا انتم عابدون ما اعبد فيما تستقبلون فاختلفت المعاني وحسن التكرار لاختلافها ويجب ان تكون السورة على هذا مخصوصة بمن المعلوم من حاله انه لا يؤمن وقد ذكر مقاتل وغيره انها نزلت في ابي جهل والمستهزئين ولم يؤمن من الذين نزلت فيهم واحد والمستهزئون هم العاص بن وائل والوليد بن المغيرة والاسود بن المطلب والاسود بن عبد يغوث وعدي بن قيس والجواب الثاني هو جواب الفراء ان يكون التكرار للتاكيد كقول المجيب مؤكدا بلى بلى والممتنع مؤكدا لا لا ومثله قوله تعالى كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون وانشد الفراء

وكائن وكم عندي لهم من صنيعة ... أيادي ثنوها علي واوجبوا

وقال آخر

نعق الغراب ببين لبنى غدوة ... كم كم وكم بفراق لبنى ينعق

وقال الآخر

اردت لنفسي بعض الامور ... فاولى لنفسي اولى لها

كان محمد بن الحنفية عليه السلام اذا مات جار له يقول اولى لي يا محمد [illegible]

[illegible]

والجواب الثالث وهو اغنى بها انني لا اعبد الاصنام التي تعبدونها ولا انتم عابدون ما اعبد اي انتم
غير عابدين لله تعالى الذي انا عابده اذ اشركتم به واتخذتم الاصنام وغيرها معبودة من دونه او معه
وانما يكون عابدا له من اخلص العبادة دون غيره وافرده بها وقوله ولا انا عابد ما عبدتم اي لست اعبد
عبادتكم وما في قوله ما عبدتم في موضع المصدر كما قال تعالى والارض وما طحاها ونفس وما سواها اي وطحيه
اياها وتسويته لها وقوله تعالى ذلكم بما كنتم تفرحون في الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون اي بفرحكم و
مرحكم قال الشاعر

يا ربع سلامة بالمنحنى بخيف سلع جادك الوابل
ان تمس وحشا فبما قد ترى وانت معمور بها آهل

اي لامر وبنيك معمورا آهلا ومعنى قوله ولا انتم عابدون ما اعبد اي لستم عابدين عبادتي على نحو ما ذكرناه
ولم يتكرر الكلام الا لاختلاف المعنى وتلخيص ذلك ان النبي صلى الله عليه وآله قال للكفار لا اعبد آلهتكم
وما تدعون من دون الله ولا انتم عابدون الهي فان زعمتم انكم عابدون الهي فانتم كاذبون اذ كنتم من غير الجهة
التي امركم بها تعبدونه فانا لا اعبد مثل عبادتكم ولا انتم ما دمتم على ما انتم عليه تعبدون مثل عبادتي
فان قيل اما اختلاف المعبودين فلا شبهة فيه فما الوجه في اختلاف العبادة قلنا انه صلى الله عليه وآله
كان يعبد من يخلص له العبادة ولا يشرك به شيئا وهم يشركون فاختلفت عبادتاهما ولانه ايضا كان يتقرب
الى معبوده بالافعال الشرعية التي تقع على وجه العبادة وهم لا يفعلون تلك الافعال ويتقربون بافعال
غيرها يعتقدون جهلا انها عبادة وقربة. فان قيل فما معنى قوله تعالى لكم دينكم ولي دين وظاهر
هذا الكلام يقتضي اباحتهم المقام على اديانهم قلنا في هذه الآية ثلاثة اجوبة اولها ان
ظاهر الكلام وان كان ظاهره اباحة فهو وعيد ومبالغة في النهي والزجر كما قال تعالى اعملوا ما شئتم وثانيها
انه اراد جزاء دينكم ولي جزاء ديني وثالثها انه اراد لكم جزاؤكم ولي جزائي لان نفس الدين هو الجزاء
قال الشاعر

اذا ما لقونا لقيناهم ودناهم مثل ما يقرضونا

فاما التكرار في سورة الرحمن فانما حسن للتقرير بالنعم المختلفة المعدودة فكلما ذكر نعمة انعم بها
قرر عليها ووبخ على التكذيب بها كما يقول الرجل لغيره الم احسن اليك بان خولتك الاموال الم احسن
اليك بان خلصتك من المكاره الم احسن اليك بان فعلت بك كذا وكذا فيحسن منه التكرير لاختلاف ما
يقرره به وهذا كثير في كلام العرب واشعارهم قال مهلهل بن ربيعة يرثي اخاه كليبا

على ان ليس عدلا من كليب اذا طرد اليتيم عن الجزور
على ان ليس عدلا من كليب اذا ما ضيم جيران المجير
على ان ليس عدلا من كليب اذا رجف العضاه من الدبور
على ان ليس عدلا من كليب اذا خرجت مخبأة الخدور
على ان ليس عدلا من كليب اذا ما اعلنت نجوى الامور
على ان ليس عدلا من كليب اذا خيف المخوف من الثغور
على ان ليس عدلا من كليب غداة بلابل الامر الكبير
على ان ليس عدلا من كليب اذا ما خار جار المستجير

وقالت ليلى الاخيلية ترثي توبة بن الحمير

لنعم الفتى يا توب كنت اذا التقت صدور العوالي واستشال الاسافل
ونعم الفتى يا توب كنت ولم تكن لتسبق يوما كنت فيه تحاول
ونعم الفتى يا توب كنت لخائف اتاك لكي تحمي ونعم المجامل
ونعم الفتى يا توب جارا وصاحبا ونعم الفتى يا توب حين تناضل
لعمري لانت المرء ابكي لفقده بجد ولو لامت عليه العواذل
لعمري لانت المرء ابكي لفقده ولو لام فيه ناقص الراي جاهل

يعني ليس عدلا من كليب

بلابل اي شدائد

نخ فيما تحاول

نخ تناضل

لعمري لانت المرء ابكي لفقده اذا كثرت بالملجمين البلابل

الا لكل دم الناس يا ثوب كلما ذكرنا امور محكمات كوامل

الا لكل دم الناس يا ثوب كلما ذكرت سماح حين تاوي الارامل

فلا يبعدنك الله يا ثوب انما لقيت حمام الموت والموت عاجل

ولا يبعدنك الله يا ثوب انما كذاك المنايا عاجلات واجل

ولا يبعدنك الله يا ثوب والتقت عليك الغوادي المدجنات الهواطل

فخرجت في هذه الابيات من تكرار الى تكرار لاختلاف المعاني التي عددناها على نحو ما ذكرناه وقال الحرث بن عباد

قربا مربط النعامة مني لقحت حرب وائل عن حيال

ثم كرر قوله قربا مربط النعامة مني في ابيات كثيرة من القصيدة للمعنى الذي ذكرناه وقالت عمرة بنت النعمن بن بشير ترثي زوجها

وحدثني اصحابه ان مالكا اقام ونادى صحبه برحيل

وحدثني اصحابه ان مالكا ضروب بنصل السيف غير نكول

وحدثني اصحابه ان مالكا جواد بما في الرحل غير بخيل

وحدثني اصحابه ان مالكا خفيف على الحدثان غير ثقيل

وحدثني اصحابه ان مالكا ضروب بماضي الشفرتين صقيل

وهذا المعنى اكثر من ان نحصيه وهذا هو الجواب عن التكرار في سورة المرسلات بقوله تعالى ويل يومئذ للمكذبين فان قيل اذا كان الذي حسن التكرار في سورة الرحمن ما عدده من الآية و نعمه فقد عدد في جملة ذلك ما ليس بنعمة وهو قوله تعالى يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران وقوله هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن فكيف يحسن ان يقول بعقب هذا فباي آلاء ربكما تكذبان وليس هذا من الآلاء والنعم قلنا الوجه في ذلك ان فعل العقاب

وان لم يكن نعمة فذكره ووصفه والانذار به من اكبر النعم لان في ذلك زجرا عما يستحق به العقاب وبعثا على ما يستحق به الثواب وانما اشار بقوله تعالى فباي آلاء ربكما تكذبان بعد ذكر جهنم و العذاب فيهما الى نعمته بوصفها والانذار بعقابها وهذا الاشبهة في كونه نعمة قال سيدنا ادام الله علوه وكما انه كان في الجاهلية وقبل الاسلام وفي ابتدائه قوم يقولون بالدهر وينفون الصانع وآخرون مشركون يعبدون غيره ما لغيرهم ويستنزلون الرزق من غيره فهم الذين حكى الله تعالى عنهم في كتابه وضرب لهم الامثال وكرر عليهم البينات والاعلام فقد نشا بعد هولاء جماعة ممن يتستر باظهار الاسلام ويحقن باظهار شعاره والدخول في جملة اهله دمه وماله زنادقة ملحدون وكفار مشركون فمنهم من دعاه الى ذلك عن الاسلام عن المظاهرة والجاهم خوف القتل الى المساترة وبلية هولاء على الاسلام اعظم واغلظ لانهم يدغلون في الدين ويموهون على المستضعفين بجاش رابط وراي جامع فعل من قد امن الوحشة ووثق بالانسة فيما يظهر من لباس الدين الذي هو منه على الحقيقة عار وبانوابه عنه متوار كما يحكى ان عبد الكريم بن ابي العوجا قال لما قبض عليه محمد بن سليمان وهو والي الكوفة من قبل المنصور واحضره للقتل وايقن بمفارقة الحيوة لئن قتلتموني لقد وضعت في احاديثكم اربعة آلاف حديث مكذوبة مصنوعة والمشهورون من هولاء هم الوليد بن يزيد بن عبد الملك والحماد ون حماد الراوية وحماد بن الزبرقان وحماد عجرد وعبد الله بن المقفع وعبد الكريم بن ابي العوجاء وبشار بن برد ومطيع بن اياس ويحيى بن زياد الحارثي وصالح بن عبد القدوس الازدي وعلي بن الخليل الشيباني وغير هولاء ممن لم نذكرهم وهم وان كان عددهم كثيرا فقد اقلهم الله واذلهم بما شهرت به دلائله الواضحة وحججه اللائحة على عقولهم من الضعف وان ايمانهم من السخف ونحن نذكر من اخبار كل واحد ممن ذكرناه وتهمته في دينه نبذة ونومي فيها الى جمله والذي دعانا الى التشاغل بذلك وان كانت عنايتنا

ابنة عم للنعمن بن بشير

صروم كماضي

فمنهم

واهله

بغيره اقوى مسالة من يرى اجابته دون موافقته فتكلفناه له ومن اجله مع انه غير خال من
فائدة ينتفع علمها وبيان ادب رواتها وحفظها ❀ اما الوليد فكان مشهورا بالالحاد متظاهرا
بالعناد غير محتشم في اطراح الدين لحرا ولا مراقبا فيه بشرا وفي الحديث انه ولد لاخي ام سلمة
زوج النبي صلى الله عليه وآله غلام فسموه الوليد فقال النبي صلى الله عليه وآله سميتموه باسماء
فراعنتكم ليكونن في هذه الامة رجل يقال له الوليد لهو شر على هذه الامة من فرعون على قومه قال
الاوزاعي فسالت الزهري عنه فقال ان استخلف الوليد بن يزيد والا فهو الوليد بن عبد الملك
اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثني محمد بن ابرهيم قال حدثنا محمد بن يزيد النحوي قال كان
الوليد بن يزيد بن عبد الملك قد عزم ان يبني فوق البيت الحرام قبة يشرب عليها الخمور ويشرف على
الطواف فقال بعض الحجبة لقد رايت المجوسي البناء فوق الكعبة وهو يقدر مواضع اركان القبة
فلم يمس تلك الليلة حتى واتى الخبر بقتل الوليد ❀ واخبرنا المرزباني قال اخبرني عبد الله بن
يحيى العسكري عن ابي اسحق الطلحي قال اخبرنا احمد بن ابرهيم بن اسمعيل عن ابي العالية عن بعض
اهل العلم قال قال يزيد بن الوليد الملقب بالناقص لما ولي نشدت الله رجلا سمع شيئا من
الوليد الا اخبر به فقام ثور بن يزيد فقال اشهد لقد سمعته يقول

اسقياني وابن حرب واسترانا بازار ... وان كان من طلب الجنة يسعى في خسار
سأسوس الناس حتى يركبوا دين الحمار

واخبرنا المرزباني قال اخبرني احمد بن خالد
النحاس قال حدثنا محمد بن مكحول قال فتح الوليد بن يزيد يوما المصحف وكان خطه كانه اصابع و
جعل يرميه بالسهام وهو يقول

تذكرني الحساب ولست ادري ... احقا ما تقول من الحساب
فقل لله يمنعني طعامي ... وقل لله يمنعني شرابي

قال قدس الله روحه وعجبه من هذه الجراة على الله طويلا وما اقدر الله تعالى ان يمنعه طعامه و

(margin: ثم مراقب — وهو — وبلا)

(above line: اولاه اللعين)

وشرابه وحانه وما اولى اللعين باليم العقاب وشديد العذاب لولا ما تمم به المحنة وينتظم به
التكليف من تاخير المستحق من الثواب والعقاب وتبعيدهما من احوال الطاعات والمعاصي
اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثني احمد بن كامل قال كان الوليد بن يزيد زنديقا وانه فتح
المصحف يوما فراى فيه واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد فاتخذ المصحف غرضا ورماه بالنبل
حتى مزقه وهو يقول

اتوعد كل جبار عنيد ... فها انا ذاك جبار عنيد
فان لاقيت ربك يوم حشر ... فقل يا رب مزقني الوليد

فاما حماد الراوية فكان منهمكا في الدين زاريا على اهله مدمنا لشرب الخمور و
ارتكاب الفجور وقال عمرو بن بحر الجاحظ كان منقذ بن زياد الهلالي ومطيع بن اياس ويحيى بن
زياد وحفص بن ابي وردة وقاسم بن زنقطة وابن المقفع ويونس بن ابي فروة وحماد عجرد وعلي بن
الخليل وحماد بن ابي ليلى الراوية وحماد بن الزبرقان ووالبة بن الحباب وعمارة بن حمزة بن
ميمون ويزيد بن الفيض وجميل بن محفوظ المهلبي وبشار بن برد المرعث وابان اللاحقي يجتمعون
على الشراب وقول الشعر ويهجو بعضهم بعضا وكلهم كان متهما في دينه وعمل يونس بن ابي فروة
كتابا في مثالب الاسلام من عمه وصار به الى ملك الروم فاخذ به مالا وقال احمد بن يحيى النحوي
قال رجل يهجو حماد الراوية

نعم الفتى لو كان يعرف ربه ... ويقيم وقت صلاته حماد
بسطت مشافره الشمول فانفه ... مثل القدوم يسنها الحداد
وابيض من شرب المدامة وجهه ... فبياضه يوم الحساب سواد
لا يعجبنك بزه ولسانه ... ان المجوس يرى لها اسباد

وكان حماد الراوية مشهورا بالكذب في الرواية وعمل الشعر واضافته الى الشعراء المتقدمين
ودسه في اشعارهم حتى ان كثيرا من الرواة قالوا قد افسد حماد الشعر لانه كان رجلا يقدر

(margin: ثم زنقطة — ح بفستها)

في نيخ

على صنعته فيدرس كل رجل ما بيننا كل طريقته فاختلط لذلك الصحيح بالسقيم وهذا الفعل منه وان لم يكن دالاً على الالحاد فهو فسق وتهاون بالكذب في الرواية ❊ فاما حماد بن الزبرقان فهذه طريقته في التخرم والتهتك اخبرنا ابو الحسن علي بن محمد الكاتب قال اخبرنا ابن دريد قال اخبرنا الاشنانداني قال دعا حماد بن الزبرقان ابا الغول النهشلي الى منزله وكانا ينقادمان فاتهمه ابو الغول فلم يزل المفضل به حتى اجابه وانطلق معه فلما رجع الى المفضل قال ما صنعت انت وحماد قال اصطلحنا على ان لا يامرني بالصلاة ولا ادعوه الى شرب الخمر وانشد المفضل قوله

نعم الفتى لو كان يعرف ربه

وذكر الابيات التي تقدمت في الرواية الاولى منسوبة الى هجاء حماد الراوية ❊ فاما حماد عجرد فشهرته في الضلالة كشهرة الحماد بن وكان يرمى مع ذلك بالثنوية اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثني علي بن ابي عبد الله الفارسي قال اخبرني ابي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني علي بن عبد الله بن سعد قال حدثني المسرك بن الصباح الكوفي قال دخلت على بشار بالبصرة فقال لي يا ابا علي اما اني قد اوجعت صاحبكم وبلغت منه يعني حماد عجرد فقلت بماذا يا ابا معاذ قال بقولي فيه ❊

يا ابن نهيا راس على ثقيل واحتمال الراسين خطب جليل

فادع غيري الى عبادة ربين فاني بواحد مشغول

فقلت لم ادعه في عماه فقلت قد بلغ حماداً هذا الشعر وهو يرد به على خلاف هذا قال فما يقول قلت

فادع غيري الى عبادة ربين فاني عن واحد مشغول • قال فلما سمعه اطرق وقال احسن والله ابن الفاعلة ثم قال اني لا اخشيكم فلا تنشد احداً هذين البيتين وكان اذا سئل عنهما بعد ذلك قال انا اماني ❊ واخبرنا المرزباني قال حدثني علي بن هرون عن عمه يحيى بن علي عن عمر بن شبة قال حدثني خلاد الارقط قال قال بشار بلغني ان رجلاً كان يقرأ القران وحماد ينشد الشعر فاجتمع الناس على القارئ فقال حماد علام تجتمعون فوالله ما اقول احسن مما يقول فغلبه الناس على هذا

المتخرم الذي على دين الخرمية

ع تقدمت

ورُوي ابن شبة عن ابي عبيدة قال كان حماد عجرد يعير بشاراً ابا الفتح لانه كان عظيم الجسم مجدوراً طويلاً جاحظ العينين قد تغشاهما لحم احمر فلما قال حماد فيه

والله ما الخنزير في نتنه بربعه في النتن او خمسه

بل ريحه اطيب من ريحه ومسه الين من مسه

ووجهه احسن من وجهه ونفسه افضل من نفسه

وعوده اكرم من عوده وجنسه اكرم من جنسه

قال بشار ويلي على الزنديق لقد نفث بما في صدره قيل وكيف ذاك قال ما اراد الزنديق الا قول الله تعالى لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم فاخرج الجحود بها مخرج الهجاء وهذا اخبث من بشار وتغلغل شديد لطيف واول من جعل نفي الالحاد تاكيداً للوصف به واخرج ذلك مخرج المبالغة مساور الوراق في حماد عجرد فقال

لو ان ماني وديصاناً وعصبتهم جاءوا اليك لما قلناك زنديق

انت العبادة والتوحيد مذ خلقا وذا التزندق نيرنج مخاريق

فاما ابن المقفع فان جعفر بن سليمان روى عن المهدي انه قال ما وجدت كتاب زندقة قط الا واصله ابن المقفع وروى ابن شبة قال حدثني من سمع ابن المقفع وقد مر ببيت نار المجوس بعد ان اسلم فلمحه وتمثل

يا بيت عاتكة الذي اتعزل حذر العدى وبه الفؤاد موكل

اني لامنحك الصدود وانني قسماً اليك مع الصدود لاميل

البيتان للاحوص محمد

وروى احمد بن يحيى ثعلب قال قال ابن المقفع بن يحيى بن زياد وقال الاخفش والصحيح انه يرثي بها ابن ابي العوجاء

رزينا ابا عمرو ولا حي مثله فلله ريب الحادثات بمن وقع

فان تك قد فارقتنا وتركتنا ذوي خلة ما في انسداد لها طمع

لقد جر نفعاً فقدنا لك اننا امنا على كل الرزايا من الجزع

قال ثعلب البيت الاخير يدل على مذهبهم في ان الخير ممزوج بالشر والشر ممزوج بالخير
واخبرني علي بن محمد الكاتب قال اخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني المغيرة بن محمد المهلبي حفظه
قال حدثنا خالد بن خراش قال كان الخليل بن احمد يحب ان يرى ابن المقفع وكان ابن المقفع ايضا يحب
ذلك فجمعهما عباد بن عباد المهلبي فتحادثا ثلثة ايام ولياليهن فقيل للخليل كيف رايت عبد الله
قال ما رايت مثله وعلمه اكثر من عقله وقيل لابن المقفع كيف رايت الخليل فقال ما رايت مثله وعقله
اكثر من علمه قال المغيرة فصدقا فان عقل الخليل اداه الى ان مات ازهد الناس وجهل ابن المقفع
اداه الى ان كتب امانا لعبد الله بن علي فقال فيه ومتى غدر امير المؤمنين بعمه عبد الله فنساؤه
طوالق ودوابه حبس وعبيده احرار والمسلمون في حل من بيعته فاشتد ذلك على المنصور جدا و
خاصة امر البيعة وكتب الى سفين بن معوية المهلبي وهو امير البصرة من قبله بقتله فقتله و
كان ابن المقفع مع قلة دينه جيد الكلام فصيح العبارة له حكم وامثال مستفادة من ذلك ما
روي ان يحيى بن زياد الحارثي كتب اليه يلتمس معاقدة الاخاء والاجتماع على المودة والصفاء فاخر
جوابه فكتب اليه كتابا اخر يستبطيه فكتب اليه عبد الله ان الاخاء رق فكرهت ان املكك
رقي قبل ان اعرف حسن ملكتك ❊ وكان يقول ذلل نفسك بالصبر على الجار السوء والعشير السوء
والجليس السوء فان ذلك لا يكاد يخطيك ❊ وكان يقول اذا نزل بك امر مهم فانظر فان كان مما له حيلة
فلا تعجز وان كان مما لا حيلة فيه فلا تجزع ❊ ودعاه عيسى بن علي الى الغداء فقال اعز الله الامير
لست يومي للكرام اكيلا قال ولم قال لاني مزكوم والزكمة قبيحة الجوار مانعة من عشرة
الاحرار ❊ وكتب الى بعض اخوانه اما بعد فتعلم العلم ممن هو اعلم به منك وعلمه من انت اعلم
به منه فانك اذا فعلت ذلك علمت ما جهلت وحفظت ما علمت ❊ وقال لبعض الكتاب اياك
والتتبع لوحشي الكلام طمعا في نيل البلاغة فان ذلك هو العي الاكبر ❊ وقال لاخر عليك بما سهل

من الالفاظ مع التجنب لالفاظ السفلة ❊ وقيل له ما البلاغة فقال التي اذا سمعها الجاهل ظن انه
يحسن مثلها ❊ وقال لا تحدث من تخاف تكذيبه ولا تسال من تخاف منعه ولا تعد ما لا تقدر على
انجازه ولا تضمن ما لا تثق بالقدرة عليه ولا ترج ما تعنف برجائه ولا تقدم على ما تخاف العجز
عنه ❊ وقال لبعض اخوانه اذا صاحبت ملكا فاعلم انهم قد يستوون الى قلة الوفاء فلا تشعرن
قلبك استبطاءه فانه لم يشعر احد قلبه شيئا الا ظهر على لسانه ان كان سخيفا وعلى وجهه ان كان
حليما ❊ وكان يقول ان مما سخى بنفس العالم عن الدنيا علمه بان الارزاق لم تقسم فيها على قدر
الاخطار ❊ فاما ابن ابي العوجاء فقد ذكرنا ما روي من اعترافه بدسه في احاديث
النبي صلى الله عليه وسلم احاديث مكذوبة ❊ وروي انه راى عزلاه وقد كتب عليها اية الكرسي
فقال لصاحبه لم كتبت هذا عليه فقال لئلا يسرق فقال قد راينا مصحفا سرق وقد قال بشار فيه

قل لعبد الكريم يا ابن ابي العوجاء بعت الاسلام بالكفر موقا
لا تصلي ولا تصوم فان صمت فبعض النهار صوما رقيقا
لا تبالي اذا اصبت من الخمر عتيقا ان لا تكون عتيقا
ليت شعري غداة حليت في الجيد حنيفا حليت ام زنديقا

فاما بشار بن برد فروى المازني قال قال رجل لبشار اتاكل اللحم وهو مباين
لديانتك يذهب الى انه ثنوي فقال بشار ان هذا اللحم يدفع عني شر هذه الظلمة ❊ قال المبرد
ويروى ان بشارا كان يتعصب للنار على الارض ويصوب راي ابليس في الامتناع من السجود وروي
له
النار مشرقة والارض مظلمة والنار معبودة مذ كانت النار
وروى بعض اصحابه قال كنا اذا حضرت الصلوة نقوم اليها ويقعد بشار فنجعل حوالي ثوبه
ترابا لننظر هل يصلي فنعود والتراب بحاله لم يقم الى الصلاة ❊ اخبرنا ابو عبد الله المرزباني
قال حدثني علي بن عبد الله الفارسي قال اخبرني ابي قال حدثني ابن مهرويه عن احمد بن خلاد قال

نخ بما
نخ تقدم
نخ يسلى العالم
نخ دقيقا

حدثني ابي قال كنت اكلم بشارا وارد عليه سوء مذهبه بميله الى الالحاد وكان يقول لا اعرف الا ما عاينت او عاينت مثله وكان الكلام يطول بيننا فقال لي ما اظن الامر يا ابا مخلد الا انه كما يقال انه جبر لان فلذلك اقول

طبعت على ما فيّ غير مخيّر ... هواي ولو خيرت كنت المهذبا

أريد فلا أعطى وأعطى فلم أرد ... وغيّب عني أن أنال المغيبا

وأصرف عن قصدي وعلمي مبصر ... فأمسي وما أعقبت الا التعجبا

الشعر للبرقعي صاحب الزنج

قال الجاحظ كان بشار صديقا لواصل بن عطاء الغزال قبل ان يظهر مذاهبه المكروهة وكان بشار مدح واصل بن عطاء وذكر خطبته التي نزع منها الراء وكانت على البديهة فقال

تكلفوا القول والاقوام قد حفلوا ... وحبّروا خطبا ناهيك من خطب

فقام مرتجلا تغلي بداهته ... كمرجل القين لما حفّ باللهب

وجانب الراء لم يشعر به احد ... قبل التصفح والاغراق في الطلب

ومثل ذلك قول بعضهم في واصل بن عطاء

ويجعل البرّ قمحا في تكلمه ... وجانب الراء حتى احتال للشعر

ولم يطق مطرا والقول يعجله ... فعاذ بالغيث اشفاقا من المطر

فلما اظهر بشار مذاهبه نفى به واصل وقام بذكره وتكفيره وقعد فقال بشار فيه

ما لي اشايع غزالا له عنق ... كنقنق الدوّ ان ولّى وان مثلا

عنق الزرافة ما بالي وبالكم ... تكفرون رجالا كفّروا رجلا

فلما تتابع على واصل ما يشهد بالحاده قال عند ذلك اما لهذا الاعمى الملحد اما لهذا المشنّف المكتني بابي معاذ من يقتله اما والله لولا ان الغيلة سجية من سجايا الغالية لدسست اليه من يبعج بطنه في جوف منزله على مضجعه او في يوم حفله ثم كان لا يتولى ذلك الا عقيلي او سدوسي فعدل واصل من الضرير الى الاعمى ومن الكافر الى الملحد ومن المرعث الى المشنف ومن بشار الى ابي معاذ

ومن الفراش الى المضجع وراد قوم فقالوا او من ارسلت الى دسست ومن بقر الى يبعج بطنه ومن داره الى منزله ومن الغيلة الى الغالية والاول اشبه بان يكون مقصودا وما ذكرنا ثانيا فقد يتفق استعماله من غير عدول عن استعمال الراء واما قوله لا يتولى ذلك الا عقيلي او سدوسي فلان بشارا كان مولى لهم وذكره بني سدوس لان بشارا كان ينزل فيهم فاما لقب بشار بالمرعث فقد قيل فيه ثلاثة اقوال احدها انه لقب بذلك لبيت قاله وهو

قال ريم مرعث فاتن الطرف والنظر ... لست والله نائلي قلت او يغلب القدر

والقول الثاني انه كان لبشار ثوب له جيبان احدهما عن يمينه والاخر عن شماله فكان اذا اراد لبسه ضمه عليه ضما من غير ان يدخل راسه فيه فشبه استرسال الجيبين وتدليهما بالرعاث وهي القرطة فقيل المرعث وقال ابو عبيدة انما سمي المرعث لانه كان في صباه يلبس رعاثا وهذا هو القول الثالث وكان بشار مقدما في الشعر جدا حتى ان كثيرا من الرواة يجعله يتقدم عصره غلبة من المجودين اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني عن محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا محمد بن الحسين اليشكري قال قيل لابي حاتم من اشعر الناس قال الذي يقول

ولها مبسم كغرّ الاقاحي ... وحديث كالوشي وشي البرود

نزلت في السواد من حبة القلب ... ونالت زيادة المستزيد

عندها الصبر عن لقائي وعندي ... زفرات يأكلن صبر الجليد

يعني بشارا قال وكان يقدمه على جميع الناس ولما قال بشار

بني امية هبوا طال نومكم ... ان الخليفة يعقوب بن داود

ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا ... خليفة الله بين الناي والعود

بلغ ذلك المهدي فوجد عليه وكان سببا لقتله

مجلس آخر عاشر

فاما مطيع بن اياس الكناني فاخبرنا ابو عبيد الله المرزباني عن علي بن هرون عن عمه

بخبر عن علي عن ابي ايوب المديني عن احمد بن ابرهيم الكاتب قال اخبرني ابي قال رايت بنتا لمطيع قد
اتي بها في اول ايام الرشيد فاقرت بالزندقة وقراتها وتابت وقالت هذا شي علمنيه ابي فقبل الرشيد
توبتها وردها الى اهلها   وقال محمد بن داود بن الجراح في اخبار مطيع انه كان يرمى بالزندقة وروي
انه لما حضرته الوفاة احاط به اهل بيته فاقبلوا يقولون له قل يا مطيع لا اله الا الله فلا يقول حتى
اذا صار نفسه في ثغرته تنفس ثم اهوى الى الكلام فقالوا له قل لا اله الا الله فتكلم كلاما ضعيفا
فتسمعوا له فاذا هو يقول

لهف نفسي على الزمان وفي اي زمان دهتني الازمان
حين جاء الربيع واستقبل الصيف وطاب الطلاء والريحان

قال المرزباني وهذا الشعر يرويه الهيثم بن عدي ليحيى بن زياد   فاما يحيى بن زياد
الحارثي الكوفي فهو يحيى بن زياد بن عبيد الله بن عبد الله بن عبد المدان بن الديان الحارثي الكوفي وزياد بن
عبيد الله هو خال ابي العباس السفاح ويكنى يحيى ابا الفضل وكان يعرف بالزندقة وكانوا اذا وصفوا
انسانا بالظرف قالوا هو اظرف من الزنديق يعنون يحيى لانه كان ظريفا وهذا المعنى قصد ابو نواس
بقوله   تيه مغن وظرف زنديق   قال الصولي وانما قال ذلك لان الزنديق
لا يرع عن شي ولا يمتنع مما يدعى اليه فنسبه الى الظرف لمساعدته على كل شي وقلة خلافه   وروي
انه قيل ليحيى بن زياد وهو يجود بنفسه قل لا اله الا الله فقال لم يبق الا الغبط والخلاخل
الجلاجل
ثم اغمي عليه فلما افاق اعيد عليه القول فقال   وبارك تغلي بي المراجل   وروى محمد بن يزيد
قال قال مطيع بن اياس يرثي يحيى بن زياد وكانا متهمين بالخروج عن الملة

يا اهل بكوا لقلبي القرح   وللدموع الهوامل السفح
راحوا بيحيى الى مغيبه في القبر بين التراب والصفح
راحوا بيحيى ولو تساعدني الاقدار لم تبتكروا ولم ترح
باخير من يحسن البكاء له اليوم ومن كان احسن للمدح
قد ظفر الحزن بالسرور وقد اديل مكروهنا من الفرح

جمعا
الشواكب
تبتكر برح

ولمطيع يرثيه

انظر الى الموت كيف اقدمه والموت مقدامه على البهم
لو قد تدبرت ما صنعت به قرعت سنا عليه من ندم

فاذهب بمن شئت اذ ذهبت به ما بعد يحيى للرزء من الم   فاما صالح بن عبد القدوس
فكان متظاهرا بمذاهب الثنوية ويقال ان ابا الهذيل العلاف ناظره فقطعه ثم قال له على اي شي تعزم
يا صالح قال استخير الله واقول بالاثنين قال ابو الهذيل فايهما استخرت لا ام لك   وروي ان
ابا الهذيل ناظره في مسالة مشهورة في الامتزاج الذي ادعوه بين النور والظلمة فاقام عليه الحجة
وانقطع فانشا يقول   ابا الهذيل هداك الله يا رجل فانت حقا لعمري معضل جدل
وروي انه رئي يصلي صلاة تامة الركوع والسجود فقيل له ما هذا ومذهبك معروف فقال سنة البلد
وعادة الجسد وسلامة الاهل والولد   ويقال انه لما اراد المهدي قتله على الزندقة دعا اليه بكتاب
وقال له اقرا هذا قال وما هو قال كتاب الزندقة قال صالح او تعرفه انت يا امير المومنين اذا قراته قال لا
قال افتقتلني على ما لا تعرف قال فاني اعرفه قال صالح فقد عرفته ولست بزنديق فكذلك اقراه ولست
بزنديق   وذكر محمد بن يزيد المبرد قال ذكر بعض الرواة ان صالحا لما نوظر فيما قرف به
من الزندقة بحضرة المهدي قال له المهدي الست القائل في حفظك ما انت عليه

رب سر كتمته فكاني اخرس او ثنى لساني خبل
ولو اني ابديت للناس علمي لم يكن لي في غير حبسي اكل

فقال صالح فاني اتوب وارجع فقال له هيهات الست القائل

والشيخ لا يترك اخلاقه حتى يواري في ثرى رمسه
اذا ارعوى عاوده جهله كذي الضنى عاد الى نكسه

عاد الى جهله

ثم قدم فقتل ويقال انه صلب على الجسر ببغداد   ومن شعره وهو في الحبس

خرجنا من الدنيا ونحن من اهلها فلسنا من الاحياء فيها ولا الموتى
اذا دخل السجان يوما لحاجة عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا
ونفرح بالرويا فجل حديثنا اذا نحن اصبحنا الحديث عن الرويا

اولها
الى الله اشكو انه موضع الشكوى
وفي يده كشف المضرة والبلوى

فان حسنت لم تات عجلى وان قبحت لم تحتبس وانت عجلى
طوى دوننا الاخبار سجن ممنع له حارس تهدا العيون ولا يهدا
قبرنا ولم ندفن فنحن بمعزل من الناس لا نخشى فنغشى ولا نغشى
الا احد يادى لاهل محلة مقيمين في الدنيا وقد فارقوا الدنيا

قال قدس الله روحه واظن ان ابن الجهم لحظ قول صالح فنغشى ولا نغشى في قوله يصف الحبس
بيت يجدد للكريم كرامة ويزار فيه ولا يزور ويحفد (اى يخدم)

فاما علي بن الخليل فذكر محمد بن داود قال كان علي بن الخليل وهو مولى يزيد بن مزيد الشيباني ويكنى ابا الحسن وهو كوفي متهم بالزندقة فطلبه الرشيد عند قتله الزنادقة فاستتر طويلا ثم قصد الرقة وبها الرشيد فمدحه ومدح الفضل بن الربيع وروى انه لما قعد الرشيد للمظالم بالرقة حضر شيخ حسن الهيئة حسن الخضاب معه قصيدة فاشار بها فامر الرشيد باخذها منه فقال يا امير المومنين انا احسن قراءة لها من غيري فاذن لي في قراءتها فقال افعل فقال اني شيخ كبير ولا آمن الاضطراب اذا قمت فان رايت ان تاذن لي في الجلوس فعلت فقال اجلس فجلس ثم انشا يقول

٢ يا خير من وخدت بارحله نجب الركاب ببهمه جلس
تطوي السباسب في ازمتها طي التجار عمائم البرس
لما راتك الشمس طالعة سجدت لوجهك طلعة الشمس (القطر)
خير الخلائف انت كلهم في يومك الماضي وفي امس
وكذاك لا ينفك خيرهم تمسي وتصبح فوق ما تمسي
من عصبة طابت ارومتها اهل العفاف ومنتهى القدس
فوق النجوم فروع نبعتهم ومع الحضيض منابت الغرس
اني رحلت اليك من فزع كان التوكل عنده ترسي

ماذا تقول لشيخ رحل لم يسمو الى نفر من الانس
بقرا اوانس لا قرون لها يقتلن بالتطويل والحبس
واجاذب الفتيان بينهم صهباء مثل مجاجة الورس
يلماء في حافاتها حبب نظم كلطخ صحائف القرس
والله يعلم في بقيته ما ان اضعت اقامة الخمس

فقال له هرون من انت فقال علي بن الخليل الذي يقال انه زنديق فقال انت آمن وكتب الى حمدويه الا تعرض له ومن تركنا ذكره من هولاء اكثر ممن ذكرناه وانما اعتمدنا من كان بهذه البلية اشهر والامر فيها اظهر واوردنا مع ذلك قليلا من كثير وجملة من تفصيل واذ قد ذكرنا جملة من اخبار اهل الضلالة والمتقلدين لجهالة حسب ما سئلنا فنحن نتبعها بشي من اخبار اهل العدل والتوحيد ومليح حكاياتهم ومستحسن الفاظهم ليعلم الفرق بين من يبحث بعقله ويخبر بنصفته فقد سئلنا ايضا ذلك اعلم ان اصول التوحيد والعدل ماخوذة من كلام امير المومنين عليه السلم وخطبه فانها تتضمن من ذلك ما لا زيادة عليه ولا غاية وراءه ومن تامل الماثور في ذلك من كلامه علم ان جميع ما اسهب المتكلمون من بعد في تصنيفه وجمعه تفصيل لتلك الجمل وشرح لتلك الاصول وروى عن الائمة من اولاده عليهم السلم من ذلك ما لا يحاط به كثرة ومن احب الوقوف عليه وطلبه من مظانه اصاب منه الكثير الغزير الذي في بعضه شفاء للصدور السقيمة ونتاج للعقول العقيمة ونحن نقدم على ما نريد ذكره شيئا مما روى عنهم في هذا الباب فمن ذلك ما روى عن امير المومنين عليه السلم وهو يصف الله تعالى بمضادته بين الاشياء علم ان لا ضد له وبمقارنته بين الامور علم انه لا قرين له ضاد النور بالظلمة والخشونة باللين واليبوسة بالبلل والحر بالبرد مولف بين متباعداتها مفرق بين متدانياتها وروى عنه عليه السلم انه سئل بم عرفت ربك فقال بما عرفني نفسه قيل وكيف عرفك فقال لا تشبهه صورة

ولا يحس بالحواس ولا يقاس بقياس الناس وقيل له كيف تحاسب الله الخلق فقال كما يرزقهم قيل له
كيف تحاسبهم ولا يرونه فقال كما يرزقهم ولا يرونه وسأله رجل فقال اين كان ربك قبل ان يخلق
السماء والارض فقال عليه السلم اين سؤال عن مكان وكان الله ولا مكان ❁ وروي عن ابي عبد الله
الصادق عليه السلم انه سأله محمد الحلبي فقال هل رأى رسول الله صلى الله عليه وآله ربه فقال
نعم رآه بقلبه فاما ربنا جل جلاله فلا تدركه احداق الناظرين ولا يحيط به اسماع السامعين و
روى صفوان بن يحيى قال دخل ابو قرة المحدث على ابي الحسن الرضا عليه السلم فسأله عن اشياء من مسألة
الحلال والحرام والاحكام والفرائض حتى بلغ سؤاله الى التوحيد فقال ابو قرة انا روينا ان الله
تعالى قسم الكلام والرؤية فقسم لموسى الكلام ولمحمد صلى الله عليه وآله الرؤية فقال الرضا عليه السلم
فمن المبلغ عن الله الى الثقلين الجن والانس انه لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار ولا يحيطون
به علما وليس كمثله شيء أليس محمد صلى الله عليه وآله نبيا صادقا قال بلى قال فكيف يجيء رجل الى
الخلق جميعا فيخبرهم انه جاء من عند الله تعالى يدعوهم اليه بامره ويقول لا تدركه الابصار ولا
يحيطون به علما وليس كمثله شيء ثم يقول انا رأيته بعيني واحطت به علما اما تستحيون ما قدرت
الزنادقة ان ترميه بهذا ان يكون يأتي عن الله بشيء ثم يأتي بخلافه من وجه آخر قال ابو قرة فانه
يقول ولقد رآه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى قال عليه السلم ما بعد هذه الآية يدل على ما
رأى حيث يقول ما كذب الفؤاد ما رأى يقول ما كذب فؤاد محمد ما رأت عيناه ثم اخبر بما رأى
فقال لقد رأى من آيات ربه الكبرى وآيات الله غير الله وقال الله تعالى ولا يحيطون به قد
علما فاذا رأته الابصار فقد احاط به العلم فقال ابو قرة أفتكذب بالرؤية فقال الرضا عليه السلم
اذا القرآن كذبها وما اجمع عليه المسلمون انه لا يحاط به علما ولا تدركه الابصار وليس كمثله
شيء ❁ واتى اعرابي ابا جعفر محمد بن علي عليهما السلم فقال له هل رأيت ربك حين عبدته
فقال لم اكن لاعبد شيئا لم اره فقال كيف رأيته فقال عليه السلم لم تره الابصار بمشاهدة

العيان بل رأته القلوب بحقائق الايمان لا يدرك بالحواس ولا يقاس بالناس معروف بالآيات منعوت
بالعلامات لا يجور في قضيته هو الله الذي لا اله الا هو فقال الاعرابي الله اعلم حيث يجعل رسالاته لا
وروي ان شيخا حضر صفين مع امير المؤمنين عليه السلم فقال له اخبرنا يا امير المؤمنين عن مسيرنا الى
الشام أكان بقضاء من الله وقدر فقال له نعم يا اخا اهل الشام والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما
وطئنا موطئا ولا هبطنا واديا ولا علونا تلعة الا بقضاء من الله وقدره فقال الشامي عند الله احتسب
عنائي يا امير المؤمنين وما اظن ان لي اجرا في سعيي اذ كان الله قضاه علي وقدره فقال عليه
السلم ان الله قد اعظم لكم الاجر على مسيركم وانتم سائرون وعلى مقامكم وانتم مقيمون ولم تكونوا في
شيء من حالاتكم مكرهين ولا اليها مضطرين ولا عليها مجبرين فقال الشامي وكيف ذاك والقضاء
والقدر ساقانا وعنهما كان مسيرنا وانصرافنا فقال له عليه السلم ويحك يا اخا اهل الشام لعلك
ظننت قضاء لازما وقدرا حتما لو كان ذلك كذلك لبطل الثواب والعقاب وسقط الوعد و
الوعيد والامر من الله والنهي وما كان المحسن اولى بثواب الاحسان من المسيء والمسيء اولى بعقوبة
الذنب من المحسن تلك مقالة عبدة الاوثان وحزب الشيطان وخصماء الرحمن وشهود الزور وقدرية
هذه الامة ومجوسها ان الله عز وجل امر عباده تخييرا ونهاهم تحذيرا وكلف يسيرا واعطى على
القليل كثيرا ولم يطع مكرها ولم يعص مغلوبا ولم يكلف عسيرا ولم يرسل الانبياء لعبا ولم
ينزل الكتب الى عباده عبثا ولا خلق السموات والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا
فويل للذين كفروا من النار ❁ قال الشامي فما القضاء والقدر اللذان كان مسيرنا بهما وعنهما
قال الامر من الله تعالى والحكم ثم تلا وكان امر الله قدرا مقدورا فقام الشامي فرحا مسرورا
لما سمع هذا المقال فقال فرجت عني فرج الله عنك يا امير المؤمنين وانشأ يقول

انت الامام الذي نرجو بطاعته يوم الحساب من الرحمن غفرانا
اوضحت من امرنا ما كان ملتبسا جزاك ربك بالاحسان احسانا

(في الهامش: مسألة، قد، اذا، مقالة، وشهداء، بذلك، ديننا، جزاك)

نبعار اولا بهذه الحكاية لم تذكر لها اسناد فلا نعرف صحتها فان المنقولات انما تعرف صحتها بالاسانيد الثابتة لا بالشائع لكثرة الكذب في هذا الباب كيف والكذب عليها ظاهر فان ابا حنيفة من المقرين بالقدر باتفاق اهل المعرفة به وبمذهبه وكلامه في القدرية معروف

وروى ان ابا حنيفة النعمن بن ثابت قال دخلت المدينة فاتيت ابا عبد الله عليه السلم فسلمت عليه و
خرجت من عنده فرايت ابنه موسى عليه السلم في دهليزه قاعدا في مكتبه وهو صغير السن فقلت له اين
يحدث الغريب عندكم اذا اراد ذلك فنظر الي ثم قال يجتنب شطوط الانهار ومساقط الثمار وافنية
الدور والطرق النافذة والمساجد ويضع ويرفع بعد ذلك حيث شاء فلما سمعت هذا القول نبل في
عيني وعظم في قلبي فقلت له جعلت فداك ممن المعصية فنظر الي ثم قال اجلس حتى اخبرك فجلست
فقال ان المعصية لا بد ان تكون من العبد او من ربه او منهما جميعا فان كانت من الله تعالى فهو اعدل و
انصف من ان يظلم عبده ويأخذه بما لم يفعله وان كانت منهما فهو شريكه والقوي اولى بانصاف عبده
الضعيف وان كانت من العبد وحده فعليه وقع الامر واليه توجه النهي وله حق الثواب والعقاب
ووجبت الجنة والنار فلما سمعت ذلك قلت ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم وقد نظم هذا
المعنى بشعر فقيل

لم تخل افعالنا اللاتي نذم لها احدى ثلث خلال حين ناتيها
اما تفرد بارينا بصنعتها فيسقط اللوم عنا حين ننشيها
او كان يشركنا فيها فيلحقه ما سوف يلحقنا من لائم فيها
او لم يكن لالهي في جنايتها ذنب فما الذنب الا ذنب جانيها

واحد من نظامه من المتقدمين بالقول بالعدل الحسن ابي الحسن البصري واسم ابيه يسار
من اهل ميسان مولى لبعض الانصار وكان اسم امه خيرة مملوكة لام سلمة زوج النبي صلى الله عليه
وآله ويقال ان ام سلمة كانت تاخذ الحسن اذا بكا فتسكته بثديها فكان يدر عليه فيقال ان
الحكمة التي اوتيها الحسن من ذلك وبلغ الحسن من السن تسعا وثمانين سنة تجهر بالعدل ما
رواه علي بن الجعد قال سمعت الحسن يقول من زعم ان المعاصي من الله عز وجل جاء يوم القيمة مسودا
وجهه ثم قرا ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة وقال داود بن ابي هند
سمعت الحسن يقول كل شي بقضاء وقدر الا المعاصي ❁ وكان الحسن بارع الفصاحة بليغ

ذكر وعلماء الشيعة كانوا متفقين على اثبات القدر والصفات وانما شاع فيهم انكار
القدر من حين اتصلوا بالمعتزلة في دولة بني بويه وائمتنا فهذا الكلام المحكي عن جعفر بن
جعفر يتقوله اصاغر القدرية وصبيانهم وهو معروف من حين حدثت القدرية

المواعظ كثير العلم وجميع كلامه في الوعظ وذم الدنيا وجله ماخوذ لفظا ومعنى او معنى دون
لفظ من كلام امير المؤمنين عليه السلم فهو في ذلك القدوة والغاية فمن ذلك قوله عليه السلم شتان احدهما
ماخوذ من الآخر احدهما لكثرة شي في الدنيا والآخر اقل شي في الدنيا التعبر والاعتبار وقوله عليه السلم
مثل الدنيا والآخرة مثل المشرق والمغرب متى ازددت من احدهما قربا ازددت من الآخر بعدا وقوله
عليه السلم شتان بين عملين عمل تذهب لذته وتبقى تبعته وعمل تذهب مؤنته ويبقى اجره
وقوله في وصف الدنيا ما اصف من دار اولها عناء وآخرها فناء في حلالها حساب وفي حرامها
عقاب من صح فيها امن ومن مرض فيها ندم ومن استغنى فتن ومن افتقر حزن ❁ وقوله في كلام
آخر فيا ايها الذام للدنيا المغتر بغرورها متى استهوتك ام متى غرتك ابمصاجع آبائك من
البلى ام بمنازل امهاتك من البلى كم مرضت بكفيك وكم عللت بيديك تبتغي لهم الشفاء و
تستوصف لهم الاطباء مثلت لك بهم الدنيا نفسك وبمصرعهم مصرعك قال قدس الله
روحه وهذا باب ان وجدناه اعتبرناه من قبيح نحو زاجر او شوبوب غمام ماطر وكل قول في هذا
الباب لقايل اذا اضيف اليه او قوبل به كان كاضافة القطرة الى الغمر والحصاة الى الجمرة
وانما اشرنا اليه اشارة واومانا اليه ايماء ثم نعود الى ما كنا فيه روى ان اعرابيا سمع كلام
الحسن البصري فقال المؤمن فصيح اذا لفظ نصيح اذا وعظ وروى ان الحسن تلا يوما انا
عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال ثم قال ان قوما غدوا في المطارف العتاق والعمائم
الرقاق يطلبون الامارات ويضيعون الامانات يتعرضون للبلاء وهم منه في عافية حتى اذا
اخافوا من فوقهم من اهل العفة وظلموا من تحتهم من اهل الذمة هزلوا دينهم واسمنوا براذينهم
ووسعوا دورهم وضيقوا قبورهم الم ترهم قد جددوا الثياب واخلقوا الدين يتكي احدهم على
شماله ياكل من غير ماله طعامه غصب وخدمه سخرة يدعو بالحلو بعد الحامض وبالحار بعد البارد
وبالرطب بعد اليابس حتى اذا اخذته الكظة تجشا من البشم ثم قال يا جارية هاتي هاضوما يعني

وهذا مما يبين ان هذه الحكاية كذب فان ابا حنيفة انما اجتمع بجعفر بن محمد وابا بكر
جعفر لم يكن ممن يسئله ابو حنيفة ولا احتج به وجعفر بن محمد هو من اقران ابي حنيفة
ابو حنيفة ممن يأخذ عنه

هاضوما يهضم الطعام بالحمض لا والله ان تهضم الا دينك بن حارك ابن بيمك بن مسكينك ابن ما
او صالك الله عز وجل به ✤ وذكر يوما الحجاج فقال اتانا اعمش اخيفش له جميمة يرجّلها و
اخرج الينا بنانا قصارا والله ما عرق فيها عنان في سبيل الله فقال بايعوني فبايعناه ثم رقي
هذه الاعواد ينظر الينا بالتصغير وننظر اليه بالتعظيم يامرنا بالمعروف ويجتنبه وينهانا عن
المنكر ويركبه ✤ وروى عيسى بن عمر قال قال الحسن ان هذه القلوب طلعة فاقدعوها فانكم ان تطيعوها
تنزع بكم الى شر غاية وحادثوا هذه النفوس فانها سريعة الدثور قال عيسى بن عمر فحدثت بذلك
ابا عمرو بن العلاء فعجب من فصاحته وكان يقول في بعض كلامه ما تشاء ان ترى احدهم ابيض بضا يملخ
في الباطل ملخا ينفض مذرويه ويقول ها انا ذا فاعرفوني قال قوله البض هو الرخص اللحم وليس هو من
البياض على ما يظنه قوم لانه قد تكون الرخاصة مع الادمة فاما قوله يملخ فان الملخ هو التثني و
التكسر يقال ملخ الفرس اذا لعب قال ذو الرمة يصف الحمار معتزم التجليح ملاخ الملق
والمذروان فرعا الاليتين قال عنترة احولي تنفض استك مذرويها لتقتلني فها انا ذا عمارا
هذا قول ابي عبيدة وقال ابن قتيبة زادا عليه ليس المذروان فرعي الاليتين حسب بل هما الجانبان
من كل شي تقول العرب جاء فلان يضرب اصدريه ويضرب عطفيه وينفض مذرويه وهما منكباه وذكر
انه سمع رجلا من فصحاء العرب يقول قنع الشيب مذرويه يريد جانبي راسه وهما فوداه وانما
سميا بذلك لانهما يذريان اي يشيبان والذرى الشيب قال فهذا اصل الحرف ثم استعير للاليتين و
المنكبين والطرفين من كل شي قال امية بن ابي عائذ الهذلي يذكر قوسا
على عجس هتافة المذروين ✤ زوراء مضجعة في الشمال
اراد قوسا ينبض طرفاها فاما
قال فلا معنى لوصف الرجل الذي ذكره الحسن بانه يحرك اليتيه ولا من شان من يملخ ويتيه على نفسه
ويقول ها انا ذا فاعرفوني ان يحرك اليتيه وانما اراد انه يضرب عطفيه وهذا مما يوصف به المرح
المختال الذي يزهى بنفسه وربما قالوا جاء ينفض مذرويه اذا كان يتهدد ويتوعد لانه اذا

تكلم وحرك راسه نفض قرونه وذوائبه وهما مذرواه قال قدس الله روحه ليس الذي
ذكره ابو عبيد ببعيد لان من شان المختال الذي يزهى بنفسه ان يهتز ويتثنى فتتحرك اعطافه و
اعضاؤه ومذرواه من جملة ما يهتز ويتحرك لانهما بارزان من جسمه فيظهر فيهما الاهتزاز وانما خص
المذروان بالذكر مع ان غيرهما يتحرك ايضا على طريق التقبيح على هذا المختال والتهجين لفعله وقول ابن
قتيبة ليس من شان من يملخ ان يحرك اليتيه ليس بشي لان الاغلب من شان البذاخ المختال الاهتزاز
وتحريك الاعطاف على ان هذا يلزمه فيما قاله لانه ليس من شان كل متوعد ان يحرك راسه وينفض مذرويه
فاذا قال ان ذلك في الاكثر قيل له مثله ✤ وكان الحسن يقول يا ابن ادم جمعا جمعا شدا شدا جمعا
في وعاء وشدا في وكاء وركوب الذلول ولبس اللين حتى قيل مات فافضى والله الى الاخرة فطال
حسابه ✤ وكان يقول مسكين ابن ادم مكتوم الاجل مكنون العلل اسير جوع صريع شبع ان من
تؤلمه البقة وتقتله الشرقة لبادي الضعف قريب الحتف وكان يقول ما اطال احد الامل
الا اساء العمل ✤ وكتب الى عمر بن عبد العزيز اما بعد فان طول البقاء الى فناء فخذ من فنائك الذي
لا يبقى لبقائك الذي لا يفنى والسلام وكان يقول اذا رايت رجلا ينافس في الدنيا فنافسه في الاخرة
وساله رجل ما حالك فقال يا ابن اخي ما حال من اصبح وامسى ينتظر الموت ولا يدري ما يفعل الله
به وكان يقول يا ابن ادم بسطت لك صحيفة ووكل بك ملكان كريمان يكتبان عملك فامل ما
شئت واكثر او اقلل وفي خبر آخر وكل بك ملكان كريمان ريقك مدادهما ولسانك قلمهما ✤ وروى
ابو بكر الهذلي قال لما قدم عمر بن هبيرة واليا على العراق ارسل فاستقدم بعث الى الشعبي والى
الحسن البصري فقال لهما ان يزيد بن عبد الملك عبد اخذ الله ميثاقه وانتجبه لخلافته وقد
اخذ بنواصينا واعطيناه عهودنا ومواثيقنا وصفقة ايدينا فوجب علينا السمع والطاعة
له وانه يبعث الي امرا فكم عنه سائلا اياه الا انه لا يزال يبعث الينا في القوم نقتلهم وفي الضياع
نقبضها او في الدور نهدمها فنتوليه من ذلك ما ولاه الله فما تريان فاما الشعبي فقال قولا فيه بعض

اللين . واما الحسن فانه قال له يا عمر اني انهاك عن الله ان تتعرض له فان الله مانعك من يزيد و
لا يمنعك يزيد من الله انه يوشك ان ينزل عليك ملك من السماء فيستنزلك من سريرك ويخرجك من
سعة قصرك الى ضيق قبرك ثم لا يوسعه عليك الا عملك ان هذا السلطان انما جعل ناصرا لدين
الله فلا تركبوا دين الله وعباد الله بسلطان الله تذلونهم به فانه لا طاعة لمخلوق في معصية
الخالق عز وجل . وذكر عن الشعبي انه قال كان والله الحسن اكرمنا علينا . وروى ابو بكر عياش
قال قال مسلمة بن عبد الملك للحسن عظني فقال اذا نزلت عن المنبر فاعمل بما تكلمت به قال عظني قال
اوليت قط قال نعم قال فما كنت تحب ان يؤتى اليك فأته الى من وليته . وعن ثابت البناني قال قال
رجل للحسن آخذ عطائي ام ادعه حتى آخذه من حسناتهم يوم القيمة فقال له الحسن قم ويحك
خذ عطاءك فان القوم مفاليس من الحسنات يوم القيمة . وولد للحسن غلام فهناه بعض اصحابه
فقال الحسن نحمد الله على هبته ونشكره على نعمه ولا مرحبا بمن ان كنت غنيا اذهلني وان
كنت فقيرا اتعبني لا ارضى بسعيي له سعيا ولا بكدي له في الحيوة كدا اشفق عليه من الفاقة
بعد وفاتي وانا في حال لا يصل الي من همه حزن ولا من فرحه سرور . وكان الحسن يقول لو
لم يكن من شؤم الشراب الا انه جاء الى احب خلق الله الى الله فافسده لكان ينبغي للعاقل ان يتركه
يعني العقل . وعزى جارا له يهوديا فقال له جزاك الله على مصيبتك باعظم ما جازى به احدا
من اهل ملتك وهذا التخلص منه مليح لانه لم يدع له بالثواب الذي لا يستحقه الكفار واراد بالجزاء
العوض الذي يستحقه الكافر مع استحقاق العقاب . وكان الحسن يقول ليس للفاسق المعلن
بالفسق غيبة ولا لاهل الاهواء والبدع غيبة ولا للسلطان الجائر غيبة . وقال في قوله تعالى
ربنا آتنا في الدنيا حسنة قال العلم وفي الآخرة حسنة قال الجنة . وخرج الحسن في
جنازة معها نوائح فقال له رجل اما ترى يا ابا سعيد هذا وهم الرجل بالرجوع فقال له الحسن ان
كنت كلما رايت قبيحا تركت له حسنا اسرع ذلك في دينك وذكرت عنده الدنيا فقال

احلام نوم او كظل زائل ان اللبيب بمثلها لا يخدع
وكان يتمثل
اليوم عندك دلها وحديثها وغدا لغيرك كفها والمعصم
وعن ابي عبيدة قال لما فرغ
الحجاج من خضراء واسط نادى في الناس ان اخرجوا فادعوا له بالبركة فخرج الناس وخرج
الحسن فاجتمع عليه الناس فخاف اهل الشام على نفسه ان يقتلوه فرجع وهو يقول قد نظرنا يا
اخبث الاخبثين وافسق الفاسقين فاما اهل السماء فمقتوك واما اهل الارض فغروك
ثم قال ان الله تعالى للميثاق الذي اخذه على اهل العلم ليبيننه للناس ولا يكتمونه ثم انصرف
وبلغ ذلك الحجاج فقال يا اهل الشام وهم حوله الآية لتقوم من عبيد من عبيد اهل البصرة فيتكلم
فينا بما تكلم به ثم لا يكون عند احد منكم تغيير ولا نكير فقالوا ومن ذلك اصلحك الله فاستنادمه
فقال علي به وامر بالنطع والسيف فاحضرا ووجه اليه فلما دنا الحسن الى الباب حرك شفتيه و
الحاجب ينظر اليه فلما دخل قال له الحجاج هاهنا واجلسه قريبا من فرشه وقال له ما تقول في
علي وعثمان قال اقول قول من هو خير مني عند من هو شر منك قال موسى عليه السلم لفرعون اذ
قال له ما بال القرون الاولى قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى علم علي عليه السلم
وعثمان عند الله تعالى فقال له الحجاج انت سيد العلماء يا ابا سعيد ثم دعا بغالية فغلل بها لحيته
فلما خرج الحسن اتبعه الحاجب فقال له يا ابا سعيد والله لقد دعاك لغير ما فعل بك ولقد احضر
السيف والنطع فلما اقبلت رايتك قد حركت شفتيك بشيء فما قلت قال قلت يا عدتي عند
كربتي ويا صاحبي عند شدتي ويا ولي نعمتي ويا الهي واله آبائي ابرهيم واسمعيل واسحق و
يعقوب ارزقني مودته واصرف عني اذاه ومعرته ففعل ربي عز وجل ذلك . وكان الحسن
يقول ما زال النفاق مقموعا حتى عمم هذا عمامة وقلد سيفا يعني الحجاج . وروى ابو بكر الهذلي
ان رجلا قال للحسن يا ابا سعيد ان الشيعة تزعم انك تبغض عليا عليه السلم فاكب يبكي طويلا ثم
رفع راسه فقال لقد فارقكم بالامس رجل كان سهما من مرامي الله عز وجل على عدوه رباني هذه الامة

ذوشرفها وفضلها وذو قرابة من النبي صلى الله عليه وآله فرتبة لم يكن بالتومة عن امر الله تعالى ولا
بالغافل عن حق الله تعالى ولا الشره وفهم من مال الله اعطى القران عزايمه فيما له وعليه فاشرف منها
على رياض مونقة واعلام بينة ذاك ابن ابي طالب يا لكع : وكان الحسن اذا اراد ان يحدث في زمن بني
امية عن علي عليه السلم قال قال ابو زينب وشهد الحسن جنازة فقال ان امرا هذا آخره لينبغي ان
يزهد فيه وان امرا هذا اوله لينبغي ان يخاف آخره : وعن حميد الطويل قال خطب رجل الى الحسن ابنته
وكنت السفير بينهما فرضيه واراد ان يزوجه فاثنيت عليه ذات يوم وقلت وازيدك يا با سعيد
ان له خمسين الفا قال افلت له خمسون الفا ما اجتمعت من حلال قلت يا با سعيد انه والله ما علمته لورع
مسلم فقال ان كان جمعها من الحلال فقد ضن بها عن حق لا تجري بيني وبينه صهر ابدا : وقيل لعلي بن
الحسين عليهما السلم قال الحسن البصري ليس العجب ممن هلك كيف هلك وانما العجب ممن نجا كيف نجا
فقال عليه السلم انا اقول ليس العجب ممن نجا كيف نجا انما العجب ممن هلك كيف هلك مع سعة رحمة الله
واتى عليه السلم يوما الحسن البصري فقال يا حسن اترضى نفسك للموت قال لا قال فعملك للحساب
قال لا قال فثم دار للعمل غير هذه قال لا قال فلله في ارضه معاذ غير هذا البيت قال لا قال فلم تشغل

ومنهم يعقوب عند الحجر

مجلس حادي عشر

الناس عن الطواف ومما نظا مرة الطواف

بالعدل واشهر به واصل بن عطاء الغزال ويكنى ابا حذيفة وقيل انه مولى بني ضبة وقيل انه
مولى بني مخزوم وقيل مولى بني هاشم وذكر انه لم يكن غزالا وانما لقب بذلك لانه كان يكثر
الجلوس في الغزالين وقيل انه كان يجلس في الغزالين عند صديق له يعرف بابي عبد الله الغزال
وذكر المبرد ان واصلا كان يلزم الغزالين ليعرف المتعففات من النساء فيصرف صدقته اليهن
ولقب بذلك كما لقب ابو سلمة حفص بن سليمان الخلال وهو وزير السفاح ولم يكن خلالا وانما
كان منزله بالكوفة بقرب الخلالين فكان يجلس عندهم فسمي خلالا ومثله ابو علي الجرمازي هو
مولى لبني هاشم وانما لقب بذلك لانه كان ينزل في بني الجرماز وابرهيم بن يزيد الجوزي وليس

ابي العباس
هو الذي قيل فيه
ان الوزير وزير آل محمد اودى فمن يشناك كان وزيرا

بنحوي ولكنه كان ينزل بمكة بشعب الجوز وابو سعيد المقبري لانه ينزل المقابر وكان واصل
الثغ في الراء قبيح اللثغة فكان يخلص كلامه من الراء ويعدل عنها في سائر محاوراته وقد ذكرنا
طرفا من ذلك في اخبار بشار بن برد : وذكر ابو الحسن البرذعي ان انسانا سال عمرو بن عبيد
او غيره عن شيء من القدر بحضرة واصل بن عطاء فتكلم السائل بشيء اغضب عمرا فاجابه عمرو
بجواب لم يرضه واصل فقال له واصل اياك واجوبة الغضب فانها مندمة والشيطان يكون معها
وله في تضاعيفها همزة وقد اوجب الله تعالى على نبيه ان يستعيذ من همزات الشياطين وان يكونوا
معه بقوله اعوذ بك من همزات الشياطين الى خاتمة الآية وقل ما شاهدت احدا اجاب فتثبت في
جوابه وما يطلق به لسانه فلحقه لوم : قال البرذعي انظر الى واصل كيف كلم عمروا فاخرج
الراء من كلامه فقال موضع والشيطان يحضر ما يكون معها وقال قد اوجب الله على نبيه ولم
يقل امر وقال وان يكونوا معه بدلا من قوله وان يحضرون ثم قال الى خاتمة الآية ولم يقل الى آخر
الآية قال قدس الله روحه ومما لم يذكره البرذعي انه عدل عن افتتاح الآية من
اجل الراء ايضا لان اولها وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين ولولا قصده الى العدول لكان
ذكرها والجاري من ابتدائها لا اتيتها وفي ابتدائها تعليم وتوقيف على كيفية دعائه والاستعاذة
به وقيل ان رجلا قال له كيف تقول اسرج الفرس فقال البد الجواد وقال له آخر كيف تقول
ركب فرسه وجر رمحه فقال استوى على جواده وسحب عامله : وذكر ابو الحسين الخياط ان
واصلا كان من اهل مدينة الرسول صلى الله عليه ومولده سنة ثمانين ومات سنة احدى و
ثلثين ومائة وكان واصل ممن لقي ابا هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية وصحبه واخذ عنه وقال
قوم انه لقي اباه محمدا عليه السلم وذلك غلط لان محمدا توفي سنة ثمانين او احدى وثمانين وواصل
ولد في سنة ثمانين وواصل هو من اظهر المنزلة بين المنزلتين لان الناس كانوا في اسماء اهل الكبائر
من اهل الصلاة على اقوال كانت الخوارج تسميهم بالكفر والشرك والمرجية تسميهم بالايمان وكان

المتكلم

يهمز الشيطان وسوسته وغلبته على العقل

من حيث ابتدائها

اول

وكان الحسن البصري واصحابه يسمونهم بالنفاق فاظهر واصل القول بانهم فساق غير مؤمنين ولا كفار ولا
منافقين ❊ وكان عمرو بن عبيد من اصحاب الحسن وتلاميذه يجمع بينه وبين واصل انبساط فيما اظهر من القول
بالمنزلة بين المنزلتين فلما وقفوا على الاجماع ذكر ان واصلا اقبل ومعه جماعة من اصحابه الى حلقة
الحسن وفيها عمرو بن عبيد جالس فلما نظر الى واصل وكان في عنقه طول واعوجاج قال ارى عنقا
لا يفلح صاحبها وسمع ذلك واصل فلما سلم عليه قال له يا ابن اخي من عاب الصنعة عاب الصانع للتعلق
الذي بين الصانع والمصنوع فقال له عمرو بن عبيد يا ابا حذيفة قد وعظت فاحسنت ولن اعود
الى مثل الذي كان مني وجلس واصل في الحلقة وسئل ان يكلم عمرا فقال واصل لعمرو لم قلت ان من
اتى كبيرة من اهل الصلاة يستحق اسم النفاق فقال عمرو لقوله تعالى والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا
باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا واولئك هم الفاسقون ثم قال في
موضع آخر ان المنافقين هم الفاسقون فكان كل فاسق منافقا اذ كانت الف ولام المعرفة موجودتين
في الفاسق فقال له واصل اليس قد وجدت الله تعالى يقول ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم
الظالمون واجمع اهل العلم على ان صاحب الكبيرة يستحق اسم ظالم كما يستحق اسم فاسق فالا كفرت
صاحب الكبيرة بقوله تعالى والكافرون هم الظالمون فعرف بالالف ولام التعريف الذين في قوله تعالى
ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون كما قال في القاذف واولئك هم الفاسقون فسميته
منافقا لقوله تعالى ان المنافقين هم الفاسقون فامسك عمرو فقال له واصل يا ابا عثمان ايما
اولى ان تستعمل في اسماء المحدثين من امتنا ما اتفق عليه الفرق من اهل القبلة او ما اختلف فيه
فقال عمرو بل ما اتفقوا عليه اولى فقال له واصل الست تجد اهل الفرق على اختلافهم يسمون صاحب
الكبيرة فاسقا ويختلفون فيما عدا ذلك من اسمائه لان الخوارج تسميه مشركا فاسقا والشيعة
تسميه كافر نعمة فاسقا قال قدس الله روحه يعني بالشيعة الزيدية والحسن يسميه منافقا
فاسقا والمرجئة تسميه مؤمنا فاسقا فاجمعوا على تسميته بالفسق واختلفوا فيما عدا ذلك من

الصنعة والصانع

من اهل الصلاة

اهل

اسمائه فالواجب ان يسمى بالاسم الذي اتفق عليه وهو الفسق لاتفاق المختلفين عليه ولا يسمى بما
عدا ذلك من الاسماء التي اختلف فيها فيكون صاحب الكبيرة فاسقا ولا يقال انه مؤمن ولا منافق و
لا مشرك ولا كافر نعمة فهذا اشبه باهل الدين فقال له عمرو بن عبيد ما بيني وبين الحق عداوة و
القول قولك فليشهد علي من حضر اني تارك للمذهب الذي اذهب اليه من نفاق صاحب
الكبيرة من اهل الصلاة قائل بقول ابي حذيفة في ذلك واني قد اعتزلت مذهب الحسن في هذا
الباب فاستحسن الناس هذا من عمرو ❊ وقيل ان اسم الاعتزال انما اختصت به هذه الفرقة
لاعتزالهم مذهب الحسن اعني الحسن في تسميته مرتكب الكبيرة من اهل الصلاة بالنفاق وحكى غير
ذلك وقيل ان قتادة بعد موت الحسن البصري كان يجلس مجلسه فكان هو وعمرو بن عبيد يتنافسان من
اصحاب الحسن فجرى بينهما نفرة فاعتزل عمرو مجلس قتادة فاجتمع قوم من اصحاب الحسن اليه وكان
قتادة اذا جلس مجلسه سأل عن عمرو واصحابه فيقول ما فعلت المعتزلة فسموا بذلك ❊ قال
قدس الله روحه اما ما الزمه واصل بن عطاء لعمرو بن عبيد فغير لازم واما ما كلمه به تائبا
فغير واجب ولا لازم لان الاجماع وان لم يوجد في تسمية صاحب الكبيرة بالنفاق او غيره من الاسماء
كما وجد في تسميته بالفسق فغير ممتنع ان يسمى بذلك لدليل غير الاجماع ووجود الاجماع في الشيء
وان كان دليلا على صحته فليس فقده دليلا على فساده وواصل انما الزم عمروا ان يعدل عن التسمية
بالنفاق للاختلاف فيه ويقتصر على الفسق للاتفاق عليه وهذا باطل ولو لزم ما ذكره للزمه
ان يقال له قد اتفق اهل الصلاة على استحقاق صاحب الكبيرة من اهل القبلة الذم والعقاب ولم
يتفقوا على استحقاقه التخليد في العقاب او يقول انهم اجمعوا على استحقاقه العقاب ولم يجمعوا على
فعل المستحق به فيجب ان اقول بما اتفقوا عليه وانفي ما اختلفوا فيه فاذا قيل له استحقاقه
للخلود او فعل المستحق به من العقاب وان لم يجمعوا عليه فقد علم بدليل غير الاجماع قيل له مثل
ذلك فيما عول عليه وبطل على كل حال ان يكون الاختلاف في القول دليلا على وجوب الامتناع منه وهذا

فيه

نفرة

فجرت

اولا

التسمية

بنقض مسائل كثيرة ذكرها بطول على ان المقدمة التي قدمها لا تشبه ما الزم عليها لان الاجماع
اولى من الاختلاف فيما يتعارض ويتقابل ولا الاجماع والاختلاف في الموضع الذي تكلم عليه واصل
عمرا في مكانين لان الاجماع هو على تسميته بالفسق والاختلاف هو في تسميته بما عداه من الاسما فلا
تعارض بينهما ولذا ان يلصق الاجماع في موضعه ويتوقف فيما الاختلاف فيه على دلالة غيره الا الاجماع
لان فقد الاجماع من القول لا يوجب بطلانه ❀ وحكي ان واصلا كان يقول اراد الله تعالى من
العباد ان يعرفوه ثم يعملوا ثم يعلموا قال الله تعالى يا موسى اني انا الله فعرفه نفسه ثم قال له
اخلع نعليك فبعد ان عرفه نفسه امره بالعمل قال والدليل على ذلك قوله تعالى والعصر ان الانسان
لفي خسر الا الذين آمنوا اي صدقوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر علموا او
علموا ❀ وروى المبرد قال حدثت ان واصل بن عطاء اقبل في رفقة فاحسوا بالخوارج وكانوا
قد اشرفوا على العطب فقال واصل لاهل الرفقة ان هذا ليس من شانكم فاعتزلوا ودعوني واياهم
فقالوا نشانك فقال الخوارج له ما انت واصحابك قال مشركون مستجيرون ليسمعوا كلام الله ويعرفوا
حدوده فقالوا قد اجرناكم قال فعلمونا فجعلوا يعلمونه احكامهم وهو يقول قد قبلت انا ومن معي
قالوا فامضوا مصاحبين فانكم اخواننا قال لهم ليس ذلك لكم قال الله تعالى وان احد من المشركين استجارك
فاجره حتى يسمع كلام الله ثم ابلغه مامنه فابلغونا مامننا فساروا باجمعهم حتى بلغوهم الامن ❀
وحكي ان محمدا وابرهيم ابني عبد الله بن الحسن كانا ممن دعاهما واصل الى القول بالعدل فاستجابا
له وذلك لما حج واصل ودعا الناس بمكة والمدينة ❀ وحكى ابو القسم البلخي ان عبد الله قال
لابنه محمد يا بني كل خصالك محمودة الا قولك بالقدر فقال له يا ابة افتراني اقدر على تركه ام لا اقدر على
تركه فورد الكلام على رجل عاقل فقال لا عاتبتك عليه ابدا ❀ قال قدس الله روحه يقول ان
كنت اقدر على تركه فهو قولي وان كنت لا اقدر فلم تعاتبني على شي لا اقدر عليه ❀ فاما عمرو بن
عبيد فيكنى ابا عثمان مولى لبني العدوية من بني تميم قال الجاحظ هو عمرو بن عبيد بن

علموا — صح
احكامه — صح

من بني تميم

باب وباب نفسه من سبي كابل من سبي عبد الرحمن بن سمرة وكان باب مولى لبني العدوية قال
وكان ابوه عبيد شرطيا وكان عمرو من هو زهدا فكانا اذا اجتازا معا على الناس قالوا هذا شر الناس
ابو خير الناس فيقول عبيد صدقتم هذا ابرهيم وانا تارخ ❀ قال علي بن الجعد هو عبيد بن باب وكان
انا الحكم بن ايوب قال وكان باب مكاريا له دكان معروف يقال له دكان باب وللفرزدق
شعر مشهور لكنا ذكره لشهرته ولفحش فيه ❀ وذكر ابو الحسين الخياط ان مولد عمرو و
واصل بن عطاء في سنة ثمانين قال ومات عمرو في سنة اربع واربعين ومائة وهو ابن اربع وستين
سنة ❀ وروي ان عمرا استاذن على المنصور فدخل عليه الربيع فقال له بالباب رجل قال اني
عمرو بن عبيد وكانت على المنصور جبة يمانية مخفقة فقال ويلك يا ربيع عمرو بالباب قال نعم
قال هات لي قميصا ابيض فاتاه به فالقاه عليه فقال له دز من خلفي فغطى الجبة وازرر علي قال
الربيع ولم اكن ارى ان احدا يوقر المنصور حتى رايت عمرو بن عبيد قال فدخل عليه رجل ادم
مربوع الكدنه بين عينيه اثر السجود حسن الادب حسن اللسان كانه لم يزل مع الملوك في توقيره
الخليفة ولعظامه اياه قال فسلم فاجلسه المنصور ليجلسه معه فابى وطرح نفسه بين يديه
فسايله واحفى به فلما اراد عمرو القيام قال له عظني يا ابا عثمان واوجز فقال له ان ما في يديك
ليس بوارثه عنك احد وانما هو شي صار اليك وكان في يد غيرك قبلك ولو دام لكان لم يبق في يد
الاول والسلم ❀ وعن الاصمعي قال قال مطر الوراق لعمرو بن عبيد اني لارحمك مما يقول
الناس فيك قال عمرو افسمعتني اقول فيهم شيئا قال لا قال فاياهم فارحم ❀ وقال خالد بن صفوان لعمرو بن
عبيد لم لا تاخذ مني فتقضي به دينك ان كان عليك وتصل رحمك فقال له عمرو اما دين فليس علي
واما صلة رحمي فلا تجب علي وليس عندي قال فما يمنعك ان تاخذ مني قال يمنعني انه لم ياخذ احد
من احد شيا الا ذل له وانا والله اكره ان اذل لك ❀ ويقال ان ابن لهيعة اتى عمرو بن عبيد في
المسجد الحرام فسلم عليه وجلس اليه وقال له يا ابا عثمان ما تقول في قوله تعالى ولن تستطيعوا ان تعدلوا

احفى — نخ — احد

بين النساء ولو حرصتم فقال له ذلك في محبة القلوب التي لا يستطيعها العبد ولم يكلفها فاما العدل بينهن
في القسمة بين النفس والكسوة والنفقة فهذا مطيق لذلك وقد كلفه بقوله تعالى ولا تميلوا كل الميل فيما
تطيقون فتذروها كالمعلقة بمنزلة من ليست ايما ولا ذات زوج فقال ابن لهيعة هذا والله هو الحق
ويقال ان عمرو بن عبيد اتى يونس بن عبيد يعزيه عن ابن له فقال له ان اباك كان اصلك وان ابنك كان
فرعك وان امرأ ذهب اصله وفرعه لحرى ان يقل بقاؤه فقيل ان عبد الله بن عبد الاعلى اخذ هذا
المعنى فقال

صحبتك قبل الروح اذ انا نطفة تصان فما يبدو لعين مصونها
ارى المرء دنيا للمنايا وما لها مطال اذا حلت بنفس ديونها
فماذا بقاء الفرع من بعد اصله ستلقى الذى لاقى الاصول غصونها

واول من سبق الى هذا المعنى امرؤ القيس في قوله

فبعض اللوم عاذلتي فاني ستكفيني التجارب وانتسابي
الى عرق الثرى وشجت عروقي وهذا الموت يسلبني شبابي

ولهذا ذكر لبيد في قوله

فان انت لم تصدقك نفسك فانتسب لعلك تهديك القرون الاوائل
فان لم تجد من دون عدنان والدا ودون معد فلتزعك العواذل

واحسن ايضا في قوله

تمنى ابنتاي ان يعيش ابوهما وهل انا الا من ربيعة او مضر

ونظر اليه محمود الوراق وابرهيم بن العباس الصولي اما محمود ففي قوله

اذا ما انتسبت الى آدم فلم يك بينكما من اب
وجاوزت سنوك الاربعين وصرت الى الجانب الاجنب
ودب البياض خلال السواد فاصبحت في شبه الاشهب
فكيف تؤمل طول الحيوة ان كان حلمك لم يعزب

واما ابرهيم ففي قوله

نعى نفسي الى ابي وخير ابن منقلبي بموعظة دهاني ابيه كما دانت ابي

بخطه دام ظله
قوله بخط ابن السكيت رحمه الله
فلتزعك وفلتزعك من زاع
يزوع بمعنى وزع وفلتزعك
من التوزيع

وكان ابا نواس لحظ هذا المعنى في قوله

وما الناس الا هالك وابن هالك وذو نسب في الهالكين عريق
اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت له عن عدو في ثياب صديق

مجلس ثاني عشر

روى ان عمرو بن عبيد دخل على معوية بن عمرو الغلابي
وهو يجود بنفسه فقال له ان الله تعالى تعبدك في حال الصحة بالعمل بجوارحك وقلبك ووضع عنك
في هذه الحال عمل الجوارح ولم يكلفك الا العمل بقلبك فاعطه بقلبك ما يجب له عليك وروى ان
قوما اجتمعوا الى عمرو بن عبيد فتذاكروا السخاء فاكثروا في وصفه وعمرو ساكت فسالوه عما عنده
فقال ما اصبتم صفته ان السخى من جاد بماله تبرعا وكف عن اموال الناس تورعا وذكر اسحق بن
الفضل الهاشمي قال اني لعلى باب المنصور يوما والى جنبي عمارة بن حمزة اذ طلع عمرو بن عبيد على
حمار فنزل عن حماره ثم رفع البساط برجله وجلس دونه فالتفت الى عمارة فقال لا تزال بصرتكم ترمينا
باحمق فما فصل كلامه من فيه حتى خرج الربيع وهو يقول ابو عثمن عمرو بن عبيد قال فوالله ما دل
على نفسه حتى ارشد اليه فاتكاه يده ثم قال اجب امير المؤمنين جعلت فداك فمر متكئا
عليه فالتفت الى عمارة فقلت ان الرجل الذى استحمقته قد ادخل وتركنا فقال كثيرا ما يكون
ذلك فاطال اللبث ثم خرج الربيع وهو متوكئ عليه والربيع يقول يا غلام حمار ابى عثمن فما برح
حتى اقره على الحمار فاقره على سرجه وضم اليه نشر ثوبه واستودعه الله فاقبل عمارة على الربيع
فقال لقد فعلتم اليوم بهذا الرجل ما لو فعلتموه بولي عهدكم لقضيتم ذمامه قال فما غاب عنك مما
فعل به اكثر واعجب فقال عمارة فان اتسع لك الحديث فحدثنا فقال الربيع ما هو الا ان سمع
الخليفة بمكانه فما امهل حتى امر بمجلس ففرش لبودا ثم انتقل اليه والمهدي معه وعليه سواده
وسيفه ثم اذن له فلما دخل عليه سلم عليه بالخلافة فرد عليه وما زال يدنيه حتى اتكاه فخذه وتحفى
به ثم ساله عن نفسه وعن عياله يسميهم رجلا رجلا وامراة امراة ثم قال له يا ابا عثمان عظنا

رفع
عقف
دفع
متوكيا

اتكاه يده كان جعله متكئا عليها
واصل اتكاه في هذه الكلمة الواو
وقال اوكأت فلانا اذا جعلت له
متكأ

فقال أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم والفجر وليال عشر ومر فيها إلى آخرها فقال إن
ربك يا أبا جعفر لبالمرصاد قال فبكى بكاءً شديداً كأنه لم يسمع تلك الآيات إلا تلك الساعة فقال زدني فقال
إن الله قد أعطاك الدنيا بأسرها فاشتر نفسك منه ببعضها واعلم أن هذا الأمر الذي صار إليك إنما
كان في يد من كان قبلك ثم أفضى إليك وكذلك يخرج منك إلى من هو بعدك وإني أحذرك ليلة تمخض
صبيحتها عن يوم القيامة قال فبكى أشد من بكائه الأول حتى رجف جنباه ⁘ وفي رواية أخرى أنه لما
انتهى إلى آخر السورة قال يا أمير المؤمنين إن ربك لبالمرصاد لمن عمل مثل عملهم أن ينزل به مثل ما
أنزل بهم فاتق الله فإن من وراء بابك نيراناً تأجج من الجور ما يعمل فيها بكتاب الله ولا بسنة رسول
الله فقال يا أبا عثمان إنا لنكتب إليهم في الطوامير نأمرهم بالعمل بالكتاب والسنة فإن لم يفعلوا فما
عسى أن نصنع فقال له مثل أذن الفأرة يجزي من الطوامير إنك تكتب إليهم في حاجة نفسك فينفذونها
وتكتب إليهم في حاجة الله فلا ينفذونها إنك والله لو لم ترض من عمالك إلا بالعدل إذاً لتقرب
إليك به من لا نية له فيه ⁘ قال قدس الله روحه رجعنا إلى نسق الحديث فقال له سليمان بن
مجالد رفقاً يا أمير المؤمنين فقد أتعبته منذ اليوم فقال له بمثلك ضاع الأمر وانتشر لا أبا لك وماذا
خفت على أمير المؤمنين أن يبكي من خشية الله ⁘ وفي رواية أخرى أن سليمان بن مجالد لما قال له ذلك
رفع عمرو رأسه فقال له من أنت فقال أبو جعفر أولا تعرفه يا أبا عثمان فقال لا ولا أبالي أن لا أعرفه فقال
هذا أخوك سليمان بن مجالد فقال هو أخو الشيطان ويحك يا بن أم مجالد خزنت نصيحتك عن أمير المؤمنين
ثم أردت أن تحول بينه وبين من أراد نصيحته يا أمير المؤمنين إن هؤلاء اتخذوك سلماً لشهواتهم فأنت
كالآخذ بالقرنين وغيرك يحلب فاتق الله فإنك ميت وحدك ومحاسب وحدك ومبعوث وحدك ولن
تغني عنك هؤلاء من ربك شيئاً فقال له المنصور يا أبا عثمان أعني بأصحابك أستعن بهم فقال له أظهر
الحق يتبعك أهله قال بلغني أن محمد بن عبد الله بن الحسن كتب إليك كتاباً قال قد جاءني كتاب
يشبه أن يكون كتابه قال فبماذا أجبته قال أوليس قد عرفت رأيي في السيف أيام كنت تختلف إلينا

وأني لا أراه قال أجل ولكن تحلف لي ليطمئن قلبي قال لئن كذبتك تقية لأحلفن لك تقية فقال له
أنت الصادق البار وقد أمرت لك بعشرة آلاف درهم تستعين بها على زمانك قال لا حاجة لي فيها قال والله
لتأخذنها فقال والله لا آخذنها فقال له المهدي تحلف أمير المؤمنين وتخلف فترك المهدي وأقبل على المنصور وقال من هذا
الفتى قال ابني محمد وهو المهدي وهو ولي العهد فقال والله لقد سميته اسماً ما استحقه بعمل
وألبسته لبوساً ما هو من لبوس الأبرار ولقد مهدت له أمراً أمتع ما يكون به أشغل ما يكون
عنه ثم التفت إلى المهدي فقال نعم يا ابن أخي إذا حلف أبوك حلف عمك لأن أباك أقدر على الكفارة
من عمك قال المنصور يا أبا عثمان هل من حاجة قال نعم قال ما هي قال لا تبعث إلي حتى آتيك قال إذاً
لا تلقني قال عن حاجتي سألتني ثم ودعه ونهض فلما ولى أتبعه بصره وأنشأ يقول
كلكم طالب صيد كلكم ماشي رويد غير عمرو بن عبيد ⁘ وروى أن هشام
بن الحكم قدم البصرة فأتى حلقة عمرو بن عبيد فجلس فيها وعمرو لا يعرفه فقال لعمرو أليس قد جعل الله
لك عينين قال بلى قال ولم قال لأنظر بهما في ملكوت السماوات والأرض فأعتبر قال وجعل لك فماً قال
نعم قال ولم قال لأذوق الطعوم وأجيب الداعي ثم عدد عليه الحواس كلها ثم قال وجعل لك
قلباً قال نعم قال ولم قال لتؤدي إليه الحواس ما أدركته فيميز بينها قال فأنت لم يرض لك
ربك تعالى إذ خلق لك خمس حواس حتى جعل لها إماماً ترجع إليه أيرضى لهذا الخلق الذي جشا
بهم العالم أن لا يجعل لهم إماماً يرجعون إليه فقال له عمرو ارتفع حتى ننظر في مسألتك وعرفه
ثم دار هشام في حلق البصرة فما أمسى حتى اختلفوا ⁘ وروى أبو عبيدة قال دخل عمرو بن عبيد
على سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس بالبصرة فقال له سليمان أخبرني عن صاحبك يعني الحسن
حين زعم أن علياً عليه السلام قال إني وددت أني أكل الحشف بالمدينة ولم أشهد مشهدي
هذا يعني يوم صفين فقال له عمرو بن عبيد لم يقل هذا إلا أنه ظن أن أمير المؤمنين عليه السلام شك ولكنه
يقول وددت أنه كان يأكل الحشف بالمدينة ولم يكن من الفتنة فقال له فقوله في عبد الله بن العباس

يغنينا في القبلة والقبلة وطار بانوا لنا في ليلة فقال له وكيف يقول هذا وابن عباس رحمة الله عليه لم يفارق عليا عليه السلم حتى قتل وشهد صلح الحسن عليه السلم واي مال اجتمع في بيت مال البصرة مع حاجة علي عليه السلم الى الاموال وهو يفرغ بيت مال المسلمين في كل جمعة ويرشه وقالوا انه كان يقيل فيه فكيف يترك المال المجتمع بالبصرة وهذا باطل :. قال الجاحظ نازع رجل عمرو بن عبيد في القدر فقال له عمرو ان الله تعالى قال في كتابه ما يزيل الشك عن قلوب المؤمنين في القضاء والقدر قال تعالى فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون ولم يقل لنسألنهم عما قضيت عليهم او قدرته فيهم او اردته منهم او شئته لهم وليس بعد هذا الا الاقرار بالعدل او السكوت عن الجحود الذي لا يجوز على الله تعالى قال خلاد الاسود حدثني زميل لعمرو بن عبيد قال سمعته في الليلة التي مات فيها يقول اللهم انك تعلم انه لم يعرض لي امران قط احدهما لك فيه رضا والاخر لي فيه هوى الا قدمت رضاك على هواي فاغفر لي :. ومر ابو جعفر المنصور على قبره بمران وهو موضع على ليال من مكة على طريق البصرة فانشا يقول

صلى الاله عليك من متوسد قبرا مررت به على مران
قبرا تضمن مؤمنا متخشعا عبد الاله ودان بالفرقان
واذا الرجال تنازعوا في شبهة فصل الخطاب بحكمة وبيان
فلو ان هذا الدهر ابقى صالحا ابقى لنا عمرا ابا عثمان

(في الهامش: ثم بالقرآن)

فاما ابو الهذيل العلاف فهو محمد بن الهذيل بن عبد الله بن مكحول العبدي وقال ابو القسم البلخي هو من موالي عبد القيس ولد سنة اربع وثلثين ومائة وقال ابو الحسين الخياط ولد سنة احدى وثلثين ومائة وقيل انه توفي في اول ايام المتوكل سنة خمس وثلثين ومائتين فكانت سنه مائة سنة :. قال البرذعي بلغني ان ابا الهذيل في آخر عمره خرف الا انه لم يكن يذهب عليه معرفة المذهب والقيام بحجته وقيل انه كف بصره قبل وفاته :. واخذ ابو الهذيل الكلام عن

عثمان الطويل صاحب واصل بن عطاء :. وقيل ان ابا الهذيل في حداثته بلغه ان رجلا يهوديا قدم البصرة وقد قطع جماعة من متكلميها فقال لعمه يا عم امض بي الى هذا اليهودي اكلمه فقال له عمه يا بني كيف تكلمه وقد عرفت خبره وانه قطع مشايخ المتكلمين وقال لا بد من ان تمضي بي فمضى به قال فوجدته يقرر الناس على نبوة موسى عليه السلم فاذا اعترفوا له بها قال نحن على ما اتفقنا عليه الى ان تجمع على ما تدعونه فتقدمت اليه فقلت له اسألك ام تسألني فقال بل اسألك فقلت ذاك اليك فقال لي اتعترف بان موسى عليه السلم نبي صادق ام تنكر ذلك فتخالف صاحبك فقلت له ان كان موسى الذي تسألني عنه هو الذي بشر بنبيي عليه السلم وشهد بنبوته وصدقه فهو صادق نبي وان كان غير من وصفت فذلك شيطان لا اعترف بنبوته فورد عليه ما لم يكن في حسابه ثم قال لي اتقول ان التورية حق فقلت هذه المسالة تجري مجرى الاولى ان كانت هذه التورية التي تسألني عنها هي التي تتضمن البشارة بنبيي عليه السلم فتلك حق وان لم يكن كذلك فليست بحق ولا اقر بها فبهت وافحم ولم يدر ما يقول ثم قال احتاج ان اقول لك شيئا بيني وبينك فظننت انه يقول شيئا من الخير فتقدمت اليه فسارني وقال لي امك كذا وكذا وام من علمك لا يكني وقدر انني اثب به فيقول وثب علي وشغبوا علي فاقبلت على من كان في المجلس وقلت اعزكم الله قد وقفتم على مسالته اياي وجوابي اياه فقالوا بلى قلت افليس عليه ان يرد جوابي ايضا قالوا بلى قلت لهم فانه لما سارني شتمني بالشتم الذي يوجب الحد وشتم من علمني وانما قدر انني اثب عليه فيدعي انا واثبناه وشغبنا عليه وقد عرفتكم شانه بعد الانقطاع فانصروني فاخذته الايدي من كل جهة وخرج هاربا من البصرة :. وعن ابي العيناء قال قال لي ابو الهذيل ما معنى الخسف فقلت ان تنقلب الارض اعلاها اسفلها فقال لا يكون هذا اليوم بالارض فانه لما الناس :. وقال ابو الهذيل قال لي المعدل بن غيلان العبدي وكان من سادة عبد القيس وكان يجتمع اليه اهل النظر يا ابا الهذيل ان في نفسي شيئا من قول القوم في الاستطاعة فبين لي ما يذهب بالريب عني فقال خبرني عن قول الله تعالى وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون انفسهم والله

(في الهامش: ثم قال — له الشتم)

يعلم انهم لكاذبون هل يخلو ان يكون اكذبهم لانهم يستطيعون الخروج وهم تاركون له فاستطاعة
الخروج فيهم وليس يخرجون فقال انهم لكاذبون اي انهم يستطيعون الخروج وهم يكذبون فيقولون ليس
نستطيع ولو استطعنا لخرجنا فاكذبهم الله تعالى على هذا الوجه او يكون على وجه آخر يقول انهم
لكاذبون اي ان اعطيتهم الاستطاعة لم يخرجوا فيكون معهم الاستطاعة على الخروج ولا يكون
الخروج ولا يعقل للآية معنى ثالث غير الوجهين اللذين وصفنا ∴ وحكى سليمان الرقي ان ابا الهذيل
لما نزل سر من رأى نزل في غرفة الى ان تطلب له دار تصلح له قال فدخلت به فقلت يا ابا الهذيل انزل في
مثل هذا المنزل فانشدني ∴ يقولون زين المرء يا مي رحله الا ان زين الرحل يا مي راكبه
وعن ابي مجالد قال رايت رجلا وقد سال ابا الهذيل وهو في الوراقين بالبصرة فصاح فقال له من جمع بين
الاثنتين يا ابا الهذيل فقال له يا ابن اخي اما بالبصرة فانهم يقولون القوادون واما اهل بغداد
فخالفوهم في هذا القول فما تقول استحي الرجل وسكت ∴ وقال ابو الهذيل قلت لرجل ممن ينفي الحركة
ولم يسمه وزعم قوم انه الاصم خبرني عن قول الله تعالى الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة
جلدة وذكر القاذف فقال فاجلدوهم ثمانين جلدة فايهما اكثر قال حد الزاني فقلت بكم قال
بعشرين فقلت خبرني عن الجلد اهو غير الجلاد قال لا قلت افهو السوط قال لا قلت افهو ظهر المجلود
قال لا قلت افهو الاعوجاج الذي في ظهر المجلود فقال لا فقلت افثم شيء غير هذا هو الجلد قال لا
قلت فانما تقول ان لا شيء اكثر من لا شيء بعشرين فانقطع ∴ وقال ابو الهذيل قلت لمجوسي ما تقول
في النار قال بنت الله قلت فالبقر قال ملائكة الله قص اجنحتها وحطها الى الارض يحرث عليها
قلت فالماء قال نور الله قلت فالجوع والعطش قال فقر الشيطان وفاقته قلت فمن يحمل الارض
قال بهمن الملك قلت فما في الدنيا شر من المجوس اخذوا ملائكة الله فذبحوها ثم غسلوها بنور
الله ثم شووها ببنت الله ثم دفعوها الى فقر الشيطان وفاقته ثم سلحوها على ابن بهمن اعز
ملائكة الله فانقطع المجوسي وخجل مما لزمه فقال ابو الهذيل من سكر النعم الذي قد دفع الاجر

السوط

بن زاميون

لتوفيه بمعرفته حقه قال رجل من اهل النجوم قال من اهل صناعة الحساب ام الاحكام فقال الاحكام
قال ذلك علم يبطل افاسئله قال سل فاخذ ابو الهذيل تفاحة من بين يديه فقال آكل هذه ام لا قال
تاكلها فوضعها ابو الهذيل وقال لست آكلها قال فعيدها الي حتى اعيد النظر فوضعها واخذ غيرها
فقال له الحسن لم اخذت غيرها قال لئلا يقول لي لا تاكلها فآكلها خلافا عليه فيقول قد اصبت في
المسئلة الاولى ∴ وقال بعض المنانية يوما لابي الهذيل دل على حدث العالم بغير الحركة والسكون فقال
له ابو الهذيل مثلك مثل رجل قال للخصم احضر معي القاضي ولا تحضر بيني وبينك ∴ وذكر محمد بن الجهم صاحب
الفراء قال رايت ابا الهذيل وقد جاء الى الديوان في ايام المامون فسال سهل بن هارون ان يكتب له كتابا
في حاجة الى حصويه صاحب الجيش ونهض ابو الهذيل فاملى علي سهل بن هارون

ان الضمير اذا سالتك حاجة لابي الهذيل خلاف ما ابدى
فاذا اتاك لحاجة فامدد له حبل الرجاء بمخلف الوعد
والن له كنفا ليحسن ظنه في غير منفعة ولا رفد
حتى اذا طالت شقاوته ورجا الغنى فاجبهه بالرد
وان استطعت له المضرة فاجتهد فيما يضر بابلغ الجهد
وانظر كلامي فيه فارم به خلف الثريا اسكن في البعد
وكذاك فافعل غير محتشم ان جئت اسال في ابي الهندي

قال ... قدس الله روحه ويشبه هذا المعنى ما اخبرنا به ابو عبيد الله المرزباني قال
حدثني محمد بن الازهر قال حدثنا ابو العيناء قال كان لي صديق فجاءني يوما فقال لي اريد الخروج الى
فلان العامل واحب ان تكون معي اليه وسيلة وقد سالت من صديقه فقيل لي ابو عثمن الجاحظ وهو
صديقك فاحب ان تاخذ لي كتابه اليه بالعناية قال فصرت الى الجاحظ فقال لي في اي شيء جاء
ابو عبد الله فقلت مسلما وقاضيا للحق وفي حاجة لبعض اصدقائي وذكرتها فقال لا تشغلنا

الساعة عن الحاجة فاتني في غد اوجه اليك بالكتاب فلما كان من الغد وجه الي بالكتاب فقلت
لابني وجه بهذا الكتاب الى فلان ففيه حاجة فقال ان ابا عثمن بعيد الغور فينبغي ان نفضه وننظر ما
فيه ففعلت فاذا في الكتاب كتابي اليك مع من لا اعرفه وقد كلمني فيمن لا اوجب حقه فان قضيت
حاجته لم احمدك وان رددته لم اذممك فلما قرات الكتاب مضيت الى الجاحظ من فوري فقال يا
ابا عبد الله قد علمت انك انكرت ما في الكتاب فقلت اوليس موضع نكرة فقال لا هذه علامة بيني وبين
الرجل فيمن اعتني به فقلت لا والله ما رايت رجلا اعلم بطبعك وما جبلت عليه من هذا الرجل يعني
صاحب الحاجة علمت انه لما قرا الكتاب قال ام الجاحظ عشرة الف وام من يسأله فقلت له يا هذا
اتشتم صديقنا فقال هذه علامتي فيمن اشكره وفي رواية ابي العيناء انه سلم الكتاب الى
صاحب الحاجة وقال له فض الكتاب فقال انه مختوم فقال له ابو العيناء طينه اهون من طينته

قال السيد قدس الله روحه واظن ان ابا العيناء نبهه على فض الكتاب وقرأته بخبر طرفة بن
العبد والمتلمس الضبعي المشهور وذلك انهما وفدا على عمرو بن هند فنادماه واختصا به ثم افضى
الامر الى ان هجاه كل واحد منهما وعرض به في الشعر المشهور في الرواية فحنق عليهما وهم بقتلهما
ثم اشفق من ذلك واراد قتلهما بيد غيره وكان على طرفة احنق فعلم انه ان هجاه المتلمس فكتب
لهما كتابا الى البحرين وقال لهما اني قد كتبت لكما كتابا بصلة فاشخصا لقبضها فخرجا عنه و
الكتابان في ايديهما فمرا بشيخ جالس على ظهر الطريق منكشفا بين ذو معه كسرة خبز ياكل
منها ويتناول القمل من ثيابه فيقصعه فقال احدهما لصاحبه هل رايت اعجب من هذا الشيخ فسمع
الشيخ مقالته فقال وما ترى من عجبي ادخل طيبا واخرج خبيثا واقتل عدوا وان اعجب مني
لمن يحمل حتفه بيده وهو لا يدري فاوجس المتلمس في نفسه خيفة وارتاب بكتابه ولقيه غلام
من اهل الحيرة فقال له اتقرا يا غلام فقال نعم ففض خاتم كتابه ودفعه الى الغلام يقراه فاذا فيه
اذا اتاك المتلمس فاقطع يديه ورجليه واصلبه حيا فاقبل على طرفة فقال تعلمن والله لقد

فلما

كتابين

منكشف

نعلم

كتب فيك بمثل هذا فادفع كتابك الى الغلام يقراه عليك فقال كلا والله ما كان ليجترئ علي قومي بمثل
هذا ولم يلتفت الى قول المتلمس والقى المتلمس كتابه في نهر الحيرة فقال

قذفت بها بالثني من جنب كافر كذلك اقنو كل قط مضلل
رضيت لها بالماء لما رايتها يجول بها التيار في كل جدول

كافر نهر بالحيرة واقنو اقتني والقط الكتاب والتيار معظم الماء وكثرته وقال المتلمس ايضا

من مبلغ الشعراء عن اخويهم نبا فتصدقهم بذاك الانفس
اودى الذي علق الصحيفة منهما ونجا حذار حبائه المتلمس
القى صحيفته ونجت كوره وجناء مجمرة المناسم عرمس
عيرانة طبخ الهواجر لحمها فكان نقبتها اديم املس
اطريفة بن العبد انك حائن ابساحة الملك الهمام تمرس
الق الصحيفة لا ابا لك انه يخشى عليك مع الحباء النقرس

العرمس الصخرة شبهت الناقة بها

النقبة هاهنا اللون والنقبة ايضا اول ما يبدو من الجرب

اي الداهية

النقرس هاهنا الداهية ومضى طرفة بكتابه الى البحرين فامر به المعلى بن حنش العبدي فقتل فقال المتلمس

عصاني فما لاقى رشادا وانما تبين من امر الغوي عواقبه
فاصبح محمولا على ظهر آلة تمج نجيع الجوف منه ترائبه
فلا تحللنها يعالو كل فوقها وكيف توقى ظهر ما انت راكبه

ولحق المتلمس ببلاد الشام وهجا عمرا وبلغه ان عمرا يقول لئن وجده بالعراق ليقتلنه فقال

آليت حب العراق الدهر اطعمه والحب ياكله في القرية السوس

وجرى المثل بصحيفة المتلمس فقال الفرزدق يذكر الشعراء الذين اوردوه اشعارهم

وهب القصائد لي النوابغ كلهم وابو بنو بردو ذو القروح وجرول
واخو بني قيس وهن قتلنه ومهلهل الشعراء ذاك الاول

اذ مضوا صح

وجرول

يعني بالنوابغ النابغة الذبياني والجعدي ونابغة بني شيبان ويعني بأبي بشر المخبل السعدي وجرول هو الحطيئة وذو القروح امرؤ القيس وأخو بني قيس هو طرفة ومعنى قوله ومن قبله يعني القصائد التي هجا بها عمرو بن هند ويقال إن صاحب المتلمس وطرفة في هذه القصة هو النعمان بن المنذر وذلك أشبه بقول طرفة

أبا منذر كانت غرورا صحيفتي ... ولم أعطكم في الطوع مالي ولا عرضي

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا ... حنانيك بعض الشر أهون من بعض

وأبو منذر هو النعمان بن المنذر وكان النعمان بعد عمرو بن هند وقد مدح طرفة النعمان فلا يجوز أن يكون عمرو قبله ويشبه أن تكون القصة مع النعمان

مجلس آخر ثالث عشر

وكان أبو سهل بشر بن المعتمر من وجوه أهل الكلام ويقال إن جميع معتزلة أهل بغداد كانوا من مستجيبيه وقال أبو القسم البلخي إنه من أهل بغداد وقيل من أهل الكوفة وذكر الجاحظ أنه كان أبرص وحكي أنه كان يوما في مجلسه وعنده أصحابه ومعهم مجبر يناظرهم ويقول إنكم تحمدون الله على إيمانكم وهم يقولون نعم فيقول لهم فكأنه يحب أن يحمد على ما لم يفعل وقد ذم ذلك في كتابه فيقولون إنما ... من ... أن يحمد على ما لم يفعله مما لم يعن عليه ولم يرغ إليه وهو يشغب إذ أقبل ثمامة بن أشرس فقال بشر للمجبر فسائل القوم والجأ بوك وهذا أبو معن فاسأله فسأله عن المسألة وقال له هل يجب عليك أن تحمد الله تعالى على الإيمان قال لا بل هو يحمدني عليه لأنه أمرني به ففعلته وأنا أحمده على الأمر به والتقوية عليه والدعاء إليه فانقطع المجبر وقال بشر شنعت فسهلت. قال الجاحظ وكان بشر يقع في أبي الهذيل وينسبه إلى النفاق فقال وهو يصفه لأبو الهذيل لأن يكون لا يعلم وهو عند الناس يعلم أحب إليه من أن يعلم ويكون عند الناس لا يعلم ولأن يكون من السفلة وهو عند الناس من العلية أحب إليه من أن يكون من العلية وهو عند الناس من السفلة ولأن يكون نبيل المنظر سخيف المخبر أحب إليه من أن يكون نبيل المخبر سخيف المنظر وهو بالنفاق أشد عجبا منه بالإخلاص ولباطل مقبول أحب إليه من حق مدفوع ولبشر أشعار كثيرة يحتج فيها على أصحاب المقالات وذكر الجاحظ أنه لم ير أحدا أقوى على المخمس والمزدوج مما قوي عليه بشر

وأنه كان أكثر في ذلك وأقدر من أبان اللاحقي وهو القائل

إن كنت تعلم ما أقول وما تقول فأنت عالم ... أو كنت تجهل ذا وذاك فكن لأهل العلم لازم

أهل الرياسة من ينازعهم رياستهم فظالم ... سهرت عيونهم وأنت عن الذي قاسوه حالم

لا تطلبن رياسة بالجهل أنت لها مخاصم ... لولا مقامهم رأيت الدين مضطرب الدعائم

فأما أبو إسحق إبراهيم بن سيار النظام فإنه كان مقدما في العلم بالكلام حسن الخاطر شديد التدقيق والغوص على المعاني وإنما أداه إلى المذاهب الباطلة التي تفرد بها واستشنعت منه تدقيقه وتغلغله وقيل إنه مولى آل الحارث بن عباد الضبعيين من ولد العبيد وأن الرق جرى على أحد آبائه وقيل للنظام ما حد الاختصار فقال الذي اختصار إن فساد وقال له رجل أتعرف فلانا المجوسي قال نعم ذاك الذي حلق وسط رأسه كما يفعل اليهودي فقال النظام لا مجوسيا عرفت ولا يهوديا وصفت. قال الجاحظ وذكر النظام عبد الوهاب الثقفي فقال هو أحلى من أمن بعد خوف وبرء بعد سقم وخصب بعد جدب وغنى بعد فقر وطاعة المحبوب وفرج المكروب ومن الوصل الدائم مع الشباب الناعم وللنظام شعر كثير صالح فمنه

يا تاركي جسدا بغير فؤاد ... أسرفت في الهجران والإبعاد

إن كان يمنعك الزيارة أعين ... فادخل علي بعلة العواد

كيما أراك وتلك أعظم نعمة ... ملكت يداك بها منيع فؤادي

إن العيون على القلوب إذا جنت ... كانت بليتها على الأجساد

وله أيضا

توهمه طرفي فآلم خده ... فصار مكان الوهم من نظري أثر

وصافحه قلبي فآلم كفه ... فمن صفح قلبي في أنامله عقر

ومر بقلبي خاطرا فجرحته ... ولم أر جسما قط يجرحه الفكر

يمر فمن لين وحسن تعطف ... يقال به سكر وليس به سكر

ويقال إن أبا العتاهية قال أنشدت النظام

[Margin: استشنعت — المجوسي ذاك اليهودي — بليتها — تأمله — فكان — روي أن أبا الهذيل لما سمع هذه الأبيات ...]

تمشت في محاسنه الكلوم … اذا ابتم النديم له بلحظ

فقال ينبغي ان ينادم هذا اعمى :: قال السيد رضي الله عنه وابيات النظام تتضمن معنى بيت ابي العتاهية ولا ادري ايهما اخذ من صاحبه والنظام يكرر هذا المعنى كثيرا في شعره فمن ذلك قوله ::

رق فلو بزت سرابيله … علقه الجو من اللطف

يجرحه اللحظ بتكراره … ويشتكي الايماء بالطرف

وحكي ان ابا النظام جاء به وهو حدث الى الخليل بن احمد ليعلمه فقال له الخليل يوما يمتحنه وفي يده قدح زجاج يا بني صف لي هذه الزجاجة فقال ابمدح ام بذم قال بمدح قال نعم تريك القذى ولا تقبل الاذى ولا تستر ما وراءها قال فذمها قال سريع كسرها بطيء جبرها • قال فصف هذه النخلة واومأ الى نخلة في داره قال ابمدح ام بذم قال بمدح قال هي حلو مجتناها باسق منتهاها ناضر اعلاها • قال فذمها قال هي صعبة المرتقى بعيدة المجتنى محفوفة بالاذى فقال الخليل يا بني نحن الى التعلم منك احوج :: قال السيد قدس الله روحه هذه بلاغة من النظام حسنة لان البلاغة هي وصف الشيء ذما او مدحا باقصى ما يقال فيه ويشبه بهذا المعنى خبر لبيد المشهور في هجائه للبقلة التي امتحن بهجائها واختبر بذمها فقال فيها ابلغ ما يقال في مثلها وذلك ان عمارة وانسا وقيسا والربيع بني زياد العبسيين وفدوا على النعمان بن المنذر ووفد عليه العامريون بنو ام البنين الاربعة وعليهم ابو البراء عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب وهو ملاعب الاسنة وكان العامريون ثلثين رجلا فيهم لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب وهو يومئذ غلام له ذوابة وكان الربيع بن زياد العبسي ينادم النعمان ويكثر عنده ويتقدم على من سواه وكان يدعى الكامل لشطاطه وبياضه وكماله فضرب النعمان قبة على ابي براء واجرى عليه وعلى من كان معه النزل فكانوا يحضرون النعمان لحاجتهم فافتخروا يوما بحضرته فكاد العبسيون يغلبون العامريين وكان الربيع اذا خلا بالنعمان طعن فيهم وذكر معايبهم ففعل ذلك مرارا لعداوته

لبني جعفر لانهم كانوا اسروه فصد النعمان عنهم حتى نزع القبة عن ابي براء وقطع النزل فدخلوا عليه يوما فراوا منه جفاء وقد كان قبل ذلك يكرمهم ويقدم مجلسهم فخرجوا من عنده غضابا وهموا بالانصراف ولبيد في رحالهم يحفظ امتعتهم ويغدو بابلهم فيرعاها فاذا امسى انصرف بها فاتاهم تلك الليلة فاذا هم يتذاكرون امر الربيع فقال لهم ما لكم تتناجون فكتموه وقالوا له اليك عنا فقال اخبروني فلعل لكم عندي فرجا فزجروه فقال والله لا احفظ لكم متاعا ولا اسرح لكم بعيرا او تخبروني وكانت ام لبيد عبسية في حجر الربيع فقالوا ان خالك قد غلبنا على الملك وصد عنا وجهه فقال هل تقدرون على ان تجمعوا بيني وبينه غدا حين يقعد الملك فارجز به رجزا ممضا مولما لا يلتفت اليه النعمن بعده ابدا قالوا وهل عندك ذاك قال نعم قالوا فانا نبلوك بشتم هذه البقلة وقدامهم بقلة دقيقة القضبان قليلة الورق لاصقة فروعها بالارض تدعى التربة فاقتلعها من الارض واخذها بيده وقال هذه البقلة التربة القليلة الرذلة التي لا تذكي نارا ولا تؤهل دارا ولا تسر جارا عودها ضئيل وفرعها ذليل وخيرها قليل بلدها شاسع ونبتها خاشع واكلها جائع والمقيم عليها قانع اقصر البقول فرعا واخبثها مرعى واشدها قلعا فتحا لجارها وجدعا فالقوا بي اخا عبس ارجعه عنكم بتعس ونكس واتركه من امره في لبس فقالوا نصبح ونرى فيك راينا فقال لهم عامر انظروا الى غلامكم هذا فان رايتموه نائما فليس امره بشيء انما تكلم بما جرى على لسانه وان رايتموه ساهرا فهو صاحبكم فرمقوه بابصارهم فوجدوه وقد ركب رحلا يكدم واسطته حتى اصبح فلما اصبحوا قالوا انت والله صاحبه فحلقوا راسه وتركوا ذوابتين والبسوه حلة وغدوا به معهم فدخلوا على النعمن فوجدوه يتغدى ومعه الربيع ليس معه غيره والدار والمجالس مملوة بالوفد فلما فرغ من الغداء اذن للجعفريين فدخلوا عليه والربيع الى جانبه فذكروا للنعمن حاجتهم فاعترض الربيع في كلامهم فقام لبيد وقد دهن احد شقي راسه وارخى ازاره وانتعل نعلا واحدة وكذلك كانت الشعراء تفعل في الجاهلية اذا

اراد ان الهيجاء فمثل بين يديه ثم قال   يا رب هيجا هي خير من دعه
اذ لا تزال هامتي مقزعه   نحن بني ام البنين الاربعه
ونحن خير عامر بن صعصعه   المطعمون الجفنة المدعدعه
والضاربون الهام تحت الخيضعه   مهلا ابيت اللعن لا تاكل معه
ان استه من برص ملمعه   وانه يدخل فيها اصبعه
يدخلها حتى يواري اشجعه   كانما يطلب شيا ضيعه

فلما فرغ لبيد التفت النعمن الى الربيع يرمقه شزرا وقال اكذاك انت قال كذب والله ابن
الحمق اللئيم فقال النعمن اف لهذا الطعام لقد خبثت علي طعامي فقال الربيع ابيت اللعن اما
اني قد فعلت بامه ولا يكني وكانت في حجره فقال لبيد انت لهذا الكلام اهل اما انها من نسوة غير
فعل وانت المرء فاعل هذا بيتيمة ربيبته قال السيد قدس الله روحه ووجدت في رواية
اخرى اما انها من نسوة فعل وانما قال ذلك لانها كانت من قوم الربيع فنسبها الى القبيح و
صدقه عليها تعصبا له ولقومه فامر الملك بهم جميعا فاخرجوا واعاد على ابي براء القبة وانصرف
الربيع الى منزله فبعث اليه النعمن بضعف ما كان يحبوه به وامره بالانصراف الى اهله فكتب اليه
اني قد تخوفت ان يكون قد وقع في صدرك ما قال لبيد ولست برائم حتى تبعث الي من يجردني ليعلم
من حضرك من الناس اني لست كما قال فارسل اليه انك لست صانعا بانتفائك مما قال لبيد
شيا ولا قادرا على رد ما زلت به الالسن فالحق باهلك ثم كتب اليه النعمن في جملة ابيات
جوابا عن ابيات كتبها اليه الربيع مشهورة

شمر برحلك عني حيث شئت ولا تكثر علي ودع عنك الاباطيلا

قد قيل ذلك ان حقا وان كذبا فما اعتذارك من شي اذا قيلا

واخبرنا بهذا الخبر ابو عبيد الله المرزباني قال حدثني محمد بن الحسن بن دريد قال اخبرنا ابو حاتم
عن ابي عبيدة واخبرنا به المرزباني ايضا قال حدثني محمد بن احمد الكاتب قال حدثنا احمد بن عبيد بن ناصح

النحوي قال اخبرنا محمد بن زياد بن زبان عن الكلبي عن عبد الله بن مسلم البكاوي وقد كان ادرك
الجاهلية وفي حديث كل واحد زيادة على الاخر ولم نات بجميع الخبر على وجهه بل اسقطنا منه ما
لم نحتج اليه واوردنا ما اوردناه منه بالفاظه . قال السيد قدس الله روحه اما
قوله نحن بني ام البنين الاربعه فانه نصب على المدح والعرب تنصب على المدح والذم جميعا
وام البنين هي بنت عمرو بن عامر بن ربيعة بن صعصعة وكانت تحت مالك بن جعفر بن كلاب
فولدت له عامر بن مالك ملاعب الاسنة وطفيل بن مالك فارس قرزل وهو ابو عامر بن الطفيل
وقرزل فرس كانت له وربيعة بن مالك ابا لبيد وهو ربيع المقترين ومعوية بن مالك معود
الحكام وانما سمي معود الحكام بقوله اعود مثلها الحكام بعدي اذا ما الحق في الاشياع نابا
وولدت عبيدة الوضاح فهولاء خمسة وقال لبيد اربعة لان الشعر لم يمكنه غير ذلك فاما
الجفنة المدعدعة فهي المملوءة واما الخيضعة فان الاصمعي يذكر ان لبيدا قال تحت الخضعة
يعني الجلبة فسوته الرواة وقيل ان الخيضعة اصوات وقع السيوف والخيضعة ايضا
البيضة التي تلبس على الراس والخيضعة الغبار والقول يحتمل كل ذلك فاما ابيت اللعن فان
ابا حاتم قال سالت الاصمعي عنه فقال معناه ابيت ان تاتي من الامور ما تلعن عليه فاما
الاشاجع فهي العروق والعصب الذي على ظاهر الكف وقد روي اكل يوم هامتي مقزعه والقزع
تساقط بعض الشعر او الصوف وبقاء بعضه يقال كبش اقزع ونعجة قزعاء . فاما الجاحظ
فهو ابو عثمن عمرو بن بحر بن محبوب مولى لابي القلمس عمرو بن قلع الكناني ثم الفقيمي
وذكر المبرد انه ما راى احرص على العلم من ثلثة الجاحظ والفتح بن خاقان واسمعيل بن
اسحق القاضي فاما الجاحظ فانه كان اذا وقع في يده كتاب قراه من اوله الى اخره اي كتاب
كان واما الفتح بن خاقان فكان يحمل الكتاب في خفه فاذا قام من بين يدي المتوكل للبول او
للصلاة اخرج الكتاب فنظر فيه وهو يمشي حتى يبلغ الموضع الذي يريده ثم يصنع مثل ذلك في

رجوعه حتى يأخذ مجلسه   واما اسمعيل بن اسحق فانى ما دخلت عليه قط الا وفى يده كتاب
ينظر فيه او يقلب الكتب لطلب كتاب ينظر فيه ** قال البلخي تفرد الجاحظ بالقول بان المعرفة
تحصل من الطباع وهي مع ذلك فعل للعباد على الحقيقة وكان يقول في سائر الافعال انها انما تنسب
الى العباد على انها وقعت منهم طباعا وانها وجبت بارادتهم وليس بجائز ان يبلغ احد فلا يعرف الله تعالى
والكفار عنده بين معاند وبين عارف قد استغرقه حبه لمذهبه وشغفه به وألفه وعصبيته
فهو لا يشعر بما عنده من المعرفة بخلافه وكان الجاحظ ملازما لمحمد بن عبد الملك الزيات وكان
منحرفا عن احمد بن ابي دواد للعداوة التي كانت بين احمد ومحمد فلما قبض على ابن الزيات هرب الجاحظ
فقيل له لم هربت فقال خفت ان اكون ثاني اثنين اذ هما في التنور يريد ما صنع بمحمد بن عبد الملك
من ادخاله تنورا فيه مسامير كان هو صنعه ليعذب الناس به فعذب به حتى مات   وروى
انه اتي بالجاحظ بعد موت ابن الزيات وفي عنقه سلسلة وهو مقيد في قميص سمل فلما نظر اليه
ابن ابي دواد قال والله ما علمتك الا متناسيا للنعمة كفورا للصنيعة معددا للمساوي وما
فتنني باستصلاحي لك ولكن الايام لا تصلح منك لفساد طويتك ورداءة دخلتك وسوء اختيارك
وغالب طبعك فقال الجاحظ خفض عليك ايدك الله فوالله لان يكون لك الامر علي خير من ان
يكون لي عليك ولان اسيء وتحسن احسن في الاحدوثة عنك من ان احسن فتسيء ولان تعفو عني
في حال قدرتك اجمل بك من الانتقام مني   فقال له ابن ابي دواد قبحك الله فوالله ما علمتك الا
كثير تزويق اللسان وقد جعلت بيانك امام قلبك ثم اصطغنت فيه النفاق والكفر يا غلام
صر به الى الحمام وامط عنه الاذى فاخذت عنه السلسلة والقيد وادخل الحمام وحمل اليه
تخت من ثياب وطويلة وخف فلبس ذلك ثم اتاه فتصدر في مجلسه ثم اقبل عليه فقال
هات الان حديثك يا ابا عثمان   وقال المبرد سمعت الجاحظ يقول احذر من تأمن فانك حذر ممن تخاف
وقال الجاحظ قلت لابي يعقوب الخريمي الشاعر من خلق المعاصي قال الله قلت فمن عذب عليها قال الله

طباع صح

الطويلة القلنسوة طويلة كانوا يلبسونها وتسمى الدنية

قلت فلم قال لا ادري والله   وكان الجاحظ يقول ينبغي للكاتب ان يكون رقيق حواشي الكلام
عذب ينابيعه اذا حاور سدد سهم الصواب الى غرض المعنى   وقال لا تكلم العامة بكلام
الخاصة ولا الخاصة بكلام العامة   وقال سوار بن ابي شراعة كنت عند الجاحظ فرآني اكتب
خطا رديا فرآني ادق بين السطور فقال اما احسبك نجيبا ودينك قلت وكيف
ذاك قال لاني اراك تسيء بهم فيما تخلفه   وذكر ابو العباس المبرد قال سمعت الجاحظ
يقول لرجل آذاه انت والله احوج الى هوان من كريم الى اكرام ومن علم الى عمل ومن
قدرة الى عفو ومن نعمة الى شكر   وقال المبرد قال لي الجاحظ يوما اتعرف مثل قول اسمعيل بن القسم

ولا خير فيمن لا يوطن نفسه   على نائبات الدهر حين تنوب

فقلت نعم قول كثير ومنه اخذ

فقلت لها يا عز كل مصيبة   اذا وطنت يوما لها النفس ذلت

وروى يموت بن المزرع لخاله عمرو بن بحر الجاحظ في الحمار يهجوه

نسب الحمار مقصود اليه منتهاه   تنتهي الاحساب بالناس ولا يعدو افقاه
يتحاجى من ابو الحمار فيه كما نباه   ليس يدري من ابو الحمار الا من يراه

اي من ترى خلقه

اخبرنا المرزباني قال اخبرني علي بن هرون قال انشدني وكيع قال انشدنا ابو العيناء قال
انشدني الجاحظ لنفسه في الخضاب

ذرت فتاة من بني هلال   فاستعجلت الي بالسؤال
مالي اراك فاني السبال   كأنما تغمس في جريال
ما ينبغي منك لمن امثالي   نح فدى امي ومن يحب لي

جريال صبغ احمر ومنه تسمى الخمر جريالا

قال السيد قدس الله روحه كأنما تغمس في جريال مليح قوي ولا يشبه شعر الجاحظ
للينه وضعف كلامه   وذكر ابو العيناء قال حدثني ابرهيم بن رباح قال انشدني الجاحظ بيتين
تراجعن ازرى باخوانه فقلا عنهم شباة العدم   وذكره الحزم ريب الزمان فبادر بالعرف قبل الندم
قال ابرهيم فذاكرت بهما احمد بن ابي دواد فقال قد انشدنيهما ثم لقيت محمد بن الجهم

فقال قد انشدتهما بعرضي بها ❊ وقال يموت بن المزرع سمعت خالي الجاحظ يقول لا اعرف شعرا يفضل قول ابي نواس وانشد

ودار ندامى عطلوها وادلجوا بها اثر منهم جديد ودارس
مساحب من جر الزقاق على الثرى واضغاث ريحان جني ويابس
حبست بها صحبي فجددت عهدهم واني على امثال تلك لحابس
ولم ادر من هم غير ما شهدت به بشرقي ساباط الديار البسابس
اقمنا بها يوما ويوما وثالثا ويوما له يوم الترحل خامس
تدار علينا الراح في عسجدية حبتها بانواع التصاوير فارس
قرارتها كسرى وفي جنباتها مها تدريها بالقسي الفوارس
فللخمر ما زرت عليه جيوبها وللماء ما دارت عليه القلانس

قال الجاحظ فانشدتها ابا شعيب القلال فقال يا ابا عثمن لو نقر هذا الشعر لطن قلت ويلك ما تفارق الجرار والخزف حيث كنت ❊ قال السيد قدس الله روحه اخذ ابو نواس قوله

ولم ادر من هم غير ما شهدت به بشرقي ساباط الديار البسابس

من ابي خراش الهذلي في قوله

ولم ادر من القى عليه رداءه ولكنه قد سل عن ماجد محض ❊

ويقال ان ابا خراش اول من مدح من لا يعرفه وذاك ان خراش بن ابي خراش اسر هو وعروة بن مرة فطرح رجل من القوم رداءه على خراش حين شغل القوم بقتل عروة ونجا فلما تفرقوا قال افلت مني ويقال بل داه في الاسر رجل من بني عمه فالقى عليه رداءه ليجيره به وقال له النجاء ويلك فقال ابو خراش في ذلك

حمدت الهي بعد عروة اذ نجا خراش وبعض الشر اهون من بعض
فاقسمت لا انسى قتيلا رزئته بجانب قوسى ما مشيت على الارض
على انها تعفو الكلوم وانما نوكل بالادنى وان جل ما يمضي

ولم ادر من القى عليه رداءه سوى انه قد سل عن ماجد محض

واخبرنا المرزباني قال حدثني ابرهيم بن محمد بن شهاب قال حدثنا ابو الحسن احمد بن عمير البردعي المتكلم قال صرت الى منزل الجاحظ في اول ما قدمت من بلدي وقد اعتل علته التي فلج فيها فاستاذنت عليه فخرج الي تحاج من منزله فقال لي يقول لك وما تصنع بشق مائل ولعاب سائل فانصرفت عنه ❊ وذكر يموت بن المزرع قال وجه المتوكل في السنة التي قتل فيها ان يحمل اليه الجاحظ من البصرة وسأله الفتح ذلك فوجده لا فضل فيه فقال لمن اراد حمله وما يصنع بامرئ ليس بطائل ذي شق مائل ولعاب سائل وفرج بائل وعقل زائل ولون حائل ❊ وقال المبرد سمعت الجاحظ يقول انا من جانبي الايسر مفلوج فلو قرض بالمقاريض ما علمت ومن جانبي الايمن منقرس فلو مر به الذباب لالمت وبي حصاة لا ينسرح لي البول معها واشد ما علي ست وتسعون ❊ وقال يوما لمتطبب يشكو اليه علته اصطلحت الاضداد على جسدي ان اكلت باردا اخذ برجلي وان اكلت حارا اخذ براسي وتوفي في سنة خمس وخمسين ومائتين ❊

مجلس اخر رابع عشر تاويل اية

ان سال سائل عن قوله تعالى ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب واقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون ❊ فقال كيف ينفي كون تولية الوجوه الى الجهات من البر وانما يفعل ذلك في الصلاة وهي بر لا محالة وكيف خبر عن البر بمن والبر كالمصدر ومن اسم محض وعن اي شيء كني بالهاء في قوله تعالى وآتى المال على حبه وما المخصوص بهذه الكناية عنه وقد تقدمت اشياء كثيرة وعلى اي شيء ارتفع الموفون وكيف نصب الصابرين وهم

معطوفون على المؤمنين وكيف وحذا الكتابة في مواضع وجمعها في اخر فقال من آمن وآتى
المال واقام الصلاة ثم قال والموفون والصابرين بتقسال له فيما ذكرته اولا جوابان
احدهما انه اراد تعالى ليس الصلوة هي البر كله ولكنه ما عدد في الاية من ضروب
الطاعات وصنوف الواجبات فلا تظنوا انكم اذا توجهتم الى الجهات بصلاتكم فقد اخذتم
البر باسره وحزتموه بكماله بل يبقى عليكم بعد ذلك معظمه واكثره والجواب الثاني
ان النصارى لما توجهوا الى المشرق واليهود الى بيت المقدس واتخذوها بين الجهتين قبلتين
واعتقدوا في الصلاة اليهما انها بر وطاعة خلافا على الرسول صلى الله عليه واله اكذبهم
الله تعالى في ذلك وبين ان ذلك ليس من البر اذ كان منسوخا بشريعة النبي صلى الله عليه واله
التي تلزم الاسود والابيض والعربي والعجمي وان البر هو ما تضمنته الاية فاما
اخبار عن البر بمن ففيه وجوه ثلثة اولها ان يكون معنى البر هاهنا البار وذا البر
وجعل احدهما في مكان الاخر والتقدير ولكن البار من امن بالله ويجري ذلك مجرى قوله تعالى
ان اصبح ماؤكم غورا اي غائرا ومثل قول الشاعر

ترتع ما رتعت حتى اذا ادكرت ... فانما هي اقبال وادبار

واراد انها مقبلة مدبرة ومثله

تظل جيادهم نوحا عليهم ... مقلدة اعنتها صفونا

ومثله

هريقي من دموعهما سجاما ضباع وجاوبي نوحا قياما

والوجه الثاني ان
العرب قد تخبر عن الاسم بالمصدر والفعل وعن المصدر بالاسم فاما اخبارهم عن المصدر بالاسم
فقوله تعالى ولكن البر من امن بالله وقول العرب انما البر الذي يصل الرحم ويفعل كذا وكذا
واما اخبارهم عن الاسم بالمصدر والفعل فمثل قول الشاعر

لعمرك ما الفتيان ان تنبت اللحى ... ولكنما الفتيان كل فتى ندي

فجعل ان تنبت وهو مصدر خبرا عن الفتيان والوجه
الثالث ان يكون المعنى ولكن البر بر من امن بالله فحذف البر الثاني واقيم من مقامه

كقوله واشربوا في قلوبهم العجل اي حب العجل قال الشاعر

وكيف تواصل من اصبحت خلالته كابي مرحب

اراد كخلالة ابي مرحب

وقال النابغة

وقد خفت حتى ما تزيد مخافتي ... على وعل في ذي المطارة عاقل

اراد على مخافة وعل وتقول العرب بنو فلان يطأهم الطريق اي اهل الطريق وحكي عن بعضهم
اطيب الناس الزبد اي اطيب ما ياكل الناس الزبد وكذلك قولهم حسبت صياحي زيدا اي
صياح زيد وروي عن ابن عباس في قوله تعالى ليس على الاعمى حرج اي ليس على من اكل مع الاعمى
حرج وفي قوله تعالى ورابعهم كلبهم قال صاحب كلبهم وذكروا انه كان راعيا يتبعهم فاما ما كني
عنه بالهاء في قوله تعالى وآتى المال على حبه ذوي القربى ففيه وجوه اربعة اولها ان
تكون الهاء راجعة الى المال الذي تقدم ذكره ويكون المعنى وآتى المال على حب المال واضيف
الحب الى المفعول ولم يذكر الفاعل كما يقول القائل اشتريت طعامي كاشترائك طعامك والمعنى
كاشترائك طعامك والوجه الثاني ان تكون الهاء راجعة على من امن بالله فيكون المصدر
مضافا الى الفاعل ولم يذكر المفعول لظهور المعنى ووضوحه والوجه الثالث ان ترجع
الهاء على الايتاء الذي دل آتى عليه والمعنى واعطى المال على حب الاعطاء ويجري ذلك مجرى قول
القطامي

هم الملوك وابناء الملوك لهم ... والاخذون به والساسة الاول

فكنى بالهاء عن الملك لدلالة قوله الملوك عليه ومثله قول الشاعر

اذا نهي السفيه جرى اليه ... وخالف والسفيه الى خلاف

اراد جرى الى
السفه الذي دل ذكر السفيه عليه والوجه الرابع ان تكون الهاء ترجع الى الله تعالى
لان ذكره قد تقدم فيكون المعنى واتى المال على حب الله تعالى ذوي القربى واليتامى فان قيل
فاي فائدة في ذلك وقد علمنا ان الفائدة في ايتاء المال مع محبته والضن به وان العطية تكون اشرف
وامدح فما الفائدة فيما ذكرتموه وما معنى محبة الله والمحبة عندكم هي الارادة والقديم تعالى

لا يصح ان يراد فلنا اما المحبة عندنا فهي الارادة الا انهم يستعملونها كثيرا مع حذف متعلقها مجازا او توسعا فيقولون فلان يحب زيدا اذا اراد منافعه ولا يقولون يريد زيدا بمعنى انه يريد منافعه لان التعارف جرى في استعمال الحذف والاختصار في المحبة دون الارادة وان كان المعنى واحدا وقد ذكران لقولهم زيد يحب عمرا مزية على قولهم يريد منافعه لان اللفظ الاول ينبئ عن انه لا يريد الا منافعه وانه لا يريد شيئا من مضاره والثاني لا يدل على ذلك فحصلت له مزية وعلى هذا المعنى يوصف الله تعالى بانه يحب اولياءه والمؤمنين من عباده والمعنى فيه انه يريد لهم ضروب الخير من التعظيم والاجلال والنعم فاما وصف احدنا بانه يحب الله تعالى والمؤمنين من عباده فالمعنى فيه انه يريد لهم ضروب الخير من التعظيم والاجلال والنعم فاما وصف احدنا بانه يحب الله تعالى فالمعنى فيه انه يريد تعظيمه وعبادته والقيام بطاعته ولا يصح المعنى الذي ذكرناه في محبة العباد بعضهم بعضا لاستحالة المنافع عليه ومن جوز عليه تعالى الانتفاع لا يصح ايضا ان يكون محبا له على هذا المعنى لانه باعتقاده ذلك فيه خرج من ان يكون عارفا به فمحبته في الحقيقة لا تتعلق به ولا تتوجه اليه كما نقول في اصحاب التشبيه انهم اذا عبدوا من اعتقدوه الها فقد عبدوا غير الله تعالى :. فاما الفائدة في اعطاء المال مع محبة الله تعالى فهي ظاهرة لان اعطاء المال متى قارنته ارادة وجه الله تعالى وعبادته وطاعته استحق به الثواب ومتى لم يقترن به ذلك لم يستحق الفاعل به ثوابا وكان ضائعا وتاثير ما ذكرناه ابلغ من تاثير حب المال والضن به لان المحب للمال الضنين به متى بذله واعطاه لم يقصد به الطاعة والعبادة والقربة لم يستحق به شيئا من الثواب وانما يؤثر حبه للمال في زيادة الثواب متى حصل ما ذكرناه من قصد القربة والعبادة ولو تقرب بالعطية وهو غير ضنين بالمال ولا محب له لاستحق الثواب فيها وهذا الوجه لم يسبق اليه في هذه الاية وهو احسن ما قيل فيها وقد ذكر وجه آخر وهو ان تكون الهاء راجعة على من آمن ايضا وينصب ذوي القربى بالحب ولا يجعل الثاني منصوبا لوضوح

المعنى ويكون تقدير الكلام واعطى المال على حال حبه ذوي القربى واليتامى على محبته اياهم وهذا الوجه ليس فيه مزية في باب رجوع الهاء التي وقع عنها السؤال وانما يبين مما تقدم بتقدير انتصاب ذوي القربى بالحب وذلك غير ما وقع السؤال عنه والاجوبة الاول اقوى واولى :. فاما قوله تعالى والموفون ففي رفعه وجهان احدهما ان يكون مرفوعا على المدح لان النعت اذا طال وكثر رفع بعضه ونصب بعضه على المدح ويكون المعنى وهم الموفون بعهدهم قال الزجاج وهذا اجود الوجهين والوجه الاخر ان يكون معطوفا على من آمن ويكون المعنى ولكن ذا البر وذوي البر المؤمنون والموفون بعهدهم • فاما نصب الصابرين ففيه وجهان احدهما المدح لان مذهبهم في الصفات والنعوت اذا طالت ان يعترضوا بينها بالمدح او الذم ليميزوا الممدوح او المذموم ويفردوه فيكون غير متبع لاول الكلام من ذلك قول الخرنق ابنة بدر بن هفان

النازلين بكل معترك والطيبين معاقد الازر

فنصبت ذلك على المدح وتمام نعوتهما جميعا على ان تتبع آخر الكلام اوله ومنهم من ينصب النازلين ويرفع الطيبين وآخرون يرفعون النازلين وينصبون الطيبين والوجه في النصب والرفع ما ذكرناه ومن ذلك قول الشاعر انشده الفراء

الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم
وذا الراي حين تغم الامور بذات الصليل وذات اللجم

نصب ليث الكتيبة وذا الراي على المدح وانشد الفراء ايضا

فليت التي فيها النجوم تواضعت على كل غث منهم وسمين
غيوث الحيا في كل محل ولزبة اسود الشرى يحمين كل عرين

ومما نصب على الذم قوله

سقوني الخمر ثم تكنفوني عداة الله من كذب وزور

والوجه الاخر في نصب الصابرين ان يكون معطوفا على ذوي القربى ويكون المعنى وآتى المال

ويجوز رفع [illegible] على [illegible] القراءة [illegible]

على حبه ذوى القربى والصابرين قال الزجاج وهذا لا يصلح إلا أن يكون والموفون رفع على المدح
للمضمر لأن ما في الصلة لا يعطف عليه بعد العطف على الموصول وكان يقوى الوجه الأول
فلما توحيد الذكر في موضع وجمعه في آخر فلان من لفظه لفظ الواحد وإن كان في المعنى للجمع
فالذكر الذي أتى بعده موحدًا أجرى على اللفظ وما جاء من الوصف بعد ذلك على سبيل
الجمع مثل قوله تعالى والموفون والصابرين فعلى المعنى وقد اختلفت قراءة القراء السبعة في رفع
الراء ونصبها من قوله تعالى ليس البر فقرأ حمزة وعاصم في رواية حفص ليس البر بنصب الراء
وروى هبيرة عن حفص عن عاصم أنه كان يقرأ بالنصب والرفع وقرأ الباقون البر بالرفع و
الوجهان جميعًا حسنان لأن كل واحد من الاسمين اسم ليس وخبرها معرفة فإذا اجتمعا في
التعريف تكافآ في جواز كون أحدهما اسمًا والآخر خبرًا كما تتكافأ النكرتان وحجة من
رفع البر أن يكون البر الفاعل أولى لأن ليس تشبه الفعل وكون الفاعل بعد الفعل أولى من كون
المفعول بعده ألا ترى أنك إذا قلت قام زيد فإن الاسم يلي الفعل وتقول ضرب غلامه زيد
فيكون التقدير في الكلام التأخير فلولا أن الفاعل أخص بهذا الموضع لم يجز هذا كما لم يجز في الفاعل
ضرب غلامه زيدًا حيث لم يجز في الفاعل تقدير التأخير كما جاز في المفعول به لو وقع الفاعل
موقعه المختص به وحجة من نصب البر أن يقول كون الاسم أن وصلتها أولى لشبهها بالمضمر
في أنها لا توصف كما لا يوصف المضمر فكأنه اجتمع مضمر ومظهر والأولى إذا اجتمعا أن يكون
المضمر الاسم من حيث كان أذهب في الاختصاص من المظهر حدثنا أبو القسم
عبيد الله بن عثمان بن يحيى بن جنيقا قال أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أحمد الحكيمي الكاتب قراءة عليه
قال أملى علينا أبو العباس أحمد بن يحيى النحوي ثعلب قال أخبرنا ابن الأعرابي قال قال ابن الكلبي
لما كان بعد يوم الهباءة جاور قيس بن زهير النمر بن قاسط فقال لهم إني قد جاورتكم واخترتكم
فزوجوني امرأة قد أدبها الغنى وأذلها الفقر في حسب وجمال فزوجوه ظبية بنت الكبير

التميمي فقال لهم إن فيّ خلالًا ثلاثًا إني غيور وإني فخور وإني أنف ولست أفخر حتى أبدأ ولا
أغار حتى أرى ولا آنف حتى أظلم فأقام فيهم حتى ولد له فلما أراد الرحيل عنهم قال إني موصيكم
بخصال وناهيكم عن خصال عليكم بالأناة فإن بها تنال الفرصة وتسويد من لا تعابون بتسويده و
عليكم بالوفاء فإن به يعيش الناس وبإعطاء من تريدون إعطاءه قبل المسألة ومنع من تريدون منعه
قبل الإلحاح وإجارة الجار على الدهر وتنفيس المنازل عن بيوت اليتامى وخلط الضيف بالعيال
وأنهاكم عن الرهان فإن به ثكلت مالكًا أخي والبغي فإنه قتل زهيرًا أبي وعن الإعطاء في
الفضول فتعجزوا عن الحقوق وعن الإسراف في الدماء فإن يوم الهباءة ألزمني العار ومنع الحرم إلا
من الأكفاء فإن لم تصيبوا لها كفوًا فإن خير منازلها القبور أو خير منازلها واعلموا أني كنت
ظالمًا مظلومًا ظلمني بنو بدر بقتلهم مالكًا أخي وظلمتهم بأن قتلت من لا ذنب له منهم قال
السيد قدس الله روحه أما قوله أنهاكم عن الرهان فأراد المراهنة في سباق الخيل وذلك أن
قيس بن زهير راهن حذيفة بن بدر الفزاري على فرسيه داحس والغبراء وفرسي حذيفة
الخطار والحنفاء وكان قيس كارهًا لذلك وإنما هاجه بينهما بعض بني عبد الله بن غطفان
وقيل بل رجل من بني عبس والخبر في شرح ذلك مشهور ثم وقع الاتفاق على السباق وجعلوا
الغاية من دارات إلى ذات الإصاد وجعلوا القصبة في يد رجل من بني ثعلبة بن سعد يقال
له حصين ويد رجل من بني العشراء من بني فزارة وملؤوا البركة ماء وجعلوا السابق أول
الخيل يكرع فيها ثم إن حذيفة بن بدر وقيس بن زهير أتيا المدى الذي أرسلت الخيل منه
ينظران إليها وإلى خروجها فلما أرسلت عارضاها فقال حذيفة خدعتك يا قيس فقال قيس
ترك الخداع من أجرى من مائة يعني من مائة غلوة فأرسلها مثلًا ثم ركضا ساعة فجعلت خيل
حذيفة تتقدم خيل قيس فقال حذيفة سبقت يا قيس فقال قيس جري المذكيات غلاب
فأرسلها مثلًا والمذكيات المسان من الخيل وذوو غلاء أي كما يتغالى بالنبل ثم ركضا

ساعة فقال حذيفة انك لا تركض من كفا سبقت خيلك فقال قيس رويدا يعلون الجدد فارسلها مثلاً ويروى يجدون الجدد اى يبعدن من الجدد الى الوعث وقد كان بنو فزارة اكمنوا بالثنية كمينا ليبطروا فان جاء داحس سابقا امسكوه وصدوه عن الغاية فجاء داحس سابقا فامسكوه ولم يعرفوا الغبراء ومن خلفها مصلية حتى مضت الخيل واسهلت من الثنية ثم ارسلوه فتمطر في آثارها فجعل يبدرها فرسا فرسا حتى انتهى الى الغاية مصليا وقد طرح الخيل غير الغبراء ولو تباعدت الغاية سبقها فاستقبلتها بنو فزارة فلطموها ثم حلؤوها عن البركة ثم لطموا داحسا وقد جاءا متواليين ثم جاء حذيفة وقيس في آخر الناس وقد دفعتهم بنو فزارة عن سبقهم ولطموا فرسيهم وجرى من الخلاف في اخذ السبق ما قد شرحته الرواة • وقد قيل في بعض الروايات ان الرهان والسبق كان بين حمل بن بدر وقيس وفي ذلك يقول قيس

كما لاقيت من حمل بن بدر ... واخوته على ذات الاصاد
هم فخروا علي بغير فخر ... وردوا دون غايته جوادي
وقد دلفوا الي بفعل سوء ... فالفوني لهم صعب القياد
وكنت اذا منيت بخصم سوء ... دلفت له بداهية نآد

ثم ان قيسا اغار على عوف بن بدر فقتله واخذ ابله فبلغ ذلك بني فزارة فهموا بالقتال فحمل الربيع بن زياد العبسي دية عوف بن بدر مائة عشراء متلية ويقال ان قيسا قتل ابنا لحذيفة يقال له مالك وان حذيفة كان ارسله اليه يطلب منه السبق فطعنه فدق صلبه وان الربيع بن زياد حمل ديته مائة عشراء فسكن الناس عن القتال ثم ان مالك بن زهير نزل موضعا يقال له اللقاطة في بيات من الحاجر ونكح امراة يقال لها مليكة بنت حارثة من بني غراب بن فزارة فبلغ ذلك حذيفة بن بدر فدس اليه فرسانا فقتلوه وكان الربيع بن زياد مجاورا لحذيفة بن بدر وكانت تحت الربيع معاذة بنت بدر فلما وقف على الخبر قال

تبدرها — يسبقها — فرسيهما — السباق — بين — نآد — اللقاطة — العبسي

لم اغمض

نام الخلي وما اغمض حار من ... سيئ النبأ الجليل الساري
من مثله تمشي النساء حواسرا ... وتقوم معولة مع الاسحار
من كان مسرورا بمقتل مالك ... فليأت نسوتنا بوجه نهار
يجد النساء حواسرا يندبنه ... يضربن اوجههن بالاشبار
قد كن يخبأن الوجوه تسترا ... فاليوم حين برزن للنظار
افبعد مقتل مالك بن زهير ... ترجو النساء عواقب الاطهار
ما ان ارى في قتله لذوي الحجى ... الا المطي تشد بالاكوار
ومجنبات ما يذقن عذوفة ... يقذفن بالمهرات والامهار
ومساعرا صدأ الحديد عليهم ... فكانما طلي الوجوه بقار

فاما خبر مقتل زهير بن جذيمة العبسي ابي قيس فاختلفت الرواة في سببه فيقال ان هوازن بن منصور كانت تؤدي الاتاوة زهير بن جذيمة ولم تكثر عامر بن صعصعة بعد فهم اذل من يد في رحم فاتت عجوز من هوازن الى زهير بن جذيمة بسمن في نحي فاعتذرت اليه وشكت هذه السنين اللواتي تتابعت على الناس فذاقه فلم يرض طعمه فدعها اي دفعها بقوس في يده عطل في صدرها فسقطت فبدت عورتها فغضبت من ذلك هوازن وحقدت الى ما كان في صدرها من الغيظ وكانت قد امرت عامر بن صعصعة اي كثرت فآلى خالد بن جعفر بن كلاب فقال والله لاجعلن ذراعي وراء عنقه حتى اقتل او يقتل وفي ذلك يقول خالد بن جعفر

اريغوني اراغتكم فاني ... وحذفة كالشجى تحت الوريد
مقربة اواسيها بنفسي ... والحفها ردائي في الجليد
لعل الله يمكنني عليها ... جهارا من زهير او اسيد
فاما تثقفوني فاقتلوني ... ومن اثقف فليس الى خلود

ويقال بل كان السبب في ذلك ان زهير بن جذيمة لما قتل في غني من قتل باسه شاس واتى

بالاسعاد — بالاسحار — ساحتنا

جعل عروض الضرب الثاني من الكامل مقطوعة وذهاب متفاعلن الى فعلاتن

ويروى عطل لا وتر عليها

عكاظ فلقيه خالد بن جعفر بن كلاب وكان جريئا فقال يا زهير أما آن لك أن تشتفي وتكف يعني مما فعل ببني عامر فأغلظ له زهير وحقره فقال خالد اللهم أمكني من زهير ... من هذه الشعراء العصبة من عنق زهير بن جذيمة ثم أعتق عليه فقال زهير اللهم أمكني من هذه البيضاء الطويلة من عنق خالد ثم خل بيننا فقالت قريش هلكت والله يا زهير قال أنتم والله الذين لا علم لهم ثم أجمع خالد بن جعفر على قصد زهير وقتله واتقوا نزول زهير بالقرب من أرض بني عامر وكانت تماضر بنت عمرو بن الشريد امرأة زهير بن جذيمة وأم ولده فمر بهم أخوها الحرث بن عمرو بن الشريد فقال زهير لبنيه إن هذا الحمار طليعة عليكم فأوثقوه فقالت أخته لبنيها أيزوركم خالكم فتوثقونه وقالت تماضر لأخيها الحرث إنه لبئس اكتنانك وفرونك إلا كبنان الغنم والقروث السكوت فلا يلحقن فيك ما قال زهير فإنه رجل بيذارة غيذارة شنوءة قال الأثرم البيذارة الكثير الكلام والغيذارة السيئ الخلق ثم حلبوا له وطبا وأخذوا منه يمينا أن لا يخبر عليهم ولا ينذر بهم أحدا فخرج الحرث حتى أتى بني عامر فقعد إلى شجرة يجتمع إليها بنو عامر وألقى الوطب تحتها والقوم ينظرون ثم قال أيتها الشجرة الذليلة اشربي من هذا اللبن فانظري ما طعمه فقال القوم هذا رجل مأخوذ عليه وهو يخبركم خبرا فذاقوا اللبن فإذا هو حلو لم يقرض بعد فقالوا إنه يخبرنا أن مطلبنا قريب فركب خالد بن جعفر بن كلاب ومعه جماعة وكان راكبا فرسه حذفة فلحقوا زهيرا فاعتنق خالد زهيرا وخرا عن فرسيهما ووقع خالد فوق زهير ونادى يا بني عامر اقتلوني وزهيرا فأقبل ابنه ورقاء بن زهير فشد بسيفه فضرب خالدا ثلاث ضربات فلم يغن شيئا وكان على خالد درعان قد ظاهر بينهما ثم ضرب جندح رأس زهير فقتله وفي ذلك يقول ورقاء بن زهير

رأيت زهيرا تحت كلكل خالد فأقبلت أسعى كالعجول أبادر

والقروث السكوت

والزجل

فشلت يميني يوم أضرب خالدا ويمنعه مني الحديد المظاهر

فيا ليتني قبل ضربة خالد ويوم زهير لم تلدني تماضر

فأما خبر الهباءة فإن بني عبس وبني فزارة لما التقوا إلى جنب جفر الهباءة في يوم قائظ فاقتتلوا ولحقهم شرح طويل معروف استجار حذيفة ومن معه بجفر الهباءة ليتبردوا فيه فهجم عليه القوم فقال حذيفة يا بني عبس فأين العقول والأحلام فضرب حمل بن بدر بين كتفيه وقال اتق مأثور القول بعد اليوم فأرسلها مثلا وقتل قرواش بن هني حذيفة بن بدر وقتل الحرث بن زهير حملا وأخذ منه ذا النون سيف مالك بن زهير أخيه وكان حمل بن بدر أخذه من مالك بن زهير يوم قتل فقال قيس في ذلك

تعلم أن خير الناس ميت على جفر الهباءة لا يريم

ولولا ظلمه ما زلت أبكي عليه الدهر ما طلع النجوم

ولكن الفتى حمل بن بدر بغى والبغي مرتعه وخيم

أظن الحلم دل علي قومي وقد يستجهل الرجل الحليم

ومارست الرجال ومارسوني فمعوج علي ومستقيم

وقال قيس أيضا

شفيت النفس من حمل بن بدر وسيفي من حذيفة قد شفاني

فإن أك قد بردت بهم غليلي فلم أقطع بهم إلا بناني

ابن

مصرعه

مجلس آخر خامس عشر

إن سأل سائل عن قوله تعالى ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون فقال أي وجه لتشبيه الذين كفروا بالصايح بالغنم والكلام يدل على ذمهم ووصفهم بالغفلة وقلة التأمل والتمييز والناعق بالغنم قد يكون مميزا متأملا محصلا. يقال له في هذه الآية

الناعق

خمسة اجوبة اولها ان يكون المعنى مثل واعظ الذين كفروا والداعي لهم الى الايمان والطاعة
كمثل الراعي الذي ينعق بالغنم وهي لا تعقل معنى دعائه وانما تسمع صوته ولا تفهم غرضه
والذين كفروا بهذه الصفة لانهم يسمعون وعظ النبي صلى الله عليه وآله ودعاءه وانذاره
فيصدفون عن قبول ذلك ويعرضون عن تامله فيكونون بمنزلة من لم يعقله ولم يفهمه لاشتراكهما
في عدم الانتفاع به وجاز ان يقوم قوله الذين كفروا مقام الواعظ والداعي لهم كما تقول العرب
فلان يخافك كخوف الاسد والمعنى كخوفه الاسد فاضاف الخوف الى الاسد وهو في المعنى مضاف الى
الرجل قال الشاعر فلست مسلما ما دمت حيا على زيد بتسليم الامير
اراد بتسليمي على الامير ونظائر ذلك كثيرة والجواب الثاني ان يكون المعنى ومثل الذين
كفروا كمثل الغنم التي لا تفهم نداء الناعق فاضاف الله تعالى المثل الثاني الى الناعق وهو في
المعنى مضاف الى المنعوق به على مذهب العرب في قولها طلعت الشعرى وانتصب العود على الحرباء
والمعنى انتصب الحرباء على العود فجاز التقديم والتاخير لوضوح المعنى انشد الفراء
ان سراجا لكريم مفخره تحلى به العين اذا ما تجهره
معناه تحلى بالعين فقدم واخر وانشد الفراء ايضا
كانت فريضة ما تقول كما كان الزناء فريضة الرجم المعنى كما كان الرجم فريضة
الزناء وانشد ايضا وقد خفت حتى ما تزيد مخافتي على وعل في ذي المطارة عاقل اراد
ما تزيد مخافة وعل على مخافتي ومثله كان لون ارضه سماؤه اراد كان لون سمائه ارضه ومثله
ترى الثور فيها مدخل الظل راسه وسائره باد الى الشمس اجمع اراد مدخل راسه الظل
وقال الراعي فصبحته كلاب الغوث يوسدها مستوضحون يرون العين كالاثر
يريد انهم يرون الاثر كالعين وقال ابو النجم قبل دنو الافق من جوزائه فقلب

وقال العباس بن مرداس فديت بنفسه نفسي ومالي وما آلوك الا ما اطيق اراد
فديت بنفسي نفسه وقال ابن مقبل
ولا تهيبني الموماة اركبها اذا تجاوبت الاصداء بالسحر اراد ولا اتهيب الموماة
وهذا كثير جدا والجواب الثالث ان يكون المعنى ومثل الذين كفروا ومثلنا او
مثلهم ومثلك يا محمد كمثل الذي ينعق اي مثلهم في الاعراض ومثلك في الدعاء والتنبيه والارشاد
كمثل الناعق بالغنم فحذف المثل الثاني اكتفاء بالاول ومثله قوله تعالى وجعل لكم سرابيل تقيكم
الحر واراد الحر والبرد فاكتفى بذكر الحر من البرد كما قال ابو ذؤيب
عصيت اليها القلب اني لامره مطيع فما ادري ارشد طلابها
اراد ارشد ام غي فاكتفى بذكر الرشد لوضوح الامر والجواب الرابع ان يكون
المراد ومثل الذين كفروا في دعائهم الاصنام التي يعبدونها من دون الله تعالى وهي لا تعقل
ولا تفهم ولا تضر ولا تنفع كمثل الذي ينعق دعاء ونداء بما لا يسمع صوته جملة والدعاء والنداء
على هذا الجواب ينتصبان بينعق والا توكيد للكلام ومعناها الالغاء قال الفرزدق
هم القوم الا حيث سلوا سيوفهم وضحوا بلحم من محل ومحرم
والمعنى هم القوم حيث سلوا سيوفهم والجواب الخامس ان يكون المعنى ومثل الذين كفروا
في دعائهم الاصنام وعبادتهم اياها واسترزاقهم اياها كمثل الراعي الذي ينعق بغنمه ويناديها
فهي تسمع نداءه ودعاءه ولا تفهم معنى كلامه فشبه من يدعوه الكفار من المعبودات دون الله تعالى
بالغنم حيث لا تعقل الخطاب ولا تفهم ولا نفع عندها فيه ولا مضرة وهذا الجواب يقارب
الذي قبله وان كانت بينهما مزية ظاهرة لان الاول يقتضي ضرب المثل بما لا يسمع الدعاء ولا
النداء جملة وجاز ان يكون مصروفا الى غير الغنم وما اشبهها مما يسمع وان لم يفهم وهذا الجواب
يقتضي ضرب المثل بما يسمع الدعاء والنداء وان لم يفهمهما والاصنام من حيث كانت لا تسمع

الدعاء جملة يجب ان يكون داعيها ومناديها انسيًّا لان منادي الغنم ويصح ان ينصرف الى الغنم
وما اشبهها مما يشارك في السماع ويخالف في الفهم والتمييز وقد اختلف الناس في ينعق فقال
اكثرهم لا يقال نعق ينعق الا في الصياح بالغنم وحدها وقال بعضهم نعق ينعق بالابل والغنم
والبقر والاول اظهر في كلام العرب قال الاخطل

فانعق بضانك يا جرير فانما ... منتك نفسك في الخلاء ضلالا

ويقال ايضا نعق الغراب
ونغق بالغين المعجمة اذا صاح من غير ان يمد عنقه ويحركها فاذا مدها وحركها ثم صاح قيل نعب
ويقال ايضا نعب الفرس ينعب نعبا ونعيبا ونعابا اذا هو صوته ويقال فرس منعب اي جواد
وناقة نعابة اذا كانت سريعة

تاويل خبر

روي عن النبي صلى الله عليه وآله انه خرج مع اصحابه الى طعام دعوا اليه فاذا بالحسين عليه السلم
وهو صبي يلعب مع صبية في السكة فاستنتل رسول الله صلى الله عليه وآله امام القوم فطفق
الصبي يفر مرة هاهنا ومرة هاهنا ورسول الله صلى الله عليه وآله يضاحكه ثم اخذه فجعل
احدى يديه تحت ذقنه والاخرى تحت فاس راسه واقنعه فقبله وقال انا من حسين وحسين
مني احب الله من احب حسينا حسين سبط من الاسباط قال السيد قدس الله روحه
معنى استنتل تقدم يقال استنتل الرجل استنتالا وابرنتى ابرنتاء وابدرع ابدراعا اذا
تقدم هكذا ذكره ابو بكر الانباري ووجدت بعض المتقدمين في علم اللغة يحكي في كتاب له
قال تقول استنتلت للامر استنتالا اذا استعددت له واستنتل الرجل تفرد من القوم و
يقال اشرف والمعاني متقاربة والخبر يليق بكل واحد منها وحكى هذا الرجل الذي ذكرناه
في كتابه ابرنتى وابدرع ايضا انه من الاستعداد فاما السكة فهي المنازل المصطفة
والنخل المصطف ومعنى طفق ما زال قال الشاعر

طفقت تبكي واسعدها ... وكلانا ظالم الكلم
وقاس الراس طرف الفجر ... ومن المشرف

استنتل

على القفا ومعنى اقنعه رفعه هكذا ذكر ابن الانباري وقال غيره اقنع طهره اذا اطاطاه ثم رفعه
من فوق فاما الاسباط فاصلها في ولد اسحاق عليه السلم كالقبائل في ولد اسمعيل عليه السلم وقال ابن
الانباري يسمى الصبية والصبوة بالياء والواو معا :. حدثنا ابو القسم عبيد الله بن عثمن
قال اخبرنا ابو عبد الله محمد بن احمد الحكيمي قراءة عليه قال املى علينا ابو العباس احمد بن يحيى ثعلب وقال
اخبرنا ابن الاعرابي انه قيل لابنة الخس ما مائة من المعز قالت مويل يشف الفقر من ورائه مال
الضعيف وحرفة العاجز قيل فما مائة من الضان قالت قرية لا حمى بها قيل فما مائة من الابل قالت
بخ جمال ومال ومنى الرجال قيل فما مائة من الخيل قالت طغى عند من كانت ولا توجد قيل فما
مائة من الحمر قالت عازبة الليل وخزي المجلس لا لبن فيحلب ولا صوف فيجز ان ربط عيرها يعتلب
ذلي وان ارسلته ولى :. وبهذا الاسناد عن ابن الاعرابي قال قيل لابنة الخس والخس ص
الخص قال كل ذلك يقال ما احسن شيء قالت غادية في اثر سارية في نبخاء قاوية قال النبخاء ارض
مرتفعة لان النبات في موضع مشرف احسن قالوا ايضا نبخاء اي رابية ليس بها رمل ولا حجارة
قال والجمع النباخي ونبت الرابية احسن من نبت الاودية لان السيل يصرع الشجر فيقذفه
في الاودية ثم يلقي عليه الدمن قال السيد قدس الله روحه ومما يدل على ان نبت الرابية احسن
قول الاعشى

ما روضة من رياض الحزن معشبة ... خضراء جاد عليها مسبل هطل

وقول كثير

فما روضة بالحزن طيبة الثرى ... يمج الندى جثجاثها وعرارها

فخصا الحزن للمعنى الذي ذكرناه :. وبهذا الاسناد عن ابن الاعرابي قال العرب تقول جاءنا
بطعام لا ينادى وليده يقول لا يدعى له الصبيان ولا يستعان الا بكبار الرجال فيه قال السيد
قدس الله روحه وفي ذلك قولان آخران احدهما عن الاصمعي قال اصله من الشدة تصيب القوم حتى
تذهل الام عن ولدها فلا تناديه لما هي فيه ثم صار مثلا لكل شدة ولكل امر عظيم والقول الآخر
عن الكلابي قال اصله من الكثرة والسعة فاذا اهوى الوليد الى شيء لم يزجر عنه حذرا من الافساد

ووقع في امر لا ينادى وليده يقول

لسعة ما هم فيه ثم صار مثلاً لكل كثرة قال الفراء وهذا القول يستعار في كل موضع يراد به الغاية

وأنشد لقد شرعت كفا يزيد بن مزيد شرائع جود لا ينادى وليدها وبالإسناد الذي

تقدم عن ابن الأعرابي قال دخل رجل من الأسرى على معن بن زائدة الشيباني فقال إن رأيت أكرمك الله

أن تصطنعني من نفسك بحيث وضعت نفسي من رجائك فإنك قد بلغت بها حالاً لو أعتقني الله فيها بكرمك

امرؤ يصف الرجال بعدك لم يكن كثيراً وإني قد قدمت الرجاء وأحسنت الثناء ولزمت الحفاظ ثم

أنشأ يقول

يا معن إنك لم تنعم على أحد فشاب نعماك تنغيص ولا كدر

فانظر إليّ بطرف غير ذي مرض فقد تناصح لي من طرفك النظر

أيام وجهك لي طلق تخبرني إذا سكت بما تخفي وتضطمر

ومن هواك شفيع ليس يغفلني وإن نأيت وإن قلت بي الذكر

قد كنت أثبت عندي مرة أثراً فقد تقارب يعفو ذلك الأثر

فاجبر بفضلك عظماً كنت جابره واجمع بفضلك ما فرقت ينتشر

ما نازع العسر في اليسر مذ علقت كفي بحبلك إلا أظفر اليسر

وقد خشيت وهذا الدهر ذو غير بأن يطول الجفو والعسر

وإنما كان من عسر وميسرة فإن حظك فيه الحمد والشكر

فقال معن أوما كنا أعطيناك شيئاً قال لا قال أما الذهب والفضة فليسا عندنا ولكن هات

تختاً من ثياب يا غلام فدفعه إليه وقد كان يحمل عليه ابن عياش وحبيب بن بديل فأعطاهما

معه تختين وقال عزمت بأودته لتحتى ثياب قال السيد قدس الله روحه وكان

معن بن زائدة جواداً شجاعاً شاعراً ويكنى أبا الوليد وهو معن بن زائدة بن عبد الله بن زائدة بن

مطر بن شريك بن عمرو ومطر هو أخو الحوفزان بن شريك وكان معن من أصحاب ابن هبيرة فلما قتل رثاه معن

فقال ألا إن عيناً لم تجد يوم واسط عليك بجاري دمعها لجمود

قتل ابن هبيرة السفاح

روى أبو تمام في الحماسة هذه القطعة لأبي عطاء السندي

بفعلك

ثم ودفنه

بلغ

عشية قام النائحات وشققت جيوب بأيدي مأتم وخدود

فإن تمس مهجور الفناء فطالما أقام به بعد الوفود وفود

فإنك لم تبعد على متعهد بلى كل من تحت التراب بعيد

أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرني يوسف بن يحيى المنجم عن أبيه قال حدثني محمد بن

القسم بن مهرويه قال حدثني أبو يزيد بن الحكم بن موسى قال حدثني أبي قال كان معن بن زائدة من أصحاب

يزيد بن عمر بن هبيرة وكان مستتراً حتى كان يوم الهاشمية فإنه حضر وهو معتم متلثم فلما نظر إلى

القوم وقد وثبوا على المنصور تقدم فأخذ بلجام بغلته ثم جعل يضربهم بالسيف قدامه فلما أفرجوا

له وتأخروا عنه قال له من أنت ويحك قال أنا طلبتك معن بن زائدة فلما انصرف المنصور حباه

وكساه ورتبه ثم قلده اليمن فلما قدم عليه من اليمن قال له هيه يا معن تعطي مروان بن أبي حفصة

مائة ألف درهم على أن قال لك

معن بن زائدة الذي زيدت به شرفاً على شرف بنو شيبان

إن عد أيام الفعال فإنما يوماه يوم ندى ويوم طعان

قال كلا يا أمير المؤمنين ولكني أعطيته على قوله

ما زلت يوم الهاشمية معلماً بالسيف دون خليفة الرحمن

فمنعت حوزته وكنت وقاءه من وقع كل مهند وسنان

قال أحسنت يا معن وفي خبر آخر أنه دخل على المنصور فقال له ويلك ما أظن ما يقال فيك

من ظلمك لأهل اليمن واعتسافك بهم إلا حقاً قال وكيف ذاك يا أمير المؤمنين قال بلغني

أنك أعطيت شاعراً كان يلزمك ألف دينار وهذا من السرف الذي لا شيء مثله فقال يا

أمير المؤمنين إنما أعطيته من فضول مالي وغلات ضياعي وفضلات رزقي وكففته عن

عرضي وقضيت الواجب من حقه علي وقضاء الحق وملازمته لي قال فجعل أبو جعفر ينكت

بقضيب في يده الأرض لم يعاوده القول وأخبرنا المرزباني قال أخبرني علي بن

صح أبو يزيد

ثم إلى

فضالات

أخبرني محمد بن عبد الله بن محمد المعروف
بنجبي عن عبد الله بن أبي سعد الوراق عن خالد بن يزيد بن وهب بن جرير عن عبد الله
بن مقاتل من أهل خراسان وكان من ولاة الرشيد قال حدثني معن بن زائدة قال كنا في الصحابة
سبع مائة رجل فكنا ندخل على المنصور في كل يوم قال فقلت للربيع اجعلني في آخر من يدخل
عليه فقال لست بأشرفهم فتكون في أولهم ولا بأحدثهم سنا فتكون في آخرهم وإن من يشبه
نسبك قال فدخلت على المنصور ذات يوم وعلي دراعة فضفاضة وسيف حنفي أقرع
بنعله الأرض وعمامة قد أسدلتها من قدامي ومن خلفي فسلمت عليه وخرجت فلما صرت عند
الستر صاح بي يا معن صيحة أنكرتها فلبيته فقال لي ادن مني فدنوت منه فإذا به قد نزل عن
فراشه إلى الأرض وجثا على ركبتيه واستل عمودا من بين فراشين واستحال لونه ودرت
أوداجه وقال إنك لصاحبي يوم واسط لا نجوت إن نجوت مني قال قلت يا أمير المؤمنين
تلك نصرتي لباطلهم فكيف نصرتي لحقك قال فقال لي كيف قلت فأعدت عليه القول فما
زال يستعيدني حتى رد العمود إلى مستقره واستوى جالسا متربعا وأسفر لونه وقال
يا معن إن باليمن هنات قلت يا أمير المؤمنين ليس لمكتوم رأي وهو أول من أرسلها مثلا فقال
أنت صاحبي فاجلس قال فجلست فأمر الربيع بإخراج كل من كان في الدار وخرج الربيع
فقال إن صاحب اليمن قد هم بالمعصية وإني أريد أن آخذه أسيرا ولا يفوتني شيء من ماله قلت
ولني اليمن وأظهر أنك قد ضممتني إليه ومر الربيع أن يزيح علتي فيما أحتاج إليه ويخرجني
في يومي هذا لئلا ينتشر الخبر قال فاستل عهدا من بين فراشين فوقع فيه باسمي وناولنيه
ثم دعا الربيع فقال يا ربيع إنا قد ضممنا معنا إلى صاحب اليمن فأزح علته فيما يحتاج إليه من
السلاح والكراع ولا يمسي إلا وهو راحل قال ثم ودعني فودعته وخرجت إلى الدهليز فلقيني
أبو الوالي فقال يا معن أعزز علي أن تضم إلى ابن أخيك قال فقلت له إنه لا غضاضة على
الرجل يضمه سلطانه إلى ابن أخيه وخرجت إلى اليمن فأتيت الرجل فأخذته أسيرا

وقرأت عليه العهد وقعدت في مجلسه ※ وروى عمر بن شبة قال اجتمع عند معن بن زائدة ابن
أبي عاصية وابن أبي حفصة والضمري فقال لينشدني كل واحد منكم أمدح بيت قاله فيّ فأنشده
ابن أبي حفصة
مسحت ربيعة وجه معن سابقا لما جرى وجرى ذوو الأحساب
فقال له معن الجواد يعثر فيمسح وجهه من الغبار وقيل من العثار وغيرهما وأنشده الضمري
أنت امرؤ همتك المعالي ودلو معروفك الربيع — ويروى ودون معروفك الربيع
وشأنك الحمد تشتريه يتبعه عندك ما يشيع
فقال له ما أحسن ما قلت إلا أنك لم تسمني ولم تذكرني فمن شاء انتحله وأنشده ابن أبي عاصية
إن زال معن بني زياد لم يزل لندى إلى بلد بغير مسافر
ففضله عليهم وروى أنه أتى معن بن زائدة بثلاثمائة أسير فأمر بضرب أعناقهم فقال له شاب
منهم يا أبا شيبان ننشدك الله أن تقتلنا عطاشا فقال اسقوهم ماء فلما شربوا قال يا
أبا شيبان ننشدك الله أن تقتل أضيافك فقال أطلقوهم وذكر أحمد بن كامل أن الخوارج
قتلت معن بن زائدة بسجستان في سنة إحدى وخمسين ومائة ※ وروى أن عبد الله بن طاهر كان
يوما عند المأمون فقال له يا أبا العباس من أشعر من قال الشعر في خلافة بني هاشم قال أمير المؤمنين
قال أعرف بهذا مني على كل حال قال عبد الله أشعرهم الذي يقول في معن بن زائدة
أيا قبر معن كنت أول حفرة من الأرض خطت للسماحة مضجعا
أيا قبر معن كيف واريت جوده وقد كان منه البر والبحر مترعا
بلى قد وسعت الجود والجود ميت ولو كان حيا ضقت حتى تصدعا
والأبيات للحسين بن مطير الأسدي وهي تزيد على هذا المقدار وأولها
ألما على معن وقولا لقبره سقتك الغوادي مربعا ثم مربعا
ثم بمعن ثم قوله

فتى عيش في معروفه بعد موته كما كان بعد السيل مجراه مرتعا
ولما مضى معن مضى الجود وانقضى واصبح عرنين المكارم اجدعا

مجلس آخر سادس عشر تأويل آية

ان سال سائل فقال ما الوجه
في قوله تعالى ان الذين يكفرون بايات الله ويقتلون النبيين بغير حق وفي موضع آخر وقتلهم
الانبياء بغير حق وظاهر هذا القول يقتضي ان قتلهم قد يكون بحق وقوله ومن يدع مع الله
الها آخر لا برهان له به وقوله تعالى الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها وقوله تعالى ولا
تكونوا اول كافر به وقوله تعالى ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا وقوله لا يسألون الناس الحافا
والسؤال عن كل هذه الآيات من وجه واحد وهو الذي تقدم الجواب ان للعرب فيما
جرى هذا المجرى من الكلام عادة معروفة ومذهبا مشهورا عند من تصفح كلامهم وفهم عنهم والمراد
بذلك المبالغة في النفي وتاكيده فمن ذلك قولهم فلان لا يرجى خيره ليس يريدون ان فيه خيرا لا يرجى
وانما غرضهم انه لا خير عنده على وجه من الوجوه ومثله قل ما رايت مثل هذا الرجل وانما يريدون
ان مثله لا يرى قليلا ولا كثيرا وقال امرؤ القيس
على لاحب لا يهتدى بمناره اذا سافه العود الديافي جرجرا يصف طريقا واراد بقوله لا
يهتدى بمناره انه لا منار له فيهتدى بها والعود المسن من الابل والديافي منسوب الى
دياف قرية بالشام معروفة وسافه يسوفه شمه والجرجرة مثل الهدير وانما اراد ان
العود اذا شمه عرفه فاستبعده وذكر ما يلحقه فيه من المشقة فجرجر لذلك وقال ابن احمر
لا يفزع الارنب اهوالها ولا ترى الضب بها ينجحر اراد ليست بها اهوال
فتفزع الارنب وقال النابغة يحفه جانبا نيق ويتبعه مثل الزجاجة لم تكحل من الرمد
اراد ليس بها رمد فتكحل له وقال امرؤ القيس

وصم حوام ما يقين من الوجا كان مكان الردف منه على رال يصف حوافر
فرسه وقوله ما يقين من الوجا فالوجا هو الحفا ويقين اي يتوقين يقال وقى الفرس اذا هاب
المشي فاراد انه لا وجا بحوافره فيتهيبن الارض من اجله والرال فرخ النعام وشبه
اشراف عجزه بعجز الرال وقال الآخر لا يغمز الساق من اين ولا وصب ولا يعض على شرسوفه الصفر
اراد ليس بساقه اين ولا وصب فيغمزها من اجلهما وقال سويد بن ابي كاهل
من اناس ليس في اخلاقهم عاجل الفحش ولا سوء الجزع ولم يرد ان في اخلاقهم
فحشا آجلا ولا جزعا غير سيئ وانما اراد نفي الفحش والجزع عن اخلاقهم ومثل ذلك قولهم
فلان غير سريع الى الخنا وهم يريدون انه لا يقرب الخنا لا نفي الاسراع حسب وقال الفرزدق
وهو يهجو بني جعفر بن كلاب ويعيرهم بقتلى منهم اصيبوا في بعض حروبهم فحملت النساء هولاء
القتلى حتى تبين بهم الحي ولم تات عير اهلها بالذي اتت به جعفرا يوم الهضيبات عيرها
اتتهم بعير لم تكن هجرية ولا حنطة الشام المزيت خميرها
يعني ان العير انما تحمل التمر او الطعام فحملت عير هولاء القوم القتلى وقوله لم تكن هجرية اي
لم تحمل التمر وذلك لكثرة التمر بهجر ثم قال ولا حنطة الشام المزيت خميرها ولم يرد ان
هناك حنطة ليس في خميرها زيت لكنه اراد انها لم تحمل تمرا او حنطة ثم وصف الحنطة
بما يجعل في خميرها من الزيت وعلى هذا تاويل الآيات التي وقع السؤال عنها لانه تعالى قال و
يقتلون النبيين بغير حق دل على ان قتلهم لا يكون الا بغير حق ثم وصف القتل بما لا بد ان يكون عليه
من الصفة وهي وقوعه على خلاف الحق وكذلك قوله ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به
انما هو وصف لهذا الدعاء وانه لا يكون الا عن غير برهان وقوله تعالى الله الذي رفع
السموات بغير عمد ترونها وجهه ايضا انه لو كان هناك عمد لرايتموه فاذا نفى رؤية العمد
نفى وجود العمد كما قال لا يهتدى بمناره اي لا منار له من حيث علم انه لو كان له منار
لاهتدي به فصار نفي الاهتداء بالمنار نفيا لوجود المنار وقوله تعالى ولا تكونوا اول كافر به

تغليظ وتأكيد في تحذيرهم من الكفر وهو ابلغ ان تقول ولا تكفروا به ويجري مجرى قولهم فلان
لا يسرع الى الخنا وقلّما رايت مثله اذا اراد وابه تاكيد نفي الخنا ونفي رؤيته مثل المذكور وكذلك
قوله تعالى لا يسالون الناس الحافا معناه لا مسالة تقع منهم ومثل الاول ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا
والفائدة ان كل ثمن لها لا يكون الا قليلا فصار نفي الثمن القليل نفيا لكل ثمن هذا اوضح بحمد الله ومنه

باب في ذكر شيء من اشعار المعمرين واخبارهم ومستحسن كلامهم

احد المعمرين الحرث بن كعب بن عمرو بن وعلة بن خالد بن مالك بن ادد المذحجي ومذحج هي ام
مالك بن ادد نسب ولد مالك اليها وانما سميت مذحجا لانها ولدت على اكمة تسمى مذحجا واسمها
مدلة بنت ذي منجشان قال ابو حاتم السجستاني جمع الحرث بن كعب بنيه لما حضرته الوفاة فقال
يا بني قد اتى علي ستون ومائة سنة ما صافحت يميني يمين غادر ولا قنعت نفسي بخلة فاجر
ولا صبوت بابنة عم لي ولا كنة ولا طرحت عندي مومسة قناعها ولا بحت لصديق بسر واني لعلى
دين شعيب النبي عليه السلم وما عليه احد من العرب غيري وغير اسد بن خزيمة وتميم بن مر
فاحفظوا وصيتي وموتوا على شريعتي. الهكم فاتقوه يكفكم المهم من اموركم ويصلح لكم اعمالكم
واياكم ومعصيته يحل بكم الدمار ويوحش منكم الديار يا بني كونوا جميعا ولا تفرقوا فتكونوا
شيعا وان موتا في عز خير من حياة في ذل وعجز وكل ما هو كائن كائن وكل جمع الى تباين الدهر
ضربان فضرب رخاء وضرب بلاء واليوم يومان فيوم حبرة ويوم عبرة والناس رجلان
فرجل معك ورجل عليك تزوجوا الاكفاء وليستعملن في طيبهن الماء وتجنبوا الحمقاء فان
ولدها الى افن ما يكون الا انه لا راحة لقاطع القرابة واذا اختلف القوم امكنوا عدوهم وآفة
العدد اختلاف الكلمة. التفضل بالحسنة يقي السيئة والمكافاة بالسيئة الدخول فيها العمل
السوء يزيل النعماء وقطيعة الرحم تورث الهم وانتهاك الحرمة يزيل النعمة وعقوق الوالدين
يعقب النكد ويمحق العدد ويخرب البلد والنصيحة تجر الفضيحة والحقد يمنع الرفد
لزوم الخطيئة يعقب البلية سوء الرعة يقطع اسباب المنفعة الضغائن تدعو الى التباين

صرفت العرب ادد ولم يجعلوه من باب عمر وزفر

منجشان كذا في التهذيب

منجشان

قنعت بخلة

ضربان فضرب وضرب

ومنهم

ثم انشا يقول

اكلت شبابي فافنيته وانضيت بعد دهور دهورا
ثلاثة اهلين صاحبتهم فبادوا واصبحت شيخا كبيرا
قليل الطعام عسير القيام قد ترك الدهر خطوي قصيرا
ابيت اراعي نجوم السماء اقلب امري بطونا ظهورا

قوله ولا صبوت بابنة عم ولا كنة الصبوة من رقة الحب والكنة هي امراة اخي الرجل وامراة
ابن اخيه فاما المومسة فهي الفاجرة البغي واراد بقوله لم تطرح عنده قناعها اي لم تتبذل عنده و
تنبسط كما تفعل مع من يريد الفجور بها وقوله فيوم حبرة ويوم عبرة فالحبرة السرور والفرح
والعبرة تكون من ضد ذلك لان العبرة لا تكون الا من امر محزن مؤلم فاما الافن فهو الحمق يقال رجل
افين اذا كان احمق ومن امثالهم وجدان الرقين يغطي افن الافين اي وجدان المال يغطي على حمق
الاحمق وواحد الرقين رقة وهي الفضة فاما قوله النصيحة تجر الفضيحة فيشبه ان يكون معناه
ان النصيح اذا نصح من لا يقبل نصيحته ولا يصغي الى موعظته فقد افتضح عنده لانه افضى اليه بسره
وباح بمكنون صدره فاما سوء الرعة فانه يقال فلان حسن الرعة والتورع اذا كان حسن الطريقة
ومن المعمرين المستوغر وهو عمرو بن ربيعة بن كعب بن زيد مناة بن تميم بن مر بن
اد بن طابخة بن الياس بن مضر وانما سمي المستوغر ببيت قاله وهو

ينش الماء في الربلات منها نشيش الرضف في اللبن الوغير

الربلات واحدها
ربلة وربلة بفتح الباء واسكانها وهي كل لحمة غليظة هكذا ذكر ابن دريد والرضف الحجارة
المحماة وفي الحديث كانه على الرضف واللبن الوغير لبن تلقى فيه حجارة محماة ثم يشرب اخذ
من وغرة الظهيرة وهي اشد ما يكون من الحر ومنه وغر صدر فلان يوغر وغرا اذا التهب من
غضب او حقد وقال اصحاب الانساب عاش المستوغر ثلثمائة سنة وعشرين سنة وادرك
الاسلام او كاد يدركه وقال ابن سلام كان المستوغر قديما وبقي بقاء طويلا حتى قال

ولقد سئمت من الحياة وطولها وعمرت من عدد السنين مئينا

سعد بن

مائة اتت من بعدها مائتان لي وازددت من عدد الشهور سنينا

هل ما بقا الا كما قد فاتنا يوم يكر وليلة تحدونا وهو القائل

اذا ما المرء صم فلم يكلم واودى سمعه الا ندايا

ولاعب بالعشي بني بنيه كفعل الهر يحترش العظايا

يلاعبهم وودوا لو سقوه من الذيفان مترعة ملايا

فلا ذاق النعيم ولا شرابا ولا يشفى من المرض الشفايا

اراد بقوله صم فلم يكلم اي لم يسمع ما يكلم به فاختصر ويجوز ان يريد انه لم يكلم لليابس من استماعه فاعرض عن خطابه لذلك • وقوله اودى سمعه الا ندايا اراد ان سمعه هلك الا انه يسمع الصوت العالي الذي ينادى به • وقوله ولاعب بالعشي بني بنيه فانه مبالغة في وصفه بالهرم والخرف والخروج الى ملاعبة الصبيان وانسهم به ويشبه ان يكون خص العشي بذلك لانه وقت رواح الصبيان الى بيوتهم واستقرارهم فيها • وقوله يحترش العظايا اي يصيدها والاحتراش ان يقصد الرجل الى جحر الضب فيضربه بكفه ليحسبه الضب افعى فيخرج اليه فياخذه يقال حرشت الضب واحترشته ومن امثالهم هذا اجل من الحرش يضرب عند الامر يستعظم ويتكلم بذلك على لسان الضب وقال ابن دريد قال الضب لابنه اتق الحرش قال وما الحرش قال اذا سمعت حركة بباب الجحر فلا تخرج فسمع يوما وقع المحفار فقال يا ابت هذا الحرش فقال هذا اجل من الحرش فجعل مثلا للرجل اذا سمع الشيء الذي هو اشد مما كان يتوقعه والذيفان السم و العظايا جمع عظاية وهي دويبة معروفة • ومن المعمرين دويد بن زيد بن نهد بن ليث بن سود بن اسلم بن الحاف بن قضاعة بن مالك بن مرة بن مالك بن حمير قال ابو حاتم عاش دويد بن زيد اربعمائة سنة وستا وخمسين سنة وقال ابن دريد لما حضرت دويد بن زيد الوفاة وكان من المعمرين قال ولا تعد العرب معمرا الا من عاش مائة سنة وعشرين سنة فصاعدا قال لبنيه • اوصيكم بالناس شرا لا ترحموا لهم عبرة ولا تقيلوا لهم عثرة قصروا الاعنة

وطولوا الاسنة اطعنوا شزرا واضربوا هبرا واذا اردتم المحاجزة فقبل المناجزة والمرء يعجز لا المحالة بالجد لا بالكد التجلد ولا التبلد والمنية ولا الدنية لا تأسوا على فائت وان جل فقده ولا تحنوا الى ظاعن وان الف قربه ولا تطمعوا فتطبعوا ولا تهنوا فتخرعوا ولا يكن لكم المثل السوء ان الموصين بنو سهوان اذا مت فارحبوا خط مضجعي ولا تضنوا على برحب الارض وما ذلك بمؤد الي روحا ولكن راحة نفس خامرها الاشفاق ثم مات

قال ابو بكر بن دريد في حديث اخر انه قال

اليوم يبنى لدويد بيته | يا رب نهب صالح حويته
ورب قرن بطل ارديته | ورب غيل حسن لويته
ومعصم مخضب ثنيته | لو كان للدهر بلى ابليته
او كان قرني واحدا كفيته | ومن قوله
القى على الدهر رجلا ويدا | والدهر ما اصلح يوما افسدا
يفسد ما اصلحه اليوم غدا |

قوله اطعنوا شزرا واضربوا هبرا معنى الشزر ان يطعنه من احدى ناحيتيه يقال فتل الحبل شزرا اذا فتله على الشمال والنظر الشزر نظر نحو من مجرى العين وقال الاصمعي نظر اليه شزرا اذا نظر اليه من عن يمينه وشماله وطعنه شزرا كذلك • وقوله هبرا قال ابن دريد يقال هبرت اللحم اهبره هبرا اذا قطعته قطعا كبارا والاسم الهبرة والهبرة وسيف هبار وهابر ولحم هبير ومهبور والمحالة الحيلة • وقوله بالجد لا بالكد اي يدرك الرجل حاجته وطلبته بالجد وهو الحظ والبخت ومنه رجل مجدود فاذا كسرت الجيم فهي المبالغة في الامر والانكماش فيه • وقوله التجلد ولا التبلد اي تجلدوا ولا تبلدوا • وقوله فتطبعوا اي تدنسوا والطبع الدنس ويقال طبع السيف يطبع طبعا اذا ركبه الصدا قال ثابت قطنة العتكي

لا خير في طمع يدني الى طبع وغفة من قوام العيش تكفيني

وقوله ولا تهنوا فتخرعوا الوهن الضعف والخرع والخراعة اللين ومنه سميت الشجرة الخروع للينها ❊ وقوله ان الموصين بنو سهوان فالموصون جمع موصى وبنو سهوان ضربه مثلا اى لا تكونوا ممن تقدم اليهم فسهوا واعرضوا عن الوصية وقالوا انه يضرب هذا المثل للرجل الموثوق به ومعناه ان الذين يحتاجون الى ان يوصوا الحوائج لحوائجهم هم الذين يسهون عنه لقلة عنايتهم وانت غير غافل ولا ساه عن حاجتي ❊ وقوله فارحبوا اى اوسعوا والرحب السعة والروح الراحة ❊ وقوله في الشعر غيل فالغيل الساعد الممتلئ والمعصم موضع السوار من اليد ❊ وهو المعمر بن زهير بن جناب بن هبل بن عبد الله بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة بن مالك بن عمرو بن زيد بن مالك بن حمير ❊ قال ابو حاتم عاش زهير بن جناب مائتي سنة وعشرين سنة ووقع مائتي وقعة وكان [illegible] العاشر بها في قومه ويقال كانت فيه عشر خصال لم تجتمعن في غيره من اهل زمانه كان سيد قومه وشريفهم وخطيبهم وشاعرهم ووافدهم الى الملوك وطبيبهم والطب في ذلك الزمان شرف وحازي قومه والحزاة الكهان وفارس قومه وله البيت فيهم والعدد منهم فاوصى الى بنيه فقال ❊ يا بني اني قد كبرت سني وبلغت حرسا من دهري فاحكمتني التجارب والامور تجربة واختبار فاحفظوا عني ما اقول وادعوه ❊ اياكم والخور عند المصائب والتواكل عند النوائب فان ذلك داعية للغم وشماتة للعدو وسوء ظن بالرب واياكم ان تكونوا بالاحداث مغترين ولها آمنين ومنها ساخرين فانه ما سخر قوم قط الا ابتلوا ولكن توقعوها فانما الانسان في الدنيا غرض تعاوره الرماة فمقصر دونه ومجاوز لموضعه وواقع عن يمينه وشماله ثم لا بد انه مصيبه ❊ قوله حرسا من دهري يريد دهرا والحرس الدهر قال الراجز في سنبة عشنا بذاك حرسا ❊ والسنبة المدة من الدهر والتواكل ان يكل القوم امرهم الى غيرهم من قولهم رجل وكل اذا كان لا يكفي نفسه ويكل امره الى غيره ويقال رجل وكلة تكلة والغرض كل شيء نصبته للرمي وتعاوره اى تداوله ❊ قال السيد قدس الله روحه

وقد ضمن ابن الرومي معنى قول زهير بن جناب الانسان في الدنيا غرض تعاوره الرماة فمقصر دونه ومجاوز لموضعه وواقع عن يمينه وعن شماله ثم لا بد ان تصيبه ابياتا فاحسن كل الاحسان في الابيات

كفى بسراج الشيب في الراس هاديا الى من اضلته المنايا لياليا
امن بعد ابداء المشيب مقاتلي لرامي المنايا تحسبيني ناجيا
غدا الدهر يرميني فتدنو سهامه لشخصي اخلق ان يصبن سواديا
وكان كرامي الليل يرمي ولا يرى فلما اضاء الشيب شخصي رمانيا

اما البيت الاخير فانه ابدع فيه وغرب وما علمت انه سبق الى معناه لانه جعل الشباب كالليل الساتر على الانسان الحاجب بينه وبين من اراد رميه والشيب مبديا لمقاتله هاديا الى اصابته ببياضه وهذا في نهاية حسن المعنى واراد بقوله رماني اصابني ومثله قول الشاعر

فلما رمى شخصي رميت سواده ولا بد ان يرمى سواد الذي [illegible]

وكان زهير بن جناب على عهد كليب بن وائل ولم يكن في العرب انطق من زهير ولا اوجه عند الملوك وكان لسداده رايه يسمى كاهنا ولم تجتمع قضاعة الا عليه وعلى رزاح بن ربيعة وسمع زهير بعض نسائه تتكلم بما لا ينبغي لامراة ان تتكلم به عند زوجها فقال لها اسكتي عني والا ضربتك بهذا العمود فوالله ما كنت اراك تسمع شيئا ولا تعقله فقال عند ذلك

الا يا لقومي لا ارى النجم طالعا ولا الشمس الا حاجبي بيميني
معزبتي عند القفا بعمودها يكون نكيري ان اقول ذريني
امينا على سر النساء وربما اكون على الاسرار غير امين
فللموت خير من حداج موطا مع الظعن لا ياتي المحل لحين

ابني ان اهلك فقد اورثتكم مجدا بنيه
وتركتكم ابناء سادات زنادكم وريه
من كل ما نال الفتى قد نلته الا التحيه
ولقد رحلت البازل الكوماء ليس لها وليه
وخطبت خطبة حازم غير الضعيف ولا العييه
فالموت خير للفتى فليهلكن وبه بقيه

من آن يرى الشيخ البجال وقد يهادى بالعشية — وهو القائل

ليت شعري والدهر ذو حدثان أي يوم منيتي تلقاني

أسبات على الفراش خفات أم بكفي مفجع حران — وقال حين مضت له مائتا سنة من عمره

لقد عمرت حتى لا أبالي أحتفي في صباحي أم مسائي

وحق لمن أتت مائتان عاما عليه أن يمل من الثواء

قوله معترّ بني يعني امرأته يقال معترة الرجل وطلته وحنته كل ذلك امرأته وقوله أيضا
عاسر النساء فالسر خلاف العلانية والسر أيضا النكاح قال الحطيئة

ويحرم سر جارتهم عليهم ويأكل جارهم أنف القصاع — جاراتهم

وقال امرؤ القيس

ألا زعمت بسباسة اليوم أنني كبرت وأن لا يحسن السر أمثالي

وكلام ذي الإصبع يحتمل المعنيين جميعا لأنه إذا كبر وهرم لم تهتبه النساء أن يحدث من حضرته بأسرارهن
لهدّ نابه ونحو لا على ثقل سمعه وكذلك هرمه وكبره يوجبان كونه أمينا على نكاح النساء لعجزه
عنه وقوله جداج هو مطا الجداج من كب من مراكب النساء والجمع أحداج وحدوج والظعن
والأظعان الهوادج والظعينة المرأة في الهودج ولا تسمى ظعينة حتى تكون في الهودج والجمع
ظعائن وإنما خبر عن هرمه وأن موته خير من كونه مع الظعن في جملة النساء وقوله زنادكم
وريه الزناد جمع زند وزندة وهما عودان تقدح بهما النار في أحدهما فروض وهي ثقب فالتي فيها
الفروض هي الأنثى والذي يقدح بطرفه هو الذكر فيسمى الزند الأب والزندة الأم وكنى
بزنادكم وريه عن نيل خيركم ومآربكم تقول العرب وريت بك زنادي أي نلت بك ما أحب من النجح والنجاة
ويقال للرجل الكريم واري الزناد فأما التحية فهي الملك فكأنه قال من كل ما نال الفتى قد نلته إلا
الملك وقيل التحية هاهنا الخلود والبقاء والبازل الناقة التي قد بلغت تسع سنين وهي أشد
ما تكون ولفظ البازل في الناقة والجمل سواء والكوماء الناقة العظيمة السنام والولية برذعة
تطرح على ظهر البعير تلي جلده والبجال الذي يبجله قومه ويعظمونه ومعنى يهادى أي يمشي بهم

يروى بشهة — قال أبو حاتم الرفع على إضمار أنه والنصب على اللفظ

ويقال حدج وجمع حداج ...

بلوغهم مآربهم

الرجال فيسند دونه لضعفه والتهادي المشي الضعيف وقوله أسبات فالسبات سكون الحركة
ورجل مسبوت والخفات الضعف يقال خفت الرجل إذا أصابه ضعف من مرض أو جوع و
المفجع الذي فجع بولد أو قرابة والحران العطشان الملتهب وهو هاهنا المحزون عافلاه و
مما يروى لزهير بن جناب

إذا ما شئت أن تسلى حبيبا فأكثر دونه عدد الليالي — بلى

فما سلى حبيبك مثل نأي ولا أبلى جديدك كابتذال

مجلس آخر سابع عشر

ومن المعمرين ذو الإصبع
العدواني واسمه حرثان بن محرث بن الحارث بن ربيعة بن وهب بن ثعلبة بن ظرب بن عمرو بن عياذ بن
يشكر بن عدوان وهو الحارث بن عمرو بن قيس عيلان بن مضر وإنما سمي الحارث عدوان لأنه عدا على
أخيه فهم فقتله وقيل بل فقأ عينيه وقيل إن اسم ذي الإصبع محرث بن حرثان بن حويرث وقيل حرثان بن حويرث وقيل
حرثان بن حارثة ويكنى أبا عدوان وسبب لقبه بذي الإصبع أن حية نهشته على إصبعه فشلت
فسمي بذلك ويقال إنه عاش مائة وسبعين سنة وقال أبو حاتم إنه عاش ثلثمائة سنة وهو
أحد حكام العرب في الجاهلية وذكر الجاحظ أنه كان أثرم ومما يروى عنه

لا يبعدن عهد الشباب ولا لذاته ونباته النضر

لولا أولئك ما حفلت متى عوليت في حرجي إلى قبري — حرجي — الحرج سرير الموتى

هزئت أثيلة أن رأت هرمي وأن انحنى لتقادم ظهري

وكان لذي الإصبع بنات أربع فعرض عليهن أن يزوجهن فأبين وقلن خدمتك وقربك أحب إلينا — منا
ثم أشرف عليهن يوما من حيث لا يرينه فقلن لتقل كل واحدة ما في نفسها فقالت الكبرى

ألا هل أراها مرة وضجيعها أشم كنصل السيف عين مهند — عير المهند — ويروى عير مفند

عليم بأدواء النساء وأصله إذا ما انتمى من سر أهلي ومحتدي — ويروى عير مهند

ويروى من أهل سري ومن أصل سري فقلن لها أنت تريدين ذا قرابة قد عرفته ثم قالت الثانية

ألا ليت زوجي من أناس أولي غنى حديث الشباب طيب الثوب والعطر — غنى

لصوق بأكباد النساء كأنه مخليفة جان لا ينام على وتر
ويروى لا ينام على مجر. فقلن لها أنت تريدين فتى لبيس من أهلك. ثم قالت الثالثة
ألا ليته يكسى الجمال نديه له جفنة تشقى بها المعز والجزر
له حكمات الدهر من غير كبرة تشين فلا فان ولا ضرع غمر
فقلن لها أنت تريدين سيدا شريفا. وقلن للرابعة قولي فقالت لا أقول فقلن يا عدوة الله علمت ما
في أنفسنا ولا تعلميننا ما في نفسك فقالت زوج من عود خير من قعود فمضت مثلا فزوجهن
أبوهن فمكثن حولا ثم أتى الكبرى فقال يا بنية كيف ترين زوجك فقالت خير زوج يكرم الحليلة
ويعطي الوسيلة قال فما مالكم قالت الإبل نشرب ألبانها جرعا ونأكل لحمانها مزعا و
تحملنا وضيفنا معا قال يا بنية زوج كريم ومال عميم. ثم أتى الثانية فقال يا بنية كيف زوجك
فقالت خير زوج يكرم أهله وينسى فضله قال وما مالكم قالت البقر تألف الفناء وتملأ الإناء
وتودك السقاء ونساء مع النساء فقال حظيت ورضيت. ثم أتى الثالثة فقال يا بنية كيف
زوجك فقالت لا سمح بذر ولا بخيل حكر قال فما مالكم قالت المعزى قال وما هي قالت لو
كنا نولدها فطما ونسلخها أدما ويروى أدما بالفتح لم نبغ بها نعما فقال لها جذوة مغنية
ويروى جذوة مغنية. ثم أتى الصغرى فقال يا بنية كيف زوجك قالت شر زوج يكرم
نفسه ويهين عرسه قال فما مالكم قالت شر مال قال وما هو قالت الضأن جوف لا يشبعن وهيم
لا ينقعن وصم لا يسمعن وأمر مغويتهن يتبعن فقال أبوها أشبه امرأ بعض بزه فمضت
مثلا. قال السيد قدس الله روحه أما قوله أخرى بناته أشم فالشمم هو ارتفاع
أرنبة الأنف وورودها يقال رجل أشم وامرأة شماء وقوم شم قال حسان ثابت
بيض الوجوه كريمة أحسابهم شم الأنوف من الطراز الأول والشمم الارتفاع من
كل شيء فيحتمل أن يكون أراد حسان بشم الأنوف ما ذكرناه من ورود الأرنبة لأن ذلك عندهم دليل العتق
والنجابة ويجوز أن يريد بذلك الكناية عن نزاهتهم وتباعدهم عن دنايا الأمور ورذائلها وخص الأنوف بذلك

لأن الحمية والغضب والأنف فيها ولم يرد طول أنوفهم وهذا أشبه أن يكون مراده لأنه قال
بيض الوجوه ولم يرد بياض اللون في الحقيقة وإنما كنى بذلك عن نقاء أعراضهم وجميل أخلاقهم وأفعالهم
كما يقول القائل جاءني فلان بوجه أبيض وقد بيض فلان وجهه بكذا وكذا وإنما يعني ما ذكرناه
وقول المرأة أشم كنصل السيف يحتمل الوجهين أيضا وقول حسان من الطراز الأول أي أفعالهم أفعال
آبائهم وسلفهم وأنهم لم يحدثوا أخلاقا مذمومة لا تشبه نجارهم وأصولهم وقولها عين مهند أي
هو المهند بعينه كما يقال هذا هو بعينه وعين الشيء نفسه وعلى الرواية الأخرى غير مهند أي
ليس هو السيف المنسوب إلى الهند في الحقيقة وإنما هو مشبه به في مضائه وقولها من سر
أهلي أي من أكرمهم وأخلصهم يقال فلان في سر قومه أي في صميمهم وشرفهم وسر الوادي
أطيبه ترابا والمحتد الأصل. وقول الثانية إلى عدى فإنما معناه أن يكون له أعداء لأن من لا
عدو له هو الفسل الرذل الذي لا خير عنده والكريم الفاضل من الناس هو المحسود المعادى
وقولها لصوق بأكباد النساء تعني في المضاجعة ويحتمل أن تكون أرادت في المحبة والمودة
وكنت بذلك عن شدة محبتهن له وميلهن إليه وما أشبهه. وقولها كأنه خليفة جان أي
كأنه حية للصوفة والجان جنس من الحيات خفيف لسرعة السعي. وقول الثالثة يكسى
الجمال بزته فالندي هو المجلس وقولها له حكمات الدهر يقول فيه حكمة التجارب وجعلته
حكيما فأما الضرع فهو الضعيف والغمر الذي لم يجرب الأمور. وقول الكبرى يكرم الحليلة و
يعطي الوسيلة فالحليلة هي امرأة الرجل والوسيلة الحاجة وقولها نشرب ألبانها جرعا
فالجرع جمع جرعة وهي الماء القليل يبقى في الإناء. وقولها مزعا المزعة البقية من الدسم
ويقال ما له جرعة ولا مزعة هكذا ذكر ابن دريد بالضم في جرعة ويجوز غيره بكسرها
فيقول جرعة وإذا كسرت فينبغي أن يكون نشرب ألبانها جرعا وكسر المزعة أيضا من زوج
الكلام فنقول ونأكل لحمانها مزعا فإن المزعة بالكسر هي القطعة من اللحم والمزعة بالكسر
أيضا من الريش والقطن وغير ذلك كالمزقة من الخرق والتمزيع التقطيع والتشقيق يقال

انه ليكاد يتمزع من الغيظ ومزع الظبي في عدوه يمزع مزعا اذا اسرع وقوله مال عميم اي كثير
وقول الثانية تورك السقا من الودك الذي هو الدسم وقول الثالثة تولدها فطما القطم يجمع
قطيم وهو المقطوع من الرضاع وقولها تسلخهما ادما فالادم جمع اداام وهو الذي يوكل يقول لو
انا فطمناها عند الولاد وسلخناها لتلذ دم من الجلد لم يشبع بها نعمها وعلى الرواية الاخرى ادما من
الادم وقوله جدوة مغنية فالجدوة القطعة وقول الصغرى جوف لا يشبع الجوف جمع جوفاء
وهي العظيمة الجوف والهيم العطاش لا ينقع اي لا يروين ومعنى فوها وام معو بينهن يتنعز اي
القطيع من الضان يمر على قطرة فتنزل واحدة فتنقع في الماء فيقعن كلهن اتباعا والضان
موصوف بالبلادة اخبرنا ابو الحسن علي بن محمد الكاتب قال اخبرنا ابن دريد قال اخبرنا
ابو حاتم عن ابي عبيدة عن يونس قال ابن دريد واخبرنا به العكلي عن ابي خالد عن الهيثم بن
عدي عن مسعر بن كدام قال حدثني سعيد بن خالد الجدلي قال لما قدم عبد الملك بن مروان الكوفة بعد
قتل مصعب دعا الناس بفرائضهم فاتيناه فقال من القوم فقلنا من جديلة فقال جديلة عدوان
قلنا نعم فتمثل عبد الملك

عذير الحي من عدوان كانوا حية الارض
بغى بعضهم بعضا فلم يرعوا على بعض ومنهم كانت السادات والموفون بالقرض
ومنهم حكم يقضي فلا ينقض ما يقضي ومنهم من يجير الناس بالسنة والفرض

ثم اقبل على رجل كنا قدمناه امامنا جسيم وسيم فقال ايكم يقول هذا الشعر فقال لا ادري فقلت
انا من خلفه يقوله ذو الاصبع فتركني واقبل على ذلك الجسيم فقال وما كان اسم ذي الاصبع فقال لا
ادري فقلت انا من خلفه حرثان فاقبل عليه وتركني فقال لم سمي ذا الاصبع فقال لا ادري فقلت
انا من خلفه نهشته حية على اصبعه فاقبل عليه وتركني فقال من ايكم كان قال لا ادري فقلت انا
من خلفه من بني ناج فاقبل على الجسيم فقال كم عطاوك قال سبع مائة ثم اقبل علي فقال كم عطاوك
قلت اربع مائة فقال يا ابا الزعيزعة حط من عطاء هذا ثلثمائة وزدها في عطاء هذا فرجعت وعطائي
سبع مائة وعطاوه اربع مائة وفي رواية اخرى انه لما قال من ايكم كان فقال لا ادري فقلت

يعني الشمس اي السعادات على حاشية نسخة وجدت في بعض الروايات تورك السقا باللام ماخوذ من الثمالة وهو اللبن الحامض

من خلفه من بني ناج الذي يقول فيهم الشاعر

واما بنو ناج فلا تذكرنهم ولا تتبعن عينيك من كان هالكا
اذا قلت معروفا لتصلح بينهم يقول وهيب لا اسالم ذلكا — ويروى لا احاول
فاضحى كظهر العود جب سنامه يدب الى الاعداء احدب باركا — ويروى
فاضحى كظهر العود جب سنامه تحوم عليه الطير احدب باركا

وقد رويت هذه الابيات لذي الاصبع ايضا ومن ابيات ذي الاصبع ايضا قوله

اكاشر ذا الضغن المبين منهم واضحك حتى يبدو الناب اجمع
واهدنه بالقول هدنا ولو يرى سريرة ما اخفي لبات يفزع — معنى اهدنه اسكنه

ومن قوله ايضا

اذا ما الدهر جر على اناس شراشره اناخ باخرينا
فقل للشامتين بنا افيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا

ومعنى الشراشر ها هنا الثقل ويقال القى عليه شراشره وجراميزه اي ثقله ومن قوله

ذهب الذين اذا رأوني مقبلا هشوا الي ورحبوا بالمقبل
وهم الذين اذا حملت حمالة ولقيتهم فكأنني لم احمل

ومن قوله وهي مشهورة

لي ابن عم على ما كان من خلق مختلفان فاقليه ويقليني
ازرى بنا اننا شالت نعامتنا فخالني دونه بل خلته دوني — دخلته ٢
لاه ابن عمك لا افضلت في حسب عني ولا انت دياني فتخزوني
اني لعمرك ما بابي بذي غلق عن الضيوف ولا خيري بممنون — الصديق
ولا لساني على الادنى بمنطلق بالفاحشات ولا اغضي على الهون
ماذا علي وان كنتم ذوي رحمي ان لا احبكم اذ لم تحبوني
يا عمرو الا تدع شتمي ومنقصتي اضربك حيث تقول الهامة اسقوني
وانتم معشر زيد على مائة فاجمعوا امركم طرا فكيدوني

نسخة: كل امرئ صائر يوما لشيمته وان تخلق اخلاقا الى حين

لا يخرج القسر مني غير مأبية ولا ألين لمن لا يبتغي ليني

قوله شالت نعامتنا معناه تنافرنا وتفرقنا لا أطمئن إليه ولا يطمئن إليّ يقال شالت نعامة القوم إذا جلوا عن الموضع وقوله لاه ابن عمك قال قوم أراد لله ابن عمك وقال ابن دريد أقسم وأراد أنت ابن عمك وقوله عني أي عليّ والديان الذي يلي أمره ومعنى تخزوني أي تسوسني والهون الهوان وقوله أضربك حيث تقول الهامة اسقوني قال الأصمعي العطش في الهامة فأراد أضربك في ذلك الموضع أي على الهامة بحيث تعطش وقال آخرون العرب تقول إن الرجل إذا قتل خرجت من رأسه هامة تدور حول قبره وتقول اسقوني اسقوني ولا تزال كذلك حتى يؤخذ بثاره وهذا باطل و يجوز أن يعتقده ذو الإصبع على مذاهب العرب وقوله لا يخرج القسر مني غير مأبية فالقسر القهر أي لم [illegible] إلا إذا أردت أنا

ومن المعمرين معدي كرب الحميري من آل ذي رعين قال ابن سلام وقال معدي كرب وقد طال عمره

أراني كلما أفنيت يوما أتاني بعده يوم جديد
يعود بياضه في كل فجر ويأبى لي شبابي ما يعود

ومن المعمرين الربيع بن ضبع الفزاري ويقال إنه بقي إلى أيام بني أمية و روي أنه دخل على عبد الملك بن مروان فقال له يا ربيع أخبرني عما أدركت من العمر والمدى ورأيت من الخطوب الماضية قال أنا الذي أقول

ها أنا ذا آمل الخلود وقد أدرك عقلي ومولدي حجرا

فقال قد رويت هذا الشعر من شعرك وأنا صبي قال وأنا القائل

إذا عاش الفتى مائتين عاما فقد ذهب اللذاذة والفتاء

قال قد رويت هذا من شعرك وأنا غلام وأبيك يا ربيع لقد طلبك جد غير عاثر ففصل لي عمرك قال عشت مائتي سنة في فترة عيسى عليه السلام وعشرين ومائة في الجاهلية وستين في الإسلام قال أخبرني عن فتية من قريش متواطئي الأسماء فقال سل عن أيهم شئت قال أخبرني عن عبد الله بن عباس قال فهم وعلم وعطاء جذم ومقرى ضخم قال فأخبرني عن عبد الله بن عمر قال حلم وعلم

[illegible]

وطول الكظم وبعد من الظلم قال فأخبرني عن عبد الله بن جعفر قال ريحانة طيب ريحها لين مسها قليل على المسلمين ضررها قال فأخبرني عن عبد الله بن الزبير قال جبل وعر ينحدر منه الصخر قال لله درك يا ربيع ما أعرفك بهم قال قرب جواري وكثر استخباري قال السيد قدس الله روحه إن كان هذا الخبر صحيحا فيشبه أن يكون سؤال عبد الملك له إنما كان في أيام معاوية لا في ولايته لأن الربيع يقول في الخبر عشت في الإسلام ستين سنة وعبد الملك ولي في سنة خمس وستين من الهجرة فإن كان صحيحا فلا بد مما ذكرناه فقد روي أن الربيع أدرك أيام معاوية وهو يقال إن الربيع لما بلغ مائتي سنة قال

ألا أبلغ بني بني ربيع فأشرار البنين لكم فداء
بأني قد كبرت ودق عظمي فلا تشغلكم عني النساء
وإن كنائني لنساء صدق وما آلى بني ولا أساؤوا
إذا كان الشتاء فأدفئوني فإن الشيخ يهدمه الشتاء
وأما حين يذهب كل قر فسربال خفيف أو رداء
إذا عاش الفتى مائتين عاما فقد ذهب اللذاذة والفتاء

وقال حين بلغ مائتين وأربعين سنة

أصبح مني الشباب قد حسرا إن ينأ عني فقد ثوى عصرا
ودعنا قبل أن نودعه لما قضى من جماعنا وطرا
ها أنا ذا آمل الخلود وقد أدرك عقلي ومولدي حجرا
أبا امرئ القيس هل سمعت به هيهات هيهات طال ذا عمرا
أصبحت لا أحمل السلاح ولا أملك رأس البعير إن نفرا
والذئب أخشاه إن مررت به وحدي وأخشى الرياح والمطرا
من بعد ما قوة أسر بها أصبحت شيخا أعالج الكبرا

قوله عطاء جذم أي سريع وكل شيء أسرعت فيه فقد جذمته وفي الحديث إذا أذنت فترسل وإذا أقمت فاجذم أي أسرع والمقرى الإناء الذي يقرى فيه وقوله وما آلى بني ولا أساؤوا أي لم يقصروا والآلي المقصر

مجلس آخر ثامن عشر

من كنانة

ومن المعمرين أبو الطمحان القيني واسمه حنظلة بن الشرقي من بني كنانة بن القين
قال أبو حاتم عاش مائتي سنة فقال في ذلك
حنتني حانيات الدهر حتى كأني خاتل أدنو لصيد قصير الخطو يحسب من رآني ولست مقيدا أني بقيد
قال أبو حاتم السجستاني حدثني عدة من أصحابنا أنهم سمعوا أبو قبس بن حبيب ينشد هذين البيتين
وينشد أيضا تقارب خطو رجلك يا ذويد وقيدك الزمان بشر قيد وهو القائل

وإني من القوم الذين هم هم إذا مات منهم سيد قام صاحبه
نجوم سماء كلما غاب كوكب بدا كوكب تأوي إليه كواكبه
أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه
وما زال منهم حيث كان مسود تسير المنايا حيث سارت كتائبه

ومعنى البيتين الأولين يشبه قول أوس بن حجر
إذا مقرم منا ذرا حد نابه تخمط فينا ناب آخر مقرم
وللطفيل الغنوي مثل هذا المعنى وهو قوله
كواكب دجن كلما انقض كوكب بدا وانجلت عنه الدجنة كوكب
وقد أخذ الخزيمي هذا المعنى فقال إذا قمر منا تغور أو خبا بدا قمر في جانب الأفق يلمع
ومثل ذلك خلافة أهل الأرض فينا وراثة إذا مات منا سيد قام صاحبه ومثله
الذئب إذا سيد منا مضى لسبيله أقام عمود الملك آخر سيد
وكان من أحسن العقيلي نظر إلى قول أبي الطمحان أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم فقال وقد أحسن
وجوه لو ان المدلجين اعتشوا بها صدعن الدجى حتى ترى الليل ينجلي
ويقارب ذلك قول الحجبة بن المضرب السعدي
أضاءت لهم أحسابهم فتضاءلت لنورهم الشمس المضيئة والبدر
وأنشد محمد بن يحيى الصولي في معنى بيت أبي الطمحان

من البيض الوجوه بني سنان لو انك تستضيء بهم أضاءوا
هم حلوا من الشرف المعلى ومن كرم العشيرة حيث شاءوا
فلو أن السماء دنت لمجد ومكرمة دنت لهم السماء

وأبو الطمحان القائل إذا كان في صدر ابن عمك إحنة فلا تستثرها سوف يبدو دفينها وهو القائل
إذا شاء راعيها استقى من وقيعة كعين الغراب صفوها لم يكدر
الوقيعة المستنقع في الصخرة للماء ويقال للماء إذا نزل عن صخرة فوقع في بطن أخرى هو ماء الوقائع
وأنشد لذي الرمة ونلنا سقاطا من حديث كأنه جنى النحل ممزوجا بماء الوقائع
ويقال للماء الذي يجري على الصخر ماء الحشرج وللماء الذي يجري بين الحصى والرمل ماء المفاصل و
أنشد لأبي ذؤيب مطافيل أبكار حديث نتاجها تشاب بماء مثل ماء المفاصل وأنشد أبو محلم
السعدي لأبي الطمحان بني إذا ما سامك الذل قاهر عزيز فبعض الذل أتقى وأحرز
ولا تحم من بعض الأمور تعززا فقد يورث الذل الطويل التعزز
وهذان البيتان يرويان لعبد الله بن معوية الجعفري ويروى لأبي الطمحان أيضا في مثل هذا
المعنى يا رب مظلمة يوما لطئت لها تمضي علي إذا ما غاب أنصاري
حتى إذا ما انجلت عني غيابتها وثبت فيها وثوب المخدر الضاري

فجاء ان حديثا منك لو تعلمينه جنى النحل في ألبان عوذ مطافل

ومن المعمرين عبد المسيح بن بقيلة الغساني وهو عبد المسيح بن عمرو بن حيان بن
بقيلة وبقيلة اسمه ثعلبة وقيل الحرث وإنما سمي بقيلة لأنه خرج في بردين أخضرين على قومه فقالوا
له ما أنت إلا بقيلة فسمي بذلك وذكر الكلبي وأبو مخنف وغيرهما أنه عاش ثلثمائة سنة و
خمسين سنة وأدرك الإسلام فلم يسلم وكان نصرانيا وروي أن خالد بن الوليد لما نزل على الحيرة و
تحصن منه أهلها أرسل إليهم ابعثوا إلي رجلا من عقلائكم وذوي أسنانكم فبعثوا إليه بعبد المسيح بن
بقيلة فأقبل يمشي حتى دنا من خالد فقال أنعم صباحا أيها الملك قال قد أغنانا الله عن تحيتك هذه
فمن أين أقصى أثرك أيها الشيخ قال من ظهر أبي قال فمن أين خرجت قال من بطن أمي قال فعلام أنت

قال على الارض قال ففيم انت قال في ثيابي قال اتعقل لا عقلت قال اي والله واقيد قال ابن كم
انت قال ابن رجل واحد قال خالد ما رايت كاليوم قط اني اسأله عن الشيء وينحو الى غيره قال ما اجبتك
الا عما سألت فسل عما بدا لك قال اعرب انتم ام نبيط قال عرب استنبطنا ونبيط استعربنا قال فحرب
انتم ام سلم قال لا بل سلم قال فما هذه الحصون قال بنيناها للسفيه نحذر منه حتى يجيء الحليم فينهاه
قال كم اتى لك قال خمسون وثلثمائة سنة قال فما ادركت قال ادركت سفن البحر ترفى الينا في هذا
الجرف ورايت المراة من اهل الحيرة تضع مكتلها على راسها لا تزود الا رغيفا واحدا حتى تاتي
الشام ثم اصبحت خرابا يبابا وذلك داب الله في البلاد والعباد قال ومعه سم ساعة يقلبه في
كفه فقال له خالد ما هذا في كفك قال السم قال وما تصنع به قال ان كان عندك ما يوافق قومي واهل
بلدي حمدت الله وقبلته وان كانت الاخرى لم اكن اول من ساق اليهم ذلا وبلاء اشربه فاستريح
من الدنيا فانما بقي من عمري اليسير فقال خالد هاته فاخذه ثم قال بسم الله وبالله رب الارض والسماء
الذي لا يضر مع اسمه شيء ثم اكله فتجللته غشية ثم ضرب بذقنه في صدره طويلا ثم عرق فافاق
كانما انشط من عقال فرجع ابن بقيلة الى قومه فقال جئتكم من عند شيطان اكل سم ساعة فلم يضره
صانعوا القوم واخرجوهم عنكم فان هذا امر مصنوع لهم فصالحوهم على مائة الف درهم وانشا ابن بقيلة
يقول

أبعد المنذرين أرى سواما تروح بالخورنق والسدير
تحاماه فوارس كل قوم مخافة ضيغم عالي الزئير
وصرنا بعد هلك ابي قبيس كمثل الشاء في اليوم المطير
تقسمنا القبائل من معد علانية كايسار الجزور
نؤدي الخرج بعد خراج كسرى وخرج من قريظة والنضير
كذاك الدهر دولته سجال فيوم من مساءة او سرور

ويقال ان عبد المسيح بن بقيلة لما بنى بالحيرة قصره المعروف بقصر بني بقيلة قال
لقد بنيت للحدثان حصنا لو ان المرء تنفعه الحصون

[Margin notes: سم ساعة — نشط — بريد ابا قابوس نصغره — ويروى كمثل المعز — بني قريظة — مساءة اي صلح]

طويل الراس اقعس مشمخرا لانواع الرياح به حنين

ومما يروى لعبد المسيح بن بقيلة

والناس ابناء علات فمن علموا ان قد اقل فمجفو ومحقور
وهم بنون لام ان راوا نشبا فذاك بالغيب محفوظ ومخفور

وهذا يشبه قول اوس بن حجر

بني ام ذي المال الكثير يرونه وان كان عبدا سيد الامر جحفلا
وهم لمقل المال اولاد علة وان كان محضا في العمومة مخولا

وذكر ان بعض مشايخ اهل الحيرة خرج الى ظهرها يختط دارا فلما احتفر موضع الاساس وامعن
في الاحتفار اصاب كهيئة الكهف فدخله فاذا رجل على سرير من رخام وعند راسه كتابة انا عبد المسيح بن بقيلة

حلبت الدهر اشطره حياتي ونلت من المنى بلغ المزيد
وكافحت الامور وكافحتني فلم اخضع لمعضلة كؤود
وكدت انال في الشرف الثريا ولكن لا سبيل الى الخلود

ومن المعمرين النابغة الجعدي واسمه قيس بن عبد الله بن عدس بن ربيعة بن جعدة بن
كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ويكنى ابا ليلى وروى ابو حاتم السجستاني قال كان النابغة الجعدي
اسن من النابغة الذبياني والدليل على ذلك قوله

تذكرت والذكرى تهيج على الهوى ومن حاجة المحزون ان يتذكرا
نداماي عند المنذر بن محرق ارى اليوم منهم ظاهر الارض مقفرا
كهول وفتيان كان وجوههم دنانير مما شيف في ارض قيصرا

فهذا يدل على انه كان مع المنذر بن محرق والنابغة الذبياني كان مع النعمن بن المنذر بن محرق وقوله
شيف يعني جلي والمشوف المجلو ويقال ان النابغة غبر ثلثين سنة لا يتكلم ثم تكلم بالشعر
ومات وهو ابن مائة وعشرين سنة باصبهان وكان ديوانه بها وهو القائل

فمن يك سائلا عني فاني من الفتيان ايام الخنان

وايام الخنان ايام كانت للعرب فيها هاج بها بينهم مرض في انوفهم وحلوقهم

[Margin notes: وانى وجدت الناس الا اقلهم خفاف العهود يكثرون التنقلا (بيت) — القوم — الجحفل الكبير والرجل جحفل اي عظيم القدر — مخول كثير الاخوال — دارا — البيت — ص بلغ المزيد]

مضت مائة لعام ولدت فيه وعشر بعد ذاك وحجتان
فأبقى الدهر والأيام مني كما أبقى من السيف اليماني
تفلّل وهو مأثور جراز إذا جمعت بقائمه اليدان

وقال أيضاً في طول عمره
لبست أناساً فأفنيتهم وأفنيت بعد أناس أناسا
ثلاثة أهلين أفنيتهم وكان الإله هو المستآسا

معنى المستآس المستعاض وروى هشام بن محمد الكلبي أنه عاش مائة وثمانين سنة وروى ابن
دريد عن أبي حاتم في موضع آخر أن النابغة الجعدي عاش مائتي سنة وأدرك الإسلام وروى له

فالت أمامة كم عمرت زمانة وذبحت من عتر على الأوثان
العتيرة شاة تذبح لأصنامهم في رجب في الجاهلية
ولقد شهدت عكاظ قبل محلها فيها وكنت أعد ملفتيان
والمنذر بن محرق في ملكه وشهدت يوم هجائن النعمان
وعمرت حتى جاء أحمد بالهدى وقوارع تتلى من القرآن
ولبست بالإسلام ثوباً واسعاً من سيب لا حرم ولا منان

وله أيضاً

طول عمره
المرء يهوى أن يعيش وطول عيش ما يضره
تفنى بشاشته ويبقى بعد حلو العيش مره
وتتابع الأيام حتى لا يرى شيئاً يسره
كم شامت بي إن هلكت وقائل لله دره

وروى أن النابغة الجعدي كان يفتخر ويقول
أتيت النبي صلى الله عليه وآله وأنشدته
بلغنا السماء مجدنا وجدودنا وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا
فقال صلى الله عليه وآله وسلم إلى أين المظهر يا أبا ليلى قلت الجنة يا رسول الله فقال أجل إن شاء الله ثم أنشدته
فلا خير في حلم إذا لم تكن له بوادر تحمي صفوه أن يكدرا
ولا خير في جهل إذا لم يكن له حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا
فقال صلى الله عليه وآله لا يفضض الله فاك وفي رواية أخرى لا يفضض فيك فقال إن النابغة عاش

عشرين ومائة سنة لم تسقط له سن ولا ضرس وفي رواية أخرى قال عن بعضهم فرأيته قد بلغ الثمانين ترف غروبه وكان كلما سقطت له ثنية نبتت له أخرى مكانها وهو أحسن الناس ثغراً معنى ترف تبرق وكان الماء يقطر منها قال السيد قدس الله روحه ومما يشاكل قوله إلى الجنة في جواب قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى أين المظهر يا أبا ليلى وإن كان يتضمن العكس من معناه ما روي من دخول الأخطل على عبد الملك بن مروان مستغيثاً من فعل الجحاف السلمي وأنه أنشده

لقد أوقع الجحاف بالبشر وقعة إلى الله منها المشتكى والمعول
فإن لم تغيرها قريش بحلمها يكن عن قريش مستماز ومزحل

فقال له عبد الملك إلى أين يا ابن اللخناء فقال إلى النار قال لو قلت غيرها قطعت لسانك فقوله إلى النار تخلص مليح على البديهة كما تخلص الجعدي بقوله إلى الجنة وأول قصيدة الجعدي التي ذكرنا منها الأبيات

خليلي عوجا ساعة وتهجرا ولوما على ما أحدث الدهر أو ذرا
ولا تسألا إن الحياة قصيرة فطيرا لروعات الحوادث أو قرا
وإن جاء أمر لا تطيقان دفعه فلا تجزعا مما قضى الله واصبرا
ألم تعلما أن الملامة نفعها قليل إذا ما الشيء ولى فأدبرا

ومنها يقول
تهيج البكاء والندامة ثم لا تغير شيئاً غير ما كان قدرا
أرى الله علم الغيب عن سواءه ويعلم منه ما مضى وتأخرا
وجاهدت حتى ما أحس ومن معي سهيلاً إذا ما لاح ثم تغورا

يريد أني كنت بالشام وسهيل لا يكاد يرى هناك وهذا بيت معنى وفيها يقول
ونحن أناس لا نعود خيلنا إذا ما التقينا أن تحيد وتنفرا
وننكر يوم الروع ألوان خيلنا من الطعن حتى نحسب الجون أشقرا
وليس بمعروف لنا أن نردها صحاحاً ولا مستنكراً أن تعقرا

أحسن المرزباني قال أنشدنا علي بن سليمان الأخفش قال أنشدنا أحمد بن يحيى قال أنشدنا محمد بن سلام وغيره

للنابغة الجعدي
تلوم على هلك البعير ظعينتي وكنت على لوم العواذل زاريا

ألم تعلمي أني رزئت محاربا فما لك منه اليوم شيء ولا ليا
ومن قبله ما قد رزئت بوحوح وكان ابن أمي والخليل المصافيا
فتى كملت خيراته غير أنه جواد فما يبقي من المال باقيا
فتى كان فيه ما يسر صديقه على أن فيه ما يسوء الأعاديا
أشم طوال الساعدين سميدع إذا لم يرح للمجد أصبح غاديا

السميدع السيد. ومما يروى للنابغة الجعدي

عفت لينة أو حزم ملال بن عامر بذي الرمث من وادي المنار خيامها
إذا ابتسمت في الليل والليل دونها أضاء دجى الليل البهيم ابتسامها

وذكر الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء قال سئل الفرزدق عن النابغة الجعدي فقال صاحب خلقان يكون عنده مطرف بألف وخمار بواف قال الأصمعي وصدق الفرزدق بينا النابغة في كلام أسهل من الماء الزلال وأشد من الصخر فذهب ثم أنشد له

سما لك هم ولم تطرب وبت ببث ولم تنصب
وقالت سليمى أرى رأسه كناصية الفرس الأشهب
وذلك من وقعات المنون ففيئي إليك ولا تعجبي
أتين على إخوتي سبعة وعدن على ربعي الأقرب
فأدخلك الله برد الجنان جذلان في مدخل طيب

يقول فيها

فلان كلامه حتى لو أن أبا الشمقمق قال هذا البيت لكان رديا ضعيفا قال الأصمعي طريق الشعر إذا أدخلته في باب الخير لان ألا ترى أن حسان بن ثابت كان علا في الجاهلية والإسلام فلما دخل شعره في باب الخير من مراثي النبي صلى الله عليه وسلم وحمزة وجعفر عليهما السلام وغيرهما لان شعره

مجلس آخر يط مسألة

تتعلق بما ذكرناه إن سأل سائل فقال كيف يصح ما أوردتموه من تطاول الأعمار وامتدادها وقد علمتم أن كثيرا من الناس ينكر ذلك ويحيله

ويقول إنه لا قدرة عليه ولا سبيل إليه ومنهم من ينزل في إنكاره درجة فيقول إنه وإن كان جائزا من طريق القدرة والإمكان فإنه مما يقطع على انتفائه لكونه خارقا للعادات وأن العادات إذا ثبتت بالدليل بأنها لا تنخرق إلا على سبيل الإبانة والدلالة على صدق نبي من الأنبياء علم أن جميع ما روي من زيادة الأعمار على العادة باطل مصنوع لا يلتفت إلى مثله ∴ الجواب ـــــ قيل له أما من أبطل تطاول الأعمار من حيث الإحالة وأخرجه من باب الإمكان ظاهر الفساد لأنه لو علم ما العمر في الحقيقة وما المقتضي لدوامه إذا دام وانقطاعه إذا انقطع لعلم من جواز امتداده ما علمناه والعمر هو استمرار كون من يجوز أن يكون حيا وغير حي حيا وإن شئت أن تقول هو استمرار كون الحي الذي لكونه على هذه الصفة ابتداء حيا وإنما شرطنا الاستمرار لأنه يبعد أن يوصف من كان حاله واحدة حيا بأن له عمرا بل لا بد أن يراعوا في ذلك ضربا من الامتداد والاستمرار وإن قل وشرطنا جواز أن يكون غير حي أو يكون لكونه حيا ابتداء احترازا من أن يلزم عليه القديم تعالى لأنه جلت عظمته لا يوصف بالعمر وإن استمر كونه حيا وقد علمنا أن المختص بفعل الحياة هو القديم تعالى وما تحتاج إليه الحياة من البنية والمعاني مما يختص به عز وجل ولا يدخل إلا تحت مقدوره كالرطوبة وما يجري مجراها فمتى فعل تعالى الحياة وما تحتاج إليه من البنية وهي مما يجوز عليها البقاء وكذلك ما تحتاج إليه فليس تنتفي إلا بضد يطرأ عليها أو بضد ينفي ما تحتاج إليه والأقوى أنه لا ضد لها في الحقيقة وإنما ادعى قوم أنه ما تحتاج إليه و لو كان للحياة ضد على الحقيقة لم يخل بما نقصده من هذا الباب فمتى لم يفعل القديم تعالى ضدها أو ضد ما تحتاج إليه ولا نقض ناقض بنية الحي استمر كون الحي حيا ولو كانت الحياة لا تبقى على مذهب من رأى ذلك لكان ما قصدناه صحيحا لأنه تعالى قادر على أن يفعلها حالا فحالا ويوالي بين فعلها وفعل ما تحتاج إليه فيستمر كون الحي حيا فأما ما يعرض من الهرم بامتداد الزمان وعلو السن وتناقص بنية الإنسان فليس مما لا يتمنع وإنما أجرى الله تعالى العادة بأن يفعل ذلك عند تطاول الزمان ولا إيجاب هناك ولا تأثير للزمان على وجه من الوجوه وهو تعالى قادر على أن يفعل ما أجرى العادة بفعله وإذا ثبتت هذه الجملة ثبت أن تطاول العمر ممكن غير مستحيل وإنما أتي من أحال ذلك من حيث اعتقد أن استمرار كون الحي حيا

وجب عن طبيعة وقوتهما مبلغ من الطاقة فهما انتهينا إليه انقطعنا واستحال أن نتزيد ولو أضافوا
ذلك إلى فاعل مختار مستمر في الخروج عنهم من باب الاستحالة، فأما الكلام في دخول ذلك في العادة وخروجه
عنها فلا شك في أن العادة قد جرت على الأعمار بأقدار متقاربة بعد الزائد عليها خارقاً للعادة إلا
أنه قد ثبت أن العادة قد تختلف في الأوقات وفي الأماكن أيضاً فيجب أن يراعى في العادة إضافتها إلى من
هي عادة له في المكان والوقت وليس يمتنع أن ينقل ما كانت العادة جارية به على تدريج حتى يصير حدوثه
خارقاً للعادة بغير خلاف ولا أن يكثر الخارق للعادة حتى يصير حدوثه خارق لها على خلاف فيه غير
وإذا صح ذلك لم يمتنع أن تكون العادات في الزمان الغابر كانت جارية بتطاول الأعمار وامتدادها
ثم تناقص ذلك على تدريج حتى صار أن عادتنا الآن جارية بخلافه وصار ما بلغ مبلغ تلك الأعمار خارقاً
للعادة وهذه جملة فيما أوردناه كافية.

باب في الجوابات الحاضرة المستحسنة التي يستميها قوم من المتسكنة

اعلم أن أجوبة المجادلة والمناظرة إنما تستحسن وتؤثر إذا اجتمعت مع الصواب سرعة الحضور فكم من
جواب أتى بعد لأي وورد بعد تقاعس لم يكن له في النفوس وقع ولا حل من القلوب محل الحاضر السريع
وإن كان المتأني فيه أعرق في سبب الإصابة وآخذ بأطراف الحجة ولهذا قيل أحسن الناس جواباً وأحضرهم
قريش ثم العرب وإن الموالي تأتي أجوبتها بعد لأي وفكر وروية وقد مدح الجواب الحاضر بكل لسان
فقال صحار العبدي لمعاوية بن أبي سفيان وقد سأله عن البلاغة فقال أن تصيب فلا تخطئ وتسرع فلا
تبطئ ثم اختصر ذلك فقال لا تخطئ ولا تبطئ، ولطول الفكر والإغراق في الروية مذهب وأوان
لا يحمد فيه التسرع والتعجل كما لا يحمد في أوان السرعة التثاقل والتأني وإنما تحمد السرعة في أجوبة
المجادلة والمناظرة وتراد الفكرة والروية للآراء المستخرجة والأمور المستنبطة التي على الإنسان
فيها مهلة وله في تأملها فسحة ولا عيب عليه معها في إطالة التأمل وإعادة التصفح ولهذا قال الأحنف
بصفين أعتقوا الرأي فإن ذلك يكشف لكم عن محضه، وقال عبد الله بن وهب الراسبي لما أراده الخوارج
على الكلام حين عقدوا له لا خير في الرأي الفطير والكلام القضيب، وشاوروا ابن التوءم

الرقاشي فأمسك عن الجواب وقال ما أجد الخبز إلا بائتاً، فأما قولهم ثلث يعرف بهن الأحمق سرعة
الجواب وكثرة الالتفات والثقة بكل أحد فمحمول على إسراعه بالجواب عند الرأي والمشاورة والأحوال
التي يستحب فيها التأني والتثبت أو على الإسراع من غير تحصيل ولا ضبط وذلك مذموم لا إشكال فيه
ثم نعود إلى ما قصدناه، روي أن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم سألته متى يعرف الإنسان
ربه فقال إذا عرف نفسه، وقال له صلى الله عليه وسلم رجل إني أكره الموت فقال عليه السلام ألك مال قال
نعم قال قدم مالك فإن قلب كل امرئ عند ماله، وقال يهودي لأمير المؤمنين عليه السلام ما دفنتم نبيكم
حتى اختلفتم فقال عليه السلام إنما اختلفنا عنه لا فيه ولكنكم ما جفت أقدامكم من البحر حتى قلتم لنبيكم
اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون، وروي أنه لما فرغ عليه السلام من دفن الرسول صلى الله عليه
سأل عن خبر السقيفة فقيل له إن الأنصار قالت منا أمير ومنكم أمير فقال عليه السلام هلا ذكرت
الأنصار قول النبي صلى الله عليه وسلم يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم فكيف يكون الأمر فيهم والوصاة
بهم، وقال له عليه السلام ابن الكواء يا أمير المؤمنين كم بين السماء والأرض فقال دعوة مستجابة
وقيل له ما طعم الماء فقال طعم الحياة، وقيل له كم بين المشرق والمغرب فقال مسيرة يوم للشمس وأثنى
عليه رجل وكان له متهماً فقال أنا دون ما تقول وفوق ما في نفسك، وكان عليه السلام إذا أطراه رجل قال
اللهم أنت أعلم بي منه وأنا أعلم بنفسي فاغفر لي ما لا يعلم، أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال
حدثني عبد الواحد بن محمد الخصيبي قال حدثني أبو علي أحمد بن إسماعيل قال حدثني أبو محمد بن الحسين الهاشمي
قال قدم على الرشيد رجل من الأنصار يقال له نفيع وكان عريضاً فحضر باب الرشيد يوماً ومعه
عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز وحضر موسى بن جعفر عليهما السلام على حمار له فتلقاه الحاجب بالإكرام وأعظمه
من كان هناك وعجل له الإذن فقال نفيع لعبد العزيز من هذا الشيخ قال أوما تعرفه قال لا قال هذا شيخ
آل أبي طالب هذا موسى بن جعفر فقال ما رأيت أعجز من هؤلاء القوم يفعلون هذا برجل يقدر أن يزيلهم عن السرير
أما لئن خرج لأسوءنه فقال له عبد العزيز لا تفعل فإن هؤلاء أهل بيت قلما تعرض لهم أحد في الخطاب إلا وسموه
في الجواب سمة يبقى عارها عليه مدى الدهر قال وخرج موسى بن جعفر فقام إليه نفيع الأنصاري فأخذ بلجام حماره
عليه السلام عليه

ثم قال له من انت فقال يا هذا ان كنت تريد النسب فانا ابن محمد حبيب الله بن اسمعيل ذبيح الله بن ابراهيم
خليل الله وان كنت تريد البلد فهو الذي فرض الله على المسلمين وعليك ان كنت منهم الحج اليه وان كنت
تريد المفاخرة فوالله ما رضي مشركوا قومي مسلمي قومك اكفاء لهم حتى قالوا يا محمد اخرج الينا اكفاءنا من
قريش خل عن الحمار فخلى عنه وبذه يومئذ وانصرف الجرمي فقال له عبد العزيز الم اقل لك ۔ وقال ابن معوية
استشار الاحنف بن قيس في عقد البيعة ليزيد بن معوية فقال انت اعلم بليله ونهاره ۔ وقال احمد بن يوسف
لابي يعقوب الخزيمي مدحك لمحمد بن منصور اجود من مراثيك فيه فقال كنا نعمل للرجاء واليوم للوفاء وبينهما
بون ۔ ودخل مطيع بن اياس على الهادي في حياة المهدي فدهش فقال السلم عليك يا امير المؤمنين
فقيل له مه فقال بعد امير المؤمنين ۔ وقال معوية بن ابي سفيان لعقيل بن ابي طالب وكان جيد الجواب حاضره
انا خير لك من اخيك قال عقيل اخي آثر دينه على دنياه وانت آثرت دنياك على دينك فاخي خير لنفسه
منك وانت خير لي منه ۔ وقال له معوية وقد دخل عليه هذا عقيل عمه ابو لهب فقال عقيل هذا معوية عمته حمالة
الحطب وعمة معوية ام جميل بنت حرب بن امية وكانت امراة ابي لهب وقال له يوما يا ابا يزيد اين ترى
عمك ابا لهب فقال عقيل اذا دخلت النار فانظر عن يسارك تجده مفترشا عمتك حمالة الحطب فانظر
ايهما اسوء حالا الناكح ام المنكوح ۔ وقال له ليلة الهرير بصفين يا ابا يزيد انت معنا الليلة قال ويوم بدر
كنت معكم ۔ وقيل لسعيد بن المسيب وقد كف الا تقدح عينيك قال حتى افتحها على من ۔ ودخل معن
بن زائدة على المنصور فقال له كبرت يا معن قال في طاعتك قال وانك لتتجلد قال على اعدائك قال وان
فيك لبقية قال هي لك ۔ وقال عبيد الله بن زياد لمسلم بن عقيل والله لاقتلنك قتلة يتحدث بها
بعدك فقال مسلم اشهد انك لا تدع سوء القتلة ولوم القدرة لاحد اولى بهما منك ۔ وقال رجل
لعمرو بن العاص لاتفرغن لك قال اذا تقع في الشغل ۔ وقال معوية لعمرو بن سعيد بن العاص الملقب
بالاشدق الى من اوصى بك ابوك قال ان ابي اوصى الي ولم يوص بي ۔ وقال عبيد الله بن زياد بن ظبيان
لابنه وقد حضرته الوفاة قد اوصيت بك فلانا فالقه بعدي فقال يا ابه اذا لم يكن للحي الا وصية
الميت فالحي هو الميت ۔ وقال الوليد بن يزيد لابن الرقاع العاملي انشدني بعض قولك في الخمر فانشده

عقيل هذا
ام جميل بنت حرب واخت
ابي سفين صخر بن حرب بن امية بن
عبد شمس

كميت اذا شجت وفي الكاس وردة لها في عظام الشاربين دبيب ۔ فقال له شربتها ورب الكعبة
فقال ابن الرقاع لئن كان رائك نعتي لها لقد رابني معرفتك بها ۔ ولما اتى معوية نعي الحسن على صلوات الله عليه
بعث الى ابن عباس وهو لا يعلم الخبر فقال له هل عندك خبر من المدينة قال لا قال اتانا نعي الحسن و
اظهر سرورا فقال ابن عباس اذا لا ينسأ الله في اجلك ولا يسد حفرتك قال احسبه قد ترك صبية
صغارا قال كلنا كان صغيرا وكبر قال واحسبه بلغ سنا قال مثل مولده لا يجهل قال معوية لو قال
قائل انك اصبحت سيد قومك قال اما وابو عبد الله الحسين عليهما السلم حي فلا فلما كان من غد
اتى يزيد بن معوية ابن عباس وهو في المسجد يعزيه فجلس بين يديه جلسة المعزي له واظهر حزنا و
غما فلما انصرف اتبعه ابن عباس بصره وقال اذا ذهب آل حرب ذهب حلم قريش ۔ ويروى ان وفدا دخلت
على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فارادوا فتى منهم الكلام فقال عمر ليتكلم اكبركم فقال الفتى ان
في قريش لترى فيها من هو اسن منك فقال له تكلم يا فتى ۔ وروى محمد بن سلام الجمحي قال انشد كثير عبد الملك
بن مروان
على ابن ابي العاصي دلاص حصينة اجاد المسدي نسجها فاذالها
فقال له هلا قلت كما قال الاعشى
واذا تكون كتيبة ملمومة شهباء تخشى الذائدون نهالها
كنت المقدم غير لابس جنة بالسيف تضرب معلما ابطالها
فقال له انه وصفه بالخرق ووصفتك بالحزم ۔ ويشبه ذلك ما روي عن ابي عمرو بن العلاء انه لقي
ذا الرمة فقال له انشدني قصيدتك
ما بال عينك منها الماء ينسكب ۔ فانشده اياها فلما
انتهى الى قوله
تصغي اذا شدها بالكور جانحة حتى اذا ما استوى في غرزها تثب
فقال له ابو عمرو قول الراعي احسن مما قلت
تراها اذا قام في غرزها كمثل السفينة او اوقر
ولا تعجل المرء عند الورك وهي بركبته ابصر
فقال ذو الرمة ان الراعي وصف ناقة ملك وانا وصفت ناقة سوقة وحكى الصولي ان اعرابيا سمع
ذا الرمة ينشد بيته الذي حكيناه فقال سقط والله الرجل ۔ فاما الغرز فهو للناقة مثل الركاب

صح
بعشي

كان ذلك بالشام وروي ان ابن
عباس رضي الله عنه عقد بالشام
عزاء على الحسن عليه صلوات الله عليه

للدابة وهو نسخ مصفود وقوله تصغي ىى بن ثميل راسها كانها تستمع لانها ليست بنفود بل هو دابة مقومة
والكود الرجل وقد اخذ هذا المعنى ابو نواس فاحسن نهاية الاحسان فقال يصف الناقة في مدح
الخصيب بن عبد الحميد — وكانها مصغ لتسمعه بعض الحديث باذنه وقر
فلم يرض ان وصفها بالاصغاء حتى وصفها بالوقر وهو الثقل في الاذن لان المثقل السمع يكون اصغاؤه
وميله الى جهة الحديث اشد واوكد، واني لاستحسن القصيدة التي من جملتها هذا البيت الذي اوردناه
لابي نواس انها دون العشر بن بيتا وقد نسب في اولها ثم وصف الناقة باحسن وصف ثم مدح الرجل
الذي قصد مدحه واقتضى حاجته كل ذلك بطبع يتدفق ورونق يترقرق وسهولة مع جزالة في
القصيدة

يا منة امتنها السكر ما ينقضي مني لها الشكر
اعطتك فوق منالك من قبل فركن قبل مرامها وعر
يثني اليك بها سوالفه رشا تمنعنا عتبه السحر
ظلت حميا الكاس بسطنا حتى تهتك بيننا الستر
في مجلس ضحك السرور به عن ناجذيه وحلت الخمر

اما قوله حلت الخمر يحتمل ان يريد به ان ما وصفه من طيب الموضع وتكامل السرور به وحصول المامول فيه
صار مقتضيا لشرب الخمر وملجئا الى تناولها ودافعا للحرج فيها على مذهب الشعراء في المبالغة ويكون
فائدة وصفها بانها حلت المبالغة في وصف الحال بالحسن والطيب ويحتمل ان يكون عقد على نفسه وآلى
الا يتناول الخمر الا بعد الاجتماع مع محبوبه فكان الاجتماع معه مخرجا له عن يمينه على مذهب العرب في
تحريمهم الخمر على نفوسهم الى ان ياخذوا بثارهم ويجري ذلك مجرى قول الشنفرى

حلت الخمر وكانت حراما وبلائي ما المت تحل

ويحتمل ايضا ان يريد بحلت نزلت
واقامت من الحلول الذي هو المقام لا من الحلال ويكون وصف لنوع جميع آدابه وحضور هو لذاته وانها
تكاملت بحلول الخمر التي فيها جماع اللذات وهذا الوجه وان لم يسبق اليه احد ممن تقدم في تفسير هذا
البيت فالقول يحتمله ولا مانع من ان يكون مرادا، وقد قيل انه اراد انا استحللنا الخمر لسكرنا وفقدنا

العقول التي كنا نمتنع بها من الحرام والوجوه المتقدمة اشبه واقرب الى الصواب

ولقد تجوب بي الفلاة اذا صام النهار وقالت العفر

اراد بصام وقف وذلك وصف له بالامتداد والطول والعفر الظباء اللواتي في الوانهن حمرة تخالطها
كدورة وقالت من القائلة وهي وقت نصف النهار لا من القول

شدنية رعت الحمى فاتت مثل الجبال كانها قصر

شدنية منسوبة الى شدن وهو موضع باليمن يقال للملكة ذو شدن

تثني على الحاذين ذا خصل تعماله الشذران والخطر

الحاذ موخر الفخذ والشذران رفع الناقة ذنبها من المرح والنشاط والخطران معروف من خطر يخطر و
تعماله اي عمله

اما اذا رفعته شامذة فتقول رنق فوقها نسر

يعني شامذة اي مبالغة في رفع ذنبها ويقال رنق الطائر اذا نشر جناحه طائرا من غير تحريك

اما اذا وضعته خافضة فتقول ارخي خلفها ستر

وتسف احيانا فتحسبها متنسما يقتاده اثر

معنى تسف اي تدني راسها من الارض والمتنسم الذي يتتبع النسيم ويتاملة ومعنى يقتاده اثر اي
هو معني بطلب الاثر وموكل بتتبعه ويقال اثر واثر واثر ثلث لغات وقد وهم الصولي في تفسير
هذا البيت ان ابا نواس جمع الاثر آثارا ثم جمع الآثار اثرا ثم خفف فقال اثر وليس يحتاج الى ما ذكره
مع ما اوردناه وانما ذهب عليه انه يقال في الاثر اثر،

فاذا قصرت لها الزمام سما فوق المقادم ملطم حر
فكانها مصغ لتسمعه بعض الحديث باذنه وقر
تبري لانقاض اضر بها جذب البرى فخدودها صعر

معنى تبري تنبري اي تعرض لهذه الانقاض والانقاض جمع نقض وهو البعير الذي قد هزله السفر والكد
والبرى جمع برة وهي الحلقة تكون في انف البعير بذلك بها،

الخطر

ذكر ابن فارس ... اراد ... الشاطر

ارخى
اثر والاثر سواء ...
امرؤ القيس
وان لا ابرق فلك آنية منطلمة
ليس فيها اثر
والمذكور في الاصول الاثر والاثر بالكسر
اثر الجراحة يبقى بعد البرء
لانه قال

كان الصولي قال اثر جمع
اثار اثم ...

بني مني اليك بها بنو امل عتبوا فاعتبهم بك الدهر
انت الخصيب وهذه مصر فتدفقا فكلاكما بحر
لا تقعدا بي عن مدى املي شيئا فما لكما به عذر
ويحق لي اذ صرت بينكما الا يحل بساحتي فقر

الفقر

مجلس اخر

ثم نعود الى ما كنا اخذين فيه من ذكر مستحسن الجوابات روي ان رجلا نظر الى كثير الشاعر راكبا وابو جعفر محمد بن علي عليهما السلم يمشي فقال له اتركب وابو جعفر يمشي فقال هو امرني بذلك وانا بطاعته في الركوب افضل مني في عصياني اياه في المشي وروي ان دعاة خراسان صاروا الى ابي عبد الله الصادق عليه السلم فقالوا له انا اردنا ولد محمد بن علي فقال اولئك بالشراة ولست بصاحبكم فقالوا له لو اراد الله بنا خيرا كنت صاحبنا فقال المنصور بعد ذلك للصادق فاردت الخروج علينا فقال نحن نزلت عليكم في دولة غيركم فكيف نخرج عليكم في دولتكم وقال عبد الملك بن مروان لنصيب هل لك في الشراب فقال له نصيب الشعر مفلفل واللون مسود وانما في بني اليك عقلي فهبه لي وقال مروان بن محمد الملقب بالحمار لحاجبه وقد ولي منهزما كر عليهم بالسيف فقال لا طاقة لي بذلك فقال والله لئن لم تفعل لاسوءنك فقال وددت انك تقدر على ذلك وقال النخعي خالد لشريك علمنا مما علمك الله يا ابا عبد الله فقال له شريك اذا علمتم بما تعلمون علمناكم ما تجهلون وقال المامون لمحمد بن عمران بلغني انك بخيل فقال ما اجمد في حق ولا اذوب في باطل وقيل لابي دواد الايادي ونظر الى بنيه تسوس فرسه اهنتها يا ابا دواد فقال اهنتها بكرامتي كما اكرمتها بهواني ومثل ذلك قول اعرابي لحقه ذل على باب السلطان

اهين لهم نفسي لاكرمها بهم ولن تكرم النفس التي لا تهينها

ودخل عمارة بن حمزة على المنصور فجلس مجلسه الذي يجلس فيه فقام رجل الى المنصور فقال مظلوم يا امير المؤمنين فقال من ظلمك قال عمارة غصبني ضيعتي فقال المنصور قم فاجلس مع خصمك فقال عمارة ما انا له بخصم فقال له كيف قال ان كانت الضيعة له فلست انازعه فيها وان كانت لي فهي له ولا اقوم

من مجلس شرفني به امير المؤمنين لاقعد في ادنى منه بسبب ضيعة وقال هشام بن عبد الملك لرجل في الكعبة سلني حاجتك فقال لا اسال في بيت الله غير الله وهرب سليمان بن عبد الملك من الطاعون فقيل له قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل واذا لا تمتعون الا قليلا فقال ذاك القليل نطلب وقيل ان الجعد بن درهم جعل في قارورة ترابا وماء فاستحال دودا وهوام فقال لاصحابه انا خلقت ذلك لاني كنت سبب كونه فبلغ ذلك جعفر بن محمد عليهما السلم فقال ليقل كم هو وكم الذكران منه والاناث ان كان خلقه وكم وزن واحدة منهن وليامر الذي يسعى الى هذا الوجه ان يرجع الى غيره فانقطع وهرب وقال المامون للفضل بن سهل اني اخاف عليك اقواما يعادونك فلا تركب الا في جيش فقال الفضل ما اخاف غيرك فان امنتني من نفسك لم يضرني انسان وقيل لابي ثور بما تقول في حماد بن زيد بن درهم وحماد بن سلمة بن دينار فقال بينهما في العلم كما بين ابويهما في الشرف واراد المامون تقبيل السواد وجلس بناظر العمال على ذلك فقام رجل من الدهاقين فقال يا امير المؤمنين ان الله عز وجل ولاك علينا بالامانة فلا تقبلنا فاضرب عن ذلك وقال رجل لابن عباس زوجني فلانة وكانت يتيمة في حجره فقال لا ارضاها لك قال الرجل قد رضيت انا فقال ابن عباس الان لا ارضاك لها ويشبه هذا الخبر من وجه خبر رواه المدايني قال ارسل عمر بن عبد العزيز رجلا من اهل الشام وامره ان يجمع بين اياس بن معوية المزني وبين القسم بن ربيعة الجوشني من بني عبد الله بن غطفان فيولي القضاء انفذهما فقدم البصرة فجمع بينهما فقال اياس للشامي ايها الرجل سل عني وعن القسم فقيهي المصر الحسن وابن سيرين فقد كان اشار عليك بتوليته وكان القسم ياتي الحسن وابن سيرين ولم يكن اياس ياتيهما فعلم القسم انه ان سالهما اشارا به فقال للشامي لا تسال عني ولا عنه فوالله الذي لا اله الا هو ان اياسا افضل مني وافقه واعلم بالقضاء فان كنت عندك ممن يصدق انه لينبغي ان تقبل مني وان كنت كاذبا فما يحل لك ان توليني وانا كاذب فقال اياس للشامي انك جئت برجل فاقمته على شفير جهنم فافتدى نفسه من النار ان تقذفه فيها بيمين حلفها كذب فيها يستغفر الله منها وينجو مما يخاف فقال الشامي اما اذ فطنت لهذا فانت اولى فاستقضاه ولما اقصى معوية بيعة يزيد جعل الناس يقرظونه فقال يزيد لابيه ما ندري انخدع الناس ام يخدعوننا

فقال معوية يا بنيّ من خادع لك بالحق عنك فقد خدعته ❊ وسمع عبد الملك بن مروان ليلة قبض وهو يجود
بنفسه وقد سمع صوت قصار يقول ليتني كنت غسالا اعيش بما اكتسب يوما بيوم فبلغ ابا حازم فقال
الحمد لله الذي جعلهم عند الموت يتمنون ما نحن فيه ولا نتمنى في الحياة ما هم فيه ❊ وقال الواثق للجاحظ يوما يا
مثاني فقال لو كان الذي اضعفني اليه عبدك ما قدرت على بيعه من كثرة عيوبه فكيف اكون على دينه ❊ وقال
ابن عباس رضي الله عنهما للخوارج وقد ارسله امير المؤمنين عليه السلم اليهم نشدتكم الله ايّما اعلم بالتنزيل
والتاويل اعليّ ام انتم قالوا عليّ فقال لبئس ترددون لعلّ الذي حكم به فيكم بفضل علمه على ما لا تعلمون فرجع
اكثرهم ❊ وقال عتبة بن ابي سفيان لعبد الله بن العباس ما منع عليّ بن ابي طالب ان يجعلك احد الحكمين فقال
اما والله لو بعثني لاعترضت مدارج انفاسه اطير اذا اسفّ واسفّ اذا طار واعقدت له عقدا لا تنتقض
من برمه ولا يدرك طرفاه ولكنه سبق قدر ومضى اجل والآخرة خير لامير المؤمنين من الدنيا ❊ وقال
ابو جعفر محمد بن علي عليهما السلم لكثير امتدحت عبد الملك بن مروان فقال لم اقل له يا امام الهدى انما قلت
له يا شجاع والشجاع حية ويا اسد والاسد كلب ويا غيث والغيث موات فتبسم ابو جعفر ❊ وقالت
بنت عبد الله بن مطيع لزوجها يحيى بن طلحة ما رايت الأم من اصحابك اذا ايسرت لزموك واذا اعسرت
تركوك فقال هذا من كرمهم يأتوننا في حال القوة منا عليهم ويفارقوننا في حال الضعف منا عنهم ❊ وقيل
لابراهيم النخعي متى كنت فقال حيث احتيج اليّ ❊ ورأى رجل رجلا يصلي صلاة خفيفة فقال له ما
هذه الصلاة فقال صلاة ليس فيها رياء ❊ اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثني
محمد بن ابي الازهر قال حدثنا محمد بن يزيد النحوي قال زعم الرواة ان قتيبة بن مسلم لما فتح سمرقند افضى
الى اثاث لم ير مثله وآلات لم يسمع بمثلها فاراد ان يري الناس عظيم ما فتح ويعرفهم اقدار القوم
الذين ظهر عليهم فامر بدار ففرشت وفي صحنها قدور يرتقى اليها بسلاليم واذا الحضين بن المنذر بن
الحرث بن وعلة الرقاشي قد اقبل والناس جلوس على مراتبهم والحضين شيخ كبير فلما راه عبد الله بن مسلم
قال لقتيبة ائذن لي في معاتبته قال لا تردة فانه خبيث الجواب فابى عبد الله الا ان يأذن
له وكان عبد الله يضعف وكان قد تسور حائطا الى امراة قبل ذلك فاقبل على الحضين فقال امن الباب

في كتاب الحضين بن المنذر بن الحباب بن وعلة الرقاشي

دخلت يا ابا ساسان قال اجل اسنّ عمك عن تسور الحيطان قال ارايت هذه القدور قال هي اعظم
من ان لا ترى قال ما احسب بكر بن وائل رأى مثلها قال اجل ولا عيلان ولو كان رآها سمي شبعان ولم يسم
عيلان فقال له يا ابا ساسان من الذي يقول

عزلنا وامّرنا وبكر بن وائل تجرّ خصاها تبتغي من تحالف — قال اعرفه واعرف الذي يقول

وخيبة من يخيب على غنيّ وباهلة بن يعصر والرباب — قال فمن الذي يقول

كان فقاح الازد حول ابن مسمع وقد عرقت افواه بكر بن وائل — قال اعرفه واعرف الذي يقول

قوم قتيبة امهم وابوهم لولا قتيبة اصبحوا في مجهل

قال اما الشعر فاراك ترويه ولكن هل تقرأ من القران شيئا قال نعم اقرأ منه الكثير الطيب هل اتى على
الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا فاغضبه فقال والله لقد بلغني ان امراة الحضين حملت اليه وهي
حبلى من غيره قال فما تحرك الشيخ عن هيئته الاولى ثم قال على رسله وما يكون تلد غلاما على فراشي
فيقال ابن الحضين كما يقال عبد الله بن مسلم فاقبل قتيبة على عبد الله فقال لا يبعد الله غيرك ❊
ولقي شريك النميري رجلا من بني تميم فقال له التميمي يعجبني من الجوارح البازي فقال له شريك خاصة
اذا صاد القطا ❊ اراد التميمي بقوله البازي قول جرير — انا البازي المطل على نمير

نامه انبح من الشاء لها انتصبا

واراد شريك بقوله اذا صاد القطا قول الطرماح

تميم بطرق اللؤم اهدى من القطا وان سلكت طرق المكارم ضلت

وساير شريك النميري عمر بن هبيرة الفزاري على بغلته فجاوزت بغلته برذون عمر فقال له عمر اغضض
من لجامها فقال شريك انها مكتوبة قال عمر ما اردت ذاك قال شريك ولا انا اردته ظن شريك ان عمر
اراد بقوله اغضض من لجامها قول جرير — فغض الطرف انك من نمير — وعنى شريك بقوله مكتوبة
قوله — لا تأمنن فزاريا خلوت به على قلوصك واكتبها باسيار ❊ اكتبها اي
اشددها ❊ وانشد ابو تمام احمد بن المعتصم قصيدته السينية التي يمدحه فيها فلما بلغ الى قوله

في حلم احنف في سماحة حاتم في جود حاتم في ذكاء اياس

قال له الكندي وكان حاضرا ما صنعت شيئا قال وكيف قال لان شعراء دهرنا قد تجاوزوا بالممدوح

من كان قبله الاشرى الى قول ابى العكوك فى ابى دلف

رجل ابر على شجاعته على عام بأسا وعش فى مخيا حاتم

فاطرق الطائى ثم رفع راسه وانشد

لا تنكروا ضربى له من دونه مثلا شرودا فى الندى والباس

فالله قد ضرب الاقل لنوره مثلا من المشكاة والنبراس

وقال ابن هبيرة لابى دلامة وكان مولى لبنى امية لما ظهرت المسودة لا تتخذن لكم منهم عبدا
صالحا تحرمك فلما علت كلمتهم وفشت دعوتهم قال ابو دلامة ليت الله قبض لى منهم مولى صالحا
اخدمه وقال يحيى بن خالد لعبد الملك بن صالح الهاشمى ان رضا لك كاملة سوى حقد فيك فقال انا خزانة

تحفظ الخير والشر وقد نظر ابن الرومى الى هذا المعنى فى قوله

وما الحقد الا توأم الشكر للفتى وبعض السجايا ينتسبن الى بعض

فحيث ترى حقدا على ذى اساءة فثم ترى شكرا على حسن القرض

اذا الارض ادت ريع ما انت زارع من البذر فيها فهى ناهيك من ارض

وقال الحجاج للحطيط الخارجى ما تقول فى عبد الملك قال ما اقول فى رجل انت خطيئة من خطاياه
قال فهل بحمت فى قط قال نعم ولكن حال بيننا بين وقدر وقد اعطيت الله عهدا ان سالتنى لاصدقنك
ولئن خليتنى لا طلبتك ولئن عذبتنى لاصبرن لك فامر بقتله ∴ اما البين فهى الارض الواسعة

قال ابن مقبل بسر وحمير ابوال البغال به انى تسديت وهنا ذلك البينا

وقيل لابى العناهية لما قال غنيت بالخيال خبرتنى وما لى خرجت من العروض

فقال انا اكبر من العروض ∴ وقال عبد الملك للهيثم بن الاسود ما مالك قال قوام من العيش وغنى عن
الناس فقيل له لم لم تخبره فقال ان كان كثيرا احسدنى وان كان قليلا ازدرانى ∴ واغتاب الاعمش
رجلا من اصحابه فطلع الرجل على تفيئة ذلك فقال له رجل من اصحابه قل له ما قلت حتى لا يكون غيبة
فقال له الاعمش بل قل له انت حتى يكون نميمة ∴ وقال معوية لعمرو بن العاص هل غششتنى منذ نصحتنى
قال لا قال بلى يوم اشرت على بمبارزة على بن ابى طالب وانت تعلم من هو قال عمرو دعاك رجل عظيم الخطر

الى المبارزة فكنت من مبارزته على احدى الحسنيين اما ان تقتله فقد قتلت قتال الاقران وازددت
شرفا الى شرفك وخلوت بملكك واما ان يقتلك فتستعجل مرافقة الشهداء والصديقين والصالحين فقال
معوية لهذه اشد على من الاولى فقال عمرو وانك من جهادك فى شك فتتوب منه الساعة قال دعنى منك
الان ∴ وقيل للاحنف وقد راى مسيلمة الكذاب كيف هو فقال ما هو بنبى صادق ولا متنبى حاذق ∴
وروى المبرد قال قال زياد لابى الاسود الدؤلى لولا انك قد كبرت لاستعنا بك فى بعض امورنا فقال
ان كنت تريدنى للصراع فليس عندى وان كنت تريد رايى وعقلى فهما اوفر ما كانا ∴ وكان ابو الاسود
حاضر الكلام مليح النادرة ∴ وروى عن الشعبى انه قال قاتل الله ابا الاسود ما كان اعف اطرافه
واحضر جوابه دخل على معوية بالنخيلة فقال له معوية اكنت ذكرت للحكومة قال نعم قال فما كنت صانعا
قال كنت اجمع الفا من المهاجرين وابنائهم والفا من الانصار وابنائهم ثم اقول يا معشر من حضر ارجل من
المهاجرين احق ام رجل من الطلقاء فلعنه معوية وقال الحمد لله الذى كفاناك ∴ وروى ان ابا الاسود
طلب ان يكون فى الحكومة وقال لامير المؤمنين عليه السلام فى وقت الحكمين يا امير المؤمنين لا ترض بابى موسى
فانى قد عجمت الرجل وبلوته وحلبت اشطره فوجدته قريب القعر مع انه يمانى وما ادرى ما يبلغ نصحه
فابعثنى فانه لا يحل عقدة الا عقدت له اشد منها وانهم قد رموك بحجر الارض فان قيل انه لا صحبة لى
فاجعلنى ثانى اثنين فليس صاحبهم الا من تقرب وكان فى الخلاف عليهم كالنجم فابى عليه السلام عليه ∴
وروى محمد بن سويد النحوى ان ابا الاسود كان نازلا فى بنى قشير وكانوا يخالفونه فى المذهب لان ابا الاسود
كان يتشيع فكانوا يرمونه بالليل فاذا اصبح شكا ذلك فشكا مرة فقالوا اما نحن نرميك ولكن الله
يرميك فقال كذبتم لو كان الله يرمينى ما اخطانى ∴ وقال لهم يوما يا بنى قشير ما فى العرب احب
الى طول بقاء منكم قالوا ولم ذاك قال لانكم اذا ركبتم امرا علمت انه غى فاجتنبته واذا اجتنبتم
امرا علمت انه رشد فاتبعته فنازعوه الكلام فانشا يقول

يقول الارذلون بنو قشير طوال الدهر لا تنسى عليا

احب محمدا حبا شديدا وعباسا وحمزة والوصيا

احبهم لحب الله حتى اجىء اذا بعثت على هويا

الجواب جيد

[illegible] امير المؤمنين علي عليه السلام [illegible]

فإن يك حبهم رشداً أصبه ... ولست بمخطئ إن كان غيّا

قالوا شككت يا أبا الأسود فقال ألم تسمعوا الله تعالى يقول وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين أفترون الله شك عز وجل. أما قوله هويّا فإنها لغة هذيل يقولون ذلك في كل مقصور مثل الهوى والعصا والتقى قال أبو ذؤيب

سبقوا هويّ وأعنقوا لهواهم ... فتخرموا ولكل جنب مصرع

وروي أن أبا الأسود دخل على معاوية فقال له أصبحت جميلاً يا أبا الأسود فلو علقت تميمة تدفع عنك العين فقال

أفنى الشباب الذي فارقت بهجته ... كرّ الجديدين من آت ومنطلق

لم يتركا لي في طول اختلافهما ... شيئاً أخاف عليه لذعة الحدق

وروي أنه دخل يوماً السوق يشتري ثوباً فقال له رجل هلم أقاربك في هذا الثوب فقال إن لم تقاربني باعدتك ثم قال له بكم هو قال أعطيت به كذا وكذا قال إنما تخبرني عما فاتك. وروي أنه كان ماشياً في طريق فقال له راكب الطريق الطريق فقال له عن الطريق تعدلني. ومرض أبو الأسود فقيل له ما أمر الله قال ذاك أشد له. وقيل إن امرأة أبي الأسود خاصمته إلى زياد في ولدها فقالت أيها الأمير إن هذا يريد أن يغلبني على ولدي وقد كان بطني له وعاء وثديي له سقاء وحجري له فناء فقال أبو الأسود أبهذا تريدين أن تغلبيني على ابني فوالله لقد حملته قبل أن تحمليه ووضعته قبل أن تضعيه فقالت ولا سواء إنك حملته خفاً وحملته ثقلاً ووضعته شهوة ووضعته كرهاً فقال له زياد إنها امرأة عاقلة يا أبا الأسود فادفع ابنها إليها فأخلق أن تحسن أدبه. وقال رجل لأبي الأسود أنت والله ظريف لفظ وظرف علم ووعاء حلم غير أنك بخيل فقال وما خير ظرف لا يمسك ما فيه. وسلم عليه أعرابي يوماً فقال كلمة مقولة قال أتأذن لي في النزول قال وراءك أوسع لك قال وهل عندك شيء قال نعم قال أطعمني قال عيالي أحق منك قال ما رأيت ألأم منك قال نسيت نفسك. قال وسأله رجل شيئاً فمنعه فقال له لما أصبحت حاتمياً قال بلى والله قد أصبحت من حيث لا تدري أليس حاتم الذي يقول

أماويّ إما مانع فمبيّن ... وإما عطاء لا ينهنهه الزجر

أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرنا أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة النحوي قال لما ولي سليمن بن عبد الملك أتي بيزيد بن أبي مسلم مولى الحجاج في جامعة وكان رجلاً دميماً تقتحمه العين

فلما رآه سليمن قال لعن الله من أجرك رسنك وولّى مثلك فقال يا أمير المؤمنين رأيتني والأمر عني مدبر ولو رأيتني والأمر علي مقبل لاستعظمت ما استصغرت ولاستجللت ما استحقرت فقال له الحجاج أيهوي في النار أم قد استقر فقال يا أمير المؤمنين لا تقل كذا فإن الحجاج قمع لكم الأعداء ووطأ لكم المنابر وزرع لكم الهيبة في قلوب الناس وبعد فإنه يأتي يوم القيمة عن يمين أبيك عبد الملك وشمال أخيك الوليد فضعه حيث شئت. وروي أن خالد بن صفوان فاخر رجلاً من بني عبد الدار الذين يسكنون اليمامة فقال له العبدري من أنت فقال أنا خالد بن صفوان بن الأهتم فقال له العبدري أنت خالد كاسمك خالد في النار وأنت ابن صفوان وقال الله عز وجل كمثل صفوان عليه تراب وأنت ابن الأهتم والصحيح خير من الأهتم فقال له خالد يا أخا بني عبد الدار أتتكلم وقد هشمتك هاشم وأمتك أمية وخزمتك مخزوم وجمحتك بنو جمح فأنت عبد دارهم تفتح إذا دخلوا وتغلق إذا خرجوا فقام العبدري مخموماً. وتقدم الأشعث بن قيس إلى شريح فقال له الأشعث أتعلمني بك يا بن أم شريح لقد عهدتك وإن شأنك لشوين فقال له شريح أنت امرؤ تعرف النعمة في غيرك وتنساها في نفسك. وروى أبو العيناء عن العتبي قال دخل الفرزدق إلى سعيد بن العاص وعنده الحطيئة فلما مثل بين يديه قال

إليك فررت منك ومن زياد ... ولم أحسب دمي لكما حلالا

فإن يكن الهجاء أحل قتلي ... فقد قلنا لشاعركم وقالا

ترى الغر الجحاجح من قريش ... إذا ما الأمر في الحدثان غالا

قياماً ينظرون إلى سعيد ... كأنهم يرون به الهلالا

فقال له الحطيئة هذا والله أيها الأمير الشعر لا ما تعلّل به منذ اليوم يا غلام أقدمت أمك الحجاز قال لا ولكن قدمه أبي. أراد الحطيئة بقوله إن كانت أمك قدمت الحجاز فقد وقعت بها وكنت مني وأراد الفرزدق بقوله ولكن قدمه أبي أي وقع بأمك فكنت أنت أخي. ويشبه ذلك ما روي أن الفرزدق كان ينشد شعره يوماً والناس حوله إذ مر به الكميت بن زيد فقال له الفرزدق كيف ترى شعري فقال الكميت حسن حسن فقال له الفرزدق أيسرك أني أبوك قال لا أما أبي

اربع

فلا ابتغي به بدلا ولكن يسرني ان لو كنت ابني فقال له الفرزدق اكتم هذه على عمك يا ابن اخي فما مر
بي مثلها ∴ وقيل ان عبد الملك ظفر برجل من بني مخزوم زبيري الراي فقال له الم تحضر مجلسه اليس
قرن ذلك الله على عقبيك فقال له الرجل او من رد اليك يا امير المومنين فقد رد على عقبيه فوجم
عبد الملك ∴ وقال موسى بن عيسى بن موسى لشريك يا ابا عبد الله عزلوك عن القضا وما راينا قاضيا عزل
فقال شريك هم الملوك يعزلون ويخلعون يعرض بان اباه خلع من ولاية العهد ∴ وذكر ابو عبيدة
معمر بن المثنى ان المفضل الضبي الراوية مر ببعض جيرانه ايام الاضحى اضحيته فلما لقيه
قال كيف وجدت اضحيتك قال ما وجدت لها دما يعرض بقول الشاعر

ولو ذبح الضبي بالسيف لم تجد من اللوم للضبي لحما ولا دما

وروي عن المامون انه قال ما اعياني جواب احد قط مثل جواب ثلثة احدهم ام الفضل بن سهل فاني
عزيتها عن ابنها وقلت لن جزعت على الفضل لانه ولدك فها انا ذا ابنك مكانه فقالت وكيف لا
اجزع على من جعل لي مثلك ولدا ∴ والثاني رجل احضرته يزعم انه نبي الله موسى عليه السلم
فقلت له ان الله تعالى اخبرنا عن موسى انه يدخل يده في جيبه فتخرج بيضا من غير سوء فقال لي
متى فعل ذلك موسى اليس بعد ان القى فرعون فاعمل كما عمل فرعون حتى اعمل كما عمل موسى ∴ والثالث
ان جماعة من اهل الكوفة اجتمعوا الي يشكون عاملهم فقلت ارضوا بواحد اسمع منه فرضوا برجل
منهم فقال في العامل واكثر فقلت له كذبت بل هو العفيف الورع العدل فذهب اصحابه يتكلمون
فسكتهم ثم قال صدقت يا امير المومنين هو كما ذكرت فاين يترك عينك في العدل فصرفته عنهم ∴
ودخل عدي بن حاتم بن عبد الله الطائي على معوية فقال له ما فعل الطرفات يعني طريفا و
طرافا وطرفة قال قتلوا مع علي بن ابي طالب عليه السلم فقال له ما انصفك ابن ابي طالب قدم بنيك واخر
بنيه فقال عدي ما انصفته انا اذ قتل وبقيت ∴ وكتب رجل الى صديق له يقترض منه شيئا
فاجابه يشكو ضيق حاله فكتب اليه ان كنت كاذبا فجعلك الله صادقا وان كنت صادقا فجعلك
الله كاذبا وان كنت معتذرا فجعلك الله ملوما وان كنت ملوما فجعلك الله معتذرا ∴ وسمع
الاحنف رجلا يقول ما احلم معوية فقال لو كان حليما ما سفه الحق ∴ ووصفه رجل عند الشعبي

بالحلم فقال الشعبي وكيف وهل اغمد سيفه وفي قلبه على احد شيء ∴ وقال زياد لرجل حضره ابن
من انت قال من وسط البصرة قال فكم لك من الولد قال تسعة فقيل لزياد ان داره اقصى البصرة عند المقابر
وله ابن واحد فقال الرجل داري بين اهل الدنيا والاخرة فهي وسط البصرة وكان لي عشرة بنين
فقدمت تسعة فهم لي وبقي واحد لا ادري اهو لي ام انا له ∴ وقال رجل لابن سيرين اني وقعت
فيك فاجعلني في حل فقال ما احب ان احل لك ما حرم الله عليك ∴ وخطب الحجاج يوم جمعة
فاطال فقال له رجل ان الصلاة لا تنتظرك وان الله لا يعذرك فامر به فحبس فجاه اهله فشهدوا
انه مجنون فقال ان اقر بالجنون اطلقته فقيل له اعترف بذلك وتخلص فقال والله لا اقول انه
ابتلاني وقد عافاني ∴ وحدث الحسن البصري بحديث فقال له رجل يا ابا سعيد عمن فقال وما تصنع
بعمن اما انت فقد نالتك عظته وقامت عليك حجته ∴ وقيل لعبد الله بن جعفر ونظر اليه يماكس في
درهم اتماكس في درهم وانت تجود بما تجود به فقال ذاك مالي جدت به وهذا عقلي بخلت به ∴ وروي
ان ابا العينا محمد بن القسم اليمامي حدث بعض الزبيريين بحديث في فضائل اهله فقال له الزبيري
اتجلب التمر الى هجر فقال ابو العينا نعم اذا اجدبت ارضها وعاوم نخلها ∴ وكان ابو العينا
من احضر الناس جوابا واجودهم بديهة واملحهم نادرة ∴ وروى الصولي عن ابي العينا قال لما
دخلت على المتوكل دعوت له وكلمته فاستحسن خطابي وقال لي يا محمد بلغني ان فيك شرا فقلت يا
امير المومنين ان يكن الشر ذكر المحسن باحسانه والمسي باسائته فقد زكى الله تعالى وذم فقال في
التزكية نعم العبد انه اواب وقال في الذم هماز مشا بنميم مناع للخير معتد اثيم عتل بعد ذلك
زنيم فذمه الله حتى قذفه ∴ وقد قال الشاعر

اذا انا بالمعروف لم اثن دائبا ولم اذمم الجبس اللئيم المذمما
ففيم عرفت الخير والشر باسمه وشق لي الله المسامع والفما

وان كان الشر كفعل العقرب تلسع النبي والذمي بطبع لا بتمييز فقد صان الله عبدك من ذلك ∴
وروي انه قال له يوما الى كم تمدح الناس وتذمهم فقال ما احسنوا واساءوا ∴ وروي انه قال له

المتوكل يوما اني لافرق من لسانك فقال له ان الشريف فيه وقفة ذو احجام وان اللئيم ذو اجنة واقدام
وقال له يوما وقد دخل عليه قد اشتقتك والله يا ابا العيناء فقال له يا سيدي انما يشتد الشوق
على العبد لانه لا يصل الى مولاه فاما السيد فمتى اراد عبده دعاه ورُوي انه قال له يوما ما بقي
احد في مجلسي الا اغتابك وذمك عندي ما جرى ذكرك غيري فقال ابو العيناء

اذا رضيت عني كرام عشيرتي فلا زال غضبانا علي لئامها

وذكر ابو العيناء قال قال لي المتوكل كيف ترى داري هذه فقلت رايت الناس بنوا دورهم في الدنيا
وامير المؤمنين جعل الدنيا في داره وقال ابو العيناء قال لي المتوكل من اسخى من رايت ومن ابخل من
رايت فقلت يا امير المؤمنين ما رايت اسخى من احمد بن ابي دواد ولا ابخل من موسى بن عبد الملك قال وكيف وقفت
على بخله فقلت رايته يحرم القريب كما يحرم البعيد ويعتذر من الاحسان كما يعتذر من الاساءة فقال
احسنت الى من اطرحته فسخبته والى من اصطنعته فبخلته فقلت يا امير المؤمنين ان الصدق ما
هو في موضع من المواضع انفق منه بحضرتك والناس يغلطون فيمن ينسبونه الى السخاء فاذا نسب
الناس السخاء الى البرامكة فانما ذاك سخاء امير المؤمنين الرشيد واذا نسب الناس الحسن بن سهل و
الفضل بن سهل الى السخاء فانما ذلك سخاء امير المؤمنين المامون واذا نسبوا احمد بن ابي دواد الى
السخاء فذلك سخاء امير المؤمنين المعتصم واذا نسبوا الفتح بن خاقان وعبيد الله بن يحيى الى السخاء
فانما هو سخاؤك والا فما بال هؤلاء القوم لم ينسبوا الى السخاء قبل صحبتهم للخلفاء فقال له صدقت
وسُري عنه وقال له المتوكل ما اشد عليك في ذهاب البصر فقال له فقد رؤيتك مع اجماع الناس
على جمالك وقال له يوما ان يزيد ان تجالسني قال لا اطيق ذاك وما اقول هذا على جهل بما لي في هذا
المجلس من الشرف ولكن انا رجل محجوب والمحجوب تختلف اشارته ويخفى عليه ايماؤه ويجوز علي
ان اتكلم بكلام غضبان ووجهك راض وبكلام راض ووجهك غضبان ومتى لم اميز بين [illegible]
هلكت قال صدقت ورُوي انه قال له يوما لولا انك ضرير لنادمتك فقال له ان اعفيتني من

رؤية الاهلة وقراءة نقوش الخواتيم فاني اصلح وقال له المتوكل ما تقول في ابن مكرم والعباس بن
رستم فقال له هما الخمر والميسر واثمهما اكبر من نفعهما فقال له بلغني انك تؤذيهما فقال لقد
ابتعت الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة وقال له يوما ان سعيد بن عبد الملك يضحك منك فقال
ان الذين اجرموا كانوا من الذين امنوا يضحكون وقال ابو العيناء قال لي المنتصر ما احسن الجواب
قال فقلت ما اسكت المبطل وحيّر المحق وقيل لابي العيناء ابراهيم بن نوح النصراني عليك
عاتب فقال ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم وزاره زرقان وموسى بن ضاحك
نصرانيا فقال لهما يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء فقال ابو العيناء لا ينهاكم
الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين واخبرنا ابو الحسن علي بن محمد الكاتب قال اخبرنا محمد بن يحيى
الصولي قال اخبرنا ابو العيناء قال كان سبب اتصالي باحمد بن ابي دواد ان قوما من اهل البصرة عادوني
وادعوا علي دعاوى كثيرة منها اني رافضي فاحتجت الى ان خرجت عن البصرة الى سر من راى
فالقيت نفسي على ابن ابي دواد وكنت لا ازال اجالسه في كل يوم وبلغ القوم خبري فشخصوا الى
سر من راى فقلت له ان القوم قد قدموا من البصرة يدا علي فقال يد الله فوق ايديهم فقلت
ان لهم مكرا فقال ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين فقلت هم كثيرون فقال كم من فئة
قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله فقلت لله در القاضي هو والله كما قال الصموت الكلابي

لله درك اي جنة خائف ومتاع دنيا انت للحدثان
متخمط يطأ الرجال بعلة وطء الفنيق دوارج القردان
ويكبهم حتى كان رؤوسهم مأمومة تنحط للغربان
ويفرج الباب الشديد رتاجه حتى يصير كانه بابان

فقال لابنه ابي الوليد اكتب هذه الابيات فكتبها بين يديه قال الصولي حفظي عن ابي العيناء
الصموت الكلابي على انه رجل وقال لي وكيع حفظي انها للصموت الكلابية على انها امرأة

ودخل أبو العيناء على الحسن بن سهل فأثنى عليه فأمر له بعشرة آلاف درهم فقال له والله ما أستكثر كثيرك
أيها الأمير ولا أستقل قليلك قال وكيف ذاك قال لا أستكثر كثيرك لأنك أكثر منه ولا أستقل
قليلك لأنه أكثر من كثير غيرك ∴ وقال له عبيد الله بن يحيى بن خاقان يوما اعذرني فإني مشغول
فقال إذا فرغت لم أحتج إليك ∴ وقال له يوما قد تبينت فيك الغضب يا أبا عبد الله فقال له قد أجلّ الله
قدرك عن غضبي إنما يغضب الرجل على من هو دونه فأما على من هو فوقه فلا ولكن أحزنني تقصيرك فسمّيت
حزني غضبا ∴ ويقال إن صاعد بن مخلد كان من أحسن من أسلم دينا وأكثرهم صلاة وصدقة فصار إلى
بابه مرات كثيرة يطلب استئذانه فحجب وقيل إنه مشغول بصلاته فقال أبو العيناء لكل جديد لذة ∴
ودخل يوما على أبي الصقر إسماعيل بن بلبل في وزارته فقال له يا أبا عبد الله ما أخرك عنا قال سُرق
حماري قال وكيف سرق قال لم أكن مع الذي سرقه فأخبرك بما كان قال له هلا اكتريت أو استعرت أو
اشتريت قال قعد بي عن الشراء إفلاسي وكرهت منّة العواري وذلة المكاري فوهب له حمارا ووصله
وأدناه أبو الصقر يوما ورفعه فقال له تدنيني حتى كأني بعضك وتبعدني حتى كأني ضدك ∴ وقال يوما
لعبيد الله بن سليمان أيضا وقد رفعه إلى كم ترفعني ولا ترفع لي رأسا ∴ وقال له وقت سأله عن حاله أنا
بك مغبوط الظاهر مرحوم الباطن ∴ ويقال إن أبا علي البصير قال لأبي العيناء وكانت بينهما ملاحاة معروفة
في أي وقت ولدت قال قبل طلوع الشمس فقال أبو علي لذلك خرجت شحاذا سائلا لأنه الوقت الذي
ينتشر فيه السؤال ∴ وأخبرنا أبو عبد الله المرزباني قال أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني
أبو العيناء قال ما رأيت قط أحسن شاهدا عند حاجة من ابن عائشة قلت له كان أبو عمر المخزومي
يصلك كثيرا ثم قد جفاك فقال

فإن شئنا عنا لا تضرنا وإن تعد تجدنا على العهد الذي كنت تعلم

ثم قال لا أدري لمن هذا البيت فقلت له أنا إن ابن سلام ذكر عن يونس أن الفرزدق لما قال

نصرتم عتيبا وابن بكر بن وائل وما خلت ذهلي وتيم بنصرم

نظم البحتري هذا المعنى فقال
كثير نوال الكف في جنب ما جلت عليه من الجود نزر
ونزر نوال الكف في جنب ما يجود به سائر الناس غمر

الفغم الممتلئ وقد فغم بالفتح فغامة وفغومة

بوارض يأتيني ويجتنب دونها وقد يملأ القطر الإناء فيفعم

وكان قد نزل عليهم حين هرب من زياد فقال حريث بن حسان العجلي يجيبه

لقد بوأتك الدار بكر بن وائل وردت لك الأحشاء إذ أنت مجرم
ليالي تمنى أن تكون حمامة بمكة يغشاها الستار المحرم
فإن شئنا عنا لا تضرنا وإن تعد تجدنا على العهد الذي كنت تعلم

أي ردت أحشاءك إليك

فقال ابن عائشة أنت والله يا بني ممن يستصدق في العلم مخايله وتكثر عليه دلائله ∴ وقال أبو العيناء
لأبي الصقر بن بلبل وهو وزير أنت والله تقربنا إذا احتجنا إليك وتبعدنا إذا احتجت إلينا • قال
السيد وهذا يشبه قول إبراهيم بن العباس الصولي

ولكن الجواد أبا هشام وفي العهد مأمون المغيب
بطيء عنك ما استغنيت عنه وطلاع عليك مع الخطوب

ولعله ما أخذه منه فليس ينكر ذلك لأنهما قد اجتمعا في زمان واحد في بعض الأوقات فإن أبا العيناء بقي بعد
إبراهيم زمانا طويلا لأن إبراهيم توفي سنة ثلاث وأربعين ومائتين وأبو العيناء توفي سنة اثنتين أو ثلاث
وثمانين ومائتين وما حكيناه عنه من الكلام قاله لأبي الصقر في وزارته وكانت بعد وفاة إبراهيم بن
العباس بزمان طويل ∴ ويشبه بيتا إبراهيم ويوشك أن يكونا مأخوذين من قول أوس بن حجر

وليس أخوك الدائم العهد بالذي يذمك إن ولى ويرضيك مقبلا
ولكنه النائي إذا كنت آمنا وصاحبك الأدنى إذا الخطب أعضلا

ولإبراهيم بن العباس ما يقارب هذا المعنى أيضا وهو

أسد ضار إذا هيجته وأب بر إذا ما قدرا
يعلم الأبعد إن أثرى ولا يعلم الأدنى إذا ما افتقرا

ويشبه أن يكون هذا مأخوذا من قول المرار الفقعسي

اذا افتقر المرء لم يُرَ فقره وإن أيسر المرء ايسر صاحبه
ومما يشبه قول المرار بعينه قول ابن هيصم بن العباس ايضا
فتى غير محجوب الغنى عن صديقه ولا مظهر الشكوى اذا النعل زلت
رأى خلتي من حيث يخفى مكانها فكانت قذى عينيه حتى تجلت
او من قول المتنخل الهذلي
ابو مالك قاصر فقره على نفسه ومشيع غناه
وهذا البيت الذي رويناه للهذلي من جملة ابيات يرثي بها المتنخل اباه وقيل بل يرثي اخاه
لعمرك ما ان ابو مالك بوان ولا بضعيف قواه   ولا بألد له نازع يعادي اخاه اذا ما نهاه
معنى له نازع اي خلق سوء ينزعه ويعادي اي يلاحي ويشاد
ولكنه هين لين كعالية الرمح عرد نساه   العرد الشديد يقال منه عرد وعرند بالنون شديد
والنسا عرق معروف   اذا سدته سدت مطواعة ومهما وكلت اليه كفاه
معنى سدته من المساودة التي هي المسارة والسواد نحو السرار ايضا كانه قال اذا ساودته طاوعك
وساعدك وقال قوم انه من السيادة وكانه اراد اذا كنت فوقه وسدت اليه اطاعك ولم يحسدك وان
وكلت اليه شيئا كفاك وقوم ينشدونه   اذا سسته سست مطواعة   ولم اجد ذلك في رواية
الا من ينادي اباما لك اغني امرنا ام في سواه   ابو مالك قاصر فقره على نفسه ومشيع غناه

[Margin: ويقال عرد وعرد وعرند وعرندد كل صحيح ه]

[Margin, written vertically: [illegible] اذا [illegible] ... قال ابو عبيدة [illegible]]

مجلس آخر كا تاويل آية

ان سال سائل عن قوله تعالى ساصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين فقال ما تاويل هذه الآية على ما يطابق العدل فان ظاهرها كانه مخالف له   الجواب قيل له في هذه الآية وجوه منها ما ابتداناه ومنها ما سبقنا اليه فحررناه واخترنا ما فيه من المطاعن واجبنا عما لعله يعترض فيه من الشبه   اولها ان يكون تعالى عنى بذلك صرفهم عن ثواب النظر

في الآيات وعن العز والكرامة اللذين يستحقهما من ادى الواجب عليه في آيات الله تعالى وادلته وتمسك بها والآيات على هذا التاويل يحتمل ان تكون سائر الادلة ويحتمل ان تكون معجزات الانبياء عليهم السلم خاصة وهذا يطابقه الظاهر لانه تعالى قال ذلك بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين فبين ان صرفهم عن الآيات مستحق بتكذيبهم ولا يليق ذلك الا بما ذكرناه   وثانيها ان يصرفهم تعالى عن زيادة المعجزات التي يظهرها على الانبياء بعد قيام الحجة بما تقدم من آياتهم ومعجزاتهم لانه تعالى انما يظهر هذا الضرب من المعجزات اذا علم انه يؤمن عنده من لم يؤمن بما تقدم من الآيات فاذا علم خلاف ذلك لم يظهرها وصرف الذين علم من حالهم انهم لا يؤمنون عنها ويكون الصرف على احد وجهين اما بان لا يظهرها جملة او بان يصرفهم عن مشاهدتها ويظهرها بحيث ينتفع بها غيرهم   فاذا قيل وما الفرق فيما ذكرتموه بين ابتداء المعجزات وبين زيادتها قلنا الفرق بينهما ان المعجز الاول يجب اظهاره لازاحة العلة في التكليف ولانا به نعلم صدق الرسول المؤدي الينا ما فيه لطفنا ومصلحتنا فاذا كان التكليف يوجب تعريف المصالح والالطاف لتنزاح العلة وكان لا سبيل الى معرفتها على الوجه الذي تكون عليه لطفا الا من قبل الرسول وكان لا سبيل الى العلم بكونه رسولا الا من جهة المعجز وجبت بعثة الرسول وتحميله ما فيه مصلحتنا من الشرائع واظهار المعجز على يده لتعلق هذه الامور بعضها ببعض ولا فرق في هذا الموضع بين ان يعلم ان المبعوث اليهم الرسول او بعضهم يطيعون ويؤمنون وبين ان لا يعلم ذلك في وجوب البعثة وما يجب بوجوبها لان تعريف المصالح مما يقتضيه التكليف العقلي الذي لا فرق في حسنه بين ان يقع عنده الايمان او لا يقع وليس هذه سبيل ما يظهر من المعجزات بعد قيام الحجة بما تقدم منها لانه متى لم ينتفع بها منتفع ولا يؤمن عندها من لم يؤمن لم يكن في اظهارها فائدة وكانت عبثا فافترق الامران   فان قيل كيف يطابق هذا التاويل قوله ذلك بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين ومن المعلوم ان صرفهم عن الآيات لا يكون مستحقا بذلك   قلنا يمكن ان يكون قوله تعالى ذلك بانهم كذبوا باياتنا لم يرد به تعليل قوله تعالى ساصرف بل يكون

[Margin: التاويل]

كالتعليل لما هو أقرب إليه في ترتيب الكلام وهو قوله وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد
لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا لأن من كذب بآيات الله تعالى وغفل عن تأملها
والاهتداء بنورها ركب الغي واتخذه سبيلا وحاد عن الرشد وضل ضلالا بعيدا ورجوع لفظة
ذلك الى ما ذكرناه أشبه بالظاهر من رجوعها الى قوله لأن رجوع اللفظ في اللغة الى أقرب المذكورين سأصرف
إليه أولى ويمكن أيضا أن يكون قوله تعالى كذبوا بآياتنا وإن كان بلفظ الماضي المراد به الاستقبال و
يكون وجهه أن التكذيب لما كان معلوما منهم لو أظهرت لهم الآيات جعل كأنه واقع وبني الخطاب
عليه ولهذا نظائر في اللغة كثيرة أو يكون رجوعا الى المحذوف كأنه قال ذلك بأنه متى أظهرنا لهم آياتنا
كذبوا بها ويجري ما ذكرناه أولا مجرى قوله ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة فإنه بلفظ الماضي
والمعنى الاستقبال وثالثها أن يكون معنى سأصرف عن آياتي أي لا أنبه من هذه صفته وإذا صرفهم
عنها فقد صرفها عنهم وكلتا اللفظتين تفيد معنى واحدا فليس لأحد أن يقول هلا قال سأصرف آياتي
عن الذين يتكبرون والآيات هاهنا المعجزات التي تختص بها الأنبياء فإن قيل فأي فائدة في قوله
على سبيل التعليل ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وأي معنى لتخصيصه الذين يتكبرون في الأرض بغير
الحق وهو لا يؤتي الآيات والمعجزات إلا الأنبياء دون غيرهم وإن كان ممن لا يتكبر قلنا لخروج
الكلام مخرج التعليل على هذا التأويل وجه صحيح لأن من كذب بآيات الله لا يؤتى معجزاته لتكذيبه
وكفره وإن كان قد يكون غير مكذب ويمنع من إيتائه الآيات علة أخرى والتكبر بغير الحق
مانع من إيتائه الآيات وإن منع غيره ويجري هذا مجرى قول القائل أنا لا أود فلانا لغدره ولا يلزم إذا لم
يكن غادرا أن يوده لأنه ربما خلا من الغدر وحصل على صفة أخرى تمنع من مودته ويجوز أيضا أن
تكون الآية خرجت على ما جرى مجرى السبب وأن يكون بعض الجهال في ذلك العصر اعتقد جواز
ظهور المعجزات على يد الكفار المتكبرين فأكذبهم الله تعالى بذلك ورابعها أن يكون المراد
بالآيات العلامات التي يجعلها الله تعالى في قلوب المؤمنين ليدرك بها الملائكة على الفرق بين المؤمن

والكافر فيفعلوا بكل واحد منهما ما يستحقه من التعظيم أو الاستخفاف كما تأول أهل الحق الطبع والختم
اللذين وردا في القرآن على أن المراد بهما العلامة المميزة بين الكافر والمؤمن فيكون معنى سأصرفهم عنها
أي أعدل بهم عنها وأخص بها المؤمنين المصدقين بآياتي وأنبيائي وهذا التأويل يشهد له أيضا قوله تعالى ذلك
بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين لأن صرفهم عن هذه الآيات كالمستحق بتكذيبهم وإعراضهم عن آياته
تعالى وخامسها أن يريد تعالى أني أصرف من رام المنع من أداء آياتي وتبليغها لأن من الواجب على الله
تعالى أن يحول بين من رام ذلك وبينه ولا يمكن منه لأنه ينقض الغرض في البعثة ويجري ذلك مجرى قوله تعالى
والله يعصمك من الناس فتكون الآيات هاهنا القرآن وما جرى مجراه من كتب الله تعالى التي تحملها الرسل
والصرف وإن كان متعلقا في الآية بنفس الآيات فقد يجوز أن يكون المعنى متعلقا بغيرها مما هو متعلق بها
وإذا ساغ أن تعلقه بالثواب والكرامة المستحقين على التمسك بالآيات ساغ أن تعلقه بما يمنع من تبليغها
وأدائها وإقامة الحجة بها وعلى هذا التأويل لا يجعل قوله تعالى ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا راجعا الى
سأصرف بل يرده الى ما هو قبله بلا فصل من قوله تعالى وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وإن
يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا على ما بيناه في الوجه الثاني من تأويل هذه الآية وسادسها أن يكون
الصرف هاهنا الحكم والتسمية والشهادة ومعلوم أن من شهد على غيره بالانصراف عن شيء جاز أن يقال
صرفه عنه كما يقال أكفره وكذبه وفسقه وكما قال تعالى ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم أي شهد عليها
بالانصراف عن الحق والهدى وكقوله تعالى فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم وهذا التأويل يطابقه قوله
ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين لأن الحكم عليهم بما ذكرناه والتسمية به من موجب
تكذيبهم وغفلتهم عن آيات الله وإعراضهم عنها وسابعها أنه تعالى لما علم أن الذين
يتكبرون في الأرض بغير الحق سيتصرفون عن النظر في آياته والإيمان بها إذا أظهرها على أيدي رسله
جاز أن يقول سأصرف عن آياتي فيريد سأظهر ما ينصرفون بسوء اختيارهم عنه ويجري ذلك مجرى قولهم
سأبخل فلانا وسأخطئه أي سأسأله ما يبخل ببذله وأمتحنه بما يخطئ فيه ولا يكون المعنى أني أفعل

فيه البخل والخطأ والآيات على هذا الوجه جائز أن تكون المعجزات دون سائر الأدلة الدالة على الله تعالى
وجائز أن تكون جميع الأدلة ويجب على هذا الوجه أن يكون قوله تعالى ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا غير راجع
الى سأصرف بل الى ما قدمنا ذكره لتصح الفائدة ، وثامنها أن يكون الصرف هاهنا معناه المنع
من إبطال الآيات والحجج والقدح فيها بما يخرجها عن أن تكون أدلة وحججا فيكون تقدير الكلام أني بما
أوتيه من حججي وأحكمه من آياتي وبيناتي صارف للمبطلين والمكذبين عن القدح في الآيات والدلالات
ومانع لهم مما كانوا لولا هذا الإحكام والتأييد يعترضونه ويغتمونه من تمويه الحق ولبسه بالباطل
ويجري هذا مجرى قول أحدنا قد منع فلان أعداءه بأفعاله الكريمة وطرائقه المهذبة وصرفهم عن ذمه
وأخرس ألسنتهم عن الطعن عليه وإنما يريد المعنى الذي ذكرناه فإن قيل أليس في المبطلين من
طعن على آيات الله تعالى وأورد الشبه فيها مع ذلك قلنا لم يرد الله تعالى الصرف عن الطعن
الذي لا يؤثر ولا يشتبه على من أحسن النظر وإنما أراد ما قدمناه وقد يكون الشيء في نفسه مطعونا
عليه وإن لم يطعن عليه طاعن كما قد يكون بريا من الطعن وإن طعن فيه بما لا يؤثر ألا ترى أن قولهم
فلان قد أخرس أعداءه عن ذمه ليس يراد به أنه منعهم عن التلفظ بالذم وإنما المعنى فيه أنه لم
يجعل للذم عليه طريقا ومجالا ويجب على هذا الوجه أن يكون قوله تعالى ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا
يرجع الى ما قبله بلا فصل ولا يرجع الى قوله سأصرف ، وتاسعها أن الله عز وجل لما وعد موسى عليه السلام
وأمته إهلاك عدوهم قال سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق تأويله جل وعز
أنه يهلكهم ويصطلمهم ويجتاحهم على طريق العقوبة لهم بما قد كان منهم من التكذيب بآيات الله
تعالى والرد لحججه والمروق عن طاعته ويثمر وعده بهذه الحال عن المؤمنين بالوفاء بها وهو تعالى
إذا أهلك هؤلاء الجبارين المتكبرين واصطلمهم عن آياته من حيث أقطعهم عن مشاهدتها
والنظر فيها بانقطاع التكليف عنهم وخروجهم عن صفة أهله وهذا الوجه يمكن أن يقال فيه
إن العقوبة لا تكون إلا مضامة للاستخفاف والإهانة كما أن الثواب لا بد أن يكون مقترنا

بالتعظيم والتبجيل وإماتة الله تعالى للأمم وما يفعله بهم من بوار وإهلاك لا يقترن إليه
ما لا بد أن يكون مقترنا الى العقاب من الاستخفاف ولا يخالف ما يفعله تعالى بأوليائه على سبيل
الامتحان والاختبار فكيف يصح ما ذكرتموه ، ويمكن أن يجاب عن ذلك بأنه تعالى لا يمتنع أن يضم الله تعالى
الى ما يفعله بهؤلاء الكفار المتكبرين من الإهلاك والبوار واللعن والذم والاستخفاف بأمرنا
أن نفعل ذلك بهم فيكون ما يقع بهم من الإيلام على وجه العقوبة وبشروطها ولا يمتنع أيضا أن يكون
الله تعالى يتعبد بأمر بإهلاكهم وقتلهم على وجه الاستخفاف والنكال ويضيف الله تعالى
ذلك إليه من حيث وقع بأمره وعن إذنه فإن قيل ما معنى قوله تعالى يتكبرون في الأرض
بغير الحق وكان في التكبر ما يكون بالحق قلنا في هذا وجهان أحدهما أن يكون ذلك
على سبيل التأكيد والتغليظ والبيان عن أن المتكبر لا يكون إلا بغير الحق وأن هذه صفة له لازمة
غير مفارقة ويجري ذلك مجرى قوله تعالى ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به وقوله تعالى فبما
نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق ولم يرد تعالى إلا المعنى الذي ذكرناه
ومثله قوله تعالى ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا لم يرد النهي عن الثمن القليل دون الكثير بل أراد به
تأكيد القول بأن كل ثمن يؤخذ عنها يكون قليلا بالإضافة إليها ويكون المتعوض به عنها مغبونا
منحوس الحظ خاسر الصفقة ، والوجه الآخر أن في التكبر ما يكون محمودا لأن من تكبر
وتنزه عن الفواحش والدنايا وتباعد من فعلها وتجنب أهلها يكون مستحقا للمدح سالكا لطريق
الحق وإنما التكبر المذموم هو الواقع على وجه التجبر والبغي والاستطالة على ذوي الضعف
والفخر عليهم والمباهاة لأهلهم ومن كان بهذه الصفة فهو مجانب للتواضع الذي ندب الله إليه
وأرشد الى الثواب المستحق عليه ومستحق بذلك الذم والمقت فلهذا اشترط تعالى أن يكون
التكبر بغير الحق وقوله تعالى في هذه السورة قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن
والإثم والبغي بغير الحق يحتمل أيضا هذين الوجهين اللذين ذكرناهما فإن أريد به البغي المكروه

الذين هو الظلم وما اشبهه كان قوله بغير الحق تاكيدا او اخبارا عن ان هذه صفته وان اريد بالبغي الطلب
وذلك اصله في اللغة كان الشرط في موضعه لان الطلب قد يكون بالحق وبغير الحق فان قيل فما معنى قوله تعالى
وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا وهل الرؤية هاهنا العلم او الادراك
بالبصر ومتى اتتما يمكن ان تكون في قوله تعالى وان يروا كل اية لا يؤمنوا بها محمولة على رؤية البصر لان الايات
والادلة مما يشاهد كيف يحمل الرؤية الثانية على العلم وسبيل الرشد انما هي طريقه ولا يصح ان يرجع بها
الا الى المذاهب والاعتقادات التي لا يجوز عليها رؤية البصر فلا بد اذا من ان يكون المراد به رؤية العلم ومن
علم طريق الرشد لا يجوز ان ينصرف عنه الى طريق الغي لان العقلاء لا يختارون ذلك قلنا الجواب شك
عن ذلك من ثلثة اوجه احدها ان يكون المراد بالرؤية الثانية رؤية البصر ويكون السبيل المذكور
في الاية هي الادلة والايات لانها مما يدرك بالبصر وتسمى سبيل الرشد من حيث كانت وصلة الى الرشد
وذريعة الى حصوله ويكون سبيل الغي هي الشبهات والمخاريق التي ينصبها المبطلون والمدغلون
في الدين ليوقعوا بها الشبهة على اهل الايمان وتسمى سبيل الغي وان كان النظر فيها لا يوجب حصول الغي
من حيث كان المعلوم ممن تشاغل بها واغتر باهلها انه يصير الى الغي والوجه الثاني ان يكون
المراد بالرؤية العلم لكن العلم لم يتناول كونها سبيلا للرشد وكونها سبيلا للغي بل تناولها لا من ان
هذا الوجه الا ترى ان كثيرا من المبطلين يعلمون مذاهب الحق واعتقادات محجهم الا انهم يجهلون
كونها صحيحة مفضية الى الحق فيتجنبونها وكذلك يعلمون مذاهب المبطلين واعتقاداتهم الباطلة
الفاسدة الا انهم يجهلون كونها باطلة ويعتقدون صحتها بالشبهة فيصيرون اليها وعلى هذا الوجه لا
يجب ان يكون الله تعالى وصفهم بالعناد وترك الحق مع العلم به والوجه الثالث ان يكونوا عالمين
بسبيل الرشد والغي ومميزين بينهما غير انهم لميل الى اغراض الدنيا والذهاب مع الهوى والشهوات
يعدلون عن الرشد الى الغي ويجحدون ما يعلمون كما اخبر تعالى عن كثير من اهل الكتاب بانهم يجحدون
الحق وهم يعلمونه ويستيقنونه فان قيل فما معنى قوله تعالى ذلك بانهم كذبوا باياتنا والتكذيب

لا يكون في الحقيقة الا في الاخبار دون غيرها قلنا التكذيب قد يطلق في الاخبار وغيرها الا ترى انهم
يقولون فلان يكذب بكذا اذا كان يعتقد بطلانه كما يقولون يصدق بكذا اذا كان يعتقد صحته ولو صرفنا
التكذيب هاهنا الى اخبار الله تعالى التي تضمنتها كتبه الواردة على ايدي رسله عليهم السلام جاز فتكون
الايات هاهنا هي الكتب المنزلة دون سائر المعجزات فان قيل فما معنى ذمه تعالى لهم بانهم كانوا
عن الايات غافلين والغفلة على مذاهبكم من فعله لانها السهو وما جرى مجراه مما ينافي العلوم الضرورية
ولا تكليف على الساهي فكيف يذم بذلك قلنا المراد هاهنا بالغفلة التشبيه لا الحقيقة و
وجه التشبيه انهم لما اعرضوا عن تامل ايات الله تعالى والانتفاع بها اشبهت حالهم حال من كان
ساهيا غافلا عنها فاطلق عليهم هذا القول كما قال تعالى صم بكم عمي على هذا المعنى وكما يقول احدنا لمن
يستبطئه ويصفه بالاعراض عن التامل والتبين انت ميت وراقد وما لك لا تسمع ولا تبصر وما اشبه
ذلك وكل هذا واضح بحمد الله
تاويل خبر
ان سال سائل
عن الخبر المروي عن عبد الله بن عمر انه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان قلوب بني ادم
كلها بين اصبعين من اصابع الرحمن يصرفها كيف شاء ثم يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم مصرف
القلوب صرف قلوبنا الى طاعتك وعما يرويه انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من قلب ادمي
الا وهو بين اصبعين من اصابع الله تعالى فاذا شاء ان يثبته ثبته وان شاء ان يقلبه قلبه وعما يرويه
ابن حوشب قال قلت لام سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ما كان اكثر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم
قالت كان اكثر دعائه يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك قالت قلت يا رسول الله ما اكثر دعائك يا
مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك فقال يا ام سلمة ما من ادمي الا وقلبه بين اصبعين من اصابع الله
عز وجل ما شاء اقام وما شاء ازاغ فقال ما تاويل هذه الاخبار على ما يطابق التوحيد وينفي التشبيه
او ليس من مذهبكم ان الاخبار التي تخالف ظاهرها الاصول ولا تطابق العقول لا يجب ردها
والقطع على كذب رواتها الا بعد ان لا يكون لها في اللغة مخرج ولا تاويل وان كان لها ذلك فما استكراه

عند ذلك

او نعسف ولسنا ممن يقول ذلك في هذه الاخبار فماتا وبلها الجواب ان الذي يقول
عليه من تكلم في تاويل هذه الاخبار هو ان يقول ان الاصبع في كلام العرب وان كان اسما للجارحة
المخصوصة فهي ايضا الاثر الحسن يقال لفلان على ماله وابله اصبع حسنة اي قيام واثر
حسن قال الراعي يصف راعيا حسن القيام على ابله

ضعيف العصا بادي العروق ترى له عليها اذا ما اجدب الناس اصبعا

وقال طفيل الغنوي يصف نخلا

كميت كركن الباب احيا بناته مقاليتها واستحمشتهن اصبع

نسخة استحمشتهن

وقال لبيد بن ربيعة

من يبسط الله عليه اصبعا بالخير والشر باي اولعا

يملا له منه ذنوبا مترعا وقال حميد بن

ثور

اغر كلون البدر في كل منكب من الناس نعمى يحتذيها واصبع وقال آخر

اكرم نزارا واسقه المشعشعا فان فيه خصلات اربعا حدا او جودا او ندى واصبعا

والاصبع في كل ما اوردناه المراد بها الاثر الحسن والنعمة فيكون المعنى ما من آدمي الا وقلبه
بين نعمتين لله جليلتين حسنتين فان قيل هذا قد ذكرتم كما حكيتم الا انه لم يفصل ما النعمتان
وما وجه التثنية ها هنا ونعم الله تعالى على عباده كثيرة لا تحصى قلنا يحتمل ان يكون الوجه
في ذلك نعم الدنيا ونعم الآخرة وثناهما لانهما كالجنسين او كالنوعين وان كان كل قبيل منهما
في نفسه ذا عدد كثير لان الله قد انعم على عباده بان عرفهم بادلته وبراهينه ما انعم به عليهم
من نعم الدنيا والآخرة وعرفهم ما لهم في الاعتراف بذلك والشكر عليه والثناء به من الثواب
الجزيل والبقاء في النعيم الطويل ويمكن ان يكون الوجه في تسميتهم الاثر الحسن بالاصبع
هو من حيث يشار اليه بالاصبع اعجابا به وتنبيها عليه وهذه عادتهم في تسمية الشيء بما يقع
عنده وبما له به علقة وقد قال قوم في بيتي طفيل والراعي انهما ارادا ان يقولا يدا في مكان

ذو اصبع في حسنا وزاد ونيطس
وليس بمحتمل ان تكون لنعمة
وانزلن بالبيت
ثم قال آخر

الصواب استحمشتهن من
قولك حمشت الدواب اذا
صحت عن النضر بن شميل

حدا

الاصبع لان اليد النعمة فلم يمكنهما فعدلا عن اليد الى الاصبع لانها من اليد وفي الاصبع التي
هي الجارحة ثماني لغات اصبع بفتح الالف والباء واصبع بفتح الالف وكسر الباء واصبع بضم
الالف واصبع بضم الالف وضم الباء واصبوع بضم الالف والواو واصبع بكسر الالف والباء
واصبع بكسر الالف وفتح الباء واصبع بكسر الالف وضم الباء وفي هذه الاخبار وجه آخر
هو اوضح مما ذكر واشبه بمذاهب العرب في ملاحن كلامها وتصرف خطابها وهو ان يكون المعنى في ذكر
الاصابع الاخبار عن تيسر تصريف القلوب وتقليبها والفعل فيها عليه جلت عظمته ودخول ذلك
تحت قدرته الا ترى انهم يقولون هذا الشيء في خنصري واصبعي وفي يدي وقبضتي كل ذلك اذا
ارادوا تسهيله وتيسيره وارتفاع المشقة فيه والمؤونة وعلى هذا المعنى يتاول المحققون قوله تعالى
والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه وكانه صلى الله عليه وسلم لما اراد
المبالغة في وصفه بالقدرة على تقليب القلوب وتصريفها بغير مشقة ولا كلفة وان كان غيره تعالى
يعجز عن ذلك ولا يتمكن منه قال انها بين اصابعه كناية عن هذا المعنى واختصار اللفظ الطويل
وجريا على عادة العرب في اجابتهم عن مثل هذا المعنى بمثل هذا اللفظ وهذا الوجه يجب ان يكون
متقدما على الوجه الاول ومعتمدا لانه واضح جلي ه ويمكن ان يكون في الخبر وجه آخر على تسليم
ما يقترحه المخالفون من ان الاصبعين مما المخلوقتان من اللحم والدم استظهارا في الحجة واقامة
لها على كل وجه وهو انه لا ينكر ان يكون القلب يشتمل عليه جسمان على شكل الاصبعين يحركه الله تعالى
بهما ويقلبه بالفعل فيهما ويكون وجه تسميتهما بالاصابع من حيث كانا على شكلهما والوجه في
اضافتهما الى الله تعالى وان كان جميع افعاله تضاف اليه بمعنى الملك والقدرة انه لا يقدر على
الفعل فيهما وتحريكهما منفردا من غير علاج او تحريك غيره تبارك وتعالى فقيل انهما اصبعان له من حيث اختص
بالفعل فيهما على هذا الوجه لان غيره انما يقدر على تحريك القلب وما هو مجاور للقلب من الاعضاء
بتحريك جملة الجسم ولا يقدر على تحريكه وتصريفه منفردا عما يجاوره غيره تعالى فمن اين للمبطلين

صح
مذاهب

المناق لين هذه الاخبار بافواههم وضعف اذ انهم ان الاصابع هاهنا اذا كانت لحما ودما فهي
جوارح لله تعالى وما هذا الوجه الذي ذكرناه ببعيد وعلى المناقل ان يورد كل ما يحتمله الكلام
مما لا تدفعه حجة وان يرتب بعضه على بعض في القوة والوضوح ونحن نعود الى تفسير ما لعله ان
يشتبه من الابيات التي استشهدنا بها · اما قوله جزرا او جودا او بذي ذا اصبعا · فمعنى الجزر هاهنا
المضاء والنفاذ · وقول الاخر · وا ازنات لبس فيهن ابن · فالازنات العجمي والابن العقد
فاما قول حميد بن ثور · في كل منكب من الناس · فالمنكب الجماعة والمنكب الناحية واما معنى
ابيات لبيد فانه اراد من يشق الله اليه خيرا او يصرف عنه شرا بهما يفعل ذلك به اسبغ له
حتى ينتهي منتهاه · واما بيت طفيل الغنوي فمعناه ان هذا الفحل الذي وصفه بانه كميت وانه
كز اللباب لتمامه وشدته لما ضرب في الابل التي وصفها غامت اولادها التي هي نتاجه بعد ان
كن مقاليت والمقاليت التي لا يعيش لهن ولد فكان هذا منه اثرا جميلا عليها · فاما بيت الراعي فمعنى قوله
ضعيف العصا يريد انه قليل الضرب لها اما لانهن لا يحوجنه سدادا او تاديبا او لشفقته عليهن
وهذه كناية في نهاية الحسن واختصار شديد · وقد يجوز ان يكون ضعيف العصا على الحقيقة
من حيث لا يحتاج الى استعمالها في الضرب فيختار رهافتها · ويجوز ان يكون حذف واراد
ضعيف فعل العصا · وقوله بادي العروق يعني عروق رجله لفسادها من السعي في اثر هذه الابل
واراد بالاصبع ان له عليها في جدب الناس اثرا جميلا لحسن قيامه وتعهده · وقد قيل انه
سمي الراعي لبيت قاله في هذه القصيدة بعد بيتين من البيت الذي انشدناه وهو

لها امرها حتى اذا ما تبوأت باخفافها مأوى تبوأ مضجعا

هذا قول الاصمعي وقال السكري سمي بذلك لقوله في هذه القصيدة ايضا

هداني اخو وطب وصاحب علبة يرى المجد ان يلقى خلاء ومرتعا

وروي عن بعض بني نمير انه قال انما سمي بذلك لقوله

صح عاشت

يبيت مرافقهن فوق مزلة لا يستطيع بها القراد مقيلا

فقال بعض بني نمير لما سمع هذا البيت ما هو الا راعي ابل فبقيت عليه · وقال محمد بن سلام انما
سمي الراعي لكثرة وصفه للابل وحسن نعته لها واسمه عبيد بن حصين بن جندل وكنيته ابو جندل
وقيل ابو نوح

تاويل اية

ان سال سائل عن قوله تعالى
تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك ما المراد بالنفس في هذه الاية وهل المعنى فيها كالمعنى في قوله
ويحذركم الله نفسه او يخالفه او يطابق معنى الايتين والمراد بالنفس فيهما ما رواه
ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يقول الله عز وجل اذا احب العبد لقائي احببت
لقاءه واذا ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي واذا ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم واذا تقرب
الي شبرا تقربت اليه ذراعا واذا تقرب الي ذراعا تقربت اليه باعا او لا يطابقه · الجواب
قلنا ان النفس في اللغة لها معان مختلفة ووجوه في التصرف متباينة فالنفس نفس الانسان
وغيره من الحيوان وهي التي اذا فقدها خرج من كونه حيا ومنه قوله تعالى كل نفس ذائقة الموت
والنفس ذات الشيء الذي يخبر عنه فعل ذلك فلان نفسه اذا تولى فعله · والنفس الانفة من قولهم
ليس لفلان نفس اي لا انفة له · والنفس الارادة من قولهم نفس فلان في كذا اي ارادته قال الشاعر

فنفساي نفس قالت ائت ابن بحدل تجد فرجا من كل غمى تهابها
ونفس تقول اجهد نجاءك لا تكن كخاضبة لم يغن شيئا خضابها

ومنه ان رجلا قال للحسن يا ابا سعيد لم احج قط فنفس تقول لي حج ونفس تقول لي تزوج فقال
الحسن انما النفس واحدة ولكن لك هم يقول حج وهم يقول تزوج وامره بالحج · وقال
الممزق العبدي ويروى لمعقر بن حمار البارقي

الا من لعين قد نآها حميمها وارقني بعد المنام همومها
فباتت لها نفسان شتى همومها فنفس تعزيها ونفس تلومها

آخر المجلس الاول من
اصل الشريف ابي علي
الجعفري

الممزق
وكلاهما كان اكثر لانه اتى بذكر التمزيق
... والممزق بالفتح لانه قال ولما امزق
وقال ابو القسم الآمدي الممزق بفتح الزاي هو
شاس بن نهار العبدي الذي قال ولما امزق والممزق
الحضرمي متاخر وله الخبر قبل الممزق
ذكر في المختلف والمؤتلف

وقال النمر بن تولب العكلي:

اما خليلي فإني لست معجله حتى يؤامر نفسيه كما زعما
نفس له من نفوس القوم صالحة تعطي الجزيل ونفس ترضع الغنما

أراد أنه بين نفسين نفس تأمره بالجود وأخرى تأمره بالبخل وكنى برضاع الغنم عن البخل لأن البخيل يرضع اللبن من ضرع الشاة ولا يحلبها لئلا يسمع الضيف صوت الشخب فيهتدي إليه ومنه قيل لئيم راضع وقال كثير:

فأصبحت ذا نفسين نفس مريضة من اليأس ما ينفك ثم يعودها
ونفس ترجي وصلها بعد صرمها تجمل كي يزداد غيظا حسودها

والنفس العين التي تصيب الإنسان يقال أصابت فلانا نفس أي عين وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرقي فيقول باسم الله أرقيك والله يشفيك من كل داء هو فيك من عين عائن ونفس نافس وحسد حاسد وقال ابن الأعرابي النفوس الذي يصيب الناس بالعين وذكر رجلا فقال كان والله حسودا نفوسا كذوبا

وقال عبد الله بن قيس الرقيات:

يتقي أهلها النفوس عليها فعلى نحرها الرقى والتميم

وقال مضرس بن ربعي الفقعسي:

وإذا نما صعدا فليس عليهم منا الخبال ولا نفوس الحسد

وقال ابن هرمة يمدح عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك:

فاسلم سلمت من المكاره والردى وعثارها ووقيت نفس الحسد

والنفس أيضا من الدباغ مقدار الدبغة تقول أعطني نفسا من دباغ أي قدر ما أدبغ به مرة والنفس الغيب يقول القائل إني لا أعلم نفس فلان أي غيبه وعلى هذا تأويل قوله تعالى تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك أي تعلم غيبي وما عندي ولا أعلم غيبك وقيل إن النفس أيضا العقوبة من قولهم أحذرك نفسي أي عقوبتي وبعض المفسرين حمل قوله تعالى ويحذركم الله نفسه على هذا المعنى كأنه قال يحذركم عقوبته وروي ذلك عن ابن عباس والحسن وآخرون قالوا معنى الآية يحذركم الله إياه وقد روي عن الحسن ومجاهد في قوله تعالى تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك ما ذكرناه من التأويل بعينه فإن قيل ما وجه تسمية الغيب بأنه نفس قلنا لا يمتنع أن يكون الوجه في ذلك أن نفس

يقال هذا نبات ينمي صعدا أي يزداد طولا

الإنسان لما كانت خفية الموضع نزل ما يكتمه ويجتهد في ستره منزلتها وسمي باسمها فقيل فيه إنه نفسه مبالغة في وصفه بالكتمان والخفاء وإنما حسن أن يقول تعالى مخبرا عن نبيه ولا أعلم ما في نفسك من حيث تقدم قوله تعالى تعلم ما في نفسي ليزدوج الكلام ولهذا لا يحسن ابتداء أن يقول أنا لا أعلم ما في نفس الله تعالى وإن حسن على الوجه الأول ولهذا نظائر في الاستعمال مشهورة مذكورة فأما الخبر الذي ذكره السائل فتأويله ظاهر وهو خارج على مذهب العرب في مثل هذا الباب معروف ومعناه أن من ذكرني في نفسه جازيته على ذكره لي وإذا تقرب إلي بشبر جازيته على تقربه إلي وكذلك الخبر إلى آخره فسمى المجازاة على الشيء باسمه اتساعا كما قال تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها ويمكرون ويمكر الله والله يستهزئ بهم وكما قال الشاعر:

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

ونظائر هذا كثيرة في كلام العرب ولما أراد الله تعالى المبالغة في وصف ما يفعله من الثواب والمجازاة على تقربه بالكثرة والزيادة كنى عن ذلك بذكر المسافة المتضاعفة فقال باعا وذراعا إشارة إلى المعنى من أبلغ الوجوه وأحسنها

مجلس آخر كب تأويل آية

إن سأل سائل فقال ما تأويل قوله تعالى إذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا وكيف يجوز أن تبلغ القلوب الحناجر مع كونهم أحياء ومعلوم أن القلب إذا زال عن موضعه المخلوق فيه مات صاحبه وعلى أي شيء زاغت الأبصار وبأي شيء تعلقت ظنونهم بالله تعالى الجواب قيل له في هذه الآية وجوه منها أن يكون المراد بذلك أنهم جبنوا وفزع أكثرهم لما أشرف المشركون عليهم وخافوا من بوائقهم وبوادرهم ومن شأن الجبان عند العرب إذا اشتد خوفه أن تنتفخ رئته ولهذا يقولون للجبان انتفخ سحره أي رئته وليس يمتنع أن تكون الرئة إذا انتفخت رفعت القلب ونهضت به إلى نحو الحنجرة وهذا التأويل قد ذكره الفراء وغيره ورواه الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ومنها أن القلوب توصف بالوجيب والاضطراب في أحوال الجزع والهلع قال الشاعر:

كأن قلوب أدلائها معلقة بقرون الظباء

وقال امرؤ القيس

لعل هذه العلة كان أمر النفس بالكلام بقوله لا تفعل ولتفعل فإن استعمال وليتهم خطابا لهم

صح فوق

في قداري ظللته

ولا مثل يوم في قُدار ان ظللته كاني واصحابي على قرن اعفرا

ويروى في قدار ظللته اراد المبالغة في وصف نفسه واصحابه بالقلق والاضطراب وخفان وقلة السكون
والاستقرار وانما خص الظبي لان قرنه اكثر تحركا واضطرابا بالنشاط ومرحه وسرعته وقد قال
بعض المتاولين ان امرا القيس لم يصف شدة اصابته في هذا البيت فيليق قوله على قرن اعفرا بالتاويل المذكور
بل وصف اماكن كان فيها مسرورا مستمتعا الا ترى الى قوله قبل هذا البيت بلا فصل

الا رب يوم صالح قد شهدته بتاذف ذات التل من فوق طرطرا

طرطر قرية بالشام

فيكون معنى قوله على قرن اعفرا على هذا الوجه انه كان على مكان عال مشرف شبهه لارتفاعه وطوله
بقرن الظبي وهذا القول لابن الاعرابي والاول للاصمعي فاما قول الاخر

الا قل لخير الشام كيف تغيرا فاصبح يرمي الناس عن قرن اعفرا

فلا يحتمل الا الشدة والحال المذمومة ويجوز ان يريد ان الناس فيه غير مطمئنين بل انهم منزعجون قلقون
كانهم على قرن ظبي ويحتمل ان يطعنهم بقرن ظبي كقولك رماه بداهية ويكون معنى عن هاهنا معنى الباء
فقال عن قرن اعفرا وهو يريد بقرن اعفر وقد ذكر في هذا البيت الوجهان معا فيكون معنى الاية على هذا التاويل
ان القلوب لما اتصل وجيبها واضطرابها بلغت الحناجر لشدة القلق ومنها ان يكون المعنى كادت
القلوب من شدة الخوف والرعب تبلغ الحناجر وان لم تبلغ في الحقيقة فالقى ذكر كادت لوضوح الامر
فيه ولفظة كادت هاهنا للمقاربة مثل قول قيس بن الخطيم

اتعرف رسما كاطراد المذاهب لعمرة وحشا غير موقف راكب

ديار التي كادت ونحن على منى تحل بنا لولا نجاء الركائب

معناه قاربت ان تحل بنا ان لم تحل على الحقيقة وقوله غير موقف راكب فيه وجهان احدهما انه ليس
موضع يقف فيه راكب لخلوه من الناس ووحشته والاخر ان يكون اراد انه وحش الا ان راكبا
واقف به يعني نفسه وقال نصيب

٩٩

وقد كدت يوم الحزن لما ترنمت هتوف الضحى محزونة بالترنم

اموت لمبكاها اسى ان لوعتي ووجدي بسعدى شجوه غير منجم

في ديوانه
فلو قبل مبكاها بكيت صبابة
بسعدى شفيت النفس قبل التندم
ولكن بكت قبلي فهيج لي البكا
بكاها فقلت الفضل للمتقدم

معنى المنجم المقلع وقال ذو الرمة

وقفت على ربع لمية ناقتي فما زلت ابكي عنده واخاطبه

واسقيه حتى كاد مما ابثه تكلمني احجاره وملاعبه

وكل هذا معنى كاد فيه المقاربة ومتى ادخلت العرب على كاد جحدا فقالوا ما كاد عبد الله يقوم ولم يكد
عبد الله يقوم كان فيه وجهان احدهما قام عبد الله بعد ابطاء ولاي ومثله قوله تعالى فذبحوها وما كادوا
يفعلون اي ذبحوها بعد ابطاء وتاخير لان وجدان البقرة عسر عليهم ويروى انهم اصابوها ليتيم لا مال
له غيرها فاشتروها من وليه بملء جلدها ذهبا فقال تعالى وما كادوا يفعلون اما لانهم لم يقفوا عليها
او لغلائها وكثرة ثمنها والوجه الاخر في قولهم ما يكاد عبد الله يقوم اي ما يقوم عبد الله وتكون
لفظة يكاد على هذا المعنى مطرحة لا حكم لها وعلى هذا يحمل اكثر المفسرين قوله تعالى اذا اخرج يده
لم يكد يراها اي لم يرها اصلا لانه جل وعز لما قال او كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج
من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض كان بعض هذه الظلمات يحول بين العين وبين النظر الى اليد
وسائر المناظر فيكاد على هذا التاويل زيدت للتاكيد والمعنى انه اذا اخرج يده لم يرها وقال قوم
معنى الاية اذا اخرج يده رآها بعد ابطاء وعسر لتكاثف الظلمة وترادف الموانع من الرؤية فيكاد
على هذا الجواب ليست زائدة وقال آخرون معنى الاية اذا اخرج يده لم يرد ان يراها لان ما شاهده
من تكاثف الظلمات آيسه من تامل يده وقرر في نفسه انه لا يبصرها كما يصرح وحكي عن العرب
اولئك اصحابي الذين لا كاد انزل عليهم اي اريد ان انزل عليهم وقال الشاعر

كادت وكدت وتلك خير ارادة لو عاد من لهو الصبابة ما مضى

اي ارادت واردت وقال الافوه الاودي

فان تجمع اونادٌ واعمدةٌ وساكنٌ بلغوا الامر الذى كادوا

اى ارادوا وقال بعضهم معنى قوله تعالى كذلك كدنا ليوسف اى اردنا ليوسف وقال الكلبى عن

ابى صالح عن ابن عباس معناه كذلك صنعنا ليوسف ومما يشهد لمن جعل لفظة يكاد زائدة فى الاية قول

الشاعر سريع الى الهيجاء شاك سلاحه فما ان يكاد قرنه يتنفس اى فما ان يتنفس قرنه ويكاد

من زيادة للتوكيد وقال حسان وتكاد تكسل ان تجىء فراشها فى جسم خرعبة وحسن قوام

معناه وتكسل ان تجىء فراشها وقال الاخر

وان لا الوم النفس فيما اصابنى وان لا اكاد بالذى نلت انجح

اى لا انجح بالذى نلت ولو لم يكن الامر على هذا لم يكن البيت مدحا ∴ وروى عبد الصمد بن المعذل بن غيلان

عن ابيه عن جده غيلان قال قدم علينا ذو الرمة الكوفة فانشدنا بالكناسة وهو على راحلته قصيدته

الحائية التى يقول فيها اذا غير النأى المحبين لم يكد رسيس الهوى من حب مية يبرح

فقال له عبد الله بن شبرمة قد برح يا ذا الرمة ففكر ساعة ثم قال

اذا غير النأى المحبين لم اجد رسيس الهوى من حب مية يبرح

قال فاخبرت ابى بما كان من قول ذى الرمة واعتراض ابن شبرمة عليه فقال اخطا ذو الرمة فى

رجوعه عن قوله الاول واخطا ابن شبرمة فى اعتراضه عليه هذا كقوله عز وجل اذا اخرج يده لم يكد

يراها اى لم يرها ∴ فاما قوله عز وجل ان الساعة آتية اكاد اخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى اى لكى

تجزى كل نفس بسعيها ويجوز ان تكون زائدة ويكون المعنى ان الساعة آتية اخفيها لتجزى كل نفس

وقد قيل فيه وجه آخر وهو ان يتم الكلام عند قوله تعالى ان الساعة آتية اكاد ويكون المعنى اكاد

آتى بها ويقع الابتداء بقوله تعالى اخفيها لتجزى كل نفس ومما يشهد لهذا الوجه قول ضابى البرجمى

هممت ولم افعل وكدت وليتنى تركت على عثمان تبكى حلائله

اراد وكدت افعله فحذف الفعل لبيان معناه ∴ وروى عن سعيد بن جبير انه كان يقرا اكاد اخفيها

هو شبرمة بن الطفيل بكسر الطاء وسكون الفاء الذى يقول ويوم شديد الحر قصر طوله ... ابيات

بمعنى اخفيها على هذا اظهرها وقال عبدة بن الطبيب يصف ثورا

يخفى التراب باظلاف ثمانية فى اربع مسهن الارض تحليل

اراد انه يظهر التراب ويستخرجه باظلافه وقال امرؤ القيس

فان تدفنوا الداء لا نخفه وان تبعثوا الحرب لا نقعد اراد لا نظهره وقال النابغة

تخفى باظلافها حتى اذا بلغت يبس الكثيب تداعى الترب فانهدما

وقد روى اهل العربية اخفيت الشىء بمعنى سترته واخفيته بمعنى اظهرته وكانت القراءة بالضم

تحتمل الامرين الاظهار والستر والقراءة بالفتح لا تحتمل غير الاظهار واذا كانت بمعنى الاظهار

كان الكلام فى كاد واحتمالها للوجوه الثلثة التى ذكرناها كالكلام فيها اذا كانت بمعنى الستر

والتغطية فان قيل اى معنى لقوله اى استرها لتجزى كل نفس بما تسعى واظهرها على

الوجهين جميعا واى فائدة فى ذلك قلنا الوجه فى هذا ظاهر لانه تعالى اذا ستر عنا وقت

الساعة كانت دواعينا الى فعل الجميل والقبيح متردده واذا عرفنا وقتها بعينه كنا ملجئين

الى التوبة بعد مقارفة الذنوب وينقض ذلك الغرض بالتكليف واستحقاق الثواب به فصار ما

اخبرنا من المجازاة للمكلفين بسعيهم وايصال ثواب اعمالهم يمنع من اطلاعهم على وقت انقطاع

التكليف عنهم فاما اذا كانت لفظة اخفيها بمعنى الاظهار فوجهه ايضا واضح لانه تعالى انما

يقيم القيمة ويقطع التكليف ليجازى كلا باستحقاقه ويوفى مستحق الثواب ثوابه ويعاقب

المسىء باستحقاقه فوضح وجه قوله تعالى اكاد اخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى على المعنيين جميعا

قال السيد قدس الله روحه وجدت ابا بكر محمد بن القسم الانبارى يطعن على جواب من

اجاب فى قوله تعالى وبلغت القلوب الحناجر بان معناه كادت تبلغ الحناجر ويقول كاد لا تضمر

ولا بد من ان تكون منطوقا بها ولو جاز ضميرها لجاز قام عبد الله بمعنى كاد عبد الله يقوم فيكون

تاويل قام عبد الله لم يقم عبد الله لان معنى كاد عبد الله يقوم لم يقم عبد الله وهذا الذى ذكره

أخفيتها اذا كان بمعنى اظهرته كانت الالف للسلب المعنى سلبته الخفاء مثل شكا الى فاشكيته

غير صحيح ونظن أن الذي حمله على الطعن في هذا الوجه حكايته له عن ابن قتيبة لأن من شأنه
أن يرد كل ما يأتي به ابن قتيبة وأن يتعسف في الطعن عليه. والذي استبعده غير بعيد لأن كاد
قد تضمر في مواضع ويقتضيها بعض الكلام وإن لم تذكر في صريحه ألا ترى أنهم يقولون أوردني على فلان
من الغيظ والتوبيخ والتقريع ما مات عنده وخرجت نفسه ولما رأى فلان فلانا لم يبق فيه روح و
ما أشبه ذلك ومعنى جميع ما ذكرناه من المقاربة ولا بد من إضمار كاد فيه وقال جرير

إن العيون التي في طرفها مرض ... قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

وإنما المعنى أنهن كدن يقتلننا وهذا أكثر في الشعر والكلام من أن نذكره فأما قوله يحيين قتلانا
فالأظهر في معناه أنهن لم يزلن ما قاربنا عنده الموت والقتل من الصدود والهجر وما أشبه ذلك
وسمى هذه الأمور حياة كما سمى أضدادها قتلا وقيل معنى يحيين أنهن لم يدين قتلانا من الدية لأن
دية القتيل عند العرب كالحياة له وقد روي لم يحيين قتلانا وهذه رواية شاذة لم تسمع من عالم و
لا محصل ومعناها ضعيف ركيك وإذا كان الأمر على ما ذكرناه لم يمتنع أن يقال قام فلان بمعنى كاد يقوم
إذا دلت الحال على ذلك كما يقال مات بمعنى كاد يموت فأما قوله فيكون تأويل قام عبد الله لم يقم عبد الله
خطأ لأنه ليس معنى كاد يقوم أنه لم يقم كما ظن بل معناه أنه قارب القيام ودنا منه فمن قال قام عبد الله
وأراد كاد يقوم فقد أفاد ما لا يفيده لم يقم فأما قوله تعالى زاغت الأبصار فمعناه زاغت عن
النظر إلى كل شيء فلم تلتفت إلا إلى عدوها ويجوز أن يكون المراد زاغت الأبصار أي حادت ومالت
عن القصد في النظر دهشا وتحيرا. فأما قوله تعالى وتظنون بالله الظنونا فمعناه أنكم تظنون مرة
أنكم تنصرون وتظهرون على عدوكم ومرة أنكم تبتلون وتمتحنون بالتخلية بينكم وبينهم. ويجوز أن
يريد الله تعالى أن ظنونكم اختلفت فظن المنافقون منكم خلاف ما وعدكم الله تعالى به من النصر وشكوا
في خبره عز وجل كما قال تعالى حكاية عنهم ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا وظن المؤمنون ما طابق وعد
الله تعالى لهم كما حكى جل وعز عنهم في قوله هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله

وكل ما ذكرناه واضح في تأويل الآية وما تعلق بها ۞ مجلس آخر كج

تأويل آية ۞ إن سأل سائل عن قوله تعالى وجعلنا نومكم سباتا فقال إذا
كان السبات هو النوم فكأنه قال وجعلنا نومكم نوما وهذا مما لا فائدة فيه. الجواب قيل في
هذه الآية وجوه منها أن يكون المراد بالسبات الراحة والدعة وقد قال قوم إن اجتماع الخلق
كان في يوم الجمعة والفراغ منه في يوم السبت فسمي اليوم بالسبت للفراغ الذي كان فيه ولأن
الله تعالى أمر بني إسرائيل فيه بالاستراحة من الأعمال قيل وأصل السبات التمدد يقال سبتت
المرأة شعرها إذا حلته من العقص وأرسلته قال الشاعر

وإن سبتته مال جثلا كأنه ... سدى واهلات من نواسج خثعما

أراد وإن أرسلته ومنها أن يكون المراد به لكل القطع لأن السبت القطع والسبت أيضا
الحلق يقال سبت شعره سبتا إذا حلقه وهو يرجع إلى معنى القطع والنعال السبتية التي لا شعر
عليها قال عنترة

بطل كأن ثيابه في سرحة ... يحذى نعال السبت ليس بتوأم

ويقال لكل أرض مرتفعة منقطعة مما حولها سبتاء وجمعها سباتي فيكون المعنى على هذا الجواب
جعلنا نومكم قطعا لأعمالكم وتصرفكم ومن أجاب بهذا الجواب يقول إنما سمي يوم السبت بذلك لأن
بدء الخلق كان يوم الأحد وجمع يوم الجمعة وقطع يوم السبت فترجع التسمية إلى معنى القطع
وقد اختلف الناس في ابتداء الخلق فقال أهل التوراة إن الله تعالى ابتدأه في يوم الأحد فكان الخلق في يوم الأحد
والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة ثم فرغ في يوم السبت وهذا قول أهل التوراة و
قال آخرون إن الابتداء كان في يوم الاثنين إلى يوم السبت وفرغ يوم الأحد وهذا قول أهل
الإنجيل. فأما قول أهل الإسلام فهو أن ابتداء الخلق كان يوم السبت واتصل إلى الخميس وجعلت
الجمعة عيدا فعلى هذا القول الأخير يمكن أن يسمى اليوم بالسبت من حيث قطع فيه بعض خلق
الأرض فقد روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الله تعالى خلق التربة يوم

الشيب وخلق فيها الجبال يوم الاحد — ومنها ان يكون المراد بذلك انا جعلنا نومكم سباتا ليس
بموت لان النائم قد يفقد من علومه وقصوده واحواله اشياء كثيرة يفقدها الميت فاراد تعالى ان
يمتن علينا بان جعل نومنا الذي تضاهي به بعض احوالنا احوال الميت ليس بموت على الحقيقة ولا يخرج
لنا عن الحياة والادراك ويجعل التاكيد بذكر المصدر قائما مقام نفي الموت وسادا مسده في قوله وجعلنا
نومكم لا موت. ويمكن في الآية وجه آخر لم يذكروه فيها وهو ان السبات ليس هو كل نوم وانما هو من
صفات النوم اذا وقع على بعض الوجوه والسبات هو النوم الطويل الممتد السكون ولهذا يقال فيمن وصف بكثرة
النوم انه مسبوت وبه سبات ولا يقال ذلك في كل نائم واذا كان الامر على هذا لم يجر قوله وجعلنا
نومكم سباتا مجرى ان يقول وجعلنا نومكم نوما والوجه في الامتنان علينا بان جعل نومنا ممتدا
طويلا ظاهر وهو لما في ذلك لنا من المنفعة والراحة لان التهويم والنوم الغرار لا يكسبان شيئا من
الراحة بل يصحبهما في الاكثر القلق والانزعاج والهموم هي التي تقلل النوم وتنزره وفراغ القلب
ورخاء البال يكون معهما غزارة النوم وامتداده وهذا واضح — قال السيد رضي الله عنه
ووجدت ابا بكر محمد بن القسم الانباري يطعن على الجواب الذي ذكرناه اولا ويقول ان ابن قتيبة اخطا
في اعتماده لان الراحة لا يقال لها سبات ولا يقال سبت الرجل بمعنى استراح واراح ويعتمد على
الجواب الذي حكيناه بعد ذكره ويقول فيما استشهد به ابن قتيبة من قولهم سبتت المراة شعرها ان معناه ايضا
القطع لان ذلك انما يكون بازالة الشداد الذي كان مجموعا به وقطعه والمقدار الذي ذكره ابن الانباري
لا يقدح في جواب ابن قتيبة لانه لا ينكر ان يكون السبات هو الراحة والدعة اذا كانتا عن نوم
وان لم توصف كل راحة بانها سبات ويكون هذا الاسم يخص الراحة اذا كانت على هذا الوجه و
لهذا نظائر كثيرة في الاسماء واذا امكن ذلك لم يكن في امتناع قولهم سبت الرجل بمعنى استراح
في كل موضع دلالة على ان السبات لا يكون اسما للراحة عند النوم والذي يشفي على ابن قتيبة ان يبين
ان السبات هو الراحة والدعة ويستشهد على ذلك بشعر او لغة فان البيت الذي ذكره يمكن

ان يكون المراد به القطع دون التمدد والاستراحة — فان قيل فما الفرق بين جواب ابن قتيبة وجوابكم
الذي ذكرتموه اخيرا — قلنا الفرق بينهما بين لان ابن قتيبة جعل السبات نفسه راحة وجعله
عبارة عنها واخذ يستشهد على ذلك بالتمدد وغيره ونحن جعلنا السبات من صفات النوم والراحة
واقعة عنده للامتداد وطول السكون فيه فلا يلزمنا ان يقال سبت الرجل بمعنى استراح لان الشيء
انما يسمى بما يقع عنده حقيقة والاستراحة تقع على ما بينا عند السبات وليس السبات ايهما
بعينها على ان في الجواب الذي اختاره ابن الانباري تضييقا من الكلام لان السبت وان كان القطع على
ما ذكره فلم يسمع فيه البناء الذي ذكره وهو السبات ويتخالج في اثبات مثل هذا البناء الى سمع
عن اهل اللغة وقد كان يجب ان يعد من اي وجه اذا كان السبت هو القطع جاز ان يقال سبات
على هذا المعنى ولم يبين فعل ذلك — تاويل خبر — ان قال قائل ما تاويل
الخبر الذي روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الميت ليعذب ببكاء الحي عليه وفي رواية اخرى ان
الميت يعذب في قبره بالنياحة عليه وقد روى هذا المعنى المغيرة بن شعبة ايضا فقال سمعت النبي عليه السلم
يقول من نيح عليه فانه يعذب بما نيح عليه — الجواب — انا اذا كنا قد علمنا بادلة العقل التي
لا يدخلها الاحتمال والاتساع والمجاز قبح مواخذة احد بذنب غيره وعلمنا ايضا ذلك بادلة السمع مثل
قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى فلا بد من ان نصرف ما ظاهره بخلاف هذه الادلة الى ما يطابقها و
المعنى في الاخبار التي سئلت عنها ان صحت روايتها انه اذا اوصى موص بان يناح عليه ففعل ذلك بامره
وعن اذنه فانه يعذب بالنياحة وليس معنى يعذب بها انه يواخذ بفعل النواح وانما معناه
يواخذ بامره بها ووصيته بفعلها وانما قال صلى الله عليه وسلم ذلك لان الجاهلية كانوا يرون البكاء
عليهم والنوح فيامرون به ويوكدون الوصية بفعله وهذا مشهور عنهم — قال طرفة بن العبد

فان مت فانعيني بما انا اهله ... وشقي علي الجيب يا ابنة معبد

وقال بشر بن خازم لابنته عميرة — له عميرة

قال ابن دريد السبات السكون والرجل مسبوت وقال الجوهري السبت والسبات السكون والراحة وقد يسهل بسبت بالضم

سماع

فمن يك سائلا عني بنيت بشر فان له بجنب الردهة بابا
ثوى في ملحد لا بد منه كفى بالموت نأيا واغترابا
رهين بلى وكل فتى سيبلى فاذري الدمع وانتحبي انتحابا

وقد روي عن ابن عباس انه قال في هذا الخبر وهل ابن عمر انما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على يهودي فقال انكم لتبكون عليه وانه ليعذب في قبره وقد روي انكار هذا الخبر عليه ايضا عن بعض ازواج النبي صلى الله عليه وسلم وانها قالت لما اخبرت بروايته وهل ابو عبد الرحمن كما وهل يوم قليب بدر انما قال عليه السلم ان اهل الميت ليبكون عليه وانه ليعذب بجرمه قال السيد قدس الله روحه معنى وهل اي ذهب وهمه الى غير الصواب يقال وهلت الى الشيء فانا اهل وهلا اذا ذهب وهمك اليه ووهلت عنه اهل وهلا اذا فزعت والوهل الفزع فاما القليب فهي البئر والجمع القلب قال حسان بن ثابت يذكر قتلى بدر من المشركين

يناديهم رسول الله لما قذفناهم كباكب في قليب
الم تجدوا حديثي كان حقا وامر الله ياخذ بالقلوب

وقال اخر يبكي على قتلى بدر من المشركين

فماذا بالقليب قليب بدر من الفتيان والشرب الكرام
وماذا بالقليب قليب بدر من الشيزى تكلل بالسنام

وموضع وهله في ذكر القليب انه روي ان النبي صلى الله عليه وسلم وقف على قليب بدر فقال هل وجدتم ما وعد ربكم حقا فقال انهم ليسمعون ما اقول فانكر ذلك عليه وقيل انما قال عليه السلم انهم الآن ليعلمون ان الذي كنت اقول لهم هو الحق واستشهد بقول الله تعالى انك لا تسمع الموتى واهل القليب جماعة من قريش منهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة وغيرهم وروي عن عبد الله بن مسعود انه قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم قائما يصلي بمكة وناس من قريش في حلقة فيهم ابو جهل بن هشام فقال ما يمنع احدكم ان ياتي الجزور التي نحرها آل فلان فياخذ سلاها ثم ياتي به حتى اذا سجد وضعه على ظهره قال عبد الله فانبعث اشقى القوم وانا انظر اليه فجاء به حتى وضعه

ووهلت عنه أوهل وهلا

قال ابو زيد وهلت في الشيء وعنه اوهل وهلا اذا غلطت فيه ووهلت الى الشيء اهل وهلا اذا ذهب وهمك اليه ووهلت اوهل وهلا فزعت

على ظهره قال عبد الله فلو كانت لي يومئذ منعة لمنعته وجاءت فاطمة عليها السلم وهي يومئذ صبية حتى اماطته عن ظهر ابيها ثم جاءت حتى قامت على رؤوسهم فاوسعتهم شتما قال فوالله لقد رايت بعضهم يضحك حتى انه ليطرح نفسه على صاحبه من الضحك فلما سلم النبي صلى الله عليه وسلم اقبل على القوم فقال اللهم عليك بفلان وفلان فلما راوا النبي صلى الله عليه وسلم قد دعا عليهم اسقط في ايديهم فوالله الذي لا اله غيره ما سمى النبي صلى الله عليه وسلم احدا الا وقد رايته يوم بدر وقد اخذ برجله يجر الى القليب مقتولا قوله فياخذ سلاها اي جلدتها التي فيها ولدها ما دام في بطنها والجمع الاسلاء وقال ابن حبيب الاسلاء التي فيها الاولاد قال الاخطل

يطرحن بالثغر السخال كانما يشققن بالاسلاء اردية العصب

وقال الشماخ

والعيس دامية المناسم ضمر يقذفن بالاسلاء تحت الاركب

جمع ركبة

وقال الفراء سقط في ايديهم من الندامة واسقط لغتان ومن يقر الالف اكثر واجود ويمكن ان يكون في قوله يعذب ببكاء اهله وجه آخر وهو ان يكون المعنى ان الله تعالى اذا اعلمه ببكاء اهله واعزته عليه وما لحقه بعده من الحزن والهم تالم بذلك فكان عذابا له والعذاب ليس يجري مجرى العقاب الذي لا يكون الا على ذنب متقدم بل يستعمل كثيرا بحيث يستعمل الالم والضرر الا ترى ان القائل قد يقول لمن ابتداه بالضرر والالم قد عذبتني بكذا وكذا واذيتني كما تقول اضررت بي وآلمتني وانما لم يستعمل العقاب حقيقة في الالام المبتداة من حيث كان اشتقاق لفظه من المعاقبة التي لا بد من تقدم سبب لها وليس هذا في العذاب

تاويل خبر

ان سال سائل عن الخبر الذي يرويه ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من احد يدخله عمله الجنة وينجيه من النار قيل ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمة منه وفضل يقولها ثلاثا فقال اليس في هذا دلالة على ان الله تعالى يتفضل بالثواب وانه غير مستحق عليه ومذهبكم بخلاف ذلك الجواب قلنا فائدة الخبر ومعناه بيان فقر المكلفين الى الله تعالى وحاجتهم الى الطافه وتوفيقاته ومعوناته

يومئذ

محمد بن حبيب اللغوي ابو نصر حبيب النحوي كان حبيب اسم امه محمد وكان ولد ملاعنة

وان العبد لو احوج الى نفسه وقطع الله تعالى مواد المعونة واللطف عنه لم يدخل بعمله الجنة و
لا نجا من النار فكانه اراد عليه السلم ان احدا لا يدخل الجنة بعمله الذي لم يعنه الله تعالى عليه و
لا لطف له فيه ولا ارشده اليه وهذا هو الحق الذي لا شبهة فيه فاما الثواب فمما ياتي القول بانه تفضل
بمعنى ان الله تعالى تفضل بسببه الذي هو التكليف ولهذا نقول انه لا يجب على الله تعالى شيء ابتداء و
انما يجب عليه ما اوجبه على نفسه فالثواب مما كان اوجبه على نفسه بالتكليف وكذلك التمكين
والالطاف وكل ما يتعلق به ويوجبه بالتكليف ولولا ايجابه له على نفسه بالتكليف لما وجب فان قيل
فقد سمى الرسول عليه السلم ما يفعل به فضلا فقال الا ان يتغمدني الله برحمة منه وفضل قلنا
هذا يطابق ما ذكرناه لان الرحمة النعمة والثواب نعمة وهو فضل وتفضل من الوجه الذي ذكرناه و
ان حملنا قوله عليه السلم برحمة منه وفضل على ما يفعل به من الالطاف والمعونات فهي ايضا فضل وتفضل
لان سببها غير واجب فاما قوله عليه السلم يتغمدني فمعناه يسترني يقال غمدت السيف وغمدته
اذا سترته قال الشاعر   نصبنا رماحا فوقها جد عامر كظل السماء كل ارض تغمدا
فالجد هاهنا الحظ وشبه ما قسم لعامر من الغلبة والظفر بظل السماء الذي يستر كل شيء ويظهر
عليه :. اخبرنا ابو القسم عبيد الله بن عثمن بن يحيى جنيقا قال اخبرنا ابو عبد الله محمد بن احمد
الحكيمي قراءة عليه قال املى علينا ابو العباس احمد بن يحيى ثعلب النحوي قال اخبرنا ابن الاعرابي
قال يقال للقوم اذا دعوت عليهم بهرهم الله وابهرهم رمو المكروب وانشدنا

ابرزوها مثل المهاة تهادى بين خمس كواعب اتراب
ثم قالوا تحبها قلت بهرا عدد القطر والحصى والتراب

قال السيد وقد قيل في معنى قوله بهرا غير هذا الوجه اخبرنا ابو عبيد الله محمد بن عمران
المرزباني قال اخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا القسم بن اسمعيل قال حدثنا التوزي عن ابي عمرو
الاسدي قال سمعت ابا عمرو بن العلاء يقول عمر بن ابي ربيعة حجة في العربية وما اخذ عليه الا

قوله

قوله   ثم قالوا تحبها قلت بهرا   وله فيه عذر ان اراد الخبر لا الاستفهام كانهم قالوا انت
تحبها على جهة الاخبار منهم لا الاستفهام فاكد هو اخبارهم بجوابه فهذا احسن :. وبهرا يجوز
ان يكون اراد نعم حبا بهرني بهرا ويكون ايضا بمعنى عجبا او تعسا دعا عليهم اذ جهلوا من حبه
لها ما لا يجهل مثله وانشد ابو عمرو   البيت لابن ميادة واسمه الرماح بن ابرد

لحا الله قوما اذ يبيعون مهجتي بجارية بهرا لهم بعدها بهرا

قال ابو عمرو ويكون بهرا بمعنى ظاهرا اي يحبها ظاهرا من قولهم قمر باهر وقد حكى بعض الرواة
انه قال قيل له هل تحبها قلت بهرا والرواية الاولى هي المشهورة ولعل من روى ذلك فر من هذه
الرواية من اللحن وهذان البيتان لعمر بن ابي ربيعة المخزومي من جملة ابيات منها

من رسولي الى الثريا باني ضقت ذرعا بهجرها والكتاب
وهي مكنونة تحير منها في اديم الخدين ماء الشباب
سلبتني مجاجة المسك عقلي فسلوها بما يحل اغتصابي
ازهقت ام نوفل اذ دعتها مهجتي ما لقاتلي من متاب
حين قالت لها اجيبي فقالت من دعاني قالت ابو الخطاب
ابرزوها مثل المهاة تهادى بين خمس كواعب اتراب
ثم قالوا تحبها قلت بهرا عدد القطر والحصى والتراب

والثريا هذه التي عناها عمر اموية وقد اختلف في نسبها فقيل انها الثريا بنت عبد الله بن
الحرث بن امية الاصغر بن عبد شمس وقيل انها الثريا بنت علي بن عبد الله بن الحرث بن امية الاصغر و
ذكر الزبير بن بكار ان الثريا بنت عبد الله بن محمد بن عبد الله بن الحرث بن امية الاصغر وانها اخت محمد بن
عبد الله المعروف بابي جراب العبلي الذي قتله داود بن علي :. واخبرنا ابو عبيد الله المرزباني
قال حدثني محمد بن ابرهيم قال حدثنا احمد بن يحيى عن الزبير بن بكار قال حدثني موسى بن عمر بن افلح قال اخبرني

بلال مولى ابن ابي عتيق في حديث طويل العمر مع الثريا اختصرناه واوردنا بعضه قال لما سمع ابن
ابي عتيق قول عمر من رسولي الى الثريا قال اياي اراد وبي نوّه لا جرم والله لا اذوق اكالا حتى
اشخص اليه فاصلح بينهما فنهض ونهضت معه فجاء قوما من بني الديل بن بكر لم تركب النجائب نفاد فيهم
نكرونا فاكترى لهم راحلتين واغلاهم بها فقلت له استوضعهم شيئا او دعني اماكسهم فقد استطالوا
فقال لي ويحك اما علمت ان المكاس ليس من خلق الكرام وركب احدهما وركبت الاخرى فسار سيرا
شديدا فقلت له ارفق على نفسك فان ما تريد لا يفوتك فقال: ابادر حبل الود ان يتقضبا وما
ملح الدنيا ان يتم الصدع بين عمر والثريا فقدمنا مكة ليلا غير محرمين فدق على عمر بابه فخرج
اليه فسلم عليه ولم ينزل ابن ابي عتيق عن راحلته وقال لعمر اركب اصلح بينك وبين الثريا فانا
رسولك الذي سالت عنه فركب معه فقدمنا الطائف فقال ابن ابي عتيق للثريا هذا عمر قد جشمني
سفر المدينة اليك فجئتك به معترفا بذنب لم يجنه معتذرا من اساءة لم تكن اليه فدعيني من التعداد و
الترداد فانه من الشعراء الذين يقولون ما لا يفعلون فصالحته احسن صلح وكررنا الى المدينة
ولم يقم ابن ابي عتيق بمكة ساعة. وفي الثريا يقول عمر ايضا لما تزوجها سهيل بن عبد الرحمن بن عوف
المكنى بابي الابيض وقيل بل تزوجها سهيل بن عبد العزيز بن مروان

ايها المنكح الثريا سهيلا عمرك الله كيف يلتقيان
هي شامية اذا ما استقلت وسهيل اذا استقل يماني

مجلس آخر كد تأويل آية

ان سال سائل عن قوله تعالى فغشيهم من اليم ما غشيهم فقال ما الفائدة في قوله ما غشيهم وقوله غشيهم يدل
عليه ويستغنى به عنه لان غشيهم لا يكون الا للذي غشيهم وما الوجه في ذلك قلنا
قد ذكر في هذا اجوبة احدها ان يكون المعنى فغشيهم من اليم البعض الذي غشيهم لانه لم يغشهم
جميع مائه بل غشيهم بعضه فقال تعالى ما غشيهم ليدل على ان الذي غرقهم بعض الماء وانهم

لم يغرقوا بجميعه وهذا الوجه حكي عن الفراء وذكره ابو بكر بن الانباري واعتمده وغيره اوضح
منه واليم هو البحر قال الشاعر

وبنى تبع على اليم قصرا عاليا مشرفا على البنيان

وثانيها ان يكون المعنى فغشيهم من اليم ما غشي موسى واصحابه وذلك ان موسى عليه السلم واصحابه
وفرعون واصحابه سلكوا جميعا البحر وغشيهم كلهم الا ان فرعون وقومه لما غشيهم غرقهم وموسى عليه السلم
وقومه جعل لهم في البحر طريقا يبسا فقال تعالى فغشي فرعون وقومه من ماء اليم ما غشي موسى وقومه
فنجا هؤلاء وهلك هؤلاء وعلى هذا التاويل تكون الهاء والميم في قوله ما غشيهم كناية عن غير من كني
عنه بقوله فغشيهم لان الاولى كناية عن فرعون وقومه والثانية كناية عن موسى وقومه وثالثها
انه غشيهم من عذاب اليم واهلاكه لهم ما غشي الامم السالفة من العذاب والهلاك عند تكذيبهم انبياءهم
واقامتهم على ردّ اقوالهم والعدول عن ارشادهم والامم السالفة وان لم يغشهم العذاب والاهلاك
من قبل البحر فقد غشيهم عذاب واهلاك استحقوه بما بكفرهم وتكذيبهم انبياءهم فتشبه بينهم
وبين هؤلاء من حيث اشتمال العذاب على جميعهم عقوبة على التكذيب ورابعها ان يكون
المعنى فغشيهم من قبل اليم ما غشيهم من العطب والهلاك فتكون لفظة غشيهم الاولى للبحر والثانية
للهلاك والعطب اللذين لحقاهم من قبل البحر. ويمكن في الآية وجه آخر لم يذكر فيها وهو يشبه
مذاهب العرب في استعمال مثل هذا اللفظ وهو ان تكون الفائدة في قوله تعالى ما غشيهم تعظيم
الامر وتفخيمه كما يقول القائل فعل فلان ما فعل واقدم على ما اقدم اذا اراد التفخيم وكما قال تعالى
وفعلت فعلتك التي فعلت. ومما يجري هذا المجرى ويدخل في هذا الباب قولهم هذا انت وانت و
في القوم هم هم قال الهذلي

رفوني وقالوا يا خويلد لا ترع فقلت وانكرت الوجوه هم هم

وقال ابو النجم

انا ابو النجم وشعري شعري

الرجز

كل ذلك اذا ارادوا تعظيم الامر وتكبيره

تأويل آية أخرى

إن سأل سائل عن قوله تعالى فخر عليهم السقف من فوقهم فقال ما الفائدة في قوله من فوقهم وهو لا يفيد إلا ما يفيده قوله فخر عليهم السقف لان مع الاقتصار على القول الأول لا يذهب وهم أحد إلى أن السقف خر من تحتهم. الجواب قيل له في ذلك أجوبة: أولها أن يكون على بمعنى عن فيكون المعنى فخر عنهم السقف من فوقهم أي خر عن كفرهم وعن جحودهم بالله تعالى وآياته كما يقول القائل اشتكى فلان عن دواء شربه وعلى دواء شربه فيكون على بمعنى من أجل الدواء وكذلك يكون معنى الآية فخر من أجل كفرهم السقف من فوقهم قال الشاعر

أرمي عليها وهي فرع أجمع ... وهي ثلاث أذرع وإصبع

أراد أرمي عنها لان كلام العرب رميت عن القوس فأقام على مقام عن. والثاني أنه لو قال تعالى على هذا المعنى فخر عليهم السقف ولم يقل من فوقهم جاز أن يتوهم متوهم أن السقف خر وليسوا تحته. والثالث أن يكون بمعنى اللام والمراد فخر لهم السقف فإن على قد تقام مقام اللام. حكي عن العرب ما أغيظك علي وما أغمك علي يريدون ما أغيظك وأغمك لي وقال الطرماح يصف ناقة

كأن مخواها على ثفناتها ... معرس خمس وقعت للجناجن

أراد وقعت على الجناجن وهي عظام الصدر فأقام اللام مقام على. وقد يقول القائل أيضا تداعى على فلان داره واستهدم عليه حائطه ولا يريد أنه كان تحته فأخبر تعالى بقوله من فوقهم عن فائدة لولاه ما فهمت ولجاز أن يتوهم متوهم في قوله فخر عليهم السقف ما يتوهمه من قوله خرب عليه ربعه ووقفت عليه دابته وأشباه ذلك. وللعرب في هذا مذهب طريف لطيف لانهم لا يستعملون لفظة على في مثل هذا الموضع إلا في الشر والأمر المكروه الضار ويستعملون اللام وغيرها في خلاف ذلك ألا ترى أنهم لا يقولون عمرت على فلان ضيعته بدلا من قولهم خربت عليه ضيعته ولا ولدت عليه جاريته بل يقولون عمرت له ضيعته وولدت له جاريته وهكذا استعمالهم إذا قالوا قال علي وروى علي فإنه يقال في الشر والكذب وفي الخير والحق يقولون قال عني وروى عني ومثل ذلك قوله تعالى واتبعوا ما تتلوا

الشياطين على ملك سليمان لانهم لما أضافوا الشر والكفر إلى ملك سليمان حسن أن يقال تتلون عليه ولو كان خيرا لقيل عنه ومثله يقولون على الله الكذب وهم يعلمون وقوله تعالى أتقولون على الله ما لا تعلمون وقال الشاعر

عرضت نصيحة مني ليحيى ... فقال غششتني والنصح مر
وما بي أن أكون أعيب يحيى ... ويحيى طاهر الأخلاق بر
ولكن قد أتاني أن يحيى ... يقال عليه في بقعاء شر
فقلت له تجنب كل شيء ... يقال عليك إن الحر حر

ومثله قول الفرزدق في عنبسة بن معدان المعروف بعنبسة الفيل وقد كان يتتبع شعره ويخطئه ويلحنه

لقد كان في معدان والفيل زاجر ... لعنبسة الراوي علي القصائدا

فقال علي ولم يقل عني للمعنى الذي ذكرناه. والثالث من الوجوه في الآية أن يكون من فوقهم تأكيدا للكلام وزيادة في البيان كما قال تعالى ولكن تعمى القلوب التي في الصدور والقلب لا يكون إلا في الصدر ونظائر ذلك في الكتاب كثيرة

تأويل خبر

إن سأل سائل عن الخبر الذي يرويه نافع عن أبي إسحق الهجري عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن هذا القرآن مأدبة الله فتعلموا مأدبته ما استطعتم وإن أصفر البيوت لبيت أصفر من كتاب الله فقال ما تأويله وكيف بيان غريبه. الجواب قلنا المأدبة في كلام العرب هي الطعام يصنعه الرجل ويدعو الناس إليه فشبه النبي صلى الله عليه وآله ما يكتسبه الإنسان من خير القرآن ونفعه وعائدته عليه إذا قرأه وحفظه بما يناله المدعو من طعام الداعي وانتفاعه به يقال قد أدب الرجل يأدب فهو آدب إذا دعا الناس إلى طعامه ويقال للمأدبة المدعاة وذكر الأحمر أنه يقال فيها أيضا مأدبة بفتح الدال قال طرفة

نحن في المشتاة ندعو الجفلى ... لا ترى الآدب فينا ينتقر

ومعنى الجفلى أنه عم بدعوته ولم يخص بها قوما دون قوم والنقرى إذا خص بها بعضا دون بعض و

مغنٍ بغير من التقرّي قال بعض هذيل

ولَيلةٍ يصطلي بالفرث جازرها ... يختص بالنقرى المثرين داعيها

لا ينبح الكلب فيها غير واحدةٍ ... عند الصباح ولا تسري أفاعيها

معنى يصطلي بالفرث جازرها ان الجازر اذا شقّ الكرش ادخل يده لشدة البرد في الفرث مستدفئا به ومعنى يختص بالنقرى المثرين داعيها انه يخص بدعائه الى طعامه الاغنياء الذين يطمع من جهتهم في المكافاة وقال الآخر

قالوا اتلنا وخصب ومادبة ... وكل اياميه يوم الثلثاء وقال

الهذلي يصف عقابا

كان قلوب الطير في جوف وكرها ... نوى القسب يلقى عند بعض المادب

اراد جمع مادبة وقد روي هذا الحديث بفتح الدال المادبة وقال الاحمر المراد بهذه اللفظة مع الفتح هو المراد بها مع الضم وقال غيره المادبة بفتح الدال مفعلة من الادب معناه ان الله تعالى انزل القران ادبا للخلق وتقويما لهم وانما دخلت الهاء في مادبة ومادبة والقران مذكر بمعنى المبالغة كما قالوا هذا شراب مطيبة للنفس وكما قال عنترة

والكفر مخبثة لنفس المنعم ... وجميع ذلك يجري قولهم

رجل علّامة نسّابة في باب المدح على جهة التشبيه بالداهية ورجل هلباجة في باب الذم على جهة التشبيه بالبهيمة ويقال لطعام الاملاك الوليمة الطعام ولطعام العرس ولطعام الختان العذيرة

ولطعام بناء الدار الوكيرة ولطعام حلق الشعر العقيقة ولطعام القادم من سفره النقيعة ولطعام النفساء الخرس والذي تطعمه النفساء الخرسة قال الشاعر

اذا النفساء لم تخرّس ببكرها ... غلاما ولم يسكت بحتّ فطيمها — الحتّ الشيء القليل

وقال آخر

كل الطعام تشتهي ربيعة ... العرس والاعذار والنقيعة

ويروى الخرس ويُنشد ايضا في النقيعة قول الشاعر

انا لنضرب بالسيوف رؤوسهم ... ضرب القدار نقيعة القدام

فالقدار الجزار والقدام جمع قادم وقال ابو زيد يقال لطعام الاملاك النقيعة ولطعام بناء الدار

الزفاف

كانه يصف سنة وان النفساء المنفوسة بالبكر الغلام لا تخرّس ولا يسكت فطيمها باذني شي

رواه ابن الاعرابي النشند ... وهو القصيح

الوكيرة ولطعام الختان الاعذار والعذيرة وقال الفراء الشندخي طعام الاملاك والوليمة طعام العرس وقال ابو زيد يقال من النقيعة نقعت وقال الفراء يقال منها انقعت وقال ابن السكيت يقال للطعام الذي يتعلل به قدام الغداء السلفة واللهنة يقال لهنوا ضيفكم اي اطعموه اللهنة قال الشاعر

عجيز عارضها منفلّ ... طعامها اللهنة اذا اقلّ

وقال ابن السكيت يقال فلان ياكل الوزمة اذا كان ياكل اكلة في اليوم قال الاصمعي وفلان ياكل الوجبة اذا كان ياكل اكلة في اليوم والليلة قال بشار

فاشتغل بالوجبات عن ذهب لم ... يبق فيك لامري ذهب

وقال ابن السكيت قال الاصمعي لرجل اسرع في سيره كيف كان سيرك قال كنت آكل الوجبة واتجوّل الوقعة واعرّس اذا افجرت وارتحل اذا اسفرت واسير الوضع واجتنب الملع فجيتكم لمسي سبع قوله اتجوّل الوقعة معناه اقضي حاجتي مرة في اليوم وهو من النجود قوله اسير الوضع فالوضع سير فيه بعض الاسراع والملع سير اشد منه فاراد انه يجتنب الشديد من السير كراهة ان يقطع ظهره قبل ان يبلغ الارض التي يقصدها ويقال شر السير الحقحقة اي السير الشديد الذي يقطع صاحبه عن بلوغ بغيته قال الشاعر

اذا ما اردت الارض ثم تباعدت ... عليك فدع غظ المطية وانزل

اي استرح حتى تقوى على السير فان جهدت نفسك لم تقطع ارضا ولم تبق ظهرا وهذا من ابيات المعاني التي يسال عنها والذي قيل فيه ما ذكرناه ويمكن ايضا ان يكون معنى البيت اذا بعدت عليك ارض فدعها واسل عنها كما يقال دع اما عن مطالبة الصعب وما جرى مجرى ذلك من الفاظ التسلية والامر بالعدول عن تتبع ما صعب من الامور وقال الآخر في معنى البيت الاول

تقطع بالنزول الارض عنا ... وبعد الارض يقطعه النزول

وقوله جيتكم لمسي سبع معناه لمساء سبع ليال ويقال للذي يحضر طعام القوم من غير ان يدعوه اليه الوارش والواغل وقول العامة طفيلي مولّد لا يوجد في العتيق من كلام العرب واصل ذلك ان رجلا يقال له طفيل كان بالكوفة لا يفقد من وليمة من غير ان يدعى اليها فقيل للوارش طفيلي تشبيها

مثله ارخص ما يكون النفط اذا غلا يعني انه لا يشترى فيكون رخيصا

يطفيل هذا الى وقته ويقال للذي يحضر شراب القوم من غير ان يدعى اليه واغل قال امرؤ القيس

فاليوم فاشرب غير مستحقب اثما من الله ولا واغل

ويقال لما يشربه الواغل الوغل قال الشاعر

ان اك مسكيرا فلا اشرب الوغل ولا يسلم مني البعير

وقوله صلى الله عليه وسلم ان اصفر البيوت لبيت اصفر من كتاب الله معناه ان اخلى البيوت والصفر عند العرب الخالي من الآنية وغيرها ويمكن في قوله مأدبة وجه آخر وهو ان يكون وجه التشبيه للقرآن بالمأدبة وتسميته بها من حيث دعا الخلق اليه وامرهم بالاجتماع عليه فسماه عليه السلم مأدبة لهذا الوجه لان المأدبة هي التي يدعى الناس اليها ويجمعون عليها وهذا الوجه خالف الاول لان الاول تضمن ان وجه التشبيه من حيث النفع العائد على الحافظ للقرآن كما ينتفع المدعو الى المأدبة بما يصيبه من الطعام وهذا الوجه الآخر تضمن ان التشبيه وقع لاجتماع الناس في الدعاء اليه والارشاد الى اصابته وليس يبعد ان يريد عليه السلم بالخبر المعنيين معا فلا تنافي بينهما

اخبرنا ابو الحسن علي بن محمد الكاتب قال اخبرنا ابن دريد قال اخبرنا ابو حاتم قال كنا في مجلس الاصمعي اذ اقبل اعرابي فقال ابن عبدكم فاشرنا الى الاصمعي فقال له ما معنى قول الشاعر

لا مال الا العطاف تؤزره ام ثلاثين وابنة الجبل

لا يرتقي النز في ذلاذله ولا يعدي نعليه من بلل

فقال الاصمعي

عصرته نطفة تضمنها لصب تلقى مواقع السبل

او وجبة من جناة اشكلة ان لم يرعها بالقوس لم تنل

(حاشية: ان لم يرعها — رائع اليه اي مال ويرعها اي يرح اليها فاوصل الفعل)

قال فادبر الاعرابي وهو يقول لم ار كاليوم عضلة. قال ابن دريد انما وصف رجلا خائفا في راس جبل يقول لا مال له الا العطاف وهو السيف تؤزره ام ثلاثين يعني كنانة فيها ثلاثون سهما وابنة الجبل يعني القوس لانها تعمل من شجر الجبال مثل النبع وغيره وقوله لا يرتقي النز في ذلاذله لانه في راس جبل فلا نز هناك يتعلق بما يفضل من ثيابه ولا يبل نعليه عنها والعصرة الملجأ والنطفة الماء المجتمع في صخر او غيره من بقية ماء المطر واللصب الشق في الجبل اضيق من اللهب واوسع من الشقب والسبل المطر والوجبة الا

(حاشية: اصل العطاف الرداء فجعله كناية عن السيف)

يا كل كل يوم مرة والاشكل السدر الجبلي واحدته اشكلة يقول فهذه النطفة والوجبة من الاشكلة عصرتاه وقوله ان لم يرعها بالقوس يعني انها لا تنال باليد حتى تحرك بالقوس قال السيد قدس الله روحه وانما جعل الاصمعي انشاد باقي الابيات دلالة على انه عارف معناها لانه يبعد ان يعرفها ولا يعرف معناها فان الاعرابي انما سال عن معناها فاقام انشاده لها مقام تفسيرها فاستغنى الاعرابي بذلك وعلم بانه لم يأت بها الا بعد معرفته بمعناها. وكان الاصمعي كثيرا اذا انشد شيئا من الشعر يستشهد في معناه في الحال من ذلك ان اسحق بن ابراهيم الموصلي انشده يوما لنفسه

اذا كانت الاحرار اصلي ومنصبي ودافع ضيمي خازم وابن خازم

عطست بانف شامخ وتناولت يداي الثريا قاعدا غير قائم

قال فلما فرغ من انشادهما انشد بعقب ذلك

الا ايها السائلي جاهلا ليعرفني انا انف الكرم

نمت في الكرام بنو عامر فروعي واصلي قريش العجم

(حاشية: في الكرام بني)

قال فجاء والله بالشعر الذي يحوته وعملت بيتي عليه. واخبرنا ابو عبد الله المرزباني قال حدثنا محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا عون بن محمد قال حدثنا اسحق بن ابراهيم قال ما انشدت الاصمعي شيئا قط الا انشدني مثله كانه اعده لي فانشدته يوما للاعشى

علقتها عرضا وعلقت رجلا غيري وعلق اخرى غيرها الرجل

(حاشية: اخرى)

فانشدني من وقته

تعلقتك اخت بني لؤي اذ رميت واصاب نبلك اذ رميت سواها

واعارها الحدثان منك مودة واعار غيرك ودها وهواها

وذكر ابو العيناء قال كان الاصمعي اذا سمع انسانا ينشد شعرا في معنى انشد في ذلك المعنى من غير ان يريه انه اراده فانشده رجل قول القطامي

والناس من يلق خيرا قائلون له ما يشتهي ولام المخطئ الهبل

فانشد هو قول معنب الفزاري

فمن يلق خيرا يحمد الناس امره ومن يغو لا يعدم على الغي لائما

(حاشية: عز المعنى)

وروى ميمون بن هرون قال سمعت اسحق بن ابرهيم يقول انشدت الاصمعي قول الاعشى طلبا ان ينشدني
مثله وكان مع بخله بالعلم لا يبض بمثل هذا

ان تركبوا فركوب الخيل عادتنا او تنزلون فانا معشر نزل

فانشدني لربيعة بن مقروم الضبي

ولقد شهدت الخيل يوم طرادها بسليم اوظفة القوائم هيكل
فدعوا نزال فكنت اول نازل وعلام اركبه اذا لم انزل

وروى عن اسحق بن ابرهيم ايضا انه قال دخل الي يوما الاصمعي وعندي اخ للعماني الراجز حافظ
راوية فلما دخل عبث به اخو العماني فقال له من هذا فقال هو الباهلي الذي يقول

فما صفحة مادومة بابها له باطيب من فيها ولا قط رطب

فقال له قبل ان يستتم الكلام هو على كل حال اصلح من قول الحبك العماني

يا رب جارية حوراء ناعمة كانها عومة في جوف راقود

قال اسحق فقلت له اكنت اعددت هذا الجواب قال لا ولكن ما من شي الا وانا اعرف منه طرفا

مجلس اخر **تاويل اية** ان سال سائل عن قوله تعالى وقالت
اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بافواههم فقال اي معنى لقوله بافواههم
ومعلوم ان القول لا يكون الا بالافواه **الجواب** قلنا القول يحتمل معنيين في لغة العرب احدهما
القول باللسان والاخر القول بالقلب فالقول الذي يضاف الى القلب هو الظن والاعتقاد ولهذا المعنى
ذهبت العرب بالقول مذهب الظن فقالوا اتقول عبد الله خارجا ومتى تقول محمدا منطلقا يريدون متى
تظن قال الشاعر

اما الرحيل فدون بعد غد فمتى تقول الدار تجمعنا

اراد فمتى تظن وقال الاخر

اجهالا تقول بني لؤي لعمر ابيك ام متجاهلينا

اراد تظن بني لؤي وقال توبة بن الحمير

الا يا صفي النفس كيف تقولها لو ان طريدا خائفا يستجيرها
تخبر ان شطت بها غربة النوى ستنعم ليلى او يفك اسيرها

اراد كيف تظنها فلما كان القول يستعمل في الامرين معا افاد قوله تعالى بافواههم قصر المعنى على ما يكون
باللسان دون القلب ولو اطلق القول ولم يات بذكر الافواه لجاز ان يتوهم المعنى الاخر ومما يشهد لذلك قوله تعالى
اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين
لكاذبون فلم يكذبهم الله تعالى في قول السنتهم لانهم لم يخبروا بافواههم الا بالحق بل كذب ما يرجع الى قلوبهم
من الاعتقادات **ووجه اخر** وهو ان تكون الفائدة في قوله تعالى بافواههم ان القول لا برهان عليه وانه
باطل كذب لا يرجع فيه الا الى قول مجرد باللسان لان الانسان قد يقول بلسانه الحق والباطل وانما يكون
قوله حقا اذا كان راجعا الى برهان فيكون اضافة القول الى اللسان تقتضي ما ذكرناه من الفائدة وهذا كما
يقول القائل لمن يشك في قوله او يكذبه هكذا تقول وليس اللسان فيما تقوله وتتفوه به وتقلب به لسانك
فكانهم ارادوا ان يقولوا هذا قول لا برهان عليه فاقاموا قولهم هكذا تقول بلسانك وانما يقولون كذا
بافواههم مقام ذلك والمعنى انه قول لا تعضده حجة ولا برهان ولا يرجع فيه الا الى اللسان **ووجه
اخر** وهو ان تكون الفائدة في ذلك التاكيد فقد جرت به عادة العرب في كلامها وما تقدم من الوجهين
اولى لان حمل كلامه تعالى على الفائدة اولى من حمله على ما تسقط معه الفائدة

تاويل اية اخرى ان سال سائل عن قوله تعالى الم ياتكم نبا الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود و
الذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا ايديهم في افواههم فقال اي معنى لرد
الايدي في الافواه واي مدخل لذلك في التكذيب بالرسل عليهم السلم **الجواب** قلنا في ذلك
وجوه **اولها** ان يكون اخبارا عن القوم بانهم ردوا ايديهم في افواههم عاضين عليها غيظا وحنقا
على الانبياء كما يفعل المنوع عن لغيره المبالغ في معاندته ومكابرته وهذه عادة معروفة في المغيظ
المحنق انه يعض على اصابعه ويفرك انامله ويضرب باحدى يديه على الاخرى وما شاكل ذلك من
الافعال **وثانيها** ان تكون الهاء في الايدي للكفار المكذبين والهاء التي في الافواه للرسل
عليهم السلم فكانهم لما سمعوا وعظ الرسل ودعاءهم وانذارهم اشاروا بايديهم الى افواه الرسل

وثالثها ان تكون الهاء التي في
ما نعيبهم من الكلام كما يفعل المسكت منا لصاحبه والمراد بقوله
الايدي والتي في الافواه معا للرسل والمعنى انهم كانوا ياخذون ايدي الرسل فيضعونها على افواههم ليسكتوهم
ويقطعوا كلامهم ورابعها ان تكون الهاءان جميعا ترجعان الى الكفار لا الى الرسل فيكون المعنى انهم اذا
سمعوا وعظهم وانذارهم وضعوا ايديهم انفسهم على افواههم مشيرين لهم بذلك الى الكف عن الكلام والامساك
عنه كما يفعل من يريد منا تسكيت غيره ومنعه عن الكلام من وضع اصبعه على في نفسه وخامسها
ان يكون المعنى فردوا القول ايدي انفسهم الى افواه الرسل اي انهم كذبوهم ولم يصغوا الى اقوالهم فالهاء الاولى
للقوم والثانية للرسل والايدي انما ذكرت مثلا وتاكيدا كما يقول القائل اهلك فلان نفسه بيده اي وقع
الهلاك به من جهته لا من جهة غيره وسادسها ان المراد بالايدي النعم وفي تحويله على الباء والهاء الثانية في
للقوم المكذبين والتي قبلها للرسل والتقدير فردوا بافواههم نعم الرسل اي ردوا وعظهم وانذارهم و
تنبيههم على مصالحهم الذي لو قبلوه لكان نعما عليهم ويجوز ايضا ان تكون الهاء التي في الايدي للقوم الكفار
لانها نعم من الله تعالى عليهم فيجوز اضافتها اليهم وحمل لفظه في على الباء جائز لقيام بعض الصفات مقام بعض
يقولون رضيت عنك ورضيت عليك وحكي في لغة طيء ادخلك الله بالجنة يريدون في الجنة فيعبرون
بالباء عن معنى في كذلك ايضا يصح ان يعبر وا بفي عن الباء وقال الشاعر
وارغب فيها عن لقيط ورهطه ولكنني عن سنبس لست ارغب
اراد وارغب بها فحمل في على الباء وسابعها وهو جواب اختاره ابو مسلم بن بحر وزعم انه اولى من غيره
ان المراد بالايدي ها هنا ما نطق به الرسل من
الحجج والبينات التي ذكر الله تعالى انهم جاؤا بها قومهم واليد في كلام العرب قد يقع على النعمة وعلى السلطان
ايضا وعلى الملك وعلى العهد وعلى العقد ولكل ذلك شاهد من كلامهم والذي اتى به الانبياء قومهم هو الحجة
والسلطان وهو النعمة وهو العهد وكل ذلك يقع عليه اسم اليد ولما كان ما يعظ به الانبياء قومهم ويبذرونهم
به انما يخرج من افواههم فردوه وكذبوهم قيل انهم ردوا ايديهم في افواههم اي انهم ردوا القول

يمكن ان يحمل الضميران جميعا للرسل عليهم السلام على معنى انهم لما لم يقبلوا وعظهم وانذارهم ردوا الرسل ايديهم في افواههم اي اقوالهم العظيمة اشارة الى انا قد سكتنا فافعلوا ما شئتم تهديدا وتوبيخا

بافواههم

من حيث جاء قال ولا يجوز ان يكون الضمير في ذلك للرسل اليهم كما تاوله بعض المفسرين وذكر ان معناه عضوا
عليهم انامل غيظا لان رافع يده الى فيه والعاض عليها لا يسمى رادا ليده الى فيه الا اذا كانت يده في فيه
فيخرجها ثم يردها قال السيد رضي الله عنه وليس ما استنكره ابو مسلم بمستنكر ولا بعيد لانه
قد يقال رد يده الى فيه والى وجهه وعاد فلان يقول كذا ورجع يفعل كذا وان لم يتقدم ذلك الفعل و
لو لم يسغ هذا القول تحقيقا لساغ تجوزا واتساعا وليس يجب ان نوخذ العرب بالتحقيق في كلامها فان
تجوزها واستعمالها اكثر على انه يمكن ان يكون المراد بذلك انهم فعلوا ذلك الفعل شيئا بعد شيء وتكرر
منهم فلهذا جاز ان يقول ردوا ايديهم في افواههم لانه قد تقدم منهم مثل هذا الفعل فلما تكرر جازت العبارة
عنه بالرد وهذا يبطل استضعافه للجواب اذا ضمنا الى مراده

تاويل خبر

روي ان مسلما الخزاعي ثم المصطلقي قال شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد انشده منشد قول سويد بن
عامر المصطلقي

لا تامنن وان امسيت في حرم ان المنايا بجنبي كل انسان
واسلك طريقك تمشي غير مختشع حتى تبين ما يمني لك الماني
فكل ذي صاحب يوما مفارقه وكل زاد وان ابقيته فان
والخير والشر مقرونان في قرن بكل ذلك ياتيك الجديدان

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ادركته لاسلم فبكى مسلم فقال له ابنه يا ابه ما يبكيك من مشرك مات
في الجاهلية فقال يا بني لا تفعل فما رايت مشركة تلقفت من مشرك خيرا من سويد قوله ما يمني لك الماني
معناه ما يقدر لك القادر قال الفراء يقال منى الله عليه الموت اي قدر عليه الموت وقال يعقوب منى لك الله
بما يسرك اي قدر لك ما يسرك وانشد

لعمر ابي عمرو لقد ساقه المنى الى جدث يوزى له بالاهاضب

قال ابن الاعرابي ساقه المنى اي ساقه القدر وانشد ابن الاعرابي

منت لك ان تلاقيني المنايا احاد احاد في الشهر الحلال
معناه قدرت لك

وقال ابو عبيدة في قوله تعالى من نطفة اذا تمنى معناه اذا تخلق وتقدر وقال بعض اهل اللغة
انما سمي منا لما يمنا فيه من ثواب الله تعالى اي يقدر وقيل ايضا لما يمنى فيه من الدم وقيل
انما سمي بذلك لان ابرهيم عليه السلم لما انتهى اليه قال له الملك تمن قال اتمنى الجنة فسمي منى
لاجل ذلك ومنى تذكر وتؤنث والتذكير اجود قال الشاعر في التذكير

سقى منى ثم رواه وساكنه ومن ثوى فيه واهي الودق منبعق

وقال الآخر في التانيث

ليومنا بمنى اذ نحن ننزلها اسر من يومنا بالعرج او ملل

فاما قوله والخير والشر مقرونان في قرن فالقرن الحبل واراد انهما مجموعان لا يفترقان من حيث
لا يكاد يصيب الانسان في الدنيا خير صرف لا شر فيه فلهذا قال انهما مقرونان ويجوز ايضا ان
يريد ان لسرعة تقلب الدنيا وابدالها الخير بالشر كان الخير والشر مقرونان مجموعان معا
لتقارب ما بينهما • فاما الجديدان فهما الليل والنهار ومثلهما ايضا الاجدان والملوان والفتيان و
الردفان والعصران قال الشاعر

ان الجديدين في طول اختلافهما لا يفسدان ولكن يفسد الناس

وقال الآخر

واماطله العصرين حتى يملني ويرضى بنصف الدين والانف راغم

قال ابو عبيدة ويقال لليل والنهار ابنا سبات وانشد ابن الاعرابي

وكنا وهم كابني سبات تفرقا سوى ثم كانا منجدا وتهاميا

ويقال للغداة والعشي القرنان والبردان والصرعان • اخبرنا ابو القسم عبيد الله بن عثمن
بن يحيى جميعا قال اخبرنا ابو عبد الله محمد بن احمد الحكيمي قال املى علينا ابو العباس احمد بن يحيى
ثعلب النحوي قال انشدنا ابن الاعرابي لرفيع الوالبي

كذبتك ما وعدتك نفس صلاح ورجعت يكون لها وعدن نجاح
برء من السقم الطويل ضمانه لا يشتكي سقما بكم وصحاح

اصلاح اني قد رميت نوافذا وجوانفا ليست لهن جراح
ولقد رايتك بالقوادم مرة وعلي من سدف العشي رياح

معنى رياح ها هنا اي على وقت من العشي ومثله رواح وقوم يروونه بالكسر وليس بشيء

ما كان ابصرني بغرات الصبى فاليوم قد شغفت لي الاشباح
ومشى بجنب الشخص شخص مثله والارض نابية الشخوص براح
حلق الحوادث لمتي فتركن لي راسا يصل كانه جماح
وذكا باصداغي وفرقي ذو ابي قبس المشيب كانه مصباح

قوله كانه جماح من ابتلائه وجماح سهم او قصبة يجعل عليه طين ثم يرمى به الطير وبهذا
الاسناد لبعضهم

ارى الناس للصعلوك حربا ولا ارى لهوى نسيبا للخليل المصافيا
ارى المال يغشى ذا الوضوم فلا ترى ويدعى من الاشراف من كان غانيا

الصعلوك الفقير ومثله ايضا القرضوب والشبروث والوضوم العيوب وبهذا الاسناد
لعقيل بن علفة

اني ليحمدني الخليل اذا اجتدى مالي ويكرهني ذوو الاضغان
وابيت يخلجني الهموم كانني دلو السقاة تمد بالاشطان
واعيش بالبلل القليل وقد ارى ان الرووس مصارع الفتيان

واخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثني علي بن ابي منصور قال اخبرني محمد بن موسى عن دعبل بن
علي قال قال عقيل بن علفة وذكر الابيات الثلثة وزاد فيها

ولقد علمت لئن هلكت لتذكرن قومي اذا علق النجي مكاني

قال السيد قدس الله روحه وكان عقيل بن علفة مع قوة شعره جيد الكلام حكيم الالفاظ
وروى المدائني قال قال عبد الملك بن مروان لعقيل بن علفة المري ما احسن اموالكم فقال ما ناله
احدنا عن صاحبه تفضلا قال ثم ايها قال هو ان تجنا قال فايها شر قال ما استفدناه بوقعه

خولت نعمًا وافادت عزًّا قال فما مبلغ عزكم قال ما لم يطمع فينا ولم يؤمن قال فما مبلغ جودكم قال ما
عقدنا يومينا وابقينا به ذكرًا قال فما مبلغ حفاظكم قال يدفع كل رجل منا عن المستجير به كدفاعه عن
نفسه فقال عبد الملك هكذا فليصف الرجل قومه وروى انه قيل لعقيل بن علفة قد عنست بناتك اوما
تخشى عليهن الفساد قال كلا انى خلفت عندهن الحافظين قيل وما هما قال الجوع والعري اجيعهن فلا يأشرن
واعريهن فلا يظهرن وقال له عبد الملك يومًا ما لك تهجو قومك قال لانهم اشباه الغنم اذا اصبح بها ذهبت
واذا سكت عنها ربعت قال انما تقول البيت والبيتين قال حسبي من القلادة ما احاط بالعنق فاما معنى
علفة اسم ابيه فان ابن الاعرابي قال العلفة مثل الباقلاء الرطبة تكون تحت الزهر من البقل وغيره
وقال ابو سعيد السكري العلفة ضرب من اوعية بزر بعض النبات مثل قشرة الباقلي واللوبيا وهو
الغلاف الذي يجمع عدة حب وقيل ان عقيلا كان يكنى بابي الوليد وكان عقيل غيورًا موصوفًا بشدة
الغيرة وروى ابو عمرو بن العلاء انه حمل يومًا ابنة له وانشا يقول

انى وان سيق الى المهر ... الف وعبدان وذود عشر
احب اصهارى الى القبر

وذكر الاصمعي ان عقيلا كان لغيرته اذا راى الرجل يتحدث الى النساء اخذه ودهن ارفاغه ومغابنه
بزبد ودبطه وطرحه في قرية النمل فلا يعود الى محادثتهن وروى الاصمعي قال كان عقيل بن علفة
في بعض سفره ومعه ابنه العملس وابنته الجرباء فانشا يقول

قضت وطرًا من دير سعد وربما ... على عجل ناطحنه بالجماجم

ثم اقبل على ابنه فقال اجز يا عملس فقال

واصبحن بالموماة يحملن فتية ... نشاوى من الادلاج ميل العمائم

ثم اقبل على ابنته فقال اجيزي يا جرباء فقالت

كان الكرى سقاهم صرخدية ... عقارًا تمشت في المطا والقوائم

قال فاقبل على ابنته يضربها ويقول والله ما وصفتها بهذه الصفة حتى شربتها فوثب عليه اخوها فقاتله

عنست بناتك

في معناه اكرم ... اغزوا النساء يلزمن الحجال

ذو نهاية رماه احدهم بسهم فانتظم فخذيه فقال عقيل

ان بني رملوني بالدم ... من يلق ابطال الرجال يكلم
ومن يكن ذا اود يقوم ... شنشنة اعرفها من اخزم

الشنشنة الطبيعة والسجية وقيل الشبه وهذا مثل اجتلبه عقيل وقد قيل قبله والعقيل

وللدهر اثواب فكن في ثيابه ... كلبسته يومًا اجد واخلقا
وكن اكيس الكيسى اذا كنت فيهم ... وان كنت في الحمقى فكن انت احمقا

لباسه

مجلس آخر ٦٦ تأويل آية

ان سال سائل عن قوله تعالى
والى الله ترجع الامور فقال كيف يصح القول بانها ترجع اليه وهى لم تخرج عن يده الجواب
قلنا قد ذكر في ذلك وجوه احدها ان الناس في دار المحنة والتكليف قد يغتر بعضهم ببعض فيعتقدون
فيهم انهم يملكون جر المنافع اليهم وصرف المضار عنهم وقد تدخل عليهم الشبه لتقصيرهم في النظر وعدولهم
عن وجهه وطريقه فيعبد قوم الاصنام وغيرها من المعبودات الجامدة الهامدة التي لا تسمع ولا تبصر و
يعبد اخرون البشر ويجعلونهم شركاء لله تعالى في استحقاق العبادة ويضيف كل هؤلاء افعال الله تعالى
فيهم الى غيره فاذا جاءت الآخرة وانكشف الغطاء واضطروا الى المعارف زال ما كانوا عليه في الدنيا
من الضلال واعتقاد الباطل وايقن الكل انه لا خالق ولا رازق ولا ضار ولا نافع غير الله تعالى فردوا اليه
امورهم وانقطعت آمالهم من غيره وعلموا ان الذي كانوا عليه من عبادة غيره وتاميله للنفع والضر غرور
وزور فقال تعالى والى الله ترجع الامور لهذا المعنى والوجه الثاني ان يكون معنى الآية ان الامور
كلها لله تبارك وتعالى وفي يده وقبضته من غير خروج ورجوع حقيقي وقد تقول العرب قد رجع على
من فلان مكروه بمعنى صار الي منه ولم يكن سبق مكروه الي قبل هذا الوقت وكذلك قد يقولون قد عاد
علي من زيد كذا وكذا وان لم يقع منه على سبيل الابتداء قال الشاعر

فان تكن الايام احسن مرة ... الي فقد عادت لهن ذنوب

اى صارت لهن ذنوب لم تكن من قبل بل كان قبلها احسان فحمل الآية على هذا المعنى سائغ جائز تشهد له اللغة

انا قد علمنا

والوجه الثالث أن الله تعالى قد ملّك العباد في دار التكليف أمورا تنقطع بانقطاع التكليف وافضاء
الأمر إلى الدار الآخرة مثل ما ملكه الموالي من العبيد وما ملكه الحكام من الحكم وغير ذلك فيجوز أن يريد الله تعالى
برجوع الأمور إليه انتهاء ما ذكرناه من الأمور التي ملكها غيره بتمليكه إلى أن يكون هو وحده مالكها ومدبرها
ويمكن في الآية وجه آخر وهو أن يكون المراد بها أن الأمر ينتهي إلى أن لا يكون موجود قادر غيره ويفضي الأمر
في الانتهاء إلى ما كان عليه في الابتداء لأن قبل انشاء الخلق هكذا كانت الصورة وبعد افنائهم هكذا تصير و
تكون الكناية برجوع الأمور إليه عن هذا المعنى وهو رجوع حقيقي لأنه عاد إلى ما كان عليه متقدما ويحتمل
أيضا أن المراد بذلك أن إلى قدرته تعود المقدورات لأن ما افناه من مقدوراته الباقية كالجواهر والأعراض
الباقية يرجع إلى قدرته ويصح منه تعالى ايجاده لعوده إلى ما كان عليه وإن كان ذلك لا يصح في مقدورات
البشر وإن كانت باقية لما دل عليه الدليل من اختصاص مقدورات القدر باستحالة العود عليها من حيث لم
يجز فيها التقديم والتأخير وهذا أيضا حكم هو تعالى المنفرد به دون سائر القادرين والله أعلم بما أراده

تأويل آية أخرى

إن سأل سائل عن قوله تعالى وليس البر بأن تأتوا البيوت
من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها فقال أي معنى لذكر البيوت وظهورها وأبوابها
وهل المراد بذكر البيوت المسكونة على الحقيقة أو كنى بهذه اللفظة عن غيرها فإن كان الأول فما الفائدة
في إتيانها من أبوابها دون ظهورها وإن كانت كناية فبينوا وجهها ومعناها. الجواب قيل في
الآية وجوه أولها ما ذكر من أن الرجل من العرب كان إذا قصد حاجة فلم تقض له ولم ينجح فيها رجع
فدخل من مؤخر البيت ولم يدخل من بابه تطيرا فاعلمهم الله تعالى أن هذا من فعلهم لا بر فيه وأمرهم من التقى
بما ينفعهم ويقربهم إليه وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التطير وقال لا عدوى ولا طيرة ولا
هامة ولا صفر أي لا يعدي شيء شيئا وقال عليه السلم لا يوردن ذو عاهة على مصح ومعنى هذا الكلام
أي من لحقت إبله آفة أو مرض فلا ينبغي أن يوردها على إبل غيره صحاح لأنه متى لحق الصحاح مثل هذه
الآفة اتفاقا فلأجل العدوى لم يؤمن من صاحب الصحاح أن يقول إنما لحق إبلي هذه الآفة من تلك الإبل

ويقول أعدت إبلي فنهى النبي صلى الله عليه وسلم من هذا الإيراد لما لم يتأثم عن الغير بقبح والظن القبيح وثانيها
أن العرب إلا قريشا ومن ولدته قريش كانوا إذا أحرموا في غير الأشهر الحرم لم يدخلوا بيوتهم من أبوابها و
دخلوها من ظهورها إذا كانوا من أهل الوبر وإذا كانوا من أهل المدر نقبوا في بيوتهم ما يدخلون ويخرجون
منه ولم يدخلوا ولم يخرجوا من أبواب البيوت فنهاهم الله تعالى عن ذلك وأعلمهم أنه لا معنى له وأنه ليس من
البر وأن البر غيره وثالثها وهو جواب أبي عبيدة معمر بن المثنى أن المعنى ليس البر بأن تطلبوا
الخير من غير أهله وتلتمسوه من غير بابه وأتوا البيوت من أبوابها معناه واطلبوا الخير من وجهه و
من عند أهله ورابعها وهو جواب أبي علي الجبائي أن تكون الفائدة في هذا الكلام ضرب
المثل وأراد ليس البر أن تأتي الرجل المبتغي من خلاف جهته لأن إتيانه من خلاف جهته تخرج الفعل
عن حد الصواب والبر إلى الإثم والخطأ وبين أن البر التقوى وأمر بإتيان الأمور من وجوهها و
أن تفعل على الوجوه التي لها وجبت وحسنت وجعل تعالى ذكر البيوت وظهورها وأبوابها مثلا لأن
العادل في الأمر عن وجهه كالعادل في البيت عن بابه. وخامسها أن تكون البيوت كناية عن النساء
ويكون المعنى وأتوا النساء من حيث أمركم الله والعرب تسمي المرأة بيتا قال الشاعر

ما لي إذا انزعها صأيت ... أكبر غيّرني أم بيت

أراد بالبيت المرأة. ومما يمكن أن يكون شاهدا للجواب الذي ذكرناه عن أبي علي الجبائي والجواب عن
أبي عبيدة أيضا ما أخبرنا أبو القسم عبيد الله بن عثمن بن يحيى قال أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أحمد الحكيمي قال
أملى علينا أبو العباس أحمد بن يحيى النحوي قال أنشدنا ابن الأعرابي

لقد عجبت لأم الغمر إذ هزئت ... من شيب رأسي وما بالشيب من عار
ما شقوة المرء بالإقتار يقتره ... ولا سعادته يوما بإكثار
إن الشقي الذي في النار منزله ... والفوز فوز الذي ينجو من النار
أعوذ بالله من أمر يزين لي ... شتم العشيرة أو يدني من العار

ارتزعها القمه كانه للدلو الذي يستقى بها وقيل [illegible]

حكاية

يروى لام العمر بالمهملة

وخير دنيا تنسي امر آخرة وسوف يبدي لي الجبار اسراري
ولا ادخل البيت احبو من مؤخره ولا اكسر في ابن العم اظفاري

فقوله لا ادخل البيت احبو من مؤخره يحتمل ان يريد به انني لا آتي الامور من غير وجوهها على احد الاوجه في الآية؛ ويحتمل ايضا انني لا اطلب الخبر الامر من غير اهله على جواب ابي عبيدة؛ ويحتمل وجها آخر وهو ان يريد انني لا اقصد البيت للريبة والفساد لان من شان من يسعى الى فساد الحرم ويقصد البيوت للريبة ان يعدل عن ابوابها طلبا لاخفاء امره فكانه نفى عن نفسه بهذا القول القبيح ونزه عنه كما نزه بقوله ولا اكسر في ابن العم اظفاري عن مثله واراد انه لا يؤذي ابن العم ولا يناله بشيء من جهتي فاكون كانني قد جرحته باظفاري وكسرتها في لحمه وهذه كنايات بليغة مشهورة للعرب؛ ويجري مجرى هذه الابيات ويقاربها في المعنى وحسن الكناية قول هلال بن خثعم

واني لعف عن زيارة جارتي واني لمشنوء الي اغتيابها
اذا غاب عنها بعلها لم اكن لها زؤورا ولم تنبح علي كلابها
وما انا بالداري احاديث بيتها ولا عالم من اي حوك ثيابها
وان قراب البطن يكفيك ملؤه ويكفيك سوءات الامور اجتنابها

قال السيد قدس الله روحه وقد جمعت هذه الابيات ضروبا عجيبة وكنايات بليغة لانه نفى عن نفسه زيارته لجارته عند غيبة بعلها وخص حال الغيبة لانها ادنى الى الريبة واحق بالتهمة وقال ولم تنبح علي كلابها اراد انني لا اطرقها ليلا ومستخفيا متنكرا فتنكرني كلابها وتنبحني وهذه الكناية تجري مجرى قول الشاعر المتقدم ولا ادخل البيت احبو من مؤخره وقد روي ولم تانس الي كلابها وهذا معنى آخر كانه اراد لست بكثير الطروق لها والغشيان لمنزلها فتانس بي كلابها لان الانس لا يكون الا مع المواصلة والمواترة وقوله وما انا بالداري احاديث بيتها يحتمل ان يريد به ايضا تاكيد نفي زيارتها وطروقها عن نفسه لانه اذا ادمن الزيارة علم احاديث بيتها واذا لم يزرها وصار منها لم يعرف؛ ويحتمل ان يريد انني لا اسال عن اخبارها واحاديثها كما يفعل اهل الفضول فنزه نفسه عن ذلك؛ وقوله ولا عالم من اي حوك ثيابها كناية مليحة عن انه لا يجتمع معها ولا يقرب منها فيعرف صفة ثيابها؛ وبالاسناد المتقدم لحارثة بن بدر الغداني

اذا الهم امسى وهو داء فامضه ولست بممضيه وانت تعادله
ولا تنزلن امر الشديدة بامرئ اذا هم امرا عوقته عواذله
فما كل ما حاولته الموت دونه ولا دونه ارصاده وحبائله
وما الفتك امر فيه ولا الذي تحدث من لاقيت انك فاعله
وما الفتك الا لامرئ ذي حفيظة اذا صال لم ترعد عليه خصائله
ولا تجعلن سرا الى غير اهله فتقعد ان افشى عليك تجادله
ولا تسال المال البخيل ترى له غنى بعد ضر او رشته اوائله
ارى المال افياء الظلال فتارة يؤوب واخرى يخبل المال خابله

معنى آمرت شاورت والخصائل كل لحم مجتمع؛ وقد روينا في هذه الابيات زيادة على القدر الذي ذكرناه؛ اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن العباس قال حدثني المفضل بن محمد عن ابي المنهال المهلبي قال من الابيات السائرة قول حارثة بن بدر الغداني

لعمرك ما ابقى لي الدهر من اخ حفي ولا ذي خلة لي اواصله
ولا من خليل ليس فيه غوائل فشر الاخلاء الكثير غوائله
وقل للفؤاد ان نزا بك نزوة من الروع افرخ اكثر الروع باطله

معنى افرخ اسكن يقال افرخ روعه اذا سكن؛ وذكر البيتين بعده وزاد

وما كل ما حاولته الموت دونه

وكن انت ترعى سر نفسك واعلمن بان قليل الناس بالسر حامله
اذا ما قتلت الشيء علما فبح به ولا تقل الشيء الذي انت جاهله

ومما يستحسن لحارثة بن بدر قوله

لنا نبعة كانت تقينا فروعها فقد بلغت الا قليلا عروقها
وانا لتستحلي المنايا نفوسنا ونترك اخرى مرة لا نذوقها
وشيب راسي قبل حين مشيبه رعود المنايا بيننا وبروقها

قوله لنا نبعة كانت تقينا فروعها مثل ضربه وانما اراد عشيرته واهل بيته وقد
روى هذه الابيات علي بن سليمن الاخفش عن ابي العباس ثعلب وزاد فيها

وانت المنايا بادئات وعوّدا الى دارنا سهلا الينا طريقها
وقد قسمت نفسي فريقين منهما فريق مع الموتى وعندي فريقها
وبينا نرجي النفس ما هو نازح من الامر لاقت دونه ما يعوقها

وروى ابو العيناء قال انشد الشعبي عبد الله بن جعفر الابيات الثلثة الاول فقال عبد الله لمن هذا
الشعر يا شعبي فقال لحارثة بن بدر فقال نحن احق بهذا ثم امر للشعبي باربع مائة دينار وخمس

قول حارثة ولقد وليت امارة فرجعتها في المال سالمة ولم اتمول
ولقد منحت النصح من يقبله ولقد رددت النصح من لم يقبل
فباي لمسة امير ان ينمش وباي حيلة جاهل لم احتل
يا طالب الحاجات يرجو نجحها ليس النجاح مع الاخف الاعجل
فاصدق اذا حدثت تكتب صادقا واذا حلفت مماريا فتحلل

معنى تكتب صادقا اي تكون عند الله صادقا وقوله فتحلل اي فاستثن

واذا رايت الباهشين الى العلى غبرا اكفهم بترب فاعجل

معنى الباهشين المادين ايديهم الى الشي المشتهين له

واخو مكان السو لا تحلل به واذا نبا بك منزل فتحول

واذا ابن عمك لج بعض لجاجه فانظر به غدا ولا تستعجل
واذا افتقرت فلا تكن متخشعا ترجو الفواضل عند غير المفضل
استغن ما اغناك ربك بالغنى واذا تكون خصاصة فتجمل

واخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال اخبرني محمد بن ابي الازهر قال حدثنا محمد بن يزيد النحوي قال كان حارثة بن بدر الغداني رجل بني تميم ذو فتنة وكان قد غلب على زياد وكان الشراب قد غلب عليه فقيل لزياد ان هذا قد غلب عليك وهو مستهتر بالشراب فقال زياد كيف باطراح رجل هو يسايرني منذ دخلت العراق لم يصطك ركابي وركابه ولا تقدمني فنظرت الى قفاه ولا تاخر عني فلويت عنقي اليه ولا اخذ علي الشمس في شتاء قط ولا الروح في صيف قط ولا سالته عن علم الا ظننته لا يحسن غيره فلما مات زياد جفاه عبيد الله ابنه فقال له حارثة ايها الامير ما هذا الجفاء مع معرفتك بالحال عند ابي المغيرة فقال له عبيد الله ان ابا المغيرة قد كان برع بروعا لا يلحقه معه عيب وانا حدث وانما انسب الى من يغلب علي وانت رجل تديم الشراب فمتى قربتك وظهرت منك رائحة الشراب لم آمن ان يظن بي فدع الشراب وكن اول داخل علي واخر خارج فقال له حارثة انا لا ادعه لمن يملك ضري ونفعي افادعه للحال عندك قال فاختر من عملي ما شئت قال توليني رامهرمز فانها ارض عذاة وسرق فان بها شرابا وصف لي فولاه اياها فلما شيعه الناس قال انس بن ابي انيس وقيل ابن ابي اياس الدؤلي

احار بن بدر قد وليت امارة فكن جرذا فيها تخون وتسرق
ولا تحقرن يا حار شيا وجدته فحظك من ملك العراقين سرق
وباه تميما بالغنى ان للغنى لسانا به المرء الهيوبة ينطق
فان جميع الناس اما مكذب يقول بما يهوى واما مصدق
يقولون اقوالا ولا يعلمونها فان قيل هاتوا حققوا لم يحققوا

وهذه الابيات تروى لابي الاسود الدؤلي وانه كتب بها الى حارثة لما ولي سرق وزاد فيها

ولكن جارٍ ما في اليوم ان الذي به تجيء غداً يوم على الناس مطبق
ولا تعجزن فالعجز اوطا مركبٍ وما كل من يدعى الى الخير يرزق
اذا ما دعا لك القوم عدوك كلا فكل جاد او جع الشيء ممن تحمق

ويقال ان حارثة اجاب عن هذه الابيات بقوله

جزاك اله الناس خير جزائه فقد قلت معروفاً واوصيت كافيا
امرت بامرٍ لو امرت بغيره لالفيتني فيه لرايك عاصيا

وكان يتهم

ويقال ان حارثة بن بدر والاحنف بن قيس دخلا على ابن زياد فقال لحارثة اي الشراب اطيب فقال برّة طاسارية واوطة غوثية وسمنة عنبرية وسكرة سوسية ونطفة مشرقانية فقال للاحنف يا ابا بحر اي الشراب اطيب قال الخمر قال وما يدريك ولست من اهلها قال رايت فيها خصلتين عرفت انها اطيب الشراب بهما قال وما هما قال رايت من احلّت له لا يتعداها الى غيرها ومن حرمت عليه يتناولها فعرفت انها اطيب الشراب :. ولحارثة بن بدر يخاطب عبيد الله بن زياد لما تغير عليه بعد اختصاصه

كان يأبيه

اهان واقصى ثم ينتصحونني واي امرئٍ يعطي نصيحته قسرا
رايت اكف المصلتين عليكم ملاءً وكفي من عطائكم صفرا
واني مع الساعي اليكم بسيفه اذا احدث الايام في عظمكم كسرا
متى تسألوني ما علي وتمنعوا الذي لي لا استطع على ذلكم صبرا

وقال يعاتبه

وكم من امير قد تجبّر بعدما مريت له الدنيا بسيفي فدرّت
اذا زبنته عن فواقٍ اتت به دعاني ولا ادعى اذا ما اقرّت
اذا ما هي احلولت تحالف مقسمي وتقسم لي منها اذا ما امرّت

زبنته اي دفعته عن ان تحلبها والفواق اجتماع اللبن في الضرع بين الحلبتين ومعنى اقرّت تركته تحلبها ويشبه ابيات حارثة هذه قول عبد الله بن الزبير الاسدي يعاتب معوية ومروان واهل بيته من جملة قصيدة وهي ابيات قوية جداً

عطاؤكم للضاربين ردائكم وندعى اذا ما كان حز الكراكر
انحن اخوكم في المضيق وسهمنا اذا ما قسمتم في الحظاء الاصاغر
وثديكم الادنى اذا ما سالتم وتلقى بثدي حين نسالك باهر
فان كان فينا الذنب في الناس مثله اخذنا به من قبل ناه وآمر

الحظاء سهام صغار

معنى من قبل ناه وآمر اي من قبل ان ننهى عنه او نؤمر باجتنابه

وان جاءكم منا غريب بارضكم لوين له لوياً جنوب المناخر
فهل يفعل الاعداء الا كفعلكم هوان السراة وابتغاء العواثر
وغير نفسي عنكم ما فعلتم وذكر هوان منكم متظاهر
جفاؤكم من علج الحرب عنكم واعداؤكم من بين جاب وعاشر

العاشر الذي ياخذ العشر

فلا تسالوني عن هواي وودّكم ولكن في فؤادي فقد توجّه باقر

ولحارثة بن بدر زياداً

لهفي عليك للهفة من خائف يبغي جوارك حين ليس مجير
اما القبور فانهن اوانس بجوار قبرك والديار قبور
عمّت فواضله فعم مصابه فالناس فيه كلهم مأجور
ردّت صنائعه اليه حياته فكانه من نشرها منشور

واظن ابا تمام الطائي نظر الى قول حارثة بن بدر ردّت صنائعه اليه حياته في قوله

الم تمت يا شقيق النفس مذ زمنٍ فقال لي لم يمت من لم يمت كرمه

واخبرنا علي بن محمد الكاتب قال اخبرنا ابن دريد قال اخبرنا عبد الرحمن يعني ابن اخي الاصمعي عن عمه قال مرّ حارثة بن بدر الغداني ومعه كعب مولاه فجعل لا يمر بمجلس من مجالس تميم الا قالوا مرحبا بسيدنا فقال كعب ما سمعت كلاما قط هو اقر لعيني والذ في سمعي مما سمعته اليوم فقال حارثة ولكني ما سمعت كلاما قط هو اكره الي منه ثم قال

وذهب الرجال فسدت غير مسود ومن الشقاء تفردي بالسودد

وهذا البيت يقال انه لحارثة لا انه تمثل به — وأخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثني عبد الله بن جعفر قال حدثنا محمد بن يزيد قال قال الكناني مر حارثة بن بدر بالأحنف بن قيس فقال لولا انك مستعجل لشاورتك فقال له أجل كانوا يكرهون ان يشاوروا الجائع حتى يشبع والظمآن حتى ينقع والمضل حتى يجد والغضبان حتى يرضى والمحزون حتى يفيق

مجلس آخر

تأويل آية

ان سأل سائل عن قوله تعالى أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب فقال أي تمدح في سرعة الحساب وليس ظاهر وجه المدحة فيه

الجواب قلنا في ذلك وجوه أولها ان يكون المعنى انه سريع المجازاة للعباد على أعمالهم وان وقت الجزاء قريب وان تأخر ويجري مجرى قوله تعالى وما أمر الساعة الا كلمح البصر او هو أقرب وانما جاز ان يعبر عن المجازاة او الجزاء بالحساب لان ما يجازى به العبد هو كفؤ لفعله وبمقداره فهو حساب له اذ كان مماثلا مكافئا. ومما يشهد بان الحساب معنى المكافأة قوله تعالى جزاء من ربك عطاء حسابا اي عطاء كافيا ويقال أحسبني الطعام يحسبني إحسابا اذا كفاني قال الشاعر

وإذ لا ترى في الناس حسنا يفوقها وفيهن حسن لو تأملت محسب

معناه كاف. وثانيها ان يكون المراد انه جل وعز يحاسب الخلق جميعا في أوقات يسيرة ويقال ان مقدار ذلك مقدار حلب شاة لانه تعالى لا يشغله محاسبة بعضهم عن محاسبة غيره بل يكلمهم جميعا ويحاسبهم كلهم على أعمالهم في وقت واحد وهذا أحد ما يدل على انه تعالى ليس بجسم وانه لا يحتاج في فعل الكلام الى آلة لانه لو كان بهذه الصفات تعالى عنها لما جاز ان يخاطب اثنين في وقت واحد بخطابين مختلفين ولكان خطاب بعض الناس يشغله عن خطاب غيره ولكانت مدة محاسبة الخلق على أعمالهم طويلة غير قصيرة كما ان جميع ذلك واجب في المحدثين الذين يتكلمون في الكلام الى الآلات. وثالثها ما ذكره بعضهم من ان المراد بالآية انه سريع العلم بكل محسوب وانه لما كانت

عادة بني الدنيا ان يستعملوا الحساب والإحصاء في أكثر أمورهم أعلمهم الله تعالى انه يعلم ما يحسبون بغير حساب وانما سمى العلم حسابا لان الحساب انما يراد به العلم وهذا جواب ضعيف لان العلم بالحساب او المحسوب لا يسمى حسابا ولو سمي بذلك لجاز ايضا ان يقال انه سريع العلم بكذا لان علمه بالأشياء مما لا يتجدد فيوصف بالسرعة. ورابعها ان الله سريع القبول لدعاء عباده والإجابة لهم وذلك انه يسأل في وقت واحد سؤالات مختلفة من أمور الدنيا والآخرة فيجزي كل عبد بمقدار استحقاقه ومصلحته فيوصل اليه عند دعائه ومسألته ما يستحق حينئذ بحقه ومقداره فلو كان الأمر على ما يتعارفه الناس لطال العدد واتصل الحساب فأعلمنا تعالى انه سريع الحساب اي سريع القبول للدعاء بغير احتباس وبحث عن المقدار الذي يستحقه الداعي كما يحتبس المخلوقون للحساب والإحصاء وهذا جواب مبني ايضا على دعوى لان قبول الدعاء لا يسمى حسابا في لغة ولا عرف ولا شرع وقد كان يجب على من أجاب بهذا الجواب ان يستشهد على ذلك بما يكون حجة فيه والا فلا طائل فيما ذكره ويمكن في الآية وجه آخر وهو ان يكون المراد بالحساب محاسبة الخلق على أعمالهم يوم القيامة وتوقيفهم عليها ويكون الفائدة في الإخبار بسرعته الإخبار عن قرب الساعة كما قال تعالى سريع العقاب وليس لأحد ان يقول فهذا هو الجواب الأول الذي حكيتموه وذلك ان بينهما فرقا لان الأول مبني على ان الحساب في الآية هو الجزاء والمكافأة على الأعمال وفي هذا الجواب لم نخرج الحساب عن بابه وعن معنى المحاسبة والمقابلة بالأعمال وترجيحها وذكر عن الجزاء الذي يقتضي الحساب اليه. وقد طعن بعضهم في الجواب الثاني معترضا على أبي علي الجبائي في اعتماده اياه بان قال مخرج الكلام في الآية على وجه الوعيد وليس في خفة الحساب وسرعته وزمانه ما يقتضي زجرا ولا هو مما يتوعد بمثله فيجب ان يكون المراد الإخبار عن قرب أمر الآخرة والمجازاة على الأعمال وهذا الجواب ليس أبو علي هو المبتدئ به بل قد حكي عن الحسن البصري واعتمده ايضا قطرب بن المستنير النحوي وذكره المفضل بن سلمة وليس الطعن الذي حكيناه عن هذا الطاعن بمبطل له لانه اعتمد على ان مخرج الآية مخرج الوعيد وليس كذلك لانه تعالى قال فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق ومنهم من يقول

ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع
الحساب فالأشبه بالظاهر أن يكون الكلام وعدا بالثواب وراجعا إلى الذين يقولون ربنا آتنا في الدنيا
حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار أو يكون راجعا إلى الجميع فيكون المعنى أن للجميع نصيبا
مما كسبوا فلا يكون وعيدا خالصا بل إما أن يكون وعدا خالصا أو وعدا ووعيدا على أنه لو كان وعيدا
خالصا على ما ذكره الطاعن لكان لقوله تعالى والله سريع الحساب على تأويل من أراد قصر الزمان وسرعة
الموافقة وجه يتعلق بالوعد والوعيد لأن الكلام على كل حال متضمن لوقوع المحاسبة على أعمال العباد
والإحاطة بخيرها وشرها وإن وصف الحساب مع ذلك بالسرعة وفي هذا ترغيب وترهيب لا محالة لأن
من علم أنه يحاسب بأعماله ويواقف على جميلها وقبيحها انزجر عن القبيح ورغب في فعل الواجب فهذا
ينصر الجواب وإن كنا لا ندفع أن في حمل الحساب على قرب المجازاة إذ قرب المحاسبة على الأعمال ترغيبا
في الطاعات وزجرا عن المقبحات أشبه بالظاهر وبسوق الآية لأن التأويل الآخر غير مدفوع أيضا
ولا مردود.

تأويل آية أخرى

إن سأل سائل عن قوله تعالى والله يرزق
من يشاء بغير حساب فقال أي تمدح في الإعطاء بغير حساب وقد يكون المعطي بحساب أجزل
عطية من المعطي بغير حساب. الجواب قلنا في هذه الآية وجوه ثلاثة أولها أن يكون
الفائدة أنه تعالى يرزق من يشاء بغير تقدير من المرزوق ولا احتساب منه فالحساب هاهنا راجع
إلى المرزوق لا إليه تعالى كما يقول القائل ما كان كذا وكذا في حسابي أي لم أؤمله ولم أقدر أنه يكون
وهذا أوصف للرزق وأحسن الأوصاف لأن الرزق إذا لم يكن محتسبا كان أهنأ له وأحلى وقد روي
عن ابن عباس في تفسير هذه الآية أنه قال عنى بها أموال بني قريظة والنضير وأنها تصير إليكم بغير
قتال ولا حساب وعلى أسهل الأمور وأقربها وأيسرها. وثانيها أنه تعالى يرزق من يشاء رزقا
غير مضيق ولا مقتر بل يبرز في السعة والكثرة على كل عطاء المخلوقين فيكون نفي الحساب عنه
نقيضا للتضييق ومبالغة في وصفه بالسعة والعرب تسمي العطاء القليل محسوبا قال قيس بن الخطيم

أنى سربت وكنت غير سروب ... وتقرب الأحلام غير قريب
ما تمنعي يقظى فقد تؤتينه ... في النوم غير مصرد محسوب

وثالثها أنه يرزق من يشاء من غير طلب للمكافأة أو إرادة لفائدة تعود إليه أو منفعة ترجع عليه
لأن من شأن أهل الدنيا أن يعطوا ليكافؤوا أو لينتفعوا ولهذا يقال فيمن يقصد بالعطية إلى هذه الأمور
فلان يحاسب الناس فيما يعطيهم ويناقشهم فيما يوصله إليهم وما أشبه ذلك فلما انتفت هذه الأمور
من عطاياه سبحانه جاز أن يقول إنه يرزق بغير حساب. ورابعها ما أجاب به قطرب قال معنى
الآية يعطي العدد الكثير لا مما يضبطه الحساب أو يأتي عليه العدد لأن مقدوره تعالى لا يتناهى وما
في خزائنه لا ينحصر ولا يصح عليه النفاد وليس كالمعطي منا الألف من الألفين والعشرة من المائة لأن
مقدار ما يتسع له ويتمكن منه محدود متناه ولا انقطاع لما يقدر سبحانه عليه. وخامسها
أنه يعطي عباده في الجنة من النعيم واللذات أكثر مما استحقوا وأزيد مما وجب لهم بمحاسبته إياهم
على طاعاتهم كما قال تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة وكما قال
عز من قائل إن تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم وكما قال تعالى ليوفيهم أجورهم ويزيدهم
من فضله. وسادسها أن يكون المعطي ما يعطيه شيئا والرازق سواه رزقا فقد يكون له ذلك
فيكون فعله حسنا لا يسأل عنه ولا يؤاخذ به ولا يحاسب عليه وربما لم يكن له ذلك فيكون فعله قبيحا
يؤاخذ به ويحاسب عليه فنفى الله تعالى عن نفسه أن يفعل من الرزق القبيح وما ليس له أن يفعله
بنفي الحساب عنه وأنبأ أنه لا يرزق ولا يعطي إلا على أفضل الوجوه وأحسنها وأبعدها من الذم
وتجري الآية مجرى قوله تعالى لا يسأل عما يفعل وهم يسألون وإنما أراد أنه تعالى من حيث وقعت
أفعاله كلها حسنة غير قبيحة لم يجز أن يسأل عنها وإن سئل العباد عن أفعالهم لأنهم يفعلون الحسن
والقبيح معا. وسابعها أن الله تعالى إذا رزق العبد وأعطاه من فضله كان الحساب عن العبد
ساقطا من جهة الناس فليس لأحد أن يقول له لم رزقت ولا يقول لربه لم رزقته ولا يسأله ربه

ان يكون المعنى

عن الرزق ويملكه وانما يسأله عن انفاقه في الوجوه التي ينفقه فيها فسقط الحساب من هذه الوجوه
عما يرزقه الله تعالى فلذلك قال تعالى بغير حساب ، وثامنها ان يكون المراد بمن يشاء ان يرزقه
اهل الجنة لانه يرزقهم رزقا لا يصح ان يتناوله الحساب ولا العدد ولا الاحصاء من حيث لا نهاية
له ولا انقطاع للمستحق منه ويطابق هذه الآية قوله تعالى في موضع آخر فاولئك يدخلون الجنة يرزقون
فيها بغير حساب

تأويل خبر

ان سأل سائل عن الخبر الذي يروى
عن زيد بن ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال توضؤوا مما غيرت النار فقال ما المراد بالوضوء ها هنا
ومذهبكم ان مس ما غيرته النار لا يوجب وضوءا ، الجواب ان معنى توضؤوا اي نظفوا ايديكم
من الزهومة لانه روي ان جماعة من الاعراب كانوا لا يغسلون ايديهم من الزهومة ويقولون فقدها اشد
علينا من ريحها فامر عليه السلام بتنظيف الايدي لذلك ، فان قيل كيف يصح ان تحملوا الخبر على اللفظ
اللغوي مع انتقاله بالعرف الشرعي الى الافعال المخصوصة بدلالة ان من غسل يده او وجهه لا
يقول بالاطلاق توضأت ومتى سلم لكم ان الوضوء اصله من النظافة لم ينفعكم مع الانتقال الذي ذكرناه
وكلامه عليه السلام احق بالعرف الشرعي وحمله عليه اولى من حمله على اللغة ، قلنا ليس ينكر ان يكون
اطلاق الوضوء هو المنتقل من اللغة الى عرف الشرع والمختص بالافعال المعينة وكذلك المضاف منه
الى الحدث او الصلاة وما اشبههما فاما المضاف الى الطعام وما جرى مجراه فباق على اصله الا ترى
انهم لو قالوا توضأت من الطعام او من الغمر او توضأت للطعام لم يفهم منه الا الغسل والتنظيف واذا
قال توضأت اطلاقا او توضأت من الحدث او للصلاة فهم منه الافعال الشرعية فليس ينكر ما ذكرناه
من اختصاص النقل لانه كما يجوز انتقال اللفظة من فائدة في اللغة الى فائدة في الشرع على كل وجه
كذلك يجوز ان ينتقل على وجه دون وجه ويبقى من الوجه الذي لم ينتقل منه على ما كان عليه في اللغة
وقد ذهب كثير من الناس الى ان اطلاق لفظة مؤمن منتقل من اللغة الى عرف الدين ومختص باستحقاق
الثواب وان كان مقيدها باقيا على ما كان عليه في اللغة ويبين ذلك ايضا ما روي عن الحسن انه قال

الوضوء قبل الطعام ينفي الفقر وبعده ينفي اللمم وانما اراد غسل اليد بغير شك وروي عن قتادة
انه قال غسل اليد وضوء ، وروي عن عكراش ان رسول الله صلى الله عليه [وسلم] اكل وغسل يده ومسح ببلل يده
وجهه وذراعيه وراسه وقال هكذا الوضوء مما مست النار على انه لو كانت هذه اللفظة منتقلة
على كل حال الى الافعال الشرعية المخصوصة لصح ان نحمله في الخبر على خلاف ذلك ونردها الى اصلها
بالادلة وان كان الاولى لولا الادلة ان نحمل على مقتضى الشرع ومن الادلة على ما ذكرناه ما رواه ابن عباس
ان النبي صلى الله عليه وسلم اكل كتف شاة وقام وصلى ولم يتوضأ ، وروى عطاء عن ام سلمة قالت
قربت جنبا مشويا الى النبي صلى الله عليه وسلم فاكل منه وصلى ولم يتوضأ ، وروى محمد بن المنكدر
عن جابر انه قال كان آخر الامرين من رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك الوضوء مما مسته النار ، وكل هذه
الاخبار توجب العدول عن ظاهر الخبر الاول لو كان له ظاهر فكيف وقد بينا انه لا ظاهر له فاما اشتقاق
الوضوء فهو من الوضاءة التي هي الحسن فلما كان من غسل يده ونظفها قد حسنها قيل وضأها ويقال فلان
وضيء الوجه وقوم وضاء قال الشاعر

مساميح الفعال ذوو اناة ... مراجيح وان جهلوا وضاء

والوضوء بضم الواو المصدر وكذلك التوضؤ والوضوء بفتح الواو اسم ما يتوضأ به وكذلك الوقود اسم
لما توقد به النار والوقود بالضم المصدر ومثله التوقد وقد يجوز ان يكون الوقود بفتح الواو المصدر
وكذلك الوضوء كما قالوا احسن القبول جعلوا القبول مصدرا وهو مفتوح الاول ولا يجوز في الوقود
والوضوء بالضم الا معنى المصدر ونحوه قال جرير

اهوى اراك برامتين وقودا ... ام بالجنينة من مدافع اودا

وقال آخر

اذا استهل لاح كالوقود ... فردا كشاة البقر المطرود

وقال آخر

واحتجنا بكل بقاع ارض ... وقود النار للمتنورينا

اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثني محمد بن ابراهيم قال حدثنا احمد بن يحيى قال حدثنا عمر بن شبة
قال حدثنا ابراهيم بن المنذر قال حدثني ابراهيم بن محمد بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف عن ابيه عن ابن شهاب

انما نقل اللفظة على العرف الشرعي فيما يتعلق بالاحكام الشرعية فحسب

قال ابن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود يوما في منزله فاذا هو متغيظ ينفخ فقلت له ما لي
اراك هكذا فقال دخلت على عاملكم هذا يعني عمر بن عبد العزيز ومعه عبد الله بن عمرو بن عثمان فسلمت فلم
يردا علي السلام فقلت: الا ابلغا عني عراك بن مالك فان انتما لم تفعلا فابلغ ابا بكر ٢
فقد جعلت تبدو شواكل منكما كانكما بي موقران من الصخر
وطاوعتما بي عادرا ذا معاكة لعمري لقد اورى وما مثله يوري
يقال معك به وسورك به اذا تعرض به لشر
فلولا اتقاء الله بقياي فيكما للمتكما لوما احر من الجمر
فمسا تراب الارض منها خلقتما وفيها المعاد والمقام الى الحشر
ولا تانفا ان تغشيا فتكلما فما حشي الاقوام شر من الكبر
ولو شئت ادلى فيكما غير واحد علانية او قال عندي في سر
معناه لو شئت اغنانيكما عندي غير واحد
فان انا لم آمر ولم انه عنكما ضحكت له حتى يلج ويستشري
وكيف يريدان ابن سبعين حجة على ما اتى وهو ابن عشرين او عشر
لقد علقت دلو لكما دلو حوّل من القوم لا رخو المراس ولا نزر
قال ابن شهاب فقلت له مثلك رحمك الله مع نسكك وفضلك وفهمك يقول الشعر فقال ان المصدور
اذا نفث برا. وانما ذكر عراك بن مالك وابا بكر بن عمرو بن حزم وكانا صديقيه كناية بذكرهما عن
ذكر غيرهما وقد جاءت رواية اخرى بان ابا بكر بن عمرو وعراك بن مالك كانا يختاران على عبيد الله بن
عتبة فلا يسلمان عليه فقال الابيات يخاطبهما بها. وروى محمد بن سلام لعبيد الله بن عبد الله بن عتبة
اذا كان لي سر فحدثته العدى وضاق به صدري فللناس اعذر
هو السر ما استودعته وكتمته وليس بسر حين يفشو ويظهر

عبد الله

120

وانشد مصعب الزبيري لعبيد الله بن عتبة
أواخي رجالا لست مطلع بعضهم على سر بعض ان صدري واسعه
اذا بي حلت وسط عوذ بن غالب فذلك ود نازح لا اطالعه
تلاقت حيازيمي على قلب حازم كتوم لما ضمت عليه اضالعه
بني لي عبد الله في سورة العلى وعتبة مجد الاثل مصانعه
والبيت الاول يشبه قول مسكين الدارمي
وفتيان صدق لست مطلع بعضهم على سر بعض غير اني جماعها
ومما يستحسن لعبيد الله بن عبد الله بن عتبة قوله
تغلغل حب عثمة في فؤادي فباديه مع الخافي يسير
تغلغل حيث لم يبلغ شراب ولا حزن ولم يبلغ سرور
شققت القلب ثم ذررت فيه هواك فليم فالتأم الفطور
اكاد اذا ذكرت العهد منها اطير لو ان انسانا يطير
غني النفس ان ازداد حبا ولكني الى وصل فقير
واخذ هذا المعنى ابو نواس فقال: اخللت من قلبي هواك محلة ما حلها المأكول والمشروب
واخذه المتنبي في قوله: وللسر مني موضع لا يناله نديم ولا يفضي اليه شراب
وكان العباس بن الاحنف الم به في قوله: لو شق عن قلبي فري وسطه اسمك والتوحيد في سطر
وقول عبيد الله بن عبد الله بن عتبة احسن من الجميع وبعده بيت المتنبي ولعبيد الله بن عبد الله بن عتبة
لعمر ابي المحصين ايام نلتقي لما لا نلاقيها من الدهر اكثر
يعدون يوما واحدا ان اتيتها وينسون ما كانت على الدهر تهجر
فان يكن الواشون اغروا بهجرنا فانا بحمد الله المودة اجدر
ومن مستحسن

قوله لعمري لئن شطت بعثمة دارها لقد كنت من وشك الفراق أليح

أروح بهم ثم أغدو بمثله ويحسب أني في الثياب صحيح أخذ هذا المعنى

بشار فقصر عنه في قوله يصبح مخزونا ويمسي به وليس يدري ما له عندك

مجلس آخر ٧٠ تأويل آية

إن سأل سائل عن قوله تعالى حاكيا عن شعيب عليه السلام قد افترينا على الله كذبا إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا فقال أليس هذا تصريحا منه بأن الله تعالى يجوز أن يشاء الكفر والقبيح لأن ملة قومه كانت كفرا وضلالا وقد أخبر أنه لا يعود فيها إلا أن يشاء الله الجواب قيل له في هذه الآية وجوه أولها أن تكون الملة التي عناها الله إنما هي العبادات الشرعيات التي كان قوم شعيب متمسكين بها وهي منسوخة عنهم ولم يعن بها ما يرجع إلى الاعتقادات في الله وصفاته مما لا يجوز أن تختلف العبادة فيه والشرعيات يجوز فيها اختلاف العبادة من حيث تتبع المصالح والألطاف والمعلوم من أحوال المكلفين فكأنه قال إن ملتكم لا نعود فيها مع علمنا بأن الله تعالى قد نسخها وأزال حكمها إلا أن يشاء الله أن يتعبدنا بمثلها فنعود إليها وتلك الأفعال التي كانوا هم متمسكين بها مع نسخها عنهم ونهيهم عنها وإن كانت ضلالا وكفرا فقد كان يجوز فيما هو مثلها أن يكون إيمانا وهدى بل فيها أنفسها قد كان يجوز ذلك وليس تجري هذه الأفعال مجرى الجهل بالله تعالى الذي لا يجوز أن يكون قط إلا قبيحا وقد طعن بعضهم على هذا الجواب فقال كيف يجوز أن يتعبدهم الله تعالى بتلك الملة مع قوله قد افترينا على الله كذبا إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها فقال لم ينف عودهم إليها على كل وجه وإنما نفى العود إليها مع كونها منسوخة منهيا عنها والذي علقه بمشيئة الله تعالى من العود إليها هو بشرط أن يأمر بها ويتعبد بمثلها والجواب مستقيم لا خلل فيه وثانيها أنه أراد أن ذلك لا يكون أبدا من حيث علقه بمشيئة الله تعالى لما كان معلوما أنه لا يشاؤه وكل أمر علق بما لا يكون فقد نفي كونه على أبعد الوجوه وتجري الآية مجرى قوله تعالى ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكما يقول القائل أنا لا أفعل كذا حتى يبيض القار أو يشيب الغراب وكما قال الشاعر

وحتى يؤوب القارظان كلاهما وينشر في القتلى كليب بن وائل

والقارظان لا يؤوبان أبدا وكليب لا ينشر أبدا فكأنه قال إن هذا لا يكون أبدا وثالثها ما ذكره قطرب بن المستنير من أن في الكلام تقديما وتأخيرا وأن الاستثناء من الكفار وقع لا من شعيب فكأنه تعالى قال حاكيا عن الكفار لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا إلا أن يشاء الله أن تعود في ملتنا ثم قال حاكيا عن شعيب عليه السلام وما يكون لنا أن نعود فيها على كل حال ورابعها أن تكون الهاء التي في قوله فيها إلى القرية لا إلى الملة لأن ذكر القرية قد تقدم كما تقدم ذكر الملة ويكون تلخيص الكلام أنا سنخرج من قريتكم ولا نعود فيها إلا أن يشاء الله بما ينجزه لنا من الوعد في الإظهار عليكم والظفر بكم فنعود إليها وخامسها أن يكون المعنى إلا أن يشاء الله أن يردكم إلى الحق فنكون جميعا على ملة واحدة غير مختلفة لأنه لما قال تعالى حاكيا عنهم أو لتعودن في ملتنا كان معناه أو لنكونن على ملة واحدة غير مختلفة فحسن أن يقول من بعد إلا أن يشاء الله أن يجمعكم معنا على ملة واحدة فإن قيل فالاستثناء بالمشيئة إنما كان بعد قوله وما يكون لنا أن نعود فيها فكأنه قال ليس نعود فيها إلا أن يشاء الله فكيف يصح هذا الجواب قلنا هو كذلك إلا أنه لما كان معنى أن نعود فيها هو أن نصير ملتنا واحدة غير مختلفة جاز أن يوقع الاستثناء على المعنى فيقول إلا أن يشاء الله أن يتفق في الملة بأن ترجعوا أنتم إلى الحق فإن قيل فكأن الله تعالى ما شاء أن يرجع الكفار إلى الحق قلنا بلى قد شاء ذلك إلا أنه ما شاءه على كل حال بل من وجه دون وجه وهو أن يؤمنوا ويصيروا إلى الحق مختارين ليستحقوا الثواب الذي أجري بالتكليف إليه ولو شاءه على كل حال لما جاز أن لا يقع منهم فكان شعيبا عليه السلام قال إن ملتنا لا تكون واحدة أبدا إلا بأن يشاء الله أن يلجئكم إلى الاجتماع معنا على ديننا والموافقة في ملتنا والفائدة في ذلك واضحة لأنه لو أطلق أنا لا نتفق أبدا ولا نصير ملتنا واحدة لتوهم متوهم أن ذلك مما لا يمكن على حال من الأحوال فأفاد بتعليقه له بالمشيئة هذا الوجه ويجري قوله إلا أن يشاء الله مجرى قوله تعالى ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا وسادسها أن يكون المعنى إلا أن يشاء الله أن يمكنكم من إكراهنا ويخلي بينكم وبينه فنعود إلى إظهارها مكرهين

ويقوي هذا الوجه قوله تعالى او لو كنا كارهين وسابعها ان يكون المعنى الا ان يشاء الله ان
يتعبدنا باظهار ملتكم مع الاكراه لان اظهار كلمة الكفر قد يحسن في بعض الاحوال اذا تعبد الله تعالى باظهارها
وقوله او لو كنا كارهين يقوي هذا الوجه ايضا • فان قيل فكيف يجوز من نبي من انبياء الله تعالى ان يتعبد
باظهار الكفر وخلاف ما جاء به من الشرع قلنا يجوز ان يكون لم يرد بالاستثناء نفسه بل قومه فكانه قال
وما يكون لنا ولا لامتي ان نعود فيها الا ان يشاء الله بان يتعبد امتي باظهار ملتكم على سبيل الاكراه وهو جائز
غير ممتنع **تاويل خبر** روى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال خير الصدقة ما
ابقت غنى واليد العليا خير من اليد السفلى وابدا بمن تعول وقد قيل في قوله خير الصدقة ما ابقت غنى
قولان احدهما ان خير ما تصدقت به ما فضل من قوت عيالك وكفايتهم فاذا اخرجت صدقتك عنك لم
تعطيت خرجت عن استغنائك منك ومن عيالك عنها ومثله الحديث الآخر انما الصدقة عن ظهر غنى وقال ابن
عباس رحمة الله عليه في قوله تعالى ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو قال ما فضل عن اهلك والجواب الآخر
ان يكون اراد خير الصدقة ما اغنيت به من اعطيت عن المسألة اي تجزل له في العطية فيستغني بها ويكف
عن المسألة ويكون لك افضل من ان تفرقها في مائة رجل لا تبين عليهم والتاويل الاول يشهد له اول الخبر وهو
قوله وابدأ بمن تعول ويشهد له الحديث الآخر انما الصدقة عن ظهر غنى وقوله اليد العليا خير من اليد السفلى
قال قوم يريد ان اليد المعطية خير من الآخذة وقال آخرون ان العليا هي الآخذة والسفلى هي المعطية قال
ابن قتيبة ولا ارى هؤلاء الا قوما استطابوا السؤال فهم يحتجون للدناءة ولو كان هذا يجوز لقيل ان
المولى من فوق هو الذي اعتق والمولى من اسفل هو الذي اعتق والناس انما يعلون بالعطايا لا بالسؤال
قال السيد قدس الله روحه وعندي ان معنى قوله عليه السلام اليد العليا خير من اليد السفلى غير ما
ذكر من الوجهين جميعا وهو ان تكون اليد هاهنا العطية والنعمة لان النعمة قد تسمى يدا في مذهب اهل
اللسان بغير شك فكانه صلى الله عليه وسلم اراد ان العطية الجزيلة خير من العطية القليلة وهذا حث
منه صلى الله عليه وسلم على المكارم وتحضيض على اصطناع المعروف باوجز الكلام واحسنه من جاد بمهم

ع وذلك مثل ان يتصدق بمائة درهم وفيها فضل عن الذي يحتاج اليه فيستغني بها

اليد

كتاب
اعتق عتق

لهذا التاويل احد الخبرين المتقدمين في قوله ما ابقت غنى وهذا اشبه واولى من ان نحمل على الجارحة لان من
ذهب الى ذلك وجعل المعطية خيرا من الآخذة لا يستمر قوله لان فيمن ياخذ من هو خير عند الله تعالى ممن
يعطي ولفظة خير لا تحمل الا على الفضل في الدين واستحقاق الثواب • واما من جعل الآخذة خيرا من
المعطية فيدخل عليه هذا الطعن ايضا مع انه قد قال قولا شنيعا وعكس الامر على ما ذكر ابن قتيبة • فان
قيل كيف يصح تاويلكم مع قوله عليه السلام ما ابقت غنى ومتى لا تبقي غنى لا بعد ان تنقص من غيرها واذا كانت
العطية التي هي اجزل افضل فتلك لا تبقي غنى والتي تبقي غنى ليست الجزيلة وهذا تناقض قلنا اما
تاويلنا فطابق للوجهين المذكورين في قوله ما ابقت غنى لانا ان حملنا ذلك على ان المراد بها المعطي وان خير
العطية ما اغنته عن المسألة فالمطابقة ظاهرة وان حملنا قوله على الوجه الآخر وحملنا ابقاء الغنى على المعطي
واهله واقاربه فتاويلنا ايضا مطابق له لانه قد يكون في العطايا التي تبقي بعدها الغنى على الاهل و
الاقارب جزيل وغير جزيل فقال عليه السلام خير الصدقة ما تبقي غنى بعد اخراجها والعطية الجزيلة
التي تبقي بعدها غنى خير من القليلة فرجح عليه السلام بعد ابقاء الغنى جزيل العطية وحث على الكرم
والفضل **خبر** اخبرنا ابو القسم عبيد الله بن عثمن بن يحيى قال اخبرنا ابو عبد الله الحكيمي
قال املى علينا ابو العباس احمد بن يحيى النحوي قال انشدني ابن الاعرابي لثابت قطنة العتكي

يا هند كيف بنصب بات يبكيني ❊ وعائر في سواد العين يؤذيني
كان ليلي والاصداء هاجدة ❊ ليل السليم واعيا من يداويني
لما حنى الدهر من قوسي وعذرني ❊ شيبي وقاسيت امر الغلظ واللين
اذا ذكرت ابا غسان ارقني ❊ هم اذا عرض الساذون يشجيني
كان المفضل عزا في ذوي يمن ❊ وعصمة وثمالا للمساكين
غيثا لذي ازمة غبراء شاتية ❊ من السنين ومأوى كل مسكين
اني تذكرت قتلى لو شهدتهم ❊ في حومة الحرب لم يصلوا بها دوني

النصب البلاء والعذاب قال الله تعالى بنصب وعذاب والعائر القذى والعائر الرمد وكذلك العوائر

لا خير في العيش إذ لم تجن بعدكم حتى تأتيني بهم قتلى فتشفيني
لا خير في طمع يدني إلى طبع وغُفّة من قوام العيش تكفيني
ولا أنظر الأمر يعنيني الجواب به ولست أنظر فيما ليس يعنيني
لا أركب الأمر تزري بي عواقبه ولا يعاب به عرضي ولا ديني
لا يغلب الجهل حلمي عند مقدرة ولا العضيهة من ذي الضغن تكبيني
كم من عدو رماني لو قصدت له لم يأخذ النصف مني حين يرميني

قال المرتضى وهذه الأبيات يروى بعضها لعروة بن أذينة وقد أدخل أبياتا في أثنائها على هذا الوزن وهي التي يقول فيها

لقد علمت وما الإسراف من خلقي أن الذي هو رزقي سوف يأتيني
أسعى له فيعنيني تطلبه ولو قعدت أتاني لا يعنيني
كم قد أفدت وكم أتلفت من نشب ومن معاريض رزق غير ممنون
فما أسفت على شيء ولا ضرعت نفسي لخلة عيش جاء يبلوني
حيي كريم ونفسي لا تحدثني أن الإله بلا رزق يخليني
ولا اشتريت بمالي قط مكرمة إلا تيقنت أني غير مغبون
ولا دعيت إلى مجد ومكرمة إلا أجبت إليه من يناديني
لا أبتغي وصل من يبغي مفارقتي ولا ألين لمن لا يبتغي ليني
إني سيعرفني من لست أعرفه ولو كرهت وأبدو حين تخفيني
تعطيني جاهدا أو أجحد علي إذا لاقيت قومك فانظر هل تغطيني

وقوم يخطئون فيروون قوله لقد علمت وما الأسراف بالسين غير معجمة وذلك خطأ وإنما أراد بالإشراف
أي لا أستشرف وأتطلع إلى ما فاتني من أمور الدنيا ومكاسبها ولا تتبعها نفسي ولي أبيات في معنى أبيات
ثابت قطنة وعروة بن أذينة وهي من جملة قصيدة طويلة خرجت عني منذ اثنتي عشرة سنة والأبيات

يقال ضرع يضرع ضراعة وضرع يضرع ضرعا فهو ضارع

تعاقبني بؤس الزمان وخفضه وأدبني حرب الزمان وسلمه
وقد علم المغرور بالدهر أنه وراء سرور المرء في الدهر غمه
وما المرء إلا نهب يوم وليلة تخب به شهب الفناء ودهمه
تعلله برد الحياة بمسه ويغشيه روح النسيم بشمه
وكان بعيدا عن منازعة الردى فألقته في كف المنية أمه
ألا إن خير الزاد ما سد فاقة وخير تلادي الذي لا أجمه
وإن الطوى بالعز أحسن بالفتى إذا كان من كسب المذلة طعمه
وإني لأنهى النفس عن كل لذة إذا ما ارتقى منها إلى العرض وصمه
وأغضي عن نيل الثراء إذا بدا وفي نيله سوء المقال وذمه
أعف وما الفحشاء مني بعيدة وحسبي في صد عن الأمر إثمه
وما العف من ولى عن الضرب سيفه ولكن من ولى عن السوء حزمه

ولي في معنى قوله وما الإسراف من خلقي

ما خامر الرزق قلبي قبل جائته ولا بسطت له في النائبات يدي
كم قد أراد فلم أحفل زيادته ولو تجاوزني ما فت في عضدي
إن أسخط الرزق وأدبر عنه مضطربا وإن أدبر لم أمر مذهب أحد

ومعنى ما خامر الرزق قلبي أي لم أتمنه ولا تطلعت إلى حضوره ولا خطر لي ببالي تنزها وتقنعا والوجه
في تخصيص نفي بسط اليد في النوائب أن النوائب يضرع عندها في الأكثر المتنزه ويطلب المتعفف
فمن لزم النزاهة مع الحاجة وشدة الضرورة فهو الكامل المروءة ومعنى البيت الثاني ظاهر فأما الثالث
فالمراد به أنني ممن إذا كرهت شيئا تمكنت من مفارقته والنزوع عنه ولست ممن تضعف حيلته وتقصر قدرته
عن استبدال ما يحب بما يكره وفيه فائدة أخرى وهي أنني ممن لا تملكه العادات وتقتاده الأهواء بل متى

أراد بمفارقة خلق إلى غيره وعادة إلى سواها لم يكن ذلك عليّ متعذراً من حيث كان لي رأي على سواي
السلطان والرجحان ** أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني محمد بن إبراهيم قال نا أحمد بن يحيى
النحوي قال أخبرنا الزبير بن بكار قال حدثني عروة بن عبيد الله بن عروة بن الزبير قال كان عروة بن أذينة
نازلاً مع أبي في قصر عروة بالعقيق فسمعته ينشد لنفسه — فسمعته

٢ إن التي زعمت فؤادك ملها خلقت هواك كما خلقت هوى لها
فبك الذي زعمت بها وكلاكما يبدي لصاحبه الصبابة كلها
ولعمرها لو كان حبك فوقها يوماً وقد ضحيت إذاً لأظلها
وإذا وجدت لها وساوس سلوة شفع الضمير إلى الفؤاد فسلها
بيضاء باكرها النعيم فصاغها بلباقة فأدقها وأجلها
لما عرضت مسلماً لي حاجة أخشى صعوبتها وأرجو ذلها
منعت تحيتها فقلت لصاحبي ما كان أكثرها لنا وأقلها
فدنا فقال لعلها معذورة في بعض رقبتها فقلت لعلها

قال عروة بن عبيد الله فجاءني أبو السائب المخزومي يوماً فسلم عليّ وجلس إليّ فقلت له بعد الترحيب
بك ألك حاجة يا أبا السائب فقال أو كما تكون الحاجة أبيات لعروة بن أذينة بلغني أنك سمعتها منه فقلت
أي أبيات فقال وهل يخفى القمر إن التي زعمت فؤادك ملها فأنشدته إياها فقال ما يروي
هذا إلا أهل المعرفة والفضل هذا والله الصادق الود الدائم العهد لا الهذلي الذي يقول

إن كان أهلك يمنعونك رغبة عني فأهلي بي أضن وأرغب

لقد عدا الأعرابي طوره وإني لأرجو أن يغفر الله لابن أذينة في حسن الظن بها وطلب العذر لها فدعوت
له بطعام فقال لا والله حتى أروي هذه الأبيات فلما رواها وثب فقلت له كما أنت يغفر الله لك حتى تأكل
فقال والله ما كنت لأخلط بمحبتي لها وأخذي إياها غيرها وانصرف قال السيد قدس الله روحه

والهذلي الذي عناه وأنشد له هذا الشعر هو عبد الله بن مسلم بن جندب الهذلي وقوله يا أكرم النعيم
أراد أنها لم تعش إلا في النعيم ولم تعرف إلا الخفض وأنها لم تلاق بؤساً فتخشع وتضرع ويؤثر ذلك
في جمالها وتمامها والبكور هو التقدم في كل وقت وكان عروة بن أذينة مع تغزله يوصف بالعفاف
والنزاهة ويروى أن سكينة بنت الحسين عليهما السلم مرت به فقالت له يا أبا عامر أأنت الذي يقول

إذا وجدت أوار الحب في كبدي أقبلت نحو سقاء القوم أبترد
٢ هبني بردت ببرد الماء ظاهره فمن لنار على الأحشاء تتقد
وأنت القائل
قالت وأبثثتها وجدي فبحت به قد كنت عندي تحب الستر فاستتر
ألست تبصر من حولي فقلت لها غطى هواك وما ألقى على بصري

قال نعم قالت هن حرائر وأشارت إلى جواريها إن كان خرج هذا من قلب سليم ** وأنشد أبو الحسن علي بن أحمد
بن يحيى لعروة — ضافها

كأن خزامى طلة صابها الندى وفارة مسك ضمنتها ثيابها
٢ نكرت لذكراها أطير صبابة وغالبت نفساً زاد شوقاً غلابها
إذا قربت سعدى لججت بقربها وإن تغترب يوماً يطل عنك اغترابها
فؤادي مراراحة لك عندها سواء لعمري نأيها واقترابها
وعاد الهوى منها كظل سحابة ألاحت ببرق ثم مرّ سحابها

قال المرتضى وهيهات هذا البيت الأخير من قول كثير

٢ وإني وتهيامي بعزة بعدما تخليت مما بيننا وتخلت
لكالمرتجي ظل الغمامة كلما تبوأ منها للمقيل اضمحلت
كأني وإياها سحابة ممحل رجاها فلما جاوزته استهلت

وروى يحيى بن علي قال حدثنا أبو هفان قال أشعر أبيات قيلت في الحسدة والدعاء لهم بالكثرة أربعة فأولها
قول الكميت بن زيد إن يحسدوني فإني غير لائمهم قبلي من الناس أهل الفضل قد حسدوا

٣

فرام بي وبهم ملوكي وما لهم وما ت اكثرنا غيظا بما يجد

انا الذي يجدوني في صدورهم لا ارتقي صدرا منها ولا اُرد

وقال عروة بن اذينة — لا ينقص الله حسادي فانهم اسر عندي من اللاتي لهم وددُ

لا يبعد الله حسادي وزادهم حتى يموتوا بداءٍ في مكنون

وقال نصر بن سيار — اني رايتهم في كل منزلة اجل قدرا من اللائي يحبونني

وقال معن بن زائدة — ان يحسدوني على ما بي وما بهم فمثل ما بي لعمري جرّ لي الحسدا

اني حُسدتُ فزاد الله في حسدي لا عاش من عاش يوما غير محسود

ما يحسد المرء الا من فضائله بالعلم والظرف او بالباس والجود

قال الشيد وقد لحظ البحتري هذا المعنى في قوله

واخذ ابا العتاهية — محسّد بخلال فيه فاضلة وليس تفترق النعماء والحسد

اخذ قوله — كم عائب لكم لم اسمع مقالته ولم يزد ذلكم عندي على تزيين

كان عائبكم يبدي محاسنكم وصفا فيمدحكم عندي ويغريني

من قول عروة بن — ما فوق حبك حب لست اعلمه فلا يضرك ان لا تستزيديني

اذينة — لا تعذ سعدى من يجني من جهتي شيئا يوما ولا فرّ بها ان جئت يشفيني

اذا الوشاة لحوا فيها عصيتهم وخلت ان تسعدني اللوم يغريني

وقد اخذ ابو نواس هذا المعنى فقوله

ما حطك الواشون من رتبة عندي ولا ضرك مغتاب

ولعروة بن اذينة — كانهم اثنوا ولم يعلموا عليك عندي بالذي عابوا

ترد عنا الجناب مقبلات ونسوجين حتى ذاهبات

كروعة ثلة لمغار ذيب فلما غاب عادت راتعات

125

١٢٤

الثلة القطعة من الضأن وهذا المعنى قد سبق اليه بعض الاعراب فقال

تحرف روعاتي لدى كل فزعة وتسرع نسيانا وما جاءنا امن

اخذه ابو العتاهية — وانا ولا كفران لله ربنا لكالبدن لا تدري متى يومها البدن

في قوله — اذا ما رايتهم مستيقنين جر غنم وان غيبوا علمتم الى صبوا بها

واخذ عروة — قوله — ان الفتى مثل الهلال له نور لياليَ ثم يمتحق

يمحق ويمتحق وانمحق بمعنى

من قول بعض شعراء طي — يبلى وتفنيه الدهور كما يبلى وينضو الجدة الخلق

انضيت الثوب ابليته وكذلك انتضيته ونضوته ... طعته م

مهما يكن ريب الزمان فانني ارى قمر الليل المعذب كالفتى

يهل صغيرا ثم يعظم ضوءه وصورته حتى اذا ما هو استوى

تقارب يخبو ضوءه وشعاعه ويمصح حتى يستسر فلا يرى

كذلك زيد المرء ثم انتقاصه يعود الى مثل الذي كان قد بدا

اخذه محمد بن يزيد — الكاتب فقال — المرء مثل هلال عند مطلعه يبدو ضئيلا ضعيفا ثم يتسق

يزداد حتى اذا ما تم اعقبه كر الجديدين نقصانا فيمحق

مجلس آخر ٨٦ تاويل آية

ان سال سائل عن قوله تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمن وما كفر سليمن ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما انزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من احد الا باذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الاخرة من خلاق ولبئس ما شروا به انفسهم لو كانوا يعلمون فقال كيف ينزل الله السحر على الملئكة ام كيف تعلم الملائكة الناس السحر والتفريق بين المرء وزوجه وكيف نسب الضرر الواقع عند ذلك الى انه باذنه وهو تعالى قد نهى عنه وحذر من فعله وكيف اثبت العلم لهم ونفاه عنهم بقوله ولقد علموا لمن اشتراه ثم بقوله لو

بقوله لو كانوا يعلمون الجواب قلنا في الآية وجوه كل منها يزيل الشبهة الداخلة على من لا
يتم النظر فيها اوّلها ان يكون ما في قوله وما انزل على الملكين بمعنى الذي فكانه تعالى اخبر عن طائفة
من اهل الكتاب بانهم اتبعوا ما يكذب فيه الشياطين على ملك سليمن وتضيفه اليه من السحر فبرّاه الله تعالى
من قذفهم واكذبهم في قولهم فقال وما كفر سليمن ولكن الشياطين كفروا باستعمال السحر والتمويه على
الناس ثم قال يعلمون الناس السحر وما انزل على الملكين واراد انهم يعلمونهم السحر والذي انزل على الملكين
وانما انزل على الملكين وصف السحر وماهيته وكيفية الاحتيال فيه ليعرفا ذلك ويعرّفاه الناس فيجتنبوه
ويحذروا منه كما انه تعالى قد اعلمنا ضروب المعاصي ووصف لنا احوال القبائح لنجتنبها لا لنواقعها الا ان
الشياطين كانوا اذا علموا ذلك وعرفوه استعملوه واقدموا على فعله وان كان غيرهم من المؤمنين لما عرفه
اجتنبه وحاذره وانتفع باطلاعه على كيفيته ثم قال وما يعلمان من احد يعني الملكين ومعنى يعلمان يُعلمان
والعرب تستعمل لفظة علّمه بمعنى اعلمه قال القطامي

تعلّم ان بعد الغيّ رشدا ... وان لذلك الغيّ انقشاعا

(نسخة: الغمر)

وقال كعب بن زهير

تعلّم رسول الله انك مدركي ... وان وعيدا منك كالاخذ باليد

ومعنى تعلّم في البيتين معنى اعلم والذي يدل على ان ها هنا الاعلام لا التعليم قوله وما يعلمان من احد حتى
يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر اي انهما لا يعرّفان صفات السحر وكيفيته الا بعد ان يقولا انما نحن محنة لان
الفتنة بمعنى المحنة وانما كانا محنة من حيث القيا الى المكلفين امرا لينزجروا عنه وليمتنعوا من
مواقعته وهم اذا عرفوه امكن ان يستعملوه ويرتكبوه فقالا لمن يطلعانه على ذلك لا تكفر باستعماله ولا
تعدل عن الغرض في القائه هذا اليك فانه انما القي اليك واطلعت عليه لتجتنبه لا لتفعله ثم قال
فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه اي فيعرفون من جهتهما ما يستعملونه في هذا الباب وان
كان الملكان ما القياه اليهم لذلك ولهذا قال ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم لانهم لما قصدوا بتعلمه
ان يفعلوه ويرتكبوه لا ان يجتنبوه صار ذلك سوء اختيار منهم ضررا عليهم وثانيها ان يكون ما

قال ابن السكيت رحمه الله تعلّمت ان فلانا خارج
بمعنى علمت قال واذا قال لك اعلم ان زيدا خارج
قلت قد علمت واذا قال تعلّم ان زيدا خارج
لم تقل قد تعلمت يعني انه يقتصر على ما ورد
عنهم ولا يتجاوز الا عنهم

انزل موضعه موضع جر ويكون معطوفا بالواو على ملك سليمن والمعنى واتبعوا ما كذب به الشياطين على ملك سليمن
وعلى ما انزل على الملكين ومعنى انزل على الملكين اي معهما وعلى السنتهما كما قال تعالى ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك
اي على السنتهم ومعهم وليس بمنكر ان يكون ما انزل معطوفا على ملك سليمن وان اعترض بينهما من الكلام ما اعترض لان
ردّ الشيء الى نظيره وعطفه على ما هو اولى هو الواجب وان اعترض بينهما ما ليس منهما ولهذا نظائر في القرآن وكلام
العرب كثيرة قال الله تعالى الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيّما وقيّم من صفات الكتاب
حال منه لا من صفة عوج وان تباعد ما بينهما ومثله يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصدّ
عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام فالمسجد الحرام ها هنا معطوف على الشهر الحرام اي يسئلونك عن الشهر الحرام
وعن المسجد الحرام وحكي عن بعض علماء اهل اللغة انه قال العرب تلفّ الخبرين المختلفين ثم ترمي بتفسيرهما
جملة ثقة بان السامع يردّ الى كلٍّ خبره كقوله تعالى ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا
من فضله وهذا واضح في مذهب العرب كثير النظائر وقال تعالى وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة والمعنى
انهما لا يعلمان احدا بل ينهيان عنه ويبلغ من نهيهما عنه وصدّهما عن فعله واستعماله ان يقولا انما نحن فتنة فلا
تكفر باستعمال السحر والاقدام على فعله وهذا كما يقول الرجل ما امرت فلانا بكذا ولقد بالغت في نهيه حتى قلت له
انك ان فعلته اصابك كذا وكذا وهذا من نهاية البلاغة في الكلام والاختصار الدال مع اللفظ القليل
على المعاني الكثيرة لانه استغنى بقوله تعالى وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة عن بسط الكلام الذي
ذكرناه ولذلك نظائر في القرآن قال الله تعالى ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق
ولعلا بعضهم على بعض فلولا الاختصار لكان مع شرح الكلام يقول ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله و
لو كان معه اله اذا لذهب كل اله بما خلق ومثله قوله تعالى يوم تبيضّ وجوه وتسودّ وجوه فاما الذين اسودّت
وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون اي فيقال للذين اسودّت وجوههم اكفرتم
بعد ايمانكم وامثاله اكثر من ان تحصى ثم قال تعالى فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وليس يجوز ان
يرجع الضمير على هذا الجواب الى الملكين وكيف يرجع اليهما وقد نفى عنهما التعليم بل يرجع الى الكفر والسحر

وقد تقدم ذكر السحر وتقدم ايضا ذكر ما يدل على الكفر ويقتضيه في قوله ولكن الشياطين كفروا
فدل الكفر وعلى الكفر والعطف عليه مع السحر جائز وان كان التصريح قد وقع بذكر السحر دونه ومثل
ذلك قوله سيذكر من يخشى ويتجنبها الاشقى اي يتجنب الذكرى الاشقى ولم يتقدم تصريح بالذكرى لكن
دل عليها قوله سيذكر ويجوز ايضا ان يكون معنى فيتعلمون منهما اي بدلا مما علمهم الملكان ويكون
المعنى انهم يعدلون عما علمهم ووقفهم عليه الملكان من السحر الى تعلمه واستعماله كما يقول القائل ليت
لنا من كذا وكذا اي بدلا منه كما قال الشاعر

النهي عن

جمعت من الخيرات وطبا وعلبة ... وصر الاخلاف المزنمة البزل
ومن كل اخلاق الكرام نميمة ... وسعيا على الجار المجاور بالمحل (المكر والخداع)

ومن هذا الباب قوله فليت لنا من ماء زمزم شربة مبردة باتت على الطهيان اي بدلا من ماء زمزم والطهيان جبل وخطا وامر جعل الطهيان البراكه

يريد جمعت مكان الخيرات ومكان اخلاق الكرام هذه الخصال الذميمة وقوله ما يفرقون به بين المرء و
زوجه فيه وجهان احدهما ان يكونوا يغوون احد الزوجين ويحملونه على الكفر والشرك بالله تعالى فيكون
بذلك قد فارق زوجه الاخر المؤمن المقيم على دينه فيفرق بينهما اختلاف النحلة والملة والوجه
الاخر ان يسعوا بين الزوجين بالنميمة والوشاية والاغراء والتمويه بالباطل حتى يؤول امرهما الى الفرقة
والمباينة وثالث الوجوه في الاية ان يحمل ما في قوله تعالى وما انزل على الجحد والنفي فكانه
تعالى قال واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمن وما كفر سليمن ولا انزل الله السحر على الملكين
ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت ويكون قوله ببابل هاروت و
ماروت من المؤخر الذي معناه التقديم ويكون على هذا التاويل هروت ومروت رجلين من جملة الناس
هذان اسماهما وانما ذكرا بعد ذكر الناس تمييزا وتبيينا ويكون الملكان المذكوران اللذان نفي عنهما
السحر جبريل وميكائيل عليهما السلم لان سحرة اليهود فيما ذكر كانت تدعي ان الله تعالى انزل السحر
على لسان جبريل وميكائيل الى سليمن بن داود عليهما السلم فاكذبهم الله تعالى بذلك ويجوز ان يكون هروت
ومروت يرجعان الى الشياطين فكانه قال ولكن الشياطين هروت ومروت كفروا ويسوغ ذلك كما

ساغ في قوله تعالى وكنا لحكمهم شاهدين يعني حكم داود وسليمن عليهما السلم ويكون قوله على هذا التاويل
وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة راجعا الى هروت ومروت اللذين هما من الشياطين او من الانس
المتعلمين السحر من الشياطين والعاملين به ومعنى قولهما انما نحن فتنة فلا تكفر يكون على طريق الاستهزاء
والتماجن والتخالع كما يقول الماجن من الناس اذا فعل قبيحا او قال باطلا هذا فعل من لا يفلح وقول من لا
يحب والله لا حصلت الا على الخسران وليس ذلك منه على سبيل النصح للناس وتحذيرهم من مثل فعله
بل على جهة المجون والتهالك :: ويجوز ايضا على هذا التاويل الذي يتضمن النفي والجحد ان يكون هاروت و
ماروت اسمين للملكين ونفي عنهما انزال السحر بقوله وما انزل على الملكين ويكون قوله وما يعلمان من احد
يرجع الى قبيلين من الجن اذ الى شياطين الجن والانس فتحسن التثنية لهذا وقد روي هذا التاويل الاخير
في حمل ما على النفي عن ابن عباس رضي الله عنه وغيره من المفسرين وروي عنه ايضا انه كان يقرا وما انزل
على الملكين بكسر اللام ويقول متى كان العلجان ملكين انما كانا ملكين وعلى هذه القراة لا ينكر ان يرجع قوله
وما يعلمان من احد اليهما :: ويمكن على هذه القراة في الاية وجه اخر وان لم تحمل قوله وما انزل على الملكين
على الجحد والنفي وهو ان يكون هؤلاء الذين اخبر عنهم انهم اتبعوا ما تتلوا الشياطين وبدعتهم على ملك سليمن
واتبعوا ما انزل على هذين الملكين من السحر ولا يكون الانزال مضافا الى الله تعالى وان اطلق لانه جل وعز
لا ينزل السحر بل يكون منزله اليهما بعض الضلال والعصاة ويكون معنى انزل وان كان من الارض حمل اليهما
لا من السماء انه اتى به من نجود البلاد واعاليها فان من هبط من نجد البلاد الى غورها يقال نزل وهبط و
ما جرى هذا المجرى :: فاما قوله تعالى وما هم بضارين به من احد الا باذن الله فيحتمل وجوها منها
ان يريد بالاذن العلم من قولهم اذنت فلانا بكذا اذا اعلمته واذنت لكذا اذا استمعته وعلمته قال الشاعر

في سماع يأذن الشيخ له ... وحديث مثل ماذي مشار

شرت العسل واشترته واشرته لغة

ومنها ان يكون الا زائدة فيكون المعنى وما هم بضارين به من احد باذن الله ويجري مجرى قول [illegible]
زيد الا اني كرهته اي لقيته فكرهته ومنها ان يكون اراد بالاذن التخلية وترك المنع فكانه

أفاد بذلك أن العباد لن يعجزوه وما هم بضارين به من أحد إلا بأن يخلي الله بينهم وبينه ولو شاء لمنعهم بالقهر
والقسر زائداً على منعهم بالزجر والنهي. ومنها أن يكون الضرر الذي عنى أنه لا يكون إلا بإذنه وإضافه
إليه هو ما يلحق المسحور من الأدوية والأغذية التي تطعمه إياها السحرة ويدعون أنها موجبة لما يقصدونه
ومعلوم أن الضرر الحاصل عن ذلك من فعل الله تعالى بالعادة لأن الأغذية لا توجب ضرراً ولا
نفعاً وإن كان المعرّض للضرر من حيث كان كالفاعل له هو المستحق للذم وعليه يجب العوض. ومنها
أن يكون الضرر المذكور إنما هو ما يحصل عن التفريق بين الأزواج لأنه أقرب إليه في ترتيب الكلام والمعنى أنهم
إذا أغووا أحد الزوجين فكفر فبانت منه زوجته فاستضر بذلك كانوا ضارين له بما حسّنوا له من
الكفر إلا أن الفرقة لم تكن إلا بإذن الله وحكمه والمعنى أنه لولا حكم الله وإذنه في الفرقة بين هذين الزوجين
باختلاف الملة لم يكونوا ضارين له هذا الضرب من الضرر الحاصل عند الفرقة ويقوي هذا الوجه ما روي
أنه كان من دين سليمان أنه من سحر بانت منه امرأته. فأما قوله تعالى ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من
خلاق ثم قوله لو كانوا يعلمون ففيه وجوه أولها أن يكون الذين علموا غير الذين لم يعلموا ويكون الذين
علموا الشياطين أو الذين خبّر عنهم بأنهم نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون واتبعوا ما تتلو
الشياطين على ملك سليمان والذين لم يعلموا هم الذين تعلموا السحر وشروا به أنفسهم. وثانيها أن
يكون الذين علموا هم الذين لم يعلموا إلا أنهم علموا شيئاً ولم يعلموا غيره فكأنه تعالى وصفهم بأنهم عالمون
بأنه لا نصيب لمن اشترى ذلك ورضيه لنفسه على الجملة ولم يعلموا كنه ما يصيرون إليه من عقاب الله
الذي لا نفاد له ولا انقطاع. وثالثها أن تكون الفائدة في نفي العلم بعد إثباته أنهم لم يعملوا بما
علموا فكأنهم لم يعلموا وهذا كما يقول أحدنا لغيره ما أدعوك إليه خير لك وأعود عليك لو كنت تعقل
وتنظر في العواقب وهو يعقل وينظر في العواقب إلا أنه لم يعمل بموجب علمه فحسن أن يقال له مثل هذا
القول. وقال كعب بن زهير يصف ذئباً وغراباً تبعاه ليصيبا من زاده

إذا حضراني قلت لو تعلمانه ألم تعلما أني من الزاد مرمل

نفى عنهما العلم ثم أثبته بقوله ألم تعلما وإنما المعنى في نفيه العلم عنهما أنهما لم يعملا بما علماه فكأنهما لم
يعلماه. ورابعها أن يكون المعنى أن هؤلاء القوم الذين قد علموا أن الآخرة لا حظ لهم فيها مع
عملهم القبيح إلا أنهم ارتكبوه طمعاً في حطام الدنيا وزخرفها فقال تعالى ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا
يعلمون أن الذي آثروه وجعلوه عوضاً من الآخرة لا يتم لهم ولا يبقى عليهم وأنه منقطع زائل ومضمحل باطل
وأن المآل إلى المستحق في الآخرة وكل ذلك واضح بحمد الله

مجلس آخر

تأويل خبر

روى عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لو كان هذا
القرآن في إهاب ما مسته النار. وقد ذكر من تأول حديث النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الخبر وجوهاً أكثرها
كلها غير صحيح ولا شاف وأنا أذكر ما ذكروه وأبين ما فيه ثم أذكر الوجه الصحيح. قال ابن قتيبة ذهب
الأصمعي إلى أن من تعلم القرآن من المسلمين ثم ألقي في النار لم تحرقه وكنى بالإهاب وهو الجلد عن الشخص
والجسم واحتج علينا بدليل هذا الحديث عن سليمان بن محمد قال سمعت أبا أمامة يقول اقرؤوا القرآن ولا تغرنكم
هذه المصاحف المعلقة فإن الله لا يعذب قلباً وعى القرآن. قال ابن قتيبة وفي الحديث تأويل آخر وهو
أن يكون القرآن لو كتب في جلد ثم ألقي في النار على عهد رسول الله صلى الله عليه لم تحرقه النار على جهة
الدلالة على صحة أمر النبي صلى الله عليه وسلم ثم انقطع ذلك بعده. قال ومجرى هذا مجرى كلام الذئب
وشكاية البعير وغير ذلك من آياته صلى الله عليه وسلم. قال وفيه تأويل ثالث وهو أن يكون الإحراق إنما نفي عن
القرآن لا عن الإهاب ويكون معنى الحديث لو جعل القرآن في إهاب لكانت النار تحرق الجلد والمداد ولا
تحرق القرآن لأن الله تعالى ينسخه ويرفعه عن الجلد صيانة له عن الإحراق. وقال أبو بكر محمد بن القسم
الأنباري رادّاً على ابن قتيبة ومعترضاً عليه اعتبرت ما قاله ابن قتيبة من ذلك كله فما وجدت فيه شيئاً
صحيحاً. أما قوله الأول فيرده عليه ما روي عنه عليه السلام من قوله يخرج من النار قوم بعدما يحترقون
فيها فيقال هؤلاء الجهنميون طلقاء الله عز وجل. قال وقد روى أبو سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال
إذا أدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار قال الله عز وجل انظروا إلى من كان في قلبه مثقال حبة من

خردل من ايمان فاخرجوه منها • قال ابو بكر وكيف يصح قول ابن قتيبة في زعمه ان النار لا تحرق من قرا القرآن
ولا خلاف بين المسلمين ان الخوارج وغيرهم ممن يلحد في دين الله تعالى ويقرا القرآن تحرقهم النار بغير شك واحتجاجه
بخبر ابي امامة ان الله لا يعذب قلبا وعى القرآن فمعناه من قرا القرآن وعمل به فاما من حفظ الفاظه وضيع حدوده
فانه غير داخل فيه قال فاما قوله انه من دلائل النبوة التي انقطعت بعده فما روى هذا الحديث احد انه كان في
دلائله عليه السلام ولو اراد ذلك دليلا لكان صلى الله عليه وسلم يجعل القرآن في اهاب ثم يلقيه في النار فلا
يحترق قال وقول ابن قتيبة الثالث لاحترق الجلد والمداد ولم يحترق القرآن غير صحيح لان الذي يصحح
هذا القول يوجب ان القرآن غير المكتوب وهذا محال لان المكتوب في المصحف هو القرآن والدليل على هذا
قوله انه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون ومنه الحديث لا تسافروا بالقرآن الى ارض العدو وانما
اريد به المصحف قال ابو بكر والقول عندنا في تاويل هذا الحديث انه اراد لو كان القرآن في جلد ثم القي في النار ما
ابطلته لانها وان احرقته فانها لا تدرسه اذ كان الله عز وجل قد ضمنه قلوب الاخيار من عباده والدليل على هذا
قول الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم فيما روى انه منزل عليك كتابا لا يغسله الماء تقراه نائما ويقظان فلم يرد تعالى
ان القرآن لو كتب في شيء ثم غسل بالماء لم يغسل وانما اراد ان الماء لا يبطله ولا يدرسه اذ كانت القلوب
تعيه وتحفظه قال ومثل هذا كثير في كتاب الله تعالى وفي لغة العرب قال الله تعالى يومئذ يود الذين كفروا و
عصوا الرسول لو تسوى بهم الارض ولا يكتمون الله حديثا فهم قد كتموا الله تعالى لما قالوا والله ربنا
ما كنا مشركين وانما اراد تعالى ولا يكتمون الله حديثا في حقيقة الامر لانهم وان كتموه في الظاهر فالذي
كتموه غير مستتر عنه قال المصنف رحمه الله والوجه الصحيح في تاويل الخبر غير ما توهمه
ابن قتيبة وابن الانباري جميعا وهو ان هذا من كلام النبي صلى الله عليه وسلم على طريق المثل والمبالغة في تعظيم
شان القرآن والاخبار عن جلالة قدره وعظم خطره والمعنى انه لو كتب في اهاب والقي في النار وكانت النار
مما لا يحرق شيئا لعلو شانه وجلالته لم تحرقه النار وهذا نظائره في القرآن وكلام العرب واشعارهم كثيرة
ظاهرة لا تخفى على عالم لذي ادنى انس بمذاهبهم وتصرف كلامهم فمن ذلك قوله تعالى لو انزلنا هذا القرآن على جبل

لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون ومعنى الكلام انا لو
انزلنا القرآن على جبل وكان الجبل مما يتصدع اشفاقا من شيء او خشية لامر لتصدع مع صلابته وقوته فكيف
بكم يا معاشر المكلفين مع ضعفكم وقلتكم فانتم اولى بالخشية والاشفاق وقد صرح الله تعالى لان الكلام
خرج مخرج المثل بقوله تعالى وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون ومثله قوله تعالى تكاد السموات
يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ومثله قول الشاعر

اما وجلال الله لو تذكرينني كذكريك ما نهنهت للعين مدمعا
فقالت بلى والله ذكرا لو انه تضمنه صم الصفا لتصدعا

ومثله
فلو ان ما بي بالحصى فلق الحصى وبالريح لم يسمع لهن هبوب

ومثله
وقفت على ربع لمية ناقتي فما زلت ابكي عنده واخاطبه
واسقيه حتى كاد مما ابثه تكلمني احجاره وملاعبه

فهذه طريقة للعرب مشهورة في المبالغة يقولون هذا كلام يفلق الصخر ويهد الجبال ويصرع الطير و
يستنزل الوعول وليس ذلك بكذب منهم بل المعنى انه لحسنه وحلاوته وبلاغته يفعل مثل هذه الامور لو كانت
ولو كانت مما يستهل ويستبشر لشيء من الاشياء لتستهلن به ومن اجله فاما الجواب الاول المحكي عن ابن قتيبة
فالذي ابطله عليه ما رده به ابن الانباري انه لو كان الامر على ما ذكره ابن قتيبة وحكاه عن الاصمعي لكان النبي عليه السلام
قد اغرانا بالذنوب لانه اذا امن حافظ القرآن ومتعلمه من دخول النار والعذاب فيها دعي المكلفون الى تعلم
القرآن والاقدام على القبائح امنين غير خائفين وهذا لا يجوز عليه صلى الله عليه وسلم والمعنى في قول ابي امامة ان
الله لا يعذب قلبا وعى القرآن على نحو ما ذكره ابن الانباري فاما جواب ابن قتيبة الثاني فمن اين له ان
ذلك مختص بزمانه صلى الله عليه وسلم وليس في اللفظ ولا في غيره دلالة عليه واقوى ما يبطله انه لو كان هذا كما
ذكر لما جاز ان يخفى ذلك على جماعة المسلمين الذين راوا معجزاته وضبطوها وفي وجداننا من روى ذلك وجمعه
وعني به غير عارف بهذه الدلالة والاية ابطال لما توهمه فاما جوابه الثالث فباطل لان القرآن

جميع

في الحقيقة ليس يحل الجلد ولا يكون فيه حتى ينسب الاحتراق الى الجلد دونه واذا كان الامر على هذا لم يكن بنا
قوله ان الاهاب هو المحترق دون القرآن فائدة لان هذا سبيل كل كلام كتب في الاهاب اذ غيره اذا احترق الاهاب
لم يصل الاحتراق الى الكلام لاستحالة هذه الصفة عليه ومن عجيب الامور قول ابن الانباري وهذا ابو حيان
القرآن غير المكتوب لان كلام ابن قتيبة ليس موجب ما ظنه بل يوجب صحة من ان المكتوب هو القرآن واذا
كان المكتوب في المصحف هو القرآن على ما اقترح ابن الانباري فما المانع من قول ابن قتيبة ان الجلد يحترق دونه
لان احدا لا يقول ان الجلد هو القرآن وانما يقول قوم انه مكتوب فيه واذا كان غيره لم يمتنع اضافة احدهما
دون الآخر وهذا كله تخليط من الرجلين لان القرآن غير حال في الجلد على الحقيقة وليست الكتابة غير المكتوب في بالاحتراق الى
ان الكتابة امارة للحروف فاما ان تكون هي الكلام على الحقيقة او يوجد معها الكلام مكتوبا فمحال فاما
اشتبها كل على ذلك بالآية ويقوله لا تسافروا بالقرآن فذلك محمول على التوسع وليس يجب ان يجعل اطلاق الالفاظ
المحتملة دليلا على اثبات الاحكام والمعاني ومعترضة على ادلة العقول وقد يتجوز القوم باكثر من هذا فيقولون في
هذا الكتاب شعر امرئ القيس وعلم الشافعي وفقه فلان ولم يقتض ذلك ان يكون العلم والكلام على الحقيقة
موجودين في الدفتر وقد بين الكلام في هذا الباب في مواضع هي اولى به ∴ فاما جواب ابن الانباري
الذي ارتضاه لنفسه فلا طائل ايضا فيه لانه لا مزية للقرآن فيما ذكره على كل كلام وشعر في العالم لانا نعلم ان
الشعر او الكلام المحفوظ في صدور الرجال اذا كتب في جلد ثم احرق او غسل لم يذهب ما في الصدور منه بل
يكون ثابتا بحاله فاي مزية للقرآن في هذا على غيره واي فضيلة فان قال وجه المزية ان غير القرآن من الشعر
وغيره يمكن ان يدرس ويبطل باحراق النار والقرآن اذا كان هو تعالى المتولي لايداعه الصدور لا يتم ذلك
فيه قلنا الكل سواء لان غير القرآن انما يدرس باحراق الاهاب المكتوب فيه متى لم يكن محفوظا مودعا
الصدور ومتى كان بهذه الصفة لم يبطل باحتراق الجلد وهكذا القرآن لو لم يحفظ في الصدور لبطل باحتراق
ولكنه لا يبطل بهذا الشرط فصار الشرط في بطلان غير القرآن وثباته كالشرط في بطلان القرآن وثباته
فلا مزية على هذا الجواب للقرآن فيما خص به من ان النار لا تمسه وهذا بين انه لا وجه غير ما ذكرناه في الخبر

ومن اشبه بمذاهب العرب واولى بتفضيل القرآن وتعظيمه ∴ اخبرنا ابو الحسن علي بن محمد الكاتب
قال اخبرنا ابن دريد قال انشدنا ابو حاتم قال ابن دريد وانشدناه عبد الرحمن يعني ابن اخي الاصمعي
عن عمه للحسين بن مطير الاسدي وقال عبد الرحمن قال عمي لو كان شعر العرب هكذا لما اتهم منشده

الا حبذا البيت الذي انت هاجره وانت بتلماح من الطرف زائره ١٣
لانك من بيت لعيني معجب واحسن في عيني من البيت عامره
اصد حياء ان يلج بي الهوى وفيك المنى لولا عدو احاذره
وفيك حبيب النفس لو تستطيعه لمات الهوى والشوق حين تجاوره
فان آته لا انج الا بظنة وان يأته غيري تنط بي جرائره
وكان حبيب النفس للقلب وازداد كيف يحب القلب من هو دائره
فان يكن الاعداء احموا كلامه علينا فلن يخفى علينا مناظره
احبك يا سلمى على غير ريبة ولا باس في حب تعف سرائره
ويا عاذلي لولا نفاسة حبها عليك لما باليت انك خابره
بنفسي من لا بد اني هاجره ومن انا في الميسور والعسر ذاكره
ومن قد لحاه الناس حتى اتقاهم ببغضي الا ما تجن ضمائره
احبك حبا لن اعنف بعده محبا ولكني اذا ليم عاذره
لقد مات قبلي اول الحب فانقضى ولو مت اضحى الحب قد مات آخره
كلانا يا سلمى وان قل نافع فلا تحسبي اني وان قل حافره
لك الله لا ابالي اي حي تحملوا اذا ثمد البر فان لم يحل حاضره
وانشد ابن الاعرابي لابن مطير
الرحلة القوم عن منازلهم
لعمرك للبيت الذي لا نطوره احب البنا من بلاد نطورها

تقلبت في الإخوان حتى عرفتهم ولا يعرف الإخوان إلا خبيرها
فلا أصرم الخلان حتى يصارموا وحتى يسيروا سيرة لا أسيرها
فإنك بعد الشر ما أنت واجد خليلا مديرا أشيمة لا يديرها
وإنك في غير الأخلاء عالم بيان التي تخفي عليك ضميرها
فلا تك مغترا بمسحة صاحب من الود لا تدري علام مصيرها
وما الجود عن فقر الرجال ولا الغنى ولكنه خيم الرجال وخيرها
وقد تغدر الدنيا فيضحي غنيها فقيرا ويغنى بعد بؤس فقيرها
وكاين رأيت من حال دنيا تغيرت وحال صفا بعد اكدرار غديرها
ومن طامع في حاجة لن ينالها ومن يائس منها أتاه بشيرها
ومن يتبع ما يعجب النفس لا يزل مطيعا لها في فعل شيء يضيرها
فنفسك أكرم عن أمور كثيرة فما لك نفس بعدها تستعيرها لم يزل

قال السيد ولي في معنى قول ابن مطير وقد تغدر الدنيا والبيت الذي بعده من جملة قصيدة
وكيف أنس بالدنيا ولست أرى إلا امرءا قد تعرى من عواريها
نصبوا إليها بآمال مخيبة كأننا ما نرى عقبى أمانيها
في وحشة الدار ممن كان يسكنها كل اعتبار لمن قد ظل باديها
لا تخدعن فما قلبي لها وطنا وقد أبيت ظلولا من مغانيها

وأخبرنا أبو عبد الله المرزباني قال أنشدنا علي بن سليمان الأخفش قال أنشدنا أحمد بن يحيى ثعلب للحسين بن مطير
لقد كنت جلدا قبل أن توقد النوى على كبدي نارا بطيئا خمودها
ولو تركت نار الهوى لتضرمت ولكن شوقا كل يوم يزيدها
وقد كنت أرجو أن تموت صبابتي إذا قدمت أيامها وعهودها

لقد جعلت في حبة القلب والحشا عهاد الهوى تولى بشوق يعيدها
بمرتجة الأرداف هيف خصورها عذاب ثناياها عجاف قيودها عجافا

يعني أنها عجاف اللثات وأصول الأسنان عن قيودها قال أبو العباس ثعلب عجاف بالخفض لحن لأنه ليس من
صفة النساء وسبيله أن يكون نصبا لأنه حال من الثنايا
مخصرة الأوساط زانت عقودها بأحسن مما زينتها عقودها
وصفر تراقيها وحمر أكفها وسود نواصيها وبيض خدودها
وصف التراقي بالصفرة من الطيب وحمرة لكفها من الخضاب
يمنيننا حتى ترف قلوبنا رفيف الخزامى بات طل يجودها
أخذ قوله مخصرة الأوساط زانت عقودها البيت من قول مالك بن أسماء بن خارجة
وتزيدين طيب الطيب طيبا أن تمسيه أين مثلك أينا
وإذا الدر زان حسن وجوه كان للدر حسن وجهك زينا
وقد روى أبو تمام الطائي في الحماسة بعض الأبيات التي ذكرناها للحسين بن مطير وروى له أيضا ويشبه أن يكون الجميع
من قصيدة واحدة وكنت أذود العين أن ترد البكا فقد وردت ما كنت عنه أذودها
خليلي ما بالعيش عتب لو أننا وجدنا لأيام الصبى من يعيدها
وروى أبو تمام أيضا لبعض الرواة يروونها لابن مطير
ولي نظرة بعد الصدود من الجوى كنظرة ثكلى قد أصيب وليدها
هل الله عاف عن ذنوب تسلفت أم الله إن لم يعف عنها معيدها وأنشد أبو محلم
قضى الله يا أسماء أن لست زائلا أحبك حتى يغمض العين مغمض لابن مطير
وحبك بلوى غير أن لا يسرني وإن كان بلوى أنني لك مبغض
إذا أنا رضت النفس في حب غيرها أتى حبها من دونها يتعرض

فيا ليتني أمرضت جلدا أصابني وأمرضني صبرا على الشوق ممرض

ويشبه أن يكون أخذ قوله إذا ما أرضنا النفس في حب غيرها من قول رجل من فزارة

وأعرض حتى يحسب الناس أنما بي الهجر لا والله ما بي لك الهجر

٢ ولكن أروض النفس أنظر هل لها إذا فارقت يوما أحبتها صبر أخذ من قول نصيب

وإني لأستحيي كثيرا وأتقي عيونا وأستبقي المودة بالهجر

وأنذر بالهجران نفسي أروضها لتعلم عند الهجر هل لي من صبر

ويشبه أن يكون أخذ قوله فيا ليتني أمرضت جلدا أصابني البيت من قول بعض العرب

رمى قلبه البرق الملألئ رمية بذكر الحمى وهنا فكاد يهيم المتلالي

فهل من معير طرف عين خلية فإنسان عين العامري كليم وللحسين في هذا المعنى مما

ولي كبد مقروحة من يبيعني بها كبدا ليست بذات قروح رواه المبرد

أبى الناس ويب الناس لا يشترونها ومن يشتري ذا علة بصحيح وأخذ العباس بن الأحنف هذا

من ذا يعيرك عينه تبكي بها أرأيت عينا للبكاء تعار المعنى فقال

نزف البكاء دموع عينك فاستعر عينا لغيرك دمعها مدرار

وأخبرنا المرزباني قال حدثني أبو عبد الله الحكيمي قال حدثني يموت بن المزرع قال حدثنا محمد بن حميد

قال كنا عند الأصمعي فأنشده رجل أبيات دعبل

أين الشباب وأية سلكا لا أين يطلب ضل بل هلكا ٣

لا تعجبي يا سلم من رجل ضحك المشيب برأسه فبكى

يا سلم ما بالشيب منقصة لا سوقة يبقي ولا ملكا

قصر الغواية عن هوى قمر وجد السبيل إليه مشتركا

يا ليت شعري كيف نومكما يا صاحبي إذا دمي سفكا

لا تأخذا بظلامتي أحدا قلبي وطرفي في دمي اشتركا

قال فاستحسنها كل من كان في المجلس وأكثروا التعجب من قوله ضحك المشيب برأسه فبكى فقال الأصمعي

إنما أخذ قوله هذا من ابن مطير الأسدي حيث يقول

أين أهل القباب بالدهناء أين جيراننا على الأحساء

٢ جاورونا والأرض ملبسة نور الأقاحي تجاد بالأنواء

كل يوم عن أقحوان جديد تضحك الأرض من بكاء السماء وقد أخذه مسلم صريع الغواني في

قوله مستعبر يبكي على دمنة ورأسه يضحك فيه المشيب

قال السيد ولأبي الحجناء نصيب الأصغر مثل هذا المعنى وهو قوله

فبكى الغمام به فأصبح روضه جذلان تضحك بالجميم ويزهر ولابن المعتز مثله

ألحت عليه كل طخياء ديمة إذا ما بكت أجفانها ضحك الزهر ولابن دريد مثله

تبسم المزن واستهلت مدامعه فأضحك الروض دمع الضاحك الباكي جعفر

وغازل الشمس نور ظل يلحظها بعين مستعبر بالدمع ضحاك

وروي عن أبي العباس المبرد أنه قال أخذ ابن مطير قوله تضحك الأرض من بكاء السماء من قول دكين الراجز

جن النبات فذراها وزكا وضحك المزن به حتى بكى جن

مجلس آخر تأويل آية

إن سأل سائل عن قوله تعالى

فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله

والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب الجواب

قلنا قد ذكر في هذه الآية وجهان متطابقان للحق أحدهما أن يكون الراسخون في العلم معطوفين على اسم

الله تعالى فكأنه قال وما يعلم تأويله إلا الله وإلا الراسخون في العلم وإنهم مع علمهم به يقولون آمنا كل

موقع قوله يقولون آمنا به في موقع الحال والمعنى أنهم يعلمونه قائلين آمنا به كل من عند ربنا وهذا غاية

المدح لهم لأنهم إذا علموا ذلك بقلوبهم وأظهروا التصديق به على ألسنتهم فقد تكاملت مدحتهم ووصفهم

بإزاء الواجب عليهم والحجة لمن ذهب إلى ما بيناه والرد على من استبعد عطفه على الأول وتفرده
أن يكون قوله يقولون آمنا به على هذا التأويل لا ابتداء له قوله ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى
فلله وللرسول إلى قوله شديد العقاب فذكر جملة ثم تلاها بالتفصيل وتسمية من يستحق هذا الفيء فقال
للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا إلى قوله تعالى إنك
رؤوف رحيم وقال في المهاجرين يبتغون فضلا من الله ورضوانا وقال في الذين تبوؤوا الدار والإيمان
وهم الأنصار يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو
كان بهم خصاصة وقال فيمن جاء بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان وهذه
الآيات تدل على أنه لا ينكر في آية الراسخين في العلم أن يكون قوله تعالى يقولون آمنا حالا لهم مع العلم
بتأويل المتشابه ولو أشكل شيء من ذلك لما أشكل قوله والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر
لنا في أنه موافق لقوله والراسخون في العلم يقولون آمنا به فإن الصورتين واحدة ومما يستشهد به على وأن
ذلك من الشعر قول يزيد بن مفرغ في عبد كان له يسمى بردا فباعه ثم ندم على بيعه

وشريت بردا ليتني من بعد برد كنت هامه
كامنة تدعو صدى بين المشقر فاليمامه
الريح تبكي شجوه والبرق يلمع في غمامه

فعطف البرق على الريح ثم أتبعه بقوله يلمع في غمامه كأنه قال والبرق أيضا يبكيه لامعا في غمامه أي
في حال لمعانه ولو لم يكن البرق معطوفا على الريح في البكاء لم يكن للكلام معنى ولا فائدة ويمكن أيضا على
هذا الوجه مع عطف الراسخين على ما تقدم وإثبات العلم بالمتشابه لهم أن يكون قوله يقولون آمنا استئنافا
وجملة واستغنى فيه عن حرف العطف كما استغني في قوله تعالى ثلاثة رابعهم كلبهم ونحو ذلك مما الجملة
الثانية فيه التباس بالجملة الأولى فيستغنى به عن حرف العطف ولو عطف بحرف العطف كان حسنا
تنزل الملتبس منزلة غير الملتبس والوجه الثاني في الآية أن يكون قوله والراسخون

استئنافا وجملة صح

في العلم مستأنفا غير معطوف كما تقدم ثم أخبر عنهم بأنهم يقولون آمنا به ويكون المراد بالتأويل على
هذا الجواب المتأول لأنه قد يسمى تأويلا قال الله تعالى هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله والمراد
بذلك لا محالة المتأول والمتأول الذي لا يعلمه العلماء وإن كان الله تعالى عالما به كنحو وقت قيام
الساعة ومقادير الثواب والعقاب وصفة الحساب وتعيين الصغائر إلى غير ذلك فكأنه قال وما يعلم
تأويل جميعه على المعنى الذي ذكرناه إلا الله والعلماء يقولون آمنا به وقد اختار أبو علي الجبائي
هذا الوجه وقواه وضعف الأول بأن قال قوله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا
دلالة على استسلامهم لأنهم لا يعرفون تأويل المتشابه كما يعرفون تأويل المحكم ولأن ما ذكرناه من وقت القيامة
ومن تمييز الصغائر والكبائر هو من تأويل القرآن لا محالة إذا كان داخلا في خبر الله والراسخون في
العلم لا يعلمون ذلك وليس الذي ذكره بشيء لأنه لا يمتنع أن يقول العلماء مع علمهم بالمتشابه آمنا به على الوجه
الذي قدمنا ذكره فكيف يظن أنهم لا يقولون ذلك إلا مع فقد العلم به وما المنكر من أن يظهر الإنسان
بلسانه الإيمان بما يعلمه ويتحققه فأما قوله ولأن ما ذكرناه من تأويل القرآن فذلك إنما يكون تأويلا
للقرآن إذا حملت هذه اللفظة على التأويل لا على الفائدة والمعنى فأما إذا حملت على أنه وما يعلم معنى
المتشابه وفائدته إلا الله فلا بد من دخول العلماء فيه وليس يمكنه أن يقول إن حمل التأويل على المتأول
أظهر من حمله على المعنى والفائدة لأن الأمر بالعكس من ذلك بل حمله على المعنى أظهر وأكثر في الاستعمال
وأشبه بالحقيقة على أنه لو قيل إن الجواب الأول أقوى من الثاني لكان أولى من قوله من قبل أنه لو كان
المراد بالتأويل المتأول لا الفائدة والمعنى لم يكن لتخصيص المتشابه بذلك دون المحكم معنى لأن في
متأول المحكم كالإخبار عن الثواب والعقاب والحساب مما لا شبهة في كونه محكما ما لا يعرف تفصيله
ولا كنهه إلا الله فأي معنى لتخصيص المتشابه والكلام يقتضي توجهه نحو المتشابه ألا ترى
إلى قوله فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله فخص
المتشابه بالذكر والأولى أن يكون المراد بلفظة تأويله الثانية هو المراد بلفظة تأويله الأولى

وقد علمنا أن الذين في قلوبهم زيغ إنما اتبعوا تأويله على خلاف معناه ولم يطلبوا تأويله الذي هو
مناقض له فالوجه الأول أقوى وأرجح ويمكن في الآية وجه ثالث لم يذكروه وهو أن يكون قوله و
الراسخون في العلم مستأنفا غير معطوف ويكون المعنى وما يعلم تأويل المتشابه بعينه وعلى سبيل
التفصيل إلا الله وهذا صحيح لأن أكثر المتشابه قد يحتمل الوجوه الكثيرة المطابقة للحق الموافقة
لأدلة العقول فيذكر المتأول جميعها ولا يقطع على مراد الله تعالى منها بعينها لأن الذي يلزم في مثل ذلك
أن نعلم في الجملة أنه لم يرد من المعنى ما خالف الأدلة وأنه قد أراد بعض الوجوه المذكورة المتساوية في
الجواز والموافقة للحق وليس من تكليفنا أن نعلم المراد بعينه وهذا مثل الضلال والهدى اللذين يحتمل
أحدهما وجوها كثيرة منها ما يخالف الحق فنقطع على أنه تعالى لم يرده ومنها وجوه تطابق الحق فنعلم
في الجملة أنه قد أراد أحدها ولا نعلم المراد منها بعينه وغير هذا من الآي المتشابهة فإن أكثرها
يحتمل وجوها والقليل منها يختص بوجه واحد صحيح لا يحتمل سواه ويكون قوله تعالى من بعد والراسخون
في العلم يقولون آمنا به أي صدقنا بما نعلمه مفصلا ومجملا من المحكم والمتشابه وأن الكل من عند ربنا
وهذا أيضا وجه صحيح واضح ** أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني محمد بن أبي الأزهر
قال أنشدنا محمد بن يزيد لأبي حية النميري وهي أبيات مختارة

وخبرك الواشون أن لا أحبكم ... بلى وستور الله ذات المحارم
أصد وما الصد الذي تعرفينه ... عزاء بنا إلا اجتراع العلاقم
حياء وبقيا أن تشيع نميمة ... بنا وبكم أف لأهل النمائم
وإن دما لو تعلمين جنيته ... على الحي جاني مثله غير سالم
أما إنه لو كان غيرك أرقلت ... صعاد القنا بالراعفات اللهاذم
ولكنه والله ما طل مسلما ... كبيض الثنايا واضحات الملاغم

قال ثعلب الملاغم ما حول الفم وقال المبرد واضحات الملاغم من الغوارض وقوله ما طل مسلما أي أبطل دمه

إذا هن ساقطن الحديث حسبته ... سقوط حصى المرجان من سلك ناظم
ويروى ساقطن الأحاديث للفتى ... ويروى أيضا ساقطن الحديث كأنه
رمين فأصمين القلوب ولا ترى ... دما مائرا إلا جوى في الحيازم

ومن مستحسن ما مضى في هذه القصيدة قوله

كأن لم أبرح بالغيور وأشتفي ... بغفلته أبصار الصحاح السقائم
ولم آته بالحدث الألف الذي له ... غرار لم يحزن فار اللطائم
إذ اللهو يطبيني وإذ أستميله ... بحلو لكل الفودين وحف المقادم
وإذ أنا منقاد لكل مقود ... إلى اللهو جلاف البطالات آثم

وروى ابن حبيب معود ومعنى جلاف البطالات أي حلاف في البطالات

مهين المطايا متلف غير أنني ... على رد ما أتلفته غير نادم
أرى خير يومي الخنبس وإن غلا ... بي اللوم لم أحفل ملامة لائم

معنى خير يومي الخنبس أي أحب يومي إلى هو الذي هو أخس عند أهل الرأي والعقل وأنشد
أبو إسحاق إبراهيم بن سفيان الزيادي لأبي حية وقال اسمه هيثم بن الربيع

ترحل بالشباب الشيب عنا ... فليت الشيب كان به الرحيل
وقد كان الشباب لنا خليلا ... فقد قضى مآربه الخليل
لعمر أبي الشباب لقد تولى ... حميدا ما يراد به بديل
إذ الأيام مقبلة علينا ... وظل أراكة الدنيا ظليل

وأنشد المبرد قال أنشدنا أبو عثمان المازني لأبي حية

زمان الصبى ليت أيامنا ... رجعن لنا الصالحات القصار
زمان علي غراب غداف ... فطيره الدهر عني فطارا

طباه أي دعاه

فلا يبعد الله ذاك الغراب وان هو لم يبق الا ادكارا
كان الشباب ولذاته وريق الصبى كان شيا معارا
اهاب نذيران ان اللمى تلفع شيب بها فاستنارا
ولذلك منه بعد الخطام عذارا فما استطيع اعتذارا
لجارتنا ان ريب الزمان فلى نال الرجال الخيارا
فاما ترى لمتى هكذا فاشرع منها المشيب النفارا
فقد ارى وجفة طلة وفرا بزذ الغيان الخفارا

اما قوله وكان على غراب غداف فاراد به الشباب والشعر الاسود وتشبيه ان يكون ماخوذا من قول الاعشى
وما طلابك شيئا لست مدركه ان كان عنك غراب الجهل قد وقعا

ولابي حية من قصيدة
اولها
الا يا اسلمي اطلال حسنا وانعمي
وحسنا لخماص الوشاحين مشبهها الى الزوج افنانا تخطى المتجشم
الا اسلمي قبل ان ترمي النوى بنا فرقة ينبض الفؤاد المتيم
بعف عاشق لم يبق من روح نفسه ولا عقله الملبوس غير التوهم
فقلن لها سرا فديناك لا يرح صحيحا وان لم تقتليه فالممي
فالقت قناعا دونه الشمس واتقت باحسن موصولين كف ومعصم

وهذا البيت الاخير ماخوذ من قول النابغة
سقط النصيف ولم ترد اسقاطه فتناولته واتقتنا باليد

ولقوله فقلن لها سرا فديناك البيت خبر وهو ما اخبرنا به ابو الحسن علي بن محمد الكاتب قال حدثني محمد بن
يحيى الصولي قال حدثني الباقطاني قال اتصل بسليمن بن وهب امر علي بن العباس الرومي وكثرة مجالسته
لابي الحسين القسم ابنه وسمع شيئا من اهاجيه فقال لابي الحسين قد احببت ان ارى ابن الرومي وبينك هذا فدخل

يوما عبيد الله الى ابي الحسين وابن الرومي عنده فاستنشده من شعره فانشده وخاطبه فراه مضطرب
العقل جاهلا فقال لابي الحسين بينه وبينه ان لسان هذا اطول من عقله ومن هذه صورته لا تؤمن عقاربه
عند اول عتب ولا يفكر في عاقبته فاخرجه عنك فقال اخاف حينئذ ان يعلن ما يكتمه في دولتنا ويذيعه في
تمكننا فقال يا بني اني لم ارد باخراجك له طرده فاستعمل فيه بيت ابي حية النميري
فقلن لها سرا فديناك لا يرح صحيحا وان لم تقتليه فالممي
فحدث القسم ابن فراس ما جرى وكان اعدى الناس لابن الرومي وقد هجاه باهاج قبيحة فقال له الوزير
اعزه الله اشار بان تغتاله حتى تستريح منه وانا اكفيك ذلك فسمه في الخشكنانج فمات قال الباقطاني
والناس يقولون قتله ابن فراس وانما قتله عبيد الله وذكر محمد بن يزيد المبرد قال مما يفضل النظم من
التكلف وسلامته من التشبيه وبعده من الاستعانة قول ابي حية
رمتني وستر الله بيني وبينها عشية ارآم الكناس رميم
الا رب يوم لو رمتني رميتها ولكن عهدي بالنضال قديم

قال السيد وقد روى هذان البيتان لنصيب في غير رواية المبرد قال المبرد يقول رمتني فاصابتني
بمحاسنها ولو كنت شابا لرميت كما رميت وفتنت كما فتنت ولكن عهدي قد تطاول بالشباب وهذا كلام
واضح واما الاستعانة فهو ان يدخل في الكلام ما لا حاجة بالمستمع اليه ليصحح وزنا او نظما قال ومما اختار
من قول ابي حية ايضا
الا حي من اجل الحبيب المغانيا لبسن البلى مما لبسن اللياليا
اذا ما تقاضى المرء يوم وليلة تقاضاه شيء لا يمل التقاضيا

ويقال ان احسن ما وصف به المسواك قول ابي حية
لقد طال ما عنيت راحلة الصبى وعلقت شيطان الغوى المتوقف
وذاويت فرح القلب منهن بالمنى وبالحظ لو يبذلنه المتسرف
وساقيتني كاس الهوى وسقيتها رقاق الثنايا عذبة المترشف
وخمصانة تفتر عن متنضد كنور الاقاحي طيب المتذوق

ويروى عن متنسّق يعني ثغرًا على نسق واحد لا اختلاف فيه

إذا مضغت بعد امتناع من الضحى أنابيب من عود الأراك المخلّق
سقت شعث المسواك ماء غمامة فضيضًا بخرطوم المدام المروّق

بدل: بفراق الشراب — نسخه

الامتناع الارتفاع يقال امتنع النهار وامتنع إذا طال والمخلّق الذي علي به الخلوق والطيب وقال بعضهم عنى بالمخلّق المملّس والفضيض الذي حين سال من الغمامة أي كما فضّ والخرطوم سلاف الخمر وهو أول ما يخرج من غير عصر ولا دوس

وإن ذقت فاها بعد ما سقط الندى بعطفي بخنداة رداح المنطّق

البخنداة الضخمة والرداح العظيمة الأرداف

شممت العرار الطلّ غبّ هميمة ونوّر الخزامى في الندى المترقرق

العرار بهار البر والطلّ الغضّ الطري والهميمة مطر لين وأخبرنا المرزباني قال حدثني علي بن هارون عن علي قال سمعت أبي وقد ذكر قول أبي حية

نظرت كأني من وراء زجاجة إلى الدار من فرط الصبابة أنظر
فعيناي طورًا تغرقان من البكا فأعشى وطورًا تحسران فأبصر

فقال لو اعترضني ملك تجب طاعته ويلزم الانقياد لأمره فقال أي شعر أجود وأولى بأن يستحسن و لم يفسح لي في أن أميز المدح من الفخر والهجاء من التشبيه وسائر أصناف الشعر ومذاهب الشعراء فيه لما عدلت عن هذين البيتين ويقال إن أبا أحمد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر أجاز بيتي أبي حية هذين بقوله

فلا مقلتي من غامر الماء تنجلي ولا دمعتي من شدة الوجد تقطر

ولأبي حية

وبين البيت والبيتين بعد
من المتكبات الجلد حتى كأنما يسحّ بعينيه الدموع شعيب

الشعيب مزادة من أديمين يشعب أحدهما بالآخر

ليالي أهلانا جميع وحولنا سوام لهم منها مراح وعزيب

ولأبي حية

وإذ يجتنين الذنوب وما لنا عليهن إلا ودّهن ذنوب
أصدّ عن البيت الحبيب وإنني لأصغي إلى البيت الذي أتجنب
أزور بيوتًا غيره ولأهله علي بما عدا عنهم أعزّ وأقرب
تقطّع أسباب المودة معشر غضابى وهل في أحسن القول مغضب
وإن لآتي يا أم عمرو بهيمة تدبّ بها بيني وبينك عقرب
وما بيننا لو أنه كان عالمًا بذاك لأدنى يبدون ما بين ريب
حديث إذا لم تخش عينًا كأنه إذا ساقطته الشهد بل هو أطيب
لو أنك تستشفي به بعد سكرة من الموت كانت سكرة الموت تذهب
وقلت لها نامين فإني أرى البين أدنى روعة سترقب

قال محمد بن يحيى الصولي ولا أحسبه في قوله لو أنك تستشفي به بعد سكرة إلا اتبع قول توبة بن الحمير

ولو أن ليلى الأخيلية سلّمت علي ودوني تربة وصفائح
لسلّمت تسليم البشاشة أو زقا إليها صدى من جانب القبر صائح

قال السيد قدس الله روحه وأول من سبق إلى هذا المعنى فأحسن الأعشى في قوله

عهدي بها في الحي قد درّعت صفراء مثل المهرة الضامر
لو أسندت ميتًا إلى نحرها عاش ولم ينقل إلى قابر
حتى يقول الناس مما رأوا يا عجبًا للميت الناشر

ومعنى الناشر المنشور يقال أنشر الله الميت فنشر وهو ناشر بمعنى منشور مثل ماء دافق بمعنى مدفوق وقال بعض أصحاب المعاني إن الجارية التي وصفها أيضًا ميتة بمعنى أنها ستموت كما قال تعالى إنك ميت وإنهم ميتون أي ستموتون فيكون المعنى أن الناس عجبوا من أن يكون من يموت ينشر الموتى ومن قال هذا أجاز نشر الله الموتى بمعنى أنشر والقول الأول أظهر وما نظن الأعشى عنى غيره

مجلس آخر ٢٦ تأويل آية

ان سال سائل عن قوله تعالى حاكيا عن يوسف عليه السلم لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين فقال لم خص اليوم بالقول وانما اراد العفو عنهم في جميع مستقبل اوقاتهم الجواب قلنا في هذه الاية وجوه اربعة اولها انه لما كان هذا الوقت الذي اشار اليه هو اول الاوقات التي كشف فيها نفسه لهم و اطلعهم على ما كان مستورا عنهم من امره اشار الى الوقت الذي لو اراد الانتقام لابتدا به فيه والذي متى عفا فيه لم يراجع الانتقام وثانيها ان يوسف لما قدم توبيخهم وعدد عليهم قبيح ما فعلوه و عظيم ما ارتكبوه وهو مع ذلك يستتر عنهم بنفسه ولا يفصح لهم بحاله قال لهم عند تبين امره لا تثريب عليكم اليوم اي قد انقطع عنكم توبيخي ومضى عذلي ولا تمنى عند اعترافكم بالذنب فكان ذكر اليوم دلالة على انقطاع المعاتبة والتوبيخ وعلى ان الان فان المتصلة باليوم تجري مجراه في زوال الغضب وتمام العفو و سقوط المؤاخذة لهم على ما سلف منهم وثالثها ان ذكر اليوم المراد به الزمان والحين فوضع اليوم موضع الزمان كله المشتمل على الليالي والايام والشهور والسنين كما يقول العربي لغيره قد كنت تستحسن شرب الخمر فاليوم وفقت لتركها ومعناها يريد في هذا الزمان ولا يريد يوما واحدا بعينه ومثله قد كنت تقصر في اكتساب فنون العلم فاليوم ما تخل بمسئلة ولا تتوقف عن مشكلة يريد باليوم باقي الزمان كله وقال امرؤ القيس

حلت لي الخمر وكنت امرا ... عن شربها في شغل شاغل
فاليوم فاشرب غير مستحقب ... اثما من الله ولا واغل

ولم يقصد يوما بعينه ومثله وقال

اليوم يرحمنا من كان يغبطنا ... واليوم نتبع من كانوا لنا تبعا

لبيد

وما الناس الا كالديار واهلها ... بها يوم حلوها وغدوا بلاقع

كل ذلك اراد بذكر اليوم او الغد فيه الا جميع الاوقات المستقبلة ورابعها ان يكون المراد لا تثريب عليكم البتة ثم قال اليوم يغفر الله لكم فتعلق اليوم بالغفران كان المعنى غفر الله لكم

137

لم لا يكون اختصاص اليوم بالغفران حتى لا يعترض بذلك ولا وجه آخر وهو ان يكون المعنى اليوم اقول لكم هذا القول الذي هو يغفر الله لكم م

اليوم . وقد ضعف قوم هذا الجواب من جهة ان الدعاء لا ينصب ما قبله فاما معنى التثريب فان ابا عبيدة قال معناه لا تشعيب ولا معاقبة ولا افساد قال الشاعر

فعفوت عنهم عفو غير مثرب ... وتركتهم لعقاب يوم سرمد

وقال ابو العباس ثعلب ثرب فلان على فلان اذا عدد عليه ذنوبه وقال بعضهم وهو ابو مسلم التثريب ماخوذ من لفظ الثرب وهو شحم الجوف فكانه موضوع للمبالغة في اللوم والتعنيف والتقصي الى ابعد غايتهما

تاويل خبر

روى ابو عبيد القسم بن سلام عن حجاج عن حماد بن سلمة عن هشام بن حسان وحبيب بن الشهيد عن ابن سيرين عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن كسب الزمارة . وقال ابو عبيد قال حجاج الزمارة الزانية وقال هذا مثل حديثه الاخر انه نهى عن كسب البغي وقال ابو عبيد قال غير حجاج هي الرمازة بتقديم الراء . قال وفي قول حجاج ايضا عندنا انهم كانوا يكرهون اماءهم على البغاء فانزل الله تعالى ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا . قال فالغرض هو كسب البغي الذي نهى النبي عليه السلم عنه قال ابو عبيد ولا اعلم من اخذ الزمارة غير اني وجدتها مفسرة في الحديث . وقال ابن قتيبة الامر على ما ذكر ابو عبيد الا انه انكره على من زعم انها الزمارة لان الرمازة هي الفاجرة سميت بذلك لانها ترمز اي تومئ بعينيها وحاجبيها وشفتيها قال الفراء واكثر الرمز بالشفتين ومنه قول الله تعالى آيتك الا تكلم الناس ثلثة ايام الا رمزا فالرمازة صفة من صفات الفاجرة ثم صار اسما لها وكالاسم ولذلك قيل لها هلوك لانها تتهالك على الفراش او على الرجل ثم صار اسما لها دون غيرها من النساء وان لم تكن على زوجها وقيل لها خريع للينها وتثنيها ثم صار ذلك اسما لها دون غيرها من النساء وان لم تتثن ونحو قولهم للبعير اعلم للشق في مشفره الاعلى ثم صار كالاسم له وكذلك قولهم للذئب ازل للرسح ثم صار كالاسم له والمرمزة لا تكاد تعلن الكلام انما تومض او ترمز او تصفر قال الشاعر

رمزت الي مخافة من بعلها ... من غير ان يبدو هناك كلامها

وقال الاخطل
احاديث سداها ابن حدراء فرقد ... ورمّازة مالت لمن يستميلها

وقال الراجز
يومين بالاعين والحواجب ... ايماض برقٍ في عماءٍ ناصب

والعماء السحاب والناصب البعيد وقال بعضهم انما قيل للفاجرة رمّازة من الرمجاب وهو الشعال قال و
احسبه اراد انها تتنحنح او تسعل ثم من ذلك قال وبلغني عن المفضل انه كان يقول في قول الناس اجبن
من صافر انه الرجل يصفر للفاجرة فهو يخاف من كل شيء فاما الاصمعي فانه كان يقول الصافر ما يصفر
من الطير وانما وصف بالجبن لانه ليس من الجوارح قال ابن قتيبة ولا ارى القول الا قول المفضل والدليل
على ذلك قول الكميت بن زيد الاسدي

ارجو لكم ان تكونوا في اخائكم ... كلبا كورهاء تقلي كل صفار
لما اجابت صفيرا كان آيتها ... من قابس شيّط الوجعاء بالنار

اي كان الصفير آيتها

وهذه امرأة كان يصفر لها رجل فتجيبه فتمثل زوجها وصفر لها فاتته فشيّطها بميسم فلما عاد
الصفير قالت قد قلينا كل صفار ثم برانا قد عففنا واطّرحنا كل فاجر وقال ابو بكر محمد بن القسم

عففنا

الانباري والاختيار عندي الرمّازة معجمة الزاي على ما قال ابو عبيدة لحجج ثلث احداهن اجماع اصحاب الحديث
على الرمّازة والحجة الثانية ان الفاجرة تسمى رمّازة لانها تحرك نفسها وكلامها والزمر عند
العرب الحس قال عمرو بن احمر الباهلي يصف ثيرانا وعينا

وربّان حيّا نار بينهما زجل ... احشّ غناوه زمر

قال الاصمعي معناه

زجل عود او معزفة

غناوه حسن كانه من مزامير داود والحجة الثالثة انهم سموا الفاجرة زمّارة لمهانتها وقلة ما فيها
من الخير من قولهم نعجة زمرة اذا كانت قليلة الصوف ويقال رجل زمر المروة اذا كان قليلها قال ابن احمر

يرتع النهقا لون الحبي لونه ... تحجر عنه الذرّ ريش زمر

يصف فرخ القطاة وقيل ... الشمس فاينصهر

المطلنفي اللاصق بالارض والذرّ النمل والزمر القليل فسميت البغي زمّارة على وجه الذم لها وعلى
التصغير لشانها كما قيل لها فاجرة لميلها عن القصد يقال فجر الرجل اذا مال قال لبيد

فان تتقدم تغش منها مقدّما ... غليظا وان اخّرت فالكفل فاجر

اي مائل والكفل كساء يوضع على عجز البعير يوقى من العرق قال المرتضى ولا ارى لاحدى الروايتين
على الاخرى رجحانا لان كل واحدة منهما قد اتت من جهة من يسكن الى مثله ولكل منهما مخرج في اللغة و
تأويل يرجع الى معنى واحد لان الرمّازة بالراء غير معجمة يرجع معناها على ما ذكر ابن قتيبة الى معنى
الفجور ومن رواها بالزاي المعجمة فالمرجع في معناها الى ذلك ايضا على الوجهين اللذين ذكرهما ابن الانباري
فالاولى ان يثبتا متساويين ويكون الراوي مخيرا فيهما اخبرنا ابو عبد الله محمد بن عمران
المرزباني قال انشدني محمد بن احمد الكاتب قال انشدنا احمد بن يحيى قال انشدنا ابن الاعرابي للمضرب
وهو عقبة بن كعب بن زهير بن ابي سلمى

وما زلت ارجو نفع سلمى وودها ... وتبعد حتى ابيض مني المسايح
وحتى رايت الشخص يزداد مثله ... اليه وحتى نصف راسي واضح
علا حاجبيّ الشيب حتى كانه ... ظباء جرت منها سنيح وبارح
وهزّة اظعان عليهن بهجة ... طلبت وريعان الصبى بي جامح
فلما قضينا من منى كل حاجة ... ومسّح بالاركان من هو ماسح
اخذنا باطراف الاحاديث بيننا ... وسالت باعناق المطي الاباطح
وشدت على حدب المهارى رحالها ... ولا ينظر الغادي الذي هو رائح
نزلن على الخوص المراسيل وارتمت ... بهن الصحارى والصفاح الصحاصح

وانشد ابن الاعرابي

تصدت بعيني شادن وتبسمت ... عن غرّ لهن غروب
جرى الاسحل الاحوى عليهن اذ جرى ... عليهن من فرع الاراك قضيب

تصدت

اخبرني ابو الحسن علي بن محمد الكاتب قال اخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا محمد بن الحسن البلخي
قال حدثنا ابو حاتم قال سمعت الاصمعي يقول سمعت الرشيد يقول قلنا للعاشق عليه مع معشوقه فقلت

هذا والله يا امير المؤمنين احسن من قول عروة بن حزام العذري لعفراء

اراني تعروني لذكراك روعة لها بين جلدي والعظام دبيب
وما هو الا ان اراها فجاءة فابهت حتى ما اكاد اجيب
واصرف عن رأيي الذي كنت ارتأي واعزب عني علمه ويغيب
ويضمر قلبي عذرها ويعينها علي فما لي في الفؤاد نصيب

فقال الرشيد من قال هذا ومما قاله ولله درك يا اصمعي فاني اجد عندك ما يفضل عند العلماء

قال الصولي فاخذه العباس بن الاحنف فقال

يهيم بجران الجريين قلبه وفيها غزال فاتر الطرف ساحر
يؤازره قلبي علي وليس لي يدان بمن قلبي عليه يؤازر

جران اسم البلد واضافها الى الجريين

واشار اليه ايضا في قوله

قلبي الى ما ضرني داعي يكثر احزاني واوجاعي
كيف احتراسي من عدوي اذا كان عدوي بين اضلاعي

واخذه سهل بن هرون الكاتب فقال

اعان طرفي على جسمي واعضائي بنظرة وقفت جسمي على دائي
وكنت غرا بما يجني علي يدي لا علم لي ان بعضي بعض اعدائي

وقال البحتري

ولست اعجب من عصيان قلبك لي يوما اذا كان قلبي فيك يعصيني

اتطمع ان يطيعك قلب سعدى وتزعم ان قلبك قد عصاكا

وروى ابو عكرمة الضبي عن مسعود بن بشر المازني قال قال لنا الاصمعي يوما ما احسن ما قيل في صفة امراة عجزاء خميصة فانشد قول الاعشى

صفر الوشاحين ملء الدرع بهكنة اذا تاتى يكاد الخصر ينخزل

وانشد قول علقمة بن عبدة

صفر الوشاحين ملء الدرع خرعبة كانها رشأ في البيت ملزوم

وانشد قول ذي الرمة

ترى خلقها نصفا قناة قويمة ونصفا نقا يرتج او يتمرمر

فقال احسن ما قيل فيه قول ابي وجزة السعدي

١٣٨ 139

ادماء في وضح بكا داراتها بقوى وتتبع ما احبت اذارها

قال ابو عكرمة ومثله قول الحرث بن خالد المخزومي

غرثان تسقط وشاحها فلق ريان من اردافها المرط

واخبرنا المرزباني قال حدثنا محمد بن ابراهيم قال حدثنا الاصمعي قال لما مات محمد بن سليمن بن علي الهاشمي دخلت على اخيه جعفر بن سليمن وقد حزن عليه حزنا شديدا ولم يطعم ثلثا فانشدته لابن اراكة الثقفي

لعمري لئن اتبعت عينك ما مضى من الدهر او ساق الحمام الى القبر
لتستنفدن ماء الشؤون باسره ولو كنت تمتحهن من ثبج البحر
فقلت لعبد الله اذ جن باكيا تعز وماء العين منهمر يجري
تبين فان كان البكا رد هالكا على احد فاجهد بكاك على عمرو
ولا تبك ميتا بعد ميت اجنه علي وعباس وآل ابي بكر

قال فامر فجيء بالطعام فاكل من ساعته. قوله جن باكيا يعني رفع صوته بالبكاء وقال قوم الخنين بالخاء معجمة من الانف والحنين من الصدر وهو صوت يخرج من كل واحد منهما واخبرنا المرزباني قال حدثنا محمد بن العباس قال حدثنا محمد بن يزيد النحوي قال سمعت التوزي يقول دخلنا مع الاصمعي الى اسمعيل بن جعفر لنبلة في حاجة فانشده الاصمعي ابيات ابن هرمة

اتيناك نرجو حاجة ووسيلة لديك وقد تحظى لديك الوسائل
ونذكر ودا اثبتته الذي بيننا على الدهر لم تذهب اليه الغوائل
فاقسم ما لكني زنادك قادح ولا اكذبت فيك الرجاء الغوائل
ولا رجعت ذا حاجة عنك علة ولا عاق خيرا عاجلا منك آجل
ولا لام فيك الباذل الوجه نفسه ولا احكمت في الجود منك المباخل

لم يزد على هذه الابيات فقضى حاجته واجاب مسالته. قال المرتضى وبشبيه ان يكون

ابن هرمة اخذ قوله   ولا اكثرت فيك الرجاء القوائل   من قول الحزين الكناني في زيد بن علي بن الحسين عليهم السلام

فلما تردّى بالحمائل وانتهى   يصول باطراف القنا الذوابل
تبيّنت الاعداء ان سنانه   يطيل حنين الامهات الثواكل
تبيّن فيه ميسم العز والتقى   وليدا يفدّى بين ايدي القوابل

واخبرنا علي بن محمد الكاتب قال اخبرنا محمد بن يحيى الصولي قال حدثني محمد بن الحسن البلعمي قال حدثنا ابو حاتم عن الاصمعي قال قال لي الرشيد يوما يا اصمعي اتعرف للعرب اعتذارا او ندما ودع النابغة فانه يتجنى ويعتذر فقلت ما اعرف ذلك الا لبشر بن ابي خازم الاسدي فانه هجا اوس بن حارثة بن لام فاسره بعد ذلك واراد قتله فقالت له امه وكانت ذات رأي والله ما يمحو هجاءه لك الا مدحه اياك فعفا عنه فقال بشر

اني على ما كان مني لنادم   واني الى اوس بن لام لتائب
واني الى اوس ليقبل توبتي   ويعرف ودي ما حييت لراغب
فهب لي حياتي فالحياة لقائم   بشكرك فيها خير ما انت واهب
سامحو بمدح فيك اذ انا صادق   كتاب هجاء سار اذ انا كاذب

فقال الرشيد للاصمعي ان دولتي لتحسن ببقائك فيها   واخبرنا علي بن محمد الكاتب قال حدثنا ابن دريد قال حدثنا عبد الرحمن ابن اخي الاصمعي عن عمه قال سمعت بيتين لم احفل بهما ثم قلت هما على حال خير من موضعهما من الكتاب قال فاني عند الرشيد يوما وعنده عيسى بن جعفر فاقبل على مسرور الكبير فقال يا مسرور كم في بيت مال السرور فقال ما فيه شيء فقال عيسى هذا بيت مال الحزن فاغتم لذلك الرشيد واقبل على عيسى فقال والله لتعطين الاصمعي سلفا على بيت مال السرور الف دينار فوجم عيسى وانكسر فقلت في نفسي جاء موضع البيتين وانشدت الرشيد

اذا شئت ان تلقى اخاك معبسا   وجداه في الماضين كعب وحاتم
فكشفه عما في يديه فانما   تكشف اخبار الرجال الدراهم

قال فتجلى عن الرشيد وقال يا مسرور اعط على بيت مال السرور الفي دينار فاخذت بالبيتين الفي دينار وما كانا

بشار بان عندي درهمين ٥ **مجلس آخر لج تأويل آية**

ان سأل سائل عن تأويل قوله تعالى خلق الانسان من عجل سأريكم آياتي فلا تستعجلون الجواب قيل له قد ذكر في هذه الآية وجوه من التأويل نحن نذكرها ونرجح الارجح منها فاولها ان يكون معنى القول المبالغة في وصف الانسان بكثرة العجلة وانه شديد الاستعجال لما يؤثره من الامور لهج باستدناء ما يجلب اليه نفعا او يدفع عنه ضررا ولهم عادة في استعمال مثل هذا اللفظ عند المبالغة كقولهم لمن يصفونه بكثرة النوم ما خلقت الا من نوم وما خلق فلان الا من شر اذا ارادوا كثرة وقوع الشر منه وربما قالوا ما انت الا اكل وشرب وما اشبه ذلك قال الشاعر يصف بقرة

ترتع ما غفلت حتى اذا ادّكرت   فانما هي اقبال وادبار

وانما اراد ما ذكرناه من كثرة وقوع الاقبال والادبار منها ويشهد لهذا التأويل قوله تعالى في موضع آخر وكان الانسان عجولا ويطابقه ايضا قوله فلا تستعجلون لانه وصفهم بكثرة العجلة وان من شأنهم فعلها ثم نهاهم عن الاستعجال باستدعاء الآيات من حيث كانوا متمكنين من مفارقة طريقتهم في الاستعجال وقادرين على التثبت والتأني   وثانيها ما اجاب به ابو عبيدة وقطرب بن المستنير وغيرهما من ان في الكلام قلبا والمعنى خلق العجل من الانسان واستشهدوا على ذلك بقوله تعالى قد بلغني الكبر اي قد بلغت الكبر وبقوله ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة والمعنى ان العصبة تنوء بها وتقول العرب عرضت الناقة على الحوض وانما هو عرضت الحوض على الناقة وقولهم اذا طلعت الشعرى استوى العود على الحرباء يريدون استوى الحرباء على العود ويقول الاعشى

لمحقوقة ان تستجيبي لصوته   وان تعلمي ان المعان موفق

يريد ان الموفق معان ويقول الآخر

على العباد ان هداجون قد بلغت   نجران او بلغت سوآتهم هجر

والمعنى ان السوآت هي التي بلغت هجر   ويقول خداش بن زهير

[illegible]

ومركب خيل لا هوادة بينها وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر

يريد تشقى الضياطرة بالرماح ويقول الآخر

تمشي به عوذ النعاج كأنها عذارى ملوك في بياض ثياب

يريد في ثياب بياض ويقول الآخر

حسرت كفي عن السربال آخذه فرداً تجر على أيدي المفيضينا

يريد حسرت السربال عن كفي ويقول الآخر وهو ابن احمر

وجرد طار باطلها نسيلاً وأحدث قمؤها شعراً قصاراً

اراد طار نسيلها باطلاً ويقول الآخر

وقسورة أكتافهم في قسيهم إذا ما مشوا لا يعجزون من النسا

اراد قسيهم في اكتافهم ويقول الآخر وهن من الإخلاف والولعان

اي الاخلاف والولعان منهن وينبغي على صاحب هذا الجواب مع التغاضي له عن حمل كلامه تعالى على القلب ان يقال له ما المعنى والفائدة في قوله تعالى خلق العجل من الانسان اي يريدون بذلك ان الله تعالى خلق العجلة وهذا لا يجوز لان العجلة فعل من افعال الانسان فكيف تكون مخلوقة فيه لغيره ولو كان كذلك لما جاز ان ينهاهم عن الاستعجال في الآية فيقول سأريكم آياتي فلا تستعجلون لانه لا ينهاهم عما خلقه فيهم فان قالوا لم يرد انه تعالى خلقها لكنه اراد كثرة فعل الانسان لها وانه لا يزال يستعملها قيل لهم هذا هو الجواب الذي قدمناه من غير حاجة الى القلب والتقديم والتاخير واذا كان هذا المعنى يتم وينتظم على ما ذكرناه من غير قلب فلا حاجة بنا اليه وقد ذكر ابو القسم البلخي هذا الجواب في تفسيره واختاره وقواه وسال نفسه عليه فقال كيف جاز ان يقول فلا تستعجلون وهو خلق العجلة فيهم واجاب بانه قد اعطاهم قدرة على مغالبة طباعهم وكفها وقد يكون الانسان مطبوعا على الشيء وهو مع ذلك مامور بالتثبت قادر على ان يجانب العجلة وذلك كخلقه في البشر شهوة النكاح وامره في كثير من الاوقات بالامتناع منه وهذا الذي

في الانسان

ذكره البلخي تصريح بان المراد بالعجل غيره وهو الطبع الداعي اليه والشهوة المنادية له ويجب ايضا ان يكون المراد بمن هاهنا في لان شهوة العجل لا تكون مخلوقة من الانسان وانما تكون فيه وهذا تجوز على تجوز وتوسع على توسع لان القلب اولا مجاز ثم هو من بعيد المجاز وذكر العجل والمراد به غيره مجاز آخر واقامة من مقام في كذلك على انه تعالى اذا نهاهم عن العجلة بقوله عز وجل فلا تستعجلون اي معنى لتقديم قوله اني خلقت شهوة العجلة فيهم او الطبع الداعي اليها على ما عبر به البلخي وهذا الى ان يكون عذرا لهم اقرب منه الى ان يكون حجة عليهم وابين الاحوال الا يكون عذرا ولا احتجاجا فلا يكون لتقدمه معنى وفي الجواب الاول حسن تقديم ذلك على طريق الذم والتوبيخ والتقريع من غير اضافة له اليه عز وجل فالجواب الاول اوضح واصح وثالثها جواب روي عن الحسن قال يعني بقوله من عجل اي من ضعف وهي النطفة المهينة الضعيفة وهذا قريب ان كان في اللغة شاهد على ان العجل يكون عبارة عن الضعف او معناه ورابعها ما حكي ان ابا الحسن الاخفش اجاب به وهو ان يكون المراد ان الانسان خلق من تعجيل الامر لانه تعالى قال انما امرنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون فان قيل كيف يطابق هذا الجواب قوله من بعد فلا تستعجلون قلنا يمكن ان يكون وجه المطابقة انهم لما استعجلوا بالآيات واستبطؤوها اعلمهم تعالى انه لا يعجزه شيء اراده ولا يمتنع عليه وان من خلق الانسان بلا كلفة ولا مؤونة بان قال له كن فكان مع ما فيه من بدائع الصنعة وعجائب الحكمة التي يعجز عنها كل قادر ويحار فيها كل ناظر لا يعجزه اظهار ما استعجلوه من الآيات وخامسها ما اجاب به بعضهم من ان العجل الطين فكانه تعالى قال خلق الانسان من طين كما قال تعالى في موضع آخر وبدأ خلق الانسان من طين واستشهد بقول الشاعر

والنبع ينبت بين الصخر ضاحية والنخل ينبت بين الماء والعجل

ووجدنا قوما يطعنون في هذا الجواب ويقولون ليس بمعروف ان العجل هو الطين وقد حكى صاحب كتاب العين عن بعضهم ان العجل الحمأة ولم يستشهد عليه الا ان البيت الذي انشدناه يمكن ان يكون شاهدا له وقد رواه ثعلب عن ابن الاعرابي وخالفه في شيء من الفاظه فرواه

والنبع في الصخرة الصماء منبته والنخل ينبت بين الماء والعجل

واذا صح هذا الجواب توجد المطابقة بين ذلك وبين قوله تعالى فلا تستعجلون على نحو ما ذكرناه وهو ان من خلق الانسان مع الحكمة الظاهرة فيه من الطين لا يعجزه اظهار ما استعجلوه من الآيات او يكون المعنى انه لا يعجب لمن خلق من الطين المهين وكان اصله هذا الاصل الحقير الضعيف ان يهزأ برسل الله تعالى وآياته وشرائعه لانه تعالى قال قبل هذه الآية واذا رآك الذين كفروا ان يتخذونك الا هزوا أهذا الذي يذكر آلهتكم وسادسها ان يكون المراد بالانسان آدم عليه السلم ومعنى من عجل اى في سرعة من خلقه لانه لم يخلقه من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة كما خلق غيره وانما ابتداه الله تعالى ابتداء وانشاه انشاء فكانه تعالى نبه بذلك على الآية العجيبة في خلقه له وانه عز وجل يرى عباده من آياته وبيناته اولا اولا ما تقتضيه مصالحهم وتستدعيه احوالهم وسابعها ما روى عن مجاهد وغيره ان الله تعالى خلق آدم بعد خلق كل شيء آخر نهار يوم الجمعة على سرعة معاجلا به غروب الشمس وروى ان آدم عليه السلم لما نفخت فيه الروح وبلغت اعالي جسده ولم يبلغ اسافله قال يا رب استعجل بخلقي قبل غروب الشمس وثامنها ما روى عن ابن عباس والسدي ان آدم عليه السلم لما خلق وجعلت الروح في اكثر جسده وثب عجلان مبادرا الى ثمار الجنة وقال قوم بل هم بالوثوب فهذا معنى خلق الانسان من عجل وهذه الاجوبة الثلثة المتاخرة مبنية على ان المراد بالانسان فيها آدم عليه السلم دون غيره قال السيد واني لاستحسن لمسكين الدارمي قوله

ورب امور قد بريت لحاءها وقومت من اصلاعها ثم زغتها

اقيم بدار الحزم ما لم اهن بها فان خفت من دار هوانا تركتها

واصلح جل المال حتى تخالني شحيحا وان حق عراني اهنتها

ولست بولاج البيوت لفاقة ولكن اذا استغنيت عنها ولجتها

ابيت عن الادلاج في الحي نائما وارض بادلاج وهم قطعتها

الا ايها الجاري سنيحا وبارحا تعرض نفسا لو اشاء قتلتها

تعارض فخر الفاخرين بعصبة ولو وضعت لي ذراها اكلتها

وان لنا نعمة المجد كلها موارث آباء كرام ورثتها

اذا قصرت بني الرجال عن العلى مددت يدي باعا عليهم فنلتها

وداع دعا الى المعلى فاجبته ودعوة باغ في الصديق خذلتها

ومكرمة كانت رعاية والدي فعلمنيها والدي ففعلتها

دعوت امرء قبل امرئ ذي قرابة نصاحته عنها بعد ما قد سمعتها

رجاة غد ان يعطف الرحم بيننا ومظلمة منه بجنبي عركتها

اذا ما امور الناس رثت وضيعت وجدت اموري كلها قد رممتها

واني سالقى الله لم ادم حرة ولم تتمنى يوم سير ختنتها

ولا قاذف نفسي بريئة وكيف اعتذاري بعد ما قد قذفتها

اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال اخبرنا ابو ذر القراطيسي قال حدثنا عبد الله محمد بن ابي الدنيا قال حدثنا عبد الرحمن صالح الازدي ان رجلا من الانصار حدثه قال قال مسكين الدارمي

ولست اذا ما سرني الدهر ضاحكا ولا خاشعا ما عشت من حادث الدهر

ولا جاعلا عرضي لمالي وقاية ولكن اقي عرضي فيحرز وفري

اعف لدى عسري وابدي تجملا ولا خير فيمن لا يعف لدى العسر

واني لاستحيي اذا كنت معسرا صديقي واخواني بان يعلموا فقري

واقطع اخواني وما حال عهدهم حياء واعراضا وما بي من كبر

فان يك عارا ما اتيت فربما اتى المرء يوم السوء من حيث لا يدري

ومن يفتقر يعلم مكان صديقه ومن يحي لا يعدم بلاء من الدهر

زغتها

رجاة غد ان يعطف الرحم

ومن مستحسن قوله — إن أدع مسكيناً فما قصرت قدري بيوت الحي والجدر

قيل إن مسكيناً لقب باسمه وإن اسمه ربيعة وإنما سمي بذلك لقوله

وسميت مسكيناً وكانت لجاجة وإني لمسكين إلى الله راغب

ومعنى قصرت قدري أي سترت بيوتها بأن رفعها لا تحجبها السواتر والحيطان

ما مس رحلي العنكبوت ولا جرت بأنه من ضعفه غبر

هذه كناية مليحة عن مواصلة السفر وهجر الوطن لأن العنكبوت إنما تنسج على ما لا تناله الأيدي ولا يكثر استعماله والجدريات جمع جدرية وهي باطن دفة الرحل

لا آخذ الصبيان ألثمهم والأمر قد يعزى به الأمر

يقول لا أقبل الصبي وأنا أريد التعريض بأمه — ولغيره

ولا ملق لذي الودعات سوطي ألاعبه وريبته أريد — وأنشد ابن الأعرابي

مثله — إذا ابن صبي القوم يلثمه ضخم المناكب لا عم ولا خال

فاحفظ صبيك عنه أن يلثمه ولا يغرنك من مائقه المال — رجع إلى تمام القصيدة

ولرب أمين قد تركت وما بيني وبين لقائه ستر

ومغاديم فاوضت في كبد مثل الدهان فكان لي العذر

وبروى القمر والكبد المزلة التي لا تثبت فيها الأرجل والدهان الأديم الأحمر

ما علتني قومي بنو عدس فهم الملوك وخالي البشر

عمي زرارة غير منتحل وأبي الذي حدثته عمرو

في المجد غرتنا مبينة للناظرين كأنها البدر

لا يرهب الجيران غدرتنا حتى يواري ذكرنا القبر

لسنا كأقوام إذا كلحت إحدى السنين فجارهم تمر

هو مسكين بن عامر بن أنيف بن شريح بن عمرو بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم ... وعدس أبو زرارة ... عدس وعدس

[illegible]

143

من لا ينم الجمر على قصير تنتابه العقبان والنسر

ناري ونار الجار واحدة وإليه قبلي تنزل القدر

يقال إنه كانت له امرأة تماصعه فلما قال ذلك قالت له أجل إنما نارك ونارك واحدة لأنه أوقد ولم توقد والقدر تنزل إليه قبلك لأنك تطبخ ولم تطبخ وأنت تستطعمه

ما ضر جاري أن جاورته أن لا يكون لبيته ستر — أي في أن جاورته أي جوارك

قال ويقال إنها قالت له في هذا البيت أيضاً أجل إذ كان له ستر هتكته

أعمى إذا ما جارتي خرجت حتى يواري جارتي الخدر

ويصم عما كان بينهما سمعي وما بي غيره وقر

وأنشد عمر بن شبة لمسكين أيضاً

لا تجعلني كأقوام علمتهم لم يطلقوا اللبة يوماً ولا ودجا

إني لأغلاهم باللحم قد علموا نيئاً وأرخصهم باللحم إذ نضجا

أنا ابن قاتل جوع القوم قد علموا إذا الشتاء تكشف فافهم هجا

بأدب آمن من قرقرت بينهما إذا أمسيا في الصدر واعتلجا

أدم خليقي للمرء دامت خليقته وأمزج الحلو أحياناً لمن مزجا

وأقطع الخرق بالخرقاء لاهية إذا الكواكب كانت في الدجى سرجا

ما أنزل الله من أمر فأكرهه إلا سيجعل لي من بعده فرجا

وأنشد أبو العباس — ما مد قوم بأيديهم إلى شرف إلا رأوا نائياً ما فوقهم درجا

ثعلب له — أضاحك ضيفي قبل إنزال رحله ولم يلهني عنه وعال مقنع

ومثله لغيره — أحدثه إن الحديث من القرى وتعلم نفسي أنه سوف يهجع

أضاحك ضيفي قبل إنزال رحله ويخصب عندي والمكان جديب

مأخوذ من قول الآخر ... تعالى ... إذا أغلت القدور ... وهذا مأخوذ من ...

أي ... مغالاة باللحم ... فاختصر

وما الخصب للأضياف أن يكثر القرى ولكنما وجه الكريم خصيب

وروى ثعلب: لحافي لحاف الضيف والبيت بيته ولم يلهني عنه غزال مقنع

ويروى: أحدثه إن الحديث من القرى وتعلم نفسي أنه سوف يهجع

ومعنى أحدثه أن الحديث من القرى أي أقبل عليه بحديثه وأعلم أنه سوف ينام ولا أعرض بحادثته فأكون قد بخست قراه والحديث الحسن من تمام القرى. وقال الأصمعي أحسن ما قيل في الغيرة قول مسكين الدارمي:

ألا أيها الغائر المستشيط علام تغار إذا لم تغر
فما خير عرس إذا خفتها وما خير بيت إذا لم يزر
تغار على الناس أن ينظروا وهل يفتن الصالحات النظر
فإني سأخلي لها بيتها فتحفظ لي نفسها أو تذر
إذا الله لم يعطه ودها فلن يعطي الود سوط ممر
ومن ذا يراعي له عرسه إذا ضمه والمطي السفر

قال السيد: وكان مسكين كثير اللهج بالقول في هذا المعنى فمن ذلك قوله:

وإني امرؤ لا آلف البيت قاعدا إلى جنب عرسي لا أفرطها سترا (شبرا)
ولا مقسم لا أبرح الدهر بيتها لأجعله قبل الممات لها قبرا
إذا هي لم تحصن أمام فنائها فليس بمنجيها بنائي لها قصرا
ولا حاملي ظني ولا قول قائل على غيرة حتى أحيط بها خبرا
فهبني امرأ راعيت ما دمت شاهدا فكيف إذا ما سرت من بيتها شهرا

وأنشد أبو العباس عن أبي العالية لمسكين:

ما أحسن الغيرة في حينها وأقبح الغيرة في كل حين (غير)
من لم يزل متهما عرسه مناصبا فيها لرجم الظنون
يوشك أن يغريها بالذي يخاف أو ينصبها للعيون

حسبك من تحصينها ضمها منك إلى خلق كريم ودين
لا تظهرن منك على عورة فيتبع المقرون حبل القرين

مجلس آخر لد تأويل آية

إن سأل سائل عن تأويل قوله تعالى في قصة يوسف عليه السلام ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين فقال هل يسوغ ما تأول بعضهم هذه الآية عليه من أن يوسف عليه السلام عزم على المعصية وأرادها وأنه جلس مجلس الرجل من المرأة ثم انصرف عن ذلك بأن رأى صورة أبيه يعقوب عليه السلام عاضا على إصبعه متوعدا له على مواقعة المعصية أو بأن نودي بالنهي والزجر في الحال على ما وردت به الحديث. الجواب قلنا إذا ثبت بأدلة العقل التي لا يدخلها الاحتمال والمجاز ووجوه التأويلات أن المعاصي لا تجوز على الأنبياء عليهم السلام صرفنا كل ما ورد ظاهره بخلاف ذلك من كتاب أو سنة إلى ما يطابق الأدلة ويوافقها كما نفعل مثل ذلك فيما يرد ظاهره مخالفا لما تدل عليه العقول من صفاته تعالى وما يجوز عليه أو لا يجوز ولهذه الآية وجوه من التأويل كل واحد منها يقتضي براءة نبي الله من العزم على الفاحشة وإرادة المعصية أولها أن الهم في ظاهر الآية متعلق بما لا يصح أن يتعلق به العزم والإرادة على الحقيقة لأنه تعالى قد قال ولقد همت به وهم بها فعلق الهم بهما وذاتاهما لا يجوز أن تراد أو يعزم عليهما لأن الموجود الباقي لا يصح ذلك فيه فلا بد من تقدير محذوف يتعلق العزم به وقد يمكن أن يكون ما تعلق به همه عليه السلام إنما هو ضربها أو دفعها عن نفسه كما يقول القائل قد كنت هممت بفلان وقد هم فلان بفلان أي بأن يوقع به ضررا أو مكروها. فإن قيل فأي معنى لقوله تعالى لولا أن رأى برهان ربه والدفع لها عن نفسه طاعة لا يصرف البرهان عنها. قلنا يمكن أن يكون الوجه في ذلك أنه لما هم بدفعها وضربها أراه الله برهانا على أنه إن أقدم على ما هم به أهلكه أهلها أو قتلوه وأنها تدعي عليه المراودة على القبيح وتقرفه بأنه دعاها إليه وأن ضربه لها كان لامتناعها فيظن به ذلك بعض من لا تأمل له ولا علم بأن مثله لا يجوز عليه فأخبر

الله تعالى بان صرف بالبرهان عنه السوء والفحشاء ويعني بذلك القتل والمكروه اللذين كانا يوقعانه
لانهما يستحقان الوصف بذلك من حيث القبح او يعني بالسوء والفحشاء ظنهم به ذلك فان قيل هذا الجواب
يقتضي ان جواب لولا يتقدمها ويكون التقدير لولا ان راى برهان ربه لهم بضربها ودفعها وتقدم جواب لولا
قبيح غير مستعمل او يقتضي ان يكون لولا بغير جواب قلنا اما تقدم جواب لولا فجائز وسنذكر ما فيه عند
الجواب المختص بذلك وغيرنا لا يحتاج اليه في هذا الجواب لان العزم والهم به قد وقع الا انه انصرف عنه بالبرهان
والتقدير ولقد همت به وهم بدفعها لولا ان راى برهان ربه لفعل ذلك فالجواب في الحقيقة محذوف والكلام
يقتضيه كما حذف الجواب في قوله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله رؤف رحيم معناه ولولا فضل
الله عليكم لهلكتم ومثله كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم معناه لو تعلمون علم اليقين لم تنافسوا في الدنيا
وتفاخروا بها قال امرؤ القيس   فلو انها نفس تموت سوية ولكنها نفس تساقط انفسا
اراد فلو انها نفس تموت سوية لانقضت وفنيت فحذف الجواب على ان من تاول هذه الاية على الوجه الذي
لا يليق بنبي الله عليه السلم واضاف العزم على المعصية اليه لا بد له من تقدير جواب محذوف ويكون التقدير
عنده ولقد همت بالزنا وهم به لولا ان راى برهان ربه لفعله   فان قيل فقوله هم بها كقوله همت به فلم
جعلتم همتها به متعلقا بالقبيح وهمه بها متعلقا بما ذكرتم من الضرب وغيره قلنا اما الظاهر فلا يدل على
ما تعلق به الهم والعزم فيهما جميعا وانما اثبتنا همتها به متعلقا بالقبيح لشهادة الكتاب والاثار به ومن نجوز
عليه فعل القبيح ولم يؤمن دليل من جوازه عليها كما امن ذلك فيه عليه السلم والموضع الذي يشهد بذلك من الكتاب
قوله تعالى وقال نسوة في المدينة امراة العزيز تراود فتاها عن نفسه الى قوله انا لنراها في ضلال مبين وقوله تعالى
وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وقوله تعالى حاكيا عنها الان حصحص الحق انا راودته عن نفسه وانه
لمن الصادقين وفي موضع اخر قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم والاثار واردة
باطباق مفسري القران ومتاوليه على انها همت بالفاحشة والمعصية والوجه الثاني في تاويل الاية ان
نحمل الكلام على التقديم والتاخير ويكون تلخيصه ولقد همت به ولولا ان راى برهان ربه لهم بها ويجري ذلك

العزم عليها

[illegible] همت به

مجرى قولهم قد كنت هلكت لولا اني تداركتك وقتلت لولا اني خلصتك والمعنى لولا تداركي لهلكت ولولا
تخليصي لقتلت وان لم يكن وقع هلاك ولا قتل قال الشاعر
فلا يدعني قومي ليوم كريهة لئن لم اعجل طعنة او اعجل
وقال الاخر   فلا يدعني قومي صريحا لحرة لئن كنت مقتولا ويسلم عامر
فقدم الجواب في البيتين جميعا وقد استشهد عليه ايضا بقوله تعالى ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت
طائفة منهم ان يضلوك والهم لم يقع لمكان فضل الله تعالى ورحمته وممّا يشهد لهذا التاويل ان في
الكلام شرطا وهو قوله تعالى لولا ان راى برهان ربه فكيف يحمل على الاطلاق مع حصول الشرط وليس
لهم ان يجعلوا جواب لولا محذوفا مقدرا لان جعل جوابها موجودا اولى وقد استبعد قوم تقديم جواب لولا
عليها قالوا لو جاز ذلك لجاز قام زيد لولا عمرو وقصدتك لولا بكر وقد بينا بما اوردناه من الامثلة و
الشواهد جواز تقديم جواب لولا والذي ذكروه لا يشبه ما اجزناه وقد يجوز ان يقول القائل قد كان زيد
قام لولا كذا وكذا وقد كنت قصدتك لولا ان صدني فلان وان لم يقع قيام ولا قصد وهذا هو الذي يشبه
الاية وليس تقديم جواب لولا بابعد من حذف جواب لولا جملة من الكلام واذا جاز عندهم الحذف لان لا
يلزم منهم تقديم الجواب جاز لغيرهم تقديم الجواب حتى لا يلزم الحذف والجواب الثالث ما اختاره
ابو علي الجبائي وان كان غيره قد تقدمه الى معناه وهو ان يكون معنى هم بها اشتهاها ومال طبعه الى ما
دعته اليه وقد يجوز ان نسمي الشهوة في مجاز اللغة هما كما يقول القائل فيما لا يشتهيه ليس هذا من
همي وهذا اهم الاشياء الي ولا قبح في الشهوة لانها من فعل الله تعالى فيه وانما يتعلق القبح بتناول
المشتهى وقد روي هذا التاويل عن الحسن البصري قال اما همها فكان اخبث الهم واما همه فما طبع عليه
الرجال من شهوة النساء ويجب على هذا الوجه ان يكون قوله تعالى لولا ان راى برهان ربه متعلقا بمحذوف
كانه قال لولا ان راى برهان ربه لعزم او فعل والجواب الرابع ان من عادة العرب ان يسموا الشيء
باسم ما يقع في الاكثر عنده وعلى هذا لا ينكر ان يكون المراد بهم بها خطر ببالهم امرها ووسوس اليه
الشيطان بالدعاء اليها من غير ان يكون هناك هم او عزم فسمي الخطور بالبال هما من حيث كان الهم

[illegible] والله اعلم

يقع في الأكثر عنده والعزم في الأغلب يتبعه وإنما أنكرنا ما ادعاه جهلة المفسرين ومحرفو القصاص
وقرفوا به نبي الله عليه السلام لما في العقول من الأدلة على أن مثل ذلك لا يجوز على الأنبياء عليهم السلام من حيث
كان منفراً عنهم وقادحاً في الغرض المجرى إليه بإرسالهم والقصة تشهد بذلك لأنه قال كذلك لنصرف
عنه السوء والفحشاء ومن أكبر السوء والفحشاء العزم على الزنا ثم الأخذ فيه والشروع في مقدماته
وقوله تعالى أيضاً إنه من عبادنا المخلصين يقتضي تنزيهه عن الهم بالزنا والعزم عليه وحكايته عن النسوة
قولهن حاش لله ما علمنا عليه من سوء تدل أيضاً على براءته من القبيح ◦ فأما البرهان الذي رآه فيحتمل أن
يكون لطفاً لطف الله له به في تلك الحال أو قبلها اختار عنده الانصراف عن المعاصي والتنزه عنها ويحتمل
أيضاً ما ذكره أبو علي وهو أن يكون البرهان دلالة الله تعالى على تحريمه ذلك عليه وعلى أن من فعله يستحق
العقاب وليس يجوز أن يكون البرهان ما ظنته الجهال من رؤية صورة أبيه يعقوب عليه السلام متوعداً له
إذا ابتداء بالزجر والتخويف لأن ذلك ينافي المحنة وينقض الغرض في التكليف ويقتضي ألا يستحق على
امتناعه وانزجاره مدحاً ولا ثواباً وهذا سوء ثناء على الأنبياء عليهم السلام وإقدام على قرفهم بما لم يكن
منهم ونحمد الله على حسن التوفيق ◦ وروى أحمد بن عبد الله بن العباس الصولي المعروف
بطماس قال كنت يوماً عند عمي إبراهيم بن العباس فدخل إليه رجل فرفعه حتى جلس إلى جانبه إلى
قريب من ذلك ثم حادثه إلى أن قال له عمي يا أبا تمام ومن بقي ممن يعتصم به ويلجأ إليه فقال أنت لا عدمتك
وكان إبراهيم طويلاً أنت والله كما قيل ::

يمد نجاد السيف حتى كأنه ... بأعلى سنامي فالج يتطوح
ويدلج في حاجات من هو نائم ... ويوري كريمات الندى حين يقدح
إذا اعتم بالبرد اليماني خلته ... هلالاً بدا في جانب الأفق يلمح
يزيد على فضل الرجال فضيلة ... ويقصر عنه مدح من يتمدح

فقال له إبراهيم أنت تحسن قائلاً وراوياً ومتمثلاً فلما خرج تبعته وقلت له اكتبني الأبيات فقال
هي لأبي الجويرية العبدي تحذها من شعره :: وروي عن يحيى ابن البحتري قال رأيت أبي يذاكر

جماعة من أمراء أهل الشام بمعان من الشعر فجرى فيها ذكر قلة نوم العاشق وما قيل فيه وأنشدوا إنشادات
كثيرة فقال لهم إني قد فرغ من هذا كاتب كان بالعراق فقال ::

تحسب النوم حكاكا ... إذ رأى مثل جفاكا
منى الصبر ومنك الهجر ... فابلغ بي مداكا
بعدت همة عيني ... طمعت في أن تراكا
أو ما حظ لعيني ... أن ترى من قد رآكا
ليت حظي منك أن تعلم ... ما بي من هواكا

قال إني أنه تصرف في معان من الشعر في هذه الأبيات
قال فكتبها عنه جماعة ممن حضر والأبيات لإبراهيم بن العباس الصولي :: وأخبرنا علي بن محمد الكاتب قال أخبرنا
محمد بن يحيى الصولي قال لما بايع المأمون لعلي بن موسى الرضا عليهما السلام بالعهد وأمر الناس بلبس الخضرة صار
إليه دعبل بن علي وإبراهيم بن العباس الصولي وكانا صديقين لا يفترقان فأنشده دعبل

مدارس آيات خلت من تلاوة ... ومنزل وحي مقفر العرصات

وأنشده إبراهيم بن العباس على مذهبها قصيدة أولها

أزالت عزاء القلب بعد التجلد ... مصارع أولاد النبي محمد

قال فوهب لهما عشرين ألف درهم من الدراهم التي عليها اسمه وكان المأمون أمر بضربها في ذلك الوقت
فأما دعبل فصار بالعشرة آلاف التي حصته منها إلى قم فاشترى أهلها منه كل درهم بعشرة دراهم فباع حصته بمائة
ألف درهم وأما إبراهيم فلم تزل عنده بعضها إلى أن مات قال الصولي ولم أقف من قصيدة إبراهيم على أكثر
من هذا البيت قال وكان السبب في ذهاب هذا الفن من شعره ما حدثني به أبو العباس أحمد بن الفرات
والحسين بن علي الباقطائي قالا كان إبراهيم بن العباس صديقاً لإسحاق بن إبراهيم أخي زيدان الكاتب
المعروف بالزمن فأنسخه شعره في علي بن موسى الرضا عليهما السلام وقت انصرافه من خراسان ودفع إليه شيئاً بخطه
منه وكانت النسخة عنده إلى أن ولي المتوكل وولي إبراهيم بن العباس ديوان الضياع وقد كان
تباعد ما بينه وبين أخي زيدان فعزله عن ضياع كانت في يده بحلوان وغيرها وطالبه بمال وألح عليه
وأساء مطالبته فدعا إسحاق بعض من يثق به من إخوانه وقال له امض إلى إبراهيم بن العباس فأعلمه أن

شعره في علي بن موسى بخطه عندي وبغير خطه ووالله لئن اسمعت على طلبه ولم يزل عني المطالبة لاوصلن
الشعر الى المتوكل قال فصار الرجل الى ابرهيم بن العباس فخبره بذلك فاضطرب اضطرابا شديدا او
جعل الامر في ذلك الى الواسطة حتى اسقط جميع ما كان طالبه به واخذ الشعر منه واحلفه انه لم يبق
عنده منه شي فلما حصل عنده احرقه بحضرته وذكر ابو احمد يحيى بن علي المنجم ان اباه علي بن يحيى كان الواسطة
بينهما قال الصولي وما عرفت من شعر ابرهيم في هذا المعنى شيئا الا ابياتا وجدتها بخطه الى قال
انشدني اخي لعمي في علي بن موسى الرضا عليهما السلم من قصيدة

كفى بفعال امرئ عالم على اهله عادلا شاهدا ... ارى لهم طارفا مونقا ولا يشبه الطارف التالدا
يمن عليكم باموالكم وتعطون من مائة واحدا ... فلا حمد الله مستبصرا يكون لاعدائكم حامدا
فضلت قسيمك في قعدد كما فضل الوالد الوالدا

قال الصولي فنظرت في قوله فضلت قسيمك في قعدد فوجدت علي بن موسى والمامون نسبا وبين في قعدد النسب وكانا من التاسع من اباهما جميعا وروى
الصولي ان منشدا انشد ابرهيم بن العباس وهو في مجلسه في ديوان الضياع

ولربما تكره النفوس من الامر له فرجة كحل العقال

قال فنكت بقلمه ساعة ثم قال

ولرب نازلة يضيق بها الفتى ذرعا وعند الله منها مخرج
كملت فلما استحكمت حلقاتها فرجت وكان يظنها لا تفرج

فتعجب من جودة بديهته واخبرنا ابو الحسن علي بن محمد قال اخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني القسم
اسمعيل ابو ذكوان قال كنت بالاهواز ايام الواثق وابرهيم بن العباس يلي معونتها وخراجها فوصفت
له بالادب فامر باحضاري فلما دخلت عليه قربني مجلسي وقال تسلف انس المطاولة فان الاستمتاع لا
يتم الا به فانبسطت وتناشدنا عن الاشعار فما رايت قط احدا اعلم بالشعر منه فقال لي ما عندك في
قول النابغة

الم تر ان الله اعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب
فانك شمس والملوك كواكب اذا طلعت لم يبد منهن كوكب

[Margin: نخ مستبصر]
[Margin: قوله في قعدد وصلة لقسيمك لا لفضلت والقعدد الاقرب الى الاب الاكبر وفلان اقعد من فلان نسبا اذا كان اقرب الى الاب الاكبر]
[Margin: احكمت الامر فاستحكم هو اي صار محكما]
[Margin: تسلف اي خذ سلفا يعني انك ستنبسط الى بعد المطاولة فخذ ذلك سلفا وانبسط]

فعلت اراد تفضيله على الملوك فقال صدقت ولكن في الشعر خبث وهو انه اعتذر الى النعمن من
ذهابه الى آل جفنة الى الشام ومدحه لهم قال انما فعلت مع الجفا لك فاذا اصلحت لي لم اردهم لك
كما ان من اضات له الشمس لم يحتج الى ضوء الكواكب فاني معتذر بهذا او بتفضيله قال فاستحسنت
ذلك منه وكان ابرهيم بن العباس من اصدق الناس لاحمد بن ابي دواد فعتب على ابنه ابي الوليد من شي فذمه
ومدح اباه واحسن في التخلص كل الاحسان فقال

عفت مساو تبدت منك واضحة على محاسن بقاها ابوك لكا
لئن تقدم ابناء الكرام به لقد تقدم اباء اللئام بكا

ولابرهيم

نمت الصبا صفحا مساكن ذي الغضا وبصدع قلبي ان يهب هبوبها
قريبة عهد بالحبيب وانما هوى كل نفس حيث كان حبيبها
تطلع من نفسي اليك نوازع عوارف ان الياس منك نصيبها

واخذ هذا من قول ذي الرمة

اذا هبت الارواح من نحو جانب به اهل مي هاج قلبي هبوبها
هوى تذرف العينان منه وانما هوى كل نفس حيث كان حبيبها

ولابرهيم

دنت بأناس عن تناء زيارة وشط بليلى عن دنو مزارها
وان مقيمات بمنعرج اللوى لاقرب من ليلى وهاتيك دارها

واخذ ذلك من قول المنطار(?) الفقعسي

يقولون هذي ام عمرو قريبة دنت بك ارض نحوها وسماء
الا انما بعد الحبيب وقربه اذا هو لم يوصل اليه سواء

ووجدت بعض اهل الادب يظن ان ابرهيم بن العباس سبق الى هذا المعنى في قوله

كن كيف شئت وانى تشا وابرق يمينا وارعد شمالا
نجا بك لومك منجى الذباب حمته مقاذيره ان ينالا

حتى رايت مسلم بن الوليد قد سبق الى هذا المعنى واحسن غاية الاحسان

[Margin: صح شوقي(?)]
[Margin: روى البيتان لمحمد بن عبد الملك الزيات]
[Margin: نخ صح بمنقطع]
[Margin: نخ مقاذره]

اما الهجاء فدون عرضك دونه والمدح عنك كما علمت جليل
فاذهب فانت طليق عرضك انه عرض عززت به وانت ذليل

مجلس اخر [٦١] تاويل اية ان سال سائل عن قوله تعالى حاكيا عن يوسف عليه السلم قال رب السجن احب الي مما يدعونني اليه والا تصرف عني كيدهن اصب اليهن واكن من الجاهلين فقال اذا كانت المحبة عندكم هي الارادة فهذا تصريح من يوسف عليه السلم بارادة المعصية لان حبسه في السجن وقطعه عن التصرف معصية من فاعله وقبيح من المقدم عليه وهو في القبح يجري مجرى ما دعي اليه من الزنا وقوله من بعد والا تصرف عني كيدهن اصب اليهن يدل على امتناعه من القبيح مشروط بمنعهم وصرفهم عن كيده وهذا بخلاف مذهبكم لانكم تذهبون الى ان ذلك لا يقع منه صرف النسوة عن كيده او لم يصرفهن الجواب اما قوله رب السجن احب الي مما يدعونني اليه ففيه وجهان من التاويل اولهما ان المحبة متعلقة في ظاهر الكلام بما لا يصح على الحقيقة ان يكون محبوبا مرادا لان السجن انما هو الجسم والاجسام لا يجوز ان يريدها وانما يريد الفعل فيها او المتعلق بها والسجن نفسه ليس بطاعة ولا معصية وانما الافعال فيه قد تكون طاعات ومعاصي بحسب الوجوه التي تقع عليها فاذا كان القوم حبسوا يوسف عليه السلم في الحبس واكراههم له على دخوله معصية منهم وكونه فيه وصبره على ملازمته والمشاق التي تناله باستيطانه طاعة منه وقربة وقد علمنا ان ظالما لو اكره مؤمنا على ملازمة بعض المواضع وترك التصرف في غيره لكان فعل المكره حسنا وان كان فعل المكره قبيحا وهذه الجملة تبين انه لا ظاهر للاية يقتضي ما ظنوه وانه لا بد من تقدير محذوف يتعلق بالسجن وليس لهم ان يقدروا ما يرجع الى الجانبين من الافعال الا ولنا ان نقدر ما يرجع الى المحبوس واذا احتمل الكلام الامرين ودل الدليل على ان النبي لا يجوز ان يريد المعاصي والقبائح اختص المقدر المحذوف بما يرجع اليه مما ذكرناه وذلك طاعة لا لوم على مريده ومحبه فان قيل كيف يجوز ان يقول السجن احب الي مما يدعونني اليه وهو لا يحب ما دعونه اليه جملة ومن شان مثل هذه اللفظة

ان تدخل بين ما وقع فيه اشتراك في معناها وان فضل البعض على البعض قلنا قد تستعمل هذه اللفظة في مثل هذا الموضع وان لم يكن في معناها اشتراك على الحقيقة الا ترى ان من خير بين ما يحبه وما يكرهه جاز ان يقول هذا احب الي من هذا اذا كان لا يحب احدهما جملة وانما يسوغ ذلك على احد الوجهين دون الاخر من حيث كان المخير بين الشيئين لا يخير بينهما الا وهما مرادان له او مما يصح ان يريدهما فموضع التخيير يقتضي ذلك وان حصل فيما ليس هذه صورته والمجيب عن هذا متى قال كذا احب الي من كذا كان مجيبا على ما يقتضيه موضع التخيير وان لم يكن الامران على الحقيقة يشتركان في تناول محبته ⁖ ومما يقارب ذلك قوله تعالى اذلك خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون ونحن نعلم انه لا خير في العقاب وانما حسن ذلك لوقوعه موقع التوبيخ والتقريع على اختيار المعاصي على الطاعات وانهم ما ركبوا المعاصي وآثروها على الطاعات الا لاعتقادهم ان فيها خيرا ونفعا فقيل اذلك خير على ما تظنونه وتعتقدونه ام كذا وكذا وقد قال قوم في قوله اذلك خير ام جنة الخلد انما حسن ذلك لاشتراك الحالين في باب المنزلة وان لم يشتركا في الخير والنفع كما قال تعالى اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا ومثل هذا قد يتاتى في قوله تعالى رب السجن احب الي لان الامرين اعني المعصية ودخول السجن مشتركان في ان لكل منهما داعيا وعليه باعثا وان لم يشتركا في تناول المحبة فجعل اشتراكهما في داعي المحبة اشتراكا في المحبة نفسها واجرى اللفظ على ذلك ومن قرا هذه الاية بفتح السين فالتاويل ايضا ما ذكرناه لان السجن المصدر يفعله ان يريدوا ان يسجنوه فنفسي وصبري على حبسهم احب الي من موافقة المعصية ولا يرجع بالسجن الى فعلهم بل الى فعله والوجه الثاني ان يكون معنى احب الي اي اهون علي واسهل علي وهذا كما يقال لاحدنا في الامرين يكرههما ان فعلت كذا والا فعلت كذا فيقول بل كذا احب الي بمعنى اسهل واخف وان كان لا يريد واحدا منهما وعلى هذا الجواب لا يمتنع ان يكون اراد اعني فعلهم به دون فعله لانه لم يخبر عن نفسه بالمحبة التي هي الارادة وانما وضع احب موضع اخف والمعصية قد تكون اخف واهون من اخرى ⁖ فاما قوله والا تصرف عني كيدهن اصب اليهن واكن من الجاهلين فليس المعنى فيه على ما ظنه

[illegible]

السائل بل المراد متى لم تلطف لي بما يدعوني إلى مجانبة المعصية ويثبتني إلى تركها وقعت فيها وصبوت وهذا منه عليه السلام على سبيل الانقطاع إلى الله تعالى والتسليم لأمره وأنه لولا معونته ولطفه ما نجا من كيدهن ولا شبهة في أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما يكون معصوما من القبائح بعصمة الله تعالى له وبلطفه وتوفيقه فإن قيل الظاهر خلاف ذلك لأنه قال وإلا تصرف عني كيدهن فيجب أن يكون المراد ما يمنعهم من الكيد ويدفعه والذي ذكرتموه من انصرافه عن المعصية لا يقتضي ارتفاع الكيد والانصراف عنه قلنا معنى الكلام وإلا تصرف عني ضرر كيدهن والغرض به لأنهن إنما أجرين بكيدهن إلى مساعدته لهن على المعصية فإذا عصم منها ولطف له في الانصراف عنها فكأن الكيد قد انصرف عنه ولم يقع به من حيث لم يقع ضرره وما أجري به إليه ولهذا يقال لمن أجرى بكلامه إلى غرض لم يقع ما قلت شيئا ولمن فعل ما لا تأثير له ما فعلت شيئا وهذا بين بحمد الله ومنه

تأويل خبر إن سأل سائل عن قوله في الخبر الذي رواه عقبة بن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في خطبة طويلة خطبها من يتبع المشمعة يشمع الله به **الجواب** أن المشمعة هي الضحك والمزاح واللعب يقال شمع الرجل يشمع شموعا وامرأة شموع إذا كانت كثيرة المزاح والضحك

قال أبو ذؤيب يصف الحمير
بقرار قيعان سقاها وابل ... واه فأثجم برهة لا يقلع
فلبثن حينا يعتلجن بروضة ... فيجد حينا في العلاج ويشمع

أراد أن هذا الحمار الذي وصف حاله مع الأتن وأنه معهن في بعض القيعان يعالج هذه الأتن ومعنى يعتلجن يعاض بعضها بعضا ويثب من النشاط فيجد الفحل معهن مرة وأخرى يأخذ معهن في اللعب فيشمع وفي يجد لغتان يجد ويجد والمفتوح أولى لغة هذيل ويقال فلان جاد مجد على اللغتين معا وقيل إن معنى يشمع في الحمار أنه يبتسم ثم يرفع رأسه فيكشر عن أسنانه فجعل له ذلك بمنزلة الضحك قال الشماخ
ولو أني أشاء كننت نفسي ... إلى لبات هبكنة شموع

الهبكنة الغضة

وقال المتنخل الهذلي
ولا والله نادى الحي ضيفي ... هدوا بالمساءة والعلاط
سأبدؤهم بمشمعة وأثني ... بجهدي من طعام أو بساط

أراد يقول لا نادى الحي ضيفي أي لا يناديه أحد من النداء بالسوء والمكروه ولا يلقونه بما لا يحب من العلاط

من أعلطه واعتلط به إذا خاصمه وشاغبه ووسمه بالشر وأصله من علاط البعير وهو وسم في عنقه وقيل إن معنى نادى الحي من النادي أي لا يجالسونه بالمكروه والسوء ومعنى سأبدؤهم بمشمعة أي بلعب وضحك لأن ذلك من علامات الكرم والسرور بالضيف والقصد إلى إيناسه وبسطه ومنه قول الآخر
إن الحديث طرف من القرى ∴ صادف زادا وحديثا ما اشتهى ∴ ورب ضيف طرق الحي سرى

وروى الأصمعي عن خلف الأحمر قال سنة الأعراب أنهم إذا حدثوا الرجل الغريب ومشوا إليه ومازحوه أيقن بالقرى وإذا أعرضوا عنه عرف الحرمان ومعنى أثني بجهدي من طعام أو بساط أي أتبع ذلك بهذا ومعنى الخبر على هذا أن من كان شأنه العبث بالناس والاستهزاء بهم والضحك منهم أصاره الله تعالى إلى حالة يعبث فيها به ويستهزأ منه ∴ ويقارب هذا الحديث من وجه حديث آخر وهو ما روي عنه صلى الله عليه وسلم من يسمع الناس بعمله يسمع الله به والمعنى من راءى بعمله وبطلها تقربا إلى الناس واتخاذا للمنازل عندهم شهره الله تعالى بالرياء وفضحه وهتكه ∴ ويمكن أيضا في الخبر الأول وجه آخر لم يذكر فيه وهو أن من عادة العرب أن يسموا الجزاء على الشيء باسمه ولذلك نظائر في القرآن وأشعار العرب كثيرة مشهورة فلا ينكر أن يكون المعنى من يتبع اللهو بالناس والاستهزاء بهم يعاقبه الله على ذلك ويجازيه به فسمى الجزاء على الفعل باسمه وهذا الوجه أيضا ممكن في الخبر الثاني ∴ أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه قال إني لفي سوق ضرية وقد نزلت على رجل من بني كلاب كان مثروا بالبصرة وكان له ابن بضرية إذ أقبلت عجوز على ناقة لها حسنة البزة فيها بقايا جمال فأناخت وعقلت ناقتها وأقبلت تتوكأ على محجن لها فجلست قريبا منا وقالت هل من منشد فقلت للكلابي أيحضرك شيء قال لا فأنشدتها شعرا لبشر بن عبد الرحمن الأنصاري

وقصيرة الأيام ود جليسها ... لو باع مجلسها بفقد حميم
من محجرات أخي الهوى غصص الهوى ... بدلال غانية ومقلة ريم
صفراء من بقر الجواء كأنما ... خفر الحياء بها رداع سقيم

رواه أبو تمام لو دام مجلسها

الجوى

قال فجثت على ركبتيها واقبلت تخط في الارض بمحجنها وانشأت تقول

فيا ايها القلب نقر الحبة وتشكّ الهوى ثم افعل ما بدا لك
فلو قلت طأ في النار اعلم انه هوى لك او مدن لنا من رضا لك
لقدمت رجلي نحوها فوطئتها هدى منك لي او ضلة من ضلالك
سل البانة العليا من الاجرع الذي به البان هل حييت اطلال دارك
وهل قمت في اطلالهن عشية قيام سقيم القلب واخترت ذلك
ليهنك امساكي بكفي على الحشا ورقراق دمعي خشية من زيالك

قال الاصمعي فاظلمت والله علي الدنيا لحلاوة منطقها وفصاحة لهجتها فدنوت منها فقلت نشدتك الله
لما زودتني من هذا وانت الضحاك في عينيها وانشدت

واستخفبات ليس يخفين زرننا يسحبن اذيال الصبابة والشكل
يلمن الهوى حتى اذا ما ملكنه نزعن وهن اكثرن فينا من القتل
مريضات رجع القول خرس عن الخنا تألفن اهواء القلوب بلا بذل
موارق من خيل الحجيج عواطف يحمّل ذوي الالباب بالجد والهزل
يعنفني العذال فيهن والهوى يحذرني من ان اطيع ذوي العذل

قال السيد قدس الله روحه اما قول الانصاري وقصير الايام فاراد بها كثرة السرور وتكامل
حضور اهلها وطيب حديثها فتقصر ايام جليسها لان ايام السرور موصوفة بالقصر ويمكن ان يكون
اراد بقصير الايام ايضا انه حديثة سنها وقريبة عهد مولدها وان كان الاول اشبه بما اتى في آخر البيت
ومعنى لو باع مجلسها بعقد حميم اي ابتاعه وهذا اللفظ من الاضداد لانه يستعمل في البائع والمشتري
معا قال الفراء سمعت اعرابيا يقول ربع لي تمرا بينهم اي اشتر لي تمرا وقال الشاعر

فباع عن ليت النائي اذ حال بيننا وبينك باع الود لي منك تاجر

اي ابتاع وقوله من يجزيا اخي الهوى اي من عطيات يقال اجذيت الرجل من العطية اي اعطيته
اجذيه اجذاء اذا اعطيته والاسم الجذية والجذوة والجذا بالكل ذلك العطية وقوله كانما
خفر الحياء بها رداع سقيم قال الرداع نمو الوجع في الجسد فاراد انها منقبضة منكسرة من الحياء كالسقيم
او انه يتغير لونها وصفرته من الحياء كما يتغير لون السقيم ويجري ذلك مجرى قول ليلى الاخيلية

ويخترق عنه القميص تخاله وسط البيوت من الحياء سقيما

الجذية: العطية والجذوة بالكسر

اخبرنا المرزباني قال حدثنا ابو عبد الله الحكيمي قال حدثنا ميمون بن هرون الكاتب قال حدثني ابن اخي
الاصمعي عن عمه قال لقيت اعرابيا بالبادية فاسترشدته الى مكان فارشدني وانشدني

ليس العمى طول السؤال وانما تمام العمى طول السكوت على الجهل

ثم رجعت الى البصرة فمكثت بها حينا ثم قدمت البادية فاذا انا بالاعرابي جالسا بين ظهراني قوم
وهو يقضي بينهم فما رايت قضية اخطأت قضية الصالحين مرضيا بها فجلست اليه فقلت يرحمك الله
اما من رشوة اما من هدية اما من صلة فقال لا اذا جاء هذا ذهب التوفيق فشكوت اليه ما القى من
عذل حليلتي لي اياي في طلب المعيشة فقال لست فيها باوحد واني لشريكك ولقد قلت في ذلك
شعرا فقلت انشدنيه فانشدني

باتت تعيرني الاقتار والعدما لما رأت لاخيها المال والخدما
عنف لرابك ما الارزاق من جلد ولا من العجز بل مقسومة قسما
يا امة الله اني لم ادع طلبا للرزق قد تعلمين الشرق والشاما
فكل ذلك بالاجمال في طلب لم ازدد عرضا ولم اسفك لذاك دما
لو كان من جلد ذا المال او ادب لكنت اكثر من اهل القرى نعما
ارضى من العيش ما لم تحوجي معه ان تنحني لسؤال الاغنياء فما
واستشعري الصبر ان الله خالقنا يوما سيكشف عنا الفقر والعدما

اي لو كان نعم اكثر من اهل القرى

لا تعجبي إني من لو بذلت له نفسي لأعقبك التتمام والندما
بالله سرك أن الله خولني ما كان خوله الأعراب والعجما
ما سرني أنني خولت ذاك ولا أني أقول لباغي حاجة نعما
وأنني لم أجر عقلاً ولا أدباً ولم أرث والدي مجداً ولا كرما
تعشر المرء أحياناً في معايشه من أمر يجر عليك الهم والألما

قال والله ما أنشدتها حتى حلفت أن لا تعود لمثلها أبداً ∴ حدثني علي بن محمد الكاتب قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه قال رأيت بقباء شاباً من بني عامر ما رأيت بدوياً أفصح منه ولا أظرف فوالله لكأنه شواظ يتلظى فاستنشدته فأنشدني

فلم أنسكم يوم اللوى إذ تعرضت لنا أم طفل حاذلاً فترحلت
وقالت سأفشيك العشية ما خفي وأضمر منك النفس عما أجنت
فما قلت لا والذي أنا عبده على ما بدا من حسنها إذ أدلت
أبت سابقات الحب إلا مغرها البكى وما تشي إذا ما استقرت
هو أكل الذي ذا النفس أمسى دخيلها علينا نطوي أحشاءنا واشمأزت

مغرها أي قرارها وما تشي يعني سابقات الحب

وأنشدني أيضاً

ديار التي طرفتك وهناً برياد ودمنة وذكاك رشد
فسائلني وأصحابي هجود وثنى عطفها بنز غير صد
فلما أن شكوت الحب قالت فإني فوق وجدك كان وجدي
ولكن حال دونك ذو شذاة أسر بفقده وبهجر فقدي

وبهذا الإسناد عن الأصمعي قال قعدت إلى أعرابي يقال له إسماعيل بن عمار وإذا هو يفتل أصابعه ويتلهف فقلت له علام تلهف فأنشأ يقول

عيناي مشؤومتان ويحهما والقلب حيران مبتلى بهما

عرفتا ذا الهوى بظلمهما يا ليتني قبلها عدمتهما
هما إلى الحين قادتاه وهما دل على ما الرجن دمعهما
سأعذر القلب في هواه فما سبب هذا البلاء غيرهما

المعاني علاوون فعال المباءة والمنزل

وبهذا الإسناد عن الأصمعي قال نزلت ذات ليلة في وادي بني العنبر وهو إذ ذاك معان بأهله أي آهل وإذا فتية يريدون البصرة فأحببت صحبتهم فأقمت ليلتي تلك عليهم وإني لوصب محموم أخاف أن لا أستمسك على راحلتي فلما قاموا ليرحلوا أيقظوني فلما رأوا حالي رحلوا لي وحملوني وركب أحدهم ورائي يمسكني فلما أمعن السير تنادوا ألا فتى يحدو بنا أو ينشدنا فإذا منشد في سواد الليل بصوت ندي حزين ينشد

لعمرك إني يوم بانوا فلم أمت خفاتاً على آثارهم لصبور
غداة المنقى إذ رميت بنظرة ونحن على متن الطريق نسير
فقلت لقلبي حين خف به الهوى وكاد من الوجد المبرح يطير
فهذا ولما تمض للبين ليلة فكيف إذا مرت عليه شهور
وأصبح أعلام الأحبة دونها من الأرض غول نازح ومسير
وأصبح يجري الهوى منهم النوى إذ برا أشياً فالزجر بعير
عسى الله بعد النأي أن يسعف النوى ويجمع شملاً بعدها وسرور

استعفت التحلل بلحقه فضيلة الد والتغدير البيت أن يسعفنا بقرب النوى فاختصر

قال فسكنت والله الحمى عني حتى ما أحس بها فقلت لرديفي ابزل رحمك الله إلى راحلتك فإني متماسك وجزاك الله عن الصحبة خيراً ∴ أخبرنا المرزباني قال حدثنا محمد بن العباس قال حدثنا محمد بن يزيد النحوي قال حدثني بعض أصحابنا عن الأصمعي قال كان بالبصرة أعرابي من بني تميم يطفل على الناس فعاتبته على ذلك فقال والله ما بنيت المنازل إلا لتدخل ولا وضع الطعام إلا ليؤكل وما قدمت هدية فأتوقع رسولاً ما أكره أن أكون ثقلاً ثقيلاً على من أراه شحيحاً بخيلاً أقتحم عليه مستتراً وأضحك إن رأيته عابساً فآكل برغمه وأدعه بغمه وما اخترق اللهوات طعام أطيب من طعام لا ينفق فيه درهم ولا يعنى إليه خادم

ثم انشد

كل يوم أدور في عرصة الحي أشم القتار شم الذباب
فإذا ما رأيت آثار عرس أو ختان أو مجمع للأصحاب
لم أدرع دون التقحم لا أرهب دفعا ولكزة البواب
مستهينا بما يجيء عليه غير مستأذن ولا هياب
فتراني ألف بالرغم منهم كل ما قدموه لف العقاب
ذاك أدنى من التكلف والغرم وبقل البقال والقصاب

مجلس آخر لو تأويل آية

إن سأل سائل عن قوله تعالى ونادى نوح ربه فقال رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين فقال ظاهر قوله تعالى إنه ليس من أهلك يقتضي تكذيب قوله إن ابني من أهلي والنبي لا يجوز عليه الكذب فما الوجه في ذلك وكيف يصح أن يخبر عن ابنه بأنه عمل غير صالح وما المراد به. الجواب قلنا في هذه الآية وجوه أولها أن يكون نفيه لأن يكون من أهله لم يتناول فيه نفي النسب وإنما نفى أن يكون من أهله الذين وعده الله بنجاتهم لأنه عز وجل كان وعد نوحا عليه السلم بأن ينجي أهله ألا ترى إلى قوله قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول فاستثنى من أهله من أراد إهلاكه بالغرق ويدل عليه أيضا قول نوح عليه السلم إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وعلى هذا الوجه يتطابق الخبران ولا يتنافيان وقد روي هذا التأويل بعينه عن ابن عباس وجماعة من المفسرين. والجواب الثاني أن يكون المراد بقوله تعالى ليس من أهلك أي أنه ليس على دينك وأراد أنه كان كافرا مخالفا لأبيه فكان كفره أخرجه عن أن يكون له أحكام أهله ويشهد لهذا التأويل قوله عز وجل على طريق التعليل إنه عمل غير صالح فبين أنه إنما خرج عن أحكام أهله لكفره وسوء عمله وقد روي هذا الوجه أيضا عن جماعة من المفسرين وحكي عن ابن جريج أنه سئل عن ابن نوح فسبح طويلا ثم قال لا إله إلا الله يقول الله ونادى نوح ابنه وتقول ليس منه ولكنه خالفه في العمل فليس منه من لم يؤمن. وروي عن عكرمة أنه

كان ابنه ولكن كان مخالفا له في النية والعمل فمن ثم قيل إنه ليس من أهلك. والوجه الثالث أنه لم يكن ابنه على الحقيقة وإنما ولد على فراشه فقال عليه السلم إنه ابني على الظاهر من الأمر فأعلمه الله تعالى أن الأمر بخلاف الظاهر ونبهه على خيانة امرأته وليس في ذلك تكذيب الخبر لأنه إنما أخبر عن ظنه وعما يقتضيه الحكم الشرعي وأخبره الله تعالى بالغيب الذي لا يعلمه غيره وقد روي هذا الوجه عن الحسن وغيره وروى قتادة عن الحسن قال كنت عنده فقال ونادى نوح ابنه فقال لعمر الله ما هو ابنه قال قلت يا أبا سعيد يقول الله تعالى ونادى نوح ابنه وتقول ليس بابنه قال أفرأيت قوله ليس من أهلك قال قلت معناه ليس من أهلك الذين وعدتك أن أنجيهم معك ولا يختلف أهل الكتاب أنه ابنه فقال إن أهل الكتاب يكذبون وروي عن مجاهد وابن جريج مثل ذلك وهذا الوجه يبعد إذ فيه منافاة للقرآن لأنه تعالى قال ونادى نوح ابنه فأطلق عليه اسم البنوة ولأنه أيضا استثناه من جملة أهله بقوله تعالى وأهلك إلا من سبق عليه القول ولأن الأنبياء عليهم السلم يجب أن ينزهوا عن مثل هذه الحال لأنها تعير وتشين وتغض من القدر وقد جنب الله تعالى أنبياءه عليهم السلم ما هو دون ذلك تعظيما لهم وتوقيرا ونفيا لكل ما ينفر عن القبول منهم وقد حمل ابن عباس ظهور ما ذكرناه من الدلالة على أن تأول قوله تعالى في امرأة نوح وامرأة لوط فخانتاهما على أن الخيانة لم تكن منهما بالزنا بل كانت إحداهما تخبر الناس بأنه مجنون والأخرى تدل على الأضياف. والمعتمد في تأويل الآية هو الوجهان المتقدمان. فأما قوله تعالى إنه عمل غير صالح فالقراءة المشهورة بالرفع وقد روى جماعة من المتقدمين أنهم قرأوا إنه عمل غير صالح بنصب اللام وكسر الميم ونصب غير ولكل وجه. فأما الوجه في الرفع فيكون على تقدير أن ابنك ذو عمل غير صالح وصاحب عمل غير صالح فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه وقد استشهد على ذلك بقول الخنساء

ما أم سقب على بو تطيف به قد ساعدتها على التحنان أظآر
ترتع ما رتعت حتى إذا ادكرت فإنما هي إقبال وإدبار

أرادت فإنما هي ذات إقبال وإدبار. وقال قوم إن المعنى أصل ابنك هذا الذي ولد على فراشك وليس بابنك

على الحقيقة عمل غير صالح يعني الخيانة من امرأته وهذا جواب من ذهب الى انه لم يكن ابنه على الحقيقة والذي اخترناه
خلاف ذلك وقال آخرون ان الهاء في قوله انه عمل غير صالح راجعة الى السؤال والمعنى ان سؤالك اياي ما ليس لك
به علم عمل غير صالح لانه قد وقع من نوح عليه السلم ذليل السؤال والرغبة في قوله رب ان ابني من اهلي وان
وعدك الحق ومعنى ذلك اي نجه كما نجيتهم ومن يجيب بهذا الجواب يقول ذلك صغيرة من النبي عليه السلم لان الصغائر
تجوز عليهم ومن يمنع من ان يقع من الانبياء شيء من القبائح يدفع هذا الجواب ولا يجعل الهاء راجعة الى السؤال بل الى
الابن ويكون تقدير الكلام ما تقدم فاذا قيل له فلم قال فلا تسألني ما ليس لك به علم وكيف قال نوح عليه السلم من بعد رب
اني اعوذ بك ان اسالك ما ليس لي به علم والا تغفر لي وترحمني اكن من الخاسرين قال لا يمتنع ان يكون نهي عن سؤال ما
ليس له به علم وان لم يقع منه وان يكون تعوذ من ذلك وان لم يواقعه الا ترى ان الله تعالى قد نهى نبيه عن الشرك والكفر
وان لم يكن ذلك قد وقع منه فقال لئن اشركت ليحبطن عملك كذلك لا يمتنع ان يكون نهاه في هذا الموضع عما لم يقع منه
ويجوز عليه السلم انما سأله نجاة ابنه باشتراط المصلحة لا على سبيل القطع وهكذا يجب في مثل هذا الدعاء • فاما
القراءة بنصب اللام فقد ضعفها قوم وقالوا كان يجب ان يقال انه عمل عملا غير صالح لان العرب لا تكاد تقول هو
يعمل غير حسن حتى يقولوا عملا غير حسن وليس وجهها بضعيف في العربية لان من مذهبهم الظاهر اقامة الصفة
مقام الموصوف عند انكشاف المعنى وزوال اللبس فيقول القائل قد فعلت صوابا وقلت حسنا بمعنى فعلت فعلا
صوابا وقلت قولا حسنا وقال عمر بن ابي ربيعة المخزومي

ايها القائل غير الصواب اخر النصح واقلل عتابي

وقال ايضا

وكم من قتيل ما يباء به دم ومن غلق رهنا اذا لفه مني
ومن مالئ عينيه من شيء غيره اذا راح نحو الجمرة البيض كالدمى

رهنا

اراد وكم انسان قتيل وانشد ابو عبيدة لرجل من بجيلة

كم من ضعيف العقل منتكث القوى ما ان له نقض ولا ابرام
مالت له الدنيا عليه باسرها نعليه من رزق الاله ركام

ومشيع جلد امين حازم مر بين له فيها بر ومسرام
اعمى عليه سبيله فكانه فيما يحاول له عليه حرام

اغبا عليه سبيله

اراد كم من انسان ضعيف القوى • اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال اخبرني محمد بن العباس اليزيدي
قال حدثنا ميمون بن هرون قال حدثنا اسحق ابرهيم الموصلي قال كان محمد بن منصور بن زياد الملقب بفتى العسكر
يميل الى الاصمعي ويفضله ويقوم بامره قال فجئته يوما بعد موت محمد وعنده عبد كان لمحمد اسود وقد ترك
الناس واقبل عليه وسائله ويحفى به وجالسه فلما خرج لمته على ذلك وقلت من هذا حتى قد اقبلت عليه يومك
به فقال هذا غلام ابن منصور وقال

وقالوا يا جميل اتى اخوها فقلت اتى الحبيب اخو الحبيب
احبك والقريب بنا بعيد لان نسبته بنسبة من قريب

فقلت له وكنت افعل هذا اكثر ابواب اسجح كلامه وعلمه يا ابا سعيد ذاك اخوها وهذا غلامه فضحك وقال
انشدنا ابو عمرو وقال غيره

ارى كل دار اوطنتها وان خلت لها احج بندى بمسك ترابها
حلفت بها اني لو ارى بعدها اذ باب الغضا حببت الى ذنابها

اوطنتها

قال فجعلت اعجب من قرب لسانه من قلبه واجابة حفظه له متى اراده • وبهذا الاسناد عن
اسحق الموصلي قال قرأت على الاصمعي شعر امرئ القيس فلما بلغت الى هذا البيت

امن اجل اعرابية حل اهلها بروض الشرى عيناك تبتدران

فقال يا اتعرف في هذا البيت خبأ باطنا غير ظاهر قلت لا فسكت عني فقلت ان كان فيه شيء فافدنيه
فقال نعم اما ان لك البيت على انه لفظ ملك مستهتر ذي قدرة على ما يريد • قال اسحق وما رأيت احدا اوطأ مثل
الاصمعي في العلم بالشعر • وروى عن اسحق ايضا انه قال قال لي الاصمعي ما يعني امرؤ القيس بقوله

فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع فالهيتها عن ذي تمائم محول

فقلت خبرني فقال كان مغركا فيقول الهيت هؤلاء على كراهتهن للرجال فكيف انا عند المحبات لهم

وروي أن السبب الذي هاج التنافر بين الأصمعي وابن الأعرابي أن الأصمعي دخل يوماً على سعيد بن سلم
وابن الأعرابي حينئذ يؤدب ولده فقال لبعضهم أنشد أبا سعيد فأنشد الغلام أبياتاً لرجل من بني كلاب رواها
ابن الأعرابي وهي

رأت نضو أسفار أميمة قاعداً على نضو أسفار فجن جنونها
فقالت من أي الناس أنت ومن تكن فإنك راعي صرمة لا يزينها
فقلت لها ليس الشحوب على الفتى بعار ولا خير الرجال سمينها
عليك براعي ثلة مسلحبة يروح عليه محضها وحقينها
سمين الضواحي لم تؤرقه ليلة وأنعم أبكار الهموم وعونها

في نسخة ابن منقذ تستقيم

الثلة الضأن الكثيرة وقال أبو يوسف لا يقال للمعزى الكثيرة ثلة ولكن حيلة وجمع الثلة ثلل مثل بدرة وبدر فإذا اجتمعا الضأن والمعزى وكثرتا قيل لها ثلة

ورفع ليلةً فقال له الأصمعي من رواك هذا قال مؤدبي فأحضره فاستنشده البيت فأنشده ورفع ليلةً فأخذ
ذلك عليه وفسر البيت فقال إنما أراد لم تؤرقه ليلةٌ أبكار الهموم وعونها وأنعم أي زاد على هذه الصفة و
قوله سمين الضواحي أي ما ظهر منه وبدا سمين ثم قال الأصمعي لابن سلم من لم يحسن هذا المقدار فليس موضعاً
لتأديب ولد الملوك ∴ وأخبرنا المرزباني قال حدثنا أحمد بن محمد المكي قال حدثنا أبو العيناء قال حدثنا
الأصمعي قال ولد بشار بن برد أكمه لم ينظر إلى الدنيا قط وكان ذا فطنة وذكاء فقلت له يوماً من أين
لك هذا الذكاء فقال من قدم العمى وعدم المناظر يمنع من كثير من الخواطر المذهلة فيكسب فراغ الذهن
وصحة الذكاء وأنشد لنفسه يفتخر بالعمى

عميت جنيناً والذكاء من العمى فجئت عجيب الظن للعلم موئلا
وغاض ضياء العين للعقل رافداً بقلب إذا ما ضيع الناس حصلا
وشعر كنور الروض لاءمت بينه بقول إذا ما أحزن الشعر أسهلا

نـ بقلب

وأخبرنا المرزباني قال أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أبو العيناء قال حدثنا الأصمعي قال أنشد
رجل بشاراً وأنا حاضر قول الشاعر

بها

وقد جعل الأعداء ينتقصوننا وتطمع فينا ألسن وعيون

ألا إنما ليلى عصا خيزرانة إذا غمزوها بالأكف تلين

فقال بشار والله لو جعلها عصا مخ أو زبد لما كان إلا مخطئاً مع ذكر العصا ألا قال كما قلت

نـ قطع

وحوراء المدامع من معد كأن حديثها ثمر الجنان
إذا قامت لسبحتها تثنت كأن عظامها من خيزران
ينسيك المنى نظر إليها ويصرف وجهها وجه الزمان

وأخبرنا المرزباني قال حدثنا علي بن أبي عبد الله الفارسي قال حدثني أبي عن عمر بن شبة قال قال لنا أبو عبيدة
رحل بشار إلى الشام فمدح سليمان بن هشام بن عبد الملك وكان مقيماً بحران وقال فيه قصيدة طويلة أولها

نأتك على طول التجاور زينب وما شعرت أن النوى سوف تشعب

وكان سليمان بخيلاً فأعطاه خمسة آلاف درهم لم يصب غيرها بعد أن طال مقامه فقال

نـ مجبر

إن أمس منقبض اليدين عن الندى وعن العدو مخيس الشيطان
فلقد أروح على اللئام مسلطاً ثلج المقيل منعم الندمان
في ظل عيش عشيرة محمودة تندى يدي ويخاف فرط لساني
أزمان سربال الشباب معذب وإذا الأمير على من حجر واني
ديم بأجوبة العراق إذا ارتقت عليه أكلة المرجان
فاكحل بعبدة مقلتيك من القذى وبوشك رؤيتها من الهملان
فلقرب من تهوى وأنت متيم أشفى لدائك من بني مروان

فلما رجع إلى العراق بره ابن هبيرة ووصله وكان ابن هبيرة يقدمه ويؤثره لمدحه قيساً وافتخاره بها
فلما جاءت دولة أهل خراسان عظم شأنه ∴ وأخبرنا المرزباني قال حدثنا محمد بن أحمد الكاتب قال
حدثنا أحمد بن يحيى النحوي قال قال الأصمعي ما وصف أحد الثغر إلا احتاج إلى قول بشر بن أبي خازم

يفلجن الشفاه عن أقحوان جلاه غب سارية قطار

ولا وصف أحد اللون بأحسن من قول عمر بن أبي ربيعة المخزومي

وهي مكنونة تحير منها في أديم الخدين ماء الشباب

شف عنها محقق جندي فهي كالشمس من خلال السحاب

محقق محكم النسج وجند بلد باليمن

ولا وصف أحد عيني امرأة إلا احتاج إلى قول عدي بن الرقاع

لولا الحياء وأن رأسي قد عسا فيه المشيب لزرت أم القاسم

وكأنها بين النساء أعارها عينيه أحور من جآذر جاسم

وسنان أقصده النعاس فرنقت في عينه سنة وليس بنائم

ولا وصف أحد نجيبا إلا احتاج إلى قول حميد بن ثور

محلى بأطواق عتاق يبينها على الضر راعي الضأن لو يتقوف

ولا وصف أحد ظليما إلا احتاج إلى قول علقمة بن عبدة

هبق كأن جناحيه وجؤجؤه بيت أطافت به خرقاء مهجوم

ولا اعتذر أحد إلا احتاج إلى قول النابغة

فإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت أن المنتأى منك واسع

عنك صح

أبان واستبان وبين وتبين أربعتها تتعدى ولا تتعدى

قال السيد قدس الله روحه أما قول حميد محلى بأطواق عتاق فإنه يريد أن عليه نجار الكرم والعتق فصارت دلالتهما وسماتهما حلية له من حيث كان موسوما بها ومعنى يبينها على الضر أي يتبينها ويعرفها هذا الراعي فيعلم أنه كريم معروف والتقوف من القيافة فأما قول علقمة هبق فالهبق ذكر النعام ومعنى أطافت به خرقاء أي عملته وابتنته وقيل إن خرقاء هاهنا هي الحاذقة وأن هذه اللفظة تستعمل على سبيل الأضداد في الحاذقة وغير الحاذقة ومعنى مهجوم أي مهدوم وقال الأصمعي معنى أطافت به عملته خرقاء في عملها يقول فرارسل جناحيه فكأنه خباء امرأة خرقاء كلما رفعت ناحية استرخت ناحية أخرى والوجه الثاني أشبه وأملح فأما

قول بشر بن أبي خازم في وصف الثغر فأحسن منه وأكشف وأشد استيفاء للمعنى قول النابغة

كالأقحوان غداة غب سمائه جفت أعاليه وأسفله ند

فإنما وصف أعاليه بالجفوف ليكون متفرقا متبددا غير متلبد ولا مجتمع فيشبه حينئذ الثغور ثم قال وأسفله ند حتى لا يكون مخلا يابسا بل تكون فيه الغضاضة والصقالة فيشبه غروب الأسنان التي تلمع وتبرق وروى الرياشي قال سمعت الأصمعي يقول أحسن ما قيل في وصف الثغر قول ذي الرمة

وتجلو بفرع من أراك كأنه من العنبر الهندي والمسك يصبح

ذرى أقحوان واجه الليل وارتقى إليه الندى من رامة المتروح

هجان الثنايا مغربا لو تبسمت لأخرس عنه كاد بالقول يفصح

المغرب الأبيض من كل شيء

مجلس آخر لز تأويل آية

إن سأل سائل عن تأويل قوله تعالى فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون فقال كيف يعذبهم بالأموال والأولاد ومعلوم أن لهم فيها سرورا ولذة وما تأويل قوله وهم كافرون وظاهره يقتضي أنه أراد كفرهم من حيث أراد أن تزهق أنفسهم في حال كفرهم لأن القائل إذا قال أريد أن يلقاني فلان وهو لابس أو على صفة كذا وكذا فالظاهر أنه أراد كونه على تلك الصفة الجواب قلنا أما التعذيب بالأموال والأولاد ففيه وجوه أولها ما روي عن ابن عباس رحمة الله عليه وقتادة وهو أن يكون في الكلام تقديم وتأخير ويكون التقدير فلا تعجبك يا محمد ولا تعجب المؤمنين معك أموال هؤلاء الكفار المنافقين ولا أولادهم في الحياة الدنيا إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة عقوبة لهم على منعهم حقوقها واستشهد على ذلك بقوله تعالى اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون والمعنى فألقه إليهم فانظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم وأنشد في ذلك قول الشاعر

عشية أبدت جيد أدماء مغزل وطرفا يريك الإثمد الجون أحورا

يريد وطرفا أحور يريك الإثمد الجون وقد اعتمد هذا الوجه أيضا أبو علي قطرب

وذكر ابو القسم البلخي والزجاج وثانيها ان يكون معنى التعذيب بالاموال والاولاد في الدنيا هو ما جعله للمؤمنين من قتالهم وغنيمة اموالهم وسبي اولادهم واسترقاقهم وفي ذلك ايلام لهم واستخفاف بهم وانما اراد الله تعالى بذلك اعلام نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين انه لم يرزق الكفار الاموال والاولاد ولم يبقها في ايديهم كرامة لهم ورضى عنهم بل للمصلحة الداعية الى ذلك وانهم مع هذه الحال معذبون بهذه النعم من الوجه الذي ذكرناه فلا يجب ان تغبطوا بها و تحسدوا عليها اذ كانت هذه عاجلتهم والعقاب الاليم في النار آجلتهم وهذا جواب ابي علي الجبائي وقد طعن عليه بعض من لا تامل له فقال كيف يصح هذا التاويل مع انا نجد كثيرا من الكفار لا تنالهم ايدي المسلمين ولا يقدرون على غنيمة اموالهم ونجد اهل الكتاب ايضا خارجين عن هذه الجملة لمكان الذمة والعهد وليس هذا الاعتراض بشيء لانه لا يمتنع ان نخص الآية بالكفار الذين لا ذمة لهم ولا عهد ممن اوجب الله تعالى محاربته فاما الذين يجيئون لا تنالهم الايدي او من القوة على حد لا يتمكن معه غنيمة اموالهم فلا يقدح الاعتراض بهم في هذا الجواب لانهم ممن اراد الله تعالى ان يسبى ويغنم ويجاهد ويغلب وان لم يقع ذلك وليس في ارتفاعه بالتعذر دلالة على انه غير مراد وثالثها ان يكون المراد بتعذيبهم بذلك كل ما يدخله عليهم في الدنيا من الغموم والمصائب باموالهم واولادهم التي هي لهؤلاء الكفار المنافقين عقاب وجزاء وللمؤمنين محنة وجالبة للعوض والنفع ويجوز ايضا ان يراد به ما ينذر به الكافر قبل موته وعند احتضاره وانقطاع التكليف عنه مع انه حي من العذاب الدائم الذي قد اعد له واعلامه انه صائر اليه ومنتقل الى قراره وهذا الجواب قد ذكر معناه اكثر عن قوم من متقدمي المفسرين وذكره ابو علي الجبائي ايضا و رابعها جواب يحكى عن الحسن البصري واختاره ابو جعفر محمد بن جرير الطبري و قد تقدم على غيره وهو ان يكون المراد بذلك ما الزمه هؤلاء الكفار من الفرائض والحقوق في

اولادهم صح

اموالهم لان ذلك يوخذ منهم على كره وهم اذا انفقوا منه انفقوا بغير نية ولا عزيمة وتصير نفقتهم غرامة وعذابا من حيث لا يستحقون عليها اجرا وهذا وجه غير صحيح لان الوجه في تكليف الكافر اخراج الحقوق من ماله كالوجه في تكليف المؤمن ذلك ومحال ان يكون انما كلف اخراج هذه الحقوق على سبيل العذاب والجزاء لان ذلك لا يقتضي وجوبه عليه والوجه في تكليف الجميع هذه الامور هو المصلحة واللطف في التكليف ولا يجري ذلك مجرى ما قلناه في الجواب الذي قبل هذا من ان المصائب والغموم قد تكون للمؤمنين محنة وللكافرين عقوبة لان تلك الامور مما يجوز ان يكون وجه حسنها العقوبة والمحنة جميعا ولا يجوز في هذه الفرائض ان يكون لوجوبها على المكلف الا وجه واحد وهو المصلحة في الدين فافترق الامران وليس لهم ان يقولوا ليس التعذيب في ايجاب الفرائض عليهم وانما هو في اخراجهم لاموالهم على وجه التكره والاستثقال وذلك انه اذا كان الامر على ما ذكروه خرج ان يكون مرادا لله لانه جل وعز ما اراد منهم اخراج المال على هذا الوجه بل على الوجه الذي هو طاعة وقربة فاذا اخرجوها متكرهين مستثقلين لم يرد ذلك فكيف يقول انما يريد الله ليعذبهم بها ويجب ان يكون ما يعذبون به شيئا يصح ان يريده الله تعالى قال السيد المرتضى رضي الله عنه وجميع هذه الوجوه التي حكيناها في الآية الا جواب التقديم والتاخير مبنية على ان الحيوة الدنيا ظرف للعذاب فيتحمل كل متاول من القوم ضربا من التاويل يطابق ذلك وما نحتاج عندنا الى جميع ما تكلفوه ولا الى التقديم والتاخير اذا لم نجعل الحيوة ظرفا للعذاب بل جعلناها ظرفا للفعل الواقع بالاموال والاولاد والمتعلق بهما لانا قد علمنا انه لا ان قوله ليعذبهم بها لا بد من الاضمار او عن ظاهره لان الاموال والاولاد انفسها لا تكون عذابا والمراد على سائر وجوه التاويل الفعل المتعلق بها والمضاف اليها سواء كان انفاقها والمصيبة بها والغم عليها او اباحة غنيمتها واخراجها عن ايدي مالكيها

فيحمل صح

فكان تقدير الكلام انما يريد الله ليعذبهم بكذا وكذا انما يتعلق باولادهم واموالهم ويتصل
بها واذا صح هذا جاز ان يكون الحيوة الدنيا ظرفا لافعالهم القبيحة في اموالهم واولادهم
التي تغضب الله تعالى وتسخطه كانفاقهم الاموال في وجوه المعاصي وحملهم الاولاد على الكفر
والزامهم الموافقة لهم في النحلة ويكون تقدير الكلام انما يريد الله ليعذبهم بفعلهم في
اموالهم واولادهم الواقع ذلك منهم في الحيوة الدنيا وهذا وجه ظاهر يغني عن التقديم والتاخير
وسائر ما ذكروه من الوجوه ⁘ فاما قوله تعالى وتزهق انفسهم فمعناه تبطل وتخرج اي انهم
يموتون على الكفر وليس يجب اذا كان مريدا لان تزهق انفسهم وهم على هذه الحال ان يكون
مريدا للحال نفسها على ما ظنوه لان الواحد منا قد يامر غيره ويريد منه ان تقاتل اهل البغي وهم
محاربون ولا يقاتلهم وهم منهزمون ولا يكون مريدا للحرب اهل البغي للمؤمنين وان اردنا لهم
على هذه الحال وكذلك قد يقول لغلامه اريد ان تواظب على المصير الى في السجن وانا محبوس و
للطبيب صر الي ولازمني وانا مريض وهو لا يريد المرض ولا الحبس وان كان قد اراد ما هو متعلق
بهاتين الحالتين وقد ذكر في ذلك وجه آخر على ان لا يكون قوله وهم كافرون حالا لزهوق
انفسهم بل يكون كانه كلام مستانف والتقدير فلا يعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد
الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا وتزهق انفسهم وهم مع ذلك كله كافرون صائرون الى
النار وتكون الفائدة انهم مع عذاب الدنيا قد اجتمع عليهم عذاب الآخرة ويكون معنى تزهق
انفسهم على هذا الجواب غير الموت وخروج النفس على الحقيقة بل المشقة الشديدة والكلف
الصعبة كما يقال ضربت فلانا حتى مات وتلفت نفسه وخرجت روحه وما اشبه ذلك ⁘

قال السيد المرتضى رضي الله عنه ذاكرني قوم من اهل الادب باشعار
المحدثين وطبقاتهم وانتهوا الى مروان بن ابي حفصة فافرط بعضهم في وصفه وتقريظه
وتفضيله واخرون في ذمه وتهجينه والازراء على شعره بطريقته واستغثره واعما اعتقد

الصواب ... والزراية على شعره لانه يقال ازرى به وزرى عليه

فيه فقلت لهم كان مروان متساوي الكلام متشابه الالفاظ غير متصرف في المعاني ولا غواص
عليها ولا مدقق لها فلذلك قلت النظائر في شعره ومدائحه مكررة الالفاظ والمعاني وهو
غزير الشعر قليل العيون الا انه مع ذلك شاعر له تجويد وحذق وهو اشعر من كثير
من اهل زمانه وطبقته واشعر شعراء اهله ويجب ان يكون دون مسلم بن الوليد في تنقيح الالفاظ
وتدقيق المعاني ووقوع التشبيهات ودون بشار بن برد في الابيات النادرة السائرة
فكانت طبقته بينهما وليس بمقصر دونهما شديدا ولا منحط عنهما بعيدا ⁘ وكان
اسحق بن ابرهيم الموصلي يقدمه على بشار ومسلم وكذلك ابو عمرو الشيباني ⁘ وكان الاصمعي
يقول مروان مولد وليس له علم باللغة واختلاف الناس في اختيار الشعر بحسب اختلافهم
في الثقة على معانيه وبحسب ما يستشرطونه من مذاهبه وطرائقه ⁘ فسئلت عند
ذلك ان اذكر مختار ما وقع الي من شعره وانبه على سره فانه ونظائر شعره وان املي
ذلك في خلال المجالس واثنائها ⁘ فمما اختار من شعره قصيدة يمدح بها المهدي
اولها   اعادك من ذكر الاحبة عائد   فاستحقك الرسوم البوائد

يقول فيها

تذكرت من تهوى فابكاك ذكره   فلا الذكر منسي ولا الدمع جامد
تحن ويابى ان يساعدك الهوى   وللموت خير من هوى لا يساعد
الا ربما انهلت دموعك طائعا   وجادت عليك الانسات النواهد
تذكرنا ابصارها مقل المها   واعناقها ادم الظباء العواقد
تساقط منهن الاحاديث غضة   تساقط در اسلمتها المعاقد
اليك امير المؤمنين تجاذبت   بنا الليل خوص كالقسي شوارد
يمانية يبنى القريب محلة   بهن ويدنو الشاحط المتباعد

تجلّى الثرى عنها وللعيس أعين سوام وأعناق اليك قواصد
الى ملك يندى اذا يبس الثرى بنائل كفيه الأكف الجوامد
له فوق مجد الناس مجدان منهما طريف وعادي الجراثيم تالد
وأحواض عز حومة الموت دونها وأحواض عرف ليس عنهن ذائد
ايادي بني العباس بيض سوابغ على كل قوم باديات عوائد
هم يعدلون السمك من قبة الهدى كما تعدل البيت الحرام القواعد
سواعد عز المسلمين وانما تنوء بصولات الأكف السواعد
يكون غرارا نومه من حذاره على قبة الاسلام والخلق راقد
كان أمير المؤمنين محمدا لرأفته بالناس للناس والد

اما قوله تساقط منهن الاحاديث غضة تساقط دُرٍّ اسلمته المعاقد
فكثير في الشعر واظن ان الاصل فيه ابو حية النميري في قوله
اذا هن ساقطن الاحاديث للفتى سقوط حصى المرجان من كف ناظم
وانما عنى بالمرجان صغار اللؤلؤ وعلى هذا تأول قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ
والمرجان ومثله قول الآخر
هي الدر منثورا اذا ما تكلمت وكالدر منظوما اذا لم تكلّم
ومثله
من ثغرها الدر النظيم ولفظها الدر النثير
ونظيره قول البحتري واحسن غاية الاحسان
ولما التقينا والنقا موعد لنا تعجّب رائي الدر حسنا ولاقطه
فمن لؤلؤ تجلوه عند ابتسامها ومن لؤلؤ عند الحديث تساقطه

ومثله قول الأخيطل
خلوت بها وسجف الليل ملقى وقد اصغت الى الغرب النجوم
كأن كلامها درّ نثير ودون ثغرها درّ نظيم
ولغيره
تبسمت فرأيت الدر منتظما وحدثت فرأيت الدر منتثرا
وللآخر
وتحفظ لا من ريبة تحذرونها ولكنها من أعين الناس تحفظ
وتلفظ درا في الحديث اذا جرى ولم تر درا قبل ذلك يلفظ
ولبعض من تأخر زمانه من الشعراء وقرب من عصرنا هذا
أظهرن وصلا اذ رحمن متيما وأذن بهجر اذ خشين مراقبا
فنظمن من در المباسم جامدا ونثرن من در المدامع ذائبا
وليس قول ابي دهبل في وصف الحديث
كتساقط الرطب الجني من الأفناء لا نثرا ولا نزرا
من هذا الباب في شيء لان جميع ما تقدم انما هو في وصف حسن الحديث والثغر
وابو دهبل انما وصف قدر الحديث وانه متوسط في القلة والكثرة لازم للقصد
كانتثار الرطب من الأفناء ويشبه ان يكون اراد انضام ذلك وصفه بالحلاوة و
الغضاضة لتشبيهه له بالرطب ثم انه غض طري غير متكره ولا متعاد لقوله الرطب
الجني فيجتمع له اغراض الوصف بالاقتصاد في القلة والكثرة ثم وصفه بالحلاوة
ثم بالفصاحة ونظير قول ابي دهبل قول ذي الرمة

لها بشر مثل الحرير ومنطق رخيم الحواشي لا هراء ولا نزر

فاما قول مروان

الى ملك تندى اذا يبس الثرى بنائل كفيه الاكف الجوامد

فمثل قول ابي حيش التميمي في يحيى بن خالد البرمكي

لا ترى انني صافحت كف يحيى انني ان فعلت اتلفت مالي

لو يمس البخيل راحة يحيى لسخت نفسه ببذل النوال

هو عبد الله بن محمد ويعرف بابن الخياط هكذا ذكره ابو الفرج الاصفهاني رحمه الله

ومثله قول ابن الخياط المدني في المهدي

لمست بكفي كفه ابتغي الغنى ولم ادر ان الجود من كفه يعدي

فلا انا منه ما افاد ذوو الغنى افدت واعداني فاتلفت ما عندي

وقد قيل ان هذا الشاعر كانه مصرح بالهجاء لانه زعم ان الذي لمس كفه لم يفد شيا بل عداه جوده فاتلف ماله ولم يرد الشاعر الا المدح ولقوله وجه وهو ان ذوي الغنى هم الذين تستقر الاموال في ايديهم وتثبت تحت ايمانهم ومن اخرج ما يملكه حالا فحالا لا يوصف بانه ذو غنى فاراد الشاعر انني لم افد منه ما يبقى في يدي واستقر تحت ملكي فلهذا قال لم افد ما افاد ذوو الغنى ومن هذا قول مسلم

الى ملك لو صافح الناس كلهم لما كان حي في البرية يبخل

ومثله قول العكوك

لو لمس الناس راحتيه ما بخل الناس بالعطاء

واحسن من هذا كله واشبه بالمدح وادخل في طريقته قول البحتري

من شاكر عني الخليفة بالذي اولاه من طول ومن احسان

159

158

ملأت يداه يدي وشرد جوده بخلي فافقرني كما اغناني

حتى لقد افضلت من افضاله ورايت نهج الجود حيث اراني

ووثقت بالخلف الجميل معجلا منه فاعطيت الذي اعطاني

ومن هذا المعنى قول الاخر

رايت الندى في آل عوف خليقة اذا كان في قوم سواهم تخلقا

ولو جئت في اثنائهم لتعلمت يداك الندى منهم فاصبحت مملقا

ابنائهم

ولابن الرومي

تجود البخيل اذا ما رآك ويسطو الجبان اذا عاينك

فاما قوله   واخوض عن حومة الموت دونها واخوض غرفا ليس عنهن ذائد

فيشبه ان يكون ابرهيم بن العباس الصولي اخذه في قوله

لنا ابل كوم يضيق بها الفضا وتفتر عنها ارضها وسماؤها

فمن دونها ان تستباح دماؤنا ومن دونها ان تستذم دماؤها

حمى وقرى فالموت دون مرامها وايسر خطب عند حق فناؤها

استذم الرجل اذا اتى بما يذم عليه يقول من دونها دماؤنا ان تستباح ومن دونها دماؤها ان تستذم فتوصف بالبخل

فاما قوله   وقد احسن ابرهيم في ابياته كل الاحسان

يكون غرارا نومه من حذاره على عاقبة الاسلام والخلق راقد

وكثير منه اوله ومن حسنه قول محمد بن عبد الملك الزيات

نعم الخليفة للرعية من اذا قدرت وطاب لها الكرى لم يرقد

ومثله   ويظل يحفظنا ونحن بغفلة ويبيت يكلانا ونحن نيام

ومثله للبحتري   اذ يبعث الفرس اشكري بن منعم وهب الاساءة للمسيء الجاني

ردعت تجاراته فبعثتم منه حمية آنف غضبان

لم تنكر عن قاصي الرعية عينه فينام عن ذي القرب الداني

وأما قوله كان أمين المؤمنين محمد الرأفة بالناس للناس والد

فنظير قول بعض الشعراء في يحيى بن خالد

أحيى لنا يحيى فعال خالد فأصبح اليوم كثير الحامد

يحنو بكل طارف وتالد على بعيد غائب وشاهد

الناس في إحسانه كواحد وهو لهم أجمعهم كالوالد

ومن جيد قول مروان من قصيدة أولها

يقول فيها

حلت بعد نا من آل ليلى المصانع وهاجت لنا الشوق الديار البلاقع

وما لي إلى المهدي لو كنت مذنبا سوى حلمه الضافي على الناس شافع

ولا هو عند السخط منه ولا الرضى بغير التي يرضى بها الله صانع

تغض له الطرف العيون وطرفه على غير من خشية الله خاشع

صانع

أما قوله ولا هو عند السخط منه ولا الرضا فمثل قول أشجع

ولست بخائف لأبي علي ومن خاف الإله فلن يخافا

ومثله

أمنت بني منه ومن خوفه خيفته من خشية الباري

ولأبي نواس قد كنت خفتك ثم آمنني من أن أخافك خوفك الله

ويشبه هذا المعنى ما روي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه دعا غلاما له مرارا فلم يجبه فخرج فوجده على باب البيت فقال له ما حملك على ترك إجابتي قال كسلت عن إجابتك وأمنت عقوبتك فقال عليه السلام الحمد لله الذي جعلني ممن يأمنه خلقه فأما قوله تغض له الطرف العيون فيشبه أن يكون مأخوذا من قول الفرزدق أو ممن ينسب إليه هذه الأبيات

يغضي حياء ويغضى من مهابته فما يكلم إلا حين يبتسم

مجلس آخر ٤٨ تأويل آية

إن سأل سائل عن قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه فقال ما معنى الحول بين المرء وقلبه وهل يصح ما قاله قوم من أنه يحول بين الكافر وبين الإيمان وما معنى قوله لما يحييكم وكيف تكون الحياة في إجابته

الجواب قلنا أما قوله تعالى يحول بين المرء وقلبه ففيه وجوه أولها أن يريد بذلك أنه تعالى يحول بين المرء وبين الانتفاع بقلبه بالموت وهذا حث منه عز وجل على الطاعات والمبادرة بها قبل الفوت وانقطاع التكليف وتعذر ما يسوف به المكلف نفسه من التوبة والإقلاع فكأنه تعالى قال بادروا إلى الاستجابة لله وللرسول من قبل أن يأتيكم الموت فيحول بينكم وبين الانتفاع بنفوسكم وقلوبكم ويتعذر عليكم ما تسوفون به نفوسكم من التوبة بقلوبكم ويقوي ذلك قوله تعالى وأنه إليه تحشرون وثانيها أنه يحول بين المرء وقلبه بإزالة عقله وإبطال تمييزه وإن كان حيا وقد يقال لمن فقد عقله وسلب تمييزه إنه بغير عقل قال الله تعالى إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب وقال الشاعر

ولي ألف وجه قد عرفت مكانه ولكن بلا قلب إلى أين أذهب

وهذا الجواب يقرب من الأول لأنه تعالى أخرج هذا الكلام مخرج الإنذار لهم والحث على الطاعات قبل فوتها لأنه لا فرق بين تعذر التوبة وانقطاع التكليف بالموت وبين تعذرها بإزالة العقل وثالثها أن يكون المعنى المبالغة في الإخبار عن قربه من عباده وعلمه بما يبطنون ويخفون وأن الضمائر المكنونة له ظاهرة والخفايا المستورة لعلمه بادية ويجري ذلك مجرى قوله تعالى ونحن أقرب إليه من حبل الوريد ونحن نعلم أنه لم يرد تعالى بذلك قرب المسافة بل المعنى الذي ذكرناه وإذا كان جل وعز هو أعلم بما في قلوبنا منا وكان ما نعلمه أيضا يجوز أن ننساه ونسهو عنه ونضل عن علمه وكل ذلك لا يجوز عليه جاز أن يقول إنه يحول بيننا وبين قلوبنا لأنه معلوم في

قلب

طريقه

الخفيات

الشاهد ان كل شيء يحول بين شيئين فهو اقرب اليهما ولما اراد تعالى المبالغة في وصف القرب خاطبنا
بما نعرف ونالف وان كان القرب الذي عناه جلت عظمته لم يرد به المسافة والعرب تضع كثيرا
لفظة القرب على غير معنى المسافة فيقولون فلان اقرب الى قلبي من فلان وزيد مني قريب وعمرو بعيد
ولا يريدون قرب المسافة ورابعها انما اجاب به بعضهم من ان المؤمنين كانوا يفكرون في
كثرة عدوهم وقلة عددهم فيدخل قلوبهم الخوف فاعلمهم تعالى انه يحول بين المرء وقلبه بان
يبدله بالخوف الامن ويبدل لعدوهم بظنهم انهم قادرون عليهم وغالبون لهم الجبن والخور ويمكن
في الاية وجه خامس وهو ان يكون المراد انه تعالى يحول بين المرء وبين ما يدعوه اليه قلبه من القبيح
بالامر والنهي والوعد والوعيد لانا نعلم انه تعالى لو لم يكلف العاقل مع ما فيه من الشهوات والنفار لم يكن
له عن القبيح مانع ولا عن مواقعته رادع فكان التكليف حائلا بينه وبينه من حيث زجر عن فعله وصرف
عن مواقعته وليس يجب في الحائل ان يكون في كل موضع مما يمتنع معه الفعل لانا نعلم ان المشير
منا على غيره في امر كان قد هم به وعزم على فعله ان يجتنبه والمنبه له على ان الحظ في الانصراف
عنه يصح ان يقال منعه منه وحال بينه وبين فعله وقال عبد الله بن قيس الرقيات
حال دون الهوى ودون سرى الليل صعب وسياط على اكف رجال تقلب
ونحن نعلم انه لم يحل الا بالتخويف والترهيب دون غيرهما فان قيل كيف يطابق هذا
الوجه صدر الكلام قلنا وجه المطابقة ظاهر لانه تعالى امرهم بالاستجابة لله ولرسوله
فيما يدعون اليه من فعل الطاعات والامتناع من المقبحات واعلمهم انه بهذا الارعاد والانذار وما يجري
مجراهما يحول بين المرء وبين ما تدعوه اليه نفسه من المعاصي ثم ان المآب بعد هذا كله اليه والمنقلب
الى ما عنده فيجازي كلا باستحقاقه فاما قوله تعالى اذا دعاكم لما يحييكم ففيه وجوه اولها
ان يريد بذلك الحياة في النعيم والثواب لان تلك هي الحياة الدائمة الطيبة التي يؤمن تغيرها

ابن كان صح

161

ولا يخاف انتقالها فكانه تعالى حث على اجابته التي تكسب هذه الحال وثانيها انه يختص ذلك
بالدعاء الى الجهاد وقتال العدو فكانه تعالى امرهم بالاستجابة للرسول عليه السلم فيما يامرهم به من
قتال عدوهم ودفعهم عن حوزة الاسلام واعلمهم ان ذلك يحييهم من حيث كان فيه قهر للمشركين
وتقليل لعددهم وفل لحدهم وحسم لاطماعهم لانهم متى كثروا وقووا واستلانوا جانب المؤمنين
واقدموا عليهم بالقتل وصنوف المكاره فمن هاهنا كانت الاستجابة له عليه السلم تقتضي الحياة و
البقاء ويجري ذلك مجرى قوله تعالى ولكم في القصاص حيوة وثالثها ما قاله قوم من ان
كل طاعة حياة ويوصف فاعلها بانه حي كما ان المعاصي يوصف فاعلها بانه ميت والوجه في
ذلك ان الطائع لما كان منتفعا بحياته وكانت تؤديه الى الثواب الدائم كان في حكم الميت ولهذا
يقال لمن كان منغص الحياة غير منتفع بها فلان بلا عيش ولا حياة وما جرى مجرى ذلك من حيث
لا ينتفع بحياته ويمكن في الاية وجه اخر وهو ان يكون المراد بالكلام الحياة في الحكم لا في
الفعل لانا قد علمنا انه عليه السلم كان مكلفا امر الجهاد جميع المشركين المخالفين لملته و
قتلهم وان كان فيما بعد كلف ذلك في غير اهل الذمة على شرطها فكانه تعالى قال استجيبوا للرسول
ولا تخالفوه فانكم اذا خالفتموه كنتم في الحكم احياء ويجري ذلك مجرى قوله تعالى ومن دخله كان
امنا وانما اراد تعالى انه يجب ان يكون امنا وهذا حكمه ولم يخبر بان ذلك لا محالة واقع فاما
المجبرة فلا شبهة لهم في الاية ولا متعلق لهم بها لانه تعالى لم يقل انه يحول بين المرء وبين الايمان
بل ظاهر الاية يقتضي انه يحول بينه وبين افعاله وانما يقتضي ظاهرها انه يحول بينه وبين
قلبه وليس للايمان ولا للكفر ذكر ولو كان للاية ظاهر يقتضي ما ظنوه ولبسوها ذلك
لانصرفنا عنه بادلة العقل الموجبة انه تعالى لا يحول بين المرء وبين ما امره به واراده منه و
كلفه فعله لان ذلك قبيح والقبائح عنه منفية اخبرنا ابو عبيد الله
المرزباني قال حدثني احمد بن محمد الجوهري قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثنا احمد بن

في القتال

عمر بن اسمعيل بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف قال حدثني محمد بن خالد بن عبد الله عن الحجاج السلمي قال لما اشتد بحصن بن حذيفة بن بدر وجعه من طعنة كرز بن عامر اياه يوم بني عقيل دعا ولده فقال ان الموت اهون مما اجد فايكم يطيعني فقالوا كلنا نطيعك فبدا باكبرهم فقال قم فخذ سيفي فاطعن به حيث امرك ولا تعجل فقال يا ابتاه ايقتل المرء اباه فاتى على القوم كلهم فاجابوه بجواب الاول حتى انتهى الى عيينة فقال يا ابتاه اليس لك فيما تامرني به راحة ولي بذلك لك طاعة وهو هواك قال نعم قال فمرني كيف اصنع قال قم فخذ سيفي فضعه حيث امرك ولا تعجل فقام فاخذ سيفه ووضعه على قلبه ثم قال يا ابتاه كيف اصنع قال الق السيف انما اردت ان اعلم ايكم امضى لما امر به فانت خليفتي ورئيس قومك من بعدي فقال القوم انه سيقول فيما بيننا فاحضروه فلما امسى قال :

ولوا عيينة من بعدي اموركم ... واستيقنوا انه يعدي لكم حام
اما هلكت فاني قد بنيت لكم ... عز الحياة بما قدمت قدامي
واستوسقوا للتي فيها مروتكم ... قود الجياد وضرب القوم في الهام
ولي حذيفة اذ ولى وخلفني ... يوم الهباءة يتيما وسط ايتام
لا ارفع الطرف ذلا عند مهلكه ... الفى العدو بوجه خده دام
حتى اعتقدت لواء في قمت به ... ثم ارتحلت الى الجفني بالشام
لما قضى ما قضى من حق زائره ... عجت المطي الى النعمان من عام
اسمو الى ما كانت الآباء تطلبه ... عند الملوك فطرفي عندهم سام
والدهر آخره شبه لاوله ... قوم كقوم وايام كايام
فابنوا ولا تهدموا فالناس كلهم ... من بين بان الى العليا وهدام

قال ثم اصبح ودعا بني بدر فقال اللواء ورياستي لعيينة واسمعوا مني ما اوصيكم

به لا يتكل آخركم على اولكم فانما يدرك الآخر ما ادرك الاول وانكحوا الكفي والغريب فانه عز حادث واذا حضركم امران فخذوا الخير منهما صدرا فان لكل مورد معروف واصحبوا قومكم باجمل الخلاف ولا تخالفوا فيما اجمعوا عليه فان الخلاف يزري بالرئيس المطاع واذا حاربتم فاوقعوا بهم فانه لا خير في الكذب وصونوا الخيول فانها حصون الرجال واطيلوا الرماح فانها قرون الخيل واعزوا الكبير بالكبر فاني بذلك كنت اغلب الناس ولا تغزوا الا بالعيون ولا تسرحوا حتى تامنوا الصباح واعطوا على حسب المال واعجلوا الضيف بالقرى فان خيره اعجله واتقوا فضيحات البغي وفلتات المزاح ولا تجيروا على الملوك فان ايديهم اطول من ايديكم واقتلوا كرز بن عامر ومات حصن فاخذ عيينة الرياسة وقال

اطعت ابا عيينة في هواه ... ولم تختلج بمهجتي الظنون
وقد عرض الرئيس على بنيه ... فقال القوم هذا لا يكون
سيحيا او تموت فطاولوه ... وقتل المرء والده جنون
فلم اقتلك بحمد الله حينا ... وكل فتى ستدركه المنون
ولم انكل عليه وكل امر ... اذا هونته يوما يهون
فان يك بدء هذا الامر غثا ... فآخره بني بدر سمين

وحكى عمرو بن بحر الجاحظ ان اسم عيينة بن حصن حذيفة وانما اصابته اللقوة فجحظت عينه وزال فكه فسمي لذلك عيينة واذا اعظمت عين الانسان لقبوه اما عيينة واما عيناء وروى قيس بن ابي حازم ان عيينة بن حصن دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا الاحمق المطاع وروي ايضا انه كان يدلع لسانه للحسين بن علي عليهما السلم فيرى لسانه فيهش له فقال عيينة الا اراك تصنع هذا بهذا والله انه ليكون لي الابن رجلا قد خرج وجهه

ما قبلته قط فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه من لا يرحم لا يرحم ونعود الى ما
كنا وعدنا به من الكلام على شعر مروان فمما نختاره من شعره قوله من قصيدة اولها

صحا بعد جهل فاستراحت عواذله واقصر عنه حين اقصر باطله
ومن مد في ايامه فتأخرت منيته فالشيب لا شك شامله

بقول في المديح فيها

هو المرء اما دينه فهو مانع مصون واما ماله فهو باذله
امر واحلى ما بكى الناس طعمه عقاب امير المومنين ونائله
ابى تعلمانا بابى ذو والكرم والتقى فعول اذا ما جد بالامر فاعله
تزول الهوى لا السخط منه ولا الرضا لدى موطن الا على الحق حامله
يرى ان من الحق احلى مغبة وانجى وان كانت ذعافا مناهله
فان طليق الله من هو مطلق وان قتيل الله من هو قاتله
وانك بعد الله للحكم الذى يصاب به من كل حق مفاصله

فاما قوله

ومن مد في ايامه فتأخرت منيته فالشيب لا شك شامله

فماخوذ من قول طريح بن اسمعيل الثقفى

والشيب غاية من تأخر حينه لا يستطيع دفاعه من يجزع

هذا قول امية بن ابى الصلت

من لم يمت عبطة يمت هرما للموت كاس فالمرء ذائقها

ويشبه ذلك قول الآخر

قل للعروس لبس شيبى بعجب من يعش يا ام عمار يشب

ومثله قول ابى العتاهية

من يعش يكبر ومن يكبر يمت والمنايا لا تبالى من اتت

ومثله قول البحترى

ولابد من ترك احدى اثنتين اما الشباب واما العمر

ويقارب قوله ايضا

والشيب مهرب من جاذى منيته ولا نجاء له من ذلك الهرب

وقريب منه قول ابن المعتز

وقالت كبرت واشتبت من الصبى فقلت لها ما عشت الا لاكبرا

ولبعضهم

ولابد من موت فاما شبيبة واما مشيب والشبيبة اصلح

معنى قوله الشبيبة اصلح لان الانسان اذا مات شابا كان اكثر للحزن عليه والاسف على مفارقته فاذا اسن تبرم به اهله وهان عندهم فقده واما قوله

هو المرء اما دينه فهو مانع مصون واما ماله فهو باذله

فمعناه متكرر في الشعر كثير جدا واحسن شعر جمع بين وصف الممدوح بمنع ما يجب منعه وبذل ما يجب بذله قول مسلم بن الوليد

يذكر نيك الجود والبخل والتقى وقول الخنا والحلم والعلم والجهل
فالقاك عن مذمومها متنزها والقاك في محمودها ولك الفضل
واحمد من اخلاقك البخل انه بعرضك لا بالمال حاشى لك البخل

وقد احسن البحترى في قوله

بلونا ضرائب من قد نرى فما ان وجدنا لفتح ضريبا
تنقل في خلقى سودد سماحا مرجى وباسا مهيبا
وكالسيف ان جئته صارخا وكالبحر ان جئته مستثيبا

فاما قوله

تزول الهوى لا السخط منه ولا الرضا لدى موطن الا على الحق حامله

فمعنى مبتذل مطروق في الشعر وقد كرره هو في قوله

اذا هز اقفين الرجال ببابه خطط لها ثقلا واذكر مغنما
الى ظالم الاخلاق ما نال في رضى ولا غضب الا كرام ما ولا دما

واحسن من هذا قول ابى تمام في محمد بن عبد الملك الزيات

ثبت الخطاب اذا اصطكت بمظلمة في رحله السن الاقوام والركب
لا المنطق اللغو يزكو في مقاومه يوما ولا حجة الملهوف تستلب
كانما هو في نادى قبيلته لا القلب يهفو ولا الاحشاء تضطرب

ونحن ذاك قضاء آخر شعرته كما يعض ظهر الغارب القتب
لا سورة تتقى منه ولا بله ولا يخاف رضى منه ولا غضب

ومنه قول البحتري في ابن الزيات ايضا

وجه الحق بين اخذ واعطاء وقصد في الجمع والتبديد
واستوى الناس فالقريب قريب عنده والبعيد غير بعيد
لا يميل الهوى به حيث يمضي الامر بين المقلي والمودود
وسواء لديه ابناء ابراهيم في حكمه وابناء هود
مستريح الاحشاء من كل ضغن بارد الصدر من غليل الحقود

فاما قوله وان قتيل الله من هو قاتله فيشبه ان يكون ماخوذا من قول يزيد بن مفرغ في عبيد الله بن زياد

ان الذي عاش ختارا بذمته ومات عبدا قتيل الله بالزاب

فاما قوله وانك بعد الله للحكم الذي تصاب به من كل حق مفاصله

فيشبه قول ابي تمام يصف القلم من قصيدة يمدح بها ابن الزيات واجمع العلماء ان هذه الابيات احسن وافخم من جميع ما قيل في القلم

لك القلم الاعلى الذي بشباته تصاب من الامر الكلى والمفاصل
له الخلوات اللاء لولا نجيها لما احتفلت للملك تلك المحافل
لعاب الافاعي القاتلات لعابه واري الجنى اشتارته ايد عواسل
له ريقة طل ولكن وقعها بآثاره في الشرق والغرب وابل
فصيح اذا استنطقته وهو راكب واعجم ان خاطبته وهو راجل
اذا ما امتطى الخمس اللطاف وافرغت عليه شعاب الفكر وهي حوافل
اطاعته اطراف القنا وتقوضت لنجواه تقويض الخيام الجحافل

اذا استغزر الذهن الذكي واقبلت اعاليه في القرطاس وهي اسافل
وقد رفدته الخنصران وسددت ثلاث نواحيه الثلاث الانامل
رايت جليلا شانه وهو مرهف ضنى وسمينا خطبه وهو ناحل

مجلس آخر تاويل آية

ان سال سائل عن قوله تعالى فاين تذهبون ان هو الا ذكر للعالمين لمن شاء منكم ان يستقيم وما تشاؤن الا ان يشاء الله رب العالمين فقال ما تاويل هذه الآية أوليس ظاهرها يقتضي اننا لا نشاء شيئا الا والله شاء له ولم يخص ايمانا من كفر ولا طاعة من معصية الجواب قلنا الوجه المذكور في هذه الآية ان الكلام متعلق بما تقدم من ذكر الاستقامة لانه تعالى قال لمن شاء منكم ان يستقيم ثم قال وما تشاؤن الا ان يشاء الله اي وما تشاؤن الاستقامة الا والله تعالى مريد لها ونحن لا ننكر ان يريد الله تعالى الطاعات وانما انكرنا ارادته المعاصي وليس لهم ان يقولوا تقدم ذكر الاستقامة لا يوجب قصر الكلام عليها ولا يمنع من عمومه كما ان السبب لا يوجب قصر ما يخرج من الكلام عليه حتى لا يتعداه وذلك ان الذي ذكروه انما يجب فيما يستقل بنفسه من الكلام دون ما لا يستقل وقوله وما تشاؤن الا ان يشاء الله لا ذكر للمراد فيه فهو غير مستقل بنفسه و اذا علق بما تقدم من ذكر الاستقامة استقل على انه لو كان للآية ظاهر يقتضي ما ظنوه وليس لها ذلك لوجب الانصراف عنه بالادلة الثابتة على ان الله تعالى لا يريد المعاصي والقبائح على ان مخالفينا في هذه المسئلة لا يمكنهم حمل الآية على العموم لان العباد قد يشاؤن عندهم ما لا يشاؤه الله تعالى بان يريدوا الشيء ويعزموا عليه فلا يقع لمنع او غيره وكذلك قد يريد النبي صلى الله عليه وآله من الكفار الايمان وتعبدنا بان نريد من المقدم على القبيح تركه وان كان تعالى عندهم لا يريد ذلك اذا كان المعلوم انه لا يقع فلا بد لهم من تخصيص الآية فاذا جاز لهم ذلك بالشبهة جاز لنا مثله بالحجة ويجري هذه الآية مجرى قوله تعالى ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا وما تشاؤن الا ان يشاء

[illegible]

بالشبهة

الله وقوله تعالى وما تذكرون الا ان يشاء الله في تعلق الكلام بما قبله فان قالوا فالاية تدل
على مذهبنا وبطلان مذهبكم من وجه آخر وهو انه جل وعز قال وما تشاءون الا ان يشاء الله وذلك انه
يقتضي انه يشاء الاستقامة في حال مشيتنا لها لان ان الخفيفة اذا دخلت على الفعل المضارع
اقتضت الاستقبال وهذا يوجب انه يشاء افعال العباد في كل حال ويبطل ما تذهبون اليه من
انه انما يريد الطاعات في حال الامر قلنا ليس في ظاهر الاية انا لا نشاء الا ما شاءه تعالى في
حال مشيتنا كما ظننتم وانما يقتضي حصول مشيته لما نشاؤه من الاستقامة من غير ذكر لتقدم او
تأخر ويجري ذلك مجرى قول القائل ما يدخل زيد هذه الدار الا ان يدخلها عمرو ونحن نعلم انه
غير واجب بهذا الكلام ان يكون دخولهما في حال واحدة بل لا يمتنع ان يتقدم دخول عمرو ويتلوه
دخول زيد وان الخفيفة وان كانت للاستقبال على ما ذكروه فلم يبطل على ما تأولنا معنى الاستقبال
فيها لان تقدير الكلام وما تشاءون الطاعات الا بعد ان يشاء الله تعالى ومشيئة الله تعالى لها قد كانت
لها حال استقبال وقد ذهب ابو علي محمد بن عبد الوهاب الى انه لا يمتنع ان يريد الطاعات حالا
بعد حال وان كان قد اراده في حال الامر كما يصح ان يامر بها امرا بعد امر لانه قد يصح ان يتعلق
بارادته ذلك منا بعد الامر وفي حال الفعل مصلحة ويعلم تعالى انا نكون متى علمنا ذلك كنا الى فعل
الطاعات اقرب وعلى هذا المذهب لا معترض بما ذكروه والجواب الاول اوضح اذا لم نذهب
الى مذهب ابي علي في هذا الباب على ان من ذهب من الاية للاستقبال من اوضح دليل على فساد توهمهم
لان الكلام اذا اقتضى حدوث المشية واستقبالها بطل قول من قال منهم انه مريد لنفسه او
مريد بارادة قديمة وصح ما نقوله من ان ارادته متجددة محدثة :: ويمكن في الاية وجه آخر
مع حملنا اياها على العموم من غير ان نخصها بما تقدم ذكره من الاستقامة ويكون معنى الاية وما
تشاءون شيئا الا ان يشاء الله تمكينكم من مشيته واقداركم عليها والتخلية بينكم وبينها ويكون
الفائدة في ذلك الاخبار عن الافتقار الى الله تعالى وانه لا قدرة للعبد على ما لم يقدره الله تعالى عليه

يشاءها صح — الجبائي — واضح — من افعالكم

وليس يجب ان يستبعد هذا الوجه لان ما يتعلق به المشية في الاية محذوف غير مذكور وليس لهم
ان يعلقوا قوله الا ان يشاء الله بالافعال دون ان يعلقه بالقدرة لان كلا الامرين غير مذكور
وكل هذا واضح بين بحمد الله ❧ ونعود الى ما كنا وعدنا به من الكلام على شعر مروان
فيما تختاره له قوله من قصيدة اولها

طرقتك زائرة فحي خيالها ... بيضاء تخلط بالحياء دلالها

يقول فيها

مالت بقلبك فاستقاد ومثلها ... قاد القلوب الى الصبى فامالها
وكانما طرقت بنفحة روضة ... سحت بها ديم الربيع ظلالها
باتت تسائل في المنام معرسا ... بالبيد اشعث لا يمل سؤالها
في فتية هجعوا غرارا بعدما ... سئموا مراعسة السرى ومطالها
وكان حشو ثيابهم هندية ... نحلت واغفلت القيون صقالها

اما ذكره في اول القصيدة طروق الطيف فانه لم يات فيه بمعنى غريب ولا لفظ مستعذب وقد قال
الناس في الطيف والخيال فاكثروا وقد سبقوه في ذلك فسبق البحتري الى معنى كل الناس فيه عيال
عليه وهو قوله

اني سريت وكنت غير سروب ... وتقرب الاحلام غير قريب
ما تمنعي يقظى فقد توليته ... في النوم غير مصرد محسوب
كان المنى بلقائها فلقيتها ... فلهوت من لهو امرئ مكذوب

وقد احسن جرير في قوله

انسر اذ تودعنا سليمى ... بفرع بشامة سقي البشام
بنفسي من تجنبه عزيز ... علي ومن زيارته لمام
ومن امسي واصبح لا اراه ... ويطرقني اذا هجع النيام

وهذه الابيات وان خلت من معنى في ذكر الطيف غريب فلم تخل من لفظ مستعذب مقبول ولابي عبادة
البحتري في وصف الخيال الفضل على كل متقدم ومتاخر فانه تغلغل من اوصافه واستدرك من

تجنبه صح

معانيه الى ما لا يوجد لغيره وكان مشغوفا بتكرار القول فيه لهجا بابدائه واعادته وان كان لابي تمام
في مواضع لا يجهل فضلها ومحاسن لا يبلغ شاؤها فمما لابي تمام قوله

زار الخيال لها لا بل ازاركه فكر اذا نام فكر الخلق لم ينم
ظبي تقنصته لما نصبت له في آخر الليل اشراكا من الحلم
ثم اغتدى وبنا من ذكره سقم باق وان كان معشوقا من السقم

وقوله

عادك الزور ليلة الرمل من رملة بين الحمى وبين المطالي
ثم ما زارك الخيال ولكنك بالفكر زرت طيف الخيال

وقوله

الليالي احفى بقلبي اذا ما جرحته النوى من الايام
يا لها لذة تنزهت الارواح فيها سرا من الاجسام
مجلس لم يكن لنا فيه عيب غير انا في دعوة الاحلام

فاما البحتري فقوله في هذا المعنى اكثر من ان نذكر جميعه ها هنا غير انا نشير الى نادره فمن ذلك قوله

فلا وصل الا ان يطيف خيالها بنا اخت سربال من الليل اسفع
الم بنا بعد الهدو فساعفت بوصل متى نطلبه في الجد تمنع
وما برحت حتى مضى الليل وانقضى واعجلها داعي الصباح الملمع
ولت كان البين يخلج شخصها اوان تولت من حشاي واضلعي
ودت لقاء لم يؤمل وفرقة لاسماء لم تحذر ولم تتوقع
اداني لا انفك في كل ليلة تعاود فيها المالكية مضجعي
اسر بقرب من مليم مسلم واشجى ببين من حبيب مودع

وقوله

فكائن لنا بعد النوى من تفرق تجيء احلام الكرى وتجمع
واني وان ضنت علي بقربها لارتاح منها للخيال المورق

١٦٥

166

يعز على الواشين لو يعلمونها ليال لنا نزداد فيها ونلتقي
فكم غلة للشوق اطفات حرها بطيف متى يطرق دجى الليل يطرق
اضم عليه جفن عيني تعلقا به عند اجلاء النعاس المرنق

وقوله

بلى وخيال من اثيلة كلما تاوهت من وجد تعرض يطمع
اذا زورة منه تقضت مع الكرى تنبهت من وجد له اتفزع
ترى مقلتي ما لا ترى في لقائه وتسمع اذني رجع ما ليس تسمع
ويكفيك من حق تخيل باطل ترد به نفس اللهيف فترجع

وقوله

اذا ما الكرى اهدى الي خياله شفى قربه التبريح او نقع الصدى
اذا انتزعته من يدي انتباهة عددت حبيبا راح مني او غدا
ولم ار مثلينا ولا مثل شاننا نعذب ايقاظا وننعم هجدا

وقوله

فما نلتقي الا على حلم هاجر بخيل لنا جدواك وهي حرام
اذا ما انتبهنا ذلنا النقا شرحلتنا من الجد ايقاظا ونحن نيام

وقوله

وليلة هومنا على العيس ارسلت بطيف خيال يشبه الحق باطله
فلولا بياض الصبح طال تشبثي بعطفي غزال بت وهنا اغازله

وقوله

امنك تاوب الطيف الطروب حبيب جاء يهدي من حبيب
تخطى رقبة الواشين كرها وبعد مسافة الخرق المجوب

وقوله

يكاذبني واصدقه ودادا ومن كلف مصادقة الكذوب
ما تقضى لبانة عند لبنى والمعنى بالغانيات معنى
هجرتنا يقظى وكادت على مذهبها في الصدود تهجر وسنى
بعد لاي وقد تعرض منها طائف عرجت على الركب وهنا

قال السيد قدس الله روحه ووجدت ابا القسم الحسن بن بشر الآمدي مع ميله الى
البحتري واحتياطه في شعبه واجتهاده في تأول ما اخذ عليه من خطاء وذلك يزعم ان
البحتري اخطا في قوله — هجرتنا يقظى وكادت على مذهبها في الصدود تهجر وسنى
قال لان خيالها يتمثل له في كل احوالها يقظى كانت او وسنى قال الجيد في هذا المعنى
قوله — ازدد دونك يقظانا ويأذن لي عليك سكر الكرى ان جئت وسنانا
قال والذي اوقع البحتري في هذا الغلط قول قيس بن الخطيم

ما تمنعي يقظى فقد تؤتينه في النوم غير مصرد محسوب

وكان الاجود ان يقول ما تمنعي في اليقظة فقد تؤتينه في النوم اي ما تمنعينه في يقظتي فقد تؤتينه في حال نومي حتى يكون النوم واليقظة منسوبين اليه لان خيال المحبوب يتمثل في حال نومه ويقظته جميعا قال الا انه يتسع من التاويل في هذا القيس ما لا يتسع للبحتري لان قيسا قال فقد تؤتينه في النوم ولم يقل تؤتينه نائمة وقد يجوز ان يحمل على انه اراد ما تمنعي يقظى وانا يقظان فقد تؤتينه في النوم اي في نومي ولا يسوغ مثل هذا في بيت البحتري لانه قال وسنى ولم يقل في الوسن — قال قدس الله روحه وقد يمكن من التاويل للبحتري ما امكن مثله لقيس لكن الآمدي ذهب عن ذلك لان البحتري لما قال وسنى دل على حال الوسن والحال المعهودة للوسن حال يشترك الناس فيها في النوم بالعادة كما ان الحال المعهودة لليقظة حال مشتركة بالعادة فقوله وسنى ينبئ عن كونه هو ايضا نائما وانما اراد المقابلة في ذكر اللفظتين يقظى ووسنى وقوله يقظى متى لم يحمل ايضا على هذا المعنى لم يصح لانه لابد ان يريد بذلك هجرتنا في احوال اليقظة ويكون معنى يقظى يتعدى اليه الا ترى ان الآمدي حمل قول قيس ابن الخطيم يقظى على معنى وانا يقظان وان لم يبين الوجه فيه فكيف ذهب عليه مثل ذلك في قول البحتري وقوله وسنى ويقظى مثل قول قيس يقظى ولو مكن قيسا وزن الشعر من ان يقول

(margin: للوسن)

وسنى في مقابلة يقظى لعله ما عدل عنه الى النوم لانه لم يكن عليه في وسنى الا ما عليه في يقظى وما ينافي قول له في احد الامرين ينافي قول له في الآخر — قال قدس الله روحه ولي في الخيال ظريفة معنى ما علمت انه سبق اليه من جملة قصيدة

وزور يخطى جنوب الملا فنادت اهلا بذا الزائر
اتاني هدوا وعين الرقيب مطروفة بالكرى الغامر
فاعجب به يسعف الهاجرين ويحنو مقلة الساهر
وعهدي بنومه عين المحب بائم على قلبه الطائر
فلما التقينا برغم الرقيب فادموه قلبي على ناظري

(margin: برغم)

ومعنى البيت الاخير ان الاحلام انما هي اعتقادات تحصل في القلب لا حقيقة لاكثرها لان الانسان يعتقد انه راى على الحقيقة ومدرك ما ليس يدركه على الحقيقة فالقلب يتخيل في النوم للعين ما لا حقيقة له كما ان العين تخيل في كثير من الاحوال في القلب ما لا حقيقة له
فاما قول مروان — فكانما طرقت بنفحة روضة — البيتين
فيشبه ان يكون ماخوذا من قول بشر بن [illegible]

طرقت اسماء الرحال ودونها تنب من ليل التمام الاسود
ومفاوز وصل الفلا فجنوبها بجنوب اخرى غير ان لم تعقد
رمل اذا ابتدى الركاب فطعنه قرعت مناسمها بقف قردد
وكان ريح لطيمة هندية وذكي جادي بنضيح مجسد
وترى خزامى الجو حو سويقة طرف الخيال به بعيد المرقد

اذن من قول الآخر

طرقتك زينب والمزار بعيد بمنى ونحن معرسون هجود
فكانما طرقت بريا روضة انف بسجسج من نهار نجود

(margin: الجو اسم بلد وهو اليمامة)

وهذا المعنى كثير في الشعر المتقدم والمتاخر جدا فاما قوله

كانت تسائل في المنام معرسا ... البيت والبيتان اللذان بعده فقد قال الناس في وصف قلة
النوم ومواصلة السرى والادلاج وشعث الشاذبين فاكثروا وافتنوا واحسن ما قيل في ذلك قول لبيد

ومجود من صبابات الكرى ... عاطف النمرق صدق المبتذل
قال هجدنا فقد طال السرى ... وقدرنا ان خنا الدهر غفل
فلما عرس حتى هجته ... بالتباشير من الصبح الاول
يلمس الاحلاس في منزله ... بيديه كاليهودي المصل
يتمارى في الذي قلت له ... ولقد يسمع قولي حيهل

ومن ذلك قول ذي الرمة

وليل كاثناء الروزي جبته ... باربعة والشخص في العين واحد

والروزي هو الطيلسان وقد ذكر ايضا كجلباب العروس ادرعته ∴ وكل ذلك وصف له
بالسواد لان الطيلسان اسود وجلباب العروس اخضر والعرب تجمع بين الخضرة والسواد

احم علافي وابيض صارم ... واعيس مهري واشعث ماجد
اخو شقة جاب الفلاة بنفسه ... على الهول حتى لوحته المطارد
واشعث مثل السيف قد لاح جسمه ... وجيف المهاري والهموم الاباعد
سقاه الكرى كاس النعاس فراسه ... لدين الكرى من آخر الليل ساجد
اقمت له صدر المطي فما درى ... اجائرة اعناقها ام قواصد
ترى الناشئ الغربيب يضحي كانه ... على الرحل مما منه السير عاصد

ومن ذلك قول ابي حية النميري

واغيد من طول السرى برحت به ... اخا ابن نهاض على الاين مرجم
سريت به حتى اذا ما تمزقت ... توالي الدجى عن واضح اللون معلم
اناخ فلما ان جرت في دماغه ... وعينيه كاس النوم قلت له قم

فما قام الا بين ايدي تعبهم ... كما عطفت ريح الصبا خوط سمسم
خطا الكرى مغلوبا كان لسانه ... لما دب من رجع لسان المبرسم
وود بوسطى الخمس منه لو اننا ... رحلنا وقلنا في المناخ له نم

مجلس آخر ٩٣ تاويل آية

ان سال سائل عن قوله تعالى اولئك لم يكونوا معجزين في الارض وما كان لهم من دون الله من اولياء يضاعف لهم العذاب ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون فقال اي معنى لاختصاص الارض بالذكر وهم لا يفوتون الله ولا يعجزونه ولا يخرجون عن قبضته على كل حال وفي كل مكان ولم نفى الاولياء عنهم وقد نجد اهل الكفر يتولى بعضهم بعضا وينصرونهم ويحمونهم من المكاره وكيف نفى استطاعتهم للسمع والابصار واكثرهم كان يسمع باذنه ويرى بعينه الجواب قلنا اما الوجه في اختصاص الارض بالذكر فلان عادة العرب جارية بقولهم للمتوعد لا مهرب لك مني ولا وزر ولا نفق والوزر الجبل والنفق السرب وكل ذلك مما يلجا اليه الخائف المطلوب فكانه تعالى نفى ان يكون لهؤلاء الكفار عاصم منه ومانع من عذابه وان جبال الارض وسهولها لا تحجز بينهم وبين ما يريد ايقاعه بهم كما انها تحجز عن كثير من افعال البشر ولان معاقل الارض هي التي يهرب اليها البشر من المكاره ويلجاون الى الاعتصام بها عند المخاوف فاذا نفى تعالى ان يكون لهم في الارض معقل فقد نفى المعقل من كل وجه واما قوله تعالى وما كان لهم من دون الله من اولياء فمعناه انه لا ولي لهم ولا ناصر من عذاب الله تعالى وعقابه لهم في الآخرة ولا مما يريد ايضا ايقاعه بهم في الدنيا وان كان لهم من يحميهم من مكروه البشر وينصرهم ممن ارادهم بسوء منهم وقد يجوز ان يكون ذلك ايضا بمعنى الامر وان كان مخرجه مخرج الخبر ويكون التقدير وليس لهم ان يتخذوا اولياء من دون الله بل الواجب ان يرجعوا اليه في معونتهم ونصرهم ولا يعولوا على غيره • فاما قوله عز وجل ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون ففيه وجوه احدها ان يكون المعنى يضاعف لهم العذاب بما كانوا يستطيعون السمع فلا يسمعون وبما كانوا يستطيعون الابصار فلا يبصرون عنادا

للحق وذهابا عن سبيله فاسقطنا الباء من الكلام وذلك جائز كما جاز في قولهم لاجزينك بما عملت و
لاجزينك ما عملت ولاحدثنك بما عملت ولاحدثنك ما عملت وكما قال الشاعر

نغالي اللحم للاضياف نيا ونبذله اذا نضج القدور

واراد نغالي باللحم والوجه الثاني انهم لاستثقالهم استماع آيات الله تعالى وكراهيتهم
تذكرها وتفهمها جروا مجرى من لا يستطيع السمع كما يقول القائل ما يستطيع فلان ان ينظر الى فلان
وما يقدر على ان يكلمه ويقول لمن عهدنا منه العناد والاستثقال لاستماع الحجج
والبينات ما تستطيع ان تسمع الحق وما تطيق ان تذكر لك وكما قال الاعشى

ودع هريرة ان الركب مرتحل وهل تطيق وداعا ايها الرجل

ونحن نعلم انه قادر على الوداع وانما نفى قدرته عليه من حيث الكراهة والاستثقال ومعنى وما كانوا
يبصرون اي ان ابصارهم لم يكن نافعا لهم ولا مجديا عليهم مع الاعراض عن تامل آيات الله تعالى وتدبرها
فلما انتفت عنهم منفعة الابصار جاز ان ينفي عنهم الابصار نفسه كما يقال للمعرض عن الحق
العادل عن تامله ما لك لا تبصر ولا تسمع ولا تعقل وما اشبه ذلك والوجه الثالث ان يكون
معنى نفي السمع والبصر راجعا الى آلهتهم لا اليهم وتقدير الكلام اولئك وآلهتهم لم يكونوا معجزين
في الارض يضاعف لهم العذاب ثم قال مخبرا عن الآلهة ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون
وهذا الوجه يروى عن ابن عباس رحمه الله وفيه ادنى بعد ويمكن في الآية وجه رابع وهو ان
يكون ما في قوله ما كانوا يستطيعون السمع ليست للنفي بل تجري مجرى قولهم لاواصلنك ما لاح نجم
ولا قيمن على مودتك ما طلعت شمس ويكون المعنى ان العذاب يضاعف لهم في الآخرة ما كانوا يستطيعون
السمع وما كانوا يبصرون اي انهم معذبون ما كانوا احياء فان قيل كيف يعبر عن كونهم احياء
باستطاعة السمع والابصار وقد يكون حيا من لا يكون كذلك قلنا للعرب في مثل هذا عادة
لانهم يقولون والله لا كلمت فلانا ما نظرت عيني ومشت قدمي وهم يريدون ما بقيت وحييت لان

ونذرتها [illegible]

الكراهية

والله

الاغلب في احوال الحي ان ينظر بعينه ويمشي بقدمه فجعلوا الاغلب كالواجب ومن ذلك قول
الشاعر

وما انس من شيء تقادم عهده فلست بناس ما هدت قدمي نعلي
عشية قالت والدموع بعينها هنيئا لقلب عنك لم يسله مسلي

وانما اراد انني لا انسى ذلك ما حييت وكذلك لا يمتنع ان يعلق على هذا المذهب دوام العذاب
بكونهم مستطيعين للسمع وللابصار ويعود المعنى الى تعلقه ببقائهم وكونهم احياء والمرجع
في ذلك الى التابيد لانه اذا علق العذاب ببقائهم واحيائهم وعلمنا ان الآخرة لا موت فيها ولا
خروج عن الحياة علمنا تابيد الحياة ونعود على ما كنا شرعنا فيه من الكلام على شعر
مروان فمما نختاره له قوله من القصيدة التي مضى اولها وتكلمنا عليها

وضعن الخدود لدى سوامهم جنح فشكوا الكلوم صفاحها وكلالها
طلبت امير المومنين فواصلت بعد السرى بغدوها آصالها
نزعت اليك صوادبا فتقاذفت تطوي الفلاة حزونها ورمالها
يتبعن ناجية يهز مراحها بعد التنحل تمليلها وقذالها
هوجاء تدرع الربى وتشقها شق الشموس اذا تراع جلالها
تنجو اذا ذبع القطيع كانها خرجاء بادرت الظلام رئالها
كالقوس ساهمة اتتك وقد ترى كالبرج تملا رحلها وجبالها

هذه الابيات في وصف الرواحل بالسرعة والتنحل جيدة الالفاظ مطردة النسج وقد سبق
الناس في هذا المعنى الى ضروب من الاحسان فمن ذلك قول الاخطل

بخوص كاعطال القسي تقلقلت اجنتها من شقة ودؤوب
اذا معجل غادرنه عند منزل اتيح لجواب الفلاة كسوب
المعجل الملقي من الاجنة لغير تمام وجواب الفلاة الذيب

كونهم احياء

[illegible]

[illegible]

[illegible]

وهن بنا عوج كان عيونها بقايا قلايب . . . قلص لنضوب

مسانيف يطويها مع القيظ والسرى تكاليف طلاع النجاد ركوب

فهن يرى الاضوا فيه كانها رجال قيام عصبوا بسبوب

يعمن بنا عوم السفين اذا انجلت سحابة وضاح السراب جنوب

وقال مسلم بن الوليد الانصاري

الى الامام تهادانا باذ رعها خلوق من النيج في اشباه ظلمان

كان اقلا تهاوى الفجر ياخذها افلات صاد لها عن قوس حسبان

واذا المطى سبحن في اعطافه فات المطى بكاهل وتليل

فكانه والناعجات يردنه قدح تطلع من قداح مجيل

وقال بشار

والبعض

النظاير

تهس الهجار والظهائر لحمها حتى تخدد لحمها المتضابر

حرف تناهبها النجاء قلائص متمات تنجل شدقم او ذا اعوج ا(و) خلان منجان

صبر اذا اعطفتهن الفيافي التي يمعن لهن كنائس وحراجر

وتحلن من عز النفوس وجدها حنا ومن اذا اختبرن اباعر

اما اذا اما اقبلت فكانها دعص تهادى بها الفلاة نوافر

اما اذا اما اعرضت فكانها كدر تورد النطاف صوادر

اما اذا اما ادبرت فكانها صرح مشيدة ومن ضوامر

العذري

قال قدس الله روحه واني لاستحسن قول يشامة بن الغدير في وصف الناقة بالسرعة

كان يديها اذا ارقلت وقد جرن ثم اهتدين السبيلا

يدا سابح خر في غمرة وقد شارف الموت الا قليلا

اذا اقبلت قلت مشحونة اطاعتها الريح فلعا جفولا

وان ادبرت قلت مذعونة من الروم تتبع هيقا ذمولا

ومعنى قوله وقد جرن ثم اهتدين السبيلا يعني المطايا يقول لكن نشيطات يمرحن ويجنبون ولا يلزمن لقم الطريق بل ياخذن يمينا وشمالا فلما اعضهن الكلال استقمن على المحجة فكانه وصف ناقته ببقاء النشاط مع كلال المطي وكنى عن الكلال بلزوم جادة الطريق بعد تنكبها وهذه كناية فصيحة مليحة ومثله قول الاخر

كان يديها حين جد نجاؤها يدا سابح في غمرة يتذرع

ومما يشاكل هذا المعنى ويقاربه قول الشماخ

كان ذراعيها ذراعا مدلة بعيد السباب حاولت ان تعذرا

مجدة الاعراق قال لها من ضرة عليها كلاما جار فيه واهجرا

شبه ذراعيها ومتى تتذرع في سيرها بذراعي امراة مدلة على اهلها ببراءة ساحتها وقد حكى عنها ابن ضرتها كلاما اهجر فيه اي افحش فهي ترفع يديها وتضعها تعتذر وتحلف وتنضح عن نفسها وقد قيل ان معنى مدلة انها تدل بحسن ذراعيها فهي تخرجهما لتري حسنهما وقوله بعيد السباب اي في عقيب المسابة فامت تعتذر الى الناس وقوم يروونه بعيد الشباب ومعنى هذه الرواية انها نصف من النساء فهي اقوم بحجتها من الحدثة الغرة وبينهما لهذه الرواية الاخيرة قول الاخر

كان يديها حين يفلق ضفرها يدا نصف غيرى تعذر من جرم

وقوله حين يفلق ضفرها فيه سر وفائدة لان الضفر من الانساع وانما يفلق اذا اجهدها السير نضمرت فكانه وصفها بالتذرع والنشاط مع الجهد والكلال ومثله

كان ذراعيها ذراعا بذية مفجعة لاقت ضرائرها عن عفو

سمعن لها واستعجلت بكلامها فلا شئ يفري باليدين كما تفري

ويقاربه قول الاخر

الا هل تبلغنيهم على اللاواء والظنة

دَأْبُهُ الحصى المعزاء فى اخفافها نَهُ ... اذا ما عسفت فلت حماة فاضحت كنّه

ومن شبّه سرعة ايدى الابل بايدى النوائح كعب بن زهير فقال

كان اوب ذراعيها اذا عسفت ... وقد تلفّع بالقوز العساقيلُ

وقال للقوم حاديهم وقد جعلت ... ورق الجنادب يركضن الحصى قيلوا

شدّ النهار ذراعا عيطل نصف ... قامت فجاوبها نكد مثاكيل

نوّاحة رخوة الضبعين ليس لها ... لمّا نعى بكرها الناعون معقول

العساقيل اوائل السراب ولا واحد لها من لفظها واخبر ان ناقته فى شدّة الحرّ وانقاد الظهيرة تمرح فى سيرها وتشد رجع يديها فتشبه ذراعيها بذراعى امراة نصف تنوح على ابنها وقد نعى اليها فهى تشير بيديها وتوالى تحريكهما والعيطل الطويلة العنق وجعلها نصفا لانها قد كادت تياس من الولد فهو اشدّ لحزنها على ابنها وتفجّعها عليه والقوز جمع قارة وهى ما ارتفع واستدار من الرمل واراد ان يقول كما تلفّعت القوز بالعساقيل فلم يمكنه فقلب و مثله

وكانما قفت يرى نواحه شمطاء قامت غير ذات خمار

وانما خصّ الشمطاء لما ذكرناه من الياس من الولد كما قال عمرو بن كلثوم

ولا شمطاء لم يترك شقاها ... لها من تسعة الّا جنينا

وقد قيل فى بيت عمرو بل شبّه الناقة بشمطاء لما علا راسها من اللغام ومثل ما تقدم من المعانى قول الشاعر

يا ليت شعرى والمنى لا تنفع ... هل اغدون يوما وامرى مجمع

وتحت رحلى زفيان ميلع ... كانّه نائحة تفجّع

تبكى لميّت وسواها الموجع

الزفيان الناقة الخفيفة والميلع السريعة وشبه رجع يديها فى السير لنشاطها بيدى نائحة تنوح لقوم على ميتهم باجزع فهى تسرف الاشارة بيديها الى مكانها ومثله بعينه قول ذى الرمّة

يماشين نضحى وتمشى عوج كانها ... بجوز الفلا مستاجرات نوائح

المجابين اللواتى ضمرن بعد سمن وخصّ المستاجرات من النوائح للمعنى الذى ذكرناه و قال الشماخ فيما يقارب هذا المعنى من وصف الشرعة

كان اوب يديها حين اعجلها ... اوب المراح وقد نادوا ابن جالِ

مقط الكرين على مكنوسة زلق ... فى ظهر جنانة النيرين مغوالِ

معنى اوب ذراعيها اى رجعهما واوب المراح اذا اراح القوم عازب ابلهم ليرحلوا او فقد روى اوب المراح بالكسر ومعناه رجع المراح والنشاط والمقط اللعب بالكرة والكرين جمع كرة والمكنوسة الارض البواح التى لا شى فيها والزلق المستوية من الارض والجنانة الريح والنير ان جانبا هذه الارض ومعنى قيل انه من صفات الريح وقيل من صفات الارض فان كان للريح فمعناه ان الريح تغول الارض باسرها اى تملوها وتخليص معنى البيت انه شبه يدى ناقته بيدى ضارب بكرة فى الارض الواسعة فى يوم عاصف وهذا من دقيق المعانى وحسن التشبيه والمبالغة ومثل بيتى الشماخ قول المسيّب بن علس

مرحت يداها للنجاء كانما ... تكرو بكفّى مافط فى قاع

فعل السريعة بادرت جدّادها ... قبل المساء تهمّ بالاسراع

معنى تكرو اى كانها لاعب بكرة والسريعة يعنى نساجة والجدّاد الغزل الضعيف فاراد انها تسرع الضرب بالحف والنسج قبل المساء وما دامت تبصر فشبه يدى ناقته فى تدرّعها بيدى هذه الناسجة وقال الاصمعى الجدّاد هدب الثوب فيعنى ان هذه الناسجة قد قاربت الفراغ من الثوب وبلغت الى هدبه فهى تبادر لتفرغ منه قبل المساء وفى بيت منه قول الآخر

كان ايديهن بالقاع القرق ... ايدى جوار يتعاطين الورق

فالقرق الخشن الذى فيه الحصى وشبه خذف مناسمها له بخذف جوار بلعبن براهم د

خصّ الجوادي لانهن اخفّ بدنا من النساء وقال آخرون الغريف ها هنا المستوي من الارض الواسع وانما خصّ بالوصف لان ايدي الابل اذا اسرعت في المستوي فهو احمد لها ومن احسن ما قيل في الاسراع قول المرار بن سعيد

فسناد لو اشعب الرحال فقلّصت سود البطون كفضلة المتشمس

ذكر قوما سفروا فهبّوا من رقدتهم الى رحالهم ليسيروا ويعني بسود البطون الابل والمتشمس الصائد الذي قد اتخذ ناموسا وهو ما يستتر به ليختل الصيد فشبه المطايا في سرعتها بقطا فرصاد الصائد بعضها وافلت بعضها فهي تطير نطيرا اشد شيء ومثل هذا وان كان في وصف الخيل قول النابغة

كالطير تنجو من الشؤبوب ذي البرد

فاما قول مروان فقد مضى من وصف المطايا بالنشاط بعد السآمة والجهد ما مضى واحسن من قول مروان واشد افصاحا بالمعنى واعرابا عنه قول الهذلي

ومن سيرها العنق المسبطر والعجرفية بعد الكلال

وانما كان هذا احسن لانه صرّح بنشاطها بعد كلالها وقول مروان بعد النحول لا يجري هذا المجرى لان النحول قد يكون عن جهد السير والتعب ويكون عن غيره فاما قوله كالقوس ساهمة اتتك فقد اكثرت العرب في وصف المطايا بالنحول وتشبيهها بالقسي وغيرها وقد احسن كثير في قوله

نفى السير عنها كل داء اقامة فهن رذايا بالطريق ترائك

وحملت الحاجات خوصا كأنها وقد ضمرت صفر القسي العواتك

وقال سلم بن عمرو الخاسر

وكأنهن من الكلال اهلة او مثلهن عطائف الاقواس

فوذطوها ما طوين من مهمه نائي الصوى ومناهج ادراس

وقال ابو تمام يصف ناقة

اتينا القادسية ومثنوا الى بعثر شيطان رجيم

يهتز مراحا بعد النحول لمليلة وقذالها

العجرفية قلة مبالاة بالسير من سرعة جهدهم

السفر صح

وحملت صح

فما بلغت بنا عسفان حتى رنت بلحاظ لقمان الحكيم

وبدّلها السرى بالجهل حلما وقدّ اديمها قدّ الاديم

اذاب سنامها قطع الفيافي ومن جلدها نضح العصيم

وقال البحتري

بدت كالبدر وافى ليل سعد وآبت مثل عرجون قديم

وخدان القلاص حولا اذا قابلن حولا من انجم الاسحار

يترقرقن كالسراب وقد خضن غمارا من السراب الجاري

وله ايضا

كالقسي المعطفات بل الاسهم مبرية بل الاوتار

ومنى العيس دهرها في ارتحال من حلول او فرقة من جميع

زبد من تحت تجاذب قطريه سرابا كالمنهل المشروع

وسرى ينجيه بالوخد حتى تصدع الليل عن بياض الصديع

كالبرى في البرى فتحسبهن احيانا نسوعا مجدولة في نسوع

بلغ

مجلس آخر مما تأويل آية

ان سأل سائل عن قوله تعالى ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي الآية فقال كيف اضاف الى نفسه اليد وهو ممن يتعالى عن الجوارح الجواب قلنا في هذه الآية وجوه اولها ان يكون قوله لما خلقت بيدي جاريا مجرى قوله تعالى لما خلقت انا وذلك مشهور في لغة العرب يقول احدهم هذا ما كسبت يداك وما جرت عليك يداك واذا ارادوا نفي الفعل عن الفاعل استعملوا فيه هذا الضرب من الكلام فيقولون فلان لا تمشي قدمه ولا ينطق لسانه ولا تكتب يده وكذلك في الاثبات ولا يكون للفعل رجوع الى الجوارح في الحقيقة بل الفائدة فيه النفي عن الفاعل وثانيها ان يكون معنى اليد ها هنا النعمة ولا اشكال في ان احد محتملات لفظ اليد النعمة فاما الوجه

في تثنيتها فقد قيل فيه ان المراد به نعمة الدنيا ونعمة الآخرة فكانه تعالى قال ما منعك
ان تسجد لما خلقت لنعمتيّ واراد بالباء اللام   وثالثها ان يكون معنى اليد هاهنا
القدرة وذلك ايضا من محتملات اللفظة بقول القايل ما لي بهذا الامر يد ولا يدان وما جرى
مجرى ذلك المعنى انني لا اقدر عليه ولا اطيقه وليس المراد بذلك اثبات قدرتين على الحقيقة بل
اثبات كون القادر قادرا او نفي كونه قادرا فكانه تعالى قال ما منعك ان تسجد لما خلقت وانا
قادر على خلقه فعبّر عن كونه قادرا بلفظ اليد الذي هو عبارة عن القدرة وكل ذلك واضح
في تاويل الآية ❀ ونعود الى ما كنا ابتدأناه من الكلام على شعر مروان في قصيدته التي
تقدم بعضها ووقع الكلام عليها قوله

احيا امير المومنين محمد سنن النبي حرامها وحلالها
ملك تفرع نبعة من هاشم مدّ الاله على الانام ظلالها
جبل لامته تلوذ بركنه رادي جبال عدوها فازالها
لم تغشها مما تخاف عظيمة الا اجال لها الامور مجالها
حتى يفرجها اغر مبارك الفى اباه مفرجا امثالها
ثبتت على زلل الحوادث راكب من صرفهن لكل حال حالها
كلتا يديك جعلت فضل نوالها للمسلمين وفي العدو وبالها
وقعت مواقعها بعفوك انفس اذهبت بعد مخافة اوجالها
آمنت بغير معاقب طرادها وفككت من اسرائها اغلالها
ونصبت نفسك خير نفس دونها وجعلت مالك واقيا اموالها

اما قوله احيا امير المومنين محمد سنن النبي حرامها وحلالها   فقد عابه عليه بعض من لا معرفة

[Margin: راذي فاعل من الرداة وهي حجر تكسر بها الحجارة تستعمل هذه الكلمة في المنازعة]
[Margin: خ للعدو]
[Margin: كخط عبد السلام بن الحسن البصري رحمه الله صيّالها]

١٧٢

173

عنده بنقد الشعر فقال كيف يكون في سنن النبي حرام وما ذلك بمعيب لانه اراد بقوله
حرامها وحلالها التحريم والتحليل من سنته صلى الله عليه وآله تحريم الحرام وتحليل الحلال
وانما المعيب من هذا المعنى قول ابن الرقاع العاملي

ولقد اراد الله اذ ولاكها من امة اصلاحها ورشادها   ومثل قول مروان قول سلم الخاسر
ولما وليت ذكرت النبي بتحليله وبتحريمه   فاما قوله حتى يفرجها اغر مبارك

البيت فكثير جدا للمتقدمين والمحدثين والاصل فيه قول زهير

وما كان من خير اتوه فانما توارثه آباء آبائهم قبل
وهل ينبت الخطي الا وشيجه وتغرس الا في منابتها النخل   ومثله للآخر
وحمزة والعباس منهم ومنهم عقيل وماء العود من حيث يعصر   ومثله للربيع بن ابي الحقيق
اذا مات منا سيد قام بعده له خلف يكفي السيادة بارع
من ابنائه والعرق ينصر فرعه على اصله والعرق للعرق نازع   ومثله له
ترجو الغلام وقد اعياك والده وفي ارومته ما ينبت العود

واخذ هذا المعنى وبعض اللفظ الكميت فقال

تجري اصاغرهم مجرى اكابرهم وفي ارومته ما ينبت الشجر

ومن هذا المعنى قول عبيد الله بن قيس الرقيات

تخلفك البيض من بنيك كما يخلف عود النضار في شعبه   ومثله قول نهشل
حرّي اري كل عود نابتا في ارومة ابي نبت العيدان ان يتغيرا
بنو الصالحين الصالحون ومن يكن لآباء صدق يلقهم حيث سيّرا   ومثله لمسلم بن الوليد
الانصاري لح على الايام يقتري خطوها على منهج الفى اباه به قبل

[Margin: [illegible]]
[Margin: في نسخة عبيد الله]
[Margin: [illegible]]

وللبشار على اعرافها تجرى الجياد ومثله
وما في يمين حينها وشمالها سجية اباءي وفعل جدودي
وللبحتري هم القوم فرعي منهم متفرع وعودهم عند الحوادث عودي
واذا ابو الفضل استعاد سجية للمكرمات فمن ابي يعقوب
شرف تتابع كابرا عن كابر كالرمح انبوبا على انبوب
وله ايضا وارى النجابة لا يكون تمامها لنجيب قوم ليس بابن نجيب
وله ايضا ما سعوا للخلفون غير ابيهم كل شاع منابر بنصابه
وفي هذه القصيدة يقول مروان وما تابع في المجد نهج عدوه كمتبع في المجد نهج ابيه
هل تعلمون خليفة من قبله اجرى لغاية التي اجرى لها
منصلتا — يعني دروب الروم — طلع الدروب مشمرا عن ساقه بالخيل منصلتا بجد نعالها
قود اذا ربع الى اعز لوجهه نودي بفتح امامها وخلالها
فهربن حاملة عليه فلصت ولقد تحفظ فيتها فاطالها
حتى اذا وردت اوائل خيله جيحان بيت على العدو رعالها
احمى بلاد المسلمين عليهم واباح سهل بلادهم وجبالها
الخفت ضمرت — اذ منذ دوابر خيله وشكيمها غارا تهن والخفت اطالها
الآل الشخص — لم يبق بعد مقادها وطرادها الاكحاسن هادواء الا آلها
رفع الخليفة ناظري ورانشي بيد مباركة شكرت نوالها
وحسدت حتى قيل اصبح باغيا في المشي منه وشيمة مختالها
اما قوله فهربن حاملة فالاصل فيه ولقد حذوت النعل اطاع ومن عصى نعلا وزنت على النبي مثالها
يعني انه اقتدى بالنبي عليه السلام في افعاله حذو النعل بالنعل

قول عنترة بطل كان ثيابه في سرحة يحذى نعال السبت ليس بتوأم
ادفول الاعشى الى ماجد كهلال السماء ازكى وفاء ومجدا وخيرا
ومثله طويل النجاد رفيع العماد يحمي المضاف ويغني الفقيرا
طويل نجاد السيف عار جبينه كنصل اليماني اخلصته صياقله
ومثله قول طريح اذا هم بالمعروف لم يخش طيرة نحوسا ولم يسبق نداه عواذله
اسمعيل الثقفي — طوال — واشعث طلاع الثنايا مبارك يغول نجاد السيف وهو طويل
ولابي الجويرية العبدي يمد نجاد السيف حتى كانه باعلى سنامي فالج يتطوح
اذا اهتز في البرد اليماني خلته هلالا بدا في جانب الافق يلمح
ولابي عطاء السندي واذهر من بني عمرو بن عمرو حمائله وان طالت قصار
ولبعضهم في آل المهلب نأتكم اعز الناس جارا وامنعهم اذا عدوا ذمارا
وللبعض حمائلكم وان كانت طوالا نراها عن شمائلكم قصارا
جمع شمال
بنى العنبر في معنى الطول فجاءت به عبل العظام كانما عمامته بين الرجال لواء
وللآخر اشم طويل الساعدين كانما يناط الى جذع طويل حمائله
ولابن هرمة — الآلف الضخم الثقيل — يناط حمائل الهندي منه بعاتق لا الف ولا ضئيل
ولكن يستقل به فواه على ماض نقائبه نبيل
وللسلم الخاسر يقوم مع الرمح الرديني قامة ويقصر عنه طول كل نجاد
وللخثعمي يوازي الرديني مد طوله ويقصر عنه نجاد الحسام
وللوالبي طوال وطوال فترى كفه تسهل بالطول انهلال الغمام
وطوله يغتال يوم الوغى وغيره فضل نجاد الحسام

فاما قوله — ولقد حذوت لمن اطاع ومن عصى نعلاً وزنت عن النبي مثالها

فقد ردد مروان معناه في مواضع من شعره فقال

شبيه اخيه منظراً او خليقة كما حذيت يوماً على اختها النعل — وقال في موضع

آخر — احيا لنا سنن النبي سميه قد الشراك به فرنت شراكا — وقال ايضاً

صحيح الضمير سره مثل جهره قياس الشراك بالشراك تقابله — وقال ايضاً

تشابهتما حلماً وعدلاً ونائلاً وحزماً اذا امر اقام واقعدا

تشابهتما نفسين هذي كهذه على اصل عرق كان اكرم متلدا

كما قاس نعلاً حضرمي فقدها على اختها لم يال ان يتحوذا — واخذ هذا المعنى

ابو نواس فقال — تنازع الاحمدان الشبه فاشتبها خلقاً وخلقاً كما قد الشراكان

والاصل في هذا المعنى قول ابن ابي ربيعة

فلما توافقنا عرفت الذي بها كمثل الذي بي حذوك النعل بالنعل

ومثله للسيد بن محمد الحميري

يتلون اخلاق النبي وفعله كالنعل تشبه في المثال طرائقه

وقد تقدم الى هذا المعنى زيد بن المكسر بن ثعلبة بن سيار العجلي بقوله في يوم ذي قار يحرض قومه

على القتال — من فر منكم فر عن حريمه — وجاره وفر عن نديمه

انا ابن سيار على شكيمه — مثل الشراك قد من اديمه — وكلهم يجري على قديمه

فاما قوله — وحيدت حتى قيل اصبح باغياً — البيت فمعناه قول البحتري

الانت لي الايام من بعد قسوة وعاتبني دهري المسيء فاعتبا

والبستني النعمى التي غيرت اخي علي فامسى نازح الود اجنبا

ومما يختار لمروان قوله — موفق لسبيل الرشد متبع بزينه كل ما ياتي ويجتنب

تسمو العيون اليه كلما انفرجت للناس عن وجهه الابواب والحجب

له خلائق بيض لا يغيرها صرف الزمان كما لا يصدأ الذهب

ووجدت بعض من ينتقد الشعر يقول ليس في شعر مروان بيت يتمثل به غير هذا البيت من الثلثة

الابيات وكان ابن مناذر راثاه اذا ذاك بقوله وقد سئل وهو مجاور بمكة عمن بعد اذ من الشعراء

فقيل له العباس بن الاحنف فقال انشدوني له فانشدوه

لو كنت عاتبة لسكن عبرتي املي رضاك وزرت غير مراقب

لكن مللت فلم تكن لي حيلة صد الملول خلاف صد العاتب

فقال ابن مناذر اخلق بمن ادام تحت الثياب ان يصيب غرة قال فقد بين ابن المعتز وجه ذلك

شك في قلة الامثال في شعر مروان ولكن ليس الى هذا الحد وهذا المعنى الذي تضمنه البيت قد

سبق اليه قال طريح بن اسمعيل ايضاً

جواد اذا جئته راجياً كفاك السؤال وان عدت عادا

خلائقه كسبيك النضار لا يحمل الترب فيها فسادا

ومثله للخريمي — وانك يا زيد زين الندى وزين الفخار وزين الكرم

تزيد على نائبات الخطوب عزاً وفي سابغات النعم

كذا الجمر والذهب المعدني يجود هذا وذاك القدم

وفي قوله الذهب المعدني فائدة لانه اذا خلص الذهب وصفا لم يفسد واذا امتزج بغيره

لم يكن هذا حكمه ومثله للاموي — بادي الخلوص بصدره طبع كان جبينه من جوهر الذهب

ولبعضهم — ملك له خلق خليق بالعلى كسبيكة الذهب التي لا تكلف

الحبر الزين

وقد أخذ البحتري هذا المعنى في قوله:

التحذيف التهيئة والصنعة

فلا تعن بالتحذيف تكلفه لصورة حسنها الأصلي يكفيها
إن الدنانير لا تجلى وإن عتقت ولا يزاد على النقش الذي فيها

وبخطه:

صديق لي له أدب صداقة مثله حسب
رعى لي فوق ما يرعى وأوجب فوق ما يجب
ولو نقدت خلائقه لبهرج عندها الذهب

مجلس آخر

تأويل آية

بحمد الله المحمود

إن سأل سائل عن قوله تعالى: نحن أعلم بما يستمعون به إذ يستمعون إليك وإذ هم نجوى إذ يقول الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا، فقال: لم وحد نجوى وهو خبر عن جمع، وما معنى مسحور، وما جرت عادة المشركين من العرب بوصف رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك، بل عادتهم جارية بقرفه بأنه ساحر.

الجواب: قلنا أما قوله تعالى وإذ هم نجوى فإن النجوى مصدر يوصف به الاثنان والجمع والمذكر والمؤنث وهو موحد على لفظه ويجري ذلك مجرى قولهم الرجال صوم والمنازل حمد يعني بصوم صائمين وبحمد محمودة. وقد قال قوم إن معناه وإذ هم أصحاب نجوى فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه، ويقال القوم نجي والقوم أنجية، فمن وحد بنى على مذهب المصدر ومن جمع جعله منقولا عن المصادر وملحقا بعنيف وأرغفة وما أشبه ذلك، وقد قال الشاعر في التوحيد:

أتاني نجيي بعد هدء ورقدة ولم يك فيما قد بلوت بكاذب

صح نجيتي

وأنشد الفراء في الجمع:

ظلت نساؤهم والقوم أنجية يعدى عليها كما يعدى على الغنم

فأما قوله تعالى إن تتبعون إلا رجلا مسحورا ففيه وجوه أولها أن يكون المراد إن تتبعون إلا رجلا متغير العقل لأن المشركين كان من مذهبهم عيب النبي صلى الله عليه وآله وتضعيف أمره وتوهين رأيه فكانوا في وقت ينسبونه إلى أنه ساحر وفي آخر يرمونه بالجنون وأنه مسحور

متغير العقل وربما قذفوه بأنه شاعر حوشي من ذلك كله، وقد جرت عادة الناس بأن يصفوا من يضيفونه إلى البله والغفلة وقلة التحصيل بأنه مسحور. وثانيها أن يريد بالمسحور المخدوع المعلل لأن ذلك أحد ما تستعمل فيه هذه اللفظة، قال امرؤ القيس:

أرانا موضعين لحتم غيب ونسحر بالطعام وبالشراب

وقال أمية بن أبي الصلت:

فإن تسألينا فيم نحن فإننا عصافير من هذا الأنام المسحر

وثالثها أن السحر في لغة العرب الرئة وما تعلق بها، وفيه ثلاث لغات سحر وسحر وسحر، وقيل السحر ما لصق بالحلقوم والمريء من أعلى الجوف، وقيل إنه الكبد، فكأن المعنى على هذا إن تتبعون إلا رجلا ذا سحر خلقه الله بشرا كخلقكم. ورابعها أن يكون معنى مسحور أي ساحر، وقد جاء لفظ مفعول بمعنى فاعل، قال الله تعالى: وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا، أي ساترا، والعرب تقول للمعسر ملفج ومعناه ملفج لأن ماضيه ألفج فجاء بلفظ المفعول وهو الفاعل، ومن ذلك قولهم فلان مشؤوم على فلان وميمون، وهم يريدون شائم له ويامن لأنه من شأمهم ويمنهم. قال قدس الله روحه: ورأيت بعض العلماء يطعن على هذا الاستشهاد الأخير فيقول العرب لا تعرف فلان مشؤوم على فلان وإنما هذا من كلام أهل الأمصار، وإنما تسمي العرب من لحقه الشؤم مشؤوما، كما قال علقمة بن عبدة:

ومن تعرض للغربان يزجرها على سلامته لا بد مشؤوم

مسحورا أي منتفخا تضرب لمن يريد السحر الذي هو الرئة

يقال ألفج فهو ملفج وأسهب إذا ذهب عقله فهو مسهب وأحصن فهو محصن

والوجوه الثلثة الأول أشبه وأوضح. ومما نختاره لمروان بن أبي حفصة قوله من قصيدة يمدح بها معن بن زائدة الشيباني أولها:

أرى القلب أمسى بالأوانس مولعا وإن كان من عهد الصبي قد تمتعا

يقول فيها:

ولما سرى الهم الغريب قريته قرى من أزال الشك عنه وأزمعا
عزمت فعجلت الرحيل ولم أكن كذي لوثة لا يطلع الهم مطلعا
فأمت ركابي أرض معن ولم تزل إلى أرض معن حيثما كان نزعا

اللوثة الضعف وقيل اختلاط العقل

جنائب لولا انها سخرت لنا ابت عزة من حملها ان تسودا
كسونا رحال الميس منها غوارباً تدارك فيها النتي صيفاً وربعا
فما بلغت صنعاً حتى تواضعت ذراها وزال الحمل عنها وافلعا

يقول فيها

وما الغيث اذ عم البلاد بصوبه على الناس من معروف معن باوسعا
تدارك معن قبة الدين بعد ما خشينا على اوتادها ان تنزعا
اقام على الثغر المخوف وهاشم مساقي سهاماً ما لها الاسنة منقعا
مقام امرئ يأبى سوى الخطة التي تكون لدى عيب الاحاديث ارفعا
وما احجم الاعداء عنك بقية عليك ولكن لم يروا فيك مطمعا
راوا مخدراً قد جربوه وعاينوا لدى غيله منهم مجراً ومصرعا
وليس بثانيه اذا شد ان يرى لدى جحره ذوقاً لاسنة شرعا
له راحتان الحتف والغيث فيهما ابى الله الا ان تضر وتنفعا
لقد دوخ الاعداء معن فاصبحوا وانفهم لا يرفع الذل مرفعا
نجيب مناجيب وسيد سادة ذرى المجد من فرعي نزار تفرعا
لبانت خصال الخير فيه واكملت وما كملت خمسا سنوه واربعا
لقد اصبحت في كل شرق ومغرب بسيفك اعناق المريبين خضعا
وطئت خدود الحضرميين وطأة لها هد ركنا عزهم فتضعضعا

عزهم

فالقوا على الاذناب افعل عشر يرون لزوم السلم ابقى واودعا
فلو مدت الايدي الى الحرب كلما تكفوا ولما مدوا الى الحرب اصبعا
اما قوله فما بلغت صنعاً حتى تواضعت ذراها فزال الحمل عنه وافلعا
فقد ذكرته في موضع آخر هناك

جبلها اى من سعى فيها وشد بها

النتي الشحم

[illegible]

177

فما بلغت حتى حماها كلالها اذا غربت اصلابها ان تقيدا
وهذا المعنى كثير في الشعر القديم والمحدث فمنه قول جرير
اذا بلغوا المنازل لم تقيد وفي طول الكلال لها قيود
ويروى انه قيل لنصيب لك بيت نازعك فيه جرير ايكما فيه اشعر فقال ما هو فقيل قولك
اضر بها التهجير حتى كانها بقايا سلال لم يدعها سلالها

السل

وانشد بيت جرير الذى تقدم فقال قاتل الله ابن الخطفى فقيل له قد فضلته عليك فقال هو
ذاك واخذ هذا المعنى المؤمل بن اميل المحاربي فقال
كانت تقيد حين تنزل منزلاً فاليوم صار لها الكلال قيودا

ولابي نخيلة

قيدها الجهد ولم تقيد فهي سوام كالقنا المسند
وما لها معتلك من مزود منها ولا من شاحط مستبعد
ومعنى قوله سوام اى هي رافعة رؤوسها وشبهها بالقنا لان القنا اذا ركز مال قليلاً مع
الريح فيقول في اعناقها ميل من الضعف كما قال الشماخ كانها وقد راح نجاها وجهد الريح راكز
وكما قال حميد بن ثور بمثوى حرام والمطي كانه قنا مسند هبت لهن خريق

يعني بمثوى حرام منى وقبل هذا البيت
فلا عرضت عنها في الزيارة اتقي
وذو اللب بالتقوى هنالك حقيق

والخريق ريح شديدة تنخرق من كل جهة ومعنى قول ابي نخيلة من مزود اى من نميلة تحتبس هامن
الاجترار وارادانه لا شيء في اجوافها فتعلل به والمستبعد ما بعد من المرعى وانشد ابو العباس

ثعلب

اذا بلغوا المنازل لم تقيد ركابهم ولم تشدد بعقل
فهن مقيدات مطلقات تفصم ما تشدد في المحل

والاصل في هذا قول

امرئ القيس مطوت بهم حتى تكل مطيهم وحتى الجياد ما يقدن بارسان

قبله ومجر كغلان الانيعم بالغ ديار العدو
ذي زهاء واركان
الغلان نبت الواحد غال ومطوت
بهم اى مددت بهم في السير

وللعباد بن انف الكلب الصيداوي
فنمسي لا اقيدها بحبل بها طول الضراوة والكلال

[illegible]

175

[illegible]

ومن جيد هذا المعنى قول القوزدن يصف الابل

بدانا بها من سيف رمل كهيلة وفيها نشاط من مراح وعجرف
فما بلغت حتى تقارب خطوها وبادت ذراها والمناسم رعف
وحتى قتلنا الجهل عنها وغودرت اذا ما اينخت والمدامع ذرف
وحتى مشى الحادي البطئ يسوقها لها بخص دام ودأي مجلف

البخص لحم الخف الذي يطأ عليه والداي فقار الظهر والمجلف المقشور

وحتى بعثناها وما في يد لها اذا حل عنها رمة وهي ترسف

الرمة الحبل واراد انها ترسف كما يرسف المقيد وان لم يكن في يدها قيد

اذا ما نزلنا قائلين عن ظهورها حراجيج امثال الاهلة شسف

الحراجيج الطوال من الابل والشسف اليابسة من الجهد والكلال ومعنى قتالها للغربان انها اذا غيبت ظهورها انقع الغربان عليها لتاكل دبرها والابل ترفع الغربان بافواهها عن ظهورها فذلك

اذا ما اردناها الازمة اقبلت الينا بحيران الخدود تصدف

فافنى مراح الداعرية خوضها بنا الليل اذ نام الدثور الملفف

ومن حسن ما قيل في وصف الابل بالنحول من الكلال والجهد بعد السمن قول الشاعر

وذات ما بن قد غيبت جمها بحيث تستمسك الارواح بالحجر
ردت عوارى غيطان الفلا وبحت بمثل ابياليم من حائل العشر

قوله ذات ما بن يعني سمنا عليها من قبل ان عني انها دعت كلا عامين وقوله قد غيبت جمها يعني انه انعبها بالسير حتى ردها هزيلا بعد سمن فكانه غيب بذلك ماءها ومعنى بحيث تستمسك الارواح بالحجر يعني الفلاة بحيث لا يجدون الماء فيقسم الركب الماء الذي معهم بالحجر الذي يقال له المقلة فيمسك ارماقهم وقوله ردت عوارى غيطان الفلا اي ما رعت من كلاء هذه

178

الاماكن ومتعت عنه كان كعارية عندها فردته حيث جهدها السير وهزلها والابيال الحزمة من الحطب اليابس واخذ هذا بعينه ابو تمام فقال

في المعنى

رعته الفيافي بعدما كان حقبة رعاها وماء المزن ينهل ساكبه
فكم جزع واد جب ذروة غارب ومن قبل كانت اتمكته مذانبه

فاما قوله

فما اجحم الاعداء عنك تقية عليك ولكن لم يروا فيك مطمعا

فماخوذ من قول

الاخر

فما بقيا علي تركتماني ولكن خفتما صرد النبال

وقريب منه قول الاخر

لعمرك ما الناس اثنوا عليك ولا قرظوك ولا عظموا
ولو انهم وجدوا مطعنا الى ان يعيبوك ما احجموا
فانت بفضلك الجاتهم الى ان يجلوا وان يعظموا

ومثله

اما لو راى فيك العدو نقيصة لحث بتصريف العيوب واوضعا
ولكنه لما راى كل مترة من العيب غطى راسه وتقنعا

ومثله

قد طلب العاذل عيبا فما اصاب عيبا فانثنى عاذرا

وللبحتري في معنى قول مروان فما احجم الاعداء عنك تقية من قصيدة يمدح بها الفتح بن خاقان ويصف لقاءه الاسد

غداة لقيت الليث والليث خادر يحدد نابا للقاء ومخلبا
شهدت لقد انصفته يوم تنبرى له مصلتا عضبا من البيض مقضبا
فلم ار ضرغامين اصدق منكما عراكا اذا الهيابة النكس كذبا
هزبر مشى يبغي هزبرا واغلب من القوم يغشى باسل الوجه اغلبا
ادل بشغب ثم هالته صولة رآك لها امضى جنانا واشغبا
فاحجم لما لم يجد فيك مطمعا واقدم لما لم يجد عنك مهربا
فلم يغنه ان كر نحوك مقبلا ولم ينجه ان حاد عنك منكبا

حملت عليه السيف لا عزمك انثنى ولا يدك ارتدت ولا حده نبا
وكنت متى تجمع يمينك تهتك الضريبة او لا تبق للسيف مضربا

ومن صافي كلام مروان ونادره ومما اجتمع له فيه جودة المعنى واللفظ واطراد النسج قوله

بنو مطر يوم اللقاء كأنهم اسود لها في غيل خفان اشبل
هم يمنعون الجار حتى كأنما لجارهم بين السماكين منزل
بهاليل في الاسلام سادوا ولم يكن كأولهم في الجاهلية اول
هم القوم ان قالوا اصابوا وان دعوا اجابوا وان اعطوا اطابوا واجزلوا
وما يستطيع الفاعلون فعالهم وان احسنوا في النائبات واجملوا
ثلاث بامثال الجبال حباهم واحلامهم منها لدى الوزن اثقل

ومن جيد قوله من قصيدة يمدح بها معنا

تمام من عدو يرى معنا بساحته الا يطلق المنايا فسبق القدرا
لقى اذا الخيل لم تقدم فوارسها كالليث يزداد اقداما اذا زجرا
اغر نحسب يوم الروع ذا لبد وزادا ونحسب فوق المنبر القمرا

وله من قصيدة يصف بها ماجدا

ويوم عبوس الآل حام كأنما لظى شمسه مشبوب نار تلهب
نصبنا له منا الوجوه وكنها عصائب اسمال بها نتعصب

ويشبه ان يكون اخذ ذلك من قول الشنفرى

ويوم من الشعرى يذوب لعابه افاعيه في رمضائه تتململ
نصبت له وجهي ولا كن دونه ولا ستر الا الاتحمي المرعبل

ولمروان من ابيات يصف بها حديقة وهبها له المهدي ويذكر نخلها وشجرها اجاد فيها

نواضر غلب تمونها انت دوسها من النبت حتى ما يطيق غرابها
ترى الباسقات العم فيها كأنها ظعائن مضروب عليها قبابها
ترى بابها سهلا لكل مدفع اذا ابتغى نجل فاغلق بابها
يكون لنا مما نجتني من ثمارها ربيعا اذا الآفاق قل سحابها
حظائر لم تخلط باثمانها الربا ولم يك من اخذ الدنايا اكتسابها
ولكن عطاء الله من كل رحلة جزيل من المستخلفين ثوابها
ومن ركضنا الخيل في كل غارة تجلل بارض المشركين نهابها
حوت غنمها آباؤنا وجدودنا بضم العوالي والدماء خضابها

اما قوله — حظائر لم تخلط باثمانها الربا ولم يك من اخذ الدنايا اكتسابها — فكأن ابن المعتز نظر اليه في قوله

لنا ابل ما وفى نهاد ما ونا ولا ذعرتها في الصباح الصوائح

وفي ضد هذا قول ابي تمام — كثرت فيهم المواشي لانهم من منايح وديات — ومثل الاول قول حسان يهجو قوما من قريش

وما لكم الا من طراد فوارس ولكن من النتيج بآل مالك

مجلس آخر مجـ

تأويل آية ان سأل سائل عن قوله تعالى كل شيء هالك الا وجهه وقوله تعالى انما نطعمكم لوجه الله وقوله ويبقى وجه ربك وما شاكل ذلك من الآي المتضمنة لذكر الوجه الجواب قلنا الوجه ينقسم في اللغة العربية الى اقسام فالوجه المعروف المركب فيه العينان من كل حيوان والوجه اول الشيء وصدره ومن ذلك قوله تعالى وقالت طائفة من اهل الكتاب آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره اي اول النهار ومنه قول الربيع بن زياد

من كان مسرورا بمقتل مالك فليأت نسوتنا بوجه نهار

لى غداة كل يوم وقال قوم وجه نهار موضع والوجه القصد بالفعل من ذلك قوله تعالى ومن

يسلم وجهه الى الله وهو محسن معناه من قصد بامره وفعله الى الله سبحانه واراد بهما وكذلك
قوله ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله وهو محسن وقال الفرزدق

واسلمت وجهي حين شدت ركابي الى آل مروان بناة المكارم

اي جعلت قصدي وارادتي لهم وانشد الفراء

استغفر الله ذنبا لست محصيه رب العباد اليه الوجه والعمل

اي القصد ومنه قولهم في الصلاة وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض اي قصدت قصدي
بصلاتي وعملي وكذلك قوله تعالى فاقم وجهك للدين والوجه الاحتيال للامر من قولهم كيف
الوجه لهذا الامر وما الوجه فيه اي ما الحيلة والوجه المذهب والجهة والناحية قال
حمزة بن بيض الحنفي

اي الوجوه انتجعت قلت لها لاي وجه الا الى الحكم

متى يقل صاحبا سرادقه هذا ابن بيض بالباب يبتسم

والوجه القدر والمنزلة ومنه قولهم لفلان وجه عريض وفلان اوجه من فلان اي اعظم قدرا
وجاها ويقال اوجهه السلطان اذا جعل له جاها قال امرؤ القيس

ونادمت قيصر في ملكه فاوجهني وركبت البريدا

والوجه الرئيس المنظور اليه يقال فلان وجه القوم وهو وجه عشيرته ووجه الشيء ايضا
نفسه وذاته قال احمر بن جندل السعدي

ونحن حفزنا الحوفزان بطعنة فافلت منها وجهه عتد نهد

اراد افلت هو ونجا ومنه قولهم انما افعل ذلك لوجهك ويدل ايضا على ان الوجه يعبر
به عن الذات قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ووجوه يومئذ باسرة تظن
ان يفعل بها فاقرة وقوله تعالى وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية لان جميع ما اضيف الى
الوجوه في ظاهر الآي من النظر والظن والرضى لا يصح اضافته على الحقيقة اليها وانما

يضاف الى الجملة فمعنى قوله كل شيء هالك الا وجهه اي كل شيء هالك الا اياه وكذلك قوله تعالى
كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام ومما يدل على ان المراد بوجهه نفسه
قوله تعالى ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام ولما كان المراد بالوجه نفسه ولم يقل ذي
الجلال كما قال تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام لما كان اسمه غيره ويمكن في قوله كل
شيء هالك الا وجهه وجه آخر فروي عن بعض المتقدمين وهو ان يكون المراد بالوجه ما يقصد
به الى الله تعالى ويوجه نحو القربة اليه جلت عظمته فيقول لا تشرك ولا تدع مع الله
الها غيره فان كل فعل يتقرب به الى غيره ويقصد به سواه فهو هالك باطل وكيف
يجوز للمشبهة ان تحمل الآية والتي قبلها على الظاهر اوليس ذلك يوجب انه تعالى يفنى ويبقى
وجهه وهذا كفر وجهل من قائله فاما قوله انما نطعمكم لوجه الله وقوله الا ابتغاء
وجه ربه الاعلى وقوله وما آتيتم من زكوة تريدون وجه الله فمعلوم ان هذه الافعال مفعولة
له ومقصود بها ثوابه والقربة اليه والزلفة عنده فاما قوله تعالى فاينما تولوا فثم وجه
الله فيحتمل ان يراد به فثم الله لا على معنى الحلول لكن على معنى التدبير والعلم ويحتمل
ايضا ان يراد به فثم رضا الله وثوابه والقربة اليه ويحتمل ان يراد بالوجه الجهة ويكون
الاضافة بمعنى الملك والخلق والانشاء والاحداث لانه جل وعز قال ولله المشرق والمغرب فاينما
تولوا فثم وجه الله اي ان الجهات كلها لله وتحت ملكه وهذا واضح بين بحمد الله
اخبرني ابو الحسن علي بن محمد الكاتب قال حدثنا محمد بن يحيى الصولي قال انحدرنا مع المكتفي بالله
في آخر سفرة سافرها للصيد من الموضع المعروف بحمة الى بكرين في حراقة فكان يتنحنح كثيرا
ويشتد فزع من معه من الجلساء لذلك وكنت اشدهم فزعا وكان في الحراقة سوى من
الجلساء يحيى بن علي المنجم ومتوج بن محمود بن مروان وابو القاسم المعروف بابن جابة فكان يضحك
لفزعنا ويقول لقد قسم الله لكم حظا من الشجاعة جزيلا فقلت له ان البحتري يقول شعرا
يصف فيه مثل حالنا ويمدح به احمد بن دينار بن عبد الله وقد غزا الروم في مراكب اوله

ألم تر تغليس الربيع المبكر ** وما حاك من وشي الرياض المنشر

فقال أنشدني الموضع الذي ذكر هذا فيه منها وكان جيد العلم بالأشعار حافظا للأخبار فأنشدته

غدوت على الميمون صبحا وإنما ** غدا المركب الميمون تحت المظفر

الميمون اسم حراقة

إذا زجر النوتي فوق علاته ** رأيت خطيبا في ذؤابة منبر

يغضون دون الاشتيام عيونهم ** وفوق السماط للعظيم المؤمر

إذا ما علت فيه الجنوب اعتلى له ** جناحا عقاب في السماء مهجر

إذا ما انكفى في هبوة الماء خلته ** تلفع في أثناء برد محبر

وحولك ركابون للهول عاقروا ** كؤوس الردى من دارعين وحسر

تميل المنايا حيث مالت أكفهم ** إذا أصلتوا حد الحديد المذكر

إذا رشقوا بالنار لم يك رشقهم ** ليقلع إلا عن شواء مقتر

صدمت بهم صهب العثانين دونهم ** ضراب كإيقاد اللظى المتسعر

يسوقون أسطولا كأن سفينه ** سحائب صيف من جهام وممطر

كأن ضجيج البحر بين رماحهم ** إذا اختلفت ترجيع عود مجرجر

تقارب من زحفيهم فكأنما ** تؤلف من أعناق وحش منفر

فما رمت حتى أجلت الحرب عن طلى ** مقصصة فيهم وهام مطير

على حين لا نقع يطوحه الصبا ** ولا أرض تلفى للصريع المقطر

وكنت ابن كسرى قبل ذاك وبعده ** مليا بأن توهي صفاة ابن قيصر

جدحت له الموت الذعاف فعافه ** وطار على ألواح شطب مسمر

مضى وهو مولى الريح يشكر فضلها ** عليه ومن يول الصنيعة يشكر

قال فاستجاد المكتفي بالله قوله على حين لا نقع يطوحه الصبا فقال له الجبري علي أنشدني

ابن الرومي شعرا له في هذا المعنى منه

ولم أتعلم قط من ذي سباحة ** سوى الغوص والمضعوف غير مغالب

ولم ملأ ولو ألقيت فيها وصخرة ** لوافيت منها القعر أول راسب

وأيسر إشفاقي من الماء أنني ** أمر به في الكوز مر المجانب

وأخشى الردى منه على كل شارب ** فكيف بأمنيه على نفس راكب

فقلت له إنما أخذ ابن الرومي بيته الثالث من قول أبي نواس فقال المكتفي وما قال فقلت حدثني علي بن سراج المصري قال حدثني أبو وائل النجمي قال حدثني ابن إبراهيم بن الخصيب قال ركب أبو نواس بمصر على النيل فرأى رجلا قد أخذه التمساح في النيل فقال

أضمرت للنيل هجرانا ومقلية ** مذ قيل لي إنما التمساح في النيل

فمن رأى النيل رأي العين من كثب ** فما أرى النيل إلا في البواقيل

قال الصولي البواقيل كيزان صغار ثم أجرى المكتفي ذكر الشيب فقال العرب تقول أظلم من شيب وقد شبت وظلمني الشيب وشبت يا صولي فقلت جواب عبدك في هذا جواب معن بن زائدة الشيباني لجده كان المنصور وقد قال له كبرت يا معن فقال في طاعتك يا أمير المؤمنين قال وإنك لتتجلد قال على أعدائك قال وفيك بقية قال هي لك فتبسم المكتفي عما منه فإذا شيبتان في مقدم رأسه فقال لقد عمي طلوع هاتين الشيبتين فقلت إنما يعيش الناس في الشيب فأما السواد فلا يصحب الناس خالصا أكثر من أربعين سنة إلى الخمسين وقد يعاش في البياض الذي لا سواد فيه ثمانون سنة فأنشدته بعد علي ذلك في معنى طول العمر مع الشيب قول امرئ القيس

ألا إن بعد العدم للمرء قنوة ** وبعد المشيب طول عمر وملبسا

وأنشدته أيضا أبياتا أنشدها إسحاق بن إبراهيم الموصلي لبعض القيسيين

لم ينتقص مني المشيب قلامة ** الآن حين بدا ألب وأكيس

والشيب إن يظهر فإن وراءه ** عمرا يكون خلاله متنفس

قال قدس الله روحه أما قول البحتري مضى وهو مولى الريح فقد كرر هذا المعنى في قوله من قصيدة

يمدح بها ابا سعيد الثغري

اشتلى على منوبل اطراف القنا فتجاعن بن عنبقة جرداء

ولوانه ابطالهن هنيهة لصدرن عنه وهن غير ظماء

فلئن تقاه القضاء لوقته فلقد عممن جنوده بفناء

واظنه اخذ هذا المعنى من ابي تمام في قوله من قصيدة يمدح بها المعتصم ويذكر فتح الخرمية

لولا الظلام وقلة علقوا بها كانت رقابهم بغير قلال

فليشكروا جنح الظلام ودروذا فهم لدروذ والظلام موال

وقد اخطاء الصولي في تفسير بيت ابي نواس بان البواقيل سفن صغار لان للبواقيل جمع بوقال وهو الكوز بعينه للكوز معروفة نقل من الزجاج وغيره وهذا مثل قول ابن الرومي امر به في الكوز من المجانب وانما اراد انني لا امر بماء النيل الا اذا اردت شربه في كوز او بوقال وأظن الصولي استمر عليه الوهم من جهة قوله فما ادى النيل وصرف ذلك الى انه اراد النيل نفسه على الكفة وانما اراد بالنيل ماء النيل وما علمت ان السفن الصغار تسمى بواقيل الا من قول الصولي هذا ولو كان ما ذكره صحيحا من ان ذلك اسم لصغار السفن لكان ما ذكرناه البق واشبه وادخل في معنى الشعر كيف تدخل في ذاك شبهة مع قوله فمن راى النيل راى العين من كثب ومن راى النيل في السفن فقد راه من كثب ومن راى ماءه في الانية على بعد لا يكون راءيا له من كثب

فاما مدح الشيب وتفضيله على الشباب فقد قال فيه الناس فاكثروا فمما تقدم من ذلك قول رؤبة بن العجاج ويقال ان رؤبة لم يقل من القصيد الا هذين البيتين

ايها الشامت المعير بالشيب اقلن بالشباب افتخارا

قد لبست الشباب غضا جديدا فوجدت الشباب ثوبا معارا

جفاطرب القيان وهو طروب واعقبه قرب الشباب مشيب

تجافت عيون البيض عنه وربما مددن الى الوصل وهو حبيب

182

لعمري لنعم الصاحب الشيب واعظا وان كان عند للعيون نكوب

خليط نهى منتاب حلم وانه على ذاك مكروه الخلاط مريب

وشكوت شيبي فقلت لها البس المشيب بناقص عمري

سيان شيبي والشباب اذا ما كنت من عمري على قدر

ان اكن قد ذبت اسود كالفحم ولعقبت مثل لون الثغامه

فلقد اسعف الكريم والجو الهله بالندى وآبى الظلامه

غير ان الشباب كان رداء خانا فيه كفي غماما مه

ان المشيب رداء الحلم والادب كما الشباب رداء الجهل واللعب

تعجبت ان رات شيبي فقلت لها لا تعجبي من يطل عمر به يشب

حسرت عني القناع ظلوم وتولت ودمعها مسجوم

انكرت ما رات براسي فقالت امشيب ام لؤلؤ منظوم

قلت شيب وليس عيبا فانت انه يستقبرها المهموم

شتد ما انكرت نضرة عيد لم يدم لي داي شيء يدوم

تعجبت من شيبي فقلت لها لا تعجبي فطلوع الشمس في السدف

وزادها عجبا ان رحت في سمل وما درت ان الدر في الصدف

وقد احسن ابو تمام غاية الاحسان في قوله

ابدت اسى ان رأتني مخلس القصب وآل ما كان من عجب الى عجب

ستة وعشرون تدعوني وانبعها الى المشيب ولم تظلم ولم تحب

فلا يؤرقك ايماض القتير به فان ذاك ابتسام الراي والادب

عيرتني بالشيب وهي بدته في عذاري بالصد والاجتناب

لا تريه عارا فما هو بالشيب ولكنه جلاء الشباب

وقال اخر

وقال اخر

وقال اخر

ولابن الجهم

ولابي تمام

لما رات شملي

القصب الذوائب المقصبة الواحدة قصيبة مثل صحيفة وصحف وجمع قصائب ويقال قصب مسكر

وللبحتري

وللبحتري

فلا يؤرقك

جعل سواد الشباب وسخا وصدا على التجهر والشيب جلاء له

وبياض البازي أصدق حسناً إن تأملت من سواد الغراب

ها هو الشيب لائماً فأفيقي واتركيه إن كان غير مفيق

فلقد كف من غناء المعنّى وتلافى من اشتياق المشوق

عذلتنا في عشقها أم عمرو هل سمعتم بالعاذل المعشوق

ورأت لمة ألم بها الشيب فريعت من ظلمة في شروق

ولعمري لولا الأقاحي لأبصرت أنيق الرياض غير أنيق

وسواد العيون لو لم يكمل ببياض ما كان بالموموق

ومزاج الصهباء بالماء أملى بصبوح مستحسن وغبوق

أي ليل يبهى بغير نجوم أو سماء تندى بغير بروق

ويشبه أن يكون أخذ قوله أي ليل يبهى بغير نجوم من قول الشاعر

أشيب ولم أقض الشباب حقوقه ولم تمض من عهد الشباب قديم

رأت وضحاً في مفرق الرأس راعها وشتان مبيض به وبهيم

تفاريق شيب في الشباب لوامع وما حسن ليل ليس فيه نجوم

ولمحمود الوراق مثل هذا المعنى وهو قوله

ما الدر منظوماً بأحسن من شيب يجلل هامة الكهل

وكأنه فيها النجوم إذا جن المساء بها على مهل

لا تبكين على الشباب إذا أبكى الجهول عليه للجهل

واشكر لشيبك حسن صحبته فلقد كساك جلالة الفضل

ولآخر في مدح الشيب

لا تنكر المشيب يا ابنة عبد الله فالشيب حلية ووقار

إنما تحسن الرياض إذا ما ضحكت في خلالها الأنوار

قال قدس الله روحه ولي في هذا المعنى من قصيدة

وله

يقال يبهو ويبهى

جزعت لوخطات المشيب وإنما بلغ الشباب مدى الكمال فنورا

والشيب إن فكرت فيه مورد لا بد يورده الفتى إن عمرا

يبيض بعد سواد الشعر الذي إن لم يزره الشيب واراه الثرى

وممن عدل بين الشيب والشباب ومدح كل واحد منهما طريح بن إسماعيل الثقفي قال

والشيب للحكماء من سفه الصبى بدل تكون له الفضيلة مقنع

والشيب غاية من تأخر حينه لا يستطيع دفاعه من يجزع

إن الشباب له لذاذة جدة والشيب منه في المغبة أنفع

ومثله للآخر

لا يبعد الله الشباب ومرحباً بالشيب حين أوى إليه المرجع

وكان الشباب الغض فيه لذاذة فوفرني عنها المشيب وأدبا

فسقيا ورعيا للشباب الذي مضى وأهلا وسهلا بالمشيب ومرحبا

مجلس آخر مد تأويل آية

إن سأل سائل عن قوله تعالى أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون فقال كيف ضمن الإجابة وتكفل بها وقد نرى من يدعو فلا يجاب. الجواب قلنا في ذلك وجوه أولها أن يكون المراد بقوله أجيب دعوة الداع أي أسمع دعوته ولهذا يقال للرجل دعوت من لا يجيب أي دعوت من لا يسمع وقد يكون أيضاً يسمع بمعنى يجيب كما كان يجيب بمعنى يسمع يقال سمع الله لمن حمده يريد أجاب الله من حمده وأنشد ابن الأعرابي

دعوت الله حتى خفت أن لا يكون الله يسمع ما أقول

أراد يجيب ما يقول. وثانيها أنه تعالى لم يرد بقوله قريب من قرب المسافة بل أراد إني قريب بالإجابة والمعونة والنعمة أو بعلمي بما يأتي العبد ويذر وما يسر ويجهر تشبيهاً بقرب المسافة لأن من قرب من غيره عرف أحواله ولم يخف عليه ويكون قوله أجيب على هذا تأكيداً للقرب فكأنه أراد إني قريب قرباً شديداً بحيث لا يخفى علي أحوال العباد كما يقول القائل

الثقفي

لذي الفضيلة ويروى لذي

إلى المغبة

صح وبالله أحمد

ثعلب

وأتيني

لا اذا وصف نفسه بالقرب من صاحبه والعلم بحاله انا بحيث اسمع كلامك واجيب نداءك وما
جرى هذا المجرى وقد روى ان قوما سالوا الرسول صلى الله عليه وآله فقالوا أقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فانزل الله تعالى هذه الآية وثانيها ان يكون معنى الآية انى اجيب
دعوة الداعي اذا دعاني على الوجه الصحيح وبالشرط الذي يجب ان يقارن الدعاء وهو ان يدعو
باشتراط المصلحة ولا يطلب وقوع ما يدعو به على كل حال ومن دعا بهذا الشرط فهو مجاب
على كل حال لانه ان كان صلاحا فعل ما دعا به وان لم يكن صلاحا لم يفعل لفقد شرط دعائه فهو ايضا
مجاب الى دعائه ورابعها ان يكون معنى دعاني اي عبدني وتكون الاجابة هي الثواب والجزاء على
ذلك فكانه تعالى قال انى اثيب العباد على دعائهم وهذا احتمال لا اختصاص فيه وخامسها ما قاله
قوم من ان معنى الآية ان العبد اذا سال الله تعالى شيئا في اعطائه صلاحه فعله به واجابه اليه
وان لم يكن في اعطائه اياه في الدنيا صلاحه وخيرته لم يعطه ذلك في الدنيا واعطاه اياه في الآخرة
فهو مجيب لدعائه على كل حال وسادسها انه تعالى اذا دعاه العبد لم يخل من احد امرين اما
ان يجاب دعاؤه واما ان يختار له بصرفه عما سال ودعا بحسن اختيار الله تعالى له يقوم مقام
الاجابة فكانه مجاب على كل حال وهذا الجواب يضعف لان العبد ربما سال ما فيه صلاحه ومنفعته
له في الدنيا وان كان فيه فساد في الدين لغيره فلا يعطى ذلك لا لامر يرجع اليه لكن لما فيه من فساد
غيره فكيف يكون مجابا مع المنع الذي لا يرجع اليه منه شيء من الصلاح اللهم الا ان يقال انه دعاء
مشروط بان يكون صلاحا ولا يكون فسادا ومن هاهنا تقدم ومعنى فليستجيبوا لي اي فليجيبوني و
ليصدقوا رسلي قال الشاعر
وداع دعا يا من يجيب الى الندى فلم يستجبه عند ذاك مجيب
اي لم يجبه قال السيد قدس الله روحه وادكنا قد ذكرنا في المجالس المتقدمة لهذا المجلس
كلاما من الشعر في تفضيل الشيب وتقديمه والتعزي عنه والتسلي عن نزوله ونحن متبعوه بطرف
مما قيل في ذمه والتالم به والجزع منه فمن ذلك قول ابي حية النميري
نزحل بالشباب المشيب عنا فليت الشيب كان هو الرحيلا

وقد كان الشباب لنا خليلا فقد قضى ما آربه الخليلا
لعمر ابي الشباب لقد تولى حميدا ما يراد به بديلا
اذ الايام مقبلة علينا وظل اراكة الدنيا ظليل

وقال الفرزدق
ارى الدهر ايام المشيب امر علينا وايام الشباب اطايبه
وفي الشيب لذات وقرة اعين ومن قبله عيش تعلل جانبه
اذا نازل الشيب الشباب فاصلتا بسيفيهما فالشيب لا بد غالبه
فيا خير مهزوم ويا شر هازم اذا الشيب وافى للشباب كتائبه
وليس شباب بعد شيب براجع يد الدهر حتى يرجع الدر حالبه

وانشد اسحق الموصلي
وما المرء منفوعا بتجريب واعظ اذا لم تعظه نفسه وتجاربه
لعمري لئن حليت عن منهل الصبى لقد كنت وراد المناهل العذب (المشرب صح)
ليالي امشي بين بردي لاهيا اميس كغصن البانة الناعم الرطب
سلام على سير القلاص مع الركب ووصل الغواني والمدامة والشرب

وللمنصور النمري
سلام امرئ لم تبق منه بقية سوى نظر العينين او شهوة القلب
ما تنقضي حسرة مني ولا جزع اذا ذكرت شبابا ليس يرتجع
بان الشباب وفاتتني بشرته صروف دهر وايام لها خدع
ما كنت اوفي شبابي كنه عزته حتى مضى فاذا الدنيا له تبع

ولمحمد بن حازم
عهد الشباب لقد ابقيت لي حزنا ما جد ذكرك الا جد لي ثكل
سقيا ورعيا لايام الشباب وان لم يبق منك له رسم ولا طلل
جنى الزمان ذنوبا في مفارقه وللزمان على احسانه علل
درت ما جني اذيال الصبى مرحا وبين بردي غصن ناعم خضل
لا تكذبن فما الدنيا باجمعها من الشباب بيوم واحد بدل

اي للزمان علل على تركه للاحسان ويجوز ان يكون علل ... المعنى له مع احسانه علل

[illegible]

كفاك بالشيب ذنبا عند غانية وبالشباب شفيعا أيها الرجل ولأبي نواس
كان الشباب مطية الجهل ومحسن الضحكات والهزل
كان الجميل إذا ارتديت به ومشيت أخطر صيّت النعل
كان البليغ إذا نطقت به وأصاخت الآذان للممل
كان المشفع في مآربه عند الحسان ومدرك التبل
والباعثي والناس قد رقدوا حتى أبيت خليفة البعل
والآمري حتى إذا عزمت نفسي أعان يدي بالفعل عزمت
فالآن صرت إلى مقاربة وحططت عن ظهر الصبي رحلي
قال فرس الله روحه وعلى هذا الكلام طلاوة ومسحة من أعرابية لبستها لغيره ولبشار
الشيب كره وكره أن نفارقه فاعجب بشيء على البغضاء مودود
يمضي الشباب ويأتي بعده خلف والشيب يذهب مفقودا بمفقود يذهب مفقودا بمفقود وهو الشباب
وهذا البيت الأخير يروى لمسلم بن الوليد الأنصاري وأحسن فيه مسلم بقوله في هذا المعنى تما
كلفت عيون الغانيات وربما أملن إلى الطرف كل مميل
وما الشيب إلا شعرة غير أنه قليل قذاة العين غير قليل وله
أهلا بوافدة للشيب واحدة وإن رأت بشخص غير مودود
لا أجمع الحلم والصهباء قد سكنت نفسي إلى الماء عن ماء العناقيد
لم ينهني كبر عنها ولا فند لكن صحوت وغصني غير مخضود
أو في بني الحلم وأقناد النهى طلقا شأوي وعفت الصبي عن غير تفنيد تفنيد
ولقد أحسن دعبل في قوله يصف الشباب والشيب
كان كحلا لماقيها فقد صار بالشيب لعينيها قذى ولغيره أيضا
وإن طالعا للشيب أغفلت أمره ولم تتعهده الأكف الخواضب تعاهده

شامتك
185
فقالت الشيب ما أرى قلت شامة فقالت لقد شانتك عند الحبائب بين
ولمحمود الوراق ويروى لمحمد بن حازم
الليس عجيبا بأن الفتى يصاب ببعض الذي في يديه
فمن بين باك له موجع وبين معز مغذ اليه
ويسلبه الشيب شرخ الشباب فليس يعزيه خلق عليه ولأبي دلف
في كل يوم أرى بيضاء طالعة كأنما طلعت في أسود البصر
لئن قصصتك بالمقراض عن بصري لما قصصتك عن همي ولا فكري ولا
وليحيى بن خالد بن برمك ويروى لغيره
الليل يشيب والنهار كلاهما داهبني بكثرة ما تدور رحاهما
ينتاهبان نفوسنا ودماءنا ولحومنا عمدا ونحن نراهما
الشيب إحدى الميتتين تقدمت أولاهما وتأخرت أخراهما
وقد أتى الفحلان المبرزان أبو تمام وأبو عبادة في هذا المعنى بكل غريب عجيب فمن ذلك قول أبي تمام
غدا الهم مختطا بفودي خطة طريق الردى منها إلى الموت مهيع منها
هو الزور يجفى والمعاشر يجتوى وذو الإلف يقلى والجديد يرقع
له منظر في العين أبيض ناصع ولكنه في القلب أسود أسفع
ونحن نزجيه على الكره والرضا وأنف الفتى من وجهه وهو أجدع وله نزجيه أي نسوقه
شعلة في المفارق وأستودعتني في صميم الفؤاد ثكلا صميما
تستثير الهموم ما اكتن منها صعدا وهي تستثير الهموما
عزة مرة إلا إنما كنت أغر أيام كنت بهيما غرة
دقة في الحياة تدعى جلالا مثل ما سمي اللديغ سليما
حلمتني زعمتم وأراني قبل هذا التحليم كنت حليما
لعب الشيب بالمفارق بل جد فأبكى تماضرا ولعوبا وله

اى راهبى
خضبت خدّها الى لؤلؤ العقد دمًا ان رات شواتى خضيبا
كل داءٍ يرجى الدواء له الا الفظيعين ميتة ومشيبا
يا نسيب الثغام ذنبك ابقى حسناتى عند الحسان ذنوبا
ولئن عبن ما راين لقد انكرن مستنكرًا وعبن معيبا
او تصدّعن عن قِلًى لكفى بالشيب بينى وبينهن حسيبا
لو راى الله ان للشيب فضلًا جاورته الابرار فى الخلد شيبا — فى الشيب

قال قدس الله روحه وجرت الآمدى بذكر ان قومًا ادعوا المناقضة على ابى تمام لقوله
فابكى تماضرا ولعوبا وقوله خضبت خدّها الى لؤلؤ العقد وقوله يا نسيب الثغام ذنبك
ابقى وقوله ولئن عبن ما راين قالوا كيف يبكين دمًا على مشيبه ثم يعبنه قال الآمدى وليس
هذا تناقضًا لان المشيب انما ابكى تماضر ولعوبا اسفا على شبابه والحسان اللوانى عبنه
غيرهما من المراتين فيكون من اشفق عليه من الشيب منهن واسف على شبابه بكى كما قال الاخطل
لما رات بدل الشباب بكت له والشيب ارذل هذه الابدال
قال قدس الله روحه وليس يحتاج
ولم تكن هذه حال من عابه قال هذا مستقيم واضح
فى الاعتذار لابى تمام الى ما تكلفه الآمدى بل المناقضة زائلة عنه على كل حال وان كان من
بكى شبابه وتلهف عليه من النسآء هن اللوانى انكرن شيبه وعبنه وما المنكر من ذلك وكيف
يتناقض ان يبكى على شبابه ونزول شيبه منهن من راى الشيب ذنبا وعيبا منكرا وفى هذا
غاية المطابقة لانه لا يبكى للشيب ويجزع من حلوله وفراق الشباب الا من راه منكرا ومعيبا
وقال ابو تمام
راحت غوانى الحى عنك غوانيا يلبسن نايا تارة وصدودا
من كل سابغة الشباب اذا بدت تركت عميد القريتين عميدا
ازين بالمرد الغطارف بدّنا غيد الفهم لدانا غيدا
احلى الرجال من النساء مواقعا من كان اشبههم بهن خدودا

العطار بينا الباء

قوله ازين بالمرد من ازب بالشئ اذا لزمه واقام عليه يقال ارب والب بالمكان اذا لزمه
يريد انهن لزمن هوى المرد واقمن عليه ورواه قوم ازبين بالمرد من الربا الذى معناه الزيادة
يقال ربا الشئ اذا ازداد فيقول ازبين بالمرد اى ازددن علينا بهم وجعلن للمرد زيادة اخترنها علينا
ويقال انه اخذ قوله احلى الرجال من النساء مواقعا البيت من قول الاعشى
وارى الغوانى لا يواصلن امرءا فقد الشباب وقد يصلن الامردا — والمنصور النمرى
مثله
كرهن من الشيب الذى لو رايته بهن رايت الطرف عنهن ازوَرا — وهو قول الآخر
ارى شيب الرجال من الغوانى كموقع شيبهن من الرجال — موقع شيبهن ؟
وقال ابو تمام
شاب راسى وما رايت مشيب الراس الا من فضل شيب الفؤاد
وكذاك القلوب فى كل بؤس ونعيم طلائع الاجساد
طال انكارى البياض وان عمرت شيئا انكرت لون السواد
زارنى شخصه بطلعة ضيم عمرت مجلسى من العواد
نال راسى من ثغرة الهم لما لم ينله من ثغرة الميلاد

ومعنى هذا البيت ان الاخبار ان الثغرة وهى الفرجة والثلمة تكون فى الشئ ولذلك سمى كل بلد جاور
عدوًا ثغرا كان معناه انه مكشوف للعدو ويجوز ان يكون اصله من ثغر الانسان لانه اول ما يقابلك
من اسنانه واول ما يظهر عند الكلام واول ما يسقط فترى مكانه فتشبه الثغر الذى هو البلد به
ويقال اثغر الصبى واثغر وتسمى تلك الفرجة فى موضع السن ثغرة وفى كل موضع منفرج ومنه
ثغرة النحر واراد بقوله نال راسى من ثغرة الهم اى وجد الشيب الهم فرجة دخل على راسى منها لان
الهم يشيب لا محالة وقوله لما لم ينله من ثغرة الميلاد اراد بثغرة الميلاد الوقت الذى هجم عليه
فيه الشيب من عمره لانه يجد السبيل فى ذلك الوقت الى الحلول براسه فجعله ثغرة فى هذا الوجه
فاراد ان المشيب حل براسه من جهة همومه واحزانه لما لم يبلغ السن التى توجب حلوله به من
حيث كبره
قال قدس الله روحه ورايت الآمدى يطعن على قوله عمرت مجلسى من العواد

جاءَهُ عُوّادٌ يعودونه من الشيب ولا انّ احدًا

ويقول لا حقيقة لذلك ولا معنى لانّا ما رأينا ولا سمعنا احدًا أَمرضه الشيب ولا عاده المعزّون عن الشباب . وهذا من الآمدى قلّة نقدٍ للشعر وضعف بصيرة بدقيق معانيه التي تغوص عليها حذّاق الشعراء ، ولم يُرد بقوله عُدنَ مجلسي من العُوّاد العيادة الحقيقية التي يغشى فيها العُوّاد مجالس المرضى وذوي الاوجاع وانما هذا استعارة وتشبيه واشارة الى الغرض خفيّة وكأنه اراد انّ تخصّص الشيب لما زارني كثر المتوجّعون رثاءً والمتأسّفون على شبابي والمتفجّعون من مفارقتي فكأنّهم في مجلسي عوّاد لى لانّ من شأن العائد للمريض ان يتوجّع ويتفجّع وكنى بقوله عُدن مجلسي من العُوّاد من كثرة من يتفجّع له ويتوجّع من مشيبه وهذا من ابي تمام كلام في نهاية البلاغة والحسن وما المعيب الّا من عابه وطعن عليه ونحن نذكر في المجلس الآتي بمشيّة الله وعونه ما للبحتري في هذا المعنى

مجلس آخر ٥٥ تأويل آية

ان سأل سائل عن قوله تعالى هو الذى انزل من السماء ماءً لكم منه شرابٌ ومنه شجرٌ فيه تُسيمون فقال اذا كان الشجر لا يُنبت بعض الماء كما كان الشراب بعضًا له فكيف جاز ان يقول ومنه شجر بعد قوله شراب وما معنى تسيمون وهل الفائدة في هذه اللفظة هي الفائدة في قوله تعالى والخيل المسوّمة وفي قوله ولنمطرنا عليهم حجارةً من سجّيل منضودٍ مسوّمةً عند ربّك الجواب قلنا في قوله تعالى ومنه شجرٌ وجهان احدهما ان يكون المراد ومنه سقيُ شجرٍ وشربُ شجرٍ فحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه وذلك كثير في لغة العرب ومثله قوله تعالى واُشربوا في قلوبهم العجل اى حبّ العجل والوجه الآخر ان يكون المراد من جهة الماء شجرٌ ومن سقيه وانباته شجرٌ فحذف الاوّل وخلفه الثاني كما قال عوف بن الخرع

أَمِن آلِ ليلى عرفتَ الديارا بجنب الشقيق خلاءً قفارا

اراد من ناحية آل ليلى وقال ابو ذؤيب

أمنك البرقُ ارقبُهُ فهاجا فبتُّ اخاله دُهمًا خِلاجا

وقال ايضا

امنك برقٌ ابيتُ الليلَ ارقبُهُ كأنّه في عراض الشام مصباحُ

وقال الجعدي

أَمِنَ الديارِ تعفّتْ بالمِطْلالِ يقفين على حجج خلون طوالِ

اراد يقفين على من حجج وكرّ ان حجج . فامّا قوله تعالى فيه تُسيمون فمعناه ترعون وترسلون انعامكم يقال اسام الابل يُسيمها اسامةً اذا ارعاها واطلقها فرعت متصرّفةً حيث شاءت وسوّمها ايضا يسوّمها مثل ذلك وسامت هي اذا رعت فهي تسوم وهي ابل سائمة ويقال سمتها اذا قصرتها على مرعى بعينه وسمتها الخسف اذا تركتها على غير مرعى ومنه قيل لمن اذلّ واهتضم سيم فلان الخسف وسيم خطّة الضيم قال الكميت بن زيد في الاسامة التي هي الاطلاق في الرعي

راعيًا كان مُسجحًا ففقدناه وفقدُ المُسيم هُلكُ السَّوام

وقال آخر

واسكنُ ما سكنتُ ببطن وادٍ واظعنُ ما ظعنتُ فلا اُسيمُ

وذهب قوم الى ان السوم في البيع من هذا لانّ كلّ واحد من المتبايعين يذهب فيما يبيعه من زيادة ثمن او نقصانه الى ما يهواه كما تذهب سوائم المواشي حيث شاءت وقد جاء في الحديث لا سوم قبل طلوع الشمس فحمله قوم على انّ الابل وغيرها لا تُسام قبل طلوع الشمس لئلا تنتشر وتفوت الراعي وتخفى عليه مقاصدها وحمله آخرون على انّ السوم قبل طلوع الشمس في البيوع مكروه لانّ السلعة المبيعة تستتر عيوبها او بعضها فيدخل ذلك في بيوع الغرر المنهيّ عنها فامّا الخيل المسوّمة فقد قيل انّها المعلّمة بعلامات مأخوذ من السيما وهي العلامة ، وروى عن الحسن البصرى في قوله تعالى والخيل المسوّمة قال سوّم نواصيها واذنابها بالصوف وقيل ايضا انّ المسوّمة هي الحسان وروى عن مجاهد في قوله تعالى والخيل المسوّمة هي المطهّمة الحسان وقال آخرون بل هي الراعية روى ذلك عن سعيد بن جبير وكلّ ذلك يرجع الى اصل واحد وهو معنى العلامة لانّ تحسين الخيل يجرى مجرى العلامة فيها التي تعرف بها وتميّز لمكانها وقيل انّ السوم من الرعى يرجع الى هذا المعنى ايضا لانّ الراعى يجعل في المواضع التي رعاها علامات او كانت العلامات بما يتبيّن فيها من رعيها ومحوه من آثارها وكان الاصل في الكل متّفق غير مختلف وقال لبيد في التسويم الذى هو التعليم

وغداة قاع القُرنتين اتينهم رهوًا يلوح خلالها التسويمُ

اراد التعليم فامّا قوله في الملائكة مسوّمين فالمراد به معلّمين وكذلك قوله حجارة من سجّيل

منضود مسومة اي معلمة وقيل انه كان عليها كامثال الخواتيم   قال قدس الله روحه ونعود
الى ما كنا وعدنا به من ذكر ما للبحتري في ذم الشيب والتألم من فقد الشباب فمن ذلك قوله

وكنت ارجي في الشباب شفاعة فكيف لباغي حاجة بشفيعه
مشيب كبث السر عي بحمله محدثه او ضاق صدر مذيعه
تلاحق حتى كاد ياتي بطيئه لحث الليالي قبل اني سريعه

وما احسن هذا من كلام ذا بلغة واطبعه   وقال ايضا

ردي على الصبي ان كنت فاعلة ان الصبا ليس من شاني ولا اربي
جاوزت حد الشباب النضر ملتفتا الى بنات الصبي يركضن في طلبي
والشيب مهرب من جارى منيته ولا نجاة له من ذلك الهرب
والمرء لو كانت الشعرى له وطنا صبت عليه صروف الدهر من صبب

وقال ايضا

لابن من شبيبة ام ناض ومليح من شيبة ام راض
واذا ما امتعضت من ولع الشيب براسي لم يغن ذاك امتعاضي
ليس يرضى عن الزمان مرو فيه الا عن غفلة او تغاضي
والبواقي من الليالي وان خالفن شيئا مشبهات المواضي
ما كنت ملقي وناكرت منها سوى هذي الابدال والاعواض
شعرات اقصهن ويرجعن رجوع السهام في الاغراض
وابت ركبي الغديات في الاصال حتى خضبت بالمقراض
غير نفع الا التعلل من شخص عدو لم يعده اغماضي
ودواء المشيب كالبخص في عيني فقل فيه في العيون المراض
طبنت نفسي عن الشباب وما سود من صبغ برده الفضفاض
فهل الحادثات يا ابن عوف تاركاتي ولبس هذا البياض

وقال ايضا

تعيب الغانيات علي شيبي ومن لي ان امتع بالمعيب
ووجدي بالشباب وان تولى حميدا دون وجدي بالمشيب

وقال ايضا

اراك به من بعد جثل فاحم جون المفارق والنهار خضيبا
فعجبت من حالين خالف منهما صرف الزمان وما رايت عجيبا

وقال ايضا

ان الزمان اذا تتابع خطبه سبق الطلوب وادرك المطلوبا
بانت فلتنا الشيب فابتسمت لها وفي النجوم لو طلعن باسعد

وقال ايضا

اعاتك ما كان الشباب مقربي اليك فالحي الشيب اذ كان مبعدي
عتبت بكبري قسوة منك ما ان تزال تجدد فيها ذنوبا
وحملت عندك ذنب المشيب حتى كاني ابتدعت المشيبا
ومن يطلع شرف الاربعين يحي من الشيب شخصا عجيبا

قال   قدس الله روحه ولي في هذا المعنى

فلن لما رابن وخطا من الشيب براسي اغبا على محمودي
كسنا بارق تعرض وهنا في حواشي بعض الليالي السود
ابياض مجدد من سواد كان فيما لا من حبا بالجديد
بالجاكي من رماكن بالحسن لتقهرننا بغير جنود
ليس بيضي مني فاجزي عليهن صدودا اوليس منكرن سودي

وقال البحتري ايضا

فلما ضرتكن من شعرات كن يوما علا الوقار شهودي
خليا وجرة اللوم لا ام رداء الشباب غضا جديدا

وقال ايضا

ان ايامه من البيض بيض ما رأينا المفارق السود سودا
ترك السواد للابسيه وبيضا ونضا من السنين عنه ما نضا
وشاه اغيد في نصرف لحظه مرض اعل به القلوب وامرضا

فكانه وجد الصبي وجديده زمنا دنا ميقاته ان ينقضا

وقال ايضا

اسوان اترى من جوى وصبابة واساف من وصل الحسان وانقضا

هل انت صارف شيبة ان غلست في الموقف او عجلت عن الميعاد

جاءت مقدمة امام طوالع هذي تراوحني وتلك تغادي

واخو الغبينة تاجر في لمة يشري جديد بياضها بسواد

لا تكذبن فما الصبي بمخلف لهوا ولا زمن الصبي بمعاد

وارى الشباب على غضارة حسنه وجماله عددا من الاعداد

وقال ايضا

ابقي الشباب امام ما يوتى منه في الدهر دولة ما تعود

لا ارى العيش والمفارق في نضر اسوة العيش والمفارق سود

واعز الشفيق جدا ولو اعطى عنهما حتى يقال سعيد

من عدته العيون وانصرفت عنه التفاتا الى سواه الخدود

وقال ايضا

فذكر مني فاجئ الشيب الا ان ضلوعي على جوى الحب تحنا

لو ان حادث الخضاب لانت وادنت من احمرار البون تا

كلف البيض بالمعمر قدرا جين بكلف والمصعرين سنا

وقال ايضا

يتشاغفن بالمرير المسمى من تصابي دون الجليل المكنا

اخي ان الصبا اسمى به شيب الليالي فانهجت برده

تصد عن الحسان بمعده اذا ما لاقيته ولا صدده

شيب على المفرقين بارضه يكثر في ان ابينه عدده

تطلب عندي الشباب ظالمة بعد خمسين حجة لا تجده

لا عجب ان ملكن خلتنا فافتقد الوصل منك مفتقده

من يتطاول عمرا تطاوله العيش يقعقع من مله عمده

قال — قدس الله روحه — ورايت الآمدي قد اخطا في معنى هذا البيت الاخير لانه قال معنى يقعقع من مله عمده اي عظامه يجي لها صوت اذا قام او قعد من كبره وضعفه قال وقوله من مله اي من تملي العيش يريد طوله ومدة امده ومنه تمليت حبيبك والامر بخلاف ما توهمه ومعنى يقعقع من مله عمده اي من تطاول عمره تعجل برحلته واشفا له عن الدنيا وكني عن ذلك بقعقعة العمد وهذا مثل معروف للعرب يقولون من يجتمع يتقعقع عمده يريدون ان التجمع داعي التفرق وان الاجتماع يعقبه ويورث ما يدعو الى الانتقال الذي يتقعقع معه العمد والآمدي على كثرة ما يدعيه من التنقيب والتنقير عن علوم العرب ان كان لم يعرف هذا المثل ومعناه فهو طريف وان كان قد سمعه وجهل ان معنى بيت البحتري يطابقه فهو اطرف فاما قوله من مله فانما اراد به من مله وملة فعلة من الملل وكيف يكون من تملي العيش ولم يسمع في تمليت مله وهذا خطا على خطا

وقال البحتري

ما كان شوقي ببديع يوم ذاك ولا دمعي باول دمع للهوى سفحا

ولمة كنت مشغوفا بجدتها فما عفا الشيب باقيها ولا صفحا

وقال ايضا

وما انس لا انس عهد الشباب وعلوة اذ عيرتني الكبر

كواكب شيب علقن الصبي فقللن من حسنه ما كثر

واني وجدت فلا تكذبن سواد الهوى في بياض الشعر

ولا بد من ترك احدى اثنتين اما الشباب واما العمر

قال الآمدي وعليه في قوله ولا بد من ترك احدى اثنتين معارضة وهو ان يقال ان من مات شابا فقد فارق الشباب وفاته العمر ايضا فهو تارك لهما معا ومن شاب وفارق الشباب فهو مفارق للعمر لا محالة فهو ايضا تارك لهما جميعا وقوله اما واما لا يوجب الا احدهما قال والعذر للبحتري ان يقال ان من مات شابا فقد فارق الشباب وحده لانه لم يعمر فيكون مفارقا للعمر الا تراهم يقولون عمر فلان اذا اسن وفلان لم يعمر اذا مات شابا ومن شاب وعمر ثم مات لم يكن مفارقا للشباب في حال موته لانه قد قطع ايام الشباب وبعد من مفارقته له وانما يكون في حال موته مفارقا

للعمر وحده فالى هذا ذهب البحترى وهو صحيح ولم يرد بالعمر المدة القصيرة التى يعمرها الانسان
وانما اراد بالعمر هاهنا الكبر كما قال زهير

رايت المنايا خبط عشواء من تصب تمته ومن تخطئ يعمر فيهرم

قال السيد قدس الله روحه وما رايت اشد تهافتا فى الخطا منه فيما يفسره ويتكلم عليه من شعر هذين الرجلين ومعنى البيتين غير بعيد وبيته ومواطئه من ان يخفى حتى يحتاج فيه الى هذا التغلغل والتعسف وانما اراد البحترى ان الانسان بين حالين اما ان يفارق الشباب بالشيب او يفارق العمر بالموت فمن مات شابا وان كان قد خرج عن العمر وخرج بخروجه عن سائر احوال الحياة من شباب وشيب وغيرهما فانه لم يفارق الشباب وحده وانما فارق العمر الذى فارق بمفارقته الشباب وغيره وقسمة الرجل انما وقعت فى احد الامرين اما مفارقة الشباب وحده بلا واسطة ولن يكون ذلك الا بالشيب او مفارقة العمر بالموت وتلخيص كلامه انه لا بد للحى من شيب او موت فكان الشيب والموت متعاقبان والبحترى انما جعل قوله العمر مكان الحياة والبقاء وانما قال العمر لاجل القافية مع انه مبين عن مراده ولو قال من ترك الشباب او ترك الحياة لقام مقام قوله العمر واحسن ما ابو عبيد الله المرزبانى قال حدثنى على بن محمد الكاتب قال حدثنا احمد بن عبيد الله قال من معانى ابن الرومى التى فتحها قوله يرثى من جعل مصيبة غيره منسية له مصيبته وعاب من تعلل بالتاسى بما نال غيره وهو يرثى شبابه واحسن

يا شبابى واين منى شبابى آذنتنى اياته بانقضاب
لهف نفسى على نعيمى ولهوى تحت افنانه اللدان الرطاب
ومعيرى عن الشباب مواسٍ بمشيب اللدات والاتراب
قلت لما انتحى يعد اساه من مصاب شبابه لمصاب
ليس تاسو كلوم غيرى كلومى ما به ما به وما بى ما بى

ولابن الرومى

لهفى على الدنيا وهل لهفة تنصف منها ان لهفتها

فيحا لها قبحا على انها اقبح شى حين كشفتها
وقد تعرت بى شباب مضى ومدة للعيش اسلفتها
فكن فى خمسين عاما مضت كانت امامى ثم خلفتها
اجملتها اذ هى موفورة ثم مضت عنى ففرقتها
ففرحة الموهوب اعددتها وترحة المسلوب اخفيتها
لو ان عمرى مائة هدنى تذكرى انى تنصفتها

وله فى هذا المعنى وقد تقدمت هذه الابيات فى الامالى السالفة وقد احسن فى معناها كل الاحسان

كفى بسراج الشيب فى الراس هاديا الى من قد اضلته المنايا لياليا
امن بعد ابداء المشيب مقاتلى لرامى المنايا تحسبينى ناجيا
غدا الدهر يرمينى فتدنو سهامه لشخصى اخلق ان يصبن سواديا
وكان كرامى الليل يرمى ولا يرى فلما اضاء الشيب شخصى رمانيا

مجلس آخر مو تاويل آية

ان سال سائل عن قوله تعالى ليس لك من الامر شى او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون فقال كيف جاء او يتوب وبعد ما لا يجوز ان يعطف عليه وما الناصب لقوله او يتوب عليهم وليس فى الكلام ما يقتضى نصبه الجواب قلنا قد ذكر فى ذلك وجوه اولها ان يكون قوله او يتوب عليهم معطوفا على قوله تعالى ليقطع طرفا والمعنى انه تعالى عجل لكم هذا النصر ومكنكم به ليقطع طرفا من الذين كفروا اى قطعة منهم وطائفة من جمعهم او يكبتهم اى يغلبهم ويهزمهم بكم فيخيب سعيهم ويكذب فيكم ظنونهم او يعظهم ما يرون من تظاهر آيات الله تعالى الموجبة لنصر نبيه صلى الله عليه وسلم فيتوبوا او يومنوا فيقبل الله ذلك منهم ويتوب عليهم او يكفروا بعد قيام الحجج وتاكد البينات والدلائل فيموتوا او يقتلوا كافرين فيعذبهم الله باستحقاقهم فى النار ويكون على هذا الجواب قوله تعالى ليس لك من الامر شى معطوفا على قوله تعالى وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم اى ليس لك ولا لغيرك من هذا النصر

شيء وانما هو من الله عز وجل والجواب الثاني ان يكون او بمعنى حتى والا ان والتقدير ليس لك من الامر شيء حتى يتوب عليهم والا ان يتوب عليهم وكما قال امرؤ القيس

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه وايقن انا لاحقان بقيصرا

فقلت له لا تبك عينك انما نحاول ملكا او نموت فنعذرا

اراد الا ان نموت وهذا الجواب يضعف من طريق المعنى لان لقائل ان يقول ان امر الخلق ليس الى احد سوى الله تعالى قبل توبة العباد وعقابهم وبعد ذلك فكيف يصح ان يقول ليس لك من الامر شيء الا ان يتوب عليهم او يعذبهم حتى كانه اذا كان احد الامرين كان اليه من الامر شيء ويمكن ان ينصر ذلك بان يقال قد يصح الكلام اذا حمل على المعنى وذلك ان قوله ليس لك من الامر شيء معناه ليس يقع ما تريده وتؤثره من ايمانهم وتوبتهم او ما تريده من استئصالهم وعذابهم على اختلاف الرواية في معنى الاية وسبب نزولها الا بان يلطف الله لهم في التوبة فيتوب عليهم او يعذبهم وتقدير الكلام ليس يكون ما تريده من توبتهم وانابتهم بك وانما يكون ذلك بالله تعالى والجواب الثالث ان يكون المعنى ليس لك من الامر شيء او من ان يتوب عليهم فاضمر من اكتفاء بالاولى واضمر ان بعدها لدلالة الكلام عليها واقتضائه لها وبني مع الفعل الذي بعدها بمنزلة المصدر وتقدير الكلام ليس لك من الامر شيء ومن توبتهم ومن عذابهم قال قدس الله روحه ووجدت ابا بكر محمد بن القسم الانباري يطعن على هذا الجواب ويستبعده قال لان الفعل لا يكون محمولا على اعراب الاسم الجامد الذي لا تصرف له على اضمار ان واتباع الفعل لانه ليس من كلام العرب عجبت من اخيك ويقوم على معنى عجبت من اخيك ومن ان يقوم لان اخيك اسم جامد محض لا يعطف عليه الا ما شاكله قال وهذا انما يستقيم ويصلح في رد الفعل على المصدر كقولهم كرهت غضبك ويغضب ابوك على معنى كرهت غضبك وان يغضب ابوك فيطرد هذا في المصادر لانها تتاول بان ويقول القائل يعجبني قيامك وتاويله يعجبني ان تقوم قال والاسم الجامد لا يمكن هذا فيه قال قدس الله روحه وليس الذي ذكره ابن الانباري مستبعدا وان لم يضعف هذا الجواب الا من حيث ذكر فليس بضعيف وذلك ان فيها اتسع

اخاك

منه مثل الذي اجازه لانه قد اجاز ذلك في المصادر وان لم يجزه في غيرها وقوله تعالى ليس لك من الامر شيء فيه دلالة على الفعل لان الامر مصدر امرت امرا فكانه قال تعالى ليس لك من امرهم او ان تامرهم شيء ولا من ان يتوبوا ويجري ذلك مجرى قولهم كرهت غضبك ويغضب ابوك في رد الفعل على المصدر و الوجه الاول اقوى الوجوه والله اعلم بما اراده

تأويل خبر ان سأل سائل عن معنى الخبر الذي يرويه ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه انه قال لا تناجشوا ولا تدابروا كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه الجواب قيل له اما التناجش فهو المدح والاطراء قال نابغة بني شيبان يذكر الخمر

وترخي بال من يشربها ويفدي كرمها عند النجش

اي عند مدحها ومنه التناجش في المبيع وهو مدح السلعة والزيادة في ثمنها من غير ارادة لشرائها بل ليقتدي بالزائد في الزيادة غيره واصل النجش استخراج الشيء والتنقير عنه قال بعض الفقعسيين

اجرش لها يا ابن ابي كباش فما لها الليلة من انفاش

الا السري وسائق نجاش اسمر مثل الحية الخشخاش

ويروى الخشاش فالنجاش هو المستثير لسيرها المستخرج لها عندها منه اجرس لها اي احد لها لتسمع الحداء فتنبعث وهو ماخوذ من الجرس وهو الصوت ومعنى الانفاش اراد انها لا تترك ترعى ليلا والنفش ان ترعى الابل ليلا وقد انفشتها اذا ارسلتها بالليل ترعى والخشخاش الخفيف الحركة السريع التقلب والتناجش في البيوع معناه يرجع الى هذا ايضا لان الناجش يستثير بزيادته في الثمن ومدحه للسلعة الزيادة في ثمنها فيكون معنى الخبر على هذا لا تناجشوا اي لا يمدح احدكم السلعة فيزيد في ثمنها وهو لا يريد شراءها ليسمعه غيره فيزيد وقد يجوز ايضا ان يريد بذلك لا يمدح احدكم صاحبه من غير استحقاق ليستدعي منفعته ويستثير فائدته وهذا المعنى اشبه بان يكون مرادا لان قوله ولا تدابروا اشد مطابقة له ومعنى لا تدابروا اي لا تهاجروا ويولي كل واحد منكم صاحبه دبره ووجهه قال الشاعر

واوصى ابو قيس بان تتواصلوا واوصى ابوكم ويحكم ان تدابروا

رواه ابن السكيت اجرش وانكروا عليه وروى هذا الحرف الخشاش ايضا ومعنى

فكأنه قال لا تمادحوا وتواصلوا بالمدح الذي ليس بمستحق ولا تهاجروا وتقاطعوا فاما قوله
صلى الله عليه وآله كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله فقد ذهب قوم الى ان عرض الرجل
سلفه من آبائه وامهاته ومن جرى مجراهم وذهب ابن قتيبة الى ان عرض الرجل نفسه واحتج
بحديث النبي صلى الله عليه وآله حين ذكر اهل الجنة فقال لا يبولون ولا يتغوطون وانما هو عرق يجري
من اعراضهم مثل المسك اي من ابدانهم قال ومنه قول ابي الدرداء اقرض من عرضك ليوم فقرك اي من
شتمك فلا تشتمه ومن ذكرك بسوء فلا تذكره به ودع ذلك قرضا لك ليوم الجزاء والقصاص واحتج
ايضا بحديث الحسن عن رسول الله صلى الله عليه انه قال ايعجز احدكم ان يكون كابي ضمضم كان اذا خرج
من منزله قال اللهم اني قد تصدقت بعرضي على عبادك قال معناه قد تصدقت بنفسي واحللت من
يغتابني فلو كان العرض الاسلاف ما جاز ان يحلل من سب الموتى لان ذلك اليهم لا اليه قال ويدل على ذلك
ايضا حديث سفين بن عيينة لو ان رجلا اصاب من عرض رجل شيئا ثم تورع من بعد فجاء الى ورثته
بعد موته فاحلوه لم يكن ذلك كفارة له ولو اصاب من ماله شيئا ثم دفعه الى ورثته لكان ذلك
كفارة له قال ويدل على ان عرض الرجل نفسه قول حسان

هجوت محمدا فاجبت عنه … وعند الله في ذاك الجزاء
فان ابي ووالده وعرضي … لعرض محمد منكم وقاء

اراد فان ابي وجدي ونفسي وقاء لنفس محمد صلى الله عليه وآله. وقال آخرون هو الصحيح العرض موضع
المدح والذم من الانسان فاذا قيل ذكر عرض فلان معناه ذكر ما يرتفع او يسقط بذكره من مدح او ذم به
وقد يدخل في ذلك ذكر الرجل نفسه وذكر آبائه واسلافه لان كل ذلك مما يمدح به ويذم والذي يدل
على ان اهل اللغة لا يفرقون في قولهم شتم فلان عرض فلان بين ان يكون ذكره في نفسه بقبيح الافعال هذا
او شتم سلفه وآباءه ويدل عليه قول مسكين الدارمي

رب مهزول سمين عرضه … وسمين الجسم مهزول الحسب

فلو كان العرض نفس الانسان لكان
الكلام متناقضا لان السمن والهزال يرجعان الى شيء واحد وانما اراد رب مهزول لسكر به افعاله وكريم

آباؤه واسلافه وقال ابن عبدل الاسدي

واني لاستغني فما ابطر الغنى … وابذل ميسوري لمن يبتغي قرضي
واعسر احيانا فتشتد عسرتي … وادرك ميسور الغنى ومعي عرضي

ولا يليق ذلك الا بما ذكرناه قال وقد وجدت ابا بكر الانباري وقد رد على ابن قتيبة قوله هذا وطعن
على ما احتج به فقال في الحديث المروي عنه عليه السلام في وصف اهل الجنة ان المراد بالاعراض مغابن
الجسد وحكي عن الاموي انه قال الاعراض المغابن التي تعرق من الجسد نحو الابطين وغيرهما وقال
في حديث ابي الدرداء معناه من عابك وذكر اسلافك فلا تجازه ليكون الله تعالى هو المتولي لك وقال في
قول ابي ضمضم معناه انه احل من اوصل اليه اذى بذكره وذكر آبائه فلم يحل الا من امر اليه وقال في
قول حسان المراد بعرضه ها هنا اسلافه كانه قال ان ابي ووالده وجميع اسلافي الذين امدح واذم
من جهتهم وقاء له عليه السلام فاتى بالعموم بعد الخصوص كما قال تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن
العظيم فاتى بالعموم بعد الخصوص ولم احفظ ذكره في خبر سفيان بن عيينة شيئا وما يليه يقرب من
تاويل خبر ابي ضمضم لان من آذى رجلا بسبه في نفسه او بسب سلفه وادخل عليه بذلك وضعا
ونقصا لم يكن الى ورثته بعد موته الاحلال من ذلك لان الاذى لم يدخل عليهم ولو كان داخلا ايضا عليهم
مع دخوله على المسبوب لكان احلالهم مما يرجع الى غيرهم لا يصح على ان في الاحلال من الضرر وسقوط
العوض المستحق عليه وهل يسقط باسقاط مستحقه اولا كلاما ليس هذا موضعه وقد ذكرناه في
مواضع. وبعد فلو سلم لابن قتيبة ان المراد بالعرض في كل المواضع التي ذكرها النفس دون السلف
او سلم له ذلك في بيت حسان خاصة فانه اقرب الى ان يكون المراد به ما ذكر لم يقدح فيما ذكرناه
لانا لم نقل ان العرض مقصور على سلف الانسان بل ذكرنا انه موضع الذم والمدح من الانسان ولا
فرق بين نفسه وسلفه فكيف يكون الاحتجاج بما المراد بالعرض فيه النفس طعنا علينا وانما ينفع
ابن قتيبة ان ياتي بما يدل على ان العرض لا يستعمل الا في النفس دون السلف وكل شيء ورد مما
المراد بالعرض فيه النفس او المراد به السلف فهو تاكيد لقولنا في ان هذه اللفظة مستعملة في موضع

الذم والمدح من الإنسان وإنما يكون ما استشهدنا به وما جرى مجراه مما يدل على استعمال لفظة العرض في معنى السلف حجة على ابن قتيبة لأنه قصر معناها على النفس والذات دون السلف وهذا واضح بيّن بحمد الله ومنه. أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثنا الحسن بن دريد قال أخبرنا أبو حاتم قال كان أبو عبيدة معمر بن المثنى صفرياً وكان يكتم ذلك فأنشدني لعمران بن حطان

محدث

صفرياً أي خارجياً والصفرية فرقة من الخوارج

أنكرتُ بعدك من قد كنت أعرفه ... ما الناس بعدك يا مرداس بالناس

إما ترى ذقت كاساً دار أولها ... على القرون فذاقوا نهلة الكاس

أبو بلال أحد أمراء الخوارج

فكنت أبكيك حيناً ثم قد يئست ... نفسي فما ردّ عني عبرتي يأسي

وأخبرنا أبو عبد الله قال أخبرنا ابن دريد قال حدثنا الأشنانداني قال قال التوزي كنت إذا أردت أن أنشط أبا عبيدة سألته عن أخبار الخوارج فأسمع منه تبجح بحر فجئته يوماً وهو مطرق ينكت في الأرض في صحن المسجد وقد قربت منه الشمس في جماعة فسلمت عليه فلم يرد علي السلام فتمثلت

وما للمرء خير في حياة ... إذا ما عد من سقط المتاع

والبيت لقطري بن الفجاءة فنظر إليّ وقال ويحك أتدري من يقوله فقلت قطري بن الفجاءة فقال اسكت فض الله فاك فألا قلت أمير المؤمنين أبو نعامة ثم انتبه فقال اكتمها علي يا توزي فقلت هي ابنة الأرض فأنشدني

أقول لها إذا جاشت حياءً ... من الأبطال ويحك لن تراعي

فإنك لو طلبت حياة يوم ... على الأجل الذي لك لن تطاعي

فصبراً في مجال الموت صبراً ... فما نيل الخلود بمستطاع

وما طول الحياة بثوب مجد ... فيطوى عن أخي الخنع اليراع

سبيل الموت منهج كل حي ... وداعيه لأهل الأرض داعي

ومن لا يغتبط يسأم ويهرم ... ويفض به الخلود إلى انقطاع

وما للمرء خير في حياة ... إذا ما عد من سقط المتاع

فكتبتها وقمت لانصرف فقال اقعد ثم أنشدني

تغادرني ... مغادرتها

المعادرة بالغين المعجمة ... (marginal note, partly illegible)

إلى كم تغادرني السيوف ولا أرى ... مغادرتها تدعو إلى حماميا

أقارع عن دار الخلود ولا أرى ... بقاءً على حال لمن ليس باقيا

ولو قرّب الموت القراع لقد أنى ... لموتي أن يدنو لطول قراعيا

أغادي جلاد المعلَمين كأنني ... على العسل الماذيّ أصبح غاديا

المعلمين

وأدعو الكماة للنزال إذا القنا ... تحطّم فيما بيننا من طعانيا

للنزال

ولست أرى نفساً تموت وإن دنت ... من الموت حتى يبعث الله داعيا

وقال ابن دريد وهذا الشعر لقطري بن الفجاءة. أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد الكاتب قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا أبو حاتم قال جئت أبا عبيدة يوماً ومعي شعر عروة بن الورد فقال فارغ حمل شعر فقير ليقرأه على فقير فقلت ما معي غيره فأنشدني أنت ما شئت فأنشدني

جامز

يا ربّ ظلّ عقاب قد وقيت به ... مهري من الشمس والأبطال تجتلد

وربّ يوم حمىً أرعيت عقوته ... مخيلي فيتساراً وأطراف القنا قصد

ويوم لهو لأهل الخفض ظلّ به ... لهوي اصطلاء الوغى إذ نارها تقد

مشهّراً موقفي والحرب كاشفة ... عنها القناع وبحر الموت يطّرد

وربّ هاجرة تغلي مراجلها ... يجبتها بمطايا غارة تخد

تجتاب أودية الأفزاع آمنة ... كأنها أسد يقتادها أسد

فإن أمت حتف أنفي لا أمت كمداً ... على الطعان وقصر العاجز الكمد

ولم أقل لم أساق الموت شاربه ... في كأسه والمنايا شرّع ورد

ثم قال لي هذا الشعر لا ما تعللون به أنفسكم من أشعار المخانيث والشعر لقطري بن الفجاءة. و

ابن دريد قال أخبرنا

أخبرنا علي بن محمد الكاتب قال أخبرنا أبو حاتم قال كان أبو عبيدة يأنس بي في أول ما اختلفت إليه ويسألني عن خوارج سجستان لأنه كان يظنني على رأيهم وكنت أوهمه أني على رأيهم فنالني لذلك منه عناية خاصة فكان كثيراً ما ينشدني أشعارهم ثم ينشد قال

أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البنا وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا شددوا

قال وأنشدني يوماً الرجل من طيّئ من الخوارج

كابن سليمان من شار لحي نفيه أو كابن علقمة المستشهد الشاري

من صادق كنت أصفيه مخالصتي فباع داري بأعلى صفقة الدار

إخوان صدق أرجّيهم وأحذرهم أشكو إلى الله إخواني وأحذاري

فمن صاحب دنيا لست أملكها وصار صاحب جنات وأنهار

مجلس آخر مز تأويل آية إن سأل سائل عن قوله تعالى بلغ

وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء فقال ما اليد التي أضافتها اليهود إلى الله تعالى وادعوا أنها مغلولة وما نرى عاقلاً من اليهود ولا غيرهم يزعم أن لله يداً مغلولة واليهود تتبرأ من أن يكون فيها قائل بذلك وما معنى الدعاء عليهم بغلت أيديهم وهو تعالى ممن لا يصح أن يدعو على غيره لأنه قادر على أن يفعل ما يشاء وإنما يدعو الداعي بما لا يتمكن من فعله طالباً له. الجواب قلنا يحتمل أن يكون قوم من اليهود وصفوا الله تعالى بما يقتضي تناهي مقدوره فجرى ذلك مجرى أن يقولوا إن يده مغلولة لأن عادة الناس جارية بأن يعبروا بهذه العبارة عن هذا المعنى فيقولون يد فلان منقبضة عن كذا ويده لا تنبسط إلى كذا إذا أرادوا وصفه بالفقر والقصور ويشهد لذلك قوله تعالى في موضع آخر لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء ثم قال تعالى مكذباً لهم بل يداه مبسوطتان أي أنه ممن لا يعجزه شيء وثنى اليد تأكيداً للأمر وتفخيماً له وكان ذلك أبلغ في المعنى المقصود من أن يقول يده مبسوطة وقد قيل إن اليهود وصفوا الله تعالى بالبخل واستبطأوا فضله ورزقه وقيل إنهم قالوا على سبيل الاستهزاء إن إله محمد الذي أرسله يداه إلى عنقه إذ ليس يوسع عليه وعلى أصحابه فرد الله تعالى قولهم وأكذبهم بقوله بل يداه مبسوطتان واليد هاهنا النعمة والفضل وذلك معروف في اللغة ظاهر في كلام العرب وأشعارهم ويشهد له من الكتاب قوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط ولا معنى لذلك إلا الأمر

بترك إمساك اليد عن النفقة في الحقوق وترك الإسراف إلى القصد والتوسط ويمكن أن يكون الوجه في تثنية النعمة من حيث أريد بها نعم الدنيا ونعم الآخرة لأن الكل وإن كانت نعم الله تعالى فمن حيث اختص كل واحد من الأمرين بصفة تخالف صفة الآخر صار كأنهما جنسان أو قبيلان ويمكن أيضاً أن يكون تثنية النعمة أنه أريد بها النعم الظاهرة والباطنة. فأما قوله غلت أيديهم ففيه وجوه أولها أن يكون ذلك على غير سبيل الدعاء قد قيل قوله غلت وموضع غلت نصب على الحال كأنه تعالى قال وقالت اليهود كذا وكذا في حال ما غل الله أيديهم ولعنهم وحكم بذلك فيهم ويسوغ إضمار قد هاهنا كما ساغ في قوله تعالى إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت والمعنى فقد صدقت وقد كذبت وثانيها أن يكون معنى الكلام وقالت اليهود يد الله مغلولة فغلت أيديهم أو وغلت أيديهم وأضمر الفاء والواو لأن كلامهم تم واستؤنف بعده كلام آخر ومن عادة العرب أن تحذف فيما يجري مجرى هذا الموضع ومن ذلك قوله تعالى إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزواً أراد فقالوا أتتخذنا هزواً فأضمر الفاء لتمام الكلام موسى عليه السلم ومنه قول الشاعر

واذ قال موسى لقومه

لما رأيت نبطاً أنصارا شمرت عن ركبتي الإزارا كنت لها من النصارى جارا

أراد وكنت فأضمر الواو وثالثها أن يكون القول خرج مخرج الدعاء إلا أن معناه التعليم من الله تعالى والتأديب فكأنه جلت عظمته وقفنا على الدعاء عليهم وعلمنا ما ينبغي أن نقوله فيهم كما علمنا الاستثناء في غير هذا الموضع بقوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين وكل ذلك جلي واضح بحمد الله

تأويل خبر إن سأل سائل عن الخبر الذي روي عنه صلى الله عليه وآله أنه قال لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده. الجواب

يجب

قلنا قد تعلق بهذا الخبر صنفان من الناس فالخوارج تتعلق به وتدعي أن القطع في القليل والكثير و يستشهد به على ذلك وبظاهر قوله تعالى والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما ويتعلق بهذا الخبر أيضاً الملحدة والشكاك ويدعون أنه مناقض للرواية المتضمنة أنه لا قطع إلا في ربع دينار

ونحن نذكر ما فيه • أول ما نقوله أن الخبر مطعون عند أصحاب الحديث على سنده وقد حكى ابن قتيبة
في تأويله وجها عن يحيى بن أكثم طعن عليه وضعّفه وذكر عن نفسه وجها آخر نحن نذكرهما وما فيهما و
نتبعهما بما نختاره • قال ابن قتيبة كنت حضرت يوما مجلس يحيى بن أكثم بمكة فرأيته يذهب إلى
أن البيضة في هذا الحديث بيضة الحديد التي تغفر الرأس في الحرب وأن الحبل من حبال السفن قال
وكل واحد من هذين يبلغ دنانير كثيرة قال ورأيته يعجب بهذا التأويل ويبدئ فيه ويعيد ويرى
أنه قطع به حجة الخصم • قال ابن قتيبة وهذا إنما يجوز على من لا معرفة له باللغة ومخارج الكلام
وليس هذا موضع تكثير لما يأخذه السارق فيصرفه إلى بيضة تساوي دنانير وحبل لا يقدر على حمله
السارق ولا من عادة العرب والعجم أن يقولوا قبح الله فلانا عرّض نفسه للضرب في عقد جوهر وتعرّض
لعقوبة الغلول في جراب مسك وإنما العادة في مثل هذا أن يقال لعنه الله تعرّض للقطع في حبل رث
وإداوة خلق وكبة شعر وكلما كان من ذلك أحقر كان أبلغ قال والوجه في الحديث أن الله عز وجل لما
أنزل على رسوله صلى الله عليه وآله والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا قال رسول الله
لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده على ظاهر ما نزل عليه في ذلك الوقت ثم أعلمه الله تعالى
بعد أن القطع لا يكون إلا في ربع دينار فما فوقه ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله يعلم من حكم الله تعالى إلا
ما علّمه الله وما كان الله عز وجل يعرّفه ذلك جملة بل ينزل له شيئا بعد شيء • قال قدس الله روحه
ووجدت أبا بكر بن الأنباري يقول ليس الذي طعن به ابن قتيبة على تأويل الخبر بشيء لأن البيضة من
السلاح ليست علما في كثرة الثمن ونهاية في غلو القيمة فتجري مجرى العقد من الجوهر والجراب من
المسك اللذين ربما ساويا الألوف من الدنانير والبيضة من الحديد ربما اشتريت بأقل مما يجب
فيه القطع وإنما أراد عليه السلام أنه يكتسب قطع يده بما لا غنى به لأن البيضة من السلاح لا يستغني
بها أحد والجوهر والمسك في اليسير منهما غنى • قال قدس الله روحه والذي نقوله أن ما طعن
به ابن الأنباري على كلام ابن قتيبة متوجه وليس في ذكر البيضة والحبل تكثير كما ظن فيشبه العقد
والجراب من المسك غير أنه يبقى في ذلك أن يقال أي وجه لتخصيص البيضة والحبل بالذكر وليسا مما

صح كلما

النهاية في التقليل فإن كان لما ذكره ابن الأنباري من أن المعنى أنه يسرق ما لا يستغني به فليس ذكر
ذلك بأولى من غيره فلا بد من ذكر وجه في ذلك فأما تأويل ابن قتيبة فباطل لأن النبي صلى الله عليه
وآله لا يجوز أن يقول ما حكاه عند سماع قوله والسارق والسارقة لأن الآية مجملة مفتقرة إلى بيان و
لا يجوز أن يصرفها إلى بعض محتملاتها دون بعض بلا دلالة على أن أكثر من قال إن الآية غير مجملة وإن ظاهر
القول يقتضي العموم يذهب إلى ما اقتضى تخصيصها بسارق دون سارق فلم يتأخر عن حال الخطاب بها
فكيف يصح ما قاله من أن الآية تقدمت ثم تأخر تخصيص السراق ولو كان ذلك كما ظن لكان المتأخر ناسخا
للآية وعلى أن تأويله هذا يقتضي أن يكون كل الخبر منسوخا وإذا أمكن تأويل الأخبار على ما
لا يقتضي رفع أحكامها ونسخها كان أولى • والأشبه أن يكون المراد بهذا الخبر أن السارق يسرق
الكثير الجليل فتقطع يده ويسرق القليل الحقير فتقطع يده وكأنه تعجيز له وتضعيف لاختياره من حيث
باع يده بقليل الثمن كما باعها بكثيره وقد حكى أهل اللغة أن بيضة القوم وسطهم وبيضة الدار
وسطها وبيضة السنام شحمته وبيضة الصيف معظمه وبيضة البلد الذي لا نظير له وإن كان قد
يستعمل ذلك في المدح والذم على سبيل الأضداد وإذا استعمل في الذم فمعناه أن الموصوف بذلك حقير
مهين كالبيضة التي تفسدها النعامة فتتركها ملقاة لا تلتفت إليها • فمما جاء من ذلك في المدح
قول أخت عمرو بن عبد ود وتذكر قتل أمير المؤمنين عليه السلام له وقيل إن الأبيات لامرأة من العرب غيرها

لو كان قاتل عمرو غير قاتله ... لكنت أبكي عليه آخر الأبد
لكن قاتله من لا يعاب به ... من كان يدعى قديما بيضة البلد

وقال آخر في المدح

كانت قريش بيضة فتفلقت ... فالمح خالصة لعبد مناف

وقال آخر في الذم

تأبى قضاعة أن تعرف لكم نسبا ... وابنا نزار فأنتم بيضة البلد

أراد أن تعرف فأسكن • وقال آخر في ذلك

لكنه حوض من أودى بإخوته ... ريب الزمان فأضحى بيضة البلد

فقد صار معنى البيت كله يعود إلى التفخيم والتعظيم وأما الحبل فذكره على سبيل المثل والمراد

المبالغة في التحقير والتقليل كما يقول القائل ما اعطاني فلان عقالاً وما ذهب من فلان عقال ولا يساوي
المثلُ كذا نقيرا كل ذلك على سبيل المبالغة في التحقير والتقليل وليس الغرض ذكر الجبل او واحد من الجبال على
الحقيقة واذا كان هذا تاويل الخبر زالت المناقضة التي ظنت وبطلت شبهة الخوارج في ان القطع يجب
في القليل والكثير * اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثني ابو عبد الله الحكيمي قال حدثني
ابو زينب يموت بن المزرع قال حدثني ابو وهب علي بن ثابت قال قال الاصمعي تصرفت بي الاسباب على باب الرشيد
مؤملا الظفر به والوصول اليه حتى اني صرت لبعض حرسه خدينا فاني في ليلة قد نشرت السعادة و
التوفيق فيها الاداني بين اجفان الرشيد اذ خرج خادم فقال اما بحضرة احد يحسن الشعر فقلت الله
يرى اكبر رب قيد مضيقة فرجه التيسير فقال الخادم ادخل فلعلها ان تكون ليلة تعرس في صباحها
يعرس في صباحها الغنى بالغنى ان فزت بالحظوة عند امير المؤمنين فدخلت فواجهت الرشيد في بهو والفضل بن يحيى الى جانبه
فوقف الخادم بي حيث يسمع التسليم فسلمت فرد السلام ثم قال يا غلام اربحه قليلا ليفرخ روعه
ان كان وجد للروعة حسا فدنوت قليلا ثم قلت يا امير المؤمنين اضاءة مجدك وبهاء كرمك مجيران
لمن نظر اليك عن اعتراض اذية فقال ادن فدنوت فقال اشاعر ام راوية فقلت راوية لكل ذي جد
وهزل بعد ان يكون محسنا فقال بالله ما رايت ادعاء اعم من هذا فقلت انا على الميدان فاطلق من عناني
يا امير المؤمنين فقال قد انصف القارة من راماها ثم قال لي ما معنى هذه الكلمة بديا قال قلت فيها قولان
القارة هي الحرة من الارض وزعمت الرواة ان القارة كانت رماة للتبابعة والملك اذ ذاك ابو حسان
اذ وافق عسكره عسكرا للسغد فخرج خارج من السغد قد وضع سهمه في كبد قوسه فقال اين رماة
العرب فقالت العرب انصف القارة من راماها فقال لي الرشيد اصبت ثم قال اتروي لرؤبة بن
العجاج والعجاج شيئا فقلت هما شاهدان لك بالقوافي وان غيبا عن بصرك بالاشخاص فاخرج من ثني
فرشه رقعة ثم قال انشدني * ارقني طارق هم ارقا * فمضيت فيها مضي الجواد في سنن
ميدانه تهدر بها شدقاي فلما صرت الى مديحه لبني امية ثنيت لساني الى امتداحه للمنصور في قوله
قلت لزير لم تصله مريمه * فلما راى ان قد عدلت من ارجوزة الى غيرها قال يا اعن

حيرة ام عن عمد قلت عن عمد تركت كذبه وعدلت الى صدقه فيما وصفه المنصور من مجده فقال
الفضل احسنت بارك الله عليك مثلك يوهل لمثل هذا المجلس فلما اتيت على آخرها قال لي الرشيد
اتروي كلمة عدي بن الرقاع * عرف الديار توهما فاعتادها * قلت نعم قال هاتها فمضيت فيها
حتى اذا صرت الى وصفه الجمل قال لي الفضل ناشدتك الله ان تقطع علينا ما امتعنا به السهر
في ليلتنا هذه بصفة جمل اجرب فقال له الرشيد اسكت فالابل هي التي اخرجتك عن دارك واستلبت
تاج ملكك ثم ماتت وعملت جلودها سياطا ضربت بها انت وقومك فقال الفضل عوقبت على غير لقد
ذنب والحمد لله فقال الرشيد اخطات الحمد لله على النعم ولو قلت واستغفر الله كنت مصيبا
ثم قال لي امض في امرك فانشدته حتى بلغت الى قوله * تزجي اغن كان ابرة روقه *
استوى جالسا وقال اتحفظ في هذا ذكرا قلت نعم ذكرت الرواة ان الفرزدق قال كنت في المجلس
وجرير الى جانبي فلما ابتدا عدي في قصيدته قلت لجرير مسرا اليه هلم نسخر من هذا الشامي
فلما ذقنا كلامه يئسنا منه فلما قال * تزجي اغن كان ابرة روقه * قال جرير اما تراه يستلب ابرة روقه
بها مثلا فقال * قلم اصاب من الدواة مدادها * فقلت لجرير ان كان سمعك مخبوءا في صدره فقال الفرزدق يا لكع انه يقول
لي اسكت شغلني سبك عن جيد الكلام فلما بلغ الى قوله قلم اصاب من الدواة مداد
ولقد اراد الله اذ ولاكها من امة اصلاحها ورشادها * قال الاصمعي فقال لي ما فقال عدي قلم
تراه قال اذ انشده الشاعر هذا البيت قال قلت قال كذا اراد الله فقال الرشيد ما كان في جلالته
ليقول هذا احسبه قال ما شاء الله وكذا جاءت الرواية فلما اتيت على آخرها قال لي اتروي لذي الرمة
شيئا قلت الاكثر قال فماذا اراد بقوله
ممر امرت فتله اسدية * ذراعية حلالة بالمصانع * قلت وصف حمار وحش اسمنه
بقل روضة تواشجت اصوله وتشابكت فروعه عن مطر سحابة كانت بنوء الاسد في الذراع من
ذلك فقال الرشيد ارح فقد عرفناك ممتنعا ووجدناك محسنا ثم قال اجد ملالة ونهض فاخذ الخادم وكانت عربية
يصلح عقب النعل في رجله فقال الرشيد عقرتني يا غلام فقال الفضل قاتل الله الاعاجم اما انها
لو كانت سندية لما احتجت الى هذه الكلفة فقال الرشيد هذه نعلي ونعل آبائي كم تعارض فلا تترك

من جواب ممض. ثم قال يا غلام يؤمر صالح الخادم بتعجيل ثلاثين الف درهم على هذا الرجل في ليلته ولا
يحجب في المستأنف فقال الفضل لولا انه مجلس امير المؤمنين ولا يأمر فيه غيره لأمرت لك بمثل ما امر به و
قد امرت لك بها إلا الف درهم فتلق الخادم صباحا قال الاصمعي فما صليت من غداة الا وفي منزلي تسعة وخمسون
الف درهم

اخر المجلس الثانية

مجلس آخر ٨٩ تأويل آية

ان سأل سائل عن قوله تعالى الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور فقال أليس ظاهر هذه الآية يقتضي
انه هو الفاعل للايمان فيهم لان النور ها هنا كناية عن الايمان والطاعات والظلمة كناية عن الكفر
والمعاصي ولا معنى لذلك غير ما ذكرناه واذا كان مضيفا الاخراج اليه فهو الفاعل لما كانوا به خارجين و
هذا خلاف مذهبكم الجواب قلنا اما النور والظلمة المذكوران في الآية فجائز ان يكون المراد
بهما الايمان والكفر وجائز ايضا ان يراد بهما الجنة والنار والثواب والعقاب وقد تصح الكناية عن
الثواب والنعيم في الجنة بانه نور وعن العقاب في النار بانه ظلمة واذا كان المراد بهما الجنة والنار
ساغ اضافة اخراجهم من الظلمات الى النور اليه تعالى لانه لا شبهة في انه جل وعز هو المدخل للمؤمن
الجنة والعادل به عن طريق النار والظاهر بما ذكرناه اشبه لانه يقتضي ان المؤمن الذي ثبت
كونه مؤمنا يخرج من الظلمة الى النور فلو حمل على الايمان والكفر لتناقض المعنى ولصار تقدير الكلام
انه يخرج المؤمن الذي قد تقدم كونه مؤمنا من الكفر الى الايمان وذلك لا يصح فاذا كان الكلام
يقتضي الاستقبال في اخراج من قد ثبت كونه مؤمنا كان حمله على دخول الجنة والعدول بهم عن
طريق النار اشبه بالظاهر على انا لو حملنا الكلام على الايمان والكفر لصح ولم يكن مقتضيا لما
توهموه ويكون وجه اضافة الاخراج اليه وان لم يكن الايمان من فعله من حيث بين ودل وارشد
ولطف وسهل وقد علمنا انه لولا هذه الامور لم يخرج المكلف من الكفر الى الايمان فيصح اضافة
الاخراج اليه لكون ما عددناه من جهته وعلى هذا يصح من احدنا اذا اشار على غيره بدخول بلد من
البلدان ورغبه في ذلك وعرفه ما فيه من الصلاح او بمجانبة فعل من الافعال ان يقول انا
ادخلت فلانا البلد الفلاني وانا اخرجته من كذا او انتشلته منه ويكون وجه الاضافة ما
ذكرناه من الترغيب وتقوية الدواعي الا ترى انه تعالى قد اضاف اخراجهم من الظلمات ~~الى النور~~

النور الا

الى الطواغيت وان لم يدل ذلك على ان الطاغوت هو الفاعل للكفر في الكفار بل وجه الاضافة ما
تقدم لان الشياطين يغوون ويدعون الى الكفر ويزينون فعله فقد يصح اضافته اليهم من هذا
الوجه والطاغوت هو الشيطان وحزبه وكل عدو لله تعالى صد عن طاعته واغرى بمعصيته
يصح اجراء هذه التسمية عليه وكيف اقتضت الاضافة الاولى ان الايمان من فعل الله تعالى في المؤمن
ولم تقتض الاضافة الثانية ان الكفر من فعل الشياطين في الكفار لولا بله المخالفين وغفلتهم و
بعد فلو كان الامر على ما ظنوه لم صار الله تعالى وليا للمؤمنين وناصرا لهم على ما اقتضته الآية و
الايمان من فعله لا من فعلهم ولم كان خاذلا للكفار ومضيفا لولايتهم الى الطاغوت والكفر من فعله
فيهم ولم فصل بين الكافر والمؤمن في باب الولاية وهو المتولي لفعل الامرين فيهما ومثل هذا لا يذهب
على احد ولا يعرض عنه الا معاند مغالط لنفسه • اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال
قال ابو بكر محمد بن القسم الانباري حدثنا احمد بن حبان قال حدثنا ابو عبد الله النطاح قال اخبرنا
ابو عبيدة قال قال عبد الملك بن مسلم كتب عبد الملك بن مروان الى الحجاج انه ليس شيء من لذة
الدنيا الا وقد اصبت به ولم يبق لي من لذة الدنيا الا مناقلة الاخوان الاحاديث وقبلك عامر
الشعبي فابعث الي به يحدثني فدعا الحجاج الشعبي فجهزه وبعث به اليه وقرظه و
اطراه في كتابه فخرج الشعبي حتى اذا كان بباب عبد الملك قال للحاجب استأذن لي قال من انت
قال عامر الشعبي قال حياك الله ثم نهض فاجلسه على كرسيه فلم يلبث ان خرج اليه الحاجب
فقال ادخل فدخل قال فدخلت فاذا عبد الملك جالس على كرسي فسلمت فرد السلام ثم اومأ الي
بقضيبه فقعدت عن يساره ثم اقبل على الذي بين يديه فقال ويحك من اشعر الناس فقال انا يا
امير المؤمنين قال فاظلم علي ما بيني وبين عبد الملك ولم اصبر ان قلت ومن هذا يا امير المؤمنين
الذي يزعم انه اشعر الناس فعجب عبد الملك من عجلتي قبل ان يسألني عن حالي ثم قال هذا الاخطل
قلت يا اخطل اشعر منك الذي يقول

هذا غلام حسن وجهه مستقبل الخير سريع التمام

الشعبي

مقبل الخير اي اذا رأيته ... فقال فلان مقبل الشباب اي ... واقبل ... فيه ...

للحرث الاكبر والحارث الاصغر والحارث خير الانام
خمسة اباؤهم ما هم اهم خير من يشرب صوب الغمام

فقال عبد الملك ردها علي فرددتها حتى حفظها فقال الاخطل من هذا يا امير المؤمنين فقال هذا الشعبي قال صدق والله النابغة اشعر مني قال الشعبي ثم اقبل علي عبد الملك فقال كيف انت يا شعبي فقلت بخير لا زلت به ثم ذهبت لاضع معاذيري لما كان من خلافي على الحجاج مع عبد الرحمن محمد بن الاشعث بن قيس فقال مه فانا لا نحتاج الى هذا المنطق ولا تراه منا في قول ولا فعل حتى تفارقنا ثم اقبل علي فقال ما تقول في النابغة قلت يا امير المؤمنين قد فضله عمر بن الخطاب في غير موطن على جميع الشعراء وذاك انه خرج يوما وببابه وفد غطفان فقال يا معشر غطفان اي شعرائكم الذي يقول

حلفت فلم اترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مذهب
لئن كنت قد بلغت عني خيانة لمبلغك الواشي اغش واكذب
ولست بمستبق اخا لا تلمه على شعث اي الرجال المهذب

قالوا النابغة قال فايكم الذي يقول

فانك كالليل الذي هو مدركي وان خلت ان المنتأى عنك واسع
خطاطيف حجن في حبال متينة تمد بها ايد اليك نوازع

قالوا النابغة قال فايكم الذي يقول

الى ابن محرق اعملت نفسي وراحلتي وقد هدت العيون
اتيتك عاريا خلقا ثيابي على خوف تظن بي الظنون
فالفيت الامانة لم تخنها كذلك كان نوح لا يخون

ثوب

قالوا النابغة قال هذا اشعر شعرائكم ثم اقبل عبد الملك على الاخطل فقال اتحب ان لك قياضا بشعرك شعر احد من العرب ام تحب انك قلته قال لا والله الا اني وددت اني قلت

كنت

ابياتا قالها رجل منا كان والله مغدف القناع قليل السماع قصير الذراع قال وما قال فانشده

انا محيوك فاسلم ايها الطلل وان بليت وان طالت بك الطيل
ليس الجديد به تبقى بشاشته الا قليلا ولا ذو خلة يصل
والعيش لا عيش الا ما تقر به عين ولا حال الا سوف تنتقل
ان ترجعي من ابي عثمان منجحة فقد يهون على المستنجح العمل
والناس من يلق خيرا قائلون له ما يشتهي ولام المخطئ الهبل
قد يدرك المتاني بعض حاجته وقد يكون من المستعجل الزلل

هذه للقطامي

به العهد الجديد

كانه يخاطب نفسه

مع

القطامي هو عمير بن شييم بن عمرو بن عباد

قال الشعبي فقلت قد قال القطامي افضل من هذا قال وما قال قلت قال

طرقت جنوب رحالنا من مطرق وما كنت احسبها قريب المعنق

الطول والطيل بمعنى العمر وانما اتى به ليتة ذهب به مذهب العيش

المعنق يكون مصدرا او موضعا اعنق الفرس اذا سار العنق وهو سير منبسط

حتى اتيت على آخر القصيدة فقال عبد الملك ثكلت القطامي امه هذا والله الشعر قال فالتفت الى الاخطل فقال يا شعبي ان لك فنونا من الاحاديث وانما لنا فن واحد فان رايت ان لا تحملني على اكتاف قومك فادعهم حرضا قلت لا اعرض لك في شيء من الشعر ابدا فاقلني هذه المرة قال من يتكفل بك قلت امير المؤمنين فقال عبد الملك هو علي انه لا يعرض لك ابدا ثم قال يا شعبي اي نساء الجاهلية كان اشعر من النساء قلت الخنساء قال لم فضلتها على غيرها قلت لقولها

من الكلام سقط ان يكون قاله عبد الملك للشعبي بعد ذلك في مجلس آخر

وقائلة والنعش قد فات خطوها لتدركه يا لهف نفسي على صخر
الا ثكلت ام الذين غدوا به الى القبر ماذا يحملون الى القبر

فقال عبد الملك اشعر والله منها ليلى الاخيلية حيث تقول

مهفهف الكشح والسربال منخرق عنه القميص لسير الليل محتقر
لا يامن الناس ممساه ومصبحه في كل فج وان لم يغز ينتظر

ثم قال يا شعبي لعله شق عليك ما سمعت قلت اي والله يا امير المؤمنين اشد المشقة اني لمحدثك منذ شهرين لم افدك الا ابيات النابغة في الغلام ثم قال يا شعبي انما اعلمناك هذا لانه بلغني ان اهل العراق

يتطاولون على اهل الشام ويقولون ان كانوا غلبونا على الدولة فليس يغلبونا على العلم والرواية واهل
الشام اعلم بعلم اهل العراق من اهل العراق ثم ردّ على ابيات ليلى حتى حفظتها واذن لي فانصرفت فكنت
اول داخل وآخر خارج   قال السيد قدس الله روحه الصحيح في الرواية ان البيتين اللذين
رواهما عبد الملك ونسبهما الى ليلى الاخيلية لاعشى باهلة يرثي المنتشر بن وهب الباهلي وهذه القصيدة
من المراثي المفضلة المشهورة بالبراعة والبلاغة وهي

اني اتتني لسان لا اسرّ بها من علو لا عجب منها ولا سخر
فظلت مكتئبا حيران انكره وكنت احذره لو ينفع الحذر
فجاشت النفس لما جاء جمعهم وراكب جاء من تثليث معتمر
ياتي على الناس لا يلوي على احد حتى التقينا وكانت دوننا مضر
ان الذي جئت من تثليث تندبه منه السماح ومنه النهي والغير
ينعى امرأ لا تغب الحي جفنته اذا الكواكب اخطا نوءها المطر
وراحت الشول مغبرا مباركها شعثا تغير منها النيّ والوبر
والجأ الكلب موقوع الصقيع به والجأ الحي من تنفاحها المطر
عليه اول زاد القوم قد علموا ثم المطي اذا ما ارملوا جزر
قد تكظم البزل منه حين تبصره حتى تقطع في اعناقها الجرر
اخو رغائب يعطيها ويسلبها يابى الظلامة منه النوفل الزفر
لم تر ارضا ولم تسمع بساكنها الا بها من نوادي وقعه اثر
وليس فيه اذا استنظرته عجل وليس فيه اذا ياسرته عسر
فان يصبك عدو في مناوأة يوما فقد كنت تستعلي وتنتصر
من ليس في خيره من يكدره على الصديق ولا في صفوه كدر
اخو شروب ومكساب اذا عدموا وفي المخافة منه الجد والحذر

مردي حروب ونور يستضاء به كما اضاء سواد الظلمة القمر
مهفهف اهضم الكشحين منخرق عنه القميص لسير الليل محتقر
طاوي المصير على العزاء منجرد بالقوم ليلة لا ماء ولا شجر
لا يصعب الامر الا ريث يركبه وكل امر سوى الفحشاء يأتمر
لا يتارى لما في القدر يرقبه ولا يعض على شرسوفه الصفر
لا يغمز الساق من اين ولا وصب ولا يزال امام القوم يقتفر
لا يأمن الناس ممساه ومصبحه في كل فج وان لم يغز منتظر
تكفيه حزة فلذ ان الم بها من الشواء ويروي شربه الغمر
لا تأمن البازل الكوماء عدوته ولا الامون اذا ما اخروط السفر
كانه بعد صدق القوم انفسهم بالباس تلمع من قدامه البشر

قال المبرد لا نعلم بيتا في يمن النقيبة وبركة الطلعة ابرع من هذا البيت

لا يعجل القوم ان تغلي مراجلهم ويدلج الليل حتى يفسح البصر
عشنا به حقبة حيا ففارقنا كذلك الرمح ذو النصلين ينكسر
اصبت في حرم منا اخا ثقة هند بن اسماء لا يهني لك الظفر
لو لم تخنه نفيل وهي خائنة لصبح القوم وردا ماله صدر
واقبل الخيل من تثليث مصغية وضم اعينها رعوان او حضر
اما سلكت سبيلا كنت سالكها فاذهب فلا يبعدنك الله منتشر

قال السيد قدس الله روحه وقد رويت هذه القصيدة للدعجاء اخت المنتشر وقيل لليلى اخته ولعل
الشبهة الواقعة في نسبتها الى ليلى الاخيلية من ها هنا والصحيح ما ذكرناه   اخبرنا ابو الحسن
علي بن محمد الكاتب قال اخبرنا ابن دريد قال اخبرنا ابو حاتم عن ابي عبيدة قال وفد الاخطل على معوية فقال
اني قد امتدحتك بابيات فاسمعها قال ان كنت شبهتني بالحية او الاسد او الصقر فلا حاجة لي بها
وان كنت قلت فيّ كما قالت الخنساء

بها المجد

وما بلغت كفُّ امرئٍ متناولٍ من المجد إلا حيث ما نلت أطولُ
وما بلغ المهدون في القول مدحةً وإن صدقوا إلا الذي فيك أفضلُ

فهاب فقال الأخطل والله لقد أحسنت ولقد قلت بيتين وما هما بدون ما سمعته وأنشد

إذا متُّ مات العرف وانقطع الغنى فلم يبق إلا من قليلٍ مصرَّدِ
ورُدَّت أكفُّ الراغبين وأمسكوا من الدين والدنيا بخلفٍ مجدَّدِ

لما احتضر عبد الملك بن مروان غشي عليه ثم أفاق فسمع امرأة تقول مات أمير المؤمنين فتمثل بهذين البيتين

تعال ناقة محدرك الاخلاف واذا ادكر [illegible]
بها الفقر ارو رهطها [illegible]
[illegible]

فأحسن صلته. وأخبرنا المرزباني قال أخبرنا أبو عبد الله إبراهيم بن محمد النحوي قال أخبرنا أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابي أنشدهم

مررنا عليه وهو يكعم كلبه دع الكلب ينبح إنما الكلب نابح

قوله يكعم كلبه أي يشد فاه خوفاً أن ينبح فيدل عليه قال وقد قال آخر

ويكعم كلب الحي من خشية القرى وناري كالعذراء من دونها ستر

قال وقد قال الأخطل

قومٌ إذا استنبح الأضياف كلبهم قالوا لأمهم بولي على النار

قال أبو عبد الله وسمعت محمد بن يزيد الأزدي يقول هذا أهجى ما هجي به جرير لأنه جعل نارهم تطفئها البولة وجعلهم يأمرون أمهم بالبول استخفافاً بها

مجلس آخر مط

تأويل آية

إن سأل سائل فقال ما تأويل قوله تعالى ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب أوليس ظاهر هذه الآية يقتضي أنه تعالى يجوز أن يزيغ القلوب عن الإيمان حتى يصح مسألته أن لا يزيغها ويكون هذا الدعاء مفيداً قلنا في هذه الآية وجوه أولها أن يكون المراد بالآية ربنا لا تشدد علينا المحنة في التكليف ولا تشق علينا فيه فيفضي بنا ذلك إلى زيغ قلوبنا بعد الهداية وليس يمتنع أن يضيفوا ما يقع من زيغ قلوبهم عند تشديده تعالى المحنة عليهم إليه كما قال تعالى في السورة إنها زادتهم رجساً إلى رجسهم وكما قال تعالى مخبراً عن نوح عليه السلم فلم يزدهم دعائي إلا فراراً فإن قيل كيف يشدد عليهم في المحنة قلنا بأن يقوي شهواتهم لما قبحه في عقولهم ونفورهم عن الواجب عليهم فيكون التكليف عليهم بذلك شاقاً والثواب المستحق عليه عظيماً متضاعفاً وإنما يحسن هذا أن يجعله شاقاً لأنه تعريضاً لهذه المنزلة وثانيها أن يكون ذلك دعاء بالتثبيت على الهداية وإمدادهم بالألطاف التي معها يستمرون

على الإيمان فإن قيل وكيف يكون من زيغ القلوب بهم بأن لا يفعل اللطف قلنا من حيث كان المعلوم أنه متى قطع إمدادهم بألطافه وتوفيقاته زاغوا وانصرفوا عن الإيمان ويجري هذا مجرى قولهم اللهم لا تسلط علينا من لا يرحمنا معناه لا تخل بيننا وبين من لا يرحمنا فيتسلط علينا ومثله قول الشاعر

أتاني ورحلي بالمدينة وقعةٌ لآل تميم أقعدت كل قائم

أراد قعد لها كل قائم فكأنه قال لا تخل بيننا وبين نفوسنا وتمنعنا ألطافك فنزيغ ونضل وثالثها ما أجاب به أبو علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي رحمه الله قال المراد لا تزغ قلوبنا عن ثوابك ورحمتك ومعنى هذا السؤال أنهم سألوا الله تعالى أن يلطف لهم في فعل الإيمان حتى يقيموا عليه ولا يتركوه في مستقبل عمرهم فيستحقوا بترك الإيمان أن تزيغ قلوبهم عن الثواب وأن يفعل بهم بدلاً منه العقاب فإن قال قائل فما هذا الثواب الذي في قلوب المؤمنين حتى زعمتم أنهم سألوا الله تعالى ألا يزيغ قلوبهم عنه وأجاب بأن الثواب الذي في قلوب المؤمنين ما ذكره الله تعالى من الشرح والسعة بقوله تعالى فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام وقوله سبحانه لرسوله عليه السلم ألم نشرح لك صدرك وذكر أن ضد هذا الشرح هو الضيق والحرج اللذان يفعلان بالكفار عقوبة قال ومن ذلك أيضاً التطهير الذي يفعله في قلوب المؤمنين وهو الذي منعه الكافرين فقال تعالى أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم قال ومن ذلك أيضاً كتابة الإيمان في قلوب المؤمنين كما قال تعالى أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه وضد هذه الكتابة هي سمات الكفر التي في قلوب الكافرين فكأنهم سألوا الله تعالى ألا يزيغ قلوبهم عن هذا الثواب إلى ضده من العقاب • ورابعها أن تكون الآية محمولة على الدعاء بأن لا يزيغ القلوب عن اليقين والإيمان ولا يقتضي ذلك أنه تعالى سئل ما كان يجب أن يفعله وما لولا المسألة لجاز فعله لأنه غير ممتنع أن ندعوه على سبيل الانقطاع إليه والافتقار إلى ما عنده بأن يفعل ما نعلم أنه لا بد من أن يفعله وبأن لا يفعل ما نعلم أنه واجب أن لا يفعله إذا تعلق بذلك ضرب من المصلحة كما قال تعالى حاكياً عن إبراهيم عليه السلم ولا تخزني يوم يبعثون وكما قال تعالى في تعليمنا ما ندعو به قل رب احكم بالحق وكقوله تعالى

ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به على احد الاجوبة وكل ما ذكرناه واضح بين بحمد الله. قال السيد قدس الله روحه واني لاستحسن قول الراعي في وصف الاثافي والرماد فلقد طبق وصفه المفصل مع جزالة الكلام وفخامته واستوائه واطراده

واورق من عهد ابن عفان حوله ... خواضب آثاف على غير مشرب

ورواد الاعالي اقبلت بنحورها ... على راشح ذي شامة منقوب

كأن بقايا لونه في متونها ... بقايا هناء في قلائص مجرب

الاورق الرماد وجعل الاثافي له كالخواضب لاحتضانها له واستدارتها حوله واراد بورواد الاعالي انها لو انها تضرب الى الحمرة وخص الاعالي لانها مواقع القدر فلا تكاد تسود والراشح هو الراضع و انما شبه الرماد بينهن بفصيل بين اظآر والمنقوب الذي في الخسر اعلاه وشبه ما سود النار منهن بآثار قطران على قلائص جربى والمجرب الذي قد جربت ابله ونظير هذا المعنى بعينه اعني تشبيه تسويد النار بالهناء قول ذي الرمة

عفا الزرق من اطلال مية فالدحل ... فاجماد حوضى حيث زاحمها الحبل

سوى ان ترى سوداء من غير خلقة ... تخاطاها وارثت جاراتها النقل

من الرضمات البيض غير لونها ... بنات فراض المرخ واليابس الجزل

كجرباء دست بالهناء فاقصيت ... بارض خلاء ان تقاربها الابل

قوله سوداء من غير خلقة يعني اثفية لان السواد ليس بخلقة لها وانما سودتها النار وقوله تخاطاها النقل اي تجاوزها فلم تحمل من مكان الى مكان بل بقيت مفردة وارثت جاراتها يعني جاراتها الاثافي اللواتي كن معها والمرثث هو المنقول من مكان الى مكان واصل ذلك في الجريح والعليل يقال ارثث الرجل ارثاثا اذا حمل من المعركة وبه رمق قال النضر بن شميل معنى ارثث صرع وقال ابو زيد هو ماخوذ من قولهم ارتثت رثة القوم اذا جمعوا ردي متاعهم بعد ان يحملوا من موضعهم وكلا المعنيين يليق ببيت ذي الرمة لانه يجوز ان يريد بقوله وارثت جاراتها اي نقلن ويجوز ان يريد صرعن وبقيت

مواضع — وارثت — فاصبحت — ارثثنا — الرثة الضعفاء من الناس ايضا

نابتة قائمة والرضمات حجارة بيض بعضها على بعض والفراض جمع فرض وهو الحز يكون في الزند وعنى ببنات فراض المرخ شرر النار الخارجة من ذلك الفرض والمرخ شجر يتخذ منه الزناد ومن امثالهم في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار وهذا المثل يضرب للرجل الكريم يفضل القوم ويربو عليهم فكان المعنى كل القوم كرام واكرمهم فلان. ومعنى كجرباء دست بالهناء انه شبه الاثفية المنفردة بناقة جرباء قد افردت وابعدت عن الابل حتى لا تجربها ولا تعديها ومعنى دست بالهناء طليت به وفي قول الراعي ورواد الاعالي شبه من قول الشماخ بن ضرار

قبله: امن دمنتين عرس الركب فيهما ... بحقل الرخامى قد عفا طللاهما

اقامت على ربعيهما جارتا صفا ... كميتا الاعالي جونتا مصطلاهما

يعني بربعيهما منزلي المرأتين اللتين ذكرهما ويعني بجارتا صفا الاثفيتين لانهما مقطوعتان من الصفا الذي هو الصخر ويمكن في قوله جارتا صفا وجه آخر هو احسن من هذا وهو ان الاثفيتين توضعان قريبا من الجبل لتكون حجارة الجبل ثالثتهما وممسكة للقدر معهما ولهذا تقول العرب رماه الله بثالثة الاثافي اي بالصخرة او الجبل وشبه اعلاهما بلون الكميت وهو لون الحمرة نفسه لان النار لم تصل اليه فتسوده ومصطلاهما جونتا اي اسود لان النار قد سفعته وسودته وقال الراعي في وصف الاثافي

اذاع باعلاه وابقى شريده ... ذرا المحجات بينهن فروج

كأن خريع الذال لما تحملوا ... سلائب ورقاء بينهن خديج

اذاع باعلاه يعني الرماد لان السافي يطير بظاهره وما علا منه وابقى شريده اي بقي ما شرد على السافي فلم يطر وذرا المحجات يعني الاثافي وذرا كل شي جانبه وما استذريت به منه والمحجات المتسبلات والسلائب جمع سلوب وهي الناقة التي قد سلبت ولدها بموت او نحر فقد عطفت عليه هواب آخر والخديج الذي سقط لغير تمام والورق اللواتي الوانهن كلون الرماد وفي معنى قول الراعي وابقى شريده ذرا المحجات قول المخبل السعدي

وارى لها دارا باغدرة السيدان لم يدرس لها رسم

الا رمادا هامدا دفعت ... عنه الرياح خوالد سحم

رماه

إلّا هاهنا بمعنى الواو فكأنه قال وأرى رمادًا هامدًا ولولا أنّ إلّا هاهنا بمعنى الواو لفسد الكلام
ونقض آخره أوّله لأنّه قال في آخر البيت إنّ الخوالد التي تجثم دفعت عنه الرياح فكيف يخبر بأنه قد
درس وإنما أراد أنه باقٍ ثابت لأنّ الأثافي دفعت عنه الرياح فلم يستثنه إذن من جملة ما لم
يدرس بل هو داخل في جملته وللراعي أيضًا في الأثافي

أُنِخْنَ وهنّ أغفالٌ عليها فقد ترك الصِّلاءُ بهنّ نارا

شبّه الأثافي بنوقٍ أُنخن أغفالًا ليست عليهنّ سِمةٌ ثم أخبر أنّ الوقود أثّر فيهنّ أثرًا كالسمة و
النار السمة تقول العرب ما نارُ بعيرك أي ما سمته وفي أمثالهم نجارها نارها أي سمتها تدلّ على كرمها
يضرب ذلك للرجل تدلّ ظاهر أحواله على باطن خبره وقال عديّ بن الرقاع العاملي

إلّا رواكد كلّهنّ قد اصطلى حمراء أشعل أهلها إيقادها
كانت رواحل للقدور فعُرّيت منهنّ واستلب الزمان رمادها

وقال الأشعر الجعفي
إلّا رواكد بينهنّ خصاصة سُفع المناكب كلّهنّ قد اصطلى

وقال حميد بن ثور
فتغيّرن آلاء ملاعبها ومعرّسًا من جونةٍ ظُهُرِ
عُرّش الثقاب لها بدار إقامة في الحيّ بين نظائرٍ وُتْرِ

مضافة

الجونة القِدْر ويقال قِدْرٌ ظُهُر وقدور ظُهور إذا كانت قديمة وعُرّش أي جُعل مثل العرش يعني
الوقود والثقاب ما أُثقبت من الوقود والنظائر يعني الأثافي والوتر الفرد أراد أنها ثلث وقال
الكميت بن زيد

ولن تجيبك أظآرٌ معطّفةٌ بالقاع لا تمكث بهما ولا إبلُ
لبسن بعود ولم تعطف على رُبَع ولا يُهيب بها ذو البيّنة الإبلُ

يعني الأثافي وشبّه تعطّفها على الرماد بنوقٍ أظآر قد عطفن على فصيل والتمول انتصاب
الشام والمثل من صفة الشام والعائذ من النوق التي يتبعها ولدها والربع الذي نُتج في أوّل
التربيع والإهابة الدعاء أهاب بإبله إذا دعاها وذو البيّنة الذي قد نوى الرحيل والإبل صاحب

فلم يبق إلّا أن ترى في محلّه رمادًا نحت عنه السيول جنادله

الإبل وقال ذو الرمّة
كأنّ الحمام الورق في الدار وقّعت على خَرِقٍ بين الظؤور جوازله

شبّه الأثافي بالحمام الورق وجعلها ظؤورًا لتعطّفها على الرماد وشبّه الرماد بفرخ خَرِقٍ قد
سقط ريشه والجوازل الفراخ واحدها جوزل وقال البعيث

ألا حيّيا الربع القواء وسلّما ورسمًا كجثمان الحمامة أدهما

قيل إنّ الحمامة هاهنا القطاة وشبّه ألوان الرسوم من الرماد وموقد نارٍ ودمنةٍ ومجرى طُنُبٍ وما أشبه
هذه الأشياء بألوان ريش قطاة ومثله لجرير
كأنّ رسوم الدار ريش حمامة محاها البلى واستعجمت أن تكلّما

ولقد أحسن كلّ الإحسان كثيّر في قوله إذ زال

أمِن آل قيلة بالدخول رسومُ وبحومل طللٌ يلوح قديمُ
لعب الرياح برسمه فأجدّه جُونٌ عواكف في الرماد جُثومُ
سُفع الخدود كأنهنّ وقد مضت حججٌ عوائد بينهنّ سقيمُ

قيل في قوله فأجدّه جون عواكف يعني الأثافي لأنّ الريح لما كشفت عنها وظهرت صار رسمًا كأنها أجدّت
الرسم ويحتمل وجهًا آخر وهو أن يكون معنى أجدّت أنها حمت الرماد الذي أحاطت به عن لعب الرياح
فبقي بحاله يستدلّ به المتوسّم فكأنّ الرياح درست الربع ومحته إلّا ما أجدّته هذه الأثافي من
الرماد ومنعت الريح عنه ونحوٌ من ذلك مجرى قول المخبّل إلّا رمادًا البيت وقال المرّار الفقعسي
في الأثافي

أثر الوقود على جوانبها بخدودٍ من كأنه لطمُ

ويقال إنّ أبا تمام الطائي أخذ ذلك في قوله

نقوا نغط المنازل من عيونٍ لها في الشوق أحساءٌ غزارُ
عفت آياتهنّ وأيّ ربعٍ يكون له على الزمن الخيارُ
أثافٍ كالخدود لُطِمن حزنًا ونؤيٌ مثل ما انفصم السوارُ

وقد عاب عليه قوله لطمن حزنًا بعض من لا معرفة له وقال لا فائدة في قوله حزنًا ولذلك فائدة وذلك
أنّ لطم الحزن أوجع وأبلغ فتأثيره أبين وأظهر وقد يكون اللطم لغير الحزن فأما قوله ونؤيٌ مثل
ما انفصم السوار فمأخوذ من قول الشاعر
نؤيٌ كما نقص الهلال محاقه أو مثل ما انفصم السوار المعصم

وقد شبّه الناس النؤي بالسوار والخلخال كثيرًا أو بغير ذلك قال كثيّر

عوافٍ لسعدى بعد عشرين حجةً بها دارسٌ نؤيٌ في المحلة منحنِ
فريمٌ كوقف العاج ثبّت حوله مغارز أوتادٍ بضيمٍ موضّنِ
الوقف السوار من الذبل ومن العاج والرضيم صخور عظام والموضن الذي بعضه فوق بعض وقال بشار
ونؤيٌ كخلخال الفتاة وصائمٌ أشجّ على ريب الزمان رقوبُ
الصائم الأشج يعني الوتد وإنما وصفه بأنه صائم لقيامه وثباته وجعله رقوبا لانفراده والمرأة
الرقوب والشيخ الرقوب الذي لا يعيش له ولد ومن مستحسن ما وصف به النؤي قول أبي تمام
والنؤي أهمد شطره فكأنه تحت الحوادث حاجبٌ مقرونُ
وقال المتنبي في ذلك
نقعٌ على البرمسين بالدوّ من دبا كالخال في وجنتي جنبِ خالِ
بطلولٍ كأنهن نجومٌ في عراصٍ كأنهن ليالِ
ونؤيٍّ كأنهن عليهن خدامٌ خرسٌ بسوقٍ خدالِ

مجلس آخر ٦٣ تأويل آية

إن سأل سائل عن قوله تعالى إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي إن البقر تشابه علينا وإنا إن شاء الله لمهتدون قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقي الحرث مسلمة لا شية فيها قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون فقال ما تأويل هذه الآيات وهل البقرة التي نعتت بالنعوت هي البقرة المرادة باللفظ الأول والتكليف واحد أم المراد مختلف والتكليف متغاير الجواب قلنا في تأويل هذه الآية مختلفون بحسب اختلاف أصولهم فمن جوز تأخير البيان عن وقت الخطاب يذهب إلى أن التكليف واحد وأن الأوصاف المتأخرة هي للبقرة المتقدمة وإنما تأخر البيان ولما سأل القوم عن الصفات ورد البيان شيئا بعد شيء ومن لم يجوز تأخير البيان يقول إن التكليف متغاير وإنهم لما

بجميع أهل العلم

لما قيل لهم اذبحوا بقرة لم يكن المراد منهم إلا ذبح أي بقرة شاؤوا من غير تعيين بصفة ولو أنهم ذبحوا أي بقرة اتفقت لهم كانوا قد امتثلوا الأمر فلما لم يفعلوا كلفوا ذبح بقرة لا فارض ولا بكر ولو ذبحوا ما اختص بهذه الصفة أي لون كان لأجزأ عنهم فلما لم يفعلوا كلفوا ذبح بقرة صفراء فلما لم يفعلوا كلفوا ذبح ما اختص بالصفات الأخيرة ثم اختلف هؤلاء من وجه آخر فمنهم من قال في التكليف الأخير إنه يجب أن يكون مستوفيا لكل صفة تقدمت حتى تكون البقرة مع أنها غير ذلول تثير الأرض ولا تسقي الحرث مسلمة لا شية فيها صفراء فاقعا لونها ولا فارضا ولا بكرا ومنهم من قال إنما يجب أن تكون بالصفة الأخيرة فقط دون ما تقدم وظاهر الكتاب بالقول الأول المبني على جواز تأخير البيان أشبه وذلك أنه تعالى لما كلفهم ذبح بقرة قالوا للرسول ادع لنا ربك يبين لنا ما هي فلا يخلو قولهم ما هي من أن يكون كناية عن البقرة المتقدم ذكرها أو عن غيرها التي أمروا بها فأبوا على قول من يدعي ذلك وليس يجوز أن يكونوا سألوا عن صفة غير التي تقدم ذكرها لأن الظاهر من قولهم ما هي بعد قوله لهم اذبحوا بقرة يقتضي أن يكون السؤال عن صفة البقرة المأمور بذبحها ولأنه لا علم لهم بتكليف ذبح بقرة أخرى فيستفهموا عنها وإذا صح أن السؤال إنما كان عن صفة البقرة المنكرة التي أمروا في الابتداء بذبحها فليس يخلو قوله إنها بقرة لا فارض ولا بكر من أن يكون كناية عن البقرة الأولى أو عن غيرها وليس يجوز أن يكون ذلك كناية عن بقرة ثانية لأن ظاهر قوله تعالى إنها بقرة من صفتها كذا بعد قولهم ما هي يقتضي أن يكون كناية متعلقة بما انعقد به سؤالهم ولأن الأمر لو لم يكن على ما ذكرناه لم يكن ذلك جوابا لهم بل كان يجب أن يكونوا سألوه عن شيء فأجابهم عن غيره وهذا لا يليق بالنبي عليه السلام على أنه لما أراد أن يكلفهم تكليفا ثانيا عند تفريطهم في الأول على ما يدعيه من ذهب إلى هذا المذهب فقد كان يجب أن يجيب عن سؤالهم وينكر عليهم الاستفهام في غير موضعه وتفريطهم فيما أمروا به مما لا حاجة بهم إلى الاستفهام عنه فيقول في جواب قولهم ما هي إنما كلفتم أي بقرة شئتم وما يستحق اسم بقرة وقد فرطتم في ترك الامتثال وأخطأتم في الاستفهام

مع وضوح الكلام اللهم الا انكم قد كلفتم ثانيا كذا وكذا لانّ هذا مما يجب عليه بيانه لازالة الابهام
واللبس فلما لم يفعل ذلك واجاب بالجواب الذي ظاهره يقتضي التعلق بالسؤال علم ان الامر على ما
ذكرناه وهب انه لم يفعل ذلك في اول سؤال كيف لم يفعله مع تكرر الاسولة والاستفهامات
التي لم تقع على هذا المذهب موقعها ومع تكرر المعصية والتفريط كيف يستحسن ان يكون جميع
اجوبته غير متعلقة باسولتهم لانهم يسالونه عن صفة شيء فيجيبهم بصفة غيره من غير بيان بل
على اقوى الوجوه الموجبة لتعلق الجواب بالسؤال لان قول القائل في جواب من ساله ما كذا وكذا انه
بالصفة الفلانية صريح في انها كناية عما وقع السؤال عنه هذا مع قولهم ان البقر تشابه علينا
لانهم لم يقولوا ذلك الا وقد اعتقدوا ان خطابهم مجمل غير مبين فلم لم يقل لهم اي تشابه عليكم و
انما امرتم في الابتداء باي بقرة كانت وفي الثاني بما اختص باللون المخصوص من اي البقر كان فان
قيل كيف يجوز ان يامرهم بذبح بقرة لها جميع الصفات المذكورة الى آخر الكلام ولا يبين لهم
ذلك وهل هذا الا تكليف ما لا يطاق قلنا لم يرد منهم ان يذبحوا البقرة في الثاني من حال
الخطاب ولو كانت حال الفعل حاضرة لما جاز ان يتاخر البيان لان تاخره عن وقت الحاجة هو الحاجة الى
القبيح الذي لا شبهة في قبحه وانما اراد ان يذبحوها في المستقبل فلو لم يستفهموا او يطلبوا
البيان لكان قد ورد عليهم عند الحاجة اليه فان قيل اذا كان الخطاب غير متضمن لصفة
ما امروا ان يذبحوه فوجوده كعدمه وهذا يخرجه من باب الفائدة ويوجب كونه عبثا قلنا ليس
يجب ما ظننتم لان القول وان لم يفد صفة البقرة بعينها فقد افاد تكليف ذبح بقرة على سبيل
الجملة ولم يكن ذلك معلوما قبل هذا الخطاب فصار مفيدا من حيث ذكرناه وخرج من ان يكون وجوده
كعدمه وفوائد الكلام لا يجب ان يحصل لها الاقتراح وليس يخرج الخطاب من تعلقه ببعض الفوائد
كونه غير متعلق بغيرها وبما هو زيادة عليها فان قيل ظاهر قوله تعالى فذبحوها وما كادوا
يفعلون يدل على استبطائهم وذمهم على التقصير في امتثال الامر قلنا ليس ذلك صحيح ذم

لانّ كادوا للمقاربة وقد يجوز ان يكون التكليف صعب عليهم لغلاء ثمن البقرة التي تتكامل
لها تلك الصفات فقد روي انهم ابتاعوها بملء جلدها ذهبا على ان الذم يقتضي ظاهره ان ينصرف
الى تقصيرهم او تاخيرهم امتثال الامر بعد البيان التام لانّ قوله وما كادوا يفعلون انما ورد بعد
تقدم البيان التام المتكرر ولا يقتضي ذمهم على ترك المبادرة في الاول الى ذبح بقرة فليس فيه دلالة
على ما يخالف ما ذكرناه فان قيل لو ثبت تقدير ان التكليف في البقرة متغاير اي القولين
اللذين حكيتموهما عن اهل هذا المذهب اصح واشبه قلنا قول من ذهب الى ان البقرة انما يجب
ان تكون بالصفة الاخيرة فقط لان الظاهر به اشبه من حيث انه اذا ثبت تغاير التكليف وليس في
قوله انها بقرة لا ذلول تثير الارض الى آخر الاوصاف ذكر لما تقدم من الصفات وهذا التكليف غير
الاول فالواجب اعتبار ما تضمنه لفظه والاقتصار عليه فاما الفارض فهي المسنة وقيل هي
العظيمة الضخمة يقال غرب فارض اي ضخم والغرب الدلو ويقال ايضا لحية فارضة اذا كانت
عظيمة والاشبه بالكلام ان يكون المراد المسنة فاما البكر فهي الصغيرة التي لم تلد فكانه تعالى
قال لا تكون غير مسنة ولا صغيرة والعوان دون المسنة وفوق الصغيرة ومنه النصف التي ولدت
بطنا او بطنين ويقال حرب عوان اذا لم تكن اول حرب وكانت ثانية وانما جاز ان يقول بين ذلك و
بين لا يكون الا مع اثنين او اكثر لان لفظة ذلك تنوب عن الجمل تقول ظننت زيدا قائما ويقول
القائل قد ظننت ذاك ومعنى فاقع لونها اي خالص الصفرة وقيل ان كل ناصع اللون بياضا كان
او غيره فهو فاقع وقيل انه اراد بصفراء هاهنا سوداء ومعنى قوله لا ذلول تثير الارض اي تكون
صعبة لم يذللها العمل في اثارة الارض وسقي الزرع ومعنى مسلمة مفعلة من السلامة من العيوب
وقال قوم مسلمة من الشية اي لا شية فيها تخالف لونها وقيل لا شية فيها اي لا عيب فيها وقيل
لا وضح فيها وقيل لا لون يخالف لون جلدها والله اعلم بما اراد وبالله نسال حسن التوفيق قال
المسترشد قدس الله روحه لكننا اظن ان المتنبي سبق الى معنى قوله في مرثيته لاخت سيف الدولة
طوى الجزيرة حتى جاءني خبر فزعت فيه بآمالي الى الكذب

حتى اذا لم يدع لي صدقه املا شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بي

حتى رايت هذا المعنى لمسلم بن الوليد الانصاري وللبحتري اما الذي لمسلم فقوله من قصيدة يرثي بها سهل بن صباح

وقف العفاة عليك من متحير وله الرجاء وذي غنى يسترجع
ومخادع السمع النعي ودونه خطب الم بصادق لا يخدع

وقال البحتري يرثي وصيفا التركي

اذا اجتدا ناعيه ثم تمنت انه يكذب في اخباره قول مازح

وكنت اظن المتنبي سبق الى قوله

تحل القنا يوم الطعان بعقوتي فاحرمه عرضي واطعمه جلدي

حتى رايت هذا المعنى واللفظ بعينه لجهم بن شبل الكلابي من اهل اليمامة في قوله

ثنى قومه عن صدر رجاز وقدمنا الى الموت دامي الصفحتين كليم
اخو الحرب اما جلده فجريح كليم واما عرضه فسليم

وكنت اظن البحتري سبق الى معنى قوله في الفتح بن خاقان

حملت عليه السيف لا عزمك انثنى ولا يدك ارتدت ولا حده نبا

حتى وجدت لشاعر متقدم

طعنت ابن دهمان بنجران طعنة شققت بها عنه مضاعفة السرد
فلا الكف ادهشت لي ولا الرمح خانني ولا الادهم المنعوت جار عن القصد

قال محمد بن يحيى الصولي وصف الناس صفرة اللون في العلة فكل حكى ذلك بلا فضيلة الا البحتري قال الغساني من ابيات

جعلت بما عاينت عطرا كانما جرى بين جلدي والعظام خلوق

وقال ابو تمام

لم يشن وجهه المليح ولكن جعلت ورده جنيته بهارا

وقال غيره

ولم يشن شيئا ولكنها بدلت التفاح بالياسمين

وقال بكر بن عيسى يرثي المهلبي

علة زعفرت محاسن خد كان من ورده وردا يفيض

---

٢٠٢ 205

وقالوا عرت غرا الحمى شديدة فوجنتها منها شديد صفارها
فقلت لهم هيهات هاتيك روضة مضى وردها عنها وجاء بهارها

ولابي العتاهية

وقال ابن المعتز

وكانني مما تطاول نكسي السقام طليت بالورس

وقال البحتري

وصفرت علته وجهه فصار كالدينار من حسنه

يروق صفرة في لونه ان حمدهم من الدر ما اصفرت نواحيه في العقد
ويحسن على الايدي مجسته كفه كذلك موج البحر ملتهب الوقد
وما الكلب محموما وان طال عمره الا انما الحمى على الاسد الورد

قال قدس الله روحه اما تشبيهه صفرة اللون بصفرة الدر فهو تشبيه مليح موافق لغرضه الا انه اخطا في قوله ان حمدهم من الدر ما اصفرت نواحيه في العقد لان ذلك ليس بمحمود بل مذموم ولو شبهه وترك التعليل لكان اجود وروى ابو العباس احمد بن فارس المنبجي قال حدثني ابو احمد عبيد الله بن يحيى بن البحتري قال حدثني ابي قال حدثني جدي البحتري قال كنت عند ابي العباس المبرد فذاكرنا بشعر عمارة بن عقيل فقال لقد احسن عمارة بن عقيل في قوله لخالد بن يزيد لما وجه اليه بهذين البيتين

لم استطع سير المدح خالد فجعلت مدحته اليه رسولا
فليرحلن الى نائل خالد وليكفين رواحلي الترحيلا

قال البحتري فقلت له لمن دواء حفصة في عبد الله بن طاهر وقد اتاه نائله من الجزيرة ما هو احسن من هذا وانشدته

لعمري لنعم الغيث غيث اصابنا ببغداذ من ارض الجزيرة وابله
فكانا كمن صبح الغيث اهله ولم ترتحل اظعانه ورواحله

فقال نعم هذا الحسن فقلت له ان في بني السمط وقد اتاني بر منهم من حمص ما لم ينتجع عن الجمع وانشدته

جزى الله خيرا والجزاء بكفه بني السمط اخدان السماحة والمجد
هم وصلوني والمهامه بيننا كما اتصل غيث تهامة في نجد

قال حدثني ابي

فقال هذا والله ادق مما قالا واحسن ، وروى احمد بن فارس المنبجي عن عبيد الله بن يحيى بن البحتري عن جماعة من اهل الادب والعلم منهم يموت بن المزرع قال قلت لابي عثمان الجاحظ من انسب العرب قال الذي يقول

عجلت الى فضل الخمار فاثرت / عذباته بمواضع التقبيل

الذي

وهذا للبحتري في القصيدة التي اولها / صب يخاطب مفحمات طلول / قال قدس الله روحه

وفي تشبيب هذه القصيدة بيت اخر ليس يقصر في ملاحة الكلام ورشاقته واخذه بمجامع القلوب عن البيت الذي فضله به الجاحظ وهو

أاحبيب عندك في الصبى لي شافع / وارد دونك والشباب رسولي

وفي مدح هذه القصيدة بيت معروف بفرط الحسن وهو

لا تطلبن له الشبيه فانه / قمر التأمل مؤنة التأميل

وبهذا الاسناد عن حبيب بن البحتري قال انصرفت يوما من مجلس ابي العباس محمد بن يزيد المبرد فقال لي ابي البحتري اين ما الذي افدت يومك هذا من ابي العباس فقلت املا علي اخبارا حسنة وانشدني ابياتا للحسين بن الضحاك فقال ابي انشدني الابيات فانشدته

كاني اذا فارقت شخصك ساعة / لفقدك بين العالمين غريب

وقد زمت اسباب السلو فخانني / ضمير عليه من هواك رقيب

اعزك صفحي عن ذنوب كثيرة / وغضي على اشياء منك يريب

كان لم يكن في الناس قبلي متيم / ولم يك في الدنيا سواك حبيب

الى الله اشكو ان شكوت فلم يكن / لشكواي من عطف الحبيب نصيب

فقال ما احسن هذا الكلام ثم انشدني لنفسه

حبيبي حبيب يكتم الناس انه / لنا حين تلقانا العيون حبيب

يباعدني في الملتقى وفؤاده / وان هو ابدى لي البعاد قريب

ويعرض عني والهوى منه مقبل / اذا خاف عينا او اشار رقيب

فتنطق منا اعين حين نلتقي / وتخرس منا السن وقلوب

ثم قال اي ورب ابيك هذين فانهما من حسن الشعر وظريفه ، وروى احمد بن فارس المنبجي عن ابي نصر محمد بن اسحق النحوي قال سمعت بعض اهل الادب يقول للزجاج قد كنت تعرف ابا العباس المبرد وكبره وانه لم يكن يقوم لاحد ولا يتطاول له ويتشهد اذا اشرف عليه الرجل

ثهلان ذو الهضبات لا يتحلحل

ولقد رايته يوما وقد دخل عليه رجل من ربيع فقام اليه ابو العباس فاعتنقه وتنحى عن موضعه واجلسه فجعل الرجل يستعفيه من ذلك فلما اكثر تنحى بالقيام ثم انكر علينا انشده ابو العباس ،

اتنكر ان اقوم وقد بدا لي / لاكرمه واعظمه هشام فاعلم بدا

فلا تنكر مبادرتي اليه / فان لمثله خلق القيام

فلما انصرف الرجل سالناه عنه فقيل هذا البحتري ،

مجلس اخر

تاويل اية

ان سال سائل عن قوله تعالى في قصة قابيل وهابيل حاكيا عن هابيل لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك اني اخاف الله رب العالمين اني اريد ان تبوء باثمي واثمك فتكون من اصحاب النار وذلك جزاء الظالمين فقال كيف يجوز ان يخبر عن هابيل وقد وصفه بالتقوى والطاعة بانه يريد ان يبوء اخوه بالاثم وذلك ارادة القبيح وارادة القبيح قبيحة عندكم على كل حال ووجه قبحها كونها ارادة للقبيح وليس قبحها مما يتغير وكيف يصح ان يبوء القاتل باثمه واثم غيره وهل هذا الا ما تابوه من اخذ البري بجرم السقيم

الجواب قلنا جواب اهل الحق عن هذه الاية معروف وهو ان هابيل لم يرد من اخيه قبيحا ولا اراد ان يقتله وانما اراد بما اخبر الله تعالى عنه من قوله اني اريد ان تبوء باثمي واثمك اي اريد ان تبوء بجزاء ما اقدمت عليه من القبيح وعقابه وليس بقبيح ان يريد نزول العقاب المستحق بمستحقه ، ونظير قوله اثمي مع ان المراد به عقوبة اثمي الذي هو قبيل قول القائل لمن يعاقب على ذنب جناه هذا ما كسبت يداك والمعنى هذا جزاء ما كسبت

بذاك وكذلك قولهم لمن يعون عليه لقاك الله عملك وستلقى عملك يوم القيامة معناه
ما ذكرناه فان قيل كيف يجوز ان يحسن اراده عقاب غير مستحق لم يقع سببه لان
القتل على هذا القول لم يكن واقعا قلنا ذلك جائز بشرط وقوع الامر الذى يستحق به
العقاب فهابيل لما راى من اخيه التصميم على قتله والعزم على امضاء القبيح فيه وغلب على
ظنه وقوع ذلك جاز ان يريد عقابه بشرط ان يفعل ما همّ به وعزم عليه فاما قوله باثمى
واثمك فالمعنى فيه والاصح لانه اراد باثمى عقاب قتلك لى واثمك اى عقاب المعصية
التى اقدمت عليها من قبل فلم يتقبل قربانك لسببها لان الله تعالى اخبر عنهما انهما قربا
قربانا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الاخر وان العلة فى ان قربان احدهما لم يتقبل انه غير
متق وليس يمتنع ان يريد باثمى ما ذكرناه لان الاثم مصدر والمصادر قد تضاف الى الفاعل
والمفعول جميعا وذلك مستعمل مطرد فى القرآن والشعر والكلام فمثال ما اضيف الى
الفاعل قوله تعالى ولولا دفاع الله الناس ومن اضافته الى المفعول قوله تعالى لا يسأم الانسان من
دعاء الخير ولقد ظلمك بسؤال نعجتك ومما جاء فى الشعر من اضافته الى المفعول دون الفاعل
قول الشاعر   امن رسم دار مربع ومصيف   لعينيك من ماء الشؤون وكيف
ومن الكلام يقول القائل اعجبنى ضرب عمرو وخالدا اذا كان عمرو فاعلا وضرب عمرو وخالد
اذا كان عمرو مفعولا وقد ذكر قوم فى الآية وجها آخر وهو ان يكون المراد انى اريد
زوال ان تبوء باثمى واثمك لانه لم يرد له الا الرشد والخير فحذف الزوال واقام ان وما
اتصل به مقامه كما قال تعالى واشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم اراد حب العجل فحذف
الحب واقام العجل مقامه وكما قال تعالى واسئل القرية وهذا قول بعيد لانه لا دلالة
فى الكلام على محذوف وانما يحسن الحذف فى بعض المواضع لاقتضاء الكلام للمحذوف و
دلالته عليه وذكر ايضا وجه آخر وهو ان يكون المعنى انى اريد ان لا تبوء باثمى واثمك اى اريد
ان لا تقتلنى ولا اقتلك فحذف واكتفى بما فى الكلام كما قال تعالى يبين الله لكم ان تضلوا

ومعناه لان لا تضلوا وكقوله تعالى والقى فى الارض رواسى ان تميد بكم معناه لان لا تميد
بكم وكقول الخنساء   فآليت آسى على هالك   واسأل نائحة ما لها   ارادت
لا آسى وقال امرؤ القيس   فقلت يمين الله ابرح قاعدا   ولو قطعوا راسى لديك واوصالى
اراد لا ابرح وقول عمرو بن كلثوم
نزلتم منزل الاضياف منا   فعجلنا القرى ان تشتمونا   اراد ان لا تشتمونا و
الشواهد فى هذا كثيرة جدا وهذا الجواب يضعفه كثير من اهل العربية لانهم
لا يستحسنون اضمار لا فى مثل هذا الموضع فاما قوله تعالى حاكيا عنه لئن بسطت
الى يدك لتقتلنى ما انا بباسط يدى اليك لاقتلك فقال قوم من المفسرين ان القتل على سبيل
الانتصار والمدافعة لم يكن مباحا فى ذلك الوقت وان الله تعالى امره بالصبر عليه وامتحن
بذلك ليكون هو المتولى للانتصاف وقال آخرون بل المعنى لئن بسطت الى يدك مبتديا
ظالما لتقتلنى ما انا بباسط يدى اليك على وجه الظلم والابتداء فكانه نفى عن نفسه القتل
القبيح وهو الواقع على سبيل الظلم والظاهر من الكلام بغير ما ذكر من الوجهين اشبه لانه
تعالى خبر عنه انه وان بسط اليه اخوه ليقتله لا يبسط يده ليقتله اى وهو مريد لقتله و
مجر اليه لان هذه اللام بمعنى كى وهى منبئة عن الارادة والغرض ولا شبهة فى حظر ذلك
وقبحه لان المدافع انما يحسن منه المدافعة للظالم طلبا للتخلص من غير ان يقصد الى قتله او
الاضرار به ومتى قصد ذلك كان فى حكم المبتدى بالقتل فى انه فاعل القبيح والعقل شاهد
بوجوب التخلص من المضرة باى وجه امكن بعد ان يكون غير قبيح فان قيل وكانتم تمنعون
من حسن امتحان الله تعالى بالصبر على ترك الانتصار والمدافعة وتجوزونها على كل حال قلنا
لا نمنع من ذلك وانما بينا ان الآية غير مقتضية لتحريم المدافعة والانتصار على ما ذهب اليه
قوم لان قوله لاقتلك يقتضى ان يكون البسط لهذا الغرض والمدافعة لا تقتضى ذلك ولا
تحسن من المدافع ان يجرى بها الى الضرر ولا دلالة فى الآية على تحريم المدافعة ووجب ان

صح للانتصار

يده

تاويل خبر

ان يكون ما ذكرناه اولى بشبان الظاهر

ان سال سائل عن معنى الخبر الذى يرويه ابو هريرة عن النبى صلى الله عليه واله انه قال لا يموت لمومن ثلثة من الاولاد فتمسه النار الا تحلة القسم الجواب قيل له اما ابو عبيد القسم بن سلام فانه قال يعنى بتحلة القسم قوله تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا فكانه قال لا يرد النار الا بقدر ما يبر الله قسمه واما ابن قتيبة فانه قال فى تاويل ابى عبيد هذا مذهب حسن من الاستخراج ان كان هذا قسما قال وفيه مذهب آخر اشبه بكلام العرب فى معانيهم وهو ان العرب اذا ارادوا تقليل لبث الشى وتقصير مدته شبهوه بتحليل القسم وذلك ان يقول الرجل بعد حلفه ان شاء الله فيقولون ما يقيم فلان عندنا الا تحلة القسم وما ينام الا كتحليل الالية وهو كثير مشهور قال ابن احمر وهو يصف الريح

اذا عصبت رسما فليس بدائم ... به وتد الا تحلة مقسم

عصفت

يقول لا يثبت الوتد الا قليلا كتحلة القسم لان هبوب الريح يقلعه وقال آخر يذكر ثورا

يخفى التراب باظلاف ثمانية ... فى اربع مسهن الارض تحليل

يقول هو سريع خفيف وقوائمه لا تثبت فى الارض الا كتحليل اليمين وقال ذو الرمة

طوى طية فوق الكرى جفن عينه ... على رهبات من جنان المحاذر

قليلا كتحليل الالى ثم قلصت ... به شيمة روعاء تقليص طائر

الالى جمع الوة وهى اليمين قال ومعنى الحديث على هذا التاويل ان النار لا تمسه الا قليلا كتحليل اليمين ثم ينجيه الله منها وقال ابو بكر محمد بن القسم الانبارى الصواب قول ابى عبيد لحجج ثلث منها ان جماعة من كبار اهل العلم فسروه على تفسير ابى عبيد ومنها انه ادعى ان النار تمس المومن وتعذبه عند التحلة لكن مسا قليلا والقليل من النار يقع به الالم العظيم وليس صفة الابرار فى الآخرة صفة من تمسه النار لا قليلا ولا كثيرا ومنها ان ابا عبيد لم يحكم على هذا المصاب بولده بمس النار وانما حكم عليه بالورود والورود لا يوجب ان يكون من

الا بر لان الا معناه الاستثناء المنقطع كانه قال فتمسه النار لكن تحلة اليمين اى لكن ورود النار لا بد منه تجرى مجرى قول العرب سار الناس الا الاثقال وارتحل العسكر الا اهل الخيام وانشد الفراء

وسمحة المشى شملال قطعت بها ... ارضا يحار بها الهادون ديموما

مهامها وخروقا لا انيس بها ... الا الضوابح والاصداء والبوما

وانشد الفراء

ليس عليك عطش ولا جوع ... الا الرقاد والرقاد ممنوع

معنى الحديث لا يموت للمسلم ثلثة من الولد فتمسه النار البتة لكن تحلة اليمين لا بد منها وتحلة اليمين الورود والورود لا يقع فيه مس قال ابو بكر وقد يسنح لى فيه قول آخر وهو ان تكون الا زائدة دخلت للتوكيد وتحلة اليمين منصوب على الوقت والزمان ومعنى الخبر فتمسه النار وقت تحلة القسم والا زائدة قال الفرزدق وشاهد هذا

هم القوم الا حيث سلوا سيوفهم ... وضحوا بلحم من محل ومحرم

معناه هم القوم حيث سلوا سيوفهم والا موكدة وقال الاخطل

يقطعن الا من فروع يردنها ... بمدحية تحمو دنشاه ونابله

معناه يقطعن الا من فروع يردنها والفروع الواسعة من الارض قال السيد قدس الله روحه والوجوه المذكورة فى تاويل الخبر كالمتقاربة الا ان الوجه الذى اختص به ابن الانبارى فيه ادنى تعسف وبعد من حيث جعل الا زائدة وذلك كالمستضعف عند جماعة من اهل العلم بالعربية وقد بقى فى الخبر مسالة التشاغل بالجواب عنها اولى مما تكلفه القوم وهى متوجهة على كل الوجوه التى ذكروها فى تاويله وهو ان يقال كيف يجوز ان يخبر عليه السلم بان من مات له ثلثة من الولد لا تمسه النار اما جملة او بمقدار تحلة القسم وهو النهاية فى القلة اوليس ذلك يوجب ان يكون اغراء بالذنوب لمن هذه حاله واذا كان من يموت له هذا العدد من الاولاد غير

العربية

خارج عن التكليف فكيف يصح أن يؤمن من العقاب والجواب عن ذلك أنا قد علمنا
أن لا مخرج لهذا الخبر مخرج المدح لمن هذه صفته والتخصيص له والتمييز ولا بد حينئذ في مجرد
موت الأولاد لأن ذلك لا يرجع إلى فعله فلا بد من أن يكون تقدير الكلام أن النار لا تمس المسلم الذي
يموت له ثلاثة من الأولاد إذا أحسن صبره واحتسابه وعزاءه ورضاه بما جرى به القضاء
عليه لأنه بذلك يستحق الثواب والمدح وإذا كان إضمار الصبر والاحتساب لا بد منه لم يكن
في القول إغراء لأن كيفية وقوع الصبر والوجه الذي إذا وقع عليه تفضل الله تعالى
بغفران ما لعله أن يستحقه من العقاب في المستقبل إذا لم يكن معلوما فلا وجه للإغراء ولكن
ما في هذا أن يكون القول مرغبا في حسن الصبر وحاثا عليه رغبة في الثواب ورجاء لغفران
ما لعله أن يستحق في المستقبل من العقاب وهذا واضح لمن تأمله

مجلس آخر ... تأويل آية إن سأل سائل عن قوله تعالى
ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة فقال ما معنى أو هاهنا وظاهرها
يفيد الشك الذي لا يجوز عليه تعالى الجواب قلنا في هذه الآية وجوه أولها
أن تكون أو هاهنا للإباحة كقولهم جالس الحسن أو ابن سيرين والق الفقهاء أو المحدثين و
لم يريدوا الشك بل كأنهم قالوا هذان الرجلان أهل للمجالسة وهذان الفريقان أهل للقاء فإن
جالست الحسن فأنت مصيب وإن جمعت بينهما فكذلك فيكون معنى الآية على هذا أن قلوبكم
قاسية متجافية عن الخير والرشد فإن شبهتم قسوتها بالحجارة أصبتم وإن شبهتموها
بما هو أشد أصبتم وإن شبهتموها بالجميع فكذلك وعلى هذا تأولنا قوله تعالى أو كصيب
من السماء لأن أو لم يرد بها الشك بل على النحو الذي ذكرناه من أنكم إن شبهتموهم بالذي
استوقد نارا فجائز وإن شبهتموهم بأصحاب الصيب فجائز وإن شبهتموهم بالجميع فكذلك
وثانيها أن تكون أو دخلت للتفصيل والتمييز ويكون معنى الآية أن قلوبهم قست فبعضها
ما هو كالحجارة في القسوة ومنها ما هو أشد قسوة منها ويجري ذلك مجرى قوله تعالى وقالوا

نسخة: في ذلك وجوه من التأويل أولها

كونوا هودا أو نصارى تهتدوا لأن معناه وقال بعضهم كونوا هودا وهم اليهود وقال بعضهم كونوا
نصارى وهم النصارى فدخلت أو للتفصيل وكذلك قوله تعالى وكم من قرية أهلكناها فجاءها
بأسنا بياتا أو هم قائلون فمعناه فجاء بعض أهلها بأسنا بياتا وجاء بعض أهلها بأسنا في وقت
القيلولة وقد يحتمل قوله تعالى أو كصيب من السماء هذا الوجه أيضا ويكون المعنى أن بعضهم يشبه
الذي استوقد نارا أو بعضهم يشبه أصحاب الصيب وثالثها أن تكون أو دخلت على سبيل
الإبهام فيما يرجع إلى المخاطب وإن كان الله تعالى عالما بذلك غير شاك فيه لأنه تعالى لم يقصد
في إخباره عن ذلك إلى التفصيل بل علم أن خطابهم بالإجمال أبلغ في مصلحتهم فأخبرهم أن
قسوة قلوب هؤلاء الذين ذمهم كالحجارة أو أشد قسوة والمعنى أنها كأحد هذين لا تخرج عنهما
ويجري ذلك مجرى قولهم ما أطعمتك إلا حلوا أو حامضا فيبهمون على المخاطب ما يعلمون
أنه لا فائدة في تفصيله والمعنى ما أطعمتك إلا أحد هذين الضربين وكذلك يقول أحدهم
أكلت بسرة أو تمرة وهو قد علم ما أكل على التفصيل إلا أنه أبهمه على المخاطب وقال لبيد

تود ابنتاي أن يعيش أبوهما وهل أنا إلا من ربيعة أو مضر

أراد هل أنا إلا من أحد هذين الجنسين فسبيلي أن أفنى كما فنيا وإنما حسن ذلك لأنه
قصد الذي أجرى إليه وغرضه الذي نحاه هو أن يخبر بكونه ممن يموت ويفنى ولا يخل به
إجمال ما أجمل من كلامه فأضرب عن التفصيل لأنه لا فائدة فيه ولأنه سواء كان من ربيعة أو
مضر فموته واجب وكذلك الآية لأن الغرض فيها أن يخبر عن شدة قسوة قلوبهم وأنها مما
لا تنثني لوعظ ولا تصغي إلى حق فسواء كانت في القسوة كالحجارة أو أشد قسوة منها فقد
تم ما أجري إليه من الغرض في وصفها وذمها وصار تفصيل تشبيهها بالحجارة أو بما هو أشد
قسوة منها كتفصيل كونه من ربيعة أو مضر في أنه غير محتاج إليه ولا يقتضيه الغرض في الكلام
ورابعها أن تكون أو بمعنى بل كما قال تعالى وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون معناه
بل يزيدون وروي عن ابن عباس في قوله تعالى وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون قال كانوا
مائة ألف وبضعا وأربعين ألفا وأنشد الفراء

تمنى

بدت مثل قرن الشمس في رونق الضحى وصورتها او انت في العين املح

وقد يكون في الاستفهام ايضا بمعنى بل كقول القائل اضربت عبد الله ام انت رجل متعنت معناه
بل انت وقال الشاعر

فو الله ما ادري اسلمى تغولت ام النوم ام كل الي حبيب

معناه بل كل وطعن بعضهم على هذا الجواب فقال كيف يجوز ان يخاطبنا تعالى بلفظة بل وهي
تقتضي الاستدراك والنقض للكلام الماضي والاضراب عنه وليس ذلك بشيء اما الاستدراك
فان اريد به الاستفهام او التذكر لما لم يكن معلوما فليس بصحيح لان احدنا قد يقول اعطيته
القابل الغين وقصته دفعة بل دفعتين وهو عالم في ابتداء كلامه بما اخبر به في الثاني و
لم يتجدد له به علم وان اريد به الاخذ في كلام غير الماضي واستينافه زيادة عليه فهو الصحيح
ومثله جائز عليه فاما النقض للكلام الماضي فليس بواجب في كل موضع يستعمل فيه لفظة
بل لان القائل اذا قال اعطيته القابل الغين لم ينقض الاول وكيف ينقضه والاول داخل في
الثاني وانما زاد عليه وانما يكون ناقضا للماضي اذا قال لقيت رجلا بل حمارا او اعطيته درهما
بل ثوبا لان الاول لم يدخل في الثاني على وجه وقوله تعالى او اشد قسوة غير ناقض للاول لانها
لا تزيد في القسوة على الحجارة الا بان تساويها وانما تزيد عليها بعد المساواة وجائز
ان تكون او بمعنى الواو كقوله تعالى ان تاكلوا من بيوتكم او بيوت آبائكم معناه وبيوت آبائكم قال
جرير

نال الخلافة او كانت له قدرا كما اتى ربه موسى على قدر

وقال جرير ايضا

اثعلبة الفوارس او رياحا عدلت بهم طهية والخشابا

قال توبة بن الحمير

وقد زعمت ليلى باني فاجر لنفسي تقاها او عليها فجورها

وقال اخر

فلو كان البكاء يرد شيئا بكيت على بجير او عفاق
على المرئين اذ هلكا جميعا لشانهما بشجو واشتياق

اراد على بجير وعفاق وقد حكى المفضل بن سلمة هذا الوجه عن قطرب وطعن عليه بان قال

ليس شيء يعلم اشد قسوة عند المخاطبين من الحجارة فيتسق به عليها وانما يصح ذلك في قولهم
اطعمتك تمرا او احلى منه لان احلى منه معلوم واختار المفضل الوجه الذي يتضمن ان او بمعنى
بل وهذا الذي طعن به المفضل ليس بشيء لانهم وان لم يشاهدوا او يعرفوا ما هو اشد قسوة من
الحجارة تصور قسوة الحجارة معلومة لهم ويصح ان يتصوروا ما هو اشد منها وماله الزيادة
عليها لان تقدير الماء اذا عرف صح ان يعرف ما هو ازيد منه او انقص لان الزيادة والنقصان انما
يضافان الى معلوم معروف على ان الاية خرجت مخرج المثل واراد تعالى بوصف قلوبهم بالزيادة في
القسوة على الحجارة انها قد انتهت الى حد لا تلين معه للخير على وجه من الوجوه وان كانت الحجارة
ربما لانت وانتفع بها فصارت من هذا الوجه كانها اشد قسوة منها تمثيلا وتشبيها وقول
المفضل ليس يعرفون ما هو اقسى من الحجارة لا معنى له اذا كان القول على طريق المثل وبعد فان
الذي طعن به على هذا الجواب يعترض على الوجه الذي اختاره لانه اذا اختار ان او في الاية
بمعنى بل فكيف جاز ان يخبرهم بان قلوبهم اشد قسوة من الحجارة وهم لا يعرفون ما هو اقسى من الحجارة
واذا جاز ان يقول لهم بل قلوبهم اقسى مما تعرفون من الحجارة جاز ان يخبر عن مثل ذلك بالواو فيقول قلوبهم
كالحجارة التي تعرفون في القسوة وهي مع ذلك تزيد عليها فان قيل كيف تكون او في الاية
بمعنى الواو والواو للجمع وليس يجوز ان تكون قلوبهم كالحجارة واشد من الحجارة في حال واحدة لان
الشيء اذا كان على صفة لم يجز ان يكون على خلافها قلنا قد اجاب بعضهم عن هذا الاعتراض
بان قال ليس يمتنع ان تكون قلوبهم كالحجارة في حال واشد من الحجارة في حال اخرى فيصح المعنى ولا
يتنافى وهذا قريب وتكون فائدة هذا الجواب ان قلوب هؤلاء في بعض الاحوال مع القسوة و
العدول عن قبول الحق والفكر فيه كالحجارة التي ربما لانت وفي حال اخرى تكون في نهاية البعد عن
الخير والنفور عنه فتكون في هذه الحال اشد قسوة من الحجارة على انه يمكن في الجواب عن هذا الاعتراض
وجه اخر وقد تقدم معناه في بعض كلامنا وهو ان قلوبهم لا تكون اشد من الحجارة الا بعد ان تكون فيها
قسوة الحجارة لان القائل اذا قال فلان اعلم من فلان فقد اخبر بانه زائد عليه في العلم الذي اشتركا

فيه فلا بد من الاشتراك ثم الزيادة فليس ها هنا شاف على ما طفى المعترض ولا اثبات الصفة و
نفيها وكل هذا واضح بين بحمد الله ومنه قال قدس الله روحه وانى لاستحسن
من الشعر قول الاحوص محمد الانصارى

ومولى سخيف الراى رخو تزيده اناتى وغفرى جهله عنده ذما
دملت ولولا غيره لاصبته بشنعاء باق عارها تفرى العظما
طوى حسدا اضغانا على كانما اداوى به فى كل مجمعة كلما
وتجهل ايديا فلا يستحقنى ولا اجهل العتبى اذا راجع الحلما
يصد وينأى فى الرخاء بوده ويدنو ويدعونى اذا خشى الهضما
تبفرج عنه ازبة الخصم مشهدى وادفع عنه عند عثرته الظلما

الازبة الدهاة والازبة الحفدة وكلا المعنيين يحتمل لفظ البيت

وكنت امرءا عود الفعال لمن بنى ما ابتنى مجدنا لم يكن زغما
ولست بلاق سيد اسادة مالكا فتنسبه الا ابا لى او عما
وكنت وشتمى فى ارومة مالك يسبنى له كالكلب اذ ينبح النجما
ستعلم ان عادت منى فعع فوق انما لا افرت لا اباك او غما
لقد ابقت الايام منى وحرسها لاعدائنا نكلا وحسادنا رغما
وكانت عروق السوء ازرت وقصرت به ان ينال الحمد فالتمس الذما

ومن مختار قوله

انى اذا خفى الرجال وجدتنى كالشمس لا تخفى بكل مكان
ما من مصيبة نكبة امنى بها الا تشرفنى وتعظم شانى

ومن جيد قوله

وتزول حين تزول عن متخمط تخشى بوادره على الاقران
خليلان باحا بالهوى فتشاحنت اقاربه وصلوا اقاربه
الا ان اهوى الناس قربا ودونه وتحا اذا ما الليل غارت كواكبه

عود الفعال اى جليله
تفرى تصدع
اداوى
بسبابه
اليمن عطفنا عا عابلى تحلفين
الذم

211

ضجيع دنا منى جزلت بقربه فبات يمنينى وبت اعاتبه
واجبن فى الشر بينى وبينه بان ليس شىء عند نفسى يقاربه
وقد عبر فى وجه كل من وصف المضاجعة امرؤ القيس بقوله
تقول وقد جردتها من ثيابها كما رعت مكحول المدامع اتلعا
وجدك لو شىء اتانا رسوله سواك ولكن لم نجد لك مدفعا
فبتنا تذود الوحش عنا كاننا قتيلان لم يعلم لنا الناس مصرعا
اذا اخذتها هزة الروع امسكت بمنكب مقدام على الهول اروعا

وقال على بن الجهم وهو صف شدة الالتزام

سقى الله ليلا ضمنا بعد هجعة وادنى فؤادا من فؤاد معذب
فبتنا جميعا لو تراق زجاجة من الراح فيما بيننا لم تسرب

ولعبد الصمد بن المعذل فى هذا المعنى

كانى عانقت ريحانة تنفست فى ليلها البارد
فلو ترانا فى قميص الدجى حسبتنا فى جسد واحد

وللبشار بن برد

اننى اشتهى لقاءك والله فماذا عليك ان تلقانى

ومثل هذا للبحترى

قد تلف الرياح غصنا من البان الى مثله فيلتقيان
ولم انس ليلتنا فى العناق لف الصبا بقضيب قضيبا
كما افتنت الريح فى مرها فطورا اخونا وطورا ايوبا

ولاخر فى مثل هذا المعنى بعينه ولسنا ندرى هل سبق البحترى او تاخر عنه

ولعلى بن الجهم

وضمنا بهمة واعتناق كما التف القضيب على القضيب
وبتنا على رغم الحسود كاننا خليطان من ماء الغمامة والخمر
وهذا ان جعله فى العناق فهو ماخوذ من قول بشار

وإذ نلتقي خلف العيون كأننا سلاف عقار بالتفاح مشوب — العيون

والأصل في هذا المعنى قول الأخطل والناس من بعد على أثره

من الجازيات الحور مطلبها كبيض الأنوق المستكنة في الوكر — أي بعيد لا يستطاع لحصنها

وإني وإياها إذا ما لقيتها لكالماء من صوب الغمامة والخمر

وقد أخذه أيضا ابن أبي عيينة فقال

ذاك إذ دهماء وزوجي مزاجان كأصفى خمر بعذب ماء

وأخذه العباس بن الأحنف فقال

ما أنس لا أنس يمناها معطفة على فؤادي ويسراها على راسي

وقولها ليتني ثوب على جسدي أو ليتني كنت سربالا لعباس

أو ليتني كنت خمرا أو كنت له من ماء مزن فكنا الدهر في كاس

ومثل هذا للبحتري

وجدت نفسك من نفسي بمنزلة هي المصافاة بين الماء والراح

ولقد أحسن بشار في قوله

لقد كان ما بيني زمانا وبينها كما بين ريح المسك والعنبر الورد

أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثنا أحمد بن محمد المكي قال حدثنا أبو العيناء قال حدثني العتبي عن أبيه قال سير الوليد بن عبد الملك الأحوص إلى دهلك فكتب الأحوص إلى عمر بن عبد العزيز حين استخلف

وكيف ترى للنوم طعما ولذة وخالك أمسى موثقا في الحبائل

فمن يك أمسى سائلا عن شماتة ليشمت بي أو شامتا غير سائل

فقد عجمت مني الحوادث ماجدا صبورا على عضاء تلك البلابل

إذا سر لم يفرح وليس لنكبة ألمت به بالخاشع المتضائل

فبعث عمر بن عبد العزيز إلى عراك بن مالك الذي كان شهد عليه وقال ما ترى في هذا البائس فقال عراك مكانه خير له فتركه موضعه فلما ولي يزيد بن عبد الملك خلى الأحوص وسير عراكا قال السيد رحمه وإنما كان الأحوص خال عمر بن عبد العزيز من جهة أن أم عمر هي أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب وأمها أنصارية فأما قوله إذا سر لم يفرح البيت فمأخوذ من قول

لقيط بن زرارة لا تمش في أن رخاء العيش سلمه وليس إن عض مكروه به خشعا

ولله در الأحوص

ببطن مكة لا أبوح بها قد شفه غلبت على قلبي — ولو أنها إذ من بوكبها يوم الكدية ابن أطاعني صحبي

فلما لها حبيبة من نجد ولركبها حبيبة من ركب — والشوق أقتله رؤيتها قبل الظما بالبارد العذب

والناس إن حلوا جميعهم شعبا سلام وكنت في شعب — لحللت شعبك دون شعبهم ولكان قربك منهم حسبي

قوله والشوق أقتله رؤيتها نظير قول جرير

فلما التقى الحيان ألقيت العصا ومات الهوى لما أصيبت مقاتله

مجلس آخر [خ] تأويل آية

إن سأل سائل عن قوله تعالى وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين فقال كيف يأمرهم أن يخبروا بما لا يعلمون أوليس ذلك قبيح من تكليف ما لا يطاق الذي تأبونه والذي جوز أن يكلف تعالى مع ارتفاع القدرة لا يجوزه الجواب قلنا قد ذكر في هذه الآية وجهان أحدهما أن ظاهر الآية يقتضي التعلق بشرط وهو قوله إن كنتم صادقين عالمين بأنكم إذا أخبرتم صدقتم فإنه تعالى قال لهم خبروا بذلك إن علمتم ومتى رجعوا إلى نفوسهم فلم يعلموا فلا تكليف عليهم وهذا بمنزلة أن يقول القائل لغيره خبرني بكذا وكذا إن كنت تعلمه وإن كنت تعلم أنك صادق فيما تخبر به عنه فإن قيل ليس قد قال المفسرون في قوله تعالى إن كنتم صادقين أن المراد به إن كنتم تعلمون بالعلة التي جعلت من أجلها خليفة في الأرض أو إن كنتم صادقين في اعتقادكم أنكم تقومون بما نصب الخليفة له وتضطلعون به وتصلحون له قلنا قد قيل كل ذلك وقيل أيضا ما ذكرناه وإذا كان القول محتملا للأمرين جاز أن يبنى الكلام على كل واحد منهما وهذا الجواب لا يتم إلا لمن يذهب إلى أن الله تعالى لا يصح أن يأمر العبد بشرط قد علم أنه لا يحصل ولا يحسن أن يريد منه الفعل على هذا الوجه ومن ذهب إلى جواز ذلك صح أن يعتمد على هذا الجواب فإن قيل فأي فائدة في أن يأمرهم بأن يخبروا وأعز ذلك

إن كانت كذا

بشرط ان يكونوا صادقين وهو عالم بانهم لا يتمكنون من ذلك لفقد علمهم به قلنا من مذهب
الى الاصل الذي ذكرناه ان يقول لا يمتنع ان يكون الغرض في ذلك هو ان تنكشف باقرارهم وامتناعهم
من الاخبار بالاسماء ما اراد تعالى بيانه من استيثاره بعلم الغيب وانفراده بالاطلاع على وجوه
المصالح في الدين فان قيل فهذا يرجع الى الجواب الذي تذكرونه من بعد قلنا هو وان
رجع الى هذا المعنى فبينهما فرق من حيث كان هذا الجواب على تسليم ان الاية تضمنت الامر و
التكليف الحقيقيين والجواب الثاني لا يسلم فيه ان القول امر على الحقيقة فمن هنا افترقا والجواب
الثالث ان يكون الامر وان كان ظاهره ظاهر امر فغير امر على الحقيقة بل المراد به التقرير والتنبيه
على مكان الحجة وقد يرد بصورة الامر ما ليس بامر والقران والشعر وكلام العرب مملو بذلك
وتلخيص هذا الجواب ان الله تعالى لما قال للملائكة اني جاعل في الارض خليفة قالوا اتجعل
فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك فقال لهم اني اعلم ما لا تعلمون اي
اني مطلع من مصالحكم وما هو انفع لكم في دينكم على ما لا تطلعون عليه ثم اراد التنبيه على انه لا
يمتنع ان يكون غير الملائكة مع انها تسبح وتقدس وتطيع ولا تعصي اولى بالاستخلاف في الارض
وان كان في ذريته من يفسد ويسفك الدماء فعلم ادم عليه السلام اسماء جميع الاجناس او اكثرها
ثم قال للملائكة انبئوني باسماء هؤلاء مقررا لهم ومنبها على ما ذكرناه ودالا على اختصاص
ادم بما لم يختصوا به فلما اجابوه بالاعتراف والتسليم الى علم الغيب الذي لا يعلمونه فقال لهم
الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون منبها على انه
تعالى هو المتفرد بعلم المصالح في الدين وان الواجب على كل مكلف ان يسلم لامره ويعلم انه لا يختار يعلم
لعباده الا ما هو الاصلح لهم في دينهم علموا وجه ذلك ام جهلوه وعلى هذا الجواب يكون قوله ان كنتم
صادقين محمولا على كونهم صادقين في العلم بوجه المصلحة في نصب الخليفة او في ظنهم انهم
يقومون بما يقوم به هذا الخليفة ويكملون له فلولا ان الامر على ما ذكرناه وان القول لا يقتضي

صح واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون معنى لان التكليف الاول لا يتغير حاله بان يخبرهم ادم عليه السلام بالاسماء ولا يكون قوله اني اعلم غيب السموات والارض الى اخره

التكليف لم يكن لقوله تعالى بعد اعترافهم واقرارهم الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض
الى اخر الاية المطابقة لما ذكرناه من المعنى دون معنى التكليف فكانه تعالى قال اذا كنتم لا تعلمون
هذه الاسماء فانتم عن علم الغيب اعجز وبان تسلموا الامر لمن يعلمه ويدبر امركم بحسبه اولى
فان قيل فكيف علمت الملائكة ان في ذريته ادم عليه السلام من يفسد في الارض ويسفك الدماء و
ما طريق علمها بذلك وان كانت غير عالمة فكيف يحسن ان تخبر عنهم بغير علم قلنا قد قيل انها لم انها
تخبر وانما استفهمت فكانها قالت متعرفة اتجعل فيها من يفعل كذا وكذا وقيل ان الله تعالى
اخبرها بانه سيكون من ذريته من المستخلف من يعصي ويفسد في الارض فقالت على وجه التعرف
لما في هذا التدبير من المصلحة والاستفادة لوجه الحكمة فيه اتجعل فيها من يفعل كذا وكذا وهذا الجواب
الاخير يقتضي ان يكون في اول الكلام حذف ويكون التقدير واذ قال ربك للملائكة اني جاعل
في الارض خليفة واني عالم بانه سيكون من ذريته من يفسد ويسفك الدماء فاكتفى عن ايراد هذا
المحذوف بقوله تعالى قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها لان في ذلك دلالة على الامر وانما حذف
اختصارا وفي جملة جميع الكلام اختصار شديد لانه تعالى لما حكى عنهم قولهم اتجعل فيها من
يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك كان في ضمن هذا الكلام ونحن على ما
نظنه ويظهر لنا من الامر اولى بذلك لانا نطيع وغيرنا يعصي وقوله تعالى اني اعلم ما لا تعلمون
يتضمن ايضا اني اعلم من مصالح المكلفين ما لا تعلمونه وما يكون مخالفا لما تظنونه على ظواهر الامور
وفي القران من الحذوف العجيبة والاختصارات الفصيحة ما لا يوجد في شيء من الكلام فمن ذلك
قوله تعالى في قصة يوسف عليه السلام والناجي من صاحبيه في السجن عند رؤيا الملك البقر
السمان والعجاف انا انبئكم بتاويله فارسلون يوسف ايها الصديق افتنا ولو بسط الكلام
لقال انا انبئكم بتاويله فارسلون ففعلوا فاتى يوسف فقال له يوسف ايها الصديق ومثله قوله تعالى
في الانعام قل اني امرت ان اكون اول من اسلم ولا تكونن من المشركين اي وقيل لي ولا تكونن من
المشركين وكذلك قوله تعالى في قصة سليمان عليه السلام ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر

واسألنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه ومن يزغ منهم عن امرنا نذقه من عذاب
السعير يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داود شكرا
اي وقيل لهم اعملوا آل داود شكرا وقال الحَجَري

وذم على فيش بحور مجاشع فنوّم على ساق بطي جبورها

اراد فنوّم على ساق يمكن بطي جبورها لكنه لما كان في قوله بطي جبورها دليل على الكسر اقتصر
عليه وقال عنترة

هل تبلغنّي دارها شدنية لعنت بمحروم الشراب مصرّم

يعني ناقته ومعنى لعنت اي دُعي عليها بانقطاع لبنها وجفاف ضرعها فصارت لذلك هذا كله
والناقة اذا كانت لا تنتج كان اقوى لها على السير وقال تأبط شرا ويروى للشنفرى

فلا تقبروني ان قبري محرّم عليكم ولكن خامري ام عامر

لانه اراد لا تقبروني بل دعوني تاكلني التي يقال لها خامري ام عامر وهي الضبع وقال اوس بن حجر

حتى اذا الكلاب قال لها كاليوم مطلوبا ولا طلبا

اراد لم ار كاليوم فحذف وقال ابو دواد الايادي

ان من شيمتي لبذل تلادي دون عرضي فان رضيت فكوني

اراد فكوني معي على ما انا عليه وان سخطت فبيني فحذف هذا كله وقال آخر

اذا قيل سيروا ان ليلى لعلها جرى دون ليلى مائل القرن اعضب

اراد لعلها قريب • وهذا باب يتسع واكثر من ان يحيط به قول والحذف غير الاختصار
وقوم يظنون انهما واحد وليسا كذلك لان الحذف يتعلق بالالفاظ وهو ان تأتي بلفظ يقتضي
غيره ويتعلق به ولا يستقل بنفسه ويكون في الموجود دلالة على المحذوف فتقتصر عليه
طلبا للاختصار والاختصار يرجع الى المعاني وهو ان تأتي بلفظ مفيد لمعان كثيرة لو عبّر
عنها بغيره لاحتيج الى اكثر من ذلك اللفظ ولا حذف ثَمّ وهو اختصار وليس كل اختصار حذفا
فمثال الحذف قوله ولكن خامري ام عامر ونظائره مما انشدناه لان القول غير مستغن بنفسه

بل يقتضي كلاما آخر غير انه لما كان فيه دلالة على ما حذف حسن استعماله ومثال الاختصار
الذي ليس بحذف قول الشاعر

اولاد جفنة حول قبر ابيهم قبر ابن مارية الكريم المفضل

اراد انهم اعزاء مقيمون بدار مملكتهم لا ينتجعون كالاعراب فاختصر هذا المبسوط في حول قبر
ابيهم ومثله قول عدي بن زيد

عالم بالذي يريد نقي الصدر عف على جناه حسود

وفي معنى الاختصار قول اوس بن حجر

وفتيان صدق لا تخم لحامهم اذا اشبه النجم الصوار النوافرا

تقوله لا تخم لحامهم لفظ مختصر ولو بسطه لقال انهم لا يدّخرون اللحم ولا يتشبعونه فيتخم بل
يطعمونه الاضياف والطراق ومعنى قوله اذا اشبه النجم الصوار النوافرا يعني في شدة
البرد وكلب الشتاء والثريا تطلع في هذا الزمان عشاء كانها صوار متفرق وهذا ايضا اكثر
من ان يحصى وانما فضل الكلام الفصيح بعضه على بعض لقوة حظه في افادة المعاني الكثيرة
بالالفاظ المختصرة فاما قوله تعالى ثم عرضهم على الملائكة بعد ذكر الاسماء التي لا يليق بها هذه الكناية
فالمراد به انه عرض المسميات لان الكناية لا تليق بالاسماء ولا بد من ان تكون تلك المسميات او فيها
من يجوز ان يكنى عنه بهذه الكناية لانها لا تستعمل الا في العقلاء ومن جرى مجراهم وقيل ان في
قراءة ابيّ ثم عرضها وفي قراءة عبد الله بن مسعود ثم عرضهن وعلى هاتين القراءتين يصلح ان تكون
عبارة عن الاسماء وقد يبقى في هذه الآية سؤال لم نجد احدا ممن تكلم في تفسير القرآن ولا في
متشابهه ومشكله تعرض له وهو من مهم ما يسأل عنه وذلك ان يقال من اين علمت الملائكة لما
خبّرها آدم عليه السلم بتلك الاسماء صحة قوله ومطابقة الاسماء للمسميات وهي لم تكن عالمة
بذلك من قبل اذ لو كانت الملائكة عالمة لاخبرت بالاسماء ولم تعترف بفقد العلم والكلام يقتضي
انهم لما انبأهم آدم بالاسماء علموا صحتها ومطابقتها للمسميات ولولا ذلك لم يكن لقوله الم اقل
لكم اني اعلم غيب السموات والارض معنى ولا كانوا مستفيدين بذلك نبوته وتمييزه و
اختصاصه بما ليس لهم لان كل ذلك انما يتم مع العلم دون غيره والجواب انه غير
ممتنع ان يكون الملائكة في الاول لغير عارفين بتلك الاسماء فلما انباهم آدم عليه السلم بها فعل الله لهم

في الحال العلم الضروري بصحتها ومطابقتها للمسميات إما عن طريق أو ابتداء بلا طريق فيعلمون بذلك
تميزه واختصاصه وليس لأحد أن يقول إن ذلك يؤدي إلى أنهم علموا نبوته اضطرارا وفي هذا منافاة
لطريقة التكليف وذلك أنه ليس في علمهم بصحة ما أخبر به ضرورة ما يقتضي العلم بالنبوة ضرورة بل
بعده درجات ومراتب لا بد من الاستدلال عليها وتجري هذا المجرى أن يخبر أحدنا نبي بما نفعله على
سبيل التفصيل على وجه يخرق العادة ونحن وإن كنا عالمين بصدق خبره ضرورة لا بد من الاستدلال
فيما بعد على نبوته لأن علمه بصدق خبره ليس هو العلم بنبوته لكنه طريق يوصل إليها على ترتيب
ووجه آخر وهو أنه لا يمتنع أن تكون للملائكة لغات مختلفة فكل قبيل منهم يعرف أسماء الأجناس
في لغته دون لغة غيره إلا أن يكون إحاطة عالم واحد بأسماء الأجناس في جميع لغاتهم خارقة
للعادة فلما أراد الله تعالى التنبيه على نبوة آدم عليه السلم علمه جميع تلك الأسماء فلما أخبرهم
بها علم كل فريق مطابقة ما خبر به من الأسماء للغته وهذا لا يحتاج فيه إلى الرجوع إلى غيره وعلم
مطابقة ذلك لباقي اللغات بخبر كل قبيل ولا شك أن كل قبيل إذا كانوا كثيرة وخبروا وانبئ
يجري هذا المجرى علم بخبرهم فإذا أخبر كل قبيل صاحبه بعلم من ذلك في لغة غيره ما علمه في لغته
وهذا الجواب يقتضي أن يكون قوله أنبئوني بأسماء هؤلاء أي ليخبر كل قبيل منكم بجميع الأسماء
وهذان الجوابان جميعا مبنيان على أن آدم عليه السلم لم يتقدم له العلم بنبوته وأن إخباره بالأسماء
كان افتتاح معجزاته لأنه لو كان نبيا قبل ذلك وكانوا قد علموا تقدم ظهور معجزات على يديه لم يحتج
إلى هذين الجوابين معا لأنهم يعلمون إذا كانت الحال هذه مطابقة الأسماء للمسميات بعد أن لم يعلموا
ذلك بقوله الذي قد أمنوا فيه غير الصدق وهذا بين لمن تأمله ✿ قال السيد قدس الله سره
رأيت قوما ممن تكلم على معاني الشعر يذكرون في بيت حسان بن ثابت

لم تفقها شمس النهار بشيء غير أن الشباب ليس يدوم

أن المراد به الاعتذار من كبرها وعلو سنها فكأنه قال لم تفقها شمس النهار بشيء غير أنها كبيرة
طاعنة في السن وعذرها في ذلك أن الشباب ليس يدوم لأمثالها وهذا الذي ذكروه ليس

لهم

بشيء والأشبه الأولى أن يكون مراد حسان أن شمس النهار لم تفقها بشيء غير أن شبابها تام لا يدوم و
لا بد من أن يلحقها الهرم الذي لا يلحق الشمس ولم يرد أنها في الحال كذلك وكيف يريد ذلك وهو يقول مع قوله

تقديم

يا لقومي هل يقتل المرء مثلي واهن البطش والعظام سؤوم
شأنها العطر والفراش ويعلو ها لجين ولؤلؤ منظوم
لو يدب الحولي من ولد الذر عليها لأندبتها الكلوم

وهذه الأوصاف لا تليق بمن طعن في السن من النساء ولا يوصف بمثلها إلا الصبايا والأحداث ومن
العجائب أن هذا الإسناد إذا كان مسندا إلى الأصمعي وما أولى من يكون نتيجة تغلغله وتمويهه
مثل هذه التمويه بالإضراب عن استخراج المعاني والبحث عنها. ومما فسره أصحاب المعاني على وجه وهو بغيره
أشبه وأقل الأحوال أن يكون محتملا للأمرين فلا يقتصر على أحدهما قول الخنساء

الاستخراج

يا صخر وراد ماء قد تناذره أهل الموارد ما في ورده عار

لأنهم يقولون مرادها في البيت ما في ترك ورده عار يظنون أنه متى لم يحمل على ذلك لم يكن فيه فائدة ولا فيه مدح
ويجرونه مجرى قول المرقش

ليس على طول الحياة ندم ومن وراء المرء ما يعلم

وليس الأمر كما ظنوا لأنه يحتمل أن يريد أنه لا عار في ورده على ظاهر الكلام والفائدة فيه ظاهرة لأن البيت
وإن تضمن ذكر ورود الماء فهو كناية عن ركوب الأمور الصعاب التي من جملتها إيراد الماء على ما وصفه ل
فكأنها قالت إنك تورد ما قد تناذره الناس من ركوب أمر صعب قد تنكب عنه الخلق ولك بذلك حظ في
الشجاعة والبسالة ومع ذلك فلا عار عليك في ركوبه لأنه ربما فعل الإنسان فعلا يحوز به أكثر الحظ
من الشجاعة وإن لحقه بعض العار من قطيعة رحم أو نكث عهد أو ما جرى هذا المجرى فكأنها نفت عن
فعله وجوه العار ويجري ذلك مجرى قول المرقش ليس على طول الحياة ندم لأن البيت متى لم يحمل على
أن المراد به ليس على فوت طول الحياة ندم لم يفد شيئا وقد بينا فائدة بيت الخنساء إذا كان المراد ما
ذكرناه

لبس

مجلس آخر ند تأويل آية

إن سأل سائل عن قوله تعالى وسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون فالجواب

قلنا قد ذكر في هذه الآية وجوه أولها أن يكون المعنى وسل أتباع من أرسلنا من قبلك من
رسلنا ويجري ذلك مجرى قولهم السخاء حاتم والشعر زهير وهم يريدون السخاء سخاء حاتم فأقاموا
حاتما مقام السخاء المضاف إليه ومثله قوله تعالى ولكن البر من آمن بالله ومثله قول الشاعر

لهم مجلس صهب السبال أذلة سواسية أحرارها وعبيدها

والمأمور بالسؤال في ظاهر الكلام النبي صلى الله عليه وآله وهو في المعنى لأمته لأنه عليه السلام لا
يحتاج إلى السؤال لكنه خوطب بخطاب أمته كما قال تعالى المص كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك
حرج منه لتنذر به فأفرده بالمخاطبة ثم رجع إلى خطاب أمته فقال اتبعوا ما أنزل إليكم من
ربكم وفي موضع آخر يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين فخاطبه عليه السلام والمعنى لأمته لأنه تبين
ذلك بقوله إن الله كان بما تعملون خبيرا وقال تعالى يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فوحد وجمع في
موضع واحد للمعنى الذي ذكرناه وقال الكميت

إلى السراج المنير أحمد لا تعدلني رغبة ولا رهب
عنه إلى غيره ولو رفع الناس إلى العيون وارتقبوا
وقيل أفرطت بل قصدت ولو عنفني القائلون أو ثلبوا
لج بتفضيلك اللسان ولو أكثر فيك الضجاج واللجب
أنت المصفى المحض المهذب في النسبة إن نص قومك النسب

نص بين وحقق ونص رفع

فظاهر الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله والمقصود به أهل بيته عليهم السلام لأن أحدا من المسلمين لا يمنع
من تفضيله عليه السلام والإطناب في وصف فضائله ومناقبه ولا يعنف في ذلك أحدا وإنما أراد الكميت
أن أكثر في مدح أهل بيته وذويه الضجاج واللجب والتقريع والتعنيف فوجه القول إليه و
المراد به غيره ولذلك وجه صحيح وهو أن المراد هو الأمة والإيحاء إليهم والانقطاع إلى جهتهم لما
كان رسول الله صلى الله عليه وآله هو المقصود بجميع ذلك جاز أن يخرج الكميت الكلام هذا المخرج ويضعه
هذا الموضع وقيل إن المراد بأتباع الأنبياء الذين أمر بمسألتهم هم مؤمنو أهل الكتاب كعبد الله بن سلام

ونظائره وليس يمتنع أن يكون عليه السلام هو المأمور بالمسألة في الحقيقة كما يقتضيه ظاهر الخطاب
وإن لم يكن شاكا في ذلك ولا مرتابا به ويكون الوجه فيه تقرير أهل الكتاب به وإقامة الحجة عليهم
باعترافهم أو لأن بعض مشركي العرب أنكر أن تكون كتب الله تعالى المتقدمة وأنبياؤه الآتون بها
دعت إلى التوحيد فأمر عليه السلام بتقرير أهل الكتب بذلك لتزول الشبهة عمن اعترضته والجواب
الثاني أن يكون السؤال متوجها إليه عليه السلام دون أمته والمعنى إذا لقيت النبيين في السماء
فاسألهم عن ذلك لأن الرواية قد وردت بأنه صلى الله عليه لقي النبيين في السماء فسلم عليهم وأمهم
ولا يكون أمره بالسؤال لأنه كان شاكا لأن مثل ذلك لا يجوز عليه الشك فيه لكن لبعض المصالح
الراجعة إلى الدين إما التي تخصه عليه السلام أو تتعلق ببعض الملائكة الذين يسمعون ما يجري بينه
وبين النبيين من سؤال وجواب والجواب الثالث ما أجاب به ابن قتيبة وهو أن
يكون المعنى وسل من أرسلنا إليه قبلك رسلا من رسلنا يعني أهل الكتاب وهذا الجواب وإن كان
يوافق في المعنى الجواب الأول فبينهما خلاف في تقدير الكلام وكيفية تأويله فلهذا صار مغايرا فيه
وقد رد على ابن قتيبة هذا الجواب وقيل إنه أخطأ في الإعراب لأن لفظة إليه لا يصح إضمارها
في هذا الموضع لأنهم لا يجيزون الذي جلست عبد الله على معنى الذي جلست إليه لأن إليه حرف
منفصل عن الفعل والمنفصل لا يضمر فلما كان القائل إذا قال الذي أكرمت أباه عبد الله لم يجز
أن يضمر أباه لانفصاله من الفعل كانت لفظة إليه بمنزلته وكذلك لا يجيز الذي رغبت محمد بمعنى
الذي رغبت فيه محمد لأن الإضمار إنما يحسن في الهاء المتصلة بالفعل كقولك الذي أكلت
طعامك والذي لقيت صديقك معناهما أكلته ولقيته وقال الفراء إنما حذفت الهاء لدلالة
الذي عليها وقال غيره في حذفها غير ذلك وكل هذا ليس مما تقدم في شيء فصح أن جواب ابن
قتيبة مستضعف والمعتمد ما تقدم

تأويل خبر

إن سأل سائل عن معنى ما رواه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله من قوله كل مولود يولد

على الفطرة حتى يكون أبواه يهوّدانه وينصّرانه   الجواب   قلنا أما أبو عبيد القسم بن سلام فإنه قال في تأويل هذا الخبر سألت محمد بن الحسن عن تفسيره فقال كان هذا في أول الإسلام قبل أن تنزل الفرائض ويؤمر المسلمون بالجهاد، وقال أبو عبيد كأنه يذهب إلى أنه لو كان يولد على الفطرة ثم مات قبل أن يهوّده أبواه أو ينصّرانه ما ورثاه ولا ورثهما لأنه مسلم وهما كافران وما كان أيضا يجوز أن يسبى فلما نزلت الفرائض وجرت السنن بخلاف ذلك علم أنه يولد على دينهما قال أبو عبيد وأما عبد الله بن المبارك فإنه قال هو بمنزلة الحديث الآخر الذي يتبعه أنه عليه السلم سئل عن أطفال المشركين فقال الله أعلم بما كانوا عاملين يذهب إلى أنهم يولدون على ما يصيرون إليه من إسلام أو كفر فمن كان في علمه تعالى أنه يصير مسلما فإنه يولد على الفطرة ومن كان في علمه أنه يموت كافرا ولد على ذلك قال أبو عبيد ومما يشبه هذا الحديث حديثه الآخر أنه قال يقول الله عز وجل إني خلقت عبادي جميعا حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم وجعلت ما أحللت لهم حراما قال أبو عبيد يريد بذلك البحائر والسيب وغير ذلك مما أحله الله تعالى فجعلوه حراما وأما ابن قتيبة فقد حكى ما ذكرناه عن أبي عبيد وقال لست أرى ما حكاه أبو عبيد عن عبد الله بن المبارك ومحمد بن الحسن مقنعا لمن أراد أن يعرف معنى الحديث لأنهما لم يزيدا على أن ردّا على ما قال به أهل القدر وتفسير محمد بن الحسن يدل على أن الحديث عنده منسوخ والنسخ لا يكون في الأخبار وإنما يكون في الأمر والنهي قال ولا يجوز أن يراد به على تأويل ابن المبارك بعض المولودين دون بعض لأن مخرجه مخرج العموم قال ولا أرى معنى الحديث إلا ما ذهب إليه حماد بن سلمة فإنه قال فيه هذا عندنا حيث أخذ العهد عليهم في أصلاب آبائهم يريد حين مسح الله ظهر آدم فأخرج منه ذريته إلى يوم القيمة أمثال الذر وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى فأراد عليه السلم أن كل مولود يولد في العالم على ذلك العهد وعلى ذلك الإقرار الأول وهو الفطرة،   قال السيد قدس الله روحه وهذا كله تخليط وبعد عن الجواب الصحيح والصحيح في تأويله أن قوله عليه السلم يولد على الفطرة

نقال

يحتمل أمرين أحدهما أن تكون الفطرة ههنا الدين وتكون على بمعنى اللام فكأنه قال كل مولود يولد للدين ومن أجل الدين لأن الله تعالى لم يخلق من يبلغه مبلغ المكلفين إلا ليعبده فينتفع بعبادته يشهد بذلك قوله تعالى وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون والدليل على أن على يقوم مقام اللام ما حكاه يعقوب بن إسحق السكيت عن العرب أنهم يقولون صف علي كذا وكذا حتى أعرفه بمعنى صفه لي ويقولون ما أغبطك علي يريدون ما أغبطك لي والعرب تقيم بعض حروف الصفات مقام بعض فيقولون سقط الرجل لوجهه يريدون على وجهه وقال الطرماح

كأن مخوّاها على ثفناتها … معرّس خمس وقّعت للجناجن

أراد على الجناجن وقال عنترة

شربت بماء الدحرضين فأصبحت … زوراء تنفر عن حياض الديلم

معناه شربت الناقة من ماء الدحرضين وهما ماءان يقال لأحدهما وسيع وللآخر دحرض فغلّب الأشهر وهو الدحرض وإنما ساغ أن يريد بالفطرة التي هي الخلقة في اللغة الدين من حيث كان هو المقصود بها وقد يجري على الشيء اسم ما له به هذا الضرب من التعلق والاختصاص وعلى هذا يتأول قوله تعالى فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها أراد دين الله الذي خلق الخلق له وقوله تعالى لا تبديل لخلق الله المراد به أن ما خلق العباد له من العبادة والطاعة ليس مما يتغير ويختلف حتى يخلق قوما للطاعة وآخرين للمعصية ويجوز أن يريد بذلك الأمر وإن كان ظاهره ظاهر الخبر فكأنه تعالى قال لا تبدلوا ما خلقكم الله له من الدين والطاعة بأن تعصوا وتخالفوا والوجه الآخر في تأويل قوله عليه السلم الفطرة أن يكون المراد به الخلقة وتكون لفظة على على ظاهرها لم يرد بها غيرها ويكون المعنى كل مولود يولد على الخلقة الدالة على وحدانية الله تعالى وعبادته والإيمان به لأنه جل وعز قد صوّر الخلق وخلقهم على وجه يقتضي النظر فيه معرفته والإيمان به وإن لم ينظروا ويعرفوا فكأنه عليه السلم قال كل مخلوق ومولود فهو بخلقته وصورته على عبادة الله تعالى وإن عدل بعضهم فصار يهوديا أو نصرانيا وهذا الوجه أيضا يحتمله قوله تعالى فطرة الله التي فطر الناس عليها

اي زيد عمرو

أي أن تجافيها عن الناقة عند البروك كمعرس خمس [illegible]

ولو اثبت ما ذكرناه فى معنى الفطرة فقوله حتى يكون ابواه يهودانه وينصرانه يحتمل وجهين احدهما
ان من كان يهوديا او نصرانيا ممن خلقته لعبادتى ودينى فانما جعله ابواه كذلك او من جرى مجراهما ممن
اوقع له الشبهة وقلده الضلال عن الدين وانما خص الابوين لان الاولاد فى الاكثر ينشأون على مذاهب
آبائهم ويألفون اديانهم ونحلهم ويكون الغرض بالكلام تنزيه الله تعالى عن ضلال العباد وكفرهم وانه
انما خلقهم للايمان فصدهم عنه آباؤهم او من جرى مجراهم   والوجه الآخر ان يكون معنى يهودانه و
ينصرانه اى يلحقانه باحكامهم لان اطفال اهل الذمة قد الحق الشرع احكامهم باحكامهم فكانه عليه السلم
قال لا تتوهموا من حيث لحقت احكام اليهود والنصارى اطفالهم انهم خلقوا لدينهم بل لم يخلقوا الا للايمان
والدين الصحيح لكن آباؤهم هم الذين ادخلوهم فى احكامهم وعبر عن ادخالهم فى احكامهم بقوله يهودانه و
ينصرانه وهذا واضح ⁂ فاما جواب ابى عبيد الذى حكاه عن محمد بن الحسن فانا اذا تمكنا من حمل الخبر على
وجه يسلم معه من النسخ لم نحتج الى غيره وانما توهم النسخ لاعتقاده ان خلقهم على الفطرة يمنع من
الحاقهم بحكم آبائهم وذلك غير ممتنع   واما الجواب الذى حكاه عن ابن المبارك ففاسد لان الله تعالى
لا يجوز ان يخلق احدا للكفر وكيف يخلقه للكفر وهو يامره بالايمان ويريده منه ويعاقبه ويذمه على
خلافه • فاما ما روى عنه عليه السلم وقد سئل عن اطفال المشركين فقال الله اعلم بما كانوا عاملين فانه يحتمل
ان يكون عليه السلم انما سئل عمن يبلغ من اطفال المشركين كيف تكون صورته والى اى شئ تنتهى عاقبته فقال
الله اعلم بما كانوا عاملين واراد ان ذلك مستور عنى ولو كانت المسألة عمن اخترم طفلا لم يجز ان
يكون جوابه ذلك واما ابن قتيبة فانه رد على ابى عبيد من غير وجه يقتضى الرد واعترض جواب
ابن المبارك باعتبار العموم والخصوص وترك ان يفسده من الوجه الذى يفسده وهو الذى ذكرناه
وكيف ننبه على فساده من هذه الجهة وقد اجاز فى تاويل الخبر ما يجرى فى الاختلال والفساد مجرى تاويل
ابن المبارك فاما النسخ فى الاخبار فجائز اذا تضمنت معنى الامر والنهى ويكون ما دل على جواز النسخ فى
الاوامر دالا على ذلك فيها وهذا مثل ان يقول عليه السلم الصلوة واجبة عليكم ثم يقول بعد زمان ليست

واجبة فيستدل بالثانى على نسخ الحكم الاول كما لو قال صلوا ثم قال لا تصلوا كان النهى الثانى ناسخا
للاول   واما الجواب الذى ذكره ابن قتيبة فقد بينا فساده فيما تقدم من الامالى عند تاويلنا
لقوله تعالى واذ اخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم وافسدنا قول من اعتقد انه مسح ظهر آدم واستخرج
منه الذرية واشهدها على نفوسها واخذ اقرارها بمعرفته بوجوه من الكلام فلا طائل فى اعادة ذلك

مجلس آخر نه تاويل آية

ان سأل سائل عن قوله تعالى فاما
الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك ان
ربك فعال لما يريد واما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك
عطاء غير مجذوذ   فقال ما معنى الاستثناء هاهنا والمراد الدوام والتابيد ثم ما معنى التمثيل بمدة
السموات والارض التى تفنى وتنقطع   الجواب   قد ذكر فى هذه الآية وجوه اولها ان يكون الا
وان كان ظاهرها الاستثناء فالمراد بها الزيادة فكانه تعالى قال خالدين فيها ما دامت السموات والارض
الا ما شاء ربك من الزيادة لهم على هذا المقدار كما يقول الرجل لغيره لى عليك الف دينار الا الالفين
اللذين اقرضتكهما وقت كذا وكذا والالفان زائدان على الالف بغير شك لان الكثير لا يستثنى من القليل
وهذا الجواب يختاره الفراء وغيره من المفسرين   والوجه الثانى ان يكون المعنى الا ما شاء ربك من
كونهم قبل دخول الجنة والنار فى الدنيا وفى البرزخ الذى هو ما بين الحياة والموت واحوال المحاسبة
والعرض وغير ذلك لانه تعالى لو قال خالدين فيها ابدا ولم يستثن لتوهم متوهم انهم يكونون فى الجنة
او النار من لدن نزول الآية او من بعد انقطاع التكليف فصار للاستثناء وجه وفائدة معقولة
والوجه الثالث ان يكون الا بمعنى الواو والتاويل خالدين فيها ما دامت السموات والارض
وما شاء ربك من الزيادة واستشهد على ذلك بقول الشاعر

وكل اخ مفارقه اخوه   لعمر ابيك الا الفرقدان

معناه والفرقدان وبقول الآخر

وارى لها دارا باغدرة السيدان لم يدرس لها رسم   الا رمادا هامدا دفعت عنه الرياح خوالد سحم

والمراد بالا هاهنا الواو والا كان الكلام متناقضا   والوجه الرابع ان يكون الاستثناء

الأول متصلا بقوله لهم فيها زفير وشهيق وتقدير الكلام لهم في النار زفير وشهيق إلا ما شاء ربك
من أجناس العذاب الخارجة عن هذين الضربين ولا يتعلق الاستثناء بالخلود فإن قيل هبوا أن هذا أمكن
في الاستثناء الأول كيف يمكن في الثاني قلنا يحمل الثاني على الاستثناء المكث في المحاسبة والموقف أو
غير ذلك مما تقدم ذكره والوجه الخامس أن يكون الاستثناء غير مؤثر في النقصان من الخلود
وإنما الغرض فيه أنه لو شاء أن يخرجهم وأن لا يخلدهم لفعل وأن التخليد إنما يكون بمشيئته وإرادته كما
يقول القائل لغيره والله لأضربنك إلا أن أرى غير ذلك وهو لا ينوي إلا ضربه ومعنى استثنائه أني
لو شئت ألا أضربك لفعلت ولكنت غير أني مجمع على ضربك والوجه السادس أن يكون تعليق
ذلك بالمشيئة على سبيل التأكيد للخلود والتبعيد للخروج لأن الله تعالى لا يشاء إلا تخليدهم على ما حكم به
ودل عليه ويجري ذلك مجرى قول العرب والله لا أهجرنك إلا أن يشيب الغراب ويبيض القار ومعنى ذلك
أني لا أهجرك أبدا من حيث علق بشرط معلوم أنه لا يحصل وكذلك معنى الآيتين والمراد بهما أنهم خالدون
أبدا لأن الله تعالى لا يشاء أن يقطع خلودهم والوجه السابع أن يكون المراد بالذين شقوا
من أدخل النار من أهل الإيمان الذين ضموا إلى إيمانهم وطاعاتهم المعاصي فقال تعالى إنهم معاقبون
في النار إلا ما شاء ربك من إخراجهم إلى الجنة وإيصال ثواب طاعاتهم إليهم ويجوز أيضا أن يريد بأهل
الشقاء جميع الداخلين إليها ثم استثنى بقوله إلا ما شاء ربك أهل الطاعات منهم ومن يستحق ثوابا لا بد
أن يوصل إليه فقال إلا ما شاء ربك من إخراج بعضهم وهم أهل الثواب وأما الذين سعدوا فإنما
استثنى من خلودهم أيضا لما ذكرناه لأن من نقل من النار إلى الجنة وخلد فيها لا بد في الإخبار عنه
بتأبيد خلوده من استثناء ما تقدم فكأنه تعالى قال إنهم خالدون في الجنة ما دامت السماوات والأرض
إلا ما شاء ربك من الوقت الذي أدخلهم فيه النار قبل أن ينقلهم إلى الجنة والذين شقوا على هذا
الجواب هم الذين سعدوا وإنما أجرى عليهم كل لفظ في الحال التي تليق به فهم إذا أدخلوا النار
وعوقبوا فيها من أهل الشقاء وإذا نقلوا إلى الجنة من أهل السعادة وقد ذهب إلى هذا الوجه

الجنة و

لا جميع

ثم

جماعة من المفسرين كابن عباس وقتادة والضحاك وغيرهم وروى بشر بن عمارة عن أبي روق
عن الضحاك عن ابن عباس قال الذين شقوا ليس فيهم كافر وإنما هم قوم من أهل التوحيد يدخلون
النار بذنوبهم ثم يتفضل الله سبحانه عليهم فيخرجهم من النار إلى الجنة فيكونون أشقياء في حال
سعداء في حال أخرى فأما إخبارها والبدر ينقص وينكسف ويغيب على وجه لا تمكن رؤيته
كما فضلها البحتري بأنها لا تغرب حتى تصير دونها مستحيلة والشمس كذلك وقد ظلم الآمدي
البحتري في قوله أخرى فأما تعليق الخلود بدوام السماوات والأرض فقد قيل فيه إن ذلك لم يجعل
شرطا في الدوام وإنما علق به على طريق التبعيد وتأكيد الدوام لأن للعرب في مثل هذا عادة معروفة
خاطبهم الله تعالى عليها لأنهم يقولون لا أفعل كذا ما لاح كوكب وما أضاء الفجر وما اختلف الليل
والنهار وما بل بحر صوفة وما غنت حمامة ونحو ذلك ومرادهم التأبيد والدوام ويجري كل ما
ذكرناه مجرى قولهم لا أفعل كذا أبدا لأنهم يعتقدون في جميع ما ذكرناه أنه لا يزول ولا يتغير وعبادتهم
إنما تجري بها بحسب اعتقادهم لا بحسب ما يجري عليه الشيء في نفسه ألا ترى أن بعضهم لما اعتقد
في الأصنام أن العبادة تحق لها سماها آلهة بحسب اعتقاده وإن لم تكن في الحقيقة كذلك ومما يشهد
لمذهبهم الذي ذكرناه قول أبي الجويرية العبدي

ذهب الجود والجنيد جميعا ... فعلى الجود والجنيد السلام
أصبحا ثاويين في قعر مرت ... ما تغنى على الغصون الحمام

وقال الأعشى

ألست منتهيا عن نحت أثلتنا ... ولست ضائرها ما أطت الإبل

وقال الآخر

لا أفتأ الدهر أبكيهم بأربعة ... ما اجترت النيب أو حنت إلى بلد

وقال زهير مبينا عن اعتقاده دوام الجبال وأنها لا تفنى ولا تتغير

ألا لا أرى على الحوادث باقيا ... ولا خالدا إلا الجبال الرواسيا

فهذا وجه وقيل أيضا في ذلك أنه أراد به الشرط وعنى بالآية دوام السماوات والأرض المبدلتين
لأنه تعالى قال يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات فأعلمنا أنهما تبدلان وقد يجوز أن يريد بهما بعد

التغيير ابدا بلا انقطاع وانما المنقطع هو دوام السموات والارض قبل التبديل والفناء ويمكن ان
يكون المراد انهم خالدون بمقدار مدة السموات والارض التي يعلم الله تعالى انقطاعها ثم يزيدهم الله على ذلك
ويخلدهم ويؤبد مقامهم وهذا الوجه يليق بالاجوبة التي تضمن ان الاستثناء انما يريد به الزيادة على المقدار المتقدم
لا النقصان قال المرتضى رضي الله عنه وجدت الآمدي قد ظلم البحتري في تفسير بيت مضى فالى
ظلمه له في اشياء كثيرة تأولها على خلاف مراد البحتري • حكى قوله كالبدر الا انها لا تجلى والشمس الا انها لا تغرب
ثم قال وهذا فيه سؤال لانه لما قال كالبدر الا انها لا تجلى فالمعنى ان عيون الناس كلهم ترى البدر وتجليه وهي
لا تراها العيون ولا تجلى ثم قال والشمس الا انها لا تغرب وانما قال لا تجلى لانها محجوبة واذا كانت في حجاب
فهي في غروب لان الشمس اذا غربت فانما تدخل تحت حجاب وظاهر المعنى كالبدر الا ان العيون لا تراها والشمس
الا ان العيون لا تفقدها قال وهذا القول متناقض كما تراه واظنه اراد انها وان كانت في حجاب فانها لا تفارق
لها غربت تغرب كما يقال للشمس وانما يقال لها اذا سافرت بعدت واغربت وغربت اذا توجهت نحو الغرب
وقد يقال للرجل اغرب عنا اي ابعد ولو استعار لها اسم الغروب عن الارض التي تكون فيها اذا ظعنت عنها
الى ارض اخرى كان ذلك حسنا جاريا الاستعمال وقد جعلها شمسا كما قال ابرهيم بن العباس الصولي

وزالت زوال الشمس عن مستقرها فمن مخبري في اي ارض غروبها

قال ويجوز ان يقول قائل انه اراد لا تغرب تحت الارض كما تغرب الشمس وهذه معاذير ضعيفة لا يعبأ بها
فان لم يكن اخطأ فقد اساء قال السيد قدس الله روحه وما المخطئ غير الآمدي ومراد
البحتري بقوله اوضح من ان يذهب على متأمل لانه اراد بقوله والشمس الا انها لا تغرب انها لا تغيب
بحيث تتعذر رؤيتها وتمتنع كما تتعذر رؤية الشمس عند مغيبها عن افق بلده والمراة وان احتجبت بالحجاب
فان ذلك ليس بغروب كغروب الشمس لانها اذا شاءت ظهرت وبرزت للعيون والشمس اذا غربت فرؤيتها
غير ممكنة ولهذا لا يصح ان يقال لمن استظل بحائط او جدار عن الشمس انها قد غربت عنه وان كان غير رائيها
لان رؤيتها ممكنة بزوال المانع فكذلك القول في احتجاب المراة فلا تناقض في بيت البحتري على ما ظنه الآمدي
ولبعضهم في هذا المعنى

قد قلت للبدر واستعبرت حين بدا ما فيك يا بدر لي من وجهها خلف
تبدي لنا كلما شئنا محاسنها وانت تنقص احيانا وتنكسف

رؤيتها

يعني قوله وانت تنقص وتنكسف جار مجرى غروب الشمس لانه فضلها على البدر من حيث كان بروزها للبصر
موقوفا على اختيارها والبدر ينقص وينكسف ويغيب على وجه لا تمكن رؤيته كما فضلها البحتري بانها لا تغرب
حتى تصير رؤيتها مستحيلة والشمس كذلك وقد ظلم الآمدي البحتري في قوله

لا العذل يردعه ولا التعنيف عن كرم يصده

قال الآمدي وهذا عندي من الهجاء لما
مدح به خليفة واقبحه ومن ذا يعنف الخليفة على الكرم او يصده ان هذا بالهجو اولى منه بالمدح وللبحتري في
هذا عذر من وجهين احدهما ان يكون الكلام خرج مخرج التقدير فكانه قال لو عنف وعذل لما صده ذلك
عن الكرم وان كان من حق العذل والتعنيف ان يصد او يحجز عن الشيء وهذا له نظائر في القرآن وفي كلام
العرب وقد مضى فيما امليناه شيء من ذلك • والوجه الآخر ان العذل والتعنيف وان لم يتوجها اليه
في نفسه فهما موجودان في الجملة على الاسراف في البذل والجود بنفائس الاموال ولم يقل البحتري ان عذله
يردعه او تعنيفه يصده وانما قال لا العذل يردعه ولا التعنيف يصده وكانه اخبر بان ما يجمعه
من عذل العذال على الكرم وتعنيفهم على الجود وان كان متوجها الى غيره فهو غير صاد له [illegible] عن همته و
شدة تصيبه • ومما خطأ الآمدي فيه البحتري وان كان له فيه عذر صحيح لم يهتد اليه قوله

ذنب كما سحب الرداء يذب عن عرف وعرف كالقناع المسبل

قال الآمدي وهذا خطأ من الوصف لان ذنب الفرس اذا مس الارض كان عيبا فكيف اذا سحبه
وانما الممدوح من الاذناب ما قرب من الارض ولم يمسها كما قال امرؤ القيس

بضاف فويق الارض ليس باعزل وقد عيب امرؤ القيس بقوله

لها ذنب مثل ذيل العروس تسد به فرجها من دبر

وما ارى العيب يلحق امرأ القيس لان العروس وان كانت تسحب اذيالها وكان ذنب الفرس اذا مس الارض
عيبا فليس بمنكر ان يشبه به الذنب وان لم يبلغ الى ان يمس الارض لان الشيء انما يشبه بالشيء
اذا قاربه او دنا من معناه فاذا اشبهه في اكثر احواله فقد صح التشبيه ولا شك ان امرأ القيس
لم يقصد ان يشبه طول الذنب بطول ذيل العروس فقط وانما اراد السبوغ والكثرة والكثافة [illegible]

اراد انشد بريه سد فرجه

انه قال يسدّ به فرجها من دبر   وقد يكون الذنب طويلا يكاد يمسّ الارض ولا يكون كثيفا فلا يسدّ فرج
الفرس فلما قال يسدّ به فرجها علمنا ان الكثافة والسبوغ مع الطول فاذا اشبه الذنب الذيل من هذه الجهة
وكان في الطول قريبا منه فالتشبيه صحيح وليس ذلك بموجب للعيب وانما العيب في قول البحتري ذنب
كما سحب الرداء اقتضى بان الفرس يسحب ذنبه   ومثل قول امرئ القيس قول خداش بن زهير

لها ذنب مثل ذيل الهديّ   الى جؤجؤ ايّد الزافر

والهديّ العروس التي تهدى الى زوجها والايّد الشديد والزافر الصدر لانها تزفر منه قال فشبّه الذنب
الطويل السابغ بذيل الهديّ وان لم يبلغ في الطول الى ان يمسّ الارض   قال السيد قدس الله روحه
وللبحتري وجه في العذر يقرب من عذر امرئ القيس في قوله مثل ذيل العروس غير ان الامر لم يبطل له و
اوّل ما نقوله ان الشاعر لا يجب ان يؤخذ عليه في كلامه التحقيق والتحديد فان ذلك متى اعتبر في الشعر
بطل جميعه وكلام القوم مبنيّ على التوسع والتجوّز والاشارة الخفية والايماء الى المعاني تارة من
بعد واخرى من قرب لانهم لم يخاطبوا بشعرهم الفلاسفة واصحاب المنطق وانما خاطبوا من يعرف
اوضاعهم ويفهم اغراضهم وانما اراد البحتري بقوله ذنب كما سحب الرداء المبالغة في وصفه بالطول
والسبوغ وانه قد قارب ان يسحب ويكاد يمسّ الارض ومن شأن العرب ان تجري على الشيء الوصف
الذي قد كاد يستحقه وقرب منه القرب الشديد فيقولون قد قتل فلانا هوى فلانة وذلّه عقله وازال
تمييزه واخرج نفسه وكل ذلك لم يقع وانما ارادوا المقاربة وافادوا المقاربة والمشارفة ونظائر
ذلك اكثر من ان تحصى ومن شأنهم ايضا اذا ارادوا المبالغة التامة ان يستعملوا امثال هذا فيشبّهون
الكفل بالكثيب وبالدعص وبالتلّ ويشبّهون الخصر بوسط الزنبور وبمقدار حلقة الخاتم ويعدّون
هذا غاية المدح واحسن الوصف ونحن نعلم انا لو رأينا من خصره بمقدار وسط الزنبور وكفله كالكثيب
العظيم لاستبدعناه واستهجنا صورته لتفاوتها وقبحها وانما اتوا بالفاظ المبالغة صنعة وتأنّقا
لا ليحمل على ظاهرها تحديدا وتحقيقا بل ليفهم منها الغاية المحمودة والنهاية المستحسنة ويترك ما وراء
ذلك فكانا نفهم من قولهم ان خصرها كخصر الزنبور انه في نهاية الدقة المستحسنة في البشر ومن قولهم

تمّ وقوله

بلغ

كفلها كالكثيب انه في نهاية الوثارة المحمودة المطلوبة لا انه كالتلّ على التحقيق فكذا لا ينكر ان يريد
البحتري بقوله كما سحب الرداء انه في غاية الطول الممدوح المحمود لا انه يجرّ على الارض في الحقيقة وكلما
في تمحيص معناه وتفصيله الى العادة الجارية لنظرائه من الشعراء في استعمال مثل هذا اللفظ الذي استعمله
وقد قال بعضهم في مثل العجيزة   تمشي فتثقلها روادفها فكأنها تمشي الى خلف   وقال المؤمّل
من رأى مثل حبّتي تشبه البدر اذ بدا   تدخل اليوم ثم تدخل اردافها غدا   وقال
ذو الرمة
ورملٍ كأوراك العذارى قطعته   وقد جلّلته المظلمات الحنادس
وهذا الكلام لو حمل على ظاهره وحقيقته لكان الموصوف به في نهاية القبح لان من يمشي الى خلف ومن يدخل
كفله بعده لا يكون مستحسنا   وقال بكر بن النطاح

فرعاء تسحب من قيام شعرها   وتغيب فيه وهو جثل اسحم
فكأنها فيه نهار مشرق   وكأنه ليل عليها مظلم

فوصف شعرها بانه يسحب مع قيامها ونحن نعلم ان طول الشعر وان كان مستحسنا فليس الى هذا الحد وانما اراد
بقوله تسحب شعرها ما اراده البحتري بقوله كما سحب الرداء من المبالغة في الوصف بالطول المحمود دون المذموم

مجلس آخر   تأويل آية

ان سأل سائل عن قوله تعالى
اسمع بهم وابصر يوم يأتوننا لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين فقال ما تأويل هذه الآية وان كان المراد
بها التعجب من قوة اسماعهم ونفاذ ابصارهم فكيف يطابق ما خبّر به عنهم في مواضع كثيرة من الكتاب بانهم
لا يبصرون ولا يسمعون وان على ابصارهم غشاوة وما معنى قوله لكن الظالمون اليوم في ضلال
مبين واي يوم هو اليوم المشار اليه وما المراد بالضلال المذكور   الجواب قلنا اما قوله تعالى
اسمع بهم وابصر فهو على مذهب العرب في التعجب يجري مجرى قولهم ما اسمعه وما ابصره والمراد بذلك الاخبار
عن قوة علومهم بالله تعالى في تلك الحال وانهم عارفون به على وجه لا تعترض الشبهة عليه وهذا يدل على
ان اهل الآخرة عارفون بالله تعالى ضرورة فلا تنافي بين هذه الآية وبين الآيات التي اخبر عنهم فيها بانهم
لا يسمعون ولا يبصرون وبان على ابصارهم غشاوة لان تلك الآيات تناولت احوال التكليف وهذه الاحوال

التي كان الكفار فيها ضلالا عن الدين جاهلين بالله تعالى وصفاته وهذه الآية تتناول يوم القيمة
وهو المعني بقوله تعالى يوم يأتوننا واحوال القيمة لابد فيها من المعرفة الضرورية وتجري
هذه الآية مجرى قوله تعالى لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد
فاما قوله تعالى لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين فيحتمل ان يريد بقوله اليوم الدنيا واحوال التكليف
ويكون الضلال المذكور انما هو الذهاب عن الدين والعدول عن الحق واراد تعالى انهم في الدنيا
جاهلون وفي الآخرة عارفون بحيث لا تنفعهم المعرفة ويحتمل ان يريد بقوله اليوم يوم القيامة
ويعني بالضلال العدول عن طريق الجنة ودار الثواب الى دار العقاب فكانه قال تعالى اسمع بهم وابصر
يوم يأتوننا غير انهم مع معرفتهم هذه وعلمهم يصيرون في هذا اليوم الى العقاب ويعدل بهم عن طريق
الثواب وقد روي معنى هذا التاويل عن جماعة من المفسرين فروي عن الحسن في قوله تعالى اسمع بهم و
ابصر يوم يأتوننا قال يقول هم يوم القيمة سمعاء بصراء لكن الظالمون اليوم في الدنيا ليسوا سمعاء
ولا بصراء ولكنهم في ضلال عن الدين مبين وقال قتادة وابن زيد ذلك والله يوم القيمة سمعوا
حين لم ينفع السمع وابصروا حين لم ينفعهم البصر وقال ابو مسلم بن بحر في تاويل هذه الآية
كلاما جيدا قال معنى اسمع بهم وابصر ما اسمعهم وابصرهم على طريق المبالغة في الوصف يقول
فهم يوم يأتوننا اي يوم القيمة بصراء سمعاء اي عالمون وهم اليوم في دار الدنيا في ضلال مبين اي
جهل واضح قال وهذه الآية تدل على ان قوله تعالى صم بكم عمي فهم لا يعقلون ليس معناه الآفة
في الاذن والعين والجوارح بل انهم لا يسمعون عن قدرة ولا يتدبرون ما يسمعون ولا يعتبرون
بما يرون بل هم عن ذلك غافلون فقد ترى انه جعل قوله لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين مقابلا
لقوله اسمع بهم وابصر يوم يأتوننا اي ما اسمعهم وابصرهم فاقام السمع والبصر مقام الهدى
اذ جعله بازاء الضلال المبين فاما ابو علي محمد بن عبد الوهاب فانه اختار في تاويل هذه الآية
غير هذا الوجه ونحن نحكي كلامه على وجهه قال وعنى بقوله تعالى اسمع بهم وابصر اي اسمعهم
وبصرهم وبين لهم انهم اذا اتوا مع الناس الى موضع الجزاء سيكونون في ضلال عن الجنة وعن الثواب

الذي نبأ له المؤمنون والظالمون الذين ذكرهم الله تعالى بهم هؤلاء الذين توعدهم الله بالعذاب
في ذلك اليوم ويجوز ايضا ان يكون عنى بقوله اسمع بهم وابصر اي اسمع الناس بهؤلاء الانبياء وابصرهم
بهم ليعرفوهم ويعرفوا اخبارهم فيؤمنوا بهم ويقتدوا بافعالهم واراد بقوله لكن الظالمون لكن من كفر بهم
من الظالمين اليوم وهو يعني يوم القيامة في ضلال عن الجنة وعن نيل الثواب مبين وهذا الموضع
من جملة المواضع التي استدركت على ابي علي ونسب فيها الى الزلل لان الكلام وان كان محتملا لما
ذكره بعض الاحتمال من بعد فان الاولى والاظهر في معناه ما تقدم ذكره من المبالغة في وصفهم وقوله
لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين بعد ما تقدم لا يليق الا بالمعنى الذي ذكرناه لا سيما اذا حمل اليوم على
ان المشار به الى يوم القيمة على ان ابا علي جعل قوله لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين من صلة قوله اسمع
بهم وابصر وتاوله على ان المعني به اعلمهم وبصرهم بانهم يوم القيمة في ضلال عن الجنة والكلام
يشهد بان ذلك لا يكون من صلة الاول وان قوله لكن استئناف لكلام ثان وما يحتاج ابو علي الى هذا
بل لو قال على ما اختاره من التاويل انه اراد اسمعهم وابصرهم يوم يأتوننا اي ذكرهم يوم يأتوننا
اي ذكرهم بما هو اله واعلمهم ما فيه ثم قال مستانفا لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين لم يحتج الى ما
ذكره وكان هذا اشبه بالصواب فاما الوجه الثاني الذي ذكره فباطل لان قوله اسمع بهم
عاملا له وابصر اذا تعلق بالانبياء الذين ذكرهم بقي قوله تعالى يوم يأتوننا بلا عامل ومحال ان يكون ظرف
لا علاقة له بذلك فلا قرب ان يكون على الوجه الاول مفعولا ووجدت بعض من اعترض
على ابي علي بقوله داد اعليه لو كان الامر على ما ذهب اليه ابو علي لوجب ان يقول اسمعهم وابصرهم
بغير باء وهذا الرد غير صحيح لان الباء في مثل هذا الموضع غير منكر زيادتها وذلك موجود كثير
في القرآن والشعر قال الله تعالى اقرأ باسم ربك الذي خلق وعينا يشرب بها عباد الله وهزي
اليك بجذع النخلة وتلقون اليهم بالمودة وقال الاعشى ضمنت برزق عيالنا ارماحنا
وقال امرؤ القيس هصرت بغصن ذي شماريخ ميال واظن ابا علي انما انسه
بهذا الجواب انه وجدنا ليا للآية لفظا اخر وهو قوله تعالى وانذرهم يوم الحسرة محمل الاول على

الثاني والكلام لا تشتبه معانيه من حيث المجاورة بل الواجب ان يوضع كل منه حيث يقتضيه
معناه قال السيد قدس الله روحه وجدت جماعة من اهل الادب يستبعدون ان يرتج على
انسان في خطبة او كلام قصد له فينبعث منه في تلك الحال كلام هو احسن مما قصد اليه وابلغ مما ارتج
عليه دونه ويقولون ان النسيان لا يكون الا عن حيرة وضلالة فكيف تجتمع معها البراعة الثاقبة
والبلاغة المانونة مع حاجتهما الى اجتماع الفكر وحضور الذكر ويستبعدون جميع ما يحكى من كلام
مستحسن ولفظ مستعذب عمن حصر في خطبة او منطق الى انه موضوع مصنوع وليس الذي استبعدوه
ببعيد ولا منكر لان النسيان قد يخص شيئا دون شيء ويتعلق بجهة دون جهة وهذا امر متعالم متعارف
ولا ينكر ان ينسى الانسان شيئا قصده وعزم على الكلام فيه ويكون مع ذلك ذاكرا لغيره متكلما فيه
بابلغ الكلام واحسنه بل ربما كان الحصر والذهاب عن المقصد يحيان الغريحة ويوقران الفكرة
فيبعثان على احسن الكلام وابرعه ليكون ذلك هربا من العي واستفاء من اللكنة ومن حسن ما روي
من الكلام في حال الحصر والانقطاع عن المقصود من الكلام ما اخبرنا به ابو عبيد الله المرزباني قال
حدثنا ابن دريد قال حدثنا ابو حاتم قال المرزباني واخبرنا ابن دريد مرة اخرى قال حدثنا الشكن بن سعد
عن محمد بن عباد عن ابن الكلبي قال صعد خالد بن عبد الله القسري يوما المنبر بالبصرة فارتج عليه فقال ايها
الناس ان الكلام وقال ابو حاتم ان هذا القول يجيء احيانا ويذهب احيانا فيتسبب عند مجيئه سببه
ويعز عند عزوبه طلبه وربما كوبر فابى وعوجل فابطا وقال ابن الكلبي ربما طلب فابى وعولج فقسا
فالتاني لمجيئه اصوب من التعاطي لابيه ثم نزل فما روي حصر ابلغ منه وقال ابو حاتم والترك لابيه افضل
من التعاطي لمجيبه وتجاوزه عند تعذره اولى من طلبه عند تنحجه وقد يختلج من الجري جنانه ويرتج على
البليغ لسانه ثم نزل وأخبرنا بهذا الخبر ابو عبيد الله على وجه آخر قال اخبرنا ابراهيم بن محمد بن عرفة
الواسطي قال كان خالد بن عبد الله القسري حين ولاه هشام بن عبد الملك يكثر الخطب والتبالغ
تغذرما واستطا فصعد المنبر فحاول الخطبة فارتج عليه فقال ايها الناس ان هذا الكلام يجيء احيانا
ويعزب احيانا فيعز عند عزوبه طلبه ويتسبب عند مجيئه سببه وربما كوبر فابى وعوسر فقسا

والتاني لمجيئه اسهل من التعاطي لابيه وتركه عند تعذره احمد من طلبه عند تنكره فقد يرتج على
البسيط لسانه فلا ينطق القول اذا اتسع ولا يفتشوا اذا امتنع ومن لم يمكن له الحظوة فخليق
ان يعتزل له النبوة ⁘ وأخبرنا المرزباني قال اخبرنا ابو عبد الله ابراهيم بن محمد بن عرفة قال حدثنا
ابو العباس المنصوري قال صعد ابو العباس السفاح المنبر فارتج عليه فقال ايها الناس انما اللسان
بضعة من الانسان يكل اذا كل وينفسح بانفساحه اذا انفسح نحن امراء الكلام منا تفرعت فروعه
وعلينا تهدلت غصونه الا وانا لا نتكلم هذرا ولا نسكت الا معتبرين ثم نزل فبلغ ذلك ابا جعفر
فقال لله هو لو خطب بمثل ما اعتذر لكان من اخطب الناس وهذا الكلام يروى لداود بن علي وبهذا
الاسناد عن محمد بن الصباح عن قثم بن جعفر بن سليمان عن ابيه قال اراد ابو العباس السفاح ان يتكلم
في امر من الامور بعد ما افضت الخلافة اليه وكان فيه حياء مفرط فارتج عليه فقال داود بن علي
بعد ان حمد الله واثنى عليه ان امير المؤمنين الذي قلده الله سياسة رعيته عقل من لسانه عند
ما تعهدون من بيانه ولكل مرتق بهر حتى تنفسه العادات فابشروا بنعمة الله في صلاح دينكم ورغد
معيشتكم ⁘ وأخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال اخبرنا ابراهيم بن محمد بن عرفة قال حدثنا عبد الله
بن اسحق بن سلام قال صعد عثمان بن عفان المنبر فارتج عليه فقال ايها الناس سيجعل الله بعد عسر
يسرا وبعد عي نطقا وانكم الى امام فعال احوج منكم الى امام قوال وروى محمد بن يزيد النحوي
هذا الكلام بعينه عن يزيد بن ابي سفيان فقد خطب على بعض منابر الشام وان عمرو بن العاص
لما بلغه كلامه قال هن مخرجاتي من الشام استحسانا لكلامه وروى محمد بن يزيد النحوي قال المعنى
ان رجلا صعد المنبر ايام يزيد وكان واليا على قوم فقال لهم ايها الناس اني ان لا اكن فارسا طبنا
بهذا القران فان معي من اشعار العرب ما ارجو ان يكون خلفا منه وما اساء اخو البراجم حيث يقول

وما عاجلات الطير تدني من الفتى ... رشادا ولا عن ريثهن يخيب
ورب امور لا تضيرك ضيرة ... وللقلب في مخشاتهن وجيب
ولا خير فيمن لا يوطن نفسه ... على نائبات الدهر حين تنوب

غلط

[illegible]

زياد بن ابي سفيان

وفي الشك تفريط وفي الحزم قوة ويخطي الفتى في حدسه ويصيب

فقال رجل من كلب إن هذا المنبر لم ينصب للشعر بل لتحمد الله تعالى عليه وتصلي على النبي صلى الله عليه وآله وللقرآن
فقال ما لو أنشدتكم بشعر رجل من كلب لسرّكم فكتبها إلى يزيد بن المهلب فعزله وقال كنت أرى أنك جاهل
ولم أحسب أن الحمق بلغ بك إلى هذا كله فقال له أحمق مني من ولاني ● وكان يزيد بن المهلب ولّى ثابت
قطنة بعض قرى خراسان فصعد المنبر فحصر فنزل وهو يقول

فإلا أكن فيكم خطيبا فإنني بسيفي إذا جد الوغى لخطيب

فقيل له لو قلت هذا على المنبر لكنت أخطب الناس فبلغ ذلك حاجب الفيل فقال

أبا العلاء لقد لاقيت معضلة يوم العروبة من كرب وتخنيق
أما القرآن فما تهدى لمحكمه ولم تسدد من الدنيا بتوفيق
لما رمتك عيون الناس هبتهم وكدت تشرق لما قمت بالريق
تلوي اللسان إذا رمت الكلام به كما هوى زلق من جانب النيق

جالق

ويروى أن بعض خلفاء بني العباس وأظنه الرشيد صعد المنبر ليخطب فسقطت ذبابة على وجهه فطردها
فعادت فحصر وأرتج عليه فقال أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم يا أيها الناس ضرب
مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب
شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ايا ايه ثم نزل فاستحسن ذلك منه ● ومما
يشاكل هذه الحكاية ما حكاه عمرو بن بحر الجاحظ قال كان لنا بالبصرة قاض يقال له عبد الله بن سوار
لم ير الناس حاكما قط ولا زميتا ولا وقورا ضبط من نفسه وملك من حركته مثل الذي ضبط وملك
كان يصلي الغداة في منزله وهو قريب الدار من المسجد فيأتي مجلسه فيحتبي ولا يتكئ ولا يزال منتصبا
لا يتحرك له عضو ولا يلتفت ولا يحل حبوته ولا يحول رجلا عن رجل ولا يعتمد على أحد شقيه حتى كأنه
بناء مبني أو صخرة منصوبة فلا يزال كذلك حتى يقوم لصلاة الظهر ثم يرجع إلى مجلسه فلا يزال كذلك
حتى يقوم لصلاة العصر ثم يرجع إلى مجلسه فلا يزال كذلك حتى يقوم لصلاة المغرب ثم ربما عاد إلى

مجلسه بل كثيرا ما يكون ذلك إذا بقي عليه من قراءة العهود والشروط والوثائق ثم يصلي العشاء و
ينصرف لم يقم في طول تلك الولاية مرة واحدة إلى الوضوء ولا احتاج إليه ولا شرب ماء ولا غيره من
الشراب وكذلك كان شأنه في طوال الأيام وفي قصارها وفي صيفها وشتائها وكان مع ذلك لا يحرك
يده ولا يشير برأسه وليس إلا أن يتكلم ثم يوجز ويبلغ بالكلام اليسير المعاني الكثيرة فبينا هو كذلك
ذات يوم وأصحابه حوله والسماطين بين يديه إذ سقط على أنفه ذباب فأطال السقوط والمكث ثم
تحول إلى موق عينه فرام الصبر في سقوطه على الموق وعلى عضته ونفاذ خرطومه كما رام من الصبر على
سقوطه على أنفه من غير أن يحرك أرنبته أو يغضن وجهه أو يذب بإصبعه فلما طال ذلك عليه من الذباب
وأوجعه وأحرقه وقصد إلى مكان لا يحتمل التغافل أطبق جفنه الأعلى على جفنه الأسفل فلم ينهض
فدعاه ذلك إلى أن والى بين الإطباق والفتح فتنحى ريثما سكن جفنه ثم عاد إلى موقه أشد من مرته
الأولى فغمس خرطومه في مكان قد كان أوهاه قبل ذلك فكان احتماله له أضعف وعجزه عن الصبر
في الثانية أقوى فحرك أجفانه وزاد في شدة الحركة وفي تتابع الفتح والإطباق فتنحى عنه بقدر
ما سكنت حركته ثم عاد إلى موضعه فما زال يلح عليه حتى استفرغ صبره وبلغ مجهوده فألجأه إلى أن
يذب عن عينيه بيده ففعل ذلك وعيون القوم إليه يرمقونه كأنهم لا يرونه فتنحى عنه بقدر ما رد يده و
سكنت حركته ثم عاد إلى موضعه فألجأه إلى أن ذب عن وجهه بطرف كمه ثم ألجأه إلى أن تابع
بين ذلك وعلم أن فعله كله بعين من حضره من أمنائه وجلسائه فلما نظروا إليه قال أشهد أن الذباب
ألح من الخنفساء وأزهى من الغراب وأستغفر الله فما أكثر من أعجبته نفسه فأراد الله أن
يعرفه من ضعفه ما كان عنه مستورا وقد علمت أني عند الناس من أزمت الناس وقد غلبني وفضحني
أضعف خلق الله ثم تلا قوله تعالى ضعف الطالب والمطلوب

مجلس آخر نو تأويل آية

إن سأل سائل عن قوله تعالى
وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من

ذلك

ربكم عظيم   فقال ما تنكرون ان يكون في هذه الآية دلالة على اضافة الافعال التي تظهر
من العباد اليه تعالى من وجهين احدهما انه قال بعد ذكر ما تقدم من افعالهم ومعاصيهم وفي ذلكم
بلاء من ربكم عظيم فاضافها الى نفسه والثاني انه اضاف نجاتهم من آل فرعون اليه فقال
اذ انجيناكم ومعلوم انهم هم الذين ساروا حتى نجوا فيجب ان يكون ذلك الشيء فعله على الحقيقة
حتى تصح الاضافة   الجواب   اما قوله تعالى وفي ذلكم فهو اشارة الى ما تقدم ذكره من النجاة
لهم من المكروه والعذاب وقد قال قوم انه معطوف على ما تقدم من قوله يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي
انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين والبلاء هاهنا الاحسان والنعمة ولا شك في ان تخليصه
لهم من ضروب المكروه التي عددها تعالى نعمة عليهم واحسان اليهم والبلاء عند العرب قد يكون حسنا
ويكون سيئا قال الله تعالى وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا ويقول الناس في الرجل اذا احسن
القتال والثبات في الحرب قد ابلى فلان ولفلان بلاء والبلوى ايضا قد يستعمل في الخير والشر
الا ان اكثر ما يستعملون البلاء الممدود في الجميل والخير والبلوى المقصورة في السوء والشر
وقال قوم اصل البلاء في كلام العرب الاختبار والامتحان ثم يستعمل في الخير والشر كما قال تعالى و
بلوناهم بالحسنات والسيئات يعني اختبرناهم وكما قال تعالى ونبلوكم بالخير والشر فتنة فالخير
يسمى بلاء والشر يسمى بلاء غير ان الاكثر في الشر ان يقال بلوته ابلوه بلاء وفي الخير ابليته ابليه
ابلاء وقال زهير في البلاء الذي هو الخير

جزى الله بالاحسان ما فعلا بكم ... فابلاهما خير البلاء الذي يبلو

فجمع بين اللغتين لانه اراد فانعم الله عليهما خير النعمة التي يختبر بها عباده   وكيف يجوز ان
يضيف ما ذكره عن آل فرعون من ذبح الابناء وغيره الى نفسه وهو قد ذمهم عليه ووبخهم وكيف
يكون ذلك من فعله وهو تعالى قد عد تخليصهم منه نعمة عليهم وكان يجب على هذا ان يكون انما نجاهم
من فعله بفعله وهذا مستحيل لا يعقل ولا احتمال على انه لو لم يرد قوله ذلكم الى ما حكاه عن

عن آل فرعون من الافعال القبيحة ويكون المعنى في تخليته بين هؤلاء وبينكم وتركه منعهم عن ايقاع هذه
الافعال بكم بلاء من ربكم عظيم اي محنة واختبار لكم والوجه الاول اقوى واولى وعليه جماعة من
المفسرين وروى ابو بكر الهذلي عن الحسن في قوله وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم قال نعمة عظيمة اذ
انجاكم من ذلك وقد روي مثل ذلك عن ابن عباس والسدي ومجاهد وغيرهم فاما اضافة النجاة
اليه وان كانت واقعة بسيرهم وفعلهم فلو دل على ما ظنوه لوجب اذا قلنا ان الرسول عليه السلم انقذنا
من الشرك واخرجنا من الضلالة الى الهدى ونجانا من الكفر ان يكون فاعلا لافعالنا ولذلك قد يقول
احدنا لغيره انا نجيتك من كذا وكذا وانقذتك وخلصتك ولا يريد انه فعل فعله والمعنى في ذلك ظاهر
لان ما وقع بتوفيق الله تعالى ودلالته وهدايته ومعونته والطافه قد يصح اضافته اليه تعالى وهذا
صحت اضافة النجاة اليه تعالى ويمكن ان يكون تعالى مضيفا لها من حيث ثبط عنهم الاعداء وشغلهم
عن طلبهم وكل هذا يرجع الى المعونة فتارة يكون بامر يرجع اليهم وتارة بامر يرجع الى اعدائهم
فان قيل كيف يصح ان يقول واذ انجيناكم يخاطب بذلك من لم يدرك فرعون ولا نجا من
شره قلنا ذلك معروف مشهور في كلام العرب وله نظائر كثيرة لان العربي قد يقول مفتخرا
على قومه قتلناكم يوم عكاظ وهزمناكم وانما يريد ان قومي فعلوا ذلك بقومك وقال الاخطل يهجو
جرير بن عطية

ولقد سما لكم الهذيل فنالكم ... باراب حيث يقسم الانفالا
في فيلق يدعو الاراقم لم تكن ... فرسانه عزلا ولا اكفالا

ولم يلحق جرير الهذيل ولا ادرك اليوم الذي ذكره غير انه لما كان يوما من ايام قوم الاخطل على قوم
جرير اضاف الخطاب اليه والى قومه وكذلك خطاب الله تعالى بالآية انما توجه الى ابناء من
نجي من آل فرعون واخلافهم والمعنى واذ نجينا آباءكم واسلافكم والنعمة على السلف نعمة على
الخلف   قال السيد قدس الله روحه ومن حسن الشعر في نعوت الضيافة والانس
بها والاستبشار عليها قول حاتم بن عبد الله الطائي

الهذيل بن هبيرة التغلبي وكان غزا بني رياح بن يربوع باراب واراب اسم ماء

الاكفال الذي لا يثبت على ظهور الخيل

اليه تعالى

إذا ما بخيل القوم هرّت كلابه وشقّ على الضيف الغريب عقورها
فإني جبان الكلب بيتي موطّأ جواد إذا ما النفس شحّ ضميرها
وإن كلابي قد أُقرّت وعُوّدت قليلٌ على من يعتريها هريرها

أراد بقوله قليل على من يعتريها هريرها أنها لا تهرّ جملة ولذلك نظائر كثيرة ومثله قوله تعالى فقليلا ما يؤمنون ومثل قوله وإني جبان الكلب لفظا ومعنى قول الشاعر

وما يك فيّ من عيب فإني جبان الكلب مهزول الفصيل

وإنما أراد أنه أوثر الضيف باللبن فصار فصيله مهزولا ومثله في اللفظ والمعنى أيضا قول ابن هرمة

وآل الزبير بنو حرة مروا بالسيوف الصدور الجنيفا
يموتون والقتل من دأبهم ويخشون يوم السيوف السيافا
وأجبن من صافر كلبهم وإن قذفته حصاة أضافا

يقول أدركوا بسيوفهم ثأرهم فكأنهم شفوا غيظ قلوبهم وأزالوا ما كان فيها من الأحقاد ومعنى مروا أي استخرجوا كما تمري الناقة إذا أردت أن تحلبها لتدرّ والجنيف المائل ثم قال وإن مات بعضهم على فراشه فإن أكثرهم يموتون مقتولين لشجاعتهم وإقدامهم فلذلك قال والقتل من دأبهم وجعل كلبهم جبانا لكثرة من يغشاهم ويطرقهم من النزال والأضياف فقد ألفهم كلابهم وأنست بهم فهي لا تنبحهم وقيل أيضا إنها لا تهرّ عليهم لأنها تصيب مما ينحر لهم ويُنشأ لهم فيه ومعنى وإن قذفته حصاة أضافا أي أشفق وهذا تأكيد لجبنه يقال أضاف الرجل من الأمر إذا أشفق منه ومعنى أجبن من صافر فقد تقدم ذكره في الأمالي ومثله في المعنى

يغشون حتى ما تهرّ كلابهم لا يسألون عن السواد المقبل

وقال المرار بن منقذ العدوي

أعرف الحق ولا أنكره وكلابي أُنُسٌ غير عُقُر
لا ترى كلبي إلا آنسا إن أتى خابط ليل لم يهر
كثر الناس فما ينكرهم من أسيف يبتغي الخير وحر

الأسيف العبد هاهنا وقال آخر

الماجد لا ينبح الكلب ضيفه ولا يتأداه احتمال المغارم

الوغر يكون الغيظ الصغير يقال في صدره وغر والوغر حقد وغر صدره على يوغر وغرا

معنى بينة داه يشغله وأراد أن يقول بينا وله فقلب وقال ابن هرمة

وإذا أتانا طارق متنوّر نبحت فدلّته عليّ كلابي
وفرحن إذ أبصرنه فلقينه يضربنه بشراشر الأذناب

وإنما تفرح به لأنها قد تعودت إذا نزل الضيوف أن ينحر لهم فتصيب من قراهم ومثله له

ومستنبح يستكشط الريح ثوبه ليسقط عنه وهو بالثوب معصم
عوى في سواد الليل بعد اعتسافه لينبح كلب أو ليفزع نوّم
فجاوبه مستسمع الصوت للقرى له مع إتيان المهبين مطعم
يكاد إذا ما أبصر الضيف مقبلا يكلمه من حبه وهو أعجم

أراد بقوله فجاوبه مستسمع الصوت أنه جاوبه كلب والمهبون الموقظون له ولأهله وهم الأضياف وإنما كان له معهم مطعم لأنه ينحر لهم ما يصيب منه وأراد بقوله يكلمه من حبه وهو أعجم بصبصته وتحريكه ذنبه فأما قوله ليفزع نوّم فإنما أراد ليغيث نوّم يقال فزعت لفلان إذا أغثته ومعنى عوى في سواد الليل أن العرب تزعم أن ساري الليل إذا أظلم عليه وادلهمّ فلم يستبن محجة الطريق ولم يدر أين الحلة وضع وجهه على الأرض وعوى عواء الكلب ليستمع ذلك الصوت الكلاب إن كان الحي قريبا منه فتجيبه فيقصد الأبيات وهذا معنى قوله أيضا ومستنبح أي ينبح نباح الكلب وقال الفرزدق في مثله

وداع يلحن الكلب يدعو ودونه من الليل سجفا ظلمة وغيومها
دعا وهو يرجو أن ينبّه إذ دعا فتى كابن ليلى حين غارت نجومها

ابن ليلى يعني أباه غالبا

بعثت له دهماء ليست بلقحة تدرّ إذا ما هبّ نحسا عقيمها

معنى بعثت أي دفعتها على أثافيها ويعني بالدهماء قدرا واللقحة الناقة وأراد أن قدره تدرّ إذا هبت الرياح عقيمها لا مطر فيها

كأن المحال الغر في حجراتها عذارى بدت لما أصيب حميمها

أراد أن قطع اللحم لا تستتر منها شيء كما لا تستتر العذارى اللواتي أصيب حميمهن فيظهرن حواسر

غضوب كحيزوم النعامة أحمشت بأجواز خشب زال عنها هشيمها

[illegible]

الاجواز الاوساط واوساط الخشب اصلب فانقى نارا

محضرة لا تجعل الستر دونها اذا المرضع العوجاء جال بريمها

البريم الحقاب وانما يجول من الهزال والجهد والطوى والعوجاء التى قد اعوجت من الطوى وقال الاخطل فى

الضيف
دعانى بصوتٍ واحدٍ فاجابه منادٍ بلا صوتٍ وآخر صيّت

ذكر ضيفا عوى بالليل والصدى من الجبل يجيبه فذلك معنى قوله بصوتٍ واحدٍ وقوله فاجابه منادٍ بلا
صوت يعنى نارا رفعها له فراى سناها فقصدها والآخر الصيّت الكلب لانه اجاب عواءه

ومثله
وسارى ظلامٍ مقفعلٍ دعوته بضوءٍ ساطعٍ فاهتدى ليا

يعنى نارا رفعها ليقصده طارق الليل والمقفعل المنقبض من شدة البرد وانشد محمد بن يزيد

ومستنبحٍ تهوى مساقط راسه الى كل شخصٍ فهو للصوت اصور
حبيبٍ الى كلب الكرام مناخه بغيضٍ الى الكوماء والكلب اعذر
دعته بغير اسمٍ هلم الى القرى فاسرى يبوع الارض شقراء تزهر

معنى اصور اى مائل اراد انه يميل راسه الى كل شخص يتخيل له بظلمة انسانا ومعنى حبيب الى الكلب
المعنى الذى تقدم ومعنى بغيض الى الناقة انها تنحر له وقوله دعته شقراء بغير اسم يعنى نارا اراد
ضوءها فقصدها فكانها دعته وقال ابن هرمة وقد نزل به ضيف

فقلت لقينتى ارفعاها وحركا لعل سنا نارى باخر يهتف

وفى معنى قوله بغيض الى الكوماء قول بعض الشعراء يمدح رسول الله صلى الله عليه وآله

وابيك خيرٍ ان ابل محمدٍ عزلٌ تناوح ان تهب شمال
واذا ابن لدى الفناء غريبةٌ ذرفت لهن من الدموع سجال
وترى لها من الشتاء على الثرى رخما وما يحيا لهن فصال

اراد وابيك الخير فلما طرح الالف واللام نصب والعزل التى لا سلاح معها وسلاح الابل سمنها
واولادها وانما جعلوا ذلك كالسلاح لها من حيث كان صاحبها اذا راى سمنها وحسن احسابها واولادها
اولادها شبعها نفس بها على الاضياف فامتنع من نحرها فكان صادا عن النحر وما بعانه جرى

الحقاب شى تحلى تشد المراة على وسطها

الهبوة الغبار

كلب الكريم

مجرى السلاح لها فكانه يقول هذه الابل وان كانت ذوات سلاح من حيث كانت شحيمة سمينة فهى
كالعزل اذ كان سلاحها لا يغنى عنها شيئا ولا يمنع من عقرها ومعنى تناوح يقابل بعضها بعضا اى هن
مرفقات باسمنها واوبارها لا تبالى بهبوب الشمال ولا يدخل بعضها فى بعض من البرد وقوله
واذا ابن لدى الفناء غريبة اى اذا ابن لضيف فعقل بافنيته التى حل عليها وهى الغريبة علمن انه سينحر
بعضهن لا محالة فلذلك تذرف دموعهن وقوله وترى لها من الشتاء على الثرى رخما فقد
قيل انه يهب فصالهن فتبقى البانها على الارض كهيئة الرخم وحكى عن ابى العباس ثعلب انه قال الرخم
قطع العلق من الدم وعندى ان المعنى غير هذين جميعا وانه انما اراد انها تنحر وتعقر فتسقط
الرخم على موضع عقرها وبقايا اذرعها واشلائها فهذا معنى قوله لا ما تقدم وقال آخر فى معنى سلاح
الابل يمدح بنى عوذ بن غالب من عبس

جزى الله عنى غالبا من عشيرةٍ اذا حدثان الدهر نابت نوائبه
اذا اخذت بزل المخاض سلاحها تجرد فيهم متلف المال كاسبه

اراد ان سمنها وحسنها وتمامها لا يمنعنى من عقرها للاضياف ومثله

اذا البقل فى اصلاب شول ابن مسهرٍ نمى لم يرده البقل الا تكرما
اذا اخذت شول البخيل رماحها دحا برماح الشول حتى تحطما

وقوله اخذت رماحها من المعنى المتقدم وقال مسكين الدارمى

فقمت ولم تاخذ الىّ رماحها عشارى ولم ارجب عراقيبها عقرا

لم ارجب اى لم اكبر ذلك ولم يعظم على ويسمى رجب رجبا من ذلك لانه شهر يعظم وقالت ليلى
الاخيلية

ولا تاخذ الكوم الجلاد سلاحها لتوبة فى قر الشتاء الصنابر

ومثله

لا اخون الصديق ما حفظ العهد ولا تاخذ السلاح لقاحى

وقال النمر بن تولب

ازمان لم تاخذ الىّ سلاحها ابلى بجلتها ولا ابكارها

وقال مضرس بن ربعى

ابن نحرها البانها ولحومها فاهين ذلك لضيفها ولجارها

اراد به انه

قوله ولم احفل

رجبته بالكسر اى هبته وعظمته

لم ارجب لم اكبر ذلك ولم يعظم على ويسمى رجب رجبا لذلك لانه شهر معظم

الاسرى ومما نقل عن الاضياف فانزلوا ابنا ولا يمنع الكوم ما منها نصيرها
ومعنى لا ننال عنهم اى لا نبعدهم والتعبير البعيد ونصيرها هاهنا ما يمنع من عقرها من حسن وتمام
ولد وما جرى مجرى ذلك والتصبير والتبلاح في المغنى واحد

مجلس آخر تأويل آية

ان سال سائل عن قوله تعالى ولا تقولن لشىء انى فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله فقال ما تنكرون ان يكون ظاهر هذه الاية
يقتضى ان يكون جميع ما نفعله بمشيئته وبريه لانه لم يخص شيئا من شىء وهذا بخلاف مذهبكم وليس لكم
ان تقولوا انه خطاب للرسول عليه السلم خاصة وهو لا يفعل الا ما يشاؤه الله تعالى لانه قد يفعل
المباح بلا خلاف ويفعل الصغائر عند اكثركم ولا بد من ان يكون في افعاله ما لا يشاؤه عندكم ولانه ايضا
تاديب لنا كما انه تعليم له عليه السلم ولذلك يحسن منا ان نقول ذلك فيما نفعله الجواب
قلنا تاويل هذه الاية مبنى على وجهين احدهما ان نجعل حرف الشرط الذى هو ان متعلقا بما يليه وبما هو متعلق
به في الظاهر من غير تقدير محذوف ويكون التقدير ولا تقولن انك تفعل الا ما يريد الله وهذا الجواب
ذكره الفراء وما رايته الا له ومن العجب تغلغله الى مثل هذا مع انه لم يكن من ظاهر ابا لقول بالعدل وعلى
هذا الجواب لا شبهة في الاية ولا سؤال للقوم علينا وفي هذا الوجه ترجيح ليس لغيره من حيث اتبعنا
فيه الظاهر ولم نقدر محذوفا فكل جواب يطابق الظاهر ولم يبن على محذوف كان اولى والجواب الاخر
ان نجعل ان متعلقة بمحذوف ويكون التقدير ولا تقولن لشىء انى فاعل ذلك غدا الا ان تقول ان شاء الله
لان من عادتهم اضمار القول في مثل هذا الموضع واختصار الكلام اذا طال وكان في الموجود منه دلالة
على المفقود وعلى هذا الوجه نحتاج الى الجواب عما سألنا عنه فنقول هذا امر تاديب من الله تعالى
لعباده وتعليم لهم ان يعلقوا ما يخبرون به بهذه اللفظة حتى تخرج من حد القطع ولا شبهة في ان
ذلك يختص بالطاعات وان الافعال القبيحة خارجة منه لان احدا من المسلمين لا يستحسن ان يقول
انى ازنى غدا ان شاء الله وكلهم يمنع من ذلك اشد المنع فعلم سقوط شبهة من ظن ان الاية عامة
في جميع الافعال ∴ واما ابو علي محمد بن عبد الوهاب فانه ذكر في تاويل هذه الاية ما نحن ذاكروه

عند

بعينه قال انما عنى بذلك ان من كان لا يعلم انه يبقى الى غد حيا فلا يجوز ان يقول انى سافعل غدا
كذا وكذا فيطلق الخبر بذلك وهو لا يدرى لعله سيموت فلا يفعل ما اخبر به لان هذا الخبر اذا لم يوجد
مخبره على ما اخبر به المخبر فهو كذب واذا كان المخبر لا يامن ان لا يوجد مخبره لحدوث امر من فعل
الله سبحانه نحو الموت او العجز او بعض الامراض او لا يجوز ذلك بان يبدو له هو في ذلك فلا يامن
ان يكون خبره كذبا في معلوم الله تعالى فاذا لم يامن ذلك لم يجز ان يخبر به ولا يسلم خبره هذا من
الكذب الا بالاستثناء الذى ذكره الله تعالى فاذا قال انى صائر غدا الى المسجد ان شاء الله فاستثنى
في مصيره مشيئة الله تعالى امن ان يكون خبره في هذا كذبا لان الله تعالى ان شاء ان يلجئه الى المصير
الى المسجد غدا الجاه الى ذلك وكان المصير منه لا محالة فاذا كان ذلك علما وصفناه لم يكن خبره
هذا كذبا وان لم يوجد منه المصير الى المسجد لانه لم يوجد ما استثناه في ذلك من مشيئة الله قال
وينبغى ان لا نستثنى مشيئته دون مشيئته لانه ان استثنى في ذلك مشيئة الله لمصيره الى المسجد على
وجه التعبد فهو ايضا لا يامن ان يكون خبره كذبا لان الانسان قد يترك كثيرا مما يشاؤه الله تعالى
منه ويتعبده به ولو كان استثنى مشيئة الله لان يبقيه ولان يقدره ويرفع عنه الموانع كان ايضا لا
يامن ان يكون خبره كذبا لانه قد يجوز ان لا يصير الى المسجد مع تبقية الله تعالى له قادرا مخلى
فلا يامن من الكذب في هذا الخبر دون ان يستثنى المشيئة العامة التى ذكرناها فاذا دخلت هذه
المشيئة في الاستثناء فقد امن ان يكون خبره كذبا اذا كانت هذه المشيئة متى وجدت وجب
ان يدخل المسجد لا محالة قال وبمثل هذا الاستثناء يزول الحنث عمن حلف فقال والله لاصيرن
غدا الى المسجد ان شاء الله لانه اذا استثنى على سبيل ما بيناه لم يجز ان يحنث في يمينه ولو خص
استثناءه بمشيئة الله بتعبده ثم كانت ولم يدخل معها المسجد لحنث في يمينه وقال غيره
ايضا ان المشيئة المستثناة هاهنا هي مشيئة المنع والحيلولة فكانه قال ان شاء الله تعالى ان لا
تخليتى ولم يمنعنى وفي الناس من قال المقصد بذلك ان يوقف الكلام عن جهة القطع ويلزم به ما كان
يلزم لولا الاستثناء ولا ينوى في ذلك اجاء ولا غيره وهذا الوجه يحكى عن الحسن البصرى

واعلم ان للاستثناء الداخل على الكلام وجوها مختلفة فقد يدخل في الايمان والطلاق والعتاق
وسائر العقود وما يجري مجراها من الاخبار فاذا دخل في ذلك اقتضى التوقف عن امضاء الكلام و
المنع من لزوم ما يلزم به وان انصرف عن الوجه الذي وضع له ولذلك يصير ما تكلم به كانه لا حكم له
ويصح على هذا الوجه ان يستثنى في الماضي فيقول قد دخلت الدار ان شاء الله ليخرج بهذا الاستثناء لذلك
من ان يكون كلامه خبرا قاطعا او يلزم به حكم وانما لم يصح دخوله في المعاصي على هذا الوجه لان فيه
اظهار الانقطاع الى الله تعالى والمعاصي لا يصح ذلك فيها وهذا الوجه احد ما يحتمله تاويل الاية احد
وقد يدخل الاستثناء في الكلام ويراد به اللطف والتسهيل وهذا الوجه يختص الطاعات وهذا
جرى قول القائل لاقضين غدا ما علي من الدين ولاصلين غدا ان شاء الله يجري ان يقول اني افعل
ذلك ان لطف الله تعالى فيه وسهله فعلم ان المقصود واحد ومتى قصد الحالف فيه هذا الوجه لم يجب
اذا لم يقع منه الفعل ان يكون حانثا او كاذبا لانه اذا لم يقع علمنا انه لم يلطف فيه لانه لا لطف بان لم يقع
له وليس لاحد ان يعترض هذا بان يقول الطاعات لا بد فيها من لطف وذلك لان فيها ما لا لطف فيه جملة
فان تعاطي ما هذه سبيله يكشف عن انه لا لطف فيه لان فيها ما لا لطف فيه وهذا الوجه لا يصح ان
يقال في الاية لانه يختص الطاعات والاية تتناول كل ما لم يكن قبيحا بدلالة اجماع المسلمين على حسن
استثناء ما تضمنته في فعل كل ما لم يكن قبيحا وقد يدخل الاستثناء في الكلام ويراد به التسهيل و
الاقدار والتخلية والبقاء على ما هو عليه من الاحوال وهذا هو المراد به اذا دخل في المباحات
وهذا الوجه يمكن في الاية الا انه يعترضه ما ذكره ابو علي الجبائي فيما ذكرناه من كلامه وقد حكيناه
يذكر استثناء المشية ايضا في الكلام وان لم يرد به شيء مما تقدم بل يكون الغرض به اظهار الانقطاع
الى الله تعالى من غير ان يقصد به الى شيء من الوجوه المتقدمة ويكون هذا الاستثناء غير معتد به
في كونه كاذبا او صادقا لانه في الحكم كانه قال لافعلن كذا اذا وصلنا الى مرادي مع الانقطاع
الى الله تعالى واظهار الحاجة اليه وهذا الوجه ايضا مما يمكن في تاويل الاية ومتى تاول جملة

ما ذكرناه من الكلام عرف منه الجواب عن المسالة التي لا يزال يسال عنها المخالفون من قولهم لو كان
الله انما يريد من العباد الحسن من الافعال دون المعاصي لوجب اذا قال من لغيره عليه دين طالبه به والله
لاعطينك حقك غدا ان شاء الله ان يكون كاذبا او حانثا اذا لم يفعل لان الله تعالى قد شاء منه
ذلك عندكم وان كان لم يقع وكان يجب ان يلزمه الكفارة ولا يؤثر هذا الاستثناء في يمينه ولا يخرجه ان
من كونه حانثا كما انه لو قال والله لاعطينك حقك غدا ان شاء الله ان يكون كاذبا او حانثا اذا
لم يفعل لان الله تعالى قد شاء منه ذلك عندكم ولو كان لم يقع وكان يجب ان يلزمه الكفارة
وان لا يؤثر هذا الاستثناء في يمينه ولا يخرجه من كونه حانثا كما انه لو قال والله لاعطينك حقك
غدا ان قدم زيد فقدم ولم يعطه فيكون حانثا وفي الزام هذا الحنث خروج عن اجماع المسلمين
فصار ما اوردناه جامعا لبيان تاويل الاية والجواب عن هذه المسالة ونظائرها والحمد لله
قال السيد قدس الله روحه تاملت ما اشتملت عليه تشبيهات الشعراء فوجدت اكثر
ما شبهوا فيه الشيء بالشيء الواحد والشيئين بالشيئين وقد تجاوزوا ذلك الى تشبيه ثلثة بثلثة
واربعة باربعة وهو قليل ولم اجد ما تجاوز هذا القدر الا قطعة من شعر لابن المعتز فانها تضمنت
تشبيه ستة اشيا بستة اشيا فاما تشبيه الواحد بالواحد فمثل قول عنترة في وصف الذباب
هزجا يحك ذراعه بذراعه قدح المكب على الزناد الاجذم
ومثله قول عدي بن الرقاع
تزجي اغن كان ابرة روقه قلم اصاب من الدواة مدادها
ومثله قول امرئ القيس
كان عيون الوحش حول خبائنا وارحلنا الجزع الذي لم يثقب
وقوله
اذا ما الثريا في السماء تعرضت تعرض اثناء الوشاح المفصل
وقول ذي الرمة
وردت اعتسافا والثريا كانها على قمة الراس ابن ماء محلق
وهذا الباب اكثر من ان يحصى واما تشبيه شيئين بشيئين فمثل قول امرئ القيس
كان قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي

لك

وقوله: وكشح لطيف كالجديل مخصر وساق كأنبوب السقي المذلل

بشار: كأن مثار النقع فوق رؤوسهم وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

وقول الآخر: كأن سمو النقع والبيض حولنا سماوة ليل أسفرت عن كواكب

ولآخر: كأن صغرى وكبرى من فواقعها حصباء در على أرض من الذهب

لأبي نواس: إن الشمول هي التي جمعت لأهل الود شملا ... شبهتها وحبابها بشقائق يحملن طلا

ولآخر: أبصرته والكأس بين فم منه وبين أنامل خمس ... فكأنها وكأن شاربها قمر يقبل عارض الشمس

ولآخر: حتى إذا جليت في الكأس جلت بها عقيقة خلقت في قشر بلور

وقال البحتري: نقلي إذا مزجت في كأسها حببا كأنه عرق في خد مخمور

شقائق يحملن الندى فكأنه دموع التصابي في خدود الخرائد

ولأبي العباس: فكأن التربيع يجلو عروسا وكأنا من قطره في نثار

وقال ابن الرومي: كأن الدموع على خدها بقية طل على جلنار

وقال آخر / الناشي / فأحسن: لو كنت يوم الفراق حاضرنا وهن يطفين غلة الوجد

لم تر إلا الدموع سافحة تسفح من مقلة على خد

وقال جران العود: كأن تلك الدموع قطر ندى يقطر من نرجس على ورد

أبيت كأن الليل أفنان سدرة عليها سقيط من ندى الطل ينطف

ولابن المعتز: سقتني في ليل شبيه بشعرها شبيهة خديها بغير رقيب

وقال المتنبي: فأمسيت في ليلين بالشعر والدجى وشمسين من خمر ووجه حبيب

نشرت ثلاث ذوائب من شعرها في ليلة فأرت ليالي أربعا

واستقبلت قمر السماء بوجهها فأرتني القمرين في وقت معا

فأما تشبيه ثلثة بثلثة فمثل قول ماني الموسوس

نشرت غدائر شعرها لتظلني خوف العيون من الوشاة الرمق

فكأنه وكأنها وكأنني صبحان باتا تحت ليل مطبق

ولبعضهم: روض ورد حلاله نرجس غض يحف الأقحوان النضيرا

ولآخر في النرجس: ذا يباهي لنا خدودا وذا يحكي عيونا وذا يضاهي ثغورا

وللبحتري يصف: مداهن تبر بين أوراق فضة لها عمد مخروطة من زبرجد

صفة المطايا ونحولها / ولبعض الطالبيين: كالقسي المعطفات بل الأسهم مبرية بل الأوتار

وأنا ابن معتلج البطاح إذا غدا غيري وراح على متون ظواهر

يفتر عني ركنها وحطيمها كالجفن يفتح عن سواد الناظر

كجبالها شرفي ومثل سهولها خلقي ومثل ظبائهن مجاوري

المعطفات

المعتلج المكان الذي تختلف فيه الأبطاح ... الأبطح على غير قياس

فأما تشبيه أربعة بأربعة فمثل قول امرئ القيس

له أيطلا ظبي وساقا نعامة وإرخاء سرحان وتقريب تتفل

ولآخر: كف تناول راحها بزجاجة خضراء تقذف بالحباب وتزبد

فالكف عاج والحباب لآلئ والراح تبر والإناء زبرجد

ولبعضهم وقد أهدى إليه أقحوان ونرجس وشقائق وآس فكتب إلى المهدي

لله ما أطرف أخلاقك يا بدر الكرم ... أهديت ما أشبهها حسنا وظرفا وشيم

وما رأينا مهديا قبلك في كل الأمم ... أهدى العيون والخدود والثغور واللمم

ولآخر: أفدي حبيبا له بدائع أوصاف تعالت عن كل ما أصف

وللمتنبي: كالبدر يعلو والشمس تشرق والغزال يعطو والغصن ينعطف

ومثله: بدت قمرا ومالت خوط بان وفاحت عنبرا ورنت غزالا

سفرن بدورا وانتقبن أهلة ومسن غصونا والتفتن جآذرا

فأما تشبيه خمسة بخمسة فقول الوأواء الدمشقي

وأسبلت لؤلؤا من نرجس وسقت وردا وعضت على العناب بالبرد

وأما تشبيه ستة بستة فلم أجده إلا لابن المعتز في قوله
بدر وليل وغصن وجه وشعر وقد ... خمر ودر وورد ريق وثغر وخد

تشبيهات ابن المعتز وإن كانت ستة بستة فإنها في بيتين وأبلغ وأعجب من ذلك وأحسن قول المخزومي
ثقال الردف غض المثنى حثيث الحسن ... دجى الشعر بدر الوجه ظبي المقلد

مجلس آخر نط تأويل آية

إن سأل سائل عن قوله تعالى ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا فقال كيف يجوز أن يأمرنا على سبيل العبادة لنا بالدعاء بذلك وعندكم أن النسيان من فعله تعالى ولا تكليف على الإنسان في حال نسيانه وهذا يقتضي أحد أمرين إما أن يكون النسيان من فعل العباد على ما يقوله كثير من الناس أو تكون متعبدين بمسألته تعالى ما نعلم أنه واقع حاصل لأن مؤاخذة الناسي مأمونة منه تعالى والقول في الخطأ إذا أريد به ما وقع سهوا أو عن غير عمد يجري هذا المجرى الجواب قلنا قد قيل في تأويل هذه الآية أن المراد بنسينا تركنا قال أبو علي قطرب بن المستنير معنى النسيان ههنا الترك كما قال تعالى ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي أي ترك ولولا ذلك لم يكن فعله معصية وكقوله تعالى نسوا الله فنسيهم أي تركوا طاعته فتركهم من ثوابه ورحمته وقد يقول الرجل لصاحبه لا تنسني من عطيتك أي لا تتركني منها وأنشد ابن عرفة

ولم أك عند الجود للجود قاليا ... ولا كنت يوم الروع للطعن ناسيا

أي تاركا ومما يمكن أن يكون شاهدا على ذلك قوله تعالى أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم أي تتركون أنفسكم ويمكن في الآية وجه آخر على أن يحمل النسيان على السهو وفقد العلوم ويكون وجه الدعاء بذلك ما قد بيناه فيما تقدم من الأمالي على سبيل الانقطاع إلى الله تعالى وإظهار الفقر إلى مسألته والاستعانة به وإن كان مأمونا منه المؤاخذة بمثله ويجري مجرى قوله تعالى في تعليمنا وتأديبنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ويجري مجرى قوله رب احكم بالحق وقوله ولا تخزني يوم يبعثون وقوله تعالى حاكيا عن الملائكة فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم وهذا الوجه يمكن أيضا في قوله أو أخطأنا إذا كان الخطأ ما وقع سهوا أو عن غير عمد فأما على ما يطابق الوجه الأول فقد يجوز أن يريد بالخطأ ما يفعل من المعاصي بالتأويل السيء وعن جهل بأنها معاص لأن من قصد شيئا على اعتقاد أنه بصفة فوقع ما هو بخلاف معتقده يقال

صح الناهي

عمد

يطابق الوجه

شبهة

قد أخطأ فكأنه أمرهم بأن يستغفروا مما يكونون متعمدين له من غير سهو ولا تأويل ومما أقدموا عليه مخطئين متأولين ويمكن أيضا أن يريد بأخطأنا ههنا أذنبنا وفعلنا قبيحا وإن كانوا به متعمدين وبه عالمين لأن جميع معاصينا لله تعالى قد توصف بأنها خطأ من حيث فارقت الصواب وإن كان فاعلها متعمدا فكأنه أمرهم بأن يستغفروا مما يتركونه من الواجبات ومما يفعلونه من المقبحات ليشتمل الكلام على جميع الذنوب والله أعلم بمراده أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني محمد بن العباس قال قال رجل يوما لأبي العباس محمد بن يزيد النحوي ما أعرف قصيدة أحسن من قصيدة أبي الشيص فقال كم قصيدة حسنة لا تعرفها ثم أنشد لبشار

غمض الجديد بصاحبيك فغمضا ... وبقيت تطلب في الحبالة منهضا
وكأن قلبي عند كل مصيبة ... عظم تكرر صدعه فتهيضا
وأخ سلوت له فأذكره أخ ... فمضى وتذكرك الحوادث ما مضى
فاشرف على تلف الأحبة إنما ... جزر المنية ظاعنين وخفضا
ولقد جريت مع الصبى طلق الصبى ... ثم ارعويت فلم أجد لي مركضا
وعلمت ما علم امرؤ في دهره ... فأطعت عذالي وأعطيت الرضا
وصحوت من سكر وكنت موكلا ... أرعى الحمامة والغراب الأبيضا

غمض المكان يغمض غموضا وغمض غماضة والجديد الزمان والجديدان الليل والنهار

يغمر في الخفض

الحمامة المرآة والغراب الأبيض الشعر الشائب فيقول كنت كثيرا أتعهد نفسي بالنظر في المرآة وترطيل الشعر وقوله الغراب الأبيض لأن الشعر كان غربيبا أسود من حيث كان شابا ثم ابيض بالشيب

ما كل بارقة تجود بمائها ... وكذاك لو صدق الربيع لروضا

هكذا أنشده المبرد وأحسبه غلطا وأنشده ابن الأعرابي

من كل بارقة تجود بمائها ... ولربما صدق الربيع فروضا
تردد فيه العين ذو قنفراته ... فوجرت ذا عسلا وذا جمر الغضا
يا ليت شعري فيم كان صدودها ... أساءنا أم رعد السحاب وأومضا

من شيع القطر ينتجع نزكي

وغيرَ من ذكرنا بروبه ام أجم الخلال فاحمضا

وبلى عليه وبلى من هيته كان الذي قد كان حلماً فانقضى

سبحان من كتب الشقاء لذي الهوى ما كان الا كالخضاب فقد نضا

قال المبرد ومي طويلة وذكر يوسف بن يحيى بن علي عن ابيه ان ابا نواس اخذ قوله

جن يشع الصبى طلق الجموح من قول بشار ولقد جريت مع الصبى طلق الصبى قال السيد

قدس الله روحه ولابي تمام وللبحتري على هذا الوزن وحركة القافية قصيدتان انا لم نر بدا على

ضادية بشار التي استحسنها المبرد ولم يقصر عنه فاول قصيدة ابي تمام

اهلوك اضحوا شاخصا ومقوضا ومزمّما يصف النوى ومغرّضا

ان يدج عيشك انهم امّوا اللوى فيما اضاء وهم على ذات الاضا

بدلت من برق الثغور وبردها برقاً اذا ظعن الاحبة اومضا

يقول فيها

ما انصف الشرخ الذي بعث الهوى فقضى عليك بلوعة ثم انقضى

عندي من الايام ما لو انه اضحى بشارب مرقد ما غمّضا

لا تطلبن الرزق بعد شماسه فترومه سبعاً اذا ما غيّضا

ما عوّض الصبر امرؤ الا رأى ما فاته دون الذي قد عوّضا

يا احمد بن ابي دواد دعوة ذلّت بذكرك لي وكانت ريّضا

لما انتضيتك للخطوب كفيتها والسيف لا يرضيك حتى ينتضى

يقول فيها

قد كان صوّح نبت كل قرارة حتى تروّح في نداك فروّضا

اوردتني العِدّ الخسيف وقد ارى انني ارض الثمد البكيّ مبرّضا

واما قصيدة البحتري فهي

ترك السواد للابسيه وبيّضا ونضا من الستين عنه ما نضا

وشباه اغيد في فترة لحظه مرض اعلّ به القلوب فامرضا

وكانه وجد الصبى وجديده دينا دنا ميقاته ان يقتضى

اشباب اثري من هوى وصبابة واساف من وصل الحسان وانقضا

كلف يكفكف عبرة مهراقة اسفاً على عهد الشباب وما انقضى

عدد تكامل للشباب بجيئه واذا مضى الشيء حان فقد مضى

يقول فيها

تعقعت بالبخلاء اذ عرجانهم ونفرت من فاصل ان ينتضى

وكفاك من حنش الصعيد بهيئة اذ مدّ فضل لسانه او نضنضا

لا تشكرن من جان يمنك ان طوى اطناب جانبه بحبته او قوّضا

فالارض واسعة لنقلة راغب عمن تنقل وده وتنقّضا

لا تنتبل اغضائي اني امّا كنت من اغضيت متمهلاً على جمر الغضا

لست الذي ان عارضته ملمة اصغى الى حكم الزمان وفوّضا

لا يستفزني الطفيف ولا ارى تبعاً للبارق خلّب ان اومضا

انا من احب تحرياً وكأنني فيما اعاين منك ممن ابغضا

اغببت سيبك لي تجمّ وانما غمد الحسام المشرفي لينتضى

وسكتّ الا ان اعرّض قائلاً نزراً وصرّح جهده من عرّضا

ولاخبرنا ابو عبد الله المرزباني قال حدثني يوسف بن يحيى بن علي عن ابيه قال من مختار شعر بشار قوله

في وصف الزمان

عتبت على الزمان واي حيّ من الاحياء اعتبه الزمان

وآمنه من الحدثان شيء علي ولبس من حدث امان

وليس بزائل يرمي ويرمى معان مرة او مستعان

متى نابت الكرام من كريم فما لك عنده الا الهوان

قال ولـه في نحو

يا خليلي اصيبا او ذرا ليس كل البرق يهدي المطرا

ذهب المعروف الا ذكره ربما يبكي الغني ما ذكرا

ويغنينا في زمان معضل تشرب الصفو ونبقي الكدرا

قال وله

قد اذكر الحاجة ممنوعة وتولع النفس بما لا تنال
والهم ما امسكته في الحشا داء وبعض الداء لا يستقال
فاحمل الهم على عاتق ان لم تساعفك العلندى الجلال

قال النجيبي قوله عاتق يعني الخمر وهذا مثل قوله

ونجلت عنسا من شراب بابل فصرت من عقلي على مراحل

لما رايت الدهر دهر الجاهل ولم ار المغبون غير العاقل رحلت

قال السيد قدس الله روحه هذا الذي ذكره يحتمله البيت على استكراه ويحتمل ايضا ان يريد بالعاتق العضو ويكون المعنى ان لم تجد من يحمل عنك همومك ويقوم باثقالك ويخفف عنك فتحمل انت ذلك بنفسك واصبر عليه كانه يامر نفسه بالتجلد والتصبر عند الياس وهذا البيت له نظائر في الشعر ولخبرنا المرزباني قال حدثني علي بن هرون قال حدثني ابي قال من بارع شعر بشار قوله يصف جارية مغنية قال علي وما في الدنيا شيء لقديم ولا محدث من منثور ولا منظوم في صفة الغناء واستحسانه مثل هذه الابيات

وراحة للعين فيها مخيلة اذا برقت لم تسق بطن صعيد
من المستهلات الهموم على الفتى خفا برقها في عصفر وعقود
حسدت عليها كل شيء يمسها وما كنت لولا حبها بحسود
واصفر مثل الزعفران شربته على صوت صفراء الترائب رود
كان ابن اجالسنا في ثيابها تؤمل رؤياه عيون وفود
من البيض لم تسرح على اهل ثلة سواما ولم ترفع حداج قعود
تميت به البابنا وقلوبنا مرارا وتحييهن بعد همود
اذا نطقت صحنا وصاح لنا الصدى صياح جنود وجهت لجنود
ظللنا بذاك الدير يوما كله كانا من الفردوس تحت خلود

الراحة الغمامة التي ترجى وهي كناية عن مغنية

شبابها

ولا باس الا اننا عند اهلها شهود وما البابنا بشهود

قال وانشدني ابي له في وصف مغنية

لعمر ابي زوارها الصيد انهم لفي منظر منها وحسن سماع
تصلي له آذاننا وعيوننا اذا ما التقينا والقلوب دواع
وصفراء مثل الخيزرانة لم تعش ببؤس ولم تركب مطية راع
جرى اللؤلؤ المكنون فوق لسانها لزوارها من مزهر ويراع
اذا قلدت اطرافها العود زلزلت قلوبا دعاها للوساوس داع
كانهم في جنة قد تلاحقت محاسنها من روضة ويفاع
يروحون من تغريدها وحديثها نشاوى وما تسقيهم بصواع
لعوب بالباب الرجال وان دنت اطيع التقى والغي غير مطاع

وحديثها

قال علي بن هرون الصواع المكيال يقول اذا غنتهم سكروا جزافا بلا كيل ولا مقدار من حسن ما يسمعون

قال السيد قدس الله روحه وهذا خطا منه وانما اراد ان غناءها لفرط حسنها وشدة اطرابها ينشيان نشوة الخمر وان لم يكن هناك شرب بصواع وهذا يجري مجرى قول الشاعر

ويوم ظللنا عند ام محلم نشاوى ولم نشرب طلاء ولا خمرا

الطلاء المطبوخ من الخمر

وما كان عندي ان احدا يشتبه عليه معنى هذا البيت حتى غلط فيه هذا الرجل فاما قوله في القطعة الاولى

واصفر مثل الزعفران شربته على صوت صفراء الترائب رود

فيحتمل وجوها ثلثة اولها ان يكون اراد بصفرة ترائبها الكناية عن كثرة تطيبها وتضمخها وان ترائبها تصفر لذلك كما قال الاعشى

بيضاء ضحوتها وصفراء العشية كالعراره

والعرار بهار البر وانما اراد انها تتضمخ بالعشي بالطيب فيصفرها ومثله لذي الرمة

بيضاء في دعج كحلاء في برج كانها فضة قد مسها ذهب

وقيل في بيت قيس بن الخطيم

فرايت مثل الشمس عند طلوعها في الحسن او كدنوها لغروب

صفراء العلى الشباب لانها موسومة بالحسن غير قطوب
انها سبقت اقرانها ومثله قول ابن الرقيات
لم تلتفت لداتها ومضت على غلوائها
وغير قطوب اي غير كالحة

وجهان احدهما انه اراد انها تطيب بالعشي فتصفر لان الشمس تغيب صفراء والوجه الآخر
انه اراد المبالغة في الحسن لان الشمس احسن ما تكون في وقتيها هذين ومن ذلك ايضا قول قيس

صفراء اعجلها الشباب لداتها   ومثله للاعشى

اذا جردت يوما حسبت خميصة   عليها وجريال النضير الدلامصا

الخميصة ثوب ناعم لين شبه به نعمة جسمها والنضير الذهب والجريال كل صبغ احمر و
انما يعني لون الطيب عليها والدلامص البراق فهذا وجه. والوجه الثاني ان يكون اراد بوصفها
بالصفرة رقة لونها فقد تقدم ان المراة اذا كانت صافية اللون رقيقة ضرب لونها بالعشي الى
الصفرة. وقال محمد بن علي بن مهدي الاصفهاني قال لي ابي قال لي الجاحظ زعموا ان المراة اذا
كانت صافية اللون رقيقة تضرب لونها بالعشي الى الصفرة واحتج في ذلك بقول الراجز

قد علمت بيضاء صفراء الاصل

وزعم ان بيت ذي الرمة الذي انشدناه من هذا
المعنى وكذلك بيت الاعشى الذي انشدناه والابيات محتملة للامرين فاما الذي لا يحتمل الا
وجها واحدا فهو قول الشاعر

وقد خنقتها عبرة فدموعها   على خدها حمر وفي نحرها صفر

لانها لا تكون صفراء في نحرها الا لاجل الطيب. فاما قوله على خدها حمر فانما اراد انها تصبغ
بلون خدها. والوجه الثالث ان تكون المراة كانت صفراء على الحقيقة وان بشارا كنى او شبب
بامراة صفراء كقوله

اصفراء لا انسى هواك ولا ودي   ولا ما مضى بيني وبينك من عهد
لقد كان ما بيني زمانا وبينها   كما كان بين المسك والعنبر الورد

وكقوله

اصفراء كان الود منك مباحا   ليالي كان الهجر منك مزاحا
وكن جواري الحي اذ كنت فيهم   قباحا فلما غبت صرن ملاحا

وقد روي ملاحا فلما غبت صرن قباحا. وقوله قباحا فلما غبت صرن ملاحا يشبه قول
السيد بن محمد الحميري

واذا حضرن مع المليح بمجلس   ابصرتهن وما فيهن قباحا

فاما قوله من البيض لم تسرح سواما فانه لا يكون مناقضا لقوله صفراء وان اراد بالصفرة لونها لان

بالغداة الى البياض و

علمت صح

كان

البياض ههنا ليس بعبارة عن اللون وانما هو عبارة عن نقاء العرض وسلامته من الادناس و
العرب لا تكاد تستعمل البياض الا في هذا المعنى دون اللون لان البياض عندهم البرص ويقولون
في الابيض الاحمر ومنه قول الشاعر

جاءت به بيضاء انجلت من عبد شمس صلتة الخد

فاما قول بشار في القطعة الثانية وصفراء مثل الخيزرانة فانه يحتمل ما تقدم من الوجوه وان
كان باللون الحقيقي اخص لقوله كالخيزرانة لان الخيزران يضرب الى الصفرة ويحتمل ايضا ان
يريد بصفراء غير اللون الثابت ويكون قوله كالخيزرانة انها مثلها في التثني والانعطاف ولقد
احسن جران العود في قوله في المعنى الذي تقدم

كان سبيكة صفراء صبت   عليها ثم ليث بها الازار
يرود العارضين كان فاها   بعيد النوم مسك مستثار

مجلس آخر [illegible] تأويل آية

ان سال سائل عن قوله تعالى
الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون فقال كيف اضاف الاستهزاء اليه وهو مما لا
يجوز في الحقيقة عليه وكيف خبر بانه يمدهم في الطغيان والعمه وذلك بخلاف مذهبكم الجواب
قلنا في قوله تعالى الله يستهزئ بهم وجوه اولها ان يكون معنى الاستهزاء الذي اضافه تعالى
الى نفسه تجهيله لهم وتخطئته اياهم في اصرارهم على الكفر واصرارهم على الضلال وسمى الله تعالى
ذلك استهزاء مجازا وتشبيها كما يقول القائل ان فلانا ليستهزأ به منذ اليوم اذا فعل فعلا عابه
الناس به وخطؤه فيه فاقيم عيب الناس على ذلك الفعل وازراؤهم على فاعله مقام الاستهزاء
به وانما اقيم مقامه لتقارب ما بينهما في المعنى لان الاستهزاء الحقيقي انما يقصد به الى
عيب المستهزأ به والازراء عليه واذا تضمنا التخطئة والتجهيل والتبكيت هذا المعنى
جاز ان يجري اسم الاستهزاء عليه ويشهد بذلك قوله تعالى وقد نزل عليكم في الكتاب ان اذا
سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها ونحن نعلم ان الآيات لا يصح عليها الاستهزاء
على الحقيقة ولا السخرية وانما المعنى اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويزرى عليها والعرب قد
تقيم الشيء مقام ما قاربه في معناه فتجري عليه اسمه قال الشاعر

كم اناسٍ في نعيمٍ عمّروا في ذرى مُلكٍ تعالى فبسق
سكت الدهر زماناً عنهم ثم ابكاهم دماً حين نطق

والسكوت والنطق على الحقيقة لا يجوزان على الدهر وانما شبّه تركه لحالهم على ما هي عليه بالسكوت وشبّه تغييره لها بالنطق وانشد الفراء

ان دهراً يلفّ شملي بجُملٍ لزمانٌ يهمّ بالاحسان

ومثل ذلك في الاستعارة لتقارب المعنى قوله

سألتني عن اناسٍ هلكوا شرب الدهر عليهم واكل

وانما اراد بالاكل والشرب الافساد لهم والتغيير لاحوالهم ومنه قول الآخر

يُقرّ بعيني ان ارى باب دارها وان كان باب الدار يحسبني جلدا

والجواب الثاني ان يكون معنى الاستهزاء المضاف اليه عز وجل ان يستدرجهم ويهلكهم من حيث لا يعلمون ولا يشعرون ويروى عن ابن عباس انه قال في معنى استدراجه اياهم انهم كلما احدثوا خطيئة جدّد لهم نعمة وانما سمّي هذا الفعل استهزاءً من حيث غيّب عنهم من الاستدراج الى الهلاك غير ما اظهر لهم من النعم كما ان المستهزئ منا المخادع لغيره يظهر امراً ويضمر غيره

فان قيل على هذا الجواب في المسألة قائمة واي وجه لان يستدرجهم بالنعمة الى الهلاك

قلنا ليس الهلاك هاهنا هو الكفر وما اشبهه من المعاصي التي يستحق بها العقاب وانما يستدرجهم الى الضرر والعقاب الذي استحقوه بما تقدم من كفرهم ولله تعالى ان يعاقب المستحق بما يستحقه اي وقت شاء فكانه تعالى لما كفروا وبدّلوا نعمه وعاندوا رسله لم يغيّر نعمه عليهم في الدنيا بل ابقاها ليكون متى نزعها عنهم وابتزّهم بها نقمها كان الحسرة منهم اعظم والضرر عليهم اكثر فان قيل فهذا يؤدي الى تجويز ان يكون بعض ما ظاهره النعمة على الكفار مما لا يستحق الله تعالى به الشكر قلنا ليس يمتنع هذا فيمن استحق العقاب وانما المنكر ان تكون النعم المبتدأة بهذه الصفة على ما تلزمه مخالفنا الا ترى ان الحياة وما جرى مجراها من حظ

التركيب والصحة لا تعدّ على اهل النار نعمة وان كانت على اهل الجنة نعماً من حيث كان الغرض فيه ايصال العذاب اليهم

والجواب الثالث ان يكون معنى استهزائه بهم انه جعل لهم بما اظهروه من موافقة اهل الايمان ظاهر احكامهم من نصرة ومناكحة وموارثة ومدافنة وغير ذلك من الاحكام وان كان تعالى معدّاً لهم في الآخرة اليم العقاب لما ابطنوه من النفاق واستسرّوه من الكفر فكانه تعالى قال ان كنتم ايها المنافقون لما تظهرونه للمؤمنين من المتابعة والموافقة وتبطنونه من النفاق وتطلعون عليه شياطينكم اذا خلوتم بهم تظنون انكم مستهزئون فالله تعالى هو المستهزئ بكم من حيث جعل لكم احكام المؤمنين ظاهراً حتى ظننتم ان لكم ما لهم ثم ميّز بينكم في الآخرة ودار الجزاء من حيث اثاب المخلصين الذين توافق ظواهرهم بواطنهم وعاقب المنافقين وهذا الجواب يقرب معناه من الجواب الثاني وان كان بينهما خلاف من بعض الوجوه

والجواب الرابع ان يكون معنى ذلك ان الله تعالى هو الذي يردّ استهزاءكم ومكركم عليكم وان ضرر ما فعلتموه لم يتعدّكم ولم يتخطّاكم ونظير ذلك قول القائل ان فلاناً اراد ان يخدعني فخدعته وقصد الى ان يمكر بي فمكرت به والمعنى ان ضرر خداعه ومكره عاد اليه ولم يضرّني به

والجواب الخامس ان يكون المعنى انه يجازيهم على استهزائهم فسمّى الجزاء على الذنب باسم الذنب والعرب تسمّي الجزاء على الفعل باسمه قال الله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها وقال تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وقال تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به والمبتدأ ليس بعقوبة وقال الشاعر

الا لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

ومن شأن العرب ان تسمّي الشيء باسم ما يقاربه ويصاحبه ويشتد اختصاصه وتعلقه به اذا انكشف المعنى وامن الابهام وربما غلّبوا ايضاً اسم احد الشيئين على الآخر لقوة التعلق بينهما وشدة الاختصاص فيهما فمن الاول قولهم للبعير الذي يحمل المزادة راوية فسمّوا البعير باسم ما يحمل عليه قال الشاعر

مشي الروايا بالمزاد الاثقل

وللمزادة المحمولة على البعير راوية

اراد بالرت وايا الوبك · ومن ذلك انهم يقولون صرعته الكاس واستلبت عقله وقال الشاعر

وما زالت الكاس تغتالنا وتذهب بالاول الاول — والكاس هي ظرف الشراب

والفعل الذي اضافوه اليها انما هو مضاف الى الشراب الذي يحل الكاس الا ان الفراء
يقول الكاس الاناء بما فيه من الشراب وكان الاناء الفارغ لا يسمى كاسا وعلى هذا القول يكون
اضافة اختلاس العقل والتصريع وما جرى مجرى ذلك الى الكاس على وجه الحقيقة لان الكاس
على هذا القول اسم للاناء وما حله من الشراب ومثال الوجه الثاني ما ذكرناه عنهم من التغليب
تغليبهم اسم القمر على الشمس قال الشاعر

اخذنا بآفاق السماء عليكم لنا قمراها والنجوم الطوالع

اراد لنا شمسها وقمرها فغلب ومنه قول الاخر

فقولا لاهل المكتين تحاشدوا وسيروا الى آطام يثرب والنخل

جمع اطم وهو القصر

اراد بالمكتين مكة والمدينة فغلب وقال الاخر

فبصرة الازد منا والعراق لنا والموصلان ومنا مصر والحرم

اراد بالموصلين الموصل والجزيرة وقال الاخر

نحن سبينا امكم مقربا يوم صبحنا الحيرتين المنون

مفعول اول — مفعول ثان — المقرب التي قرب وضع حملها

اراد الحيرة والكوفة وقال الاخر

اذا اجتمع العمران عمرو بن عامر وبدر بن عمرو خلت ذبيان تبعا (اي تبعا لهم)

والقوا مقاليد الامور اليهم جميعا فما كارهين وطوعا

اراد بالعمرين رجلين يقال لاحدهما عمرو وللاخر بدر وقد فسر الشاعر في البيت ومثله

جزاني الزهدمان جزاء سوء وكنت المرء يجزى بالكرامه

اراد بالزهدمين رجلين يقال لاحدهما زهدم وللاخر كردم فغلب وكل الذي ذكرناه يقوي
هذا الجواب من جواز التسمية للجزاء على الذنب باسمه او تغليبه عليه للمقاربة والاختصاص

التام بين الذنب والجزاء عليه · والجواب السادس وهو ما روي عن ابن عباس قال
يفتح لهم وهم في النار باب من الجنة فيقبلون اليه مسرعين حتى اذا انتهوا اليه سد عليهم فيضحك
المؤمنون منهم اذا راوا الابواب قد اغلقت دونهم فلذلك قال عز وجل فاليوم الذين آمنوا
من الكفار يضحكون على الارائك ينظرون فان قيل واي فائدة في هذا الفعل وما وجه الحكمة
فيه قلنا وجه الحكمة فيه ظاهر لان ذلك اغلظ على نفوسهم واعظم في مكروههم وهو
ضرب من العقاب يستحقونه بافعالهم القبيحة لان من طمع في النجاة والخلاص من المكروه
واشتد حرصه على ذلك ثم حيل بينه وبين الفرج ورد الى المكروه يكون عذابه اصعب واغلظ
من عذاب من لا طريق للطمع عليه فان قيل فعلى هذا الجواب ما الفعل الذي هو الاستهزاء
قلنا في رده من باب الى آخر على سبيل التعذيب معنى الاستهزاء من حيث كان اظهارا
لما المراد بخلافه وان لم يكن فيه من معنى الاستهزاء ما يقتضي قبحه من اللهو والعبث وما جرى
مجرى ذلك والجواب السابع ان يكون ما وقع منه تعالى ليس باستهزاء على الحقيقة لكنه
سماه بذلك ليزدوج اللفظ ويخف على اللسان وللعرب في ذلك عادة معروفة في كلامها والشواهد
عليه مذكورة مشهورة وهذه الوجوه التي ذكرناها في الآية يمكن ان تذكر في قوله تعالى
ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين وفي قوله ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم
قلنا مثل ذلك · فاما قوله تعالى ويمدهم في طغيانهم يعمهون فيحتمل وجهين احدهما ان يريد
اني املي لهم في العمر وامهلهم ليؤمنوا ويطيعوا وهم مع ذلك متمسكون بطغيانهم وعمههم
والوجه الآخر ان يريد انه يزيدهم من فوائده ومنحه التي يؤتيها المؤمنين ثوابا لهم
ويمنعها الكافرين عقابا كشرحه لصدورهم وتنويره لقلوبهم وكل هذا واضح بحمد الله
قال السيد قدس الله روحه واني لاستحسن لبعض الاعراب قوله

خليلي هل يشفي من الشوق والجوى بروذ ذوي الاوطان لا بل يشوقها

له النفوس من الجوى صح

ويزداد في قرب اليها صبابة ويبعد من فرط اشتياق طريقها

وما ينفع الحرّان ذا اللوح أن يرى حياض القرى مملوءة لا يذوقها

يعني أنه من فرط محبته لها يستبعد الطريق القريب اليها

اللوح العطش

وللآخر في تذكر الأوطان والحنين اليها

ألا قل للدار بين الكثيب الجمّ وذات الغضا جادت عليك الهواضب

أجدّك لا آتيك إلا تقلّبت دموع أضاعت ما حفظت سواكب

تبادرت

تقلّبت عينه دمعا ... العراق فيها ... لو قال تحدّرت لكان أفصح

ديار تناسمت الهواء نجوّها وطاوعني فيها الهوى والحبائب

ليالي لا الهجران يحكم بيننا على وصل من أهوى ولا الظن كاذب

وانشد ابو نصر صاحب الاصمعي لاعرابي

بأكناف صح

ألا ليت شعري هل أبيتنّ ليلة بأسناد نجد وهي خضر متونها

وهل أشربنّ الدهر من ماء مزنة بحرّة ليلى حيث فاض معينها

بلاد بها كنا نحلّ فأصبحت خلاء ترعاها مع الأدم عينها

نغنيان فيها بالشباب وبالصبى يميل بما نهوى علينا غصونها

وانشد الاصمعي لصدقة بن نافع الغنوي

ألا ليت شعري هل تحنّنّ ناقتي ببيضاء نجد حيث كان مسيرها

فتلك بلاد حبّب الله أهلها إليك وإن لم يعط نصفا أميرها

يعط أميرها

بلاد بها أنضيت راحلة الصبى وكانت لنا أيامها وشهورها

فقد نابها الهم المكدّر شربه وذاد علينا بالنعيم سرورها

وانشد ابو محلّم لسوّار بن المضرّب

سقى الله اليمامة من بلاد نوافحها كأرواح الغواني

وجوّ زاهر للريح فيه نسيم لا يروع الترب وان

بها سقت الشباب إلى مشيب يقبّح عندنا حسن الزمان

وانشد اسحق الموصلي

ألا يا حبّذا أجبال سلمى وجاد بأرضها جون السحاب

خلعت بها العذار ونلت فيها مناي بطاعة أو باغتصاب

أسوم بباطلي طلبات لهوي ويعذرني به عصر الشباب

وكل هؤلاء ما أتى بذكر أفصحوا بأن سبب حنينهم الى الاوطان ما لبسوه فيها من ثوب الشباب واستظلوه من ظله واقتضوه من رواحله وانه كان يعذرهم ويحبّب اليهم فعلى أي شيء يعلوا الناس في قول ابن الرومي

وحبّب أوطان الرجال اليهم مآرب قضاها الشباب هنالكا

إذا ذكروا أوطانهم ذكّرتهم عهود الصبى فيها فحنّوا لذلكا

ويزعمون أنه سبق الى ما لم يسبق اليه وكشف عن هذا المعنى مستورا ووسم غفلا وقوله وإن كان جيد المعنى سليم اللفظ فلم يزد فيه على من تقدم ولا ابتدع بل اتبع ولكن الجيد اذا أورد ممن يعهد منه الرديء كثر استحسانه وزاد استطرافه ولقد أحسن البحتري في قوله في هذا المعنى

هذا الذي ... رضي الله عنه ... ابن الرومي رحمه الله

فسقى الغضا والنازليه وإن هم شبّوه بين جوانح وقلوب

وقصار أيام به سرقت لنا حسناتها من كاشح ورقيب

خضر تساقطها الصبى فكأنها ورق تساقطه اهتزاز قضيب

وأحسن في

كانت فنون بطالة فتقطعت عن هجر غانية ووصل مشيب

قوله

سقى الله أخلاقا من الدهر رطبة سقتنا الجوى إذ أبرق الحزن أبرق

ليالي سرقنا كامن الدهر بعدما أضاء بإصباح من الشيب مفرق

تراءت من ليلى بليلى فما اشتفى بماء الرضى مرتاب بالماء يشرق

ولابي تمام في هذا المعنى ما لا يقصر عن إحسان وهو

سلام ترجف الأحشاء منه على الحسن بن وهب والعراق

على البلد الحبيب إليّ غورا ونجدا والأخ العذب المذاق

ليالي نحن في وسنات عيش كأن الدهر عنا في وثاق

وأيام له ولنا لذاذ غنينا في حواشيها الرقاق

له الفتى الحلو

ومنه في ديوانه ... عيش كأن الدهر عنا في وثاق

وأيام له ولنا لذاذ غنينا في حواشيها الرقاق

كان العهد عن عمر لدينا وإن كان التلافي عن تلاف

مجلس آخر ٦٠ — تأويل آية

إن سأل سائل عن
قوله تعالى (وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين) فقال
كيف خاطب آدم وحواء عليهما السلام بخطاب الجمع وهما اثنان وكيف نسب إليهما العداوة وأي
عداوة كانت بينهما الجواب قلنا قد ذكر في هذه الآية وجوه أولها أن يكون
الخطاب متوجها إلى آدم وحواء وذريتهما لأن الوالدين يدلان على الذرية ويتعلق بهما ويقوي
ذلك قوله تعالى حاكيا عن إبراهيم وإسمعيل (ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك
وأرنا مناسكنا وتب علينا) وثانيها أن يكون الخطاب لآدم وحواء عليهما السلام ولإبليس اللعين
وأن يكون الجمع مشتركا في الأمر بالهبوط وليس لأحد أن يستبعد هذا الجواب من حيث لم يتقدم
لإبليس ذكر في قوله عز وجل (ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة) لأنه وإن لم يخاطب بذلك فقد جرى
ذكره في قوله تعالى (فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه) فجاز أن يعود الخطاب على الجميع
وثالثها أن يكون الخطاب متوجها إلى آدم وحواء والحية التي كانت معهما على ما روي عن
كثير من المفسرين وفي هذا الوجه بعد من قبل أن خطاب من لا يفهم الخطاب لا يحسن فلا بد من أن
يكون قبيحا اللهم إلا أن يقال إنه لم يكن هناك قول في الحقيقة ولا خطاب وإنما كنى عن إهباطه
لهم بالقول كما يقول أحدنا قلت فلقيت الأمير وقلت فضربت زيدا وإنما تخبر عن الفعل دون
القول وهذا إخلاف للظاهر وإن كان مستعملا وفي هذا الوجه بعد من وجه آخر وهو أنه لم
يتقدم للحية ذكر في نص القرآن والكناية عن غير مذكور لا تحسن إلا حيث لا يقع لبس ولا يسبق
وهم إلى تعلق الكناية بغير مكني عنه حتى يكون ذكره كترك ذكره في البيان عن المعنى المقصود
مثل قوله تعالى (حتى توارت بالحجاب) و(كل من عليها فان) وقول الشاعر

أماوي ما يغني الثراء عن الفتى ... إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

فأما بحيث لا يكون الحال على هذا فالكناية عن غير مذكور قبيحة ورابعها أن يكون الخطاب
يختص آدم وحواء عليهما السلام وخاطب الاثنين بالجمع على عادة العرب في ذلك ولأن التثنية

أول الجمع قال الله تعالى (إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين) أراد حكم داود و
سليمان عليهما السلام وكان بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يتأول قوله تعالى (فإن كان له إخوة)
على معنى فإن كان له أخوان وقال الراعي

أخليد إن أباك ضاف وساده ... همان باتا جنبة ودخيلا
طرقا فتلك هماهمي أقريهما ... قلصا لواقح كالقسي وحولا

فعبر بالهماهم وهي جمع عن الهمين وهما اثنان فإن قيل ما معنى الهبوط الذي أمروا به قلنا
أكثر المفسرين على أن الهبوط هو النزول من السماء إلى الأرض وليس في ظاهر القرآن ما يوجب ذلك
لأن الهبوط كما يكون النزول من علو إلى سفل فقد يراد به الحلول في المكان والنزول به قال الله تعالى
(اهبطوا مصرا فإن لكم ما سألتم) ويقول القائل من العرب هبطنا بلد كذا وكذا يريد حللنا قال
زهير

ما زلت أرمقهم حتى إذا هبطت ... أيدي المطي بهم من راكس فلقا

فقد يجوز على هذا أن يريد بالهبوط الخروج من المكان وحلول غيره ويحتمل أيضا أن يريد بالهبوط
معنى غير المسافة بل الانحطاط من منزلة إلى دونها كما يقولون قد هبط فلان عن منزلته ونزل
عن مكانه إذا كان على رتبة فانحط إلى دونها فإن قيل فما معنى بعضكم لبعض عدو قلنا
أما عداوة إبليس لآدم وذريته فمعروفة مشهورة وأما عداوة آدم عليه السلام والمؤمنين من
ذريته لإبليس فهي واجبة لما يجب على المؤمنين من معاداة الكفار المارقين عن طاعة الله تعالى
المستحقين لمقته وعداوته وعداوة الحية على الوجه الذي تضمن إدخالها في الخطاب لبني
آدم معروفة وكذلك تحذيرهم منها وتجنبهم فأما على الوجه الذي يتضمن أن الخطاب اختص
آدم وحواء دون غيرهما فيجب أن يحمل قوله بعضكم لبعض عدو على أن المراد به الذرية كأنه
قال اهبطوا وقد علمت من حال ذريتكم أن بعضهم يعادي بعضا وعلق الخطاب بهما للاختصاص
بين الذرية وبين أصلها فإن قيل أليس ظاهر قوله تعالى (اهبطوا بعضكم لبعض عدو)
يقتضي الأمر بالمعاداة كما أنه أمر بالهبوط وهذا يوجب أن يكون قوله تعالى أمرا بالقبيح على
وجه لأن معاداة إبليس لآدم قبيحة ومعاداة الكفار من ذريته للمؤمنين منهم كذلك قلنا

ليس يقتضي الظاهر ما ظننتموه وإنما يقتضي أنه أمرهما بالهبوط في حال عداوة بعضهم لبعض فالأمر مختص بالهبوط والعداوة تجري مجرى الحال وهذا له نظائر كثيرة في كلام العرب ويجري مجرى هذه الآية في أن المراد بها الحال قوله تعالى إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون ليس معنى ذلك أنه أراد كفرهم كما أراد تعذيبهم وإزهاق نفوسهم بل أراد أن تزهق أنفسهم في حال كفرهم وكذلك القول في الأمر بالهبوط وهذا بين. قال السيد ومن مستحسن مدح السادة الكرام قول الشاعر

ويل امّ قوم غدوا عنكم لطيتهم ... لا يكتنون غداة العل والنهل

صدر السرابيل لا توكى مقانبهم ... عجز البطون ولا تطوى على الفضل

قوله ويل امهم من الزجر المحمود الذي لا يقصد به الشر مثل قولهم قاتله الله فلانا ما أشجعه وأجوده ولله ما أسمحه وقد قيل في قول جميل

رمى الله في عيني بثينة بالقذى ... وفي الغر من أنيابها بالقوادح

إنه أراد هذا المعنى بعينه وقيل أيضا إنه دعا لها بالهرم وعلو السن لأن الكبير يكثر قذى عينيه وتتهتم أسنانه وقيل إنه أراد بعينيها رقيبيها وبغر أنيابها سادات قومها ووجوههم والأول أشبه بطريقة القوم وإن كان القول محتملا للكل. فأما قوله لا يكتنون غداة العل والنهل فإنما أراد أنهم ليسوا برعاة يسقون الإبل بل لهم من يخدمهم ويكفيهم من رعي إبلهم وإنما يكتني ويفتخر على الدلو السقاة والرعاة. وفيه وجه آخر قيل إنهم يسامحون [illegible] ويؤثرونه بالسقي قبل إبلهم ولا يقولون عليه ولا يكتنون وهذا من الكرم والتفضل لا من الضعف وقيل أيضا إنهم أعزاء ذوو منعة إذا أوردوا إبلهم ماء أفرج الناس لها عنه لأنها قد عرفت فليس يحتاج أربابها إلى الاكتناء والتعرف وقد قال قوم في قوله يكتنون إنه من قولهم كنبت يده تكنب إذا اخشنت من العمل فيقول ليسوا بأهل مهنة فتكنب أيديهم وتخشن من العمل بل لهم عبيد يكفونهم ذلك وقوله صدر السرابيل فإنما أراد به طول حملهم للسلاح ولبسهم له والمقانب جمع الأوعية التي يكون فيها الزاد فكأنه يقول إذا سافروا لم يستبدوا بالأوعية

علما فيها وأطعموا أهل الرفقة وهذه كناية عن الإطعام وبذل الزاد مليحة وعجز البطون من صفات المقانب وأنها لا توكى عجز البطون ولا تطوى على فضل الزاد ولبعض شعراء بني أسد وقد أحسن غاية الإحسان

وإن صرمة لابني عبيد تمنعت ... من الحق لم تؤذن بحق فالها

فقالت ألا تغدو فما لك هكذا ... فقلت أبت ضيفانها وعيالها

فلا حلبت إلا الثلاثة والثني ... ولا قيلت إلا قريبا مقالها

حلائب من كل العيال كأنها ... أناضي شقر حل عنها جلالها

شكا هذا الشاعر امرأته وحكى عنها أنها رأت إبلا حلبا أنها لم يعط منها في حمالة ولم تعقر في حق ولم تحلب لضيف ولا جار فهي سمان وقوله لم تؤزل أفالها والإفال الصغار من الإبل والتوزل من الأزل وهو الضيق في العيش والشدة فيقول فصال هؤلاء سمان لم تلق بؤسا لأن ألبان أمهاتها موفورة عليها وحكى عن امرأته أنها تقول له غدا أنت فما لك هكذا فقال لها تأتي ذلك الحقوق وعيالها من الجيران والضيفان ثم أخبر أنه لم يلتفت إلى لومها وأن الإبل ما حلبت بغير مقالتها إلا من ثنتين أو ثلاثا ولا قيلت من القائلة إلا بقرب البيوت حتى تحرزها وتعبها والحلائب من ألبانها بل وإنما يعني فصاله وهزالها من حيث أنها لا تشبع الألبان وتعقر أمهاتها وأناضي جمع نضو فشبه فصاله من هزالها بأنضاء خيل شقر وقوله حلائب من كل العيال فيه معنى حسن لأنه أراد أنها من بين جميع العيال مهازيل وهذا تأكيد لأن سبب هزالها هو الإيثار بألبانها واختصت بالهزال من بين كل العيال والعيال ههنا هم الجيران والضيفان وإنما جعلهم عيالا لكرمه وأن جوده قد ألزمه مؤنتهم فصاروا كأخص عياله و مثل ذلك قول الشاعر

تعيرني الحظلان أم محلم ... فقلت لها لم تقذفيني بدائيا

فإني رأيت الضامرين متاعهم ... يذم ويفنى فارضخي من وعائيا

فلم تجديني في المعيشة عاجزا ... ولا حصرما أخا شديدا وكابيا

الحظلان الممسكون البخلاء والحظل الإمساك وأم محلم امرأته ومعنى قوله تعيرني الحظلان أي بالحظلان تقول ما لك لا تكون مثل هؤلاء الذين يحفظون أموالهم والضامرون أيضا البخلاء فقال لها إن البخلاء يضنون بما عندهم وهو يفنى ويبقى الذم فارضخي من وعائي وهذا مثل أي أعطي الناس

الفصيح أن يقال عيرته كذا وعيرته بكذا من كلام العامة قال النابغة: وعيرتني بنو ذبيان رهبته ... وهل علي بأن أخشاك من عار

بما عندي وهو من قولك رضخ له بشيء من عطيته والحضرم البخيل تقول العرب حضرم قوسك
اي شد وترها وقوله فلم يجدني في المعيشة عاجزا اي انا صاحب غارات اجيد واستفيد واتلف
واخلف فلا اختلا في الفقر وقال مسكين الدارمي

اصبحت عاذلتي معتلة قرما ام هي وحمى للصخب
اصبحت تتفل في شحم الذرى وتظن اللوم درا ينتهب
لا تلمها انها من امة ملحها موضوعة فوق الركب

يقول انها تكثر لومي فكانها قرمة الى اللوم كقرم الاشبال الى اللحم ومن وحمى تشتهي الصخب
والوحم شهوة الطعام عند الحمل وشحم الذرى الاسنمة واراد بتتفل فيها اي تعوذ بالي لئن يتهيا
في عيني وتعظم قدرها فلا اهب منها ولا انحر ثم اخبر ان اصلها من الزنج والملح الشحم وشحم الزنج
يكون على اوراكهم واكفالهم وانشد ابو العباس محمد بن يزيد

ابا ابنة عبد الله وابنة مالك ويا ابنة ذي البردين والفرس الورد
اذا ما صنعت الزاد فالتمسي له اكيلا فاني لست آكله وحدي
قصيا كريما او قريبا فانني اخاف مذمات الاحاديث من بعدي
واني لعبد الضيف ما دام نازلا وما من خلالي غيرها شيمة العبد

قال ابو العباس استثنى الكرم في القصي البعيد ولم يستثنه في القريب لان اهله جميعهم عنده
كرام واراد بقوله عبد الضيف انه يخدم الضيف بنفسه لا يرضى ان يخدمه عبده قال السيد
قدس الله روحه ويشبه ذلك قول المقنع الكندي

واني لعبد الضيف ما دام نازلا وما شيمة لي غيرها تشبه العبدا

وانما اشترط في كونه عبدا للضيف في البيت الاول والثاني قراه ومدة نزوله موثرا له ليعلم
ان الخدمة له لم تكن لضعة وصغر قدر بل لما يوجبه الكرم من حق الاضافة وانه يخرج عن ان يكون
مخدوما من وجه من ان يكون ضيفا ولو قال واني لعبد الضيف ولم يشترط لم يحصل هذا المعنى الجليل

مجلس آخر سبب مسئلة
ان سال سائل فقال بم تدفعون من

خالفكم في الاستطاعة وزعم ان المكلف يؤمر بما لا يقدر عليه ولا يستطيعه اذا تعلق بقوله تعالى
انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا فان الظاهر من هذه الآية يوجب انهم غير
مستطيعين للامر الذي هم غير فاعلين له وان القدرة مع الفعل واذا تعلق بقوله تعالى في قصة موسى عليه السلم
انك لن تستطيع معي صبرا وانه نفى كونه قادرا على الصبر في حال هو فيها غير صابر وهذا يوجب ان
القدرة مع الفعل وبقوله تعالى ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون الجواب
يقال له اول ما نقوله ان المخالف لنا في هذا الباب من الاستطاعة لا يصح له فيه التعلق بالسمع لان
مذهبه لا يسلم معه صحة السمع ولا يمكن مع المقام عليه من معرفة السمع بادلته وانما قلنا ذلك
لان من جوز تكليف الله تعالى للكافر الايمان وهو لا يقدر عليه لا يمكنه العلم بنفي القبائح عن الله عز وجل
واذا لم يمكنه ذلك فلا بد من ان يلزمه تجويز القبائح في افعاله واخباره ولا يامن من ان يرسل كذابا
وان يخبر هو بالكذب تعالى عن ذلك فالسمع ان كان كلامه قدح في حجته تجويز الكذب عليه وان كان
كلام رسوله قدح فيه ما يلزمه من تجويز تصديق الكذاب واذا تطرق ذلك تجويز بعض القبائح عليه
وليس لهم ان يقولوا ان امره تعالى الكافر بالايمان وان لم يقدر عليه يحسن من حيث اتى الكافر فيه من
قبل نفسه لانه تشاغل بالكفر وترك الايمان وانما كان يبطل تعلقنا بالسمع لو اضفنا ذلك اليه تعالى
على وجه يقبح وذلك لان ما قالوه اذا لم يؤثر في كون ما ذكرناه تكليفا لما لا يطاق لم يؤثر في نفي ما
الزمناه عنهم لانه يلزم على ذلك ان يفعل الكذب وسائر القبائح ويكون حسنة منه بان يفعلها من وجه
لا يقبح منه وليس قولهم انا لم نضفه اليه من وجه يقبح بشيء يعتمد بل يجري مجرى قول من جوز
عليه ان يكذب ويكون الكذب منه حسنا ويدعي مع ذلك صحة معرفة السمع بان يقول انني لم اضف
اليه قبيحا فيلزمني افساد طريقة السمع فلما كان ما ذكرناه لا عذر عليه فهذا الكلام لم يكن
للمخالف في الاستطاعة عذر بمثله ونعود الى تاويل الآي اما قوله تعالى انظر كيف ضربوا
لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا فليس فيه ذكر للشيء الذي لا يقدرون عليه ولا بيان

له وانما يصح ما قالوه لو بين انهم لا يستطيعون سبيلا الى امر معين فاما ولم يذكر ذلك فلا متعلق
لهم فان قيل فقد ذكر تعالى من قبل ضلالهم فيجب ان يكون المراد بقوله فلا يستطيعون سبيلا الى
مفارقة الضلال قلنا انه تعالى كما ذكر الضلال فقد ذكر ضرب المثل فيجوز ان يريد انهم لا يستطيعون
سبيلا الى تحقيق ما ضربوه من الامثال وذلك غير مقدور على الحقيقة ولا مستطاع والظاهر بهذا
الوجه اولى لانه تعالى حكى عنهم انهم ضربوا له الامثال وجعل ضلالهم وانهم لا يستطيعون السبيل
متعلقا بما تقدم ذكره وظاهر ذلك يوجب رجوع الامرين جميعا اليه وانهم ضلوا بضرب
المثل وانهم لا يستطيعون سبيلا الى تحقيق ما ضربوه من المثل على انه تعالى قد اخبر عنهم بانهم ضلوا
وظاهر ذلك الاخبار عن ماضي فعلهم فان كان قوله فلا يستطيعون سبيلا يرجع اليه فيجب ان يدل على انهم
لا يقدرون على ترك الماضي وهذا مما لا نخالف فيه وليس مما نأباه من انهم لا يقدرون في المستقبل او في
الحال على مفارقة الضلال والخروج عنه وتعذر تركه وبعد فان المراد بالاية ظاهر فلم صاروا بان يحملوا
نفي الاستطاعة على انهم كلفوه اولى منا اذا حملنا ذلك على انهم لم يكلفوه او على انه اراد الاستثقال و
الخبر عن عظم المشقة عليهم وقد جرت عادة اهل اللغة بان يقولوا لمن يستثقل شيئا انه لا يستطيعه
ولا يقدر عليه ولا يتمكن منه الا ترى انهم يقولون فلان لا يستطيع ان يكلم فلانا ولا ينظر اليه وما
اشبه ذلك وانما غرضهم الاستثقال وشدة الكلفة والمشقة فان قيل فاذا كان الظاهر
للاية يشهد بمذهب المخالف فما المراد بها عندكم قلنا قد ذكر ابو علي ان المراد انهم لا يستطيعون
الى بيان تكذيبه سبيلا لانهم ضربوا الامثال ظنا منهم بان ذلك يبين كذبه فاخبر تعالى ان ذلك
غير مستطاع لان تكذيب الصادق وابطال الحق مما لا يتعلق به قدرة ولا تتناوله استطاعة وقد ذكر
ابو هاشم ان المراد بالاية انهم لاجل ضلالهم بضرب المثل وكفرهم لا يستطيعون سبيلا الى الخير الذي
هو النجاة من العقاب والوصول الى الثواب وليس يمكن على هذا ان يقال كيف لا يستطيعون سبيلا
الى الخير والهدى وهم قادرون عندكم على الايمان والتوبة ومتى فعلوا ذلك استحقوا الثواب

لان المراد انهم مع التمسك بالضلال والمقام على الكفر لا سبيل لهم الى خير وهدى وانما يكون
لهم سبيل الى ذلك بان يفارقوا ما هم عليه وقد يمكن ايضا في معنى الاية ما تقدم ذكره من ان المراد بنفي الاستطاعة
عنهم انهم مستثقلون للايمان فقد يخبر عمن استثقل شيئا بانه لا يستطيعه على ما تقدم ذكره . فاما
قوله تعالى في قصة موسى عليه السلم انك لن تستطيع معي صبرا فظاهره يقتضي انك لا تستطيع ذلك
في المستقبل ولا يدل على انه غير مستطيع للصبر في الحال ان يفعله في الثاني وقد يجوز ان يخرج في
المستقبل من ان يستطيع ما هو في الحال مستطيع له غير ان الاية تقتضي خلاف ذلك لانه قد صبر عن
المسالة اوقاتا وان لم يصبر عنها في جميع الاحوال المستقبلة فلم تنتف الاستطاعة للصبر عنه في جميع
الاحوال المستقبلة على ان المراد بذلك واضح وانه تعالى خبر عن استثقاله الصبر عن المسالة عما
لا يعرفه ولا يقف عليه لان مثل ذلك يصعب على النفس ولهذا نجد احدنا اذا وجد من يريد به ما يجري
يستبد عنه نازع نفسه الى المسالة عنه والبحث عن حقيقته ويثقل عليه الكف عن الفحص عن امره
فلما احدث من صاحب موسى عليهما السلم ما يستنكر ظاهره استثقل الصبر عن المسالة عن ذلك ويشهد بهذا
الوجه قوله تعالى وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا فبين ان العلة في قلة صبره ما ذكرناه دون غيره
ولو كان على ما ظنوا لوجب ان يقول وكيف تصبر وانت غير مطيق للصبر فاما قوله تعالى ما كانوا
يستطيعون السمع فلا تعلق لهم بظاهره لان السمع ليس بمعنى فيكون مقدورا لان الادراك على المذهب
الصحيح ليس بمعنى ولو ثبت انه معنى على ما يقوله ابو علي لكان ايضا غير مقدور للعبد من حيث يختص
القديم تعالى بالقدرة عليه هذا ان اريد بالسمع الادراك وان اريد به نفس الحاسة فهي ايضا غير
مقدورة للعباد لان الجواهر وما يختص به الحواس من البنية والمعاني التي يصح بها الادراك مما ينفرد
القديم تعالى بالقدرة عليه فالظاهر لا حجة لهم فيه . فان قالوا فلعل المراد بالسمع كونهم سامعين
كانه نفى عنهم استطاعة ان يسمعوا قلنا هذا خلاف الظاهر ولو ثبت ان المراد ذلك لحملنا نفي الاستطاعة
هاهنا على ما تقدم ذكره من الاستثقال وشدة المشقة كما يقول القائل فلان لا يستطيع ان يراني ولا

على

وما اشبه ذلك

بعد ذا ان تكلمني وهذا بين لمن تأمله

تأويل خبر

ان سأل سائل فقال ما تأويل ما رواه يسار عن معاوية بن الحكم قال قلت يا رسول الله كانت لي جارية وكانت ترعى غنما لي قبل احد فذهب الذئب بشاة من غنمها وانا رجل من بني آدم آسف كما يأسفون لكني غضبت فصككتها صكة قال فعظم ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم قال قلت يا رسول الله افلا اعتقها قال ائتني بها فاتيته بها فقال لها اين الله فقالت في السماء فقال من انا قالت انت رسول الله فقال عليه السلم فاعتقها فانها مؤمنة. الجواب اما قوله انا رجل من بني آدم آسف كما يأسفون فمعناه اني اغضب كما يغضبون قال العجاج رجيب آسف الغضب وافتر للمراجعي

اعتقها

فالحقني العيس حتى وجدتني اسيفا على احادبهم المتجرد

والاسف ايضا الحزن قال ابن الاعرابي الاسف الحزن والاسف الغضب قال كعب بن زهير

في كل يوم ارى فيه مبينة تكاد تسقط مني منة اسفا

قلـه
عاد السواد بياضا في مفارقه لا مرحبا ها بذا اللون الذي ردفا
اي لا مرحبا بهذا

وقوله لكني غضبت فصككتها اراد لطمتها يقال صككت جبهته اذا لطمها بيده قال الله تعالى فاقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم وقال بشر بن ابي خازم ويصف حمارا وحشيا واتانا

فصك محجره اذا اسافها وجبينه بحوافر لم تركب

سافها شمها وقولها في السماء فالسماء هو الارتفاع والعلو فمعنى ذلك انه تعالى عال في قدرته عزيز في سلطانه لا يبلغه ولا يرد كيده يقال سما فلان يسمو سموا اذا ارتفع شانه وعلا امره قال الله تعالى أأمنتم من في السماء ان يخسف بكم الارض فاذا هي تمور ام امنتم من في السماء ان يرسل عليكم حاصبا فاخبر بقدرته وسلطانه وعلو شانه ونفاذ امره وقد قيل في قوله أأمنتم من في السماء غير هذا وان المراد أأمنتم من في السماء امره واياته ورزقه وما جرى مجرى ذلك وقال امية بن ابي الصلت شاهدا لما تقدم

واشهد ان الله لا شيء فوقه عليا واسنى ذكره متعاليا

وقال سليمان بن يزيد العدوي

لك الحمد يا ذا الطول والملك والغنى تعاليت محمودا الكريم وجاريا

علوت على قرب بعز وقدرة وكنت قريبا من دنوك عاليا

والسماء ايضا سقف البيت ومنه قوله تعالى من كان يظن ان لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ. وقال ابن الاعرابي يقال لاعلى البيت سماء البيت وسماوته وسراته وصهوته والسماء ايضا المطر قال الله تعالى وارسلنا السماء عليهم مدرارا ومنه الحديث الذي رواه ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه مر على صبرة طعام فادخل عليه السلم يده فيها فنالت اصابعه بللا فقال له ما هذا يا صاحب البر فقال اصابته السماء يا رسول الله فقال عليه السلم افلا جعلته فوق الطعام يراه الناس من غش فليس منا. وقال المثقب العبدي

فلما اتاني والسماء تبله فقلت له اهلا وسهلا ومرحبا

ويقال ايضا لظهر الفرس سماء كما يقال لحوافره ارض قال بعضهم في فرس

واحمر كالديباج اما سماؤه فخضب واما ارضه فمحول

اراد انه سمين الاعلى وان القوائم ممشوقة وكل معاني السماء التي تتصرف وتتنوع ترجع الى معنى الارتفاع والعلو والسمو وان اختلفت المواضع التي اجريت هذه اللفظة فيها واولى المعاني بالخبر الذي سئلنا عنه ما قدمناه من معنى العزة وعلو الشان والسلطان وما عدا ذلك من المعاني لا يليق به تعالى لان العلو بالمسافة لا يجوز على القديم تعالى الذي ليس بجوهر ولا جسم ولا حال فيهما ولان الخبر والآية التي تضمنت ايضا ذكر السماء خرجت مخرج المدحة ولا تمدح في العلو بالمسافة وانما التمدح بالعلو في الشان والسلطان ونفاذ الامر ولهذا لا يجد احدا من العرب مدح غيره في شعره او نثر بمثل هذه اللفظة واراد بها علو المسافة بل لا يريدون الا ما ذكرناه من معنى العلو وانما يظن في هذه المواضع خلاف هذا من لا فطنة عنده ولا بصيرة له والحمد لله رب العالمين

مجلس آخر

تأويل آية

ان سأل سائل عن قوله تعالى حتى اذا جاء امرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين واهلك الا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه الا قليل

الجواب قلنا أما التنور فقد ذكر في معناه وجوه أولها أنه أراد بالتنور وجه الأرض وأن الماء نبع وظهر على وجه الأرض وفار وهذا قول عكرمة وقال ابن عباس مثله والعرب تسمي وجه الأرض تنورا وثانيها أن يكون المعنى أن الماء نبع من أعالي الأرض وفار من الأماكن المرتفعة منها وهذا قول قتادة وروي عنه في قوله وفار التنور قال ذكر لنا أنه أرفع الأرض وأشرفها وثالثها أن يكون المراد بفار التنور أي برز النور وظهر الضوء وتكاثفت الحرارة دخول النهار وتقضي الليل وهذا القول يروى عن أمير المؤمنين عليه السلام ورابعها أن يكون المراد بالتنور الذي يختبز فيه على الحقيقة وأنه تنور كان لآدم عليه السلام وقال قوم إن التنور كان في دار نوح عليه السلام بعين وردة من أرض الشام وقال آخرون كان التنور في ناحية الكوفة والذين روي عنهم أن التنور هو تنور الخبز الحقيقي هم ابن عباس والحسن ومجاهد وغيرهم وخامسها أن يكون معنى ذلك أنه اشتد غضب الله تعالى عليهم وحل وقوع نقمته بهم فذكر التنور مثلا لحضور العذاب كما تقول العرب قد حمي الوطيس إذا اشتد الحرب وعظم الخطب والوطيس هو التنور وتقول العرب أيضا قد فارت قدر القوم إذا اشتد حربهم وقال الشاعر

تفور علينا قدرهم فنديمها ونفثأها عنا إذا حميها غلا

أراد بقدرهم حربهم ومعنى نديمها نسكنها ومن ذلك الحديث المروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه نهى عن البول في الماء الدائم يعني الساكن ويقال قد دوم الطائر في الهواء إذا بسط جناحيه وسكنهما ولم يخفق بهما ونفثأها معناه نسكنها يقال فثأت غضبه عني وفثأت الحار بالبارد إذا كسرته به وسادسها أن يكون التنور الباب الذي يجتمع فيه ماء السفينة فجعل فوران الماء منه والسفينة على الأرض علما على ما أنذر به من إهلاك قومه وهذا القول يروى عن الحسن وأولى الأقوال بالصواب قول من حمل الكلام على التنور الحقيقي لأنه الحقيقة وما سواه مجاز ولأن الروايات الظاهرة تشهد له وأضعفها وأبعدها من شهادة الأثر قول من حمل ذلك على شدة الغضب واحتداد الأمر تمثيلا وتشبيها لأن حمل الكلام على الحقيقة التي تعضدها الرواية أولى من حمله على المجاز والتوسع مع فقد الرواية

روي أن أول من تكلم بحمي الوطيس رسول الله صلى الله عليه وآله فقال الآن حمي الوطيس

عضدته أعضده عضدا وعضدت الشجر أعضده

وأي المعاني أريد بالتنور فإن الله تعالى جعل فوران الماء منه علما لنبيه عليه السلام وأنه نزل على نزول العذاب بقومه لينجو بنفسه وبالمؤمنين فأما قوله تعالى من كل زوجين اثنين فقد قيل المراد به احمل من كل ذكر وأنثى اثنين وأنه يقال لكل واحد من الذكر والأنثى زوج وقال آخرون الزوجان هاهنا الضربان وقال آخرون الزوج اللون وأن كل ضرب يسمى زوجا واستشهد ببيت الأعشى

وكل زوج من الديباج يلبسه أبو قدامة محبوا بذاك معا

ومعنى من سبق عليه القول أي من أخبر الله تعالى بعذابه وحلول الهلاك به والله أعلم بمراده

تأويل خبر

إن سأل سائل عن تأويل الخبر الذي يرويه شريك بن عمار الدهني عن أبي صالح الحنفي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال رأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المنام وأنا أشكو إليه ما لقيت من الأود واللدد الجواب يقال له أما الأود فهو العوج الميل تقول العرب لأقيمن ميلك وجنفك وأودك وضلعك وصعرك وصدعك وظلعك بالظاء وصعوك وصدرك كل هذا بمعنى واحد قال ثعلب الأود إذا كان من الإنسان في كلامه ورأيه فهو عوج وإذا كان من الشيء المنتصب مثل عصا وما أشبهها فهو عوج هذا قول الناس كلهم إلا أبا عمرو الشيباني فإنه قال العوج بالكسر الاسم والعوج بالفتح المصدر وقال ثعلب كأنه مصدر عوج يعوج عوجا ويقال عصا معوجة وعود معوج وليس في كلامهم معوج وأما اللدد فقيل هو الخصومات وقال ثعلب يقال رجل ألد وقوم لد إذا كانوا شديدي الخصومة ومنه قوله تعالى وهو ألد الخصام وقال الأصمعي اللدد الاعوجاج والألد في الخصومة الذي ليس بمستقيم أي هو أعوج الخصومة يميل فلا يقوى عليه ولا يستمكن منه ومن ذلك قولهم لد الصبي وإنما يلد في شق فيه وليس يلد مستقيما فهو يرجع إلى معنى الميل والاعوجاج وقال قد فسر لنا الحكم بن ظهير فقال الألد الخصام أي أعوج الخصام وأنشد أبو العميثل لابن مقبل

لقد طال عن دهماء لدي وعذرتي وكتمانها أكني بأم فلان

هجلن لجمال الرجال مخاصمة / ولو شئت قد بيّنتها بلساني

الألدّ الجدال والخصومة وقال ابو عمرو الالدّ الذي لا يقبل الحق ويطلب الظلم وقوله مخاصمة
يقول انهم يخوضون في شعري فيطلبون معايبه فلا يقفون عليه وانشد ابو المسبح

لا تقربنّ الكذب القبيح فانه / للمرء معيبة وباب لبسام
واصدق فقولك حين تنطق انه / للصدق فضل فوق كل كلام
فاذا صدقت على الرجال خصمتهم / والصدق مقطعة على الظلام
واذا ما كان غشوم قوم فارمه / بالدر مشتغر المدى غشام
لا تعرضن على العدو وسيلة / واحذر عدوك عند كل مقام
واعلم بانهم ليس يوما نافعا / عند اللئيم وسائل الارحام
ما لم تخفك وتلق عندك جانبا / خشنا وتصبحه بكاس سمام
واذا حللت بمازق فاكرم به / حتى تفرج جلية الاظلام
واصبر على كرب البلاء فانه / ليس البلاء على الفتى بلزام
واعلم بانك ميت ومحاسب / عما فعلت معاشر الاقوام

معنى قوله مشتغر المدى اي بعيد المدى وقوله لا تعرضن على العدو وسيلة اي لا تقاربه ولا تصانعه
ولا يكن بينك وبينه الا الصدق والعداوة وانشد ايضا شاهدا لما تقدم

يا وهب اشبه باطلي وجدي / اشبهت اخلاقي فاشبه مجدي
وجدلي عند الخصوم اللد

قال السيد قدس الله روحه ومن حسن ما وصف به الثغر قول فضالة بن كنيع التكري
تبسم عن جم اللثات كانها / حصا برد او اقحوان كثيب
اذا ارتعت عنه من قد عللت به / من الباكر العودي فرع قضيب

لغاتها

ذرى مال النبات خضيب
قضيب نحاه الركب ايام عرقوا الهام
يعني من يانع الاراك ومعنى نحاه اي قطعه ومثله استنحاه ايضا ومال النبات اي ناعمه وحسنه نغار
عشب مال ومالد سواء اي متباد ناعم ومعنى ايام عرقوا اي اجتنوه من عرفات وذكر انه خضيب بالطيب
الذي يعد بها لادمانها استعماله وقال الاخطل يصف ثغرا

شتيتا يروّي الظمآن منه / اذا الجوزاء اجحرن الضبابا

الشتيت المتفرق المفلّج الذي ليس بمتراكب ومعنى قوله اذا الجوزاء اجحرن الضبابا فيه وجهان
احدهما انه اراد عند سقوط الجوزاء وذكر شدة البرد وطول الليل اذا انجحرت الضباب من البرد
وتغيرت الافواه لطول ليل الشتاء يقول ثغرها حينئذ عذب غير متغير والوجه الآخر انه اراد
عند طلوع الجوزاء في شدة الحر اذا انجحرت الضباب من شدة الحر والقيظ والظمآن حينئذ اشد
عطشا واحر غلة يريد بها ريقها ويبرد غلته وقال آخر

فويل امها من تكون ضجيعه / اذا ما الثريا ادبرت كل كوكب

قوله فويل امها من الزجر المحمود مثل قولهم ويل امه ما اشجعه فكانه يقول نعم الضجيع هي عند السحر
اذا انحدرت النجوم للمغيب قال ذو الرمة / وابدى الثريا جنح في المغارب
سحيرا او قفقف الصرد
ومثل قول الآخر / نعم شعار الفتى اذا برد الليل
وانما يعني انها في ذلك الوقت الذي تتغير فيه الافواه طيبة الريق عذبته وانشد ابو العباس المبرد
يراق مثل العسل المذاق
لام الهيثم / وعارض كجانب العراق / ابيض براق كاقحوان البراق

قال ابو العباس في هذا قولين احدهما انه وصف ثغرا وعارضا جانباه والعراق ما يثنى ثم يخرز كعراق
القربة فاخبرت انه ليس فيه اعوجاج ولا متراكب ولا ينقص وقولها ابيض براق كاقحوان البراق يعني الثغر
نفسه اي له بريق من صفائه ورقته وتشبه الريق بالعسل لعذوبته والقول الآخر قال بعضهم
العارض هاهنا الغيم وقولها كجانب العراق يعني البلاد اي موضحا متكاثف قد سد الافق

وقولها انبتت برى اقامى البرى اى ما تنبته الارض اذا مطرت من النور قال المبرد والقول الاول عندنا
اصح لذكرها العسل وانشدنا احمد بن يحيى لتأبط شرا

وشعب كشك الثوب شكس طريقه ... مجامع ضوجيه نطاف مخاصر
تعسفته بالليل لم تهدني له ... دليل ولم يحقق له النعت خابر

قال يعني بالشعب فم جارية بكشك الثوب يعني كف الثوب اذا خاطه الخياط والشكس الضيق يصفها
بصغر الفم وحسنه ورقة الشفتين وضوجاه جانباه وضوج الوادي جانبه ويعني بالنطاف الريق
والمخاصر الباردة من الخصر وقوله لم تهدني له دليل اى لم يصل اليه غيري كما قال جرير

الا رب يوم قد شربت بمشرب ... شفى الغيم لم يشرب به احد قبلي

الغيم والغين العطش وانما يعني ريق جاريته قال المبرد وقال آخرون بل يعني شعبا من الشعاب
مخوفا صعبا سلكه وحده قال ابو العباس انما كنى بالشعب عن فم جاريته ثم اخذ في وصف الشعب ليكون
الامر اشد التباسا قال السيد قدس الله روحه والاشبه ان يكون اراد شعبا حقيقيا لان تأبط شرا
كان لصا وصافا للاهوال التي يمضي فيها ويعانيها في تلصصه وكان كثيرا ما يصف ترديه من الجبال
وتخلصه من المضايق وقطعه المفاوز واشباه ذلك والقطعة التي فيها البيتان كلها تشهد بان الوصف
للشعب لا لفم جاريته لانه يقول بعد قوله كشك الثوب

لذي مطلع الشعرى قليل انيسه ... كان الطخاء في جانبيه معاجر
به من نجاء الدلو بيض اقرها ... جبار لصم الصخر فيه قراقر
وقد زت حتى كن للماء منتهى ... وغادر من للسيل فيها يغادر
به نطف ثم لا قليل ترابها ... جلا الماء عن ارجائها فهي حائر

وهذه الاوصاف كلها لا تليق الا بالشعب دون غيره وتأول ذلك على الفم تعسف بعيد ولقد احسن
كثير في قوله يصف الثغر

وبوم الخيل قد سفرت وكفت ... رداء العصب عن رتل براد

وعن نجلاء تدمع في بياض ... اذا نظرت وتنظر في سواد
وعن متكاوس في العقص جثل ... اثيث النبت ذي غدر جعاد
وعن لعس عن ذي تبسم عن ... الاشنب الشتيت البراد

وقال ابو تمام في هذا المعنى

كان شوك السيال حسنا فامسى ... دونه للفراق شوك القتاد

وقال البحتري

وارتنا خدا يراح له الورد ... وتبسمه جنا التفاح
وثنيتا يفض من لؤلؤ النظم ... ويزري على شتيت الاقاحي

وقال ايضا

فاضاءت تحت الدجنة للشرب ... وكادت تضيء للمصباح
سفرت كما سفر الربيع الطلق عن ... ورد بن فرقة الضحى مصقول
وتبسمت عن لؤلؤ في رصفه ... برد حشاشته المشبول

وقد جمع كل ما يوصف به الثغر في قوله

كانما يضحك عن لؤلؤ ... منظم او برد او اقاح

مجلس آخر ۔ تأويل آية

ان سأل سائل عن قوله تعالى
قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير
وعبد الطاغوت اولئك شر مكانا واضل عن سواء السبيل فقال كيف انكرتم ان تكون هذه الآية
دالة على انه تعالى جعل الكافر كافرا لانه اخبرنا بانه جعل منهم من عبد الطاغوت كما جعل القردة و
الخنازير وليس يجعله كافرا الا بان يخلق كفره الجواب يقال لهم قبل ان نتكلم في تأويل هذه
الآية وما تحتمله من المعاني كيف يجوز ان يخبر الله تعالى بانه جعلهم كفارا او خلق كفرهم والكلام
خرج مخرج الذم لهم والتوبيخ على كفرهم والمبالغة في الازراء عليهم واي مدخل لكونه خالقا لكفرهم
في باب ذمهم واي نسبة بينه وبين ذلك بل لا شيء ابلغ في عذرهم وبراءتهم من ان يكون خالقا لما ذمهم
من اجله وهذا يقتضي ان يكون الكلام متناقضا مستحيل المعنى ونحن نعلم ان احدنا اذا اراد ذم غيره

وتوبيخه وتهجينه بمثل هذا الضرب من الكلام انما يقول الا اخبركم بشر الناس واحقهم بالذم واللوم من
فعل كذا وصنع كذا او كان على كذا او كذا فيعدد من الافعال والاحوال قبائحها ولا يجوز ان يدخل في جملتها ما ليس
بقبيح ولا هو من فعل الذام ومن جنسه حتى يقول في جملة ذلك ومن تشاغل بالصناعة الفلانية التي هو اسلمه
الناس وحمله عليها وان عقل يقبل هذه الشبهة لعقل ضعيف سخيف فان قيل اليس قد ذمهم في
الكلام بان جعل منهم القردة والخنازير ولا صنع لهم في ذلك فكذلك يجوز ان يذمهم بجعلهم عابدين للطاغوت
وان كان من فعله قلنا انما جعلهم قردة وخنازير عقوبة لهم على افعالهم وباستخفافهم فجرى ذلك مجرى افعالهم
كما ذمهم بان لعنهم وغضب عليهم من حيث استحقوا ذلك منه بافعالهم وعبادتهم للطاغوت وان كان هو خلقها
فلا وجه لذمهم بها لان ذلك مما لا يستحق بفعل متقدم كاللعن والمسخ ثم نعود الى تاويل الاية فنقول
ان ظاهر الاية يقتضي ما ظنوه واكثر ما تضمنته الاخبار بانه خلق وجعل من يعبد الطاغوت كما جعل
منهم القردة والخنازير ولا شبهة في انه تعالى هو خلق الكافر وانه لا خالق له سواه غير ان ذلك لا يوجب
انه خلق كفره وجعله كافرا وليس لهم ان يقولوا كما نستفيد من قوله جعل منهم القردة والخنازير وانه جعل
ما به كانوا كذلك كذا نستفيد من قوله جعل منهم من عبد الطاغوت انه خلق ما به كان عابدا للطاغوت
وذلك انا انما استفدنا ما ذكروه من الاول لان الدليل قد دل على ان ما به يكون القرد قردا والخنزير خنزيرا
لا يكون الا من فعله وليس ما به يكون الكافر كافرا مقصورا على فعله تعالى بل قد دل الدليل على انه يتعالى عن
فعل ذلك وخلقه فافترق الامران وفي الاية وجوه اخر منها ان يكون قوله وعبد الطاغوت
معطوفا على القردة والخنازير بل معطوفا على من لعنه الله وغضب عليه وتقدير الكلام من لعنه الله
ومن غضب عليه ومن عبد الطاغوت ومن جعل منهم القردة والخنازير وهذا هو الواجب لان عبد
فعل والفعل لا يعطف على الاسم فلو عطفناه على القردة والخنازير لكنا قد عطفنا فعلا على اسم
والاولى عطفه على ما تقدم من الافعال وقال قوم يجوز ان يكون عبد الطاغوت معطوفا على الهاء
والميم في منهم فكانه جعل منهم ومن عبد الطاغوت القردة والخنازير وقد يحذف من في الكلام قال

الشاعر امن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء
اراد ومن يمدحه وينصره فان قيل فبينوا هذا التاويل على قراءة من قرأ وعبد بالفتح ابن انتم
عن قراءة من قرأ وعبد الطاغوت بفتح العين وضم الباء وكسر التاء من الطاغوت ومن قرأ عبد الطاغوت
بضم العين والباء ومن قرأ عبد الطاغوت بالضم والتشديد ومن قرأ عباد الطاغوت قلنا
المختار من هذه القراءات عند اهل العربية كلهم القراءة بالفتح وعليها جميع القراء السبعة الا حمزة فانه
قرأ عبد بفتح العين وضم الباء وباقي القراءات شاذة غير ماخوذ بها قال ابو اسحق الزجاج في كتابه في معاني
القران عبد الطاغوت نسق على من لعنه الله وقد قرئت وعبد الطاغوت وعبد الطاغوت والذي اختار
وعبد الطاغوت وروي عن ابن مسعود وعبدوا الطاغوت فهذا يقوي وعبد الطاغوت ومن قال
وعبد الطاغوت بضم الباء وخفض الطاغوت فانه عند بعض اهل العربية ليس بالوجه من جهتين احداهما
ان عبد على فعل وليس هذا من امثلة الجمع لانهم فسروه خدم الطاغوت والثاني ان يكون محمولا على معنى
وجعل منهم عبد الطاغوت ثم خرج لمن قرأ عبد وجها فقال ان الاسم بني على فعل كما تقول رجل حذر
اي مبالغ في الحذر فتاويل عبد انه بلغ الغاية في طاعة الشيطان هذا كلام الزجاج وقال ابو علي الحسن بن
عبد الغفار الفارسي محتجا لقراءة حمزة ليس عبد لفظ جمع الا ترى انه ليس في ابنية الجموع شيء على هذا
البناء ولكنه واحد يراد به الكثرة الا ترى ان في الاسماء المفردة المضافة الى المعارف ما لفظه لفظ
الافراد ومعناه الجمع كقوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وكذلك قوله عبد الطاغوت جاء على
فعل لان هذا البناء يراد به الكثرة والمبالغة وذلك نحو يقظ وندس فهذا كان تقديره انه قد ذهب
في عبادة الشيطان والتذلل له كل مذهب قال وجاء على هذا لان عبدا في الاصل صفة وان كان قد استعمل
استعمال الاسماء واستعمالهم اياه استعمالها لا يزيل عنه كونه صفة الا ترى ان الابرق والابطح وان
كانا قد استعملا استعمال الاسماء حتى كسر هذا النحو عندهم من التكسير في قولهم اباريق واباطح لم يزل
عنه حكم الصفة يدلك على ذلك تركهم صرفه كترك صرف احمر ولم يجعلوا ذلك كافكل واجمع

هو الحسن بن احمد بن عبد الغفار صح

فكذلك عبد وان كان قد استعمل استعمال الاسماء لم يخرجه ذلك عن ان يكون صفة واذا لم يخرج عن ان
يكون صفة لم يمتنع ان يبنى بناء الصفات على فعل وهذا كلام مفيد في الاحتجاج لحمزة فاذا صحت قراءة
حمزة وعادلت قراءة الباقين المختارة وصح ايضا سائر ما روى من القراءات التى حكاها السائل كان الوجه
الاول الذى ذكرناه فى الآية من ابطال الشبهة فيها ويمكن فى الآية وجه آخر على جميع القراءات المختلفة فى عبد
الطاغوت وهو ان يكون المراد بجعل منهم عبد الطاغوت اى نسبه اليهم وشهد عليهم بكونه فى جملتهم و
الجعل مواضع قد يكون بمعنى الخلق والفعل كقوله تعالى وجعل الظلمات والنور وكقوله وجعل لكم من الجبال
اكنانا وهى هاهنا تتعدى الى مفعول واحد وقد يكون ايضا بمعنى التسمية والشهادة كقوله تعالى وجعلوا
الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا وكقول القائل جعلت البصرة بغداد وجعلتنى كافرا وجعلت
حسنى قبيحا وما اشبه ذلك وهى هاهنا تتعدى الى مفعولين وللجعل مواضع اخر لا حاجة بنا الى ذكرها
فكانه تعالى قال ونسب عبد الطاغوت اليه وشهد انهم من جملتهم فان قيل لو كانت جعل هاهنا على ما
ذكرتم لوجب ان تكون متعدية الى مفعولين لانها اذا لم تتعد الا الى مفعول واحد فلا معنى لها الا الخلق
قلنا هذا غلط من متوهمه لان جعل هاهنا متعدية الى مفعولين وقوله تعالى منهم يقوم مقام المفعول
الثانى عند جميع اهل العربية لان كل جملة تقع فى خبر المبتدا فهى تحسن ان تقع فى موضع المفعول الثانى
لجعلت وظننت وما اشبههما وقد قال الشاعر

ابالاراجيز يا ابن اللؤم توعدنى وفى الاراجيز خلت اللؤم والخور

وقد فسر هذا على وجهين احدهما على الغاء خلت من حيث توسطت الكلام فيكون فى الاراجيز على هذا رفع
بانه خبر المبتداء والوجه الثانى على اعمال خلت فيكون فى الاراجيز فى موضع نصب من حيث وقع موقع
المفعول الثانى وهذا بين لمن تدبره قال السيد قدس الله روحه انشد ثعلب عن ابن الاعرابى

اما والى للصبر فى كل خلة اقر لعينى من غنى بهن ذلة
وان لاخاذ الظما فى مواطن على بارد عذب واغنى بغلة

واستر ذنب الدهر حتى كانه صديق ولا اعتابه عند ذلة
ولست كمن كان ابن امى مقبرا فلما افاد المال عاد ابن علة
فرابنته حتى انقضى الود بيننا ولم انطق من بزاه ببلة
وكنت له عند الملمات عدة اسد بمالى دونه كل خلة

قال السيد قدس الله روحه الاولى فى هذه القطعة اطلاقها والخلة الحاجة والخلة ايضا الخصلة
والخلة بالضم المودة والخلة ايضا بالضم ما كان حلوا من المرعى والخلة بالكسر ما يخرج من الاسنان بالخلال
والخليل الحبيب من المودة والمحبة والخليل ايضا الفقير وكلا الوجهين قد ذكر فى قوله تعالى واتخذ
الله ابراهيم خليلا ومنه حديث ابن مسعود تعلموا العلم فانه لا يدرى احدكم متى يختل اليه قال
ابو العباس ثعلب يكون من شيئين احدهما من الخلة التى هى الحاجة اى متى يحتاج اليه ويكون من الخلة
وهى النهاف الحلو ويكون معناه متى تشتهى ما عنده مشتبه بالابل لانها ترعى الخلة فاذا ملتها عدلوا
بها الى الحمض فاذا ملت الحمض اشتهت الخلة ومن امثالهم جاؤوا مختلين فلاقوا احمضا اى جاؤوا
مشتهين لقتالنا فلاقوا ما كرهوا والخلة ايضا بنت المخاض والذكر الخل ويقال جسم خل اذا كان
مهزولا قال الشاعر اسقنيها يا سواد بن عمرو ان جسمى بعد خالى لخل
ويقال ايضا فصيل مخلول اذا شد لسانه حتى لا يرضع ويقال خللته فهو خليل ومخلول ومثله
اجررته قال الشاعر فلو ان قومى انطقتنى رماحهم نطقت ولكن الرماح اجرت
اى لم يبلوا فى الحرب شيئا فافتخر بهم وقوله اقر لعينى من غنى بهن ذلة يقول الخنا والصيانة
مع الفقر احب الى من الغنى مع الذل ومثله

اذا كان باب الذل من جانب الغنى سموت الى العلياء من جانب الفقر
صبرت وكان الصبر منى سجية وحسبك ان الله اثنى على الصبر

وقوله واستر ذنب الدهر حتى كانه صديق اراد انى لا اشكو ما يمسنى به الدهر من خصاصة
بل استر ذلك واظهر التجمل حتى لا اسوء الصديق واسر العدو وهذا المعنى اراد بقوله ولا اعتابه عند ذلة

وقوله فلما ان اقاد المال علا ابن علة فالعرب تقول هم بنو اعيان اذا كان ابوهم واحدا وامهم واحدة فاذا كان
ابوهم واحدا وامهاتهم شتى قيل انهم بنو علات ومنه الحديث المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
الانبياء اولاد علات اي امهاتهم شتى وابوهم واحد وكنى الشاعر بذلك عن التباعد والتقالي والتقاطع
لان الاكثر في بني العلات ما ذكرناه وقوله وابت بتة اي قاطعته وقوله لم ابطق من نزراه ببلة فالتمطق يكون
بالتصويت والتلمظ باللسان فكنى بذلك عن انه لم يصب من خيره شيئا وصان نفسه عنه

مجلس آخر سه تأويل آية

ان سأل سائل فقال ما تأويل
قوله تعالى الذي جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا
تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون وما الذي اثبت لهم العلم به وكيف يطابق وصفهم هاهنا بالعلم لوصفهم
بالجهل في قوله تعالى قل افغير الله تأمروني اعبد ايها الجاهلون الجواب قلنا هذه الآية معناها
متعلق بما قبلها لانه تعالى امرهم بعبادته والاعتراف بنعمته ثم عدد عليهم صنوف النعم التي ليست الا
من جهته ليستدلوا بذلك على وجوب عبادته لان العبادة انما تجب لاجل النعم المخصوصة فقال جل من قائل
يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذي جعل لكم الارض فراشا الى آخر
الآية ونبه في آخرها على وجوب توحيده والاخلاص له وان لا يشرك به شيء بقوله فلا تجعلوا لله اندادا و
انتم تعلمون ومعنى قوله جعل لكم الارض فراشا اي يمكن ان تستقروا عليها وتفترشوها وتتصرفوا فيها
وذلك لا يمكن الا بان تكون مبسوطة ساكنة دائمة السكون وقد استدل ابو علي بذلك وبقوله تعالى جعل
لكم الارض بساطا على بطلان ما يقوله المنجمون من ان الارض كروية الشكل وهذا القول لا يبطل لانه يكفي
في النعمة علينا ان يكون فيها بسائط ومواضع مسطوحة يمكن التصرف عليها وليس يجب ان يكون جميعها
كذلك ومعلوم ان جميع الارض ليس مسطوحا مبسوطا وان كان مواضع التصرف فيها بهذه الصفة والمنجمون
لا يدفعون ان يكون في الارض بسائط وسطوح يتصرف عليها ويستقر فيها وانما يذهبون الى ان جملتها
شكل الكرة وليس له ان يقول قوله عز وجل جعل لكم الارض فراشا يقتضي الاشارة الى جميع الارض و
جملتها لا الى مواضع منها لان ذلك تخرجه الضرورة من حيث انا نعلم بالمشاهدة ان فيها ما ليس بساط و

كتب دام ظله
سمعت بعض الاكابر يقول كرية بتشديد
الراء فسألته عن ذلك فقال كرة [illegible] ولم
قال كان هذا التشديد عوضا عن المحذوف
من الكرة فاذ قد
اجمعوا على ذلك
[illegible]

لا فراش ولا شبهة في ان جعله السماء بناء على ما هي عليه من الصفة بما له تعلق بمنافعنا ومصالحنا وكذلك انزاله
منها الماء الذي هو المطر الذي يظهر به الثمرات فننتفع بنيلها والاغتذاء بها فاما قوله تعالى فلا تجعلوا
لله اندادا فالند هو المثل والعدل قال حسان

اتهجوه ولست له بند فشركما لخيركما الفداء

فاما قوله تعالى وانتم تعلمون فيحتمل
وجوها اولها ان يريد انكم تعلمون ان الانداد التي هي الاصنام وما جرى مجراها التي تعبدونها من دون الله لم تنعم
عليكم بهذه النعم التي عددناها ولا بامثالها وانها لا تضر ولا تنفع ولا تسمع ولا تبصر ومعلوم ان المشركين
الذين كانوا يعبدون الاصنام ما كانوا يدعون ولا يعتقدون ان الاصنام خلقت السماء والارض من دون
الله تعالى ولا بعضه تعالى فالوصف لهم هاهنا بالعلم انما هو لتاكيد الحجة عليهم ويصح لزومها لهم لانهم مع العلم
بما ذكرناه يكونون اضيق عذرا والوجه الثاني ان يكون المراد بقوله وانتم تعلمون اي تعقلون وتميزون
وتعلمون ما تقولون وتفعلون وتأتون وتذرون لان من كان بهذه الصفة فقد استوفى شروط التكليف
ولزمته الحجة وضاق عذره في التخلف عن النظر واصابة الحق ونظير ذلك قوله انما يتذكر اولو الالباب
وانما يخشى الله من عباده العلماء والوجه الثالث ما قاله بعض المفسرين كمجاهد وغيره ان المراد
بذلك اهل الكتابين التوراة والانجيل خاصة ومعنى وانتم تعلمون اي انكم تعلمون انه اله واحد في التوراة
والانجيل فعلى الوجهين الاولين لا تنافي بين هذه الآية وبين قوله تعالى قل افغير الله تأمروني اعبد ايها
الجاهلون لان علمهم تعلق بشيء وجهلهم بغيره وعلى الوجه الثالث اذا جعل الآية التي سئلنا عنها مختصة
باهل الكتاب امكن ان يجعل الآية التي وصفوا فيها بالجهل تتناول غير هؤلاء ممن لم يكن ذا كتاب يجد فيه بيان
التوحيد وهذا اوضح [illegible]

قال السيد وما يفسر من الشعر تفاسير مختلفة والقول محتمل
للكل قول امرئ القيس

وقد اغتدي ومعي القانصان وكل بمربأة مقتفر
فيدركنا فغم داجن سميع بصير طلوب نكر
الص الضروس حني الضلوع تبوع اريب نشيط اشر

فأنشب أظفاره في النسا فقلت هبلت ألا تنتصر
فكر إليه بمبراته كما خل ظهر اللسان المجر
فظل يرنح في غيطل كما يستبد الحمار النعر

قال ابن السكيت القانصان الصائدان والمرباة المرتفع من بادية والمقتفر الذي يقتفر آثار الوحش ويتبعها وقال غيره القانصان البازي والصقر والقعم الكلب الحريص على الصيد يقال ما اشد قعمه اي ما اشد حرصه قال الاعشى

تؤم ديار بني عامر وانت بآل عقيل فعم

اي مولع والداجن الذي يألف الصيد والسميع الذي اذا سمع حسا لم يفته والبصير الذي اذا راى شيئا لم يكذبه بصره والتبوع الذي اذا اتبع الصيد ادركه ولم يعجز عن لحوقه والنكر المنكر الحاذق بالصيد ويروى نكر بالضم وقال ابن السكيت وغيره في قوله فانشب اظفاره في النسا اي فانشب الكلب اظفاره في نسا الثور والنسا عرق في الفخذ معروف فقلت هبلت اي قلت للثور هبلت الا تنتصر من الكلب قالوا وهذا تهكم منه بالثور واستهزاء به والاصل في التهكم الوقوع على الشيء يقال تهكم البيت اذا وقع بعضه على بعض ومعنى فكر اليه بمبراته قال ابن السكيت وغيره معناه فكر الثور الى الكلب بمبراته اي بقرنه ومعنى كما خل ظهر اللسان المجر اي طعنه به كما يخل الرجل لسان الفصيل وهو ان يقطع طرف لسانه او يشقه حتى لا يقدر على الشرب من خلف امه وذلك اذا كبر واستغنى عن الشرب ومعنى وظل يرنح في غيطل اي ظل الكلب يرنح اي يميل ويتمايل كالسكران والغيطل الشجر الملتف ويكون ايضا الجلبة والصياح وقوله كما يستبد بن الحمار النعر فالنعر الذي يدخل في راسه ذباب ازرق او اخضر فيطمح براسه ويمر وشبه الكلب في اضطرابه ونزوه بالحمار النعر قال ابن مقبل

ترى النعرات الزرق تحت لبانه احاد ومثنى اصعقتها صواهله

وقال احمد بن عبيد القانصان الفرس وصاحبه والحجة لان الفرس يسمى قانصا قول عدي بن زيد

تقنصك الخيل وتصطادك الطير ولا تنكع لهو القنيص

اي لا تمنع منه قال وقوله فانشب اظفاره في النسا معناه فانشب الكلب اظفاره في نسا الثور فقلت لصاحب

الفرس او غلامي المهيب للفرس هبلت الا تدنو الى الثور فتطعنه فقد امسكه علينا الكلب قال ويحتمل ان يكون امرؤ القيس اغرى الثور بقتل كلبه لان امرأ القيس يفخر بالصيد ويصف في اكثر شعره انه مرزوق منه مظفر فيه كقوله

اذا ما ركبنا قال ولدان اهلنا تعالوا الى ان يأتي الصيد نحطب

وكقوله

مطعم للصيد ليس له غيره كسب على كبره

فمحال ان يعاهد ان يغري الثور بقتل كلبه قال وتاويل الا تنتصر الا تدنو من الثور والدليل على ان تنتصر بمعنى تدنو قول الراعي

واقرعن بذوادي جلاميد بعد ما علا البيد سافي القيظة المتناصر

اي المتداني وقال مضرس بن ربعي

وانك لا تعطي امرأ حظ غيره ولا تملك الشق الذي الغيث ناصره

بادٍ منه ومعنى الضروس اي بعض اسنانه ملتصق ببعض وحجن الضلوع اي مشرف الضلوع عاليها ويروى جني الضلوع بالنون اي منحنيها ويقال ان الضلوع اذا تقوست كان اوسع لجوفه واقوى له ويروى ايضا خفي الضلوع اي ضلوعه خفية داخلة في جنبه ومعنى وظل يرنح اي ظل الثور يرنح في غيطل لما طعنه صاحب الفرس وقد يجوز ان يكون يرنح الثور بظفر الكلب به ولانه انشب اظفاره فيه وكل ذلك يحتمل ومما يحتمل من ذلك ايضا على وجوه مختلفة قول امرئ القيس

فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها لما نسجتها من جنوب وشمال

قال قوم معناه لم يدرس رسمها لنسج هاتين الريحين فقط بل درست لتتابع الرياح والامطار والدليل على هذا قوله في البيت الآخر

فهل عند رسم دارس من معول

وقال آخرون معنى لم يعف اي لم يدرس فالرسم على هذا القول هو باق غير دارس ومعنى قوله في البيت الآخر فهل عند رسم دارس من معول اي فهل عند رسم مستدرس في المستقبل وان كان الساعة موجودا غير دارس وقال آخرون في معنى قوله لم يعف مثل الوجه الثاني اي انه لم يدرس اثرها لما نسجتها بل هي ثوابت فنحن نحزن لها ونجزع عندها ولو عفت وامحت لاسترحنا وهذا مثل قول ابن احمر

الا ليت المنازل قد بلينا فلا يرمين عن شزن حزينا

ومثل قول الآخر

ليت الديار التي تبقى تحزننا كانت تبين اذا ما اهلها بانوا

وليس قوله فهل عند رسم دارس من معول. نقضاً لهذا انما هو كقولك درس كتابك اي ذهب بعضه وبقي بعض وقال ابو بكر العبدي معناه لم يعف رسمها من قلبي وهو دارس الموضع فلم يتناول قوله لم يعف ما تناوله قوله فهل عند رسم دارس من جميع وجوهه فيتناقض الكلام. وقال آخرون اراد بقوله لم يعف لم يدرس ثم اكذب نفسه بقوله فهل عند رسم دارس من معول وكما قال زهير

قف بالديار التي لم يعفها القدم ... بلى وغيرها الارواح والديم

وكما قال الآخر

فلا يبعدن يا خير عمرو بن مالك ... بلى ان من زار القبور ليبعدا

اراد ليبعدن فابدل الالف من النون الخفيفة وهذا وجه ضعيف وبيت زهير ليس يجب فيه ما توهموه من المناقضة والتكذيب لانه يمكن ان يحمل على ما ذكرناه في احد الوجوه المتقدمة من انه اراد ان رسمها لم يعف ولم يبطل كله وان كان قد غيرت الديم والارواح بعضه واثرت في بعض فاما البيت الثاني فلا حجة فيه لانه لم يتضمن اثباتاً ونفياً وانما دعا له ان لا يبعد ثم رجع الى قوله بلى انه ليبعد من زار القبور وما يدعى عليه غير واجب و[illegible] لا ثابت فكيف ينافي الاثبات الثاني ويمكن في البيت وجه آخر وهو ان يكون معنى لم يعف رسمها اي لم يزد ويكثر فيطمس حتى يعرفه المتوسم ويتبينه المتامل بل هو خاف غير لائح ولا ظاهر ثم قال من بعد فهل عند رسم دارس فلم يناقض الاول لانه قد اثبت الدروس له في كلا الموضعين ولا شبهة في ان عفا من حروف الاضداد التي تستعمل تارة في الدروس واخرى في الزيادة والكثرة قال الله تعالى حتى عفوا اي كثروا ويقال قد عفا الشعر اذا كثر قال الشاعر

ولكنا نعض السيف منها ... باسوق عافيات اللحم كوم

اراد كثيرات اللحم ويقال قد عفا وبر البعير اذا زاد ويقال اعفيت الشعر وعفوته اذا كثرته وزدت فيه وامر رسول الله صلى الله عليه بان تحفى الشوارب وتعفى اللحى اي توفر وهذا الوجه عندي اشبه مما تقدم

مجلس آخر سوء تاويل اية ان سال سائل عن قوله تعالى يا اخت هرون ما كان ابوك امرء سوء وما كانت امك بغيا فاشارت اليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد

صبيا فقال من هرون الذي نسبت مريم الى انها اخته ومعلوم انها لم تكن اختا لهرون اخي موسى عليهما السلم وما معنى من كان في المهد صبيا ولفظة كان تدل على ما مضى من الزمان وعيسى عليه السلم في حال قولهم ذلك كان في المهد. الجواب قلنا هرون هذا الذي نسبت اليه مريم عليها السلم قد قيل فيه اقوال منها ان هرون المذكور في الاية كان رجلا فاسقا مشهورا بالعهر والشر وفساد الطريقة فلما انكروا ما جاءت به من الولد وظنوا بها ما هي عليها السلم مبرأة منه من الشر فنسبوها الى هذا الرجل تشبيها وتمثيلا وكان تقدير الكلام يا شبيهة هرون في فسقه وقبح فعله وهذا القول يروى عن سعيد بن جبير ومنها ان هرون هذا كان اخاها لابيها دون امها وقيل انه كان اخاها لابيها وامها وكان رجلا معروفا بالصلاح وحسن الطريقة والعبادة والتاله وقيل انه لم يكن اخاها على الحقيقة بل كان رجلا صالحا من قومها وانه لما مات شيع جنازته اربعون الفا كلهم يسمى هرون من بني اسرائيل فلما انكروا ما ظنوه من امرها قالوا لها يا اخت هرون اي يا شبيهته في الصلاح ما كان هذا معروفا منك ولا كان ذلك مما يفعل القبيح ويتطرق عليه الريب وعلى قول من قال انه كان اخاها يكون معنى قولهم انك من اهل بيت الصلاح والسداد لان اباك لم يكن امرء سوء ولا كانت امك بغيا وانت مع ذلك اخت هرون المعروف بالصلاح والعفة فكيف اتيت بما لا يشبه نسبك ولا يعرف من مثلك ويقوي هذا القول ما رواه المغيرة بن شعبة قال لما ارسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اهل نجران قال لي اهلها اليس نبيكم يزعم ان هرون اخو موسى وقد علم الله ما بين موسى وعيسى من السنين فلم ادر ما ارد عليهم حتى رجعت الى النبي صلى الله عليه وذكرت ذلك فقال يا مغيرة فهلا قلت انهم كانوا يدعون بانبيائهم والصالحين من قبلهم ومنها ان يكون معنى يا اخت هرون يا من هي من نسل هرون اخي موسى كما يقال للرجل يا اخا بني تميم ويا اخا بني فلان وذكر مقاتل بن سليمن في قوله تعالى يا اخت هرون وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال هرون هذا الذي ذكر هو هرون اخو موسى عليهما السلم قال مقاتل وتاويل يا اخت هرون يا من هي من نسل هرون كما قال تعالى والى عاد اخاهم هودا والى ثمود اخاهم صالحا يعني بانهم انه من نسلهم وجنسهم وكل قول من هذه

الأقوال فقد اختاره قوم من المفسرين : فأما قوله تعالى من كان في المهد صبيا فهو كلام مبني على الشرط
والجزاء مقصود به النهاية والمعنى من يكن في المهد صبيا فكيف نكلمه ووضع في ظاهر اللفظ الماضي موضع
المستقبل لأن الشرط لا يكون إلا فيما يستقبل فيقول القائل إن زرتني زرتك يريد إن تزرني
أزرك قال الله تعالى إن شاء جعل لك خيرا من ذلك يعني إن يشأ يجعل وقال قطرب معنى كان هاهنا
معنى صار فكأن المعنى كيف نكلم من صار في المهد صبيا ويستشهد بذلك قول زهير

أجزت إليه حرة أرحبية ... وقد كان لون الليل مثل الأرندج

وقال غيره كان هاهنا
بمعنى خلق ووجد كما قالت العرب كان الحر وكان البرد أي وجدا وحدثا وقال قوم لفظة كان وإن أريد بها
الماضي فقد يراد بها الحال والاستقبال كقوله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس أي أنتم وكذلك قوله تعالى
هل كنت إلا بشرا رسولا وقوله تعالى وكان الله عليما حكيما وإن كان قد قيل في هذه الآية الأخيرة غير ذلك
قيل إن القوم شاهدوا من آثار علمه تعالى وحكمته ما شاهدوا فأخبرهم أنه لم يزل حكيما عليما أي فلا تظنوا
أنه استفاد علما وحكمة لم يكن عليهما • ومما يقوي مذهب من وضع لفظ الماضي موضع الحال والاستقبال قوله
تعالى وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم وقوله تعالى ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار وقولهم في الدعاء غفر
الله لك وأطال بقاءك وما جرى مجرى ذلك ومعنى الكل يغفر الله ذلك إلا أنه لما أمن اللبس وضع
لفظ الماضي في موضع المستقبل قال الشاعر

فأدركت من قد كان قبلي ولم أدع ... لمن كان بعدي في القصائد مصعدا

أراد لمن يكون بعدي ومما جعلوا فيه المستقبل في موضع الماضي قول الصلتان العبدي يرثي المغيرة بن المهلب

قل للقوافل والغزاة إذا غزوا ... والباكرين وللمجد الرائح
إن الشجاعة والسماحة ضمنا ... قبرا بمرو على الطريق الواضح
فإذا مررت بقبره فاعقر به ... كوم الجلاد وكل طرف سابح
وانضح جوانب قبره بدمائها ... فلقد يكون أخا دم وذبائح

هذه قصيدة رواها الأصمعي في الشعر لزياد الأعجم قال ورواه الصلتان العبدي وهي إحدى المراثي الشعر وقال غيره هو لزياد الأعجم وهو شاعر من عبد القيس وكان يلقب بالصلتان وإنما قيل له الأعجم للكنة في لسانه ويقال إنه نشأ في العجم وكان من أشعر أهل زمانه وكان قد اصطفاه المهلب بن أبي صفرة الأزدي فكان زياد يمدحه وأهله وكان ... يقول لجرادة ... فقال له شاعر وما صغر ... أم عوف كان رجليها محجلان فقال ... أردت ... وأطراف ... أردت بما أردت به لساني وكان يقول أنا أقول الشعر والأدب نقوم لي أداة الشعر والعرب

معناه فلقد كان كذلك **تأويل خبر** إن سأل سائل فقال كيف يطابق ما
روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال لا عدوى ولا هامة ولا طيرة وأنه قيل له إن النقبة تقع
بمشفر البعير فتجرب لذلك الإبل فقال عليه السلام فما أعدى الأول عنه عليه السلام من قوله لا يوردن ذو
عاهة على مصح وقوله فر من المجذوم فرارك من الأسد وأن رجلا مجذوما أتاه ليبايعه بيعة الإسلام
فأرسل إليه بالبيعة وأمره بالانصراف ولم يأذن عليه السلام له وروي عنه عليه السلام أنه قال الشؤم في
المرأة والدار والدابة وظواهر هذه الأخبار متنافية متناقضة فبينوا الجمع بينها الجواب
قلنا إن ابن قتيبة سأل نفسه عن اختلاف هذه الأخبار وأجاب عن ذلك بما نذكره على وجهه ونذكر ما عندنا فيه
فإنه خلط وأتى بما ليس بمرضي قال إن لكل من هذه الأخبار معنى وموضعا فإذا وضع موضعه زال الاختلاف
قال والعدوى جنسان أحدهما عدوى الجذام فإن المجذوم تشتد رائحته حتى يسقم من أطال مجالسته و
مؤاكلته وكذلك المرأة تكون تحت المجذوم فتضاجعه في شعار واحد فيوصل إليها الأذى وربما جذمت
وكذلك ولده ينزعون في الكبر إليه وكذلك من كان به سل ودق ونقب والأطباء تأمر بأن لا يجالس المسلول
والمجذوم ولا يريدون بذلك معنى العدوى وإنما يريدون بذلك تغير الرائحة وأنها تسقم من أطال اشتمامها
والأطباء أبعد الناس من الإيمان بيمن أو شؤم وكذلك النقبة تكون بالبعير وهي جرب رطب فإذا
خالط الإبل أو حاكها أو وصل إليها بالماء الذي يسيل منه نحو ما به وهذا هو المعنى الذي قال فيه رسول الله
لا يوردن ذو عاهة على مصح • قال وقد ذهب قوم إلى أنه أراد بذلك أن لا يظن الذي نال إبله من ذوات
العاهة ذنبا ثم قال وليس لهذا عندي وجه لأنا نجد الذي خبرتك به عيانا قال وأما الجنس الآخر من
العدوى فهو الطاعون ينزل ببلد فيخرج منه خوفا من الطاعون وحكي عن الأصمعي عن بعض البصريين
أنه هرب من الطاعون فركب حمارا ومضى بأهله نحو سفوان فسمع حاديا يحدو خلفه وهو يقول

لن يسبق الله على حمار ... ولا على ذي منعة طيار
أو يأتي الحتف على مقدار ... قد يصبح الله أمام الساري

المازري
وجه
سفوان قرية من البصرة

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان بالبلد الذي انتم فيه فلا تخرجوا منه وقال ايضا اذا كان
ببلد فلا تدخلوه يريد بقوله لا تخرجوا من البلد اذا كان فيه كانكم تظنون ان الفرار من قدر الله ينجيكم
ويريد بقوله اذا كان ببلد فلا تدخلوه ان مقامكم بالبلد الذي لا طاعون فيه اسكن لانفسكم واطيب
لعيشكم قال ومن ذلك المراة تعرف بالشوم والدار فينال الرجل مكروه او جائحة فيقول اعدتني
بشومها قال فهذا هو العدوى الذي قال النبي صلى الله عليه وسلم لا عدوى • فاما الحديث الذي رواه
ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الشوم في المراة والدار والدابة فان هذا يتوهم فيه الغلط
على ابي هريرة وانه سمع فيه شيئا من الرسول صلى الله عليه وسلم فلم يعيه • وروى ابن قتيبة خبرا دفعه الى
ابي حسان الاعرج ان رجلين دخلا على عائشة فقالا ان ابا هريرة يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال انما الطيرة في المراة والدار والدابة فطارت شفقا ثم قالت كذب والذي انزل الفرقان
على ابي القسم من حدث بهذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اهل الجاهلية
يقولون الطيرة في المراة والدار والدابة ثم قرات ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم
الا في كتاب من قبل ان نبراها وروى خبرا دفعه الى انس بن مالك قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله انا نزلنا دارا فكثر فيها عددنا وكثرت فيها اموالنا ثم تحولنا منها الى اخرى
فقلت اموالنا وقل عددنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذروها وهي ذميمة قال ابن قتيبة ليس هذا فيها
ينقض الحديث الاول وانما امرهم بالتحول عنها لانهم كانوا مقيمين فيها على استثقال ظلها واستيحاش
لما نالهم فيها فامرهم بالتحول وقد جعل الله في غرائز الناس وتركيبهم استثقال ما نالهم السوء فيه وان
كان لا سبب لهم في ذلك وحب من جرى على يديه الخير لهم وان لم يردهم به وبغض من جرى على يديه الشر له
لهم وان لم يردهم به قال السيد قدس الله روحه ما وجدنا ابن قتيبة عمل شيئا اكثر من
انه لما اعجزه تاويل الاخبار التي سال نفسه عنها والمطابقة بينها وبين قوله عليه السلم لا عدوى ولا طيرة
ادعى الخصوص فيما ظاهره العموم وخص العدوى بشيء دون اخر وكلاهما سواء فيه واذا اردنا تاويلا

يرفعه نص قول النبي عليه السلم لما سئل عن النقبة تقع بمشفر البعير فتجرب لذلك الابل قال
فما اعدى الاول تكذيبا بعدوى هذه النقبة وتاثيرها فاطرح ابن قتيبة ذلك وزعم ان الجرب
يعدي ويؤثر في المخالطة والمواكلة وعول في ذلك على قول الاطباء وترك قول النبي صلى الله عليه وسلم ومن
طريف امرها انه ذكر ان الاطباء ينهون عن مجالسة المسلول او المجذوم ولا يريدون بذلك معنى العدوى
وانما يريدون تغير الرائحة وانها تسقم من اطال اشتمامها وهذا غلط منه لان الاطباء انما نهوا عن ذلك
خوفا من العدوى وسبب العدوى عندهم هو اشتمام الرائحة وانفصال اجزاء من السقيم الى
الصحيح وليس اذا كان غير هذا عدوى عند قوم مما يوجب ان لا يكون هذا من العدوى ايضا ولما حكى عن
غيره تاويلا صحيحا في قوله لا يوردن ذو عاهة على مصح ادعى ان العيان يدفعه واي عيان معه
ونحن نجد كثيرا ممن يخالط الجربى فلا يجرب ونجد ابلا صحاحا تخالط ذوات العاهات فلا
يصيبها شيء من ادوائها وكانه انما يدعي ان العيان يدفع قول النبي صلى الله عليه وسلم فمن اعدى الاول
والوجه عندنا في قوله عليه السلم لا يوردن ذو عاهة على مصح انه عليه السلم انما نهى عن ذلك
وان لم يكن مؤثرا على الحقيقة لان فاعله كالمدخل الضرر على غيره لان من اعتقد ان ذلك يعدي و
يؤثر فاورد على ابله فلا بد ان يلحقه لما تقدم من اعتقاده ضرر وغم ولا بد من ان يذم من عامله
بذلك فكانه عليه السلم نهى عن اذى الناس والتعرض لذمهم وقد يجوز ايضا فيه ما حكاه ابن قتيبة
عن غيره مما لم يرتضه من انهم متى ظنوا ذلك اثموا فنهى عليه السلم عن التعرض لما يوثمهم ولو نقل ابن قتيبة
ما قاله عليه السلم في الطاعون اذا كان ببلد فلا تدخلوه وامره لمن شكا اليه ما لحقه في الدار بالتحول
عنها الى مكان فقد اصاب لانه حمل ذلك على ان تجنب البلد اسكن للنفس واطيب للعيش وكذلك في
الدار وهذا ممكن في قوله لا يوردن ذو عاهة على مصح بعينه • فاما قوله فر من المجذوم فرارك من
الاسد فليس فيه ان ذلك لاجل العدوى وقد يمكن ان يكون لاجل نتن ريحه واستقذاره ونفور
النفس عنه وان ذلك ربما دعا الى تعييره والاذى له وامتناعه عليه السلم من ادخال المجذوم

عليه لتتابعه يجوز أن يكون المرض فيه عن غير العدوى بل لبعض الأسباب المانعة التي ذكرنا بعضها
وأما حديث الطاعون فالقول فيه على ما قاله وقد كان سبيله لما تقول في عدوى الجذام والجرب على
قول الأطباء أن يرجع أيضاً إلى قولهم في الطاعون لأنهم يقولون إن الطاعون الذي يعرض من تغير
الأهوية وما جرى مجراها يعدي كعدوى الجرب والجذام والعيان الذي ادعاه ليس هو أكثر
من وجده من يجرب أو يجذم بمخالطة من كان بهذه الصفة وهذا العيان موجود في الطاعون فأما ذكر
عمومه لمن يسكن البلد الذي يكون فيه وبطلان البنية فأما الخبر الذي يتضمن أن الشؤم في المرأة و
الدار والدابة فالذي ذكره من الرواية في معناه يزيل الشبهة به على أنه لو لم يكن ها هنا رواية في
تأويله لجاز أن يحمل على أن الذي يتطير به المتطيرون ويدعون أن الشؤم فيه هو المرأة والدار و
الدابة ولا يكون ذلك إثباتاً للطيرة والشؤم في هذه الأشياء بل على طريق الإخبار بأن الطيرة
الثابتة إنما هي فيها لقوة أمرها عند أصحاب الطيرة وما ذكره بعد ذلك في الدار وأمره عليه السلم
بانتقاله عنها تأويله قريب وكان يجب أن يهتدي إليه فيما تقدم وما التوفيق إلا من عند الله تعالى

مجلس آخر سر تأويل آية

إن سأل سائل عن قوله تعالى وما
كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء إنه علي
حكيم أوليس ظاهر هذا الكلام يقتضي جواز الحجاب عليه وأنتم تمنعون من ذلك الجواب
قلنا ليس في الآية أكثر من ذكر الحجاب وليس فيها أنه حجاب له تعالى أو لمحل كلامه أو لمن يكلمه وإذا
لم يكن في الظاهر شيء من ذلك جاز صرف الحجاب إلى غيره عز وجل مما يجوز أن يكون محجوباً وقد يجوز أن يريد
بقوله أو من وراء حجاب أنه يفعل كلاماً في جسم محتجب عن المكلم غير معلوم له على سبيل التفصيل فيسمع
المخاطب الكلام ولا يعرف محله على سبيل التفصيل فيقال على هذا هو مكلم من وراء حجاب وروي عن
مجاهد في قوله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً قال أوحي إلى داود عليه السلم في صدره
فزبر الزبور أو من وراء حجاب وهو موسى أو يرسل رسولاً وهو جبريل عليه السلم أرسل إلى محمد صلى الله عليه وسلم

فأما الجبائي فإنه ذكر أن المراد بالآية وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا بمثل ما تكلم به عباده
من الأمر بطاعته والنهي لهم عن معاصيه وتنبيهه إياهم على ذلك من جهة الخاطر أو المنام وما أشبه
ذلك على سبيل الوحي قال وإنما سمى الله تعالى ذلك وحياً لأنه خاطر وتنبيه وليس هو كلاماً
لهم على سبيل الإفصاح كما يفصح الرجل منا لصاحبه إذا خاطبه والوحي في اللغة إنما هو ما جرى
مجرى الإيماء والتنبيه على شيء من غير أن يفصح به فهذا هو معنى ما ذكره الله تعالى في الآية قال
وعنى بقوله أو من وراء حجاب أن يحجب ذلك الكلام عن جميع خلقه إلا من يريد أن يكلمه به نحو كلامه
تعالى لموسى عليه السلم لأنه حجب ذلك عن جميع الخلق إلا عن موسى عليه السلم وحده في كلامه إياه أولاً
وأما كلامه له في المرة الثانية فإنه إنما أسمع ذلك موسى والسبعين الذين كانوا معه وحجب عن جميع
الخلق سواهم فهذا هو معنى قوله أو من وراء حجاب لأن الكلام هو الذي كان محجوباً عن الناس وقد
يقال إنه حجب عنهم موضع الكلام الذي أقام الكلام فيه فلم يكونوا يدرون من أين يسمعونه لأن الكلام
عرض لا يقوم إلا في جسم ولا يجوز أن يكون أراد بقوله أو من وراء حجاب أن الله تعالى كان من وراء
حجاب يكلم عباده لأن الحجاب لا يجوز إلا على الأجسام المحدودة قال وعنى بقوله أو يرسل رسولاً
فيوحي بإذنه ما يشاء إرساله ملائكته بكتبه وكلامه إلى أنبيائه عليهم السلم ليبلغوا ذلك عنه عباده
على سبيل إنزاله القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم وإنزاله سائر الكتب على أنبيائه فهذا أيضاً ضرب من
الكلام الذي يكلم الله تعالى به عباده ويأمرهم فيه بطاعته وينهاهم عن معاصيه من غير أن يكلمهم
على سبيل ما كلم به موسى وهذا الكلام هو خلاف الوحي الذي ذكره في أول الآية لأنه قد أفصح لهم
في هذا الكلام بما أمرهم به ونهاهم عنه والوحي الذي ذكره في أول هذه الآية إنما هو تنبيه وخاطر
وليس فيه إفصاح وهذا الذي ذكره أبو علي سديد والكلام يحتمل ما ذكره ويمكن في الآية وجه
آخر وهو أن يكون المراد بالحجاب البعد والخفاء ونفي الظهور وقد تستعمل العرب لفظة الحجاب
فيما ذكرناه يقول أحدهم لغيره إذا استبعد فهمه واستبطأ فطنته بيني وبينك حجاب ويقول في الكلام

الذي نستبعده ونستصعب طريقه بيننا وبين هذا الأمر حجب وموانع وسواتر وما جرى مجرى ذلك فيكون معنى الآية أنه تعالى لا يكلم البشر إلا وحيا بأن يخطر في قلوبهم أو بأن ينصب لهم أدلة تدلهم على ما يريده أو يكرهه منهم فيكون من حيث نصبها للدلالة على ذلك والإرشاد إليه مخاطبا ومكلما للعباد بما يدل عليه وجعل هذا الخطاب من وراء حجاب من حيث لم يكن مسموعا كما يسمع الخاطر وقول الرسول ولا ظاهرا معلوما لكل من أدركه كما أن أقوال الرسل المؤدين عنه تعالى من الملائكة بهذه الصفة فصار الحجاب هاهنا حكاية عن الخفاء وعبارة عما ترك عليه الدلالة وليس لأحد أن يقول إن الذي تدل عليه الأجسام من صفاته تعالى وأحواله ومراده لا يقال إنه تعالى متكلم لنا به وذلك أنه غير ممتنع على سبيل التجوز أن يقال فيما يدل عليه الدليل الذي نصبه ليدل على أن ذلك ما يريده إنه متكلم لنا ومخاطب به ولهذا لا يمتنع المسلمون أن يقولوا إنه تعالى خاطبنا بما دلت عليه الأدلة العقلية وأمرنا بعبادته واجتناب ما كرهه منا وفعل ما أراده وهكذا يقولون فيمن فعل فعلا يدل على أمر من الأمور قد خاطبنا فلان بما فعل من كذا وكذا وقال لنا وأمرنا وزجرنا وما أشبه ذلك من الألفاظ التي تجري على الكلام الحقيقي وهذا الاستعمال أكثر وأظهر من أن نعدد أمثلته ونظائره

قال السيد قدس الله روحه ومن مستحسن ما قيل في الذئب قول أسماء بن خارجة بن حصن الفزاري

ولقد ألم بنا لنقريه ... بادي الشقاء محارف الكسب
يدعو الغنى أن نال علقته ... من مطعم غبا إلى غب
وطوى ثميلته وألحقها ... بالصلب بعد لدونة الصلب
يا صاح سعيك ما صنعت بما ... جمعت من شيب إلى ذنب
لو كنت ذا لب تعيش به ... لفعلت فعل المرء ذي اللب
وجمعت صالح ما احترفت وما ... جمعت من نهب إلى نهب
وأظنه شعبا نزلت به ... فلقد منيت بغاية الشغب
إذ كان غير مناصل نعصى بها ... مشحوذة وركائب الركب
فاعمد إلى أهل الوقير فما ... يخشاك غير مقرمص الزرب
أحسبتنا ممن تطيف به ... فاخترتنا للأمن والخصب

وبعير معرفة ولا سبب ... إني وشعبك ليس من شعبي
لما رأى أن ليس نافعه ... جد تهاون صادق الإرب
وألح إلحاحا لحاجته ... شكوى الضرير ومزجر الكلب
بادي التكلح يشتكي سغبا ... وأنا ابن قاتل شدة السغب
فرأيت أن قد نلته بأذى ... من عذم مثلبة ومن سب
ورأيت حقا أن أضيفه ... إذ رام سلمي واتقى حربي
فوقفت معتاما أزاولها ... بمهند ذي رونق عضب
فعرضته في ساق أسمنها ... فاجتاز بين الحاذ والكعب
فتركته لعياله جزرا ... عمدا وعلق رحلها صحبي

ذكر ذئبا طرقه ليلا وقوله محارف الكسب مثل ضربه أي لا يبقى له نشب الأشي يكسبه وقوله يدعو الغنى أن نال علقته أي إن وجد ما يتعلق به من مطعم غبا أي بين يومين فذلك عنده الغنى والثميلة ما يبقى في البطن من طعام أو علف ومعنى طوى ثميلته ذهب بها أراد أنه لم يبق في بطنه ما يمسكه وألحقها بالصلب بعد لدونة اللين فأراد أنه ألحق بقية طعامه بصلبه بعد أن لان ما صلب منها ثم أقبل على الذئب كالعاذل له فقال ما صنعت بما جمعت من شيب إلى ذنب وهذان اسمان للشباب والهرم لا يفردان ولا يلفظ بهما إلا هكذا والمعنى فيهما مذ كنت شابا حتى دببت على العصا ثم قال لو كنت ذا لب لجمعت ما نصيبه ومعنى احترفت اكتسبت ومعنى من نهب إلى نهب أي من غدوة وتكرر على الغنم إلى الغدوة الأخرى ثم قال إن كان تعرضك لنا شغبا علينا فقد منيت بغاية الشغب أي هو بنا فوقك وبغاتك وليس هاهنا ما تغير عليه وإنما معنا مناصل أي سيوف مشحوذة وركائبنا التي نمتطيها فاعمد إلى أهل الوقير والوقير القطيع من الغنم ولا يسمى وقيرا إلا إذا كان فيه حمار يقول فعليك بمواضع الغنم فإنما يخشاك الراعي والمقرمص الذي يتخذ القرموصة وأصله المكان الضيق وهو هاهنا حفرة يحتفرها الراعي في الرمل من شدة

لحى للشاة الكريمة الصفية حتى اذا بركت كان ضرعها فى الغر موضعه ومعنى ينعبك لبين من شعبى اى
لنسبه من حسبى ولا شكلى والادب الخديعة عند الحاجة وشكوى الضر من الذى قد مسه الضر ومن جر
الكلب اى هو منا قريب المكان يقدر من جر الكلب اذ احسانه والسغب الجوع واراد بقوله وانا ابن
قاتل شدة السغب اى انا ابن من كان يقرى ويطعم ثم رجع الى كرامه فقال رايت بعد ان سبقته و
عضضته بالاذى والعدم اى ضيقه وافقره لانه ضيف وان كان ذيبا فوقفت انظر فى ركابى والحاد
اسمنها والاعيام الاخيار واراد الاشهاد والجاد ان حر الجمد بن اللذان يليان الذنب وحتى ان حل
المطية التى عقرها علقه بعض اصحابه على مطية اخرى   وقال النجاشى يذكر ذيبا

وماء كلون الغسل قد عاد آجنا ... قليل به الاصوات فى بلد محل
وجدت عليه الذيب يعوى كانه ... خليع خلا من كل مال ومن اهل
فقلت له يا ذيب هل لك فى فتى ... يواسى بلا من عليك ولا بخل
فقال هداك الله للرشد انما ... دعوت لما لم ياته سبع قبلى
فلست بآتيه ولا استطيعه ... ولاك اسقنى ان كان ماؤك ذا فضل
فقلت عليك الحوض انى تركته ... وفى صفوه فضل القلوص من السجل
فطرب يستعوى ذيابا كثيرة ... وعديت كل من هواه على شغل

وروى ان الفرزدق نزل بالغريين فى صحراء باغيا نارا فابصره ذيب فابصره مقعيا يصطلى ومع الفرزدق مسلوخة فرمى
اليه بيد فاكلها فرمى اليه بما بقى فاكله فلما شبع ولى عنه فقال

وليلة بتنا بالغريين ضافنا ... على الزاد ممشوق الذراعين اطلس
تلمسنا حتى اتانا ولم يزل ... لدن فطمته امه يتلمس
فلو انه اذ جاءنا كان دانيا ... لالبسته لو انه يتلبس
ولكن تنحى جنبة بعدما دنا ... فكان كقاب القوس او هو انفس   اى ابعد [illegible]

فقاسمته نصفين بينى وبينه ... بقية زادى والركائب نعس
وكان ابن ليلى اذ قرى الذيب زاده ... على طارق الظلماء لا يتعبس

ولابن عنقاء الفزارى واسمه قيس بن بجرة بالضم الابيات المشهورة فى الذيب وهى

واعوج من آل الصريح كانه ... بذى الشث سيد آبه الليل جائع
بغى كسبه اطراف ليل كانه ... وليس به ظلع من الخمص ظالع
فلما اتاه الرزق من كل وجهة ... جنوب الملا وابتسته المطامع
طوى نفسه طى الجرير كانه ... حوى حية فى ربوة فهو هاجع
فلما اصابت متنه الشمس حله ... بلعصل ذا انيابه الشم نافع
وفكك لحييه فلما تعاديا ... صاتى ثم اقعى والبلاد بلاقع
وهم بامر ثم ازمع غيره ... وان ضاق رزق مرة فهو واسع
وعارض اطراف الصبا وكانه ... رجاع غدير هزه الريح رائع

ولآخر فى الذيب

فقلت تعلم انى غير نائم ... الى مستقل بالخيانة انسيا
بعيد المطاف لا يقيد على الغنى ... ولا يا تلى ما استطاع ان يكسبا

معنى انبب اى غليظ الناب لا انام اليه اى لا اثق به ومن ذلك استنمت الى فلان اى اطمانت اليه و
معنى لا يقيد على الغنى اى لا يلتمس مطعما وهو شبعان   ولحميد بن ثور فى الذيب

فظل يراعى الجيش حتى تغيبت ... حناش وحالت دونهن الاجارع
اذا ما غدا يوما رايت غيابة ... من الطير ينظرن الذى هو صانع
خفيف المعا الا مصيرا يبله ... دم الجوف او سؤر من الحوض نافع
هو البعل الدانى من الناس كالذى ... له صحبة وهو العدو المنازع
ينام باحدى مقلتيه ويتقى ... باخرى المنايا فهو يقظان هاجع

وصف

ذكر ذئبا يتبع الجيش طمعا في ان تخلف رجل يثب عليه لانه من بين السباع لا يرغب في القتلى ولا
يكاد يأكل الا ما افترسه وحباشر اسم هضبة وقال بعضهم وليس بمعروف ان حباشر اسم من اسماء الشمس حباشر
والحبران الطير تتبعه لتصيب مما يقتل والموتر المعاد والبطل الدهش

مجلس اخر تاويل اية ان سأل سائل عن قوله تعالى

ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب ارني انظر اليك قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان
استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما افاق قال سبحانك
تبت اليك وانا اول المؤمنين فقال كيف تنكرون ان تكون هذه الاية دالة على جواز الرؤية عليه تعالى
لانها لو لم تجز لم يجز ان يسألها موسى عليه السلم كما لا يجوز ان يسأله اتخاذ الولد والصاحبة ولو كانت ايضا
الرؤية مستحيلة لم يعلقها بامر يصح ان يقع وهو استقرار الجبل فاذا علمنا صحة استقرار الجبل في موضعه
فيجب ان تكون الرؤية ايضا صحيحة وفي حكم ما علقت به وقوله تعالى فلما تجلى ربه للجبل يقتضي جواز الحجاب
عليه لان التجلي والظهور لا يكونان الا بعد احتجاب واستتار الجواب قلنا اول ما نقوله انه
ليس في مسألة الشيء دلالة على صحته ووقوعه ولا جوازه لان السائل يسأل عن الصحيح والمحال مع العلم وفقد
العلم لاغراض مختلفة فلا دلالة في ظاهر مسألة الرؤية على جوازها ولاصحابنا عن هذه المسألة اجوبة
اولها وهو الاولى والاقوى ان يكون موسى عليه السلم لم يسأل لنفسه وانما سألها لقومه فقد روي انهم الرؤية
طلبوا ذلك منه والتمسوه واجابهم بانه لا يجوز عليه تعالى فلم يقنعوا بجوابه واثروا ان يرد الجواب من قبل
ربه تعالى فوعدهم بذلك وغلب في ظنه ان الجواب اذا ورد من جهته عز وجل كان احسم للشبهة وابلغ في
دفعها عنهم فاختار السبعين الذين حضروا الميقات ليكون سؤاله بحضرة منهم فيعرفوا ما يرد من الجواب
فسأل واجيب بما يدل على ان الرؤية لا تجوز عليه تعالى ويقوي هذا الجواب اشياء منها قوله تعالى
يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى اكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة
فاخذتهم الصاعقة بظلمهم ومنها قوله تعالى واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتكم

الصاعقة وانتم تنظرون ومنها قوله تعالى فلما اخذتهم الرجفة قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل
واياي اتهلكنا بما فعل السفهاء منا لان اضافة ذلك الى السفهاء يدل على انه كان بسببهم ومن اجلهم
وانما سألوا ما لا يجوز عليه ومنها ذكر الجهرة في الرؤية وهو لا يليق الا برؤية البصر دون العلم وهذا
يقوي ان الطلب لم يكن للعلم الضروري على ما سنذكره في الجواب الثاني ومنها قوله انظر اليك لانا
اذا حملنا الاية على طلب الرؤية لقومه امكن ان نحمل قوله انظر اليك على حقيقته واذا حملنا الاية
على طلب العلم الضروري احتيج الى حذف في الكلام ويصير تقديره انظر الى الايات التي عندها
اعرفك ضرورة ويمكن في هذا الوجه الاخير خاصة ان يقال اذا كان المذهب الصحيح عندكم ان النظر
في الحقيقة غير الرؤية فكيف يكون قوله انظر اليك حقيقة في جواب من حمل الاية على طلب الرؤية لقومه
فان قيل فلم لا يمتنع ان يكونوا التمسوا الرؤية التي معها يكون النظر والتحديق الى الجهة فيسأل على حسب
ما التمسوا قيل لهم هذا ينقض قولكم في هذا الجواب بين سؤال الرؤية وبين سؤال الجميع ما يستحيل عليه من
الصاحبة والولد وما يقتضي الجسمية بان تقولوا الشك في الرؤية لا يمنع من صحة معرفة السمع
والشك في جميع ما ذكر يمنع من ذلك لان الشك الذي لا يمنع من صحة معرفة السمع والشك في
جميع ما ذكر يمنع من ذلك لان الشك الذي لا يمنع من معرفة السمع انما هو في الرؤية التي لا يكون
معها نظر ولا يقتضي التشبيه فان قلتم نحمل ذكر النظر على ان المراد به نفس الرؤية على سبيل
المجاز لان من عادة العرب ان يسموا الشيء باسم الطريق اليه وما قاربه وداناه قلنا فكانكم عدلتم من
مجاز الى مجاز فلا قوة في هذا الوجه والوجوه التي ذكرناها في تقوية هذا الجواب المتقدم اولى وليس
لاحد ان يقول لو كان عليه السلم انما سأل الرؤية لقومه لم يضف السؤال الى نفسه فيقول ارني انظر
اليك ولا كان الجواب مختصا به وهو قوله تعالى لن تراني وذلك انه غير ممتنع وقوع الاضافة على
هذا الوجه مع ان المسألة كانت من اجل الغير اذا كانت هناك دلالة تؤمن من اللبس وتزيل الشبهة
فلهذا يقول احدنا اذا استشفع في حاجة غيره للمستشفوع اليه اسألك ان تفعل بي كذا وتجيبني الى كذا

اعتراض

ويحسن ان يقول المشفوع اليه قد اجبتك في شفاعتك وما جرى مجرى ذلك وانما حسن هذا لان للسائل
في المسألة غرضا وان رجعت الى الغير فتحققه بها وتكلفه كتكلفه اذا اختصه ولم تعده فان قيل
كيف يجوز منه عليه السلم مع علمه باستحالة الرؤية عليه تعالى ان يسألها لقومه ولئن جاز ذلك
ليجوزن ان يسأل لقومه سائر ما يستحيل عليه من كونه جسما وما اشبهه متى شكوا فيه قلنا انما صح
ما ذكرناه في الرؤية ولم يصح فيما سألت عنه لان مع الشك في جواز الرؤية التي لا تقتضي كونه جسما
يمكن معرفة السمع وانه تعالى حكيم صادق في اخباره فيصح ان يعرفوا الجواب الوارد من جهته تعالى باستحالة
ما شكوا في صحته وجوازه ومع الشك في كونه جسما لا يصح معرفة السمع فلا يقع بجوابه انتفاع
ولا علم وقد قال بعض من تكلم في هذه الآية قد كان جائزا ان يسأل موسى لقومه ما يعلم استحالته وان
كانت دلالة السمع لا تثبت قبل معرفته متى كان المعلوم ان في ذلك صلاحا للمكلفين في الدين
وان في ورود الجواب يكون لطفا لهم في النظر في الادلة واصابة الحق منها غير ان من اجاب بذلك شرط ان
يبين النبي في مسألته علمه باستحالة ما سأل عنه وان غرضه في السؤال ورود الجواب ليكون لطفا
والجواب الثاني في الآية ان يكون موسى عليه السلم انما سأل ربه ان يعلمه نفسه ضرورة باظهار بعض
اعلام الآخرة التي تضطر الى المعرفة فتزول عنه الدواعي والشكوك والشبهات ويستغني
عن الاستدلال فتخف المحنة عليه بذلك كما سأل ابرهيم عليه السلم ربه تعالى ان يريه كيف يحيي
الموتى طلبا لتخفيف المحنة بذلك وان كان قد عرف ذلك قبل ان يراه والسؤال وان وقع بلفظ
الرؤية فان الرؤية تفيد العلم كما تفيد الادراك بالبصر وذلك اظهر من ان يدل عليه او يستشهد
عليه فقال له عز وجل لن تراني اي لن تعلمني على هذا الوجه الذي التمسته مني ثم اكد ذلك بان
اظهر في الجبل من آياته وعجائبه ما دل به على ان اظهار ما تقع به المعرفة الضرورية في الدنيا مع
التكليف وبقائه لا يجوز وان الحكمة تمنع منه والوجه الاول اولى لما ذكرناه من الوجهين
لانه لا يخلو موسى عليه السلم من ان يكون شاكا في ان المعرفة الضرورية لا يصح حصولها في

في الدنيا او عالما بذلك فان كان شاكا فهذا مما لا يجوز على النبي لان الشك فيما رجع الى اصول
الديانات وقواعد التكليف لا يجوز عليهم ولا سيما وقد يجوز ان يعلم ذلك على الحقيقة بعض اممهم
فيزيد عليهم في المعرفة وهذا ابلغ في التنفير عنهم من كل شيء يمنع منه فيهم وان كان عالما فلا وجه
لسؤاله الا انه سأل لقومه فيعود الى معنى الجواب الاول والجواب الثالث في الآية
ما حكي عن بعض من تكلم في هذه الآية من اهل التوحيد وهو ان قال يجوز ان يكون موسى عليه السلم في
وقت مسألته ذلك كان شاكا في جواز الرؤية على الله تعالى فسأل عن ذلك ليعلم هل يجوز عليه ام لا
قال وليس شكه في ذلك مما يمنع من ان يعرف الله تعالى بصفاته بل يجري شكه في جواز الرؤية
على بعض ما لا يعرى من الاعراض في انه غير مخل بما يحتاج اليه في معرفته تعالى فلا يمتنع ان يكون
غلطه في ذلك ذنبا صغيرا وتكون التوبة الواقعة منه لاجل ذلك وهذا الجواب يبعد من قبل
ان الشك في جواز الرؤية لا يقتضي تشبيها وان كان لا يمنع من معرفته تعالى بصفاته فان
الشك في ذلك لا يجوز على الانبياء عليهم السلم من حيث يجوز من بعض من بعثوا اليه ان يعرف ذلك
على حقيقته فيكون النبي شاكا فيه وغيره عارفا به مع رجوعه الى المعرفة بالله تعالى وما يجوز
عليه وما لا يجوز وهذا اقوى في التنفير وزائد على كل ما يجب ان تجتنبه الانبياء عليهم السلم فان قيل
فمن اي شيء كانت توبة موسى عليه السلم على الجوابين المتقدمين قلنا اما من ذهب الى ان
المسألة كانت لقومه فانه يقول انما تاب لانه اقدم على ان سأل على لسان قومه ما لم يؤذن له فيه
وليس للانبياء عليهم السلم ذلك لانه لا يؤمن ان يكون الصلاح في المنع منه فيكون ترك اجابتهم
اليه منفرا عنهم ومن ذهب الى انه سأل المعرفة الضرورية يقول انه تاب من حيث سأل معرفة
لا يقتضيها التكليف وعلى جميع الاحوال تكون التوبة من ذنب صغير لا يستحق عليه العقاب
ولا الذم والاولى ان يقال في توبته عليه السلم انه ليس في الآية ما يقتضي ان تكون التوبة وقعت
من المسألة او من امر يرجع اليها وقد يجوز ان يكون ذلك انما لذنب صغير تقدم تلك الحال

ان يقال

اقوى

وزائد في التنفير صح

نسخة

او تقدم النبوة فلا ترجع الى المسالة وقد يجوز ان يكون ما اظهره من التوبة على سبيل الرجوع الى الله تعالى
واظهار الانقطاع اليه والتقرب منه وان لم يكن هناك ذنب معروف وقد يجوز ان يكون الغرض في ذلك
مضافا الى ما قلناه لتعليمنا وتوقيفنا على ما نستعمله وندعو به عند الشدائد ونزول الاهوال وتنبيه
القوم المخاطبين خاصة على التوبة مما التمسوه من الرؤية المستحيلة عليه تعالى فان الانبياء وان
لم يقع منهم القبيح عندنا فقد يقع من غيرهم ويحتاج من وقع ذلك منه الى التوبة منه والاستقالة فاما
قوله فلما تجلى ربه للجبل فالتجلي هاهنا هو التعريف والاعلام والاظهار لما يقتضي المعرفة كقولهم
هذا كلام جلي واضح ظاهر وكقول الشاعر

تجلى لنا بالمشرفية والقنا ... وقد كان عن وقع الاسنة نائيا

اراد ان تدبيره دل
عليه حتى علم انه المدبر له وان كان نائيا عن وقع الاسنة فاقام ما ظهر من دلالة فعله عليه مقام
مشاهدته وعبر عنه بانه تجلى منه وفي قوله للجبل وجهان احدهما ان يكون لاهل الجبل ومن كان عند الجبل
فحذف كما قال تعالى واسئل القرية وما بكت عليهم السماء والارض وقد علمنا انه بما اظهره من الايات
انما دل من كان عند الجبل على ان رؤيته غير جائزة والوجه الاخر ان يكون معنى للجبل اي بالجبل
فاقام اللام مقام الباء كما قال تعالى آمنتم له قبل ان آذن لكم اي به وكما تقولون اخذتك لجرمك
وبجرمك ولما كانت الاية الدالة على منع ما سئل عنه انما حلت الجبل وظهرت فيه جاز ان يضاف
التجلي اليه وقد استدل بهذه الاية كثير من علماء الموحدين على انه تعالى لا يرى بالابصار من حيث
نفى الرؤية نفيا عاما بقوله لن تراني ثم اكد ذلك بان علق الرؤية باستقرار الجبل الذي علمنا
انه لم يستقر وهذه طريقة للعرب في تبعيد الشيء لانهم يعلقونه بما يعلم انه لا يكون كقولهم لا
كلمتك ما اضاء الفجر وطلعت الشمس وكقول الشاعر

اذا شاب الغراب اتيت اهلي ... وصار القار كاللبن الحليب

ومما يجري هذا المجرى
قوله تعالى ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وليس لاحد ان يقول اذا علق الرؤية

وقالانه على حذف المضاف وقوله تعالى ربه للجبل اي نور ربه الذي طلعت دمو فانه ذوي اضوائه واشعته اشرقت عليه فقد كذلك

باستقرار الجبل وكان ذلك غير مقدور فيجب ان تكون الرؤية المعلقة به ايضا غير مقدورة ولانه
لو كان الغرض بذلك التبعيد لعلقه بامر يستحيل كما علق دخولهم الجنة بامر مستحيل من ولوج الجمل
في سم الخياط وذلك ان تشبيه الشيء بغيره لا يجب ان يكون من جميع الوجوه ولما علق وقوع الرؤية
باستقرار الجبل وقد علم انه لا يستقر علم نفي الرؤية وما عدا ذلك من كون الرؤية مستحيلة او
غير مقدورة واستقرار الجبل بخلافهما خارج عما هو الغرض في التشبيه على انه انما علق جواز
الرؤية باستقرار الجبل في تلك الحال التي جعله فيها دكا وذلك محال لما فيه من اجتماع الضدين فجرى
مجرى جواز الرؤية في الاستحالة وليس يجب في كل ما علق بغيره ان يجري مجراه في سائر وجوهه
حتى اذا كان احدهما مع انتفائه مستحيلا كان الاخر بمثابته لان تعلق دخول الكفار الجنة لما علق
بولوج الجمل في سم الخياط لم يكن مستحيلا بل معلوم ان الاول في المقدور وان كان لا يحسن والثاني
ليس في المقدور وهذه جملة كافية في تاويل هذه الاية وبيان ما فيها والحمد لله قال السيد
قدس الله روحه واني لاستجيد قول ابي العيص حزام بن عبد الله بن قتادة المازني

حزام من جابر بن ربيعة بن كابية

وكم من صاحب قد بان عني ... رميت بفقده وهو الحبيب
فلم ابد الذي تحنو ضلوعي ... عليه واني لانا الكئيب
مخافة ان يراني مستكينا ... عدو او يساء به حبيب
فيشمت كاشح ويظن اني ... جزوع عند نائبة تنوب
فبعدك شدت الاعداء طرفا ... الي ورابني دهر يريب

معنى شدت الاعداء طرفا اي نظرت الي نظرا شديدا واظهر الغضب في عيونها

وانكرت الزمان وكل اهلي ... وهرتني لغيبتك الكليب

يقال كلب وكليب مثل عبد وعبيد — الهرير صوت الكلب

وكنت تقطع الابصار دوني ... وان وغرت من الغيظ القلوب

الوغر الضغن

ويمنعني من الاعداء اني ... وان رغموا المحتشي بك مهيب

فلم أر مثل يومك كان يوماً ... بدت فيه النجوم فما تغيب
وليل ما أنام به طويل ... كأني للنجوم به رقيب
وما يك جائياً لا بد منه ... إليك فسوف تجلبه الجلوب

مجلس آخر سط تأويل آية

إن سأل سائل عن قوله تعالى وإذ قتلتم نفساً فادّارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون فقال كيف ذكر هذا بعد ذكر البقرة والأمر بذبحها وقد كان ينبغي أن يتقدمه لأنه إنما أمر بذبح البقرة ليتكشف أمر القاتل فكيف أخر ذكر السبب عن المسبب وبنى الكلام بناء يقتضي أنه كان بعده ولم قال وإذ قتلتم نفساً والرواية وردت بأن القاتل كان واحداً فكيف يجوز أن يخاطب الجماعة بالقتل والقاتل من بينها واحد وإلى أي شيء وقعت الإشارة بقوله كذلك يحيي الله الموتى الجواب قيل له أما قوله تعالى وإذ قتلتم نفساً ففيه وجهان أحدهما أن تكون هذه الآية وإن تأخرت فهي مقدمة في المعنى على الآية التي ذكرت فيها البقرة ويكون التأويل وإذ قتلتم نفساً فادارأتم فيها فسألتم موسى فقال لكم إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة فأخر المقدم وقدم المؤخر ومثل هذا في القرآن وكلام العرب كثير ومثله الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً قيماً قال الشاعر

إن الفرزدق صخرة ملمومة ... طالت فليس تنالها الأوعالا

أي طالت الأوعال فليس تنالها ومثله

طاف الخيال وأين منك لماما ... فارجع لزورك بالسلام سلاما

أراد طاف الخيال لماماً وأين هو منك والوجه الثاني أن يكون وجه تأخير قوله وإذ قتلتم نفساً أنه علق بما هو متأخر في الحقيقة وواقع بعد ذبح البقرة وهو قوله تعالى فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى لأن الأمر بضرب المقتول ببعض البقرة إنما هو بعد الذبح فكأنه قال فذبحوها وما كادوا يفعلون ولأنكم قتلتم نفساً فادارأتم فيها أمرناكم أن تضربوه ببعضها ليتكشف أمره

وأما إخراج الخطاب مخرج ما يتوجه إلى الجميع مع أن القاتل واحد فعلى عادة العرب في خطاب الأبناء بخطاب الآباء والأجداد وخطاب العشيرة بما يكون من أحدها فيقول فعلت بنو تميم كذا وقتل بنو فلان فلاناً وإن كان القاتل أو الفاعل واحداً من بين الجماعة ومنه قراءة من قرأ فيقاتلون في سبيل الله فيُقتلون ويَقتلون بتقديم المفعولين على الفاعلين وهو اختيار الكسائي وأبي العباس ثعلب والمعنى فيقتل بعضهم ويقتلون وهو أبلغ في وصفهم وأمدح لهم لأنهم إذا قاتلوا وقتلوا بعد أن قتل بعضهم كان ذلك أدل على شجاعتهم وقلة خوفهم وحسن صبرهم وقد قيل إنه كان القاتلان اثنين قتلا ابن عم لهما وإن الخطاب جرى عليهما بلفظ الجمع كما قال تعالى وكنا لحكمهم شاهدين يريد داود وسليمان عليهما السلام والوجه الأول أولى وأقوى لشهادة الاستعمال الظاهر له ولأن أكثر أهل العلم على أن القاتل كان واحداً ومعنى فادارأتم فتدارأتم أي تدافعتم أي ألقى بعضكم القتل على بعض يقال دارأت فلاناً إذا دافعته وداريته إذا لاينته ودريته إذا ختلته ويقال ادّرأ القوم إذا تدافعوا والهاء في ادارأتم فيها تعود إلى النفس وقيل إنها تعود على القتلة أي اختلفتم في القتلة لأن قتلتم يدل على المصدر والقتلة من المصادر التي تدل عليها الأفعال ورجوع الهاء إلى النفس أولى وأشبه بالظاهر فأما قوله تعالى كذلك يحيي الله الموتى فالإشارة وقعت به إلى قيام المقتول عند ضربه ببعض أعضاء البقرة لأنه روي أنه قام حياً وأوداجه تشخب دماً فقال قتلني فلان ونبه الله تعالى بهذا الكلام وبذكر هذه القصة على جواز ما أنكره مشركو قريش واستبعدوه من البعث وقيام الأموات لأنهم قالوا أئذا كنا عظاماً ورفاتاً أئنا لمبعوثون خلقاً جديداً فأخبرهم الله تعالى بأن الذي أنكروه واستبعدوه هين عليه غير متعذر في اتساع قدرته وكان مما ضرب لهم من الأمثال ونبههم عليه من الأدلة ذكر المقتول الذي ضرب ببعض البقرة فقام حياً وأراد تعالى أنني إذا كنت قد أحييت هذا المقتول بعد خروجه عن الحياة ويأس قومه من عوده وانطوى عنهم خبر كيفية قتله عنهم ورددته حياً مخاطباً باسم

صح تدافعوا

فانه ذكر لكم فاعلموا ان احياء جميع الاموات عند البعث لا يعجزني ولا يبعد علي وهذا بين لمن تامله

قال السيد قدس الله روحه ومن الشعر المشهور بالجودة في ذم الدنيا والتذكير بمصائبها ونوائبها

قول نهشل بن حري يرثي اخاه مالكا

ذكرت اخي المحمول بعد بائس فهاج علي ذكراه اشتياقي

فلا انسى اخي ما دمت حيا واخواني بافنية العتاق

يجرون الفضال الى الندامى بروض الحزن من كنفي اباق

ويعلون السباء اذا انوه بضمر الخيل والشول الحقاق

اذا اتصلوا وقالوا يال عوف ورا حوافي المحبرة الرقاق

اجاب كل اروع شمري رخي البال منطلق الخناق

اناس صالحون نشات فيهم فاودوا بعد الف واتساق

مضوا لسبيلهم ولبثت عنهم ولكن لا محالة من لحاق

كذا الالف الذي اذ جن عنه فجعت ولا يتوق لما يلاق

ارى الدنيا ونحن نعيث فيها مولية تهيا لانطلاق

اعاذل قد بقيت بقاء قيس وما حي على الدنيا بباق

كان الشيب والاحزان تجري الى نفس الفتى فرسا سباق

فاما الشيب يدركه واما بلاء في حقفة فيها يلاقي

فان تك لمتي بالشيب اضحت شميط اللون واضحة المشاق

فقد اغدو اداجيه اذا ني بها المنطلقان من البراق

الداجية اللمة السوداء واداني اقاعل من المداناة

الى كانهن ظبا قفر برهبي او بناجعي وفتاق

260

بر امضى الجبال العفر وضل ولبس وصال حنلي بالرتماف

وعهد الغانيات كعهد قين ونت عنه الجعائل مستذاف

القين الحداد والجعائل جمع جعالة وهي الاجرة واراد ان القين اذا عدم الجعالة رحل

كجلب السوء يعجب من راه ولا يشفي الحوائم من لماف

الجلب الغيم الذي لا مطر معه والحوائم العطاش ولماف شي

فلا يبعد مضائي في المواسي واسراقي العلاية وانصفاقي

وغبراء القتام جلوت عني بنجلي الطرف سالمة المآقي

وقد طوفت في الآفاق حتى سئمت النص بالقلص العتاق

وكم قاسيت من سنة جماد تعض اللحم ما دون العراق

اذا اغنيتها بدلت اخرى اعد شهورها عد الاواقي

فافنتني الشهور وليس تفنى وتعداد الاهلة والمحاق

وما يبقى الحوادث ليث غاب يجر لعرسه جزر الرفاق

ولا بطل تفادى الخيل منه فراد الطعن من ريح بعاق

واحسن حارثة بن بدر الغداني في قوله

يا كعب ما راح من قوم ولا ابتكروا الا وللموت في آثارهم حادي

يا كعب ما طلعت شمس ولا غربت الا تقرب آجالا لميعاد

اذا انقطعت عني من العيش مدتي فان بكاء الباكيات قليل

سيعرض عن ذكري وتنسى مودتي ويحدث بعدي للخليل خليل

اجلك قوم حين صرت الى الغنى وكل غني في العيون جليل

وليس الغنى الا غنى زين الفتى عشية يقري او غداة ينيل

جواد

ولم يفتقر يوماً وإن كان معدماً ولم يستغن قط بخيل
إذا مالت الدنيا إلى المرء رغبت إليه ومال الناس حيث يميل
أرى علل الدنيا علي كثيرة وصاحبها حتى الممات عليل
وإني وإن أصبحت بالموت موقناً فلي أمل دون اليقين طويل

وقد أحسن البحتري في قوله في هذا المعنى

أخي متى خاصمت نفسك فاحتشدها ومتى حدثت نفسك فاصدق
أرى علل الأشياء شتى ولا أرى التجمع إلا علة للتفرق
أرى العيش ظلاً يوشك الشمس نقله فكن في ابتغاء العيش كيساً أو حمق
أرى الدهر غولاً للنفوس وإنما يقي الله في بعض المواطن من يتقي
فلا تتبع الماضي سؤالك لم مضى وعرج على الباقي فسائله لم بقي
ولم أر كالدنيا حليلة صاحب محب متى تحسن بعينيه تطلق
تراها عياناً وهي صنعة واحد فتحسبها صنعي لطيف وأخرق

وشك يوشك سرع فإن عدي بالف النقل كان من شك متعد به

وقد قيل إن السبب في خروج البحتري عن بغداد في آخر أيامه كان هذه الأبيات لأن بعض أعدائه شنع عليه بأنه ثنوي من حيث قال فتحسبها صنعي لطيف وأخرق وكانت العامة حينئذ غالبة على البلد فخاف على نفسه فقال لابنه أبي الغوث قم يا بني حتى نطفئ عنا هذه النائرة بخرجة نلم فيها ببلدنا ونعود فخرج ولم يعد وأحسن أيضاً غاية الإحسان في قوله

أعنى الخطوب فأما حين ما ذنبي فيها أسيراً أن يحكمن نادبي
إن تلتمس تمر أخلاف الخطوب وإن تلبث مع الدهر تسمع بالأعاجيب

وفي قوله

متى تستزد فضلاً من العمر تغترف بسجليك من شهد الخطوب وصابها
تشذ بنا الدنيا بأخفض سعيها وغول الأفاعي بلة من لعابها

بسر بعلم أن الدنيا مضلة وعلم أنها منا نفس من خسر إهابها
ولم أرض الدنيا أوان مجيئها فكيف ارتضائيها أوان ذهابها
أقول لمكذوب عن الدهر زاغ عن تخير آراء الحجى وانتخابها
سيرديك أو يثويك أنك مخلس إلى شفقة يبليك بعد مآبها
وهل أنت في مرموسة طال أخذها من الأرض إلا حفنة من ترابها

مكذوب عن الدهر أي مغرور به

يثويك — حثوة — طال أخذها يعني أنها حفرة مستطيلة

ووجدت الآمدي يروي في هذا البيت أنك محبس بالباء وتفسير ذلك أنك موقوف إلى أن تصير إلى هذا من قولك أحبست فرساً في سبيل الله وأحبست داراً أي وقفتها والرواية المشهورة أنك مُحلس باللام والمعنى أنك متهيئ للرحيل متخذ حلساً والحلس هو الكساء الذي يوضع تحت الرحل وهذا أشبه بالمعنى الذي قصده البحتري وأولى أن يختار مع رقة طبعه وسلاسة ألفاظه

مجلس آخر ع تأويل آية

إن سأل سائل عن قوله تعالى هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها فلما تغشاها حملت حملاً خفيفاً فمرت به فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحاً لنكونن من الشاكرين فلما آتاهما صالحاً جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون فقال أليس ظاهر هذه الآية يقتضي جواز الشرك على الأنبياء لأنه لم يتقدم إلا ذكر آدم وحواء عليهما السلام فيجب أن يكون قوله جعلا له شركاء فيما آتاهما يرجع إليهما

الجواب قلنا كما أن ذكر آدم وحواء عليهما السلام قد تقدم فقد تقدم أيضاً ذكر غيرهما في قوله هو الذي خلقكم ومعلوم أن المراد بذلك جميع ولد آدم وقد تقدم أيضاً ذكر ولد آدم في قوله فلما آتاهما صالحاً والمعنى فلما آتاهما ولداً صالحاً والمراد بهذا الجنس دون الواحد وإن كان اللفظ لفظ واحد والمعنى فلما آتاهما جنساً من الأولاد صالحين وإذا كان الأمر على ما ذكرناه جاز أن يرجع قوله جعلا له شركاء إلى ولدهما وقد تقدم ذكرهم فإن قيل إنما وجب رده إلى آدم وحواء لأجل التثنية في الكلام ولم يتقدم ذكر اثنين إلا ذكرهما قلنا إن جعل هذا الضمير راجعاً إليهما جاز أيضاً أن يجعل قوله في آخر الآية فتعالى الله عما يشركون

وجهاً مقوياً بالرجوع الكلام الى جملة الاولاد ويجوز ان يكون اشير في التثنية الى الذكور والاناث من ولد آدم
او الى جنسين منهم فحسنت التثنية لذلك على انه اذا تقدم في الكلام امران ثم تلاهما حكم من الاحكام علم
بالدليل استحالة تعلقه باحد الامرين وجب رده الى الآخر واذا علمنا ان آدم عليه السلام لا يجوز عليه الشرك
لم يجز عود الكلام اليه فوجب عوده الى المذكورين من ولده وذكر ابو علي الجبائي في هذا المعنى نورده
بعينه قال انما عنى بها ان الله تعالى خلق بني آدم من نفس واحدة لان الاضمار في قوله تعالى خلقكم انما
عنى به بني آدم والنفس الواحدة التي خلقهم منها هي آدم لانه خلق حواء من آدم ويقال انه خلقها من ضلع
من اضلاعه فرجعوا جميعاً الى انهم خلقوا من آدم وبين ذلك بقوله تعالى وخلق منها زوجها لانه عنى به انه
خلق من هذه النفس زوجها وزوجها هو حواء وعنى بقوله فلما تغشاها حملت حملاً خفيفاً ان حملها ما يوجبها
منه في ابتداء الحمل لانه في ذلك الوقت خفيف عليها وعنى بقوله فمرت به ان مرورها بهذا الحمل وتصرفها
به كان عليها سهلاً لخفته فلما كبر الولد في بطنها ثقل ذلك عليها فهو معنى قوله اثقلت وثقل عليها عند
ذلك المشي والحركة وعنى بقوله دعوا الله ربهما انهما عند كبر الولد في بطنها فقالا لئن آتيتنا يا رب دعوا
نسلاً صالحاً لنكونن من الشاكرين لنعمك علينا لانهما ارادا ان يكون لهما اولاد يونسونهما في الموضع
الذي كانا فيه لانهما كانا فردين مستوحشين فكان اذا غاب احدهما عن الآخر بقي الآخر مستوحشاً بلا
مونس فلما آتاهما نسلاً صالحاً معافى وهم الاولاد الذين كانوا يولدون لهما لان حواء كانت تلد في كل
بطن ذكراً وانثى فيقال انها ولدت خمسمائة بطن الف ولد وعنى بقوله فلما آتاهما صالحاً جعلا له
شركاء فيما آتاهما اي ان هذا النسل الصالح الذين هم ذكر وانثى جعلا له شركاء فيما آتاهما من نعمه و
اضافا تلك النعم الى الذين اتخذوهم آلهة مع الله عز وجل من الاصنام والاوثان ولم يعن بقوله جعلا
آدم وحواء عليهما السلام لان آدم لا يجوز عليه الشرك بالله لانه نبي من انبيائه ولو جاز الشرك والكفر
على الانبياء لما جاز ان يثق احد بما يؤدونه الينا عن الله عز وجل لان من جاز عليه الكفر جاز عليه الكذب
ومن جاز عليه الكذب لا يوخذ باخباره فصح بهذا ان الاضمار في قوله جعلا له انما يعني النسل وانما ذكر

ذلك على سبيل التثنية لانهم كانوا ذكراً وانثى فلما كانوا صنفين جاز ان يجعل اخباره عنهما كالاخبار
عن الاثنين اذا كانا صنفين وقد دل على صحة تاويلنا هذا قوله تعالى في آخر الآية فتعالى الله عما يشركون
فبين ان الذين جعلوا لله شركاء هم جماعة فلهذا جعل اضمارهم اضمار الجماعة فقال يشركون ومضى
كلام ابي علي . وقد قيل في قوله فلما آتاهما صالحاً مضافاً الى الوجه المتقدم الذي هو انه اراد بالصلاح
الاستواء في الخلقة والاعتدال في الاعضاء وجه آخر وهو انه لو كان اراد الصلاح في الدين لكان الكلام
ايضاً مستقيماً لان الصالح في الدين قد يجوز ان يكفر بعد صلاحه فيكون في حال صالحاً وفي آخر مشركاً
وهذا لا يتنافى وقد استشهد في جواز الانتقال من خطاب الى غيره ومن كناية عن مذكور الى مذكور سواه بصحيح
ما قلناه من الانتقال من الكناية عن آدم وحواء الى ذكر ولدهما بقوله تعالى انا ارسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً لتؤمنوا بالله ورسوله يعني الرسول عليه السلام ثم قال وتسبحوه وهو يعني مرسل الرسول فالكلام واحد
متصل بعضه ببعض والخطاب منتقل من واحد الى غيره وبقول الهذلي

يا لهف نفسي كان جدة خالد ... وبياض وجهك للتراب الاعفر

ولم يقل بياض وجهه وقال كثير

اسيئي بنا او احسني لا ملومة ... لدينا ولا مقلية ان تقلت

فخاطب ثم ترك الخطاب وقال آخر

فدى لك ناقتي وجميع اهلي ... ومالي انه منه اتاني

ولم يقل منك اتاني قال السيد قدس الله روحه ووجدت ابا مسلم بن بحر يحمل هذه الآية على ان
الخطاب في جميعها غير متعلق بآدم وحواء ويجعل الهاء في تغشاها والكناية في دعوا الله ربهما ولئن آتيتنا
صالحاً راجعين الى من اشرك ولم يتعلق بآدم وحواء من الخطاب الا قوله خلقكم من نفس واحدة لان الاشارة في
قوله خلقكم من نفس واحدة الى الخلق عامة وكذلك في قوله تعالى وجعل منها زوجها ثم خص منها بعضهم كما قال تعالى
هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة فخاطب الجماعة بالتسيير في البر والبحر
ثم خص راكب البحر بقوله وجرين بهم بريح طيبة كذلك هذه الآية اخبرت عن جملة امر البشر وانهم مخلوقون
من نفس واحدة وزوجها وهما آدم وحواء عليهما السلام ثم عاد الذكر الى الذي سأل الله تعالى ما سأل

ولدهما صح

تال

... خطاب الرسول عليه السلام ... ثم قال وتعزروه وتوقروه يعني النبي

فلما اعطاه اياه ادعى الشركاء في عطيته قال وجائز ان يكون عنى بقوله هو الذي خلقكم من نفس واحدة المشركين خصوصا اذ كان كل بني آدم مخلوقا من نفس واحدة وزوجها ويجوز ان يكون المعنى في قوله خلقكم من نفس واحدة خلق كل واحد منكم من نفس واحدة وهذا قد يجيء كثيرا في القرآن وفي كلام العرب قال الله تعالى والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة اي فاجلدوا كل واحد منهم ثمانين جلدة وقال عز وجل ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها فلكل نفس زوج هو منها اي من جنسها فلما تغشاها اي تغشى كل نفس زوجها حملت حملا خفيفا وهو ماء الفحل فمرت به اي مارت به والمور التردد والمراد تردد هذا الماء في رحم هذه الحامل فلما اثقلت اي ثقل حملها بمصير ذلك الماء لحما ودما وعظما دعوا الله ربهما اي الرجل والمرأة لما استبان حمل المرأة فقالا لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين فلما آتاهما اي اعطاهما ما سألا من الولد الصالح نسبا ذلك الى شركائهما فتعالى الله عما يشركون وقال قوم معنى جعلا له شركاء اي طلبا من الله امثالا للولد الصالح فشركا بين الطلبتين وتكون الهاء في قوله له راجعة الى الصالح لا الى الله تعالى ويجري مجرى قول القائل طلبت مني درهما فلما اعطيتك شركته بآخر اي طلبت آخر مضافا اليه وعلى هذا الوجه لا يمتنع ان يكون قوله جعلا والخطاب كله متوجها الى آدم وحواء عليهما السلم

مجلس آخر عا تاويل آية

ان سأل سائل عن قوله تعالى قال اتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون فقال اليس ظاهر هذا القول يقتضي انه خالق لاعمال العباد لان ما هاهنا بمعنى الذي فكانه قال خلقكم وخلق اعمالكم الجواب قلنا قد حمل اهل الحق هذه الآية على ان المراد بقوله وما تعملون اي ما تعملون فيه من الحجارة والخشب وغيرهما كانوا يتخذونه اصناما ويعبدونها قالوا وغير منكر ان يريد بقوله تعالى وما تعملون ذلك كما انه قد اراد بما ذكرناه بقوله اتعبدون ما تنحتون لانه لم يرد انكم تعبدون نحتكم الذي هو فعلكم بل اراد ما تفعلون فيه النحت كما قال تعالى في عصا موسى تلقف ما يأفكون وتلقف ما صنعوا وانما اراد

ان العصا تلقف الحبال التي اظهروا سحرهم فيها وهي التي حلتها صنعتهم وافكهم فقال ما صنعوا وما يأفكون واراد ما صنعوا فيه وما يأفكون فيه ومثله قوله تعالى يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وانما اراد المعمول فيه دون العمل وهذا الاستعمال ايضا سائغ شائع لانهم يقولون هذا الباب عمل النجار وفي الخلخال هذا من عمل الصائغ وان كانت الاجسام التي اشير اليها ليست اعمالا لهم وانما عملوا فيها فحسن اجراء هذه العبارة فان قيل كل الذي ذكرتموه وان استعمل فعلى وجه المجاز والاتساع لان العمل في الحقيقة لا يجري الا على فعل الفاعل دون ما يفعل فيه وان استعير في بعض المواضع قلنا ليس يسلم لكم ان الاستعمال الذي ذكرناه على سبيل المجاز بل نقول هو المفهوم الذي لا يستفاد سواه لان القائل اذا قال هذا الثوب عمل فلان لم يفهم منه الا انه عمل فيه وما رأينا احدا قط يقول في الثوب بدلا من قوله هذا من عمل فلان هذا مما حله عمل فلان فالاول اولى بان يكون حقيقة وليس ينكر ان يكون الاصل في الحقيقة ما ذكروه ثم انتقل بعرف الاستعمال الى ما ذكرناه وصار احق به ومما لا يستفاد من الكلام سواه كما انتقلت الفاظ كثيرة على هذا الحد والاعتبار بالمفهوم من الالفاظ انما استقر عليه استعمالها دون ما كانت عليه في الاصل ووجب ان يكون المفهوم والظاهر من الآية ما ذكرناه على انا لو سلمنا ان ذلك مجاز وجب المصير اليه من وجوه فيها ما يشهد به ظاهر الآية ويقتضيه ولا يسوغ سواه وفيها ما تقتضيه الادلة القاطعة الخارجة عن الآية فمن ذلك انه تعالى اخرج الكلام مخرج التقريع لهم والتوبيخ لافعالهم والازراء على مذاهبهم فقال اتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون ومتى لم يكن قوله وما تعملون المراد به ما تعملون فيه ليصير تقدير الكلام اتعبدون الاصنام التي تنحتونها والله خلقكم وخلق هذه الاصنام التي تعملون فيها التخطيط والتصوير لم يكن للكلام معنى ولا مدخل في باب التوبيخ ولصير على ما يجري به الخالف كانه قال اتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وخلق عبادتكم فاي وجه للتقريع وهذا الى ان يكون عذرا اقرب منه الى ان يكون لوما وتوبيخا واذا خلق عبادتهم للاصنام فاي وجه للوم عليها والتقريع بهم

بما علم ان قوله عز وجل والله خلقكم وما تعملون بعد قوله اتعبدون ما تنحتون انما خرج مخرج التحليل
للمنع من عبادة غيره فلا بد من ان يكون متعلقا بما تقدم من قوله اتعبدون ما تنحتون ومؤثرا في المنع
من عبادة غير الله فلو افاد قوله تعالى ما تعملون نفس العمل الذي هو النحت دون المعمول فيه لكان لا
فائدة في الكلام لان القوم لم يكونوا يعبدون النحت وانما كانوا يعبدون محل النحت ولانه كان لا
حظ في الكلام للمنع من عبادة الاصنام وكذلك ان حمل قوله ما تعملون على اعمال اخر ليست نحتهم ولا شي
مما عملوا فيه لكان اظهر في باب اللغو والعبث والبعد عن التعلق بما تقدم فلم يبق الا انه اراد انه خلقكم
وما تعملون فيه النحت فكيف تعبدون مخلوقا مثلكم **فان قيل** الم زعمتم انه لو كان الامر على ما
ذكرناه لم يكن للقول الثاني حظ في باب المنع من عبادة الاصنام وما تنكرون ان يكون لما ذكرناه وجه في
المنع من ذلك كما ان ما ذكرتموه ايضا لو ازيد لكان وجها وهو ان من خلقنا وخلق الافعال فينا لا يكون الا
الاله القديم الذي تحق له العبادة وغير القديم تعالى كما يستحيل ان يخلقنا يستحيل ان يخلق فينا
الافعال على الوجه الذي يخلقها القديم عليه فصار لما ذكرناه تاثير **قلنا** معلوم ان الثاني اذا
كان كالتعليل الاول والمؤثر في المنع من العبادة فلان يتضمن انكم مخلوقون وما تعبدونه اولى من ان
ينصرف الى ما ذكرتموه مما لا يقتضي اكثر من خلقهم دون خلق ما عبدوه وانه لا شي ادل على المنع من
عبادة الاصنام من كونها مخلوقة كما ان عابدها مخلوق ويشهد بما ذكرناه قوله تعالى في موضع اخر
ايشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون ولا يستطيعون لهم نصرا ولا انفسهم ينصرون فاحتج تعالى عليهم
في المنع من عبادة الالهة دونه بانها مخلوقة لا تخلق شيئا ولا تدفع عن انفسها ضرا ولا عنهم وهذا
واضح على انه لو ساوى ما ذكروه ما ذكرناه في التعلق بالاول لم يسغ حمله على ما ادعوه لان فيه
عذرا لهم في الفعل الذي عوقبوا به وقرعوا من اجله وفيه ان يوبخهم بما يعذرهم ويذمهم بما
يبرئهم على ما تقدم على انا نسلم ان من يفعل افعال العباد ويخلقها يستحق العبادة لان من جملة
افعالهم القبائح ومن فعل القبائح لا يكون الها ولا تحق العبادة له فخرج ما ذكروه من ان يكون

264

مؤثرا في انفراده بالعبادة على ان اضافته العمل اليهم بقوله تعملون يبطل تاويلهم هذه الاية لانه لو
كان خالقا لها لم يكن عملا لهم لان العمل انما يكون عملا لمن احدثه واوجده فكيف يكون عملا لهم والله
خلقه وهذه مناقضة فثبت بهذا ان الظاهر شاهد لنا ايضا على ان قوله تعالى وما تعملون يقتضي
الاستقبال وكل فعل لم يوجد فهو معدوم ومحال ان يقول تعالى اني خالق للمعدوم **فان قالوا**
اللفظ وان كان للاستقبال فالمراد به الماضي فكانه قال والله خلقكم وما عملتم **قلنا** هذا عدول
منكم عن الظاهر الذي ادعيتم انكم متمسكون به وليس انتم بان تعدلوا عنه باولى منا بل نحن احق لانا
نعدل عنه لدلالة وانتم تعدلون بغير حجة **فان قالوا** فانتم تعدلون عن هذا الظاهر بعينه على
تاويلكم وتحملون لفظ الاستقبال على لفظ الماضي **قلنا** لا نحتاج نحن في تاويلنا الى ذلك
لانا اذا حملنا قوله تعالى وما تعملون على الاصنام المعمول فيها ومعلوم ان الاصنام موجودة قبل
عملهم فيها فجاز ان يقول تعالى اني خلقتها ولا يجوز ان يقول اني خلقت ما سيقع من العمل في المستقبل
على انه لو اراد بذلك على الجملة لا ما عملوا فيه على ما ادعوه لم يكن في الظاهر حجة على ما يريدون لان الخلق
هو التقدير والتدبير وليس يمتنع في اللغة ان يكون الخالق خالقا لفعل غيره اذا قدره ودبره
الا ترى انهم يقولون خلقت الاديم وان لم يكن الاديم فعلا لمن يقال ذلك فيه ويكون معنى خلقه
لافعال العباد انه مقدر لها ومعرف لنا مقاديرها ومراتبها وما به يستحق عليها من الجزاء
وليس يمتنع ان يقال انه خالق للاعمال على هذا المعنى اذا ان نفع الابهام وفهم المراد وهذا كله
تقتضيه الاية ولو لم يكن في الاية شي مما ذكرناه مما يوجب العدول عن حمل قوله تعالى وما تعملون
على خلق نفس الاعمال لوجب ان نعدل بها عن ذلك ونحملها على ما ذكرناه للادلة العقلية الدالة
على انه تعالى لا يجوز ان يكون خالقا لاعمالنا وان تصرفنا محدث بنا ولا فاعل له سوانا وكل هذا
واضح بين

قال السيد واني لاستحسن لبعض نساء بني اسد قولها
الم تر نا غبنا ماء نا زمانا فظلنا نكد البئار ا

شيئين

فلما غدا الماء اوطانه وجف الثماد فصارت جرادا
وضجت الى ربها في السماء رؤوس العضاه تناجي السرارا
وفتحت الارض افواهها عجيج الجمال وردن الجفارا
لبسنا لذي عطن ليلة على الياس اثوابنا والخمارا
وقلنا اعيروا الندى حقه وصبرا الحفاظ ونولوا الجوارا
فان الندى لعصى مرة يرد الى اهله ما استعارا
فبينا نوطن احشاءنا اضاء لنا عارض فاستطارا
واقبل يزحف زحف الكسير سياق الرعاء البطاء العشارا
تعج وتضحك حافاته خلال الغمام وتبكي مرارا
كانا نضيء لنا قرحة تشدد ازرا ويلقي ازارا
فلما خشينا بان لا نجاء وان لا يكون قرار فرارا
اشار له آمر فوقه هلم فأم الى ما اشارا

وانشد ابو هفان

لولا اتقاء الله قمت بمفخر لا يبلغ الثقلان فيه مقامي
بابوة في الجاهلية سادة بنوا العلى امراء في الاسلام
جادوا فسادوا واما نعيب اذا انتموا لبدا انهم بذل لدى الاقوام
قد انجبوا في السودد بن وانجبوا بنجابة الاخوال والاعمام
قوم اذا سكتوا تكلم مجدهم عنهم فاخرس دونهم كل كلام

وقالت امراة من بني سعد بن بكر

ابا اخوتي الملزمي ملامة اعيذكما بالله من مثل ما بيا
سالتكما بالله الا جعلتما مكان الاذى واللوم ان تاويا ليا
ايا اثلات الهلالي فانني شطون النوى تحتل منعرضا يمانيا

اشم كغصن البان جعد مرجل شغفت به لو كان شيئا مدانيا
فان لم اوسد ساعدي بعد هجعة غلاما هلاليا فشلت بنانيا
ثكلت ابي ان كنت ذقت كريقه سلافا ولا ماء الغمامة غاديا

الهلالية

الم تكتبن لمة ثم تنتهي به حلة يطلبن برقا يمانيا
الا ليتنا والنفس تشكو للمنى تمانون ان امسى حبيب يمانيا

ولها

واني لاهوى القصد ثم يردني عن القصد ميلات الهوى فاميل
وما وجد مسجون بصنعاء موثق بساقيه من حبس الامير كبول
وما الليل مولى مسلم بجريرة له بعد ما نام العيون عويل
باكثر مني لوعة يوم راعني فراق حبيب ما اليه سبيل

ولعمرة بنت العجلان اخت عمرو ذي الكلب بن العجلان الكاهلي ترثي اخاها عمرا وكان غزا غارا انه نائما فوثب عليه نمران فاكلاه فوجدت فهم سلاحه فادعت قتله

سالت بعمرو واخي صحبه فافظعني حين ردوا السؤالا
فقالوا اتيح له نائما اعز السباع عليه اجالا
اتيح له نمرا اجبل فنالا لعمرك منه منالا
فاقسمت يا عمرو لو نبهاك اذا نبها منك امرا عضالا
اذا نبها ليث عريسة مفيتا مفيدا نفوسا ومالا
هزبرا فروسا لاعدائه هصورا اذا لقي القرن صالا
هما مع تصرف ريب المنون من الارض ركنا ثبيتا اما لا
هما يوم حم له يومه وقال اخو فهم بطلا وقالا
وقالوا قتلناه في غارة باية انا ورثنا النبالا

كانهما نهوا بهم وتكذيبهم اى بعلامة ان ورثتم النبالا

فهلا من قبل ريب المنون وقد كان رحلا وكنتم رجالا — يقال رجل ورجال
وقد علمت فهم يوم اللقاء بانهم لك كانوا نفالا — لنفال الغنائم
كانهم لم يحسوا به فيخلوا النساء له والحجالا
ولم ينزلوا بمحول السنين به فيكونوا عليهم عيالا — فيخلوا انتصب جواب النفى بالفاء
وقد علم الضيف والمجتدون اذا اغبر افق وهبت شمالا
وخلت عن اولادها المرضعات ولم تر عين لمزن بلالا
بانك كنت الربيع المغيث لمن يعتريك وكنت الثمالا
وخرق نجاوزت مجهولة بوجناء حرف تشكى الكلالا — مجهولة
فكنت النهار به شمسه وكنت دجى الليل فيه الهلالا
وخيل سمت لك فرسانها فولوا ولم يستقلوا اقبالا — اى شيئا قليلا كما تقول قليلا ولا كثيرا
وكل قبيل وان لم تكن اردتهم منك باتوا وجالا

مجلس اخر — تاويل اية

ان سال سائل عن قوله تعالى ولا ينفعكم نصحى ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم هو ربكم واليه ترجعون فقال ليس ظاهر هذه الاية يقتضى ان نصح النبى عليه السلم لا ينفع الكفار الذين اراد الله بهم الكفر والغواية وهذا خلاف مذهبكم الجواب قلنا ليس فى ظاهر الاية ما يقتضى خلاف مذهبنا لانه تعالى لم يقل انه فعل الغواية واراده وانما اخبر بان نصح النبى لا ينفع ان كان الله يريد غوايتهم ووقوع الارادة لذلك او جوازه لا دلالة عليه فى الظاهر على ان للغواية هاهنا الخيبة وحرمان الثواب ويشهد بصحة ما ذكرناه فى هذه اللفظة قول الشاعر
ثم يلوحين يحمد الناس امره ومن يغو لا يعدم على الغى لائما

266

فكانه تعالى قال ان كان الله يريد ان يخيبكم ويعاقبكم بسوء عملكم وكفركم ويحرمكم ثوابه فليس ينفعكم ما دمتم مقيمين على ما انتم عليه الا ان تقلعوا وتتوبوا وقد سمى الله تعالى العقاب غيا فقال فسوف يلقون غيا وما قبل هذه الاية يشهد لما ذكرناه وان القوم استعجلوا عقاب الله تعالى فقالوا يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين فقال انما ياتيكم به الله ان شاء وما انتم بمعجزين ولا ينفعكم نصحى الاية فاخبر ان نصحه لا ينفع من يريد الله ان ينزل به العذاب ولا يغنى عنه شيا وقال جعفر بن حرب ان الاية تتعلق بانه كان فى قوم نوح طائفة تقول بالجبر فنبههم الله تعالى بهذا القول على فساد مذاهبهم وقال لهم على طريق الانكار عليهم والتعجب من قولهم ان كان القول كما تقولون من ان الله تعالى يفعل فيكم الكفر والفساد فما ينفعكم نصحى فلا تطلبوا منى نصحا فانتم على قولكم لا تنتفعون به وهذا جيد وروى عن الحسن البصرى فى هذه الاية وجه صالح وهو انه قال المعنى فيها ان كان الله يريد ان يعذبكم فليس ينفعكم نصحى عند نزول العذاب بكم وان قبلتموه وامنتم لان من حكم الله تعالى ان لا يقبل الايمان عند نزول العقاب وكل هذا واضح فى زوال الشبهة فى الاية — قال السيد قدس الله روحه ومن مستحسن ما قيل فى صفة المصلوب قول ابى تمام الطائى من قصيدة يمدح بها ابا المعتصم ويذكر قتل الافشين وصلبه وحرقه

ما زال سر الكفر بين ضلوعه حتى اصطلى سر الزناد الوارى — سر الزناد النار المخبوة فيها
نارا يساور جسمه من حرها لهب كما عصفرت شق ازار — كان المعتصم صلبه ثم احرقه
طارت لها شعل يهدم لفحها اركانه هدما بغير غبار
فصلن منه كل مجمع مفصل وفعلن فاقرة بكل فقار — الفاقرة الداهية
مشبوبة رفعت لاعظم مشرك ما كان يرفع ضوءها للسارى
صلى لها حيا وكان وقودها ميتا ويدخلها مع الكفار
وكذا اهل النار فى الدنيا هم يوم القيمة جل اهل النار

يا مشهدا صدرت بفرحته إلى ... أمصارها القصوى بنو الأمصار
رمقوا أعالي جذعه فكأنما ... رمقوا الهلال عشية الإفطار
واستنشقوا منه قتارا نشره ... من عنبر ذفر ومسك داري (خ: واستنشأوا)
وتحدثوا عن هلكه بحديث من ... بالبدو عن متتابع الأمطار
قد كان بوأه الخليفة جانبا ... من قلبه حرما على الأقدار
فسقاه ماء الخفض غير مصرد ... وأنامه في الأمن غير غرار
ولقد شفى الأحشاء من برحائها ... أن صار بابك جار مازيار
ثانيه في كبد السماء ولم يكن ... لاثنين ثان إذ هما في الغار
وكأنما انتبذا لكيما يطويا ... عن ناطس خبرا من الأخبار
سود اللباس كأنما نسجت لهم ... أيدي السموم مدارعا من قار
بكروا وأسروا في متون ضوامر ... قيدت لهم من مربط النجار
لا يبرحون ومن رآهم خالهم ... أبدا على سفر من الأسفار
كادوا النبوة والهدى فتقطعت ... أعناقهم في ذلك المضمار

ناطس بطريق عمورية

وله يذكر

صلب بابك

لما قضى رمضان منه قضاءه ... شالت به الأيام في شوال
ما زال مغلول العزيمة سادرا ... حتى غدا في القيد والأغلال
مستبسلا للبأس طوقا من دم ... لما استبان فظاظة الخلخال
أهدى لمتن الجذع متنيه كذا ... من عاف متن الأسمر العسال
لا كعب أسفل موضعا من كعبه ... مع أنه عن كل كعب عال
سام كأن العز يجذب ضبعه ... وسموه من ذلة وسفال
متفرعا أبدا وليس بفارع ... من لا سبيل له إلى الأشغال

مستهلا للبأس طوقا من دم
أي مستقبلا للقتل واللباس بمعنى اللبس
أي لبس طوقا من دم أي صار الدم له طوقا

قال السيد ومن عجيب الأمور أن أبا العباس أحمد بن عبيد الله بن عمار يستجيد هذه الأبيات المفرطة في الحسن في جملة معايب أبي تمام وما أخرجه من غلطه وسقطه ويقول في عقبها ولم يسمع بشعر وصف فيه مصلوب أغث من هذا الوصف وأين كان عن مثل قول إبراهيم بن المهدي يصف ابن بابك في قصيدة يمدح بها المعتصم

ما زال يعنف بالنعمى فينفرها ... عنه الغموط ووافته الأراصيد
حتى علا جيد رأس يخط مجتمعا ... كما علا أبدا ما أورق العود
يا بقعة ضربت فيها علاوته ... وعينه ودوين أعضائه البيد
بوركت أرضا وأوطانا مباركة ... ما عنك في الأرض للتقديس تعريد
لو تقدر الأرض حجتك البلاد فلا ... يبقى على الأرض إلا حج جلمود
لم يبك إبليس إلا حين أبصره ... في بزته وهو فوق الفيل مصفود
كناقة النحر هي تحت زينتها ... وحد شفرتها للنحر محدود
ما كان أحسن قول الناس يومئذ ... يوم ببابك هذا أم يوم العيد
صيرت جثته جيدا لباسقة ... جرداء والرأس منه ما له جيد
فأضحى تلعب هوج العاصفات به ... على الطريق صليبا طرفه عود
كأنه شلو كبش في الهواء له ... تنور شاويه والجذع سفود

وهكذا ينبغي أن يطعن على أبيات أبي تمام من يستجيد هذه الأبيات ويفرط في تقريظها ولين من جهل شيئا عدل عن الخوض فيه والكلام عليه فكان ذلك أولى به وأبيات أبي تمام في نهاية القوة وجودة المعاني والألفاظ وسلامة السبك واطراد النسج وأبيات ابن المهدي مضطربة الألفاظ مختلفة النسج متفاوتة الكلام وما فيها شيء يجوز أن يوضع علينا البيد إلا قوله

حتى علا جيد رأس يخط مجتمعا ... كما علا أبدا ما أورق العود

ويجرى البيت الأخير وإن كان بارد الألفاظ وقد أحسن مسلم بن الوليد في قوله

ما زال يعنف بالنعمى ويغمطها حتى استقلّ به عودٌ على عودِ
نصبته حيث ترتاب الرياح به وتحسد الطير فيه أضبع البيدِ

وللبحتري في هذا المعنى من قصيدة يمدح فيها أبا سعيد أوّلها

لا دمنةٌ بلوى خبتٍ ولا طلل يردّ قولاً على ذي لوعة يسل
إن عزّ دمعك في آي الرسوم فلم يصب عليها فعندي أدمعٌ ذلل
هل أنت يوماً معيري نظرةً فترى في دمل بشر بن عمرو أسير هار ملك
حتى النوى بحراه ما لها وطن غير النوى وجبال ما لها عقل
تأتي به البرد من أقصى الثغور إلى أدنى العراق سراعاً دأبها عجل
يسر من راءه منكوساً تجاذبه أيدي الشمال فضولاً كلها فضل
أمسى يرد جبين الشمس جانبه عن بابك وهو في الباقين مشتغل
نقاد نواتين من فوع ومنخفض على ما أتى ما قالوا وما فعلوا
ردّ الهجير الحامي بعد شعلتها سوداً فعادوا أشياباً بعد ما اكتهلوا
سما له جابل الإسهاد في لمة من المنايا فأمسى وهو محتبك
حالي الذراعين والساقين لو صدقت له المنى لتمنى أنها عطل
من نخل مطبق باب الشام في نفر أسرى يرود دون ذا إنهم قتلوا
غابوا عن الأرض أنأى غيبة وهم فيها فلا وصل إلا الكتب والرسل

وله في هذا المعنى

ما زلت تقرع باب بابك بالقنا وتزوره في غارة شعواءِ
حتى أخذت بنصل سيفك عنوةً منه الذي أعيا على الأمراءِ
أخليت منه البذّ وهي قراره ونصبته علماً بسامراءِ

يقول فيها

اى حملة بغال البريد

اى فضول الأعراض ثيابه وشعره لأنه منكوس

اى برد هذا المصلوب حر الشمس عن بابك لأنه مصلوب ينع ظلا على بابك وقوله في الباقين مشتغل يعني الشمس

ذنب اشعل خالطه بياض والشعل بياض في الناصية أو الذنب

اى هو مغلول مقيد

يعني النجم

لم يبق فيه خوف بأسك مطعماً للطير في عودٍ ولا إبداءِ
فتراه مطرداً على أعواده مثل اطّراد كواكب الجوزاءِ
مستشرفاً للشمس منتصباً لها في أخريات الجذع كالحرباءِ

مجلس آخر تأويل آية

إن سأل سائل عن قوله تعالى شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه فقال كيف أخبر تعالى بأنه أنزل فيه القرآن وقد أنزله في غيره من الشهور على ما جاءت به الرواية والظاهر يقتضي أنه أنزل الجميع فيه وما المعنى في قوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه وهل أراد الإقامة والحضور الذين هما ضدّ الغيبة أو أراد المشاهدة والإدراك الجواب

قلنا أما قوله تعالى أنزل فيه القرآن فقد قال قوم إن المراد به أنه تعالى أنزل القرآن جملة واحدة إلى سماء الدنيا في شهر رمضان ثم فرّق إنزاله بعد ذلك على نبيه صلى الله عليه وآله بحسب الحاجة إليه و قال آخرون المراد بقوله أنزل فيه القرآن أنه أنزل في فرضه وإيجاب صومه على الخلق القرآن فيكون فيه بمعنى في فرضه كما يقول القائل أنزل الله في الزكاة كذا وكذا يريد في فرضها وأنزل الله في الخمر كذا وكذا يريد في تحريمها وهذا الجواب إنما هرب متكلّفه من شيء وظن أنه قد اعتصم بجوابه عنه وهو بعد ثابت على ما كان عليه لأن قوله القرآن إذا كان يقتضي ظاهره إنزال جميع القرآن فيجب على هذا الجواب أن يكون قد أنزل في فرض الصيام جميع القرآن ونحن نعلم أن قليلاً من القرآن يتضمن إيجاب صوم شهر رمضان وأن أكثره خالٍ من ذلك فإن قيل المراد بذلك أنه أنزل في فرضه شيئاً من القرآن وبعضاً منه قيل فإذا اقتصر على هذا وحمل الكلام على أنه تعالى أنزل شيئاً من القرآن في شهر رمضان ولم يحتج إلى أن يجعل لفظة فيه بمعنى في فرضه وإيجاب صومه والجواب الصحيح أن قوله تعالى القرآن في هذا الموضع لا يفيد العموم والاستغراق وإنما يفيد الجنس من غير معنى الاستغراق فكأنه تعالى قال شهر رمضان الذي أنزل فيه هذا الجنس من الكلام فأي شيء نزل منه في

الشهر فقد طابق الظاهر وليس لاحد ان يقول ان الالف واللام ها هنا لا يكونان الا للعموم والاستغراق
لانا لو سلمنا ان الالف واللام صيغة العموم والصورة المقتضية لاستغراق الجنس لم يجب ان يكون كاملا
بهذه الصفة لان هذه اللفظة قد تستعمل في مواضع كثيرة من الكلام ولا يقاد بها اكثر من الاشارة
الى الجنس والطبيعة من غير استغراق وعموم حتى يكون حمل كلام المتكلم بها على خصوص او عموم كالناقض
لغرضه والمنافي لمراده الا ترى ان القائل اذا قال فلان يأكل اللحم ويشرب الخمر وضرب الامير اليوم اللصوص
وخاطب الجند لم يفهم من كلامه الا محض الجنس والطبيعة من غير معنى خصوص ولا عموم حتى لو قيل له
فلان يأكل جميع اللحم او يشرب جميع الخمر او بعضها لكان جوابه انني لم ارد عموما ولا خصوصا وانما اريد
انه يأكل هذا الجنس من الطعام ويشرب هذا الجنس من الشراب فمن فهم من كلامي العموم او الخصوص فهو
بعيد من فهم مرادي واري كثيرا من الناس يغلطون في هذا الموضع فيظنون ان الاشارة الى الجنس من غير
ارادة العموم والاستغراق ليست مفهومة حتى يحملوا قول من قال اردت الجنس في كل موضع على العموم
وهذا بعيد ممن يفطنه لانه كما ان العموم والخصوص مفهومان في بعض المواضع بهذه الالفاظ فكذلك
الاشارة الى الجنس والطبيعة من غير ارادة عموم ولا خصوص مفهومة متميزة وقد ذكرنا امثلة
ذلك ❊ فاما قوله تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه فاكثر المفسرين حملوه على ان المراد به من
ادرك الشهر وشاهده وبلغ اليه وهو متكامل الشروط فليصمه وذهب في معنى شهد الى معنى الادراك
والمشاهدة وقد طعن قوم علينا وبلي ابي علي وقالوا ليس يحتمل الكلام الا الوجه الاول وليس الامر
على ما ظنوه لان الكلام يحتمل الوجهين معا وان كان للقول الاول ترجيح ومزية على الثاني من
حيث يحتاج في الثاني من الاضمار الى اكثر مما يحتاج اليه في الاول لان على القول الاول لا
يحتاج الى اضمار الاقامة وان تعلق الشهر لان قوله فمن شهد يقتضي الاقامة وانما يحتاج الى
اضمار ما في الشروط من الامكان والبلوغ وغير ذلك وفي القول الثاني يحتاج مع كل ما ظهرناه
في القول الاول الى اضمار الاقامة ويكون التقدير فمن شاهد الشهر وهو مقيم مطيق بالغ الى

سائر الشروط من هذا الوجه كان الاول اقوى وليس لاحد ان يقول ان شهد بنفسه من غير
محذوف لا يدل على الاقامة وذلك ان الظاهر من قولهم في اللغة فلان شاهد اذا اطلق ولم يضف
افادة الاقامة في البلد وهو عندهم ضد الغائب والمسافر وان كانوا اذا ما اضافوا فقالوا فلان
شاهد لكذا او شهد فلان كذا او لم يريدوا هذا المعنى ففي اطلاق شهد دلالة على الاقامة من
غير تقدير محذوف وهذه جملة كافية بحمد الله ❊ قال السيد قدس الله روحه وجدت
ابا العباس بن عمار يعيب على ابي تمام قوله

لما استحر الوداع المحض وانصرمت ... اواخر الصبر الا كاظما وجما
رايت احسن مرئي واقبحه ... مستجمعين لي التوديع والعنما

قال ابو العباس وهذا قد ذكر مثله من شاعر متقدم وهو ان جمع بين كلمتين احديهما الاثنا شبهة الاخرى وهو
قول الكميت

بيضا وشفتيها حوة لعس ... وفي اللثات وفي انيابها شنب

قال فقال الطائي مستجمعين لي التوديع والعنما فجعل المنظر القبيح للتوديع والتوديع لا يستقبح
وانما تستقبح عاقبته وهي الفراق وجعل المنظر الحسن الخضاب وشبهه بالعنم ولم يذكر
الانامل المخضبة وانما سمع قول المجنون

ويبدي الحصى منها اذا قذفت به ... من البرد اطراف البنان المخضب

قال وهذا هو الاصل استعاره الناس من بعد فقال الشاعر

النشر مسك والوجوه دنانير ... واطراف الاكف عنم

واغرب ابو نواس في قوله

تبكي فتذري الدر من نرجس ... وتلطم الورد بعناب

قال فلم يحسن هذا العلج ان يستعير شيئا من محاسن القائلين ❊ قال السيد وهذا غلط
من ابن عمار وسفه على ابي تمام لان الكميت جمع بين شيئين متباعدين وهما الدل والشكل
والجلادة وحسن الهيئة والشنب وهو برد الاسنان وتحدد عليه من ذلك بعض العيب وابو تمام

جمع بين شيئين غير مفيد فمن لا ان التوديع انما اشار به لي ما اشارت اليه باصبعها من وداعه
عند الفراق ويشبه مع ذلك اصابعها بالعنم والعنم نبت اغصانه غضة دقاق فتشبه الاصابع
وقيل ان العنم اطراف غصنه غضة وهي العطابة الصغيرة البيضاء وبها تشبه بنان الاصبع البيضاء الغضة
وهذا حكاه صاحب كتاب العين وقيل ان العنم نبت له نور احمر فيشبه به الاصابع المخضوبة فوجه
حسن قوله التوديع والعنم ان التوديع كان بالاصبع التي تشبه العنم فجمع بينهما لذلك فلا حاجة الى ذكر
الانامل المخضبة على ما ظن ابو العباس بل ذكر المشبه به احسن وافصح من ان يقول التوديع والانامل
التي تشبه العنم فاما قوله ان التوديع لا يستقبح وانما يستقبح عاقبته فخطأ ومطالبة للشاعر
بما لا يطالب به احد الشعراء لان التوديع اذا كان مؤذنا بالفراق وبعد الدار وغيبة المحبوب فلا محالة
انه مكروه مستقبح وقوله تستقبح عاقبته صحيح الا ان ما يعقبه ويثمره لما كان عند حضوره متيقنا
مذكورا عاد الاستكراه والاستقباح اليه ونحن نعلم ان الناس يكرهون ويستقبحون تناول الاشياء
الملذة من الاغذية وغيرها اذا علموا ان في عواقبها من المكروه وكان من قدم اليه طعام مسموم واعلم
بذلك يكرهه ويستقبح تناوله لما يتوقعه من سوء عاقبته وان كان ملذا في الحال ولم تزل الشعراء
تذكر كراهيتها للوداع وهي تهاهته لما يتصور فيه من الم الفراق وغصص الاشتياق وهذا مشهور
معروف وقد قال ابو تمام

الفه النحيب كم افتراق اظل فكان داعية اجتماع
وليست فرحة الاوبات الا لموقوف على ترح الوداع

فجعل للوداع ترحا يقابل فرح الاياب وهذا صحيح فاما قول جميل

اتنسى اذ تودعنا سليمى بفرع بشامة سقي البشام

فانه دعا للبشام وهو شجر بالسقيا لانها ودعته عنده فسر بتوديعها وقول الشاعر

من يكن يكره الفراق فاني اشتهيه لموضع التسليم
ان فيه اعتناقة لوداع وانتظار اعتناقة القدوم

الصحيح انها اشارت اليه بقضيب بشام مودعة فدعا للبشام لان الوداع كان عنده

من شأن الشعراء ان يتصرفوا في المعاني بحسب اغراضهم ومقاصدهم فاذا اراد احدهم مدح شيء قصد
الى احسن اوصافه فذكرها واشاد بها حتى كانه لا وصف له غير ذلك الوصف الحسن واذا اراد
ذمه قصد الى اقبح احواله فذكرها حتى كانه لا شيء فيه غير ذلك وكل مصيب بحسب قصده ولهذا ترى
احدهم يقصد الى مدح الشيب فيذكر ما فيه من وقار وخشوع وان للعمر معه اطول وما اشبه ذلك
وهذه سبيلهم في كل شيء يصفونه ولمدحهم موضعه ولذمهم موضعه فمن ذم الوداع لما فيه من
الانذار بالفراق وبعد الدار فقد ذهب مذهبا صحيحا كما ان من مدحه لما فيه من القرب من المحبوب
والسرور بالنظر اليه وان كان يسيرا فقد ذهب ايضا مذهبا صحيحا ومن غلط ابن عمار القبيح
قوله بعد ان انشد شعر المجنون زال وهذا هو الاصل ثم استعاره الناس من بعد فقال الشاعر

النشر مسك والوجوه دنانير واطراف الاكف عنم

وهذا البيت للمرقش الاكبر وهو والمرقش الاصغر جميعا كانا على عهد مهلهل بن ربيعة وشهدا
حرب بكر بن وائل فكيف يكون قول المرقش الاكبر بعد قول المجنون لولا الغفلة

مجلس آخر ٤٥ تأويل آية

ان سأل سائل عن قوله تعالى واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون فقال كيف يكون ذلك والفرقان هو القرآن
ولم يؤت موسى القرآن وانما اختص به محمد صلى الله عليه وسلم الجواب قلنا قد ذكر
في ذلك وجوه اولها ان يكون الفرقان بمعنى الكتاب المتقدم ذكره وهو التوراة فلا يكون
هاهنا اسما للفرقان المنزل على محمد صلى الله عليه وآله ويحسن نسقه على الكتاب لمخالفته للفظه
كما قال تعالى الكتاب والحكمة وان كانت الحكمة مما يتضمنها الكتاب وكتب الله تعالى كلها فرقان
يفرق بين الحق والباطل والحلال والحرام ويستشهد على هذا الوجه بقول طرفة

فما لي اراني وابن عمي مالكا متى ادن منه ينأ عني ويبعد

فنسق ينأ على يبعد وهو هو بعينه وحسن ذلك اختلاف اللفظين وقال عدي بن زيد

وقد منت الادم لن اهنئه والفى فوها كذبا ومينا

والمين الكذب وثانيها ان يكون الكتاب عبارة عن التورية والفرقان انفراق البحر الذي اوتيه موسى عليه السلم وثالثها ان يراد بالفرقان الفرق بين الحلال والحرام والفرق بين موسى واصحابه المؤمنين وبين فرعون واصحابه الكافرين لان الله تعالى قد فرق بينهم في امور كثيرة منها انه نجا هولاء وغرق اولئك ورابعها ان يكون الفرقان المراد به القرآن المنزل على نبينا ويكون المعنى في ذلك واتينا موسى التورية والتصديق والايمان بالفرقان الذي هو القرآن لان موسى عليه السلم كان مؤمنا بمحمد صلى الله عليه وآله وبما جاء به ومبشرا ببعثته وساغ حذف القبول والايمان والتصديق وما جرى مجراه واقامة الفرقان مقامه كما ساغ في قوله تعالى واسئل القرية وهو يريد اهل القرية وخامسها ان يكون المراد بالفرقان القرآن ويكون تقدير الكلام واذ آتينا موسى الكتاب الذي هو التورية وآتينا محمدا الفرقان فحذف ما حذف مما يقتضيه الكلام كما حذف الشاعر في قوله

تراه كان الله يجدع انفه وعينيه ان مولاه كان له وفر

اراد ويفقأ عينيه لان الجدع لا يكون بالعين فاكتفى بيجدع من يفقأ وقال الآخر

تسمع للاحشاء منه لغطا ولليدين جسأة وبددا

اى وترى لليدين لان الجسأة والبدد لا يسمعان وانما يريان وقال الآخر

علفتها تبنا وماء باردا حتى شتت همالة عيناها

اراد وسقيتها ماء باردا فدل علفت على سقيت وقال الآخر

يا ليت بعلك قد غدا متقلدا سيفا ورمحا اراد وحاملا رمحا قال السيد

ووجدت ابا بكر ابن الانبارى يقول ان الاستشهاد بهذه الابيات على هذا الوجه لا يجوز لان الابيات اكتفى فيها بذكر فعل عن ذكر فعل غيره والآية اكتفى فيها باسم دون اسم والامر وان كان على ما قاله في الاسم والفعل فان موضع الاستشهاد صحيح لان الاكتفاء في الابيات بفعل عن فعل انما حسن

حيث دل الكلام على المحذوف والمضمر واقتضاه فحذف تعويلا على ان المراد مفهوم غير ملتبس ولا مشتبه وهذا المعنى قائم في الآية وان كان المحذوف اسما لان اللبس قد زال والشبهة قد امنت في المراد بها فحسن الحذف لان الفرقان اذا كان اسما للقرآن وكان من المعلوم ان القرآن انما انزل على نبينا صلى الله عليه وسلم دون موسى عليه السلم استغنى عن ان يقال واتينا محمدا الفرقان كما استغنى الشاعر عن ان يقول ويفقأ عينيه وترى لليدين جسأة وبددا وما شاكل ذلك الا انه يمكن ان يقال فيما استشهد به في جميع الابيات ما لا يمكن ان يقال مثله في الآية وهو ان يقال انه لا محذوف فيها ولا تقدير لفعل مضمر بل الكلام في كل بيت منها محمول على المعنى ومعطوف عليه لانه لما قال تراه كان الله يجدع انفه وكان معنى الجدع هو الافساد للعضو والتشويه به عطف على المعنى فقال وعينيه فكانه قال تراه كان الله يفسد انفه ويشوهه ثم قال وعينيه وكذلك لما كان الشاعر للغط من الاحشاء على ما به عطف على المعنى فقال ولليدين جسأة وبددا اى انه يعلم هذا وذاك معا وكذلك لما كان في علفت معنى غذيت عطف عليه الماء لانه مما يغتذى به وكذلك لما كان المتقلد للسيف حاملا له جاز ان يعطف عليه الرمح المحمول وهذا اولى في الطعن على الاستشهاد بهذه الابيات مما ذكره ابن الانبارى

اخبرنا ابو الحسن على بن محمد الكاتب قال اخبرنا محمد بن يحيى الصولى قال اخبرنا محمد بن على بن يحيى المنجم قال اخبرنا احمد بن يحيى بن جابر البلاذرى عن الهيثم بن عدى قال لما دخل خالد بن صفوان الاهتمى على هشام بن عبد الملك وذلك بعد عزله خالد بن عبد الله القسرى قال فالفيته جالسا على كرسى في بركة ماؤها الى الكعبين فدعا لى بكرسى فجلست عليه فقال يا خالد رب خالد جلس مجلسك كان اوطأ بقلبى واحب الى منك فقلت يا امير المؤمنين ان حلمك لا يضيق عنه فلو صفحت عن جرمه فقال لا يا خالد ان خالدا ادل فامل واوجف فاعجف ولم يدع لراجع مرجعا ولا للعودة موضعا قال الا اخبرك عنه يا بن صفوان قلت نعم قال اما انه ما بدانى بسؤال حاجة مذ قدم العراق حتى اكون انا الذي ابدؤه بها قال خالد فقلت ذلك احرى ان ترجع له فقال متمثلا

إذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكد إليه بوجه آخر الدهر تقبل

ثم قال يا حاجبك يا ابن صفوان فقلت نعم يرزقني عطاء عشرة دنانير فأطرق ثم قال ولم وفيم العبادة أحدثتها فنعينك عليها أو لبلاء حسن أبليته أمير المؤمنين لم لماذا يا ابن صفوان إذن يكثر السؤال ولا يحتمل ذلك بيت المال قال فقلت يا أمير المؤمنين وفقك الله وسددك فأنت والله كما قال أخو خزاعة

إذا المال لم يوجب عليك عطاءه قرابة قربى أو صديق توامقه
منعت وبعض المنع حزم وقوة ولم يفتلذك المال إلا حقائقه

فلما جاء خالد البصرة قيل له ما الذي حملك على تزيين الإمساك له قال أحببت أن يمنع غيري فيكثر من يلومه

قال السيد وكان خالد مشهورا بالبلاغة وحسن العبارة وبالإسناد المتقدم عن المدائني قال قال حفص معوية بن عمرو الغلابي قلت لخالد يا أبا صفوان إني لأرى أن أتوق وأنت من أيسر أهل البصرة فلا يكفيك إلا الإماء قال فابغني امرأة قلت صفها لي أطلبها لك قال أريد بكرا كثيبا أو ثيبا كبكر لا ضرعا صغيرة ولا مسنة كبيرة لم تقرأ فتجبن ولم تفت فتجن قد نشأت في نعمة وأدركتها خصاصة فأدبها الغنى وأذلها الفقر حسبي من جمالها أن تكون فخمة من بعيد مليحة من قريب وحسبي من حسبها أن تكون واسطة في قومها ترضى مني بالسنة إن عشت أكرمتها وإن مت ورثتها لا ترفع رأسها إلى السماء بطرا ولا تضعه إلى الأرض سقوطا فقلت يا أبا صفوان إن الناس في طلب هذه منذ زمان ما يقدرون عليها، وكان يقول إن المروءة لو خف محملها وقلت مؤونتها لما ترك اللئام فيها للكرام بيتة ليلة ولكن ثقل محملها وعظمت مؤونتها فاجتنبها الكرام وحاد عنها اللئام، وكان خالد من أشح الناس وأبخلهم كان إذا أخذ جائزة أو غيرها قال لله درهم أما والله لطالما اغتربت في البلاد وانجدت وأتهمت لأطيلن ضجعتك ولأديمن صرعتك، وسأله رجل من بني تميم فأعطاه دانقا فقال يا سبحان الله تعطي مثلي دانقا فقال إنه لو أعطاك كل رجل من بني تميم ما أعطيتك لرحت ذا مال عظيم، وسأله رجل فأعطاه درهما فاستقله

طويل

منك

فقال يا أحمق أما علمت أن الدرهم عشر العشرة والعشرة عشر المائة والمائة عشر الألف والألف عشر دية مسلم، وكان يقول والله ما تطيب نفسي بإنفاق درهم إلا درهما قرعت به باب الجنة أو درهما اشتريت به موزا، وقال لأن يكون لي ابن يحب الخمر أحب إلي من أن يكون لي ابن يحب اللحم لأنه متى طلب اللحم وجده والخمر يغيب أحيانا، وكان يقول من كان ماله كفافا فليس بغني ولا فقير لأن النائبة إذا نزلت أجحفت بكفافه ومن كان ماله دون الكفاف فهو فقير ومن كان ماله فوق الكفاف فهو غني، وكان يقول لأن يكون لأحدكم جار يخاف أن ينقب عليه بيته خير له من أن يكون له جار من التجار لا يشاء أن يعطيه مالا ويكتب به صكا إلا فعل

مجلس آخر عه تأويل آية

إن سأل سائل عن قوله تعالى قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون فقال كيف يخبر عنهم بأنهم لا يكذبون نبيه ومعلوم منهم إظهار التكذيب والعدول عن الاستجابة والتصديق وكيف ينفي عنهم التكذيب ثم يقول إنهم بآيات الله يجحدون وهل الجحد بآياته إلا تكذيب نبيه عليه السلم

الجواب قلنا قد ذكر في هذه الآية وجوه أولها أن يكون إنما نفى تكذيبهم بقلوبهم تدينا واعتقادا وإن كانوا مظهرين بأفواههم التكذيب لأنا نعلم أنه قد كان في المخالفين له عليه السلم من يعلم صدقه ولا ينكر بقلبه حقه وهو مع ذلك يعاند فيظهر خلاف ما يبطن وقد قال تعالى وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون ومما يشهد لهذا الوجه من طريق الرواية ما رواه سلام بن مسكين عن أبي يزيد المدني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقي أبا جهل فصافحه أبو جهل فقيل له أتصافح هذا الصابئ فقال والله إني لأعلم أنه نبي ولكن متى كنا تبعا لبني عبد مناف فأنزل الله الآية، وفي خبر آخر أن الأخنس بن شريق خلا بأبي جهل فقال له يا أبا الحكم أخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب فإنه ليس هاهنا من قريش أحد غيري وغيرك يسمع كلامنا فقال له أبو جهل ويحك والله إن محمدا الصادق وما كذب قط ولكن إذا ذهب بنو قصي باللواء

كذا
هو الأخنس بن شريق

والحجابة والسقاية والندوة والسبوة ماذا يكون لسائر قريش والوجه الثاني ان يكون
معنى فانهم لا يكذبونك انهم لا يفعلون ذلك بحجة ولا يتمكنون من ابطال ما جئت به ببرهان وانما يقتصرون
على الدعوى الباطلة وهذا في الاستعمال معروف لان القائل يقول فلان لا يستطيع ان يكذبني ولا
يدفع قولي وانما يريد انه لا يتمكن من اقامة دليل على كذبه وحجة في دفع قوله وان كان يتمكن من التكذيب
بلسانه وقلبه فيصير ما يقع من التكذيب من غير حجة ولا برهان غير معتد به وروي عن امير المومنين عليه السلام
انه كان يقرا لا يكذبونك بالتخفيف ويقول ان المراد بها انهم لا ياتون بحق هو احق من حقك و
قال محمد بن كعب القرظي معناها لا يبطلون ما في يديك وكل هذا يقوي هذا الوجه ونبين ان معنى
هذه اللفظة مشددة يرجع الى معناها مخففة والوجه الثالث ان يكون معنى الاية انهم لا يصادفونك
كاذبا ولا يلفونك مفترا كما يقولون قاتلته فما اجبنته اي ما وجدته جبانا وحادثته فما اكذبته
اي لم الفه كاذبا وقال الاعشى   اثوى وقصر ليله ليزودا   فمضى واخلف من قتيلة موعدا
اراد انه صادفها خلفا للوعد ومثله اصممت القوم اي صادفتهم صما واخليت الموضع اذا
صادفته خاليا قال الشاعر   اتيت مع الحداث ليلى فلم ابن   فاخليت فاستعجمت عند خلائي
اي اصبته مكانا خاليا   ومثله ... قول ...
مسرّ ابيا بالدلو ابجا   او سعى من اشدافه المضارجا   لج الكلا
يعني بارق سعى اصبن منابت واسعة فمشين فيها وقال عمرو بن براقة
تحالف اقوام علي ليسمنوا   وجروا علي الحرب اذ انا سالم
يقال اسمن بنو فلان اذا رعت ابلهم فصادفوا فيها سمنا قال ابو النجم
تقول للرائد اعشبت انزل   اي اصبت مكانا معشبا وقال ذو الرمة
تريك بياض لبتها ووجها   كقرن الشمس افتق ثم زالا
اي وجدت فتقا من السحاب وليس لاحد ان يحمل هذا الوجه مختصا بالقراءة بالتخفيف دون التشديد

لان في الوجهين معا يكون هذا الجواب لان فعلت وفعّلت يجوزان في هذا الموضع وافعلت بالتخفيف
هو الاصل في الفعل ثم شدد تاكيدا وافادة لمعنى التكرار وهذا مثل اكرمت وكرّمت واعظمت
وعظّمت واوصيت ووصّيت وابلغت وبلّغت وهو كثير قال الله تعالى فمهل الكافرين
امهلهم رويدا الا ان التخفيف اشبه بهذا الوجه لان استعمال هذه اللفظة مخففة في هذا المعنى
اكثر والوجه الرابع ما حكي عن الكسائي من قوله ان المراد انهم لا ينسبونك الى الكذب
فيما اتيت به لانه كان عندهم امينا صادقا فلم يجربوا عليه كذبا وانما كانوا يدفعون ما اتى به و
يدعون انه في نفسه كذب وفي الناس من يقوي هذا الوجه بان القوم كانوا يكذبون ما اتى به
وان كانوا يصدقونه في انفسهم وبقوله ولكن الظالمين بايات الله يجحدون وبقوله وكذب به
قومك وهو الحق ولم يقل وكذبك قومك وكان الكسائي يقرا فانهم لا يكذبونك بالتخفيف ونافع
من بين سائر السبعة والباقون على التشديد ويزعم ان بين اكذبته وكذبته فرقا وان معنى
اكذبت الرجل انه جاء بكذب ومعنى كذبته انه كذاب في كل حديثه وهذا غلط وليس بين فعلت
وافعلت في هذه الجملة فرق من طريق المعنى اكثر مما ذكرناه من ان التشديد يقتضي التكرار والتاكيد
ومع هذا لا يجوز ان يصدقوه في نفسه ويكذبوا بما اتى به لان من المعلوم انه صلى الله عليه وسلم كان يشهد
بصحة ما اتى به وصدقه وانه الدين القيم والحق الذي لا يجوز العدول عنه فكيف يجوز ان يكون صادقا
في خبره وان كان الذي اتى به فاسدا بل ان كان صادقا فالذي اتى به حق صحيح وان كان الذي اتى
به فاسدا فلا بد من ان يكون في شيء من ذلك كاذبا وهذا تاويل من لا يتحقق المعاني والوجه
الخامس ان يكون المعنى في قوله فانهم لا يكذبونك ان تكذيبك راجع الي وعائد علي ولست المختص
به لانه رسول الله فمن كذبه فهو في الحقيقة مكذب لله تعالى وراد عليه وهذا كما يقول احدنا
لرسوله امض في كذا فمن كذبك فقد كذبني ومن دفعك فقد دفعني وذلك من الله تعالى على سبيل التسلية
لنبيه عليه السلام والتعظيم والتغليظ لتكذيبه   والوجه السادس ان يريد فانهم

لا يكذبونك في الامر الذي توافق فيه كتبهم وان كذبوك في غيره . ويمكن في الآية وجه سابع
وهو ان يريد ان جميعهم لا يكذبونك وان كذبك بعضهم وهم الظالمون الذين ذكرهم في آخر الآية
انهم يجحدون بآيات الله لان الله تعالى انما سلى نبيه عليه السلام بهذا القول وعزاه فلا ينكر ان يكون
عليه السلام لما استوحش من تكذيبهم له وتلقيهم اياه بالرد وظن انه لا متبع له منهم ولا ناصر لدينه
فيهم اخبره الله تعالى بان البعض وان كذبك فان فيهم من يصدقك ويتبعك وينتفع بارشادك و
هدايتك وكل هذا واضح بحمد الله . قال السيد قدس الله روحه ومن جيد الشعر قول
مطرود بن كعب الخزاعي

يا ايها الرجل المحول رحله ... الا نزلت بآل عبد مناف
هبلتك امك لو نزلت عليهم ... ضمنوك من جوع ومن اقراف
الآخذون العهد من آفاقها ... والراحلون لرحلة الايلاف
والمطعمون اذا الرياح تناوحت ... ورجال مكة مسنتون عجاف
والمفضلون اذا المحول ترادفت ... والقائلون هلم للاضياف
والخالطون غنيهم بفقيرهم ... حتى يكون فقيرهم كالكافي
كانت قريش بيضة فتفلقت ... فالمح خالصه لعبد مناف

له خالصه

اما قوله الراحلون لرحلة الايلاف فان هاشما كان صاحب ايلاف قريش الرحلتين واول من سنهما فالفوا
الرحلتين في الشتاء الى اليمن والحبشة والعراق وفي الصيف الى الشام وفي ذلك يقول ابن الزبعرى

عمرو الذي هشم الثريد لقومه ... ورجال مكة مسنتون عجاف
وهو الذي سن الرحيل لقومه ... رحل الشتاء ورحلة الاصياف

فاما المسنتون فهم الذين اصابتهم السنة المجدبة الشديدة . وقوله والخالطون غنيهم بفقيرهم
من احسن الكلام واخصره وانما اراد انهم يفضلون على الفقير حتى يعود غنيا ذا ثروة . ولاحد بن

٢٧٥

274

يوسف ابيات على هذا الوزن والروي يمزح بها مع ولد سعيد بن سلم الباهلي وكان لهم صديقا

ابني سعيد انكم من معشر ... لا يعرفون كرامة الاضياف
قوم لباهلة بن يعصر انهم ... فسبوا احسبتهم لعبد مناف

الا زارة نوا اغنياء

قرنوا الغداء الى العشاء وقربوا ... زادا لعمر ابيك ليس بكاف
وكانني لما حططت اليهم ... رحلي نزلت بابرق العزاف
بينا كذلك اذ اتى كبراؤهم ... يلحون في التبذير والاسراف

اراد بقوله قرنوا الغداء الى العشاء من بخلهم واقتصارهم واختصارهم في المطعم ويقال ان هذا
الشعر حفظ وسار اكثر مما يستحق جودته ونشب فيهم ولرب مزح جر جدا وعثرة الشعر لا تستقال
والشعر يسير بحسب جودته ولقد احسن دعبل في قوله

لا ح بسبب قوتهم

نعوني ولما ينعني غير شامت ... وغير عدو قد اصيبت مقاتله
يقولون ان ذاق الردى مات شعره ... وهيهات عمر الشعر طالت طوائله
ساقضي ببيت يحمد الناس امره ... ويكثر في اهل الرواية حامله
يموت ردي الشعر من قبل ربه ... وجيده يبقى وان مات قائله

ولآخر في هذا المعنى
كانه نهاه عن معارضة الشعراء ويقول انهم اذا اهجوا كلاما ابقوه فسار

لا تعرضن بمزح لامرئ فطن ... ما راضه قلبه اجراه في الشفت
فرب قافية بالمزح جارية ... مشؤومة لم يرد انماؤها نمت
اني اذا قلت بيتا مات قائله ... ومن يقال له والبيت لم يمت

مجلس آخر عو تأويل آية ان سأل سائل عن قوله تعالى
ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين انظر كيف كذبوا على انفسهم وضل عنهم
ما كانوا يفترون . وعن قوله تعالى ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب
بآيات ربنا ونكون من المؤمنين بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم
لكاذبون . فقال كيف يقع من اهل الآخرة نفي الشرك عن انفسهم والقسم بالله تعالى

عليه وهم كاذبون ومع ذلك انهم عندكم في تلك الحال لا يقع منهم شيء من القبيح لمعرفتهم بالله تعالى ضرورة ولانهم ملجؤون هناك الى ترك جميع القبائح وكيف قال من بعد ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون فشهد عليهم بالكذب ثم علقه بما لا يصح فيه معنى الكذب وهو التمني لانهم تمنوا ولم يخبروا **الجواب**

قلنا اول ما نقوله انه ليس في ظاهر الآية ما يقتضي ان قولهم ما كنا مشركين انما وقع في الآخرة دون الدنيا واذا لم يكن ذلك في الظاهر جاز ان يكون الاخبار تناول حال الدنيا وسقطت المسئلة وليس لاحد ان يتعلق في وقوع ذلك في الآخرة بقوله تعالى قبل الآية ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون وانه عقب ذلك بقوله ثم لم تكن فتنتهم فيجب ان يكون الجميع مختصا بحال الآخرة لانه لا يمتنع ان تكون الآية تتناول ما يجري في الآخرة ثم تتلوها آية تتناول ما جرى في الدنيا لان مطابقة كل آية لما قبلها في مثل هذا غير واجب وقوله ثم لم تكن فتنتهم لا يدل ايضا على ذلك ان يكون واقعا بعد ما خبر عنه في الآية الاولى فكانه تعالى قال على هذا الوجه انا نحشرهم في الآخرة ونقول اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون وما كان فتنتهم وسبب ضلالهم في الدنيا الا قولهم والله ربنا ما كنا مشركين وقد قيل في الآية على تسليم ان هذا القول يقع منهم في الآخرة ان المراد به انا ما كنا عند نفوسنا وفي اعتقادنا مشركين بل كنا نعتقد انا على الحق والهدى وقوله تعالى من بعد انظر كيف كذبوا على انفسهم لم يرد في هذا الخبر الذي وقع منهم في الآخرة بل انهم كذبوا على انفسهم في دار الدنيا باخبارهم انهم مصيبون محقون غير مشركين وليس في الظاهر الا انهم كذبوا على انفسهم من غير تخصيص بوقت فلم يحمل على الآخرة دون الدنيا ولو كان للآية ظاهر يقتضي وقوع ذلك في الآخرة لحملناه على الدنيا بدلالة ان اهل الآخرة لا يجوز ان يكذبوا لانهم ملجؤون الى ترك القبيح فاما قوله تعالى حاكيا عنهم يا ليتنا نرد ولا نكذب وقوله وانهم لكاذبون فمن الناس من حمل الكلام كله على وجه التمني وصرف قوله وانهم لكاذبون الى غير الامر الذي تمنوه لان التمني لا يصح فيه الصدق والكذب وانما يدخلان في الاخبار المحضة لان قول القائل ليت الله رزقني ولدا وليت فلانا اعطاني مالا

افعل به كذا وكذا لا يكون كاذبا ولا صادقا وقع ما تمناه او لم يقع فيجوز على هذا ان يكون قوله تعالى وانهم لكاذبون مصروفا الى حال الدنيا كانه قال وهم كاذبون فيما يخبرون به عن انفسهم في الدنيا من الاصابة واعتقاد الحق او يريد انهم كاذبون ان اخبروا عن انفسهم بانهم متى ردوا آمنوا ولم يكذبوا وان كان ما حكي عنهم من التمني ليس بخبر وقد يجوز ايضا ان يحمل قوله تعالى وانهم لكاذبون على غير الكذب الحقيقي بل يكون المراد والمعنى انهم تمنوا ما لا سبيل اليه فكذب املهم وتمنيهم وهذا مشهور في الكلام لانهم يقولون لمن تمنى ما لم يدرك كذب املك واكدى رجاؤك وما جرى مجرى ذلك قال **الشاعر**

كذبتم وبيت الله لا تاخذونها ... مراغمة ما دام للسيف قائم

وقال **الآخر**

كذبتم وبيت الله لا تنكحونها ... بني شاب قرناها تصر وتحلب

ولم يرد الكذب في الاقوال بل في التمني والامل وليس لاحد ان يقول كيف يجوز من اهل الآخرة مع ان معارفهم ضرورية وانهم عالمون بان الرجوع الى الدنيا لا سبيل اليه ان يتمنوه وذلك انه غير ممتنع ان يتمنى المتمني ما يعلم الله انه لا يحصل ولا يقع ولهذا يتعلق التمني بان لا يكون ما قد كان ولقوة اختصاص التمني بما يعلم انه لا يكون غلط قوم فجعلوا ارادة ما علم المريد انه لا يكون تمنيا فهذا الذي ذكرناه وجه في تاويل الآية وفي الناس من يجعل بعض الكلام تمنيا وبعضه اخبارا وعلق تكذيبهم بالخبر دون ليتنا فكان تقدير الآية يا ليتنا نرد وهذا هو التمني ثم قال من بعد فانا لا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين فاخبروا بما علم الله تعالى انهم فيه كاذبون وان لم يعلموا من انفسهم مثل ذلك فلهذا كذبهم وكل هذا واضح بحمد الله

اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثنا احمد بن عبد الله و عبد الله بن يحيى العسكري قالا حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثنا ابو بكر محمد بن عبد الله العبدي قال حدثنا ابو مسعود رجل منا من بني غنم بن عبد القيس قال ورد منصور بن سلمة النمري على البرامكة وهو شيخ كبير وكان مروان بن ابي حفصة صديقا لي على اني كنت ابغضه وامقته في الله فشكا الي فقال دخل اليوم علينا رجل اظنه شاميا وقد تقدمه البرامكة في الذكر عند

خ ابو مسعر

الرشيد فاذن له فدخل فسلم فاجاد فاذن له الرشيد فجلس قال فادخلت منه خوفا فقلت
يا نفس انا حجازي نجدي شافهت العرب وشافهتني وهذا شامي افتراه اشعر مني قال فجعلت ازدو
نفسي الى ان استنشده هرون فاذا هو والله من افصح الناس فدخلني له حسد قال فانشده قصيدة
تمنيت انها لي وان علي غرما قال فقلت له ما هي قال احفظ منها ابياتا وهي

امير المؤمنين اليك خضنا غمار الموت من بلد شطير
بخوص كالاهلة جانفات تميل على السرى وعلى الهجير
حملن اليك آمالا عظاما ومثل الصخر والدر النثير
فقد وقف المديح بمنتهاه وغايته وصار الى المصير
الى من لا يشير الى سواه اذا ذكر الندى كف المشير

قال هرون فوددت انه اخذ جائزتي وسكت وعجبت من تخلصه الى تلك القوافي ثم ذكر ولد امير المؤمنين
علي عليه السلم فاحسن التخلص ورايت هرون يعجب بذلك فقال

بنو لك في رقاب بني علي ومن ليس بالمن اليسير
فان شكروا فقد انعمت فيهم والا فالندامة للكفور
مننت على ابن عبد الله يحيى وكان من الحتوف على شفير
وقد سخطت لسخطتك المنايا عليه فهي حائمة النسور
ولو كافاك ما اجترمت يداه دلفت له بقاصمة الظهور
ولكن جل حلمك واجتباه على الهفوات عفو من قدير
فعاد كانما لم يجن ذنبا وكان قد اجتنى حسك الصدور
وانك حين تبلغهم اذاه وان ظلموا لمحترق الضمير

وان الرشيد قال لما سمع هذا البيت هذا والله معنى كان في نفسي وادخله بيت المال الحكمة فيه قال

هرون وكان هرون يتبسم ويكاد يضحك للطف ما سمع ثم اوما الي ان انشده فانشدته قصيدتي
التي اقول فيها   خلوا الطريق لمعشر عاداتهم حطم المناكب كل يوم زحام
حتى اتيت على آخرها فوالله ما عاج ذلك الرجل يعني النمري بشعري ولا حفل به قال وانشده منصور

ان هرون امام الهدى كنز من راجي ومن بر   بوميد
من بيش ما يبري الليالي ولا يريش اسهم ما يبري
كانما البدر على رحله يرميك منه مقلتا صقر   قال وانشده ايضا
ولمن اضاع لقد وجدتك حافظا لوصية العباس بالاخوال

قال هرون والخليق به ان يغلبني وان يعلو علي عنده فاني ما رايت احسن من تخلصه اذا ذكر الطالبيين
اخبرنا المرزباني قال حدثني ابو عبد الله الحكيمي قال حدثني يموت بن المزرع قال حدثني ابو عثمن
الجاحظ قال كان منصور النمري ينافق الرشيد ويذكر هرون في شعره ويريه انه من وجوه
شيعته وباطنه ومراده بذلك امير المؤمنين علي بن ابي طالب صلوات الله عليه لقول النبي صلى الله عليه وسلم
انت مني بمنزلة هرون من موسى الى ان وشى به عنده بعض اعدائه وهو العتابي فقال يا امير المؤمنين
هو والله الذي يقول   متى يشفيك دمعك من همول ويبرد ما بقلبك من غليل
وانشده ايضا   شاء من الناس راتع هامل يعللون النفوس بالباطل
ومنصور يصرح في هذه القصيدة بالعجائب فوجه الرشيد برجل من فزارة وامره ان يضرب عنق
منصور حيث يقع عينه عليه فقدم الرجل راس عين بعد موت منصور بايام قلائل   قال
المرزباني ويصدق قول الجاحظ ان النمري كان يذكر هرون في شعره يعني امير المؤمنين عليا عليه السلم
ما انشده محمد بن الحسن دريد للنمري

آل الرسول خيار الناس كلهم وخير آل رسول الله هارون
رضيت حكمك لا ابغي به بدلا لان حكمك بالتوفيق مقرون

ورُوي أن أبا عصمة الشيعي لما أوقع بأهل ديار ربيعة أوفدت ربيعة وفداً إلى الرشيد فيهم منصور
النمري فلما صاروا بباب الرشيد أمر باختيار من يدخل عليه منهم فاختاروا وأعدوا ابعد عدد إلى أن اختاروا
رجلين النمري أحدهما ليدخلا ويسألا حوائجهما وكان النمري مؤدباً لم يسمع منه شعر قبل ذلك
ولا عرف به فلما مثل هو وصاحبه بين يدي الرشيد قال لهما قولا ما تريدان فاندفع النمري فأنشده

ما تنقضي حسرة مني ولا جزع ۞ فقال الرشيد قل حاجتك ودع عنك هذا فقال

إذا ذكرت شباباً ليس يرتجع ۞ وأنشده القصيدة حتى أتى إلى قوله

ركب من النمر عاذوا بابن عمهم ۞ من هاشم إذ ألح الأزلم الجذع

متوا إليك بقربى منك تعرفها ۞ لهم بها في سنام المجد مطلع

إن المكارم والمعروف أودية ۞ أحلك الله منها حيث تجتمع

إذا رفعت امرأً فالله رافعه ۞ ومن وضعت من الأقوام متضع

نفسي فداؤك والأبطال معلمة ۞ يوم الوغى والمنايا بينهم قرع

حتى أتى على آخرها فقال ويحك قل حاجتك فقال يا أمير المؤمنين أخربت الديار وأخذت الأموال وهتك
الحرم فقال اكتبوا له بكل ما يريد وأمر له بثلاثين ألف درهم واحتبسه عنده وشخص أصحابه بالكتب
ولم يزل عنده يقول الشعر فيه حتى استأذنه في الانصراف فأذن له ثم اتصل بالرشيد قوله

شاء من الناس راتع هامل ۞ يعللون النفوس بالباطل

تقتل ذرية النبي ويرجون ۞ خلود الجنان للقاتل

ما الشك عندي في كفر قاتله ۞ لكنني قد أشك في الخاذل

فامتعض الرشيد وأنفذ من يقتله فوجده في بعض الروايات ميتاً وفي الأخرى عليلاً لما به فسأل
الرسول ألا يأثم فيه وأن ينتظر موته ففعل ولم يبرح حتى توفي وعاد يخبر موته إلى هارون و
للنمري ۞ لو كنت أخشى معادي حق خشيته ۞ لم تسم عيني إلى الدنيا ولم تنم

لكنني عن طلاب الدين محتبل ۞ والعلم مثل الغنى والجهل كالعدم

يحاولون دخولي في سوادهم ۞ لقد أطافوا بصدع غير ملتئم

ما يطلبون النصارى واليهود على ۞ حب القلوب ولا العباد للصنم

مجلس آخر ۞ تأويل آية ۞ إن سأل سائل عن قوله تعالى
وإذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت فقال كيف يصح أن يسأل من لا ذنب له ولا عقل وأي فائدة في
سؤالها عن ذلك وما وجه الحكمة فيه وما الموءودة ومن أي شيء اشتقاق هذه اللفظة ۞ الجواب
قلنا أما معنى سئلت ففيه وجهان أحدهما أن يكون المراد أن قاتلها طولب بالحجة في قتلها وسئل
عن قتله لها وبأي ذنب كان على سبيل التوبيخ والتعنيف وإقامة الحجة فالقتلة ههنا هم المسؤولون
على الحقيقة لا المقتولة وإنما المقتولة مسؤول عنها ويجري هذا مجرى قولهم سألت حقي أي طالبت به
ومثله قوله تعالى وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولاً أي مطالباً به ومسؤولاً عنه والوجه الآخر
أن يكون السؤال توجه إليها على الحقيقة على سبيل التوبيخ لقاتلها والتقريع له والتنبيه على أنه لا حجة
له في قتلها ويجري هذا مجرى قوله تعالى لعيسى عليه السلام أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين
من دون الله على طريق التوبيخ لقومه وإقامة الحجة عليهم ۞ فإن قيل على هذا الوجه كيف يخاطب
ويسأل من لا عقل له ولا فهم ۞ فالجواب أن في الناس من زعم أن الغرض بهذا القول إذا كان تبكيت
الفاعل وتهجينه وإدخال الغم عليه في ذلك الموقف على طريق العقاب لم يمتنع أن يقع وإن لم يكن من
الموءودة فهم له لأن الخطاب وإن علق عليها وتوجه إليها فالغرض في الحقيقة غيرها ويجري هذا مجرى
من ضرب ظالم طفلاً له من ولده وأقبل على ولده يقول لم ضربت وما ذنبك وبأي شيء استحل
هذا منك وغرضه تبكيت الظالم لا خطاب الطفل فالأولى أن يقال في هذا إن الأطفال وإن كان من جهة
العقول لا يجب في وصولهم إلى الأعواض المستحقة أن يكونوا كاملي العقول كما يجب مثل ذلك في الوصول
إلى الثواب فإن الخبر متظاهر والأمة متفقة على أنهم في الآخرة وعند دخولهم الجنان يكونون على

أكمل الهيئات وأفضل الأحوال وأن عقولهم تكون كاملة فعلى هذا يحسن توجه الخطاب إلى الموءودة
لأنها تكون في تلك الحال ممن يفهم الخطاب ويعقله وإن كان الغرض فيه التبكيت للقاتل وإقامة الحجة
عليه وقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام وابن عباس ويحيى بن يعمر ومجاهد ومسلم بن صبيح وأبي الضحى
ومروان وأبي صالح وجابر بن زيد أنهم قرؤوا سألت بفتح السين والهمزة وإسكان التاء بأي ذنب قتلت
وروى القطعي عن سليمان الأعمش عن حفص عن عاصم قتلت بضم التاء الثانية وفي سئلت مثل قراءة
الجمهور بضم السين وروي عن أبي جعفر المدني قتلت بالتشديد وإسكان التاء الثانية وروي عن بعضهم
وإذا المودة بفتح الميم والواو فأما من قرأ سألت بفتح السين فيمكن فيه الوجهان اللذان ذكرناهما
من أن الله تعالى أكملها في تلك الحال وأقدرها على النطق والوجه الآخر أن يكون معنى سألت
أي سئل لها وطولب بحقها وانتصف لها من ظالمها فكأنها هي السائلة تجوزا واتساعا ومن قرأ بفتح
السين من سألت وبضم التاء الثانية من قتلت فعلى أنها هي المخاطبة بذلك ويجوز على هذا الوجه أيضا
قتلت بإسكان التاء الأخيرة كقراءة الجماعة لأنه إخبار عنها كما يقال سأل زيد بأي ذنب ضرب
وبأي ذنب ضربت ويقوي هذه القراءة في سألت ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من قوله يجيء
المقتول ظلما يوم القيمة وأوداجه تشخب دما اللون لون الدم والريح ريح المسك متعلقا
بقاتله يقول يا رب سل هذا فيم قتلني فأما القراءة المأثورة عن حفص عن عاصم في ضم التاء الأخيرة
من قتلت مع ضم السين من سئلت فمعناها وإذا الموءودة سئلت ما تبغي فقالت بأي ذنب قتلت
فأضمر ما سئلت عنه وأضمر قولها وقد تضمر العرب مثل هذا لدلالة الخطاب عليه وارتفاع
الإشكال عنه مثل قوله تعالى وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسمعيل ربنا تقبل منا إنك
أنت السميع العليم أي ويقولان ذلك ونظائره في القرآن كثيرة جدا فأما قراءة من قرأ قتلت
بالتشديد فالمراد به تكرار الفعل والموءودة وإن كان لفظها لفظ واحدة فالمراد بها الجنس
وإرادة التكرار جائزة فأما من قرأ المودة بفتح الميم والواو فقال أن يكون المراد الرحم والقرابة

وأنه يسأل قاطعها عن سبب قطعها وتضييعها قال الله تعالى فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا
في الأرض وتقطعوا أرحامكم فأما الموءودة فهي المقتولة صغيرة وكانت العرب في الجاهلية تئد
البنات بأن يدفنوهن أحياء وهو قوله تعالى أيمسكه على هون أم يدسه في التراب وقوله قد
خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم ويقال إنهم كانوا يفعلون ذلك لأمرين أحدهما أنهم
كانوا يقولون إن الملائكة بنات الله فألحقوا البنات بالله فهو أحق بالبنات والأمر الآخر أنهم
كانوا يقتلونهن خشية الإملاق قال الله تعالى ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم
قال السيد ووجدت أبا علي الجبائي وغيره يقول إنما قيل لها موءودة لأنها ثقلت بالتراب
الذي طرح عليها حتى ماتت وفي هذا بعض النظر لأنهم يقولون من الموءودة وأدت أئد وأدا
والفاعل وائد والفاعلة وائدة ومن الثقل يقال آدني الشيء يؤودني إذا أثقلني أودا وروي
عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن العزل فقال ذاك الوأد الخفي وقد روي عن جماعة من الصحابة
كراهية ذلك وقال قوم في الخبر الذي ذكرناه إنه منسوخ بما روي عنه عليه السلام أنه قيل له إن
اليهود يقولون في العزل هي الموءودة الصغرى فقال كذبت يهود لو أراد الله تعالى أن يخلقه لم يستطع
أحد أن يصرفه وقد يجوز أن يكون قوله عليه السلام ذاك الوأد الخفي على طريق التأكيد للترغيب
في طلب النسل وكراهية العزل لا على أنه محظور محرم وصعصعة بن ناجية بن عقال جد الفرزدق
غالب كان ممن فدى الموءودات في الجاهلية ونهى عن قتلهن ويقال إنه أحيا ألف موءودة وقيل
دون ذلك وقد افتخر الفرزدق بهذا في قوله

ومنا الذي منع الوائدات ... وأحيا الوئيد فلم يوأد

وفي قوله

ومنا الذي أحيا الوئيد وغالب ... وعمرو ومنا حاجب والأقارع

وفي ذلك يقول أيضا

أنا ابن عقال وابن ليلى وغالب ... وفكاك أغلال الأسير المكفر

ليلى أم غالب وعقال هو محمد بن سفيان بن مجاشع وفكاك الأغلال ناجية بن عقال والمكفر الذي

بنو عقال محمد بن سفين مجاشع

فمن كهزو وكبل بالحمير   وكان لنا شيخان ذو القبر منهما وشيخ أجار الناس من كل مقبر
ذو القبر غالب وكان يستجار بقبره والذي أجار الناس من المقبر وأحيا الوئيد صعصعة
على حين لا تحيى البنات وإذ هم عكوف على الأصنام حول المدور
أنا ابن الذي رد المنية فضله وما حسب دافعت عنه بمعور
أبي أحد الغيثين صعصعة الذي متى تخلف الجوزا والنجم يمطر
أجار بنات الوائدين ومن يجر على القبر يعلم أنه غير مخفر
وفارق ليل من نساء أتت به تعالج ريحا ليلها غير مقمر
فارق يعني امرأة ماخضا شبهها بالفارق من الإبل وهي الناقة يضربها المخاض فتفارق الإبل وتمضي على وجهها حتى تضع
فقالت أجر لي ما ولدت فإنني أتيتك من هزلى الحمولة مقتر
رأى الأرض منها راحة فرمى بها إلى خدد منها وفي شر محفر
فقال لها نامي فإني بذمتي لبنتك جار من أبيها القنور
وأخبرنا المرزباني قال أخبرنا محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا محمد بن زكريا الغلابي عن العباس بن بكار الضبي عن أبي بكر الهذلي قال الصولي وحدثنا القسم بن إسمعيل عن أبي عثمن المازني عن أبي عبيدة بطرف منه قال وفد صعصعة بن ناجية جد الفرزدق على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد من بني تميم وكان صعصعة منع الوئيد في الجاهلية فلم يدع تميما تئد وهو يقدر على ذلك فجاء الإسلام وقد فدى في بعض الروايات أربعمائة جارية وفي الرواية الأخرى ثلثمائة فقال للنبي صلى الله عليه وسلم بأبي أنت وأمي أوصني فقال أوصيك بأمك وأبيك وأختك وأخيك وأدانيك أدانيك فقال زدني يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم احفظ ما بين لحييك ورجليك ثم قال له صلى الله عليه وسلم ما شيء بلغني عنك فعلته فقال يا رسول الله رأيت الناس يموجون على غير وجه ولم أدر أين الصواب غير أني علمت أنهم ليسوا عليه فرأيتهم يئدون بناتهم فعرفت أن ربهم عز وجل لم يأمرهم بذلك فلم أتركهم يئدون وفديت

خدد حفر كالقبر
القنور الضيق الصدر السيء الخلق

ما قدرت. وفي رواية أخرى أن صعصعة لما وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره قال حسبي ما أبالي ألا أسمع من القرآن غير هذا ويقال إنه اجتمع جرير والفرزدق يوما عند سليمن بن عبد الملك فافتخرا فقال الفرزدق أنا ابن محيي الموتى فقال له سليمن أأنت ابن محيي الموتى فقال إن جدي أحيا الموؤدة وقد قال الله تعالى ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا وقد أحيا جدي اثنتين وتسعين موؤدة فتبسم سليمن وقال إنك مع شعرك لفقيه

تأويل خبر

إن سأل سائل عن معنى الخبر الذي يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى أن يصلي الرجل وهو زناء. الجواب قلنا الزناء هو الحاقن الذي قد ضاق ذرعا ببوله يقال أزنأ الرجل ببوله فهو يزنئه إزناء وزنأ ببوله يزنأ زنأ قال الأخطل
وإذا دفعت إلى زناء قعرها غبراء مظلمة من الأجفار
يعني ضيق القبر ويقال لا تأت فلانا فإن منزله زناء فيجوز أن يكون ضيقا ويجوز أن يكون عسر المرتقى وكلاهما يؤول إلى المعنى الواحد ويقال موضع زناء إذا كان ضيقا صعبا ومن ذلك قول أبي زبيد يصف أسدا
أبن عريسة عنانها أشب ودون غايته مستورد شرع
شأس الهبوط زناء الحاميين متى يشنع بوارده يحدث لها فزع
يعني بزناء الحاميين أنه ضيق جانبي الوادي وقوله متى يشنع بوارده أي يضيق بجماعة ممن يرده وإنما تحدث لها فزع من الأسد والشأس الغليظ يقال مكان شأس إذا كان غليظا ومن ذلك قولهم زنأ فلان في الجبل إذا كان يصعد وهو يزنأ في الجبل زنأ. وروى أبو زيد أن قيس بن عاصم المنقري أخذ صبيا له يرقصه وأم ذلك الصبي منفوسة وهي ابنة زيد الفوارس بن ضرار الضبي فجعل قيس يقول له
أشبه أبا أمك أو أشبه عمل   ولا تكونن كهلوف وكل
يريد بعمل عليا والوكل الجبان والهلوف الهرم المسن وهو أيضا الكبير اللحية وإنما أراد به هاهنا الجبان
وارق إلى الخيرات زنأ في الجبل
فأخذته أمه فجعلت ترقصه وتقول

يشنع يشنعا إذا ضاق بالماء وشنعت بهذا الأمر
أشنع شنعا أي ضقت به ذرعا

أشبه أبي أو أشبهن أباكا أما أبي فلن ينال ذاكا تقصر عن مناله يداكا

مجلس آخر ع تأويل آية

إن سأل سائل عن قوله تعالى وهديناه النجدين فلا اقتحم العقبة وما أدراك ما العقبة فك رقبة أو إطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة أو مسكينا ذا متربة ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة أولئك أصحاب الميمنة والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشأمة عليهم نار مؤصدة. الجواب أما ابتداء الآية فتذكير بنعم الله تعالى وما أزاح به عللهم في تكاليفهم وما تفضل عليهم من الآلات التي يتوصلون بها إلى منافعهم ويستدفعون بها المضار عنهم لأن الحاجة ماسة في أكثر المنافع الدينية والدنياوية إلى العين للرؤية واللسان للنطق وإلى الشفتين لحبس الطعام والشراب ومسكهما في الفم وللنطق أيضا فأما النجد في لغة العرب فهو الموضع المرتفع من الأرض والغور الهابط منها وإنما سمي الموضع من أرض العرب نجدا لارتفاعه واختلف أهل التأويل في المراد بقوله النجدين فذهب قوم إلى أن المراد بهما طريقا الخير والشر وهذا الوجه يروى عن أمير المؤمنين عليه السلام وابن عباس وابن مسعود وعن الحسن وجماعة من المفسرين وروي أنه قيل لأمير المؤمنين عليه السلام إن ناسا يقولون في قوله وهديناه النجدين إنهما الثديان فقال عليه السلام لا هما الخير والشر وروي عن الحسن أنه قال بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا أيها الناس إنهما نجدان نجد الخير ونجد الشر فما جعل نجد الشر أحب إليكم من نجد الخير وروي عن قوم آخرين أن المراد بالنجدين الثديان فإن قيل كيف يكون طريق الشر مرتفعا كطريق الخير ومعلوم أنه لا شرف ولا رفعة في الشر قلنا يجوز أن يكون إنما سماه نجدا لظهوره وبروزه لمن كلف اجتنابه ومعلوم أن الطريقين جميعا باديان ظاهران للمكلفين ويجوز أيضا أن يكون سمي طريق الشر نجدا من حيث يحصل في اجتناب سلوكه والعدول عنه الشرف والرفعة كما يحصل مثل ذلك في سلوك طريق الخير لأن الثواب الحاصل في اجتناب طريق الشر كالثواب في سلوك طريق الخير وقال قوم إنما أراد بالنجدين أنا بصرناه وعرفناه ما له وعليه وهديناه طريقي استحقاق الثواب وثنى النجدين على عادة العرب

في تثنية الأمرين إذا اتفقا في بعض الوجوه وأجري لفظ أحدهما على الآخر كما قيل في الشمس والقمر القمران قال الفرزدق

لنا قمراها والنجوم الطوالع

ولذلك نظائر كثيرة فأما قوله تعالى فلا اقتحم العقبة ففيه وجهان أحدهما أن يكون فلا بمعنى الجحد وبمنزلة لم أي فلم يقتحم العقبة وأكثر ما يستعمل هذا الوجه بتكرير لفظ لا كما قال تعالى فلا صدق ولا صلى أي لم يصدق ولم يصل وكما قال الحطيئة

وإن كانت النعماء فيهم جزوا بها وإن أنعموا لا كدروها ولا كدوا

وقلما يستعملون هذا المعنى من غير تكرير لفظ لا لأنهم يقولون لا جئتني وزرتني يريدون ما جئتني فإن قالوا لا جئتني ولا زرتني صلح والذي في الآية مما ينوب مناب التكرار ويغني عنه وهو قوله تعالى ثم كان من الذين آمنوا فكأنه تعالى قال فلا اقتحم العقبة ولا آمن فمعنى التكرار حاصل والوجه الآخر أن يكون لا جارية مجرى الدعاء كقولك لا نجا ولا سلم ونحو ذلك وقال قوم فلا اقتحم العقبة أي فهلا اقتحم العقبة أو أفلا اقتحم العقبة قالوا ويدل على ذلك قوله تعالى ثم كان من الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالصبر ولو كان أراد النفي لم يتصل الكلام وهذا الوجه ضعيف جدا لأن قوله فلا خال من لفظ الاستفهام وقبيح حذف حرف الاستفهام في مثل هذا الموضع وقد عيب على عمر بن أبي ربيعة قوله

ثم قالوا تحبها قلت بهرا عدد القطر والحصى والتراب

فأما الترجيح بأن الكلام لو أريد به النفي لم يتصل فقد بينا أنه متصل مع أن المراد به النفي لأن قوله ثم كان من الذين آمنوا معطوف على قوله فلا اقتحم العقبة أي فلا اقتحم العقبة ثم كان من الذين آمنوا والمعنى أنه ما اقتحم ولا آمن على ما بيناه فأما المراد بالعقبة فاختلف فيه فقال قوم هي عقبة ملساء في جهنم واقتحامها فك رقبة وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن أمامكم عقبة كؤودا لا يجوزها المثقلون وأنا أريد أن أخفف لتلك العقبة وروي عن ابن عباس أنه قال هي عقبة كؤود في جهنم وروي أيضا أنه قال العقبة هي النار نفسها فعلى هذا الوجه يكون التفسير للعقبة بقوله فك رقبة على معنى ما يؤدي إلى اقتحام

هذه العقبة ويكون سبباً لجوازها والنجاة منها لان فك رقبة وما اتى بعد ذلك ليس هو النار نفسها
ولا موضعاً منها وقال آخرون بل العقبة ما ورد مفسراً لها من فك الرقبة والاطعام في يوم المسغبة
وانما سمى ذلك عقبة لصعوبته على النفوس ومشقته عليها وليس يليق هذا الوجه بالجواب الذي ذكرناه
في معنى قوله فلا اقتحم العقبة وانه على وجه الدعاء لان الدعاء لا يحسن الا بالمستحق ولا يجوز ان
يدعى على احد بان لا يقع منه ما كلف وقوعه وفك الرقبة والاطعام المذكور من الطاعات فكيف يدعى
على احد بالا يقع منه فهذا الوجه يطابق ان تكون العقبة هي النار نفسها او تكون عقبة فيها وقد
اختلف الناس في قراءة فك رقبة فقرأ امير المؤمنين عليه السلم ومجاهد واهل مكة والحسن وابو رجاء
العطاردي وابو عمرو والكسائي فك رقبة بفتح الكاف ونصب الرقبة وقرأ او اطعم على الفعل
دون الاسم وقرأ اهل المدينة واهل الشام وعاصم وحمزة ويحيى وثاب ويعقوب الحضرمي فك
بضم الكاف وخفض رقبة او اطعام على المصدر وتنوين الميم وضمها فمن قرأ على الاسم ذهب الى ان
جواب الاسم بالاسم اكثر في كلام العرب واحسن من جوابه بالفعل الا ترى ان المعنى ما ادراك ما اقتحام
العقبة هو فك رقبة او اطعام وذلك هو احسن من ان يقال هو فك رقبة او اطعم وقال الفراء اني
القراءة بلفظ الفعل ورجحها بقوله تعالى ثم كان من الذين امنوا لانه فعل فالاولى ان يتبع فعلاً و
ليس بممتنع ان تفسر اقتحام العقبة وان كان اسماً بفعل يدل على الاسم وهذا مثل قول القائل ما ادراك
ما زيد ثم تقول يفسره يصنع الخير ويفعل المعروف وما اشبه ذلك فيأتي بالافعال والسغب الجوع
وانما اراد انه يطعم في يوم مجاعة لان الاطعام فيه افضل واكرم فاما مقربة فمعناه يتيماً ذا
قربى من قرابة النسب والرحم وهذا حض على تقديم ذوي القرابة المحتاجين على الاجانب في الافضال
والمسكين الفقير الشديد الفقر والمتربة مفعلة من التراب اي هو لاصق بالارض من ضره
وحاجته ويجري هذا الاشتقاق مجرى قولهم في الفقير مدقع وهو ماخوذ من الدقعاء وهي الارض
التي لا شيء فيها وقال قوم ذا متربة اي ذا عيال والمرحمة مفعلة من الرحمة وقيل انه ماخوذ

من الرحم وقد يمكن في مقربة ان يكون غير ماخوذ من القرابة والقربى بل يكون من القرب الذي هو الخاصرة
فكان المعنى انه يطعم من انطوت خاصرته ولصقت من شدة الجوع والضر وهذا اعم في المعنى من الاول
واشبه بقوله ذا متربة لان كل ذلك مبالغة في وصفه بالضر وليس من المبالغة في الوصف بالضر ان
يكون قريب النسب والله اعلم بمراده قال السيد قدس الله روحه ومن ظريف المدح و
مليحه قول الشاعر

وكانه من وفده عند القرى لولا مقام المادح المتكلم
وكانه اخذ الندى ببابه لولا مقالته اطب [illegible]

ويقارب ذلك في المعنى [illegible] خارجة

سهل الفناء اذا [illegible] ببابه طلق اليدين مؤدب الخدام
واذا رأيت صديقه وشقيقه لم تدر ايهما ذوو الارحام

ومثله لابي الهندي

نزلت على آل المهلب شاتياً غريباً من الاوطان في زمن محل
فما زال بي اكرامهم وافتقادهم والطافهم حتى حسبتهم اهلي

ولا تاني العذر على المدح عقبة بن سنان الحارثي

الم ترني شكرت ابا سعيد بنعماه وقد كفر الموالي
ولم اكفر سحائبه اللواتي مطرن علي واتبة العزالي
فمن يك كافراً نعماه يوماً فاني شاكر اخرى الليالي
فتى لم تطلع الشعرى بافق ولم تعرض ليمن او شمال
على ابر له ان عد مجد ومكرمة واتلاف لمال
واصبر في الحوادث ان المت واسعى للمحامد والمعالي
فتى عم البرية بالعطايا فقد صار دواله اذنى العيال

وقال آخر

لم اقض من صحبة زيد اربي فتى اذا اغضبته لم يغضب
موكل النفس بحفظ الغيب اقصى الرفيقين له كالاقرب

فانه لم يرد ان الضعيف التسبب في المودة كالقوي التسبب وانما اراد انه بر عي من غيب الرفيق البعيد

البعيد الغائب وحفظه ما يرعاه من حق الشاهد الحاضر وانه يستوي عنده لكرمه وحسن حفاظه من بعدت

داره وقربت معا بخلاف ما عليه اكثر الناس من مراعاة امر الحاضر القريب وانما لحق البعيد

هذا اخر مجلس املاه سيدنا ادام الله علوه ثم تشاغل بامر الحج

بخط الجعفري هاهنا

وفرغ منه يوم الخميس الثامن والعشرين من جمادى الاولى سنة ثلث عشرة واربعمائة

واستنسخ هذه النسخة صاحبها محمد بن ادريس بن احمد بن علي ... في العشر من شهر

... سبع الاخر من شهور سنة خمس وثمانين وخمسمائة حامدا لله تعالى ومصليا على سيد المرسلين ... الطاهرين فنسخ من نسخة

لمولانا السيد الامام الاجل المرتضى علم الهدى ... ذي المجدين سلطان العلماء نقيب آل رسول الله صلى الله عليه

وعلى المؤمنين واولاده الطاهرين وهي بخط الشيخ الامام عبد الرحيم بن احمد بن محمد بن الاخوة البغدادي رحمه الله

وكان السيد حرس الله مجده كتب في اخرها بعالي خطه

فبلغته من اوله الى اخره سنخبر احدهما بخط الشريف الامام ابي يعلى محمد بن الحسن حمزة الجعفري رحمه الله وهو

خليفة الشيخ المفيد ابي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان رضي الله عنه والجالس مكانه والاخرى ايضا لا باس بها مع

ذلك فلم يكن تصحيح اشعاره الا بالرجوع الى الاصول والعرض على الدواوين فصح ان شاء الله وذلك في جمادى الاولى

من سنة ثمان وثلثين كتبه فضل الله بن علي الحسني حامدا الله تعالى ومصليا على سيدنا محمد واله وهو يقول

ان كنت تبغي كتابا لا يعادله من زبرج الكتب شيء فاطلب الغرر

فان كتب جميع الخلق لو عرضت عليه يوما لعادت عنده غررا

وبخطه دام انعامه في اخر نسخته ايضا ذكر القاضي ابو المعالي احمد بن علي بن قدامة البغدادي

رحمه الله ان السيد المرتضى علم الهدى رضي الله عنه اقراه اياه في سنتي سبع وثمان وعشرين واربعمائة

وكان ابن قدامة رحمه الله من المستملين في مجلسه قدس الله روحه

بلغت المعارضة ولله الحمد اولا واخرا وصلواته على محمد واله